

كِتَابُ الْمُقَفَّى الْكَبِيرِ

تَقَى الدِّينُ الْمُقَنَزِيُّ (ت 845 / 1441)

الجزء الثاني

(695 - إدریس الأول - 1047 - ثوبان بن مجدد)

تحقيق
محمد العلاوي



جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَبْعَةُ الْأُولَى

1411 هـ - 1991 م

دار الفَرْبِ الْإِسْلَامِيّ

ص.ب : 5787 / 113

بَیروت - لُبْنان

كِتَابُ
الْمِقْفَى الْكَبِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبعد ، فهذا الجزء الثاني من كتاب المقفّي للمقرّزي ، يتضمّن بقية تراجم حرف الهمزة وتراجم الباء والتاء والثاء . وكان في نيتنا أن نجمع فيه أيضاً تراجم الجيم والحاء والفاء ، حتى يخرج مخطوط السليمية في مجلدين فقط . ولكن تبين لنا أن المادة غزيرة جداً وأن هذا الجزء الثاني سيتضمّن بالتالي بصفة مفرطة . لذلك أرجأنا بقية تراجم هذا المخطوط الى جزء ثالث نقدّمه للطبع عن قريب إن شاء الله .

وفي تقديرنا أن يستغرق مخطوط باريس الجزء الرابع ، ومخطوطات ليدن الثلاثة الأجزاء الخامس إلى السابع ، ثمّ جزء ثامن للفهارس ، فيستوي هذا المعجم الكبير في ثمانية مجلّدات ، وهو لعمري حجم غير مستكثر إذا ما قارناه مثلاً بالأجزاء الثمانية التي أخرج فيها الدكتور إحسان عباس وفيات ابن خلكان ، وهي 855 ترجمة فحسب ، في حين أن المقفّي يتضمّن أكثر من 3600 ترجمة .

ويمتاز هذا الجزء بوفرة التراجم المخصّصة للمماليك . وقد وجدنا صعوبة في ضبط أسمائها وتتبع حوادثها ، نظراً لقلة اختصاصنا في هذه الفترة من تاريخ مصر والشام . ولكن وجدنا التوضيح والضبط والإصلاح بالرجوع إلى كتاب السلوك وإلى الهوامش الكثيرة التي علّق بها ناشروه على نصّ المقرّزي ، وكذلك في طبعة دار الكتب للنجوم الزاهرة .

ومع ذلك يبقى بعض المترجمين مجهولين تماماً : أولئك الذين ترد تراجمهم عاطلةً من كلّ إحالة أو تعليق . ذلك أنهم لم يذكروا في غير المقتضى ، ولا حتى في السلوك .

وكذلك أستعصى علينا أحياناً تقويم نصّ منقول ، من شعر لم يرد في مصادر أخرى وساقه المقرئ ناقصاً أو نقله ناسخ السليمية مشوهاً محرفاً ، ومن فقرات منقولة عن أرباب الإنشاء والترسل استعصت عبارتها المزخرفة على فهم الناسخ فلم يضبط الكلمات أو الأسماء فاستعصت علينا أيضاً لتعذر مقابلتها بأصولها .

وقصارى أمل المحقق لكتاب من هذا النوع ، كتاب تراجم متبينة في الأزمان ، متفاوتة في القيمة والدسامة ، متنوعة في المظان التي نقلت منها ، أن يقدم إلى القراء نصّاً مقروءاً ، أي مفهوماً في تسلسل أحداثه وأرباط الأسباب فيها بالنتائج ، وأنضاح الدوافع التي تحرك الأشخاص ، وقد تكون دوافع مسكوتاً عنها لأن المؤلف كان ينوي الرجوع إليها بمزيد من التفاصيل أو لأنها في عصره أشهر من أن تحتاج إلى توضيح .

وتقديم النصّ المقروء المفهوم ليس بالأمر الهين لمن لا يمتلك إلا نسخة وحيدة مبتورة ناقصة ، مبعثرة بين ثلاث مكنتات في العالم ، وأربعة أخماسها مسودات ، لأن كانت من خطّ المؤلف ، فهي في المقابل ذات ثغرات كثيرة وبياضٍ متكرر وأقتضاب واختصار ، لأن المؤلف حرّرها بصفة وقتية وكتبها بخطّ سريع ، كأنها « رؤوس أقلام » للتذكرة أو جذازات كما نقول اليوم ، في انتظار أن يعود إليها في تودة ورصانة فيكملها ويبيّضها .

وليس الخمس الآخر ، وهو مخطوط السليمية هذا ، بأحسن حالا : صحيح أن خطّ ناسخه أوضح من خطّ المقرئ ، ولكنّ الناسخ يسيئ الفهم أحياناً فيحرف عند النقل أو يبدّل ما لم يفهمه - وقد افترضنا أنه نقل عن مسودة

للمقريري - ولئن ترك البياض بياضاً غالباً ، فإنه أحياناً يبطل ذلك السقط
ويسوق الكتابة استرسالاً ، غير منتبه إلى أن الفراغ مقصود وأن المؤلف كان ينوي
تعميره فيما بعد .

فالضبط والتثبت واختيار القراءة الصالحة ، ذاك هو دأب المحقق وديدته ،
وإلى هذه الغاية سعينا . أمّا الدراسة والتقييم ، والنقد والتعليق ، فتلك مرحلة
أخرى ، لها أصحابها من الدارسين والمختصين ، في تاريخ الدول والملوك ،
وتاريخ العقائد والنحل ، وتاريخ المجتمعات والعادات ، وتاريخ الفكر
والأدب ، وفي كلّ هذه المناحي يوفر كتاب المقفى لهؤلاء مادة صالحة . والله
نسأل أن يوفقنا إلى صالح الأعمال وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تونس في 9 ربيع الثاني 1409

19 نوفمبر 1988

محمد اليعلاوي

على البحر سلاسله من بغداد الى العراق والشرب السابح محمد بن اسحق النعماني ورحل الى بغداد
وسمى بها وكفى على امره فمضى في بركة مصر في العشر الاوسط من ذي القعدة سنة خمس
واثنين وسبعمائة وبها دونه اسمعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن اسمعيل
ابن محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه الامام المنصور والظاهر
امير المؤمنين الامام القائم امامه امير المؤمنين ابا القاسم الامام المهدي رضي الله عنهما والحمد لله
وواحد سنة احدى وثلاثمائة وثمانين وقبل ولد المهدي في اول ليلة من حادي الاخر سنة
ثلاث وثلاثمائة وقبل ولدا العراق وموصل وقبل ولد سنة اثنى عشر وخمسمائة وقام الى ان
ظهر القائم امامه امير المؤمنين علي بن ابي طالب في يوم الاثنين بسبع خلوف من شهر رمضان سنة
اربع وخمسين وثلاثمائة وكانت سنة اذان ثلاثا وثلاثين سنة فقال محمد بن قاسم التوماني
هذه سنة تبتدئ بها الامم التي في عالمه وان امير المؤمنين موقوف
لثلاث ايام حتى ما وصحت لهما الشئ ما فتى كنهه شغل
امير غنمته الامامه مؤدبها وتقتلوا الى اخلاقه وشوقه
وكانت حوث الاثر من شغل سطره وقته برزوا اليه فطرقه
فانصحه الشرا فاكلت ثم كان يوم المنظر عند الكوفة فخرج وهو الى محمد بن منصور
وقد جد به سوء واخوته وعروسه وجذره وحيده واقامة الناس بظلمه ويزدجون ظلمه
فغلب الناس وصعدوا المستر فخط خطه لمعه وتوفي القائم امامه امير المؤمنين الشئ على حث من
شوال هذا فكنم المنصور امامه سوءه ولم يظهر ظلمه خارجا فان سهل ذلك ما يري محمد بن
كرداد الكاظمي امام الرازي منه ففلسا يد وتوفى عزيمه فاجاب الامور على حالها واكرم العظاما
والصلوات ولم يتم امام المؤمنين فكانت سنة تسعين من الامير اسمعيل ولي بهذا السهل من امير
المؤمنين واستمع اموره واطلاوا المحرمين الذين جسد القائم مستلذخ في الدولة وقبل
الرجال الذين كانوا اسمعيلية صاير الدولة وازهارا من اهل الدولة ورحل العزائم والساكنين وزوجه
الرجال البرة سلخا ما فاعلم الى اهل الدولة من الدولة المستورين بها عرفت فيهم ما فاقسوه
سراجا بن زيد فاعلم بتركه امامه الحامض والادوي واستمع والادوي واذا امور على
حالها وبانام السلة ولا السود وقام على ذلك سنة اربع وخمسين سنة وكان
الامام اظهرهم فدعوا الامم حيا له قاسم فاق قاسم ورجع الامم الى اسمعيل في الدولة
العدم وفي دولته سنة ثلاثين سنة سنة تسع وخمسين اسمعيل سوت له من اهل الدولة
انه من اهل زيد النعماني محمد بن امير المؤمنين وانا اسمعيل الامم اله الخ في هذه السيرة واهل السلا
والد الخوف والقول الى والفاء من جانا الى الخ والاسرار والدور ووجه بعض ما في الدولة
فقد علمه وشهد انك لم يزل اليها لادوي عشرة حث من سواله انك تعزيم من
الى دار الصانع والعمير من اسمعيل بن النعماني سنة مائة الى الخ من ساحة ففعل ما به
لم يترك فيها ففعل ذلك عليه وسامه ان عضله داره لودع اهل فهدس في ذلته امير اسمعيل

مخطوط السليمية ورقة 189 أ

(ترجمة المنصور العبيدي ص 129)

695 - إدريس الأول [- (175)]⁽¹⁾

إدريس بن عبد الله بن الحسن⁽²⁾ بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،
رضوان الله عليهم .

لحق بأرض المغرب فمات هناك . وسبب ذلك أن الحسين بن علي بن
الحسن⁽³⁾ بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، لما ظهر بالمدينة النبوية
سنة تسع وستين ومائة ، وبايعه الناس بها ، كان إدريس معه ، هو وأخوه
يحيى . ثم خرج بها معه ، فيمن خرج ، يريد مكة ، لست بقين من ذي
القعدة ، بعدما أقاموا بعد البيعة بالمدينة أحد عشر يوماً .

فقدموا مكة ، وبها يومئذ رجال من بني العباس قدموا للحج . وبلغ الخبر
الخليفة الهادي موسى ، ابن محمد المهدي ، ابن أبي جعفر المنصور . فكتب الى
محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يوليئه الحرب . فقاتل بمن معه
الحسين في يوم التروية⁽⁴⁾ . فانهزم أصحاب الحسين عنه وقُتل بفتح⁽⁵⁾ ، وقتل
معه زيادة على مائة رجل من أهل بيته وغيرهم .

(1) الأعلام 1/ 267 ؛ الاستقصاء 1/ 155 ؛ البيان المغرب 1/ 210 ؛ ابن خلدون 4/ 12 ؛

الوافي 8/ 318 (3743) ؛ دائرة المعارف الإسلامية 3/ 1057 .

(2) ويسمى الحسن المثنى .

(3) ويسمى الحسن المثلث .

(4) أي : 8 ذي الحجة سنة 169 .

(5) فتح : على فرسخ من مكة ، المعارف 381 ، ودائرة المعارف 2/ 763 . ويسمى الثائر
القتيل « صاحب فتح » .

قُدومه إلى المغرب :

وأُفلت من المنهزمين إدريس هَذَا⁽¹⁾ . فَأَتَى مصر ، وعلى بَرِيدها واضح
[166 ب] مولى صالح / ابن أبي جعفر المنصور ، وكان شيعياً . فحمله على البريد إلى أرض
المغرب ، فوقع بأرض طنجة بمدينة وِلي⁽²⁾ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَنْ بِهَا مِنْ
البربر⁽³⁾ . فَضَرَبَ الهادي عَتَقَ واضح وصلبَه . وَقِيلَ إِنَّ هَارُونَ - ابن مُحَمَّد
[المهدي] - الرشيد هو الذي قتلَه .

وقوي أمر إدريس [ف]-خُطِبَ لِنَفْسِهِ بالخِلافة بسبْطة ومَلِك جميع المغرب
الأقصى . وكان مقداماً شجاعاً ، ذا رأي ، كريماً . وأعقب أولاداً ، منهم
إدريس بن إدريس - وفيه العقب من جهة عبد الله⁽⁴⁾ - والقاسم ، ومُحمَّد ،
ويحيى ، وعمر . وخطب لهم بالخِلافة في أكثر المغرب ، وفاس ، وتلمسان ،
وسبْطة ، وطنجة ، وتاهرت ، وما بينهم ، حتَّى ظهرت الخِلافة الفاطميَّة
بالمغرب . فقام⁽⁵⁾ عيد الله المهديّ ، فَانْقَطَعَت دعوة الأدارسة .
وكانت وفاة إدريس سنة تسع وستين ومائة⁽⁶⁾ ، عن ثمان وخمسين سنة .
وقال ابنه إدريس ، القائم من بعده بالأمر يرثيه [بسيط] :

روحي الفداء لمن جاءت مَنِيَّتُهُ يرمي بها بلد ناءٍ إلى بلدٍ
فأَخْتُلِسْتُ نَفْسَهُ مِنْهُ مُخَائِلَةً حتَّى تَخْلَى مِنْ الأموال والولدِ
أَهْدَى إِلَيْهِ المَنَابِيا ذُو قَرَابَتِهِ بغير جرم سوى البغضاء والحسدِ

(1) صحبة مولاه راشد .

(2) في ربيع الأول 172 . ومدينة وِلي الأثرية Volubilis قريبة من فاس .

(3) وقد أعانه على ذلك أمير أورابة أبو ليل اسحاق بن محمد بن عبد الحميد .

(4) في المخطوط : عبيد الله .

(5) في المخطوط : أبو عبيد الله والخلط بين أبي عبد الله الداعي وعبيد الله المهدي كثير .

(6) بل سنة 175 . والخطأ من الصفدي في الوافي .

لئن ظفرتم بيومٍ قَتَلْنَا غلباً إِنَّا لنرجو من الرحمان فوزَ غدٍ
حتَّى يزِيلَ أَقلَّ الحقِّ أَكثَرُه ويشرب الكأس ساقِها يَدًا بيدٍ

وقال إدريس حين أتى بلاد البربر وباعوه [طويل] :

وأصبحتُ في سماء بالغرب عند مَنْ يذبّون عني بالمتقفّة المُلدِّدِ
رعُونِي لَمَّا ضيَّعَتني أقاري ، وما أَطَرَحُوا ما كان أوصى به جَدِّي

سبب موته :

وكان سبب موته أن الهادي بعث في طلبه رجلاً كان يعرفه إدريس موالياً لهم ومائلاً الى شيعة عليّ (رضه) ، وبذل له مالاً ، فقصده في طلب إدريس حتّى لحق به في الغرب ، بمدينة يقال لها : وليلي ، وقد اتخذ مدينة فاس ، وكان على أن يرحل إليها بنفسه ومن تجمّع إليه . فنزل عليه الرجل ، فعرفه إدريس وأكرمه . فلمّا داخله وأمنه ، وضع سمّاً في جانب سكّين ، ثمّ دخل عليه وببده أترجة أو بطيخة ، فقطعها بين يديه ، فأكل الجانب الذي يليه ، وناوله الذي خالطه السمّ ، فأكله إدريس ، وخرج الرجل عنه . فهلك إدريس .

وقيل إنّ الهادي بعث مع ذلك الرجل بغالية مسمومة . فلمّا أمنه إدريس ، أخرج إليه الإناء ، وفيه الغالية ⁽¹⁾ ، فغلفه منها ، ثمّ خرج عنه . وسقط إدريس ⁽²⁾ لوجهه فمات .

وقيل : الذي بعث معه الهادي إنّما كان سنّوناً ⁽³⁾ مسموماً فأستنّ به إدريس فمات . وخرج الرجل فنجا ونفذ الى بغداد فولّاه بريد مصر .

(1) الغالية : ضرب من الطيب .

(2) في المخطوط : وسقط الرجل .

(3) السنون : عجين أو طحين تُعالج به الأسنان .

عداوة العباسيين وولائهم له :

وقيل : بل كان الذي دسّ إلى إدريس السّمّ الخليفة هارون الرشيد :
بعث بالشّمّاخ اليماني⁽¹⁾ ، مولى أبيه محمد المهديّ ، فأتى إدريس ، وأظهر أنّه
من شيعتهم ، فعظّمه إدريس ومال إليه وأنزله عنده . ثمّ إنّ شكا إليه مرضاً في
أسنانه ، فوصف له دواءً ، وجعل فيه سمّاً ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع
الفجر ، فأخذه منه ، وهرب الشّمّاخ . ثمّ أخذ إدريس الدواء لمّا طلع الفجر
فأسننّ به وجعل يردّده في فيه فسقط فوه ومات . فطلب الشّمّاخ فلم يقدر
عليه . وخرج إلى هارون الرشيد يخبره بموت إدريس ، فبعث له بصلة سنّة ،
وولّاه بريد مصر ، فقال بعض الشعراء - ويقال إنّ الهادي أو الرشيد ،

[167 أ] ويقال : أشجع السلميّ / [كامل] :

أتظنّ يا إدريس أنّك مفلتٌ	كيدَ الخلافةِ أو يقيك فرارٌ ؟
إنّ السيوفَ إذا انتضاها سخطه	طالت وقصّرت دونها الأعمارُ
ملك كأنّ الموت يتبع أمره	حتّى تحال تطيعه الأقدار

ومن شعر إدريس هذا [سريع] :

غرّبت كي أغرب في ثورة	أشفي بها كلّ فتى ناثر
لا خير في العيش لمن يغتدي	في الأرض جارا لأمريّ جائر
والأرض ما أوسعها ربّها	إلاّ لتبدو همّة السائر
لا بلغت لي مهجة سؤلها	إن لم أوفّ الكيل للغادر

(1) واسمه سليمان بن جرير .

أدي[بن جاز] ⁽¹⁾ بن هبة[الله] بن جاز بن منصور بن جاز بن شيحة بن هاشم بن القاسم بن المهثا بن حسين بن المهثا بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الحُسَيْنِيّ .

حصّر المدينة النبويّة في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعائة أسبوعاً ، وأحرق الباب ودخلها ، وقد غاب عنها الشريف كبيش ⁽²⁾ فأخذ غلمانه وأهله وألزمهم بالمال . ففرّ طفيل أخوكبش وأبنته . وكثرت عقوبات الناس حتى اشتدّ الغلاء بالمدينة لأنقطاع الجلب . وقتل وديّ القاضي هشام بن عليّ العلويّ ، وعبدالله بن القائد عليّ بن يحيى ، وأفقر جماعة من المياسير حتى احتاجوا إلى السؤال .

فلما بلغ الخبر الأمير كبيش قدم ، ففرّ وديّ . وكان الشريف طفيل قدم مصر وشكا وديّ . فعزم الملك الناصر محمد بن قلاوون على إرسال عسكري إلى المدينة . فحضر بعد ذلك وديّ إلى مصر ، وتدافع هو وابن عمّه طفيل إلى السلطان وتحاققا ، فظهر الحقّ مع طفيل ، فقبض على وديّ ⁽³⁾ في أول شوال

(1) في الدرر 1/ 368 (857) : أدّي بن هبة الله بن جمّاز . ولهذا الاضطراب في اسم الأب يوقع المقرئ في الخطأ فيجعل من طفيل [بن منصور بن جاز] ثارة ابن عمّ لأديّ ، وثارة أخاً له ، أو ، كما في السلوك 2/ 280 و 288 ابن أخيه . ويكتب الاسم في السلوك : وديّ . وفي صبح الأعشى 4/ 301 : وديّ بن جمّاز .

(2) كبّيش - وكبيشة - بن منصور بن جاز : تولّى إمرة المدينة المتوّرة ، من 725 الى 728 . وخلفه أخوه طفيل بن منصور : السلوك 2/ 304 ؛ النجوم الزاهرة 9/ 273 .

(3) في المخطوط : على طفيل ، وهو خطأ واضح . انظر : السلوك 2/ 288 .

منها . وكان كيش قد قدم أيضاً ، فبعث السلطان معه الأمير علاء الدين ابن طغرل حتى أوصله الى المدينة . ولم يزل ودّي مسجوناً الى أن أفرج عنه في يوم الأربعاء خامس شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين [وسبعمائة] وعن حرص ابن أخيه . ورثب لهماراتب . ثم أخرجنا بعد مدة على إقطاع بالشام . فمات حرص . وأعيد ودّي الى إمارة المدينة شريكاً لـ[أبن] أخيه طفيل .

ثم قدم الى مصر سنة ست وثلاثين ، وأفرده بالإمارة ، وأنعم على [أبن] أخيه طفيل بإقطاع في بلد حوران من الشام ليقم هناك .

ثم عزل بسعد بن ثابت بن [....] في سنة خمسين وسبعمائة . فجمع الجموع ، وأخذ أموال الطواشيّة ، وقناديل الحجرة النبويّة ونهب الناس بالمدينة ، حتّى لم يدع بها إلا ما لا قيمة له . ولم يزل فأراً حتى قدم في محرّم سنة اثنتين وخمسين الى القاهرة بأمان كتب له . فقيد وسجن على ما أخذه من أموال أهل المدينة . فأثار أولاده فتنة بالمدينة النبويّة قتل فيها سعد بن ثابت ⁽¹⁾ . ومات هو عقيب ذلك بسجنه في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ⁽²⁾ .

697 - أرجواش الأعور [701 -] ⁽³⁾

أرجواش ، الأمير علم الدين سنجر ، المنصوري ، الأعور ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان موصوفاً بالإقدام والشجاعة ، فذهبت إحدى عينيه بسهم في بعض

(1) قتل سعد بن ثابت في ربيع الأول سنة 752 ؛ السلوك 2 / 839 .

(2) وكذلك في السلوك 2 / 856 ، دون ذكر الشهر .

(3) الوافي 8 / 338 (3766) ؛ المهمل الصافي 2 / 294 (358) ؛ الدرر 1 / 371

(865) ؛ السلوك 1 / 924 .

حروبه . وكان جافياً لا يعرف الهزل . فولّاه السلطان قلعة دمشق فلم يضبط عليه [167 ب] أنه خرج منها / ولا سير ، وحفظها حفظاً جيداً . فلما مات المنصور ، وقدم ابنه الأشرف خليل دمشق بعد فتح عكا⁽¹⁾ ، ووقف في خدمته على العادة ، رأى الأشرف رجلاً طوالاً بهيئة غريبة ، فأخذ يسأل عنه الأمراء ، فعرفوه ما هو عليه من ببس المزاج والانفراد عن الناس وجفاء الخلق .

فأراد السلطان الانبساط معه وممازحته ، وأشار لبعض الخاصّة أن يقف وراءه ويضع أصابعه في دبره . فما هو إلّا أن فعل ذلك ، وإذا به التفت إلى الخاصّة ولكمه فسقطت كلوثته عن رأسه ، وجذب سيفه ليضربه به ، فصاح به السلطان وقد اشتدّ ضحكّه وقال : ويلك ! تلکم مملوكي ؟ وإيش فعل بك ؟ فأجاب بغضب شديد : نحن ما تعودنا بشيء من هذا ، ولا رأينا في زماننا ، ولكن صار هذا في زمن يبقى فيه آخر عمرنا مخانيث ومساخر⁽²⁾ .

فأشتدّ غضب السلطان عليه ، وأمر ، فأخذ سيفه وألّقي إلى الأرض وضرب ضرباً مبرحاً ، ووقعت الحوطة على موجوده ، وسجن بالقلعة . فوجد له نحو سبعين ألف درهم وثلاثة آلاف دينار ، وسلاح ، وقماش ، وغيره ، بلغ ثمنه لمّا أبيع نحو مائتين وستين ألف درهم ، فقام الأمراء في حقّه وشفعوا فيه ، حتى أعيد إلى نيابة القلعة وردّ عليه جميع ما أخذ له بعدما ألبسه السلطان عباءة وعزم على قتله .

فلما كانت نوبة غازان⁽³⁾ وحوصرت قلعة دمشق نهض أتمّ النهوض في

(1) فتح عكا كان في جمادى الأولى سنة 690 هـ ، النجوم 6 / 8 .

(2) في السلوك 1 / 768 ، حكاية غير هذه ، وتعليق من المقرئ : وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن المجون .

(3) هجوم غازان على الشام كان في شعبان 698 هـ ، انظر : النجوم 8 / 158 .

حفظها ، وثبت لقتال التتار ، وقد ملكوا سُطوح دار السعادة⁽¹⁾ ودقوا على القلعة . وما زال يرمي عليهم قوارير النفط حتى احترقت الأخشاب ، وسقط السقف بهم ، فاحترقت دار الحديث الأشرفية ، والمدرسة العادلةية . وما زال على قتالهم حتى رحلوا . وكان ثباته سبباً لسلامة بلاد الشام بأسرها .
وتوفي يوم [...] ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة .

ومن نوادر تغفله أنه استدعى القراء لقراءة ختمة للملك المنصور لما بلغه موته . فلما أخذوا في القراءة أخذ دبوساً وقال : كيف يكون للسلطان هذه القراءة ؟ أقرؤوا عالياً !

فضجوا بالقراءة جهدهم وطاقتهم . فلما فرغوا من الختمة وأُعلم بذلك قال : تقرؤون ختمةً أخرى ! - فقرؤوا وقفّزوا ما أرادوا . فلما فرغوا وأُعلم بذلك قال : ومالك السماء ثلاثة ، والأرض ثلاثة ، والأيام ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، وكل ما في الدنيا ثلاثة ثلاثة ! تقرؤون أخرى ! - فقرؤوا ختمةً ثالثة ، وهم يحملون الله على أنه لم يعلم أن السماوات سبع والأرضين سبع ، حتى فرغوا وقد كادوا يهلكون من شدة صراخهم . فرسم عليهم إلى بكرة النهار ، وكتب عليهم قسامة بالله تعالى ونعمة السلطان ، أن ثواب هذه الختمات الثلاث للسلطان المنصور . فلما أخذ الإشهاد عليهم قال : جيد ! أصحّ الله أبدانكم ! - وصرف لهم أجرهم .

(1) دار السعادة بدمشق هي دار الإمارة .

698 - أرسلان الدوادار [717 -]⁽¹⁾

أرسلان الدوادار ، الأمير بهاء الدين ، الناصري .

تنقّل في خدمة الأمير سلار⁽²⁾ نائب السلطنة ، وأختصّ به . فلَمّا قدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الشام ، ونزل بالريدانية خارج القاهرة ، وشى إليه أرسلان بجماعة توافقوا على الفتك بالسلطان في يوم عيد الفطر . وأشار عليه بالمبادرة في الحال إلى قلعة الجبل . فقام فوراً وفتح جانباً من الدهليز السلطانيّ ، وخرج من غير الباب . وصعد إلى القلعة ونجا من القوم الذين همّوا به ، وجلس على تحت الملك . فرعى له هذه النصيحة وقربّه . ثمّ عمله دوادار السلطان ، عوضاً عن الأمير عزّ الدين أيّدمر⁽³⁾ . فباشّر الدوادريّة مباشرة جيّدة ، واستولى على السلطان ، وغلب عليه بحيث لم يبق لغيره ذكر .

واجتهد الفخر ناظر الجيش وكريم الدين عبد الكريم الكبير في إبعاده / فما [168 أ] تمكّنا من ذلك ، فإنّه لم يكن لها معه تصرّف ، إلى أن مات ، فصار أمرهما من العظمة إلى ما ذكر في ترجمتهما⁽⁴⁾ .

وكان القاضي علاء الدين عليّ بن عبد الظاهر⁽⁵⁾ موقع الدست قد درّبه وجربّه

(1) الوافي 8/ 346 (3781) ؛ المنهل 2/ 300 (364) ؛ الدرر 1/ 372 (867) ؛ النجوم 9/ 241 . ووظيفة الدوادار هي تبليغ الرسائل والقصص إلى السلطان وعنه . وعرض المراسيم على ختم السلطان .

(2) سلار المنصوري (ت 710) .

(3) أيلمر الدوادار (ت 740) . انظر ترجمته رقم 882 .

(4) هاتان الترجمتان مفقودتان .

(5) علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر ، توفي بعده بيوم كما في الوافي .

وهذبه . وكان يكتب خطأ مليحاً إلى الغاية . فصار يكتب في المهمات كتاب[ة] سريعة بعبارة جيدة . ويبحث بها إلى كتاب السر عن الأوامر السلطانية فينفذ ما فيها .

وركب البريد في الرسالة عن السلطان إلى الأمير مهتاً وغيره عدة مرار . وأنشأ بخط منشأة المهراني⁽¹⁾ فيما بين القاهرة ومصر ، خانكاه ، ورثب بها شيخاً وصوفية . وجعل لها أوقافاً جارية . وكان ينزل من القلعة إليها في كل ليلة ثلاثاء يبيت فيها ، ويحتفل الناس للحضور إليه .

وما زال على رتبته وسيادته إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشرين شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعمائة .

وكان من أطرف الناس شكلاً وأحلامهم وجهاً وأكثرهم نفعا للناس ، لا يملّ من قضاء حوائجهم .

ووجدت له تركة جليلة ، منها ألف ثوب حرير أطلس ، وأربعون حياصة من ذهب ، وعدة كلفئات مزركش ، ونحو ثلاثين ألف دينار ، وذخائر نفيسة ، فشق ذلك على السلطان وقال : كنت أظنه فقيراً . فما هذا إلا من أخذه الرشوة !

(1) فيما بين النيل والخليج ، أنشأها بلبان المهراني على أنقاض منشأة القاضي الفاضل غربي الخليج ، الخطط 2 / 154 .

699 - أرغون الناصري نائب السلطنة [731 -]⁽¹⁾

أرغون ، الدوادار الناصري ، نائب السلطنة ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .

أشتره صغيراً لولده الملك الناصر محمد ، فرَّبِي معه ، ولازمه حتى في توجَّهه إلى الكرك . وقدم معه ، فأُنعِم عليه بالإمرة في شوال سنة تسع وسبعمئة ، وقدمه إلى أن خلع عليه ، وعمله نائب السلطنة بديار مصر بعد بيبرس المنصوري⁽²⁾ ، في يوم الاثنين مستهلَّ جمادى الأولى سنة ثنتي عشرة وسبعمئة . فسار أحسن سيرة . وحجَّ في سنة خمس عشرة ، وخلَّص كثيراً من الناس من شدائد كان السلطان يريد أن ينزلها بهم .

وخلف السلطان في غيبته للحجَّ من أوَّل ذي القعدة سنة تسع عشرة إلى أن قدم في محرم سنة عشرين .

حجَّه وتقواه :

ثم حجَّ في سنة عشرين ، ومشى من مكَّة إلى عرفة ، وقضى الحجَّ ماشياً على قدميه بمسكنة في هيئة الفقراء . وقدم إلى القاهرة في حادي عشر المحرم سنة إحدى وعشرين . ثم لما زوَّج السلطان ابنته الكبرى من الأمير ناصر الدين أبي بكر محمد بن أرغون النائب⁽³⁾ ، أنعم على الأمير أرغون بمنية بني خصيب زيادة على إقطاعه . فسار إليها وأقام بها أياماً يتصيد بأعمالها . وخرَّب بها خمس كنائس

(1) الوافي 8 / 358 (3791) ؛ المهمل 2 / 306 (367) ؛ النجوم 9 / 88 و 288 ؛ الدرر 1 / 374 (873) .

(2) ركن الدين بيبرس المنصوري (ت 725) انظر ترجمته في المقفى : س 1003 .

(3) انظر ترجمة ناصر الدين لهذا في المقفى : رقم 1945 (ت 727) .

للتصارى ، ومنع أن يستخدم⁽¹⁾ في ديوانه نصراني ، لا كاتب ولا معامل .
ثم إن السلطان بلغه أن مهتّا بن عيسى أمير العرب عزم على الحجّ ، فأسرّ
إلى أرغون أن يتوجّه للحجّ ويقبض عليه . فتجهّز لذلك ، وسار ، ومعه ابنة
الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون ، في يوم الخميس خامس عشرين شوال سنة
ستّ وعشرين وسبعمائة .

فوثّي للسلطان بأنّه بعث إلى مهتّا يحذّره من الحجّ . فتأخّر عن السفر .
فشقّ ذلك على السلطان ، وعزم على القبض عليه . وأشاع أنّه بلغه بأنّ الأمير
حويان حاكم دولة القان أبي سعيد بن خربندا قد انتخب من خيار عساكر المغل
عشرة آلاف فارس ، وعزم على الحجّ . وأنّه ما يأمن على الأمير أرغون النائب
أن يقبضه حويان ويحمّله إلى الشرق . وكتب إلى الأمير تنكرز أن يخرج بعساكر
الشام إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون .

فبرز النائب من دمشق إلى منزلة الصنمين بالعساكر بمربد السلطان . فكتب
إلى تنكرز أن يعود بالعسكر إلى دمشق فعاد ، وأخذ يراعي أمر أرغون ، وجّهز
إليه الإقامة على العادة ، وكتب له أن يسرع بالعود / هو وولده . فقدما يوم [168 ب]
الأحد ثامن عشر المحرم سنة سبع وعشرين . فبعث السلطان بالأمير قجّليس⁽²⁾
ليلقاه من باب القلعة ولا يُمكنه من العبور إلى داره بها . فلما جازه إذا صياحُ
عياله على أبنه زوجته ، وقد ماتت . فتطير من ذلك ، ومضى إلى باب القلعة .
فقبض عليه وعلى ولده ، وفرّق بينهما .

تغيّر السلطان عليه :

وتردّد الأمير بكتمر الساقى في الرسالة إليه عدّة مرار ، والسلطان يعدّد له

(1) في المخطوط : أن لا يستخدم .

(2) سيف الدين قجّليس أمير سلاح (ت 731) ؛ النجوم 9 / 287 .

ذنوباً . وهو يعتذر عنها . إلى أن تقرّر الحال على إخراجه لنيابة حلب عوضاً عن الأمير أَلطُنْبَغَا . وخرج معه أَيْتَمِش المَحْمَدِيّ . وسار الأمير أَلْجَاي إلى أَلطُنْبَغَا ليحضره . فقدم أرغون دمشق يوم الجمعة ثالث عشرينه في الرابعة . وخرج الأمير تنكز نائب الشام فتلّقاه بميدان الحصى خارج دمشق . وترجّل له . فترجّل له أرغون أيضاً وتعانقا وسارا إلى جامع بني أميّة لصلاة الجمعة . فبينما هما في صحن الجامع إذ دخل أَلْجَاي بِأَلطُنْبَغَا نائب حلب ، وكان السلطان قد قرّر هذه الأمور وقصدها . فسلم أرغون على أَلطُنْبَغَا بالأيّماء والإشارة ، وصلّيا . وقاموا جميعاً مع الأمير تنكز إلى طعام صنعه لهم . فأكلوا . وركب أرغون البريد إلى حلب فدخلها يوم السبت مستهلّ صفر ، وباشرها وأعاد أَيْتَمِش .

وكان الذي عمل عليه حتى خرج من مصر القاضي فخر الدين ناظر الجيش⁽¹⁾ . فإنّ الأمير أرغون كان يضع منه لبغضه له ، فلا يتمكّن الفخر من إمضاء ما يريدّه ، خوفاً منه . وأخذ يغري السلطان به ويخيله منه . وبالع حتى قال : يا خوند : « ما أتي على سلطان قطّ إلّا من نائبه » . وذكر له ما فعله بيدرا ، وهو نائب الملك الأشرف ، وما وقع للمنصور لاجين بسوء تصرف منكوتر نائبه . وما فعله سلاّر ، وهو نائب المظفر بيبرس ، حتى زال ملكه . فلم يصبر على هذا ، وعمل به ما عمل . ولم يكفه ذلك ، حتى إنّّه لمّا قدم الأمير أَيْتَمِش المَحْمَدِيّ من حلب . أخذ السلطان يسأله عن أرغون وما يقوله ، وهل هو راضٍ أو متسخط . فأجاب بكلّ جميل عن هذا ، والفخر جالس . فالتفت إليه وقال : يا أَيْتَمِش . كلّ ما قلته صحيح . لكن والله لو أقام أرغون في النيابة شهراً واحداً . ما رأيت السلطان على هذا الكرسيّ !

فأثر قوله في نفس السلطان بما لا يزول . وألزم شرف الدين الخطير كاتب

(1) هو فخر الدين محمد بن فضل الله بن خروف . قبضي أسلم وحسن إسلامه : النجوم

أرغون بإظهار أمواله ، وهدّده بالشنق متى أخفى منها شيئاً . وألزمه بعمل أوراق بها . فلماً نجرت قبضها ، وأنعم منها بما شاء ، واستولى على بقيّتها . وتتبع ألزامه وقبض عليهم .

رجوع السلطان إلى العطف عليه :

ثمّ إنّهُ استدعاه إلى مصر بعد موت ولده⁽¹⁾ ، فقدم يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين . وخرج الأمير المّاس الحاجب فلقاه بقبة النصر ، وصعد به إلى قلعة الجبل . فأكرمه السلطان وعزّاه في ولده ، وحادثه ، وخلع عليه ، وأنزله في داره على الكيش⁽²⁾ ، ثمّ خلع عليه ، ورسم له بالعود إلى حلب . فسار يوم الخميس سادس عشرينه ، وقدم حلب . فما زال بها حتى مات ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، عن بضع وأربعين سنة .

وكان رئيساً كبيراً في بيت السلطان ، يخضع له الكبار ويأتمرون بأمره ، وله حزب كبير مثل قجليس ، وجنكلي بغا ، وطشتمّر ، وقطلوبغا ، وطرجي .

بعض صفاته :

وكان تركيّ الجنس ، فصيحاً ، مليح الشكل ، تفقّه على مذهب أبي حنيفة ، وأذن له مشايخ العلم في الإفتاء . وكان يعرف الفقه ودقائقه ، ويقصر فهمه في الحساب إلى الغاية . وسمع صحيح البخاريّ على الحجار بقراءة الفتح محمد بن سيّد الناس⁽³⁾ ، وكتبه بخطّه المليح في مجلّدة واحدة في الليل على ضوء القنديل . وأقتنى كتباً كثيرة إلى الغاية .

(1) مات ناصر الدين ابن أرغون بحلب سنة 727 في 13 شعبان ، النجوم 9 / 269 .

(2) مناظر الكيش وقلعة الكيش : بحوار الجامع الطولونيّ على جبل يشكر ، النجوم 72 / 2 هامش 2 .

(3) فتح الدين - ابو الفتح ابن سيّد الناس ، له ترجمة في المقفّي ، رقم 3217 (ت 734) .

ولمّا بلغه وهو على نيابة حلب ، موت الأمير فجليس بمِصر ، بعث بالفي [169 أ] دينار يشتري بها من تركته / كتباً .

وبعث إلى بغداد حتى استنسخ فتاوى قاضي خان ⁽¹⁾ . وعلم الناس برغبته في الكتب ، فجلبوا إليه النفائس من كلّ قطر .

وأختصّ بالشيخ صدر الدين بن الوكيل ⁽²⁾ . والشيخ أثير الدين ابن حيّان ⁽³⁾ ، والشيخ فتح الدين ابن سيّد الناس .

وكان فهماً يقطاً ، لم يسفك بحلب مدّة نيابته بها دماً ، ولا قطع سارقاً ، لأنّه كان رفيقاً رحيماً لا يعاقب على زلّة . ولم يسمع منه أحد في نيابته بمِصر وحلب كلمة سوء قطّ ، ولا فاه بها لسانه . ولا عُرف عنه أنه ضرب أحداً من الناس غير جنديّ واحدٍ اعترف بين يديه بقلعة الجبل أنّه شرب الخمر فضربه الحدّ .

وكان له في ليلة كلّ جمعة وقت يجتمع فيه عنده القراء لقراءة ختمة . فيقرأ معهم ، ويحضر أعيان الفقراء أيضاً فيتذكرون طول ليلتهم .

ولم يعرف عنه أنّه عارض السلطان في أمر من الأمور ، سوى في طشتمر الساقى لمّا قبض عليه ، فقام في الشفاعة له حتّى أعفاه من النقي ، وخلّصه ، وضمنه . فكره منه السلطان ذلك وأسرها في نفسه .

وكان مع ذلك مسيكاً ، لا تُعرف له مكارم ولا صلوات ولا هبات .

.....
(1) قاضي خان : حسن بن منصور الأوزجندى ، فقيه حنفى (ت 592) ؛ الأعلام 238 / 2 .

(2) ابن الوكيل وابن المرحّل : محمد بن عمر بن مكّي (ت 716) ؛ له ترجمة في المقفّى ، رقم 2930 .

(3) ابن حيّان الأندلسي : محمد بن يوسف بن علي (ت 745) النحوي ، له ترجمة في المقفّى : رقم 360 .

700 - أرغون تتر [774 -]⁽¹⁾

أرغون ابن أميرشاه ، الناصريّ ، المعروف بأرغون تتر ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك حسن .

رَبّي صغيراً في دار السلطان حسن ، وتنقّل في خدمته إلى أن صار من أمراء الطبلخاناه . ثمّ أنعم عليه الأمير بلبغا الخاصّكيّ لمّا قام بحرس الدولة (2) بإمرة مائة رأس نوبة ثاني . ثمّ استقرّ بعد موت مَلِكْتُمُ الماردينيّ رأس نوبة كبيراً ، إلى أن قبض عليه الأمير أسندمر أيّام تحكّمه في سابع شوال سنة ثمان وستين وسبعمئة ، فيمنّ قبض عليهم من الأمراء ، وسجنه وإيّاهم بالإسكندرية ، إلى أن استبدّ السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بعد قبضه على أسندمر فأفرج عن تتر فيمنّ أفرج عنه في صفر سنة تسع وستين وأنعم عليه بإمرة مائة . ثم قبض عليه وعلى الأمير طغتمُر النظاميّ في ثالث عشر رمضان منها ، وأخرج تتر على إمرةٍ بخاة .

فلم يزل بها حتى مات أول سنة أربع وسبعين وسبعمئة .

701 - أرغون الأحمديّ [775 -]⁽³⁾

أرغون الأحمديّ . الأمير سيف الدين . أحد المماليك [. . .]

تنقّلت به الأحوال في الخدم إلى أن أقامه الأمير الكبير بلبغا العمريّ لالا⁽⁴⁾

(1) السلوك 3 / 114 (تحت 769) .

(2) أي صار أتابك .

(3) النجوم 11 / 128 ، الدرر 1 / 373 (872) .

وفي السلوك 3 / 227 : أرغون اللالا الأحمديّ .

(4) اللالا : المربّي والكافل .

السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين عندما أقامه في السلطنة . ثمّ عمله أستاذار السلطان . ثمّ صرفه وعمله خازندار كبيراً . ثمّ صرفه وعمله رأس نوبة صغيراً . ثمّ نفاه إلى الشام في ثامن عشرين ربيع الأول سنة ثمان وستين وسبعمئة .

فلما قتل يلغا أعيد من الشام بإشارة الأمير أسندمُر الأتابك ، وعمل لالا على عادته . فلما قبض الأشرف على أسندمر أنعم على أرغون بتقدمة ألف . أقره لالا ، إلى يوم الاثنين حادي عشر شوال سنة اثنتين وسبعين . [ف]خلع عليه وعمله أمير مجلس عوضاً عن أرغون شاه ، بحكم أنه صار رأس نوبة كبيراً . ثمّ خلع عليه في محرّم سنة خمس وسبعين . وعمله أميراً كبيراً . ثمّ خلع عليه في سابع عشر رمضان منها وأخرجه نائب الإسكندرية عوضاً عن [الأمير] كجك⁽¹⁾ ، فبقي بها ثمانية وخمسين يوماً . ومات يوم النصف من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وسبعمئة ، ودُفن بها .

702 - أرغون العلاني [748 -]⁽²⁾

أرغون العلاني ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من أمراء الطبلخاناه . واستقرّ رأس نوبة [169 ب] الجمدارية في أيام / أستاذه الناصر محمد ، وزوجه بأمّ [ولدته] الصالح إسماعيل والكمال شعبان ، وعمله لالا أولاده . فلما مات السلطان الملك الناصر

(1) في السلوك 3 / 222 كان ذلك في 17 شعبان . وإذا اعتبرنا مدّة النيابة - شهرين تقريباً - فرواية المقفّي أصحّ .

(2) الوافي 8 / 355 (3788) ؛ الدرر 1 / 372 (870) ؛ النجوم 10 / 185 .

محمد ، أخرجه الأمير قوصون منفياً إلى صفد ، فعاد عن قريب صحبة الأمير قطوبغا الفخري ، وأقام حتى خلع الناصر أحمد ، وأقاموا الصالح إسماعيل في السلطنة . فجعل^[هـ] أمير مائة ، مقدّم ألف ، مدبر الدولة ، وكاف المالك ، وأنعم عليه بعشرين ألف دينار ، ومائتي ألف درهم فضة . فاستمر على ذلك مدة أيام الصالح وأيام أخيه الكامل شعبان .

وولي نظر المارستان المنصوري بعد موت الأمير جنكلي بن البابا . فأنشأ السبيل وكتاب السبيل علوة على باب المارستان ووقف عليها أرضاً .

وما زال مكيناً في الدولة ، وساعدته الأقدار ، وكثرت إقطاعاته وأملاكه وأمواله ، وهو باق على وظيفة رأس نوبة الجمّدارية ، إلا أنه أكثر من التّوابع [...] إلى أن ركب الكامل لمحاربة الأمراء ، وقد ركبوا لحربه . فركب العلائي معه ، حتى كانوا تجاه الأمراء عند قبة النصر خارج القاهرة ، وقد أنفل أكثر من كان مع الكامل ، فحمل عدّة من الأمراء عليه ، وبدر الأمير شجاع الدين أغزلوا وضرب العلائي في وجهه بسيف بعدما كان قد ضرب بدبّوس . حتى سقط إلى الأرض وأخذ أسيراً . فعنفه الأمراء . وكان من خلع الكامل وإقامة المظفر حاجي ما ذكر في ترجمتها⁽¹⁾ .

ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها . حتى قتل في يوم [...] سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وكان كثير المكارم على الممالك السلطانية ونحوهم ، متلطفاً مع جميع الناس بالأدب والمدارة وإقامة منار الشرع . وله صداقات ومعروف .

وعمر بالقرافة خانكاه ، وأنعم في سنة واحدة بمائتين وثلاثين فرساً وأربعين ألف دينار .

(1) حاجي بن محمد بن قلاوون (ت 748) . انظر ترجمته في المقي ، رقم 1108 . أمّا ترجمة الكامل شعبان ، ففقودة .

703 - أرغون الصغير الكامل⁽¹⁾ [758 -]⁽¹⁾

أرغون الكامل⁽²⁾ ، الأمير سيف الدين ، أحد ممالك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون .

رقاه وهو صغير السن حتى صار أمير طبلخاناه ، ويعرف بأرغون الصغير . ثم اختص به الكامل شعبان بن محمد ، ورسم أن يقال له : أرغون الكامل⁽²⁾ ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وأعطاه في جمعة واحدة ثلاثمائة ألف درهم ، وعشرة آلاف إردب غلّة ، وعمر له داراً على بركة الفيل .

ثم بعثه ليزور القدس ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وكتب لنواب الشام بخلمته ، وتقديم التّقديم له ، وعيّنت له الإقامة طول الطريق .

فلما زالت أيام الكامل ، أخذت منه تقدمته وأمر أن يلزم بيته ، على إقطاع يقوم به .

ثم أنعم عليه في شوال سنة ثمان وأربعين بإمرة مائة ، ثم أخرج لنيابة حلب بعد موت قطلوبغا الحموي . فقدمها يوم الثلاثاء نصف رجب سنة خمسين [وسبعمائة] . وباشر النيابة بمهابة إلى أن قدم الأمير كجك الدوادار بأخذ الطرقات على الأمير [شهاب الدين] أحمد نائب صفد . فبرز إلى ظاهر حلب ، فأرجف بإمساكه ، وفرّ منه الأمير موسى حاجب حلب وغيره ، ولبسوا السلاح ، ونادوا بنهب طُلبه . فتوجّه إلى المعرة وسار إلى ...⁽³⁾ .

(1) الوافي 356/8 (3790) ، الدرر 375/1 (874) ، النجوم 326/10 . المنهل 319/2 .

(2) ويضيف الصفدي : ... ونهى أن يُدعى بأرغون الصغير .

(3) تقف الترجمة هنا . وتتواصل في الوافي . وملخص ما سقط أنّه وصل الى الشام ثم الى القاهرة فأعاده ثانية الى حلب نائباً ، ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية مدة ثم أخرج الى القدس بدون عمل فمات هناك .

704 - أرغون شاه الناصري [750 -]⁽¹⁾

أرغون شاه الناصري ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد ابن قلاوون .

جلبه الكمال الخطائي إلى السلطان أبو سعيد من بلاد الصين [مع]⁽²⁾ سبعة ممالك وثمانمائة ثوب وبر خطائي . فتمّ على الكمال إلى بوسعيد فصادره وأخذ منه مائة ألف دينار . ولم يعجب ذلك بوسعيد منه وأبعده . فأخذه دمشق خواجه ابن جوبان من بوسعيد ، فتمّ على دمشق خواجه بأنه مع الخاتون طقطاي فقتلها بوسعيد وأرتجمعه وبعث به إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، هو الأمير ملكتمّر البوسعيد . فحظي عند السلطان ورقاه حتى صار رأس نوبة الجمدارية .

فلما مات السلطان بقي على رتبته . ثمّ عمله الكامل شعبان أستاذار وفخم أمره .

ثمّ أُخرج إلى نيابة صفد على البريد فقدمها أوائل شوال سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، فشكرت سيرته . ثمّ طلب إلى القاهرة في أواخر صفر سنة ثمان

(1) الوافي 8 / 351 (3787) ؟ المنهل 2 / 314 (374) ، وهو ينقل عن الوافي . النجوم 10 / 43 . والترجمة في مخطوطنا متكررة ، على أنّ الثانية أوفى من سابقتها ، فأثبتناها دون الأولى .

(2) في المخطوطة : وسبعة ... وفي الوافي زيادة توضيح : هذه الأثواب موروثه لبوسعيد من أجداده ، فيكون الخطائي احتفظ بها بدون حقّ .

وأربعين وقد نيابة حلب عوضاً عن الأمير [سيف الدين] بيدمر البدرى . وسار إليها على البريد وأدركه طلبه ، فدخل دمشق في سادس عشر شهر ربيع الأول بتجمل زائد ، ومضى إلى حلب .

ثم نُقل منها إلى نيابة دمشق بعد [القبض على] الأمير يلبغا [نائب الشام] فقدم دمشق في سابع عشر جادى الآخرة . وباشر النيابة بحزمة وافرة ونال بها سعادات جليلة جداً ، وتمكّن فيها تمكناً زائداً ، بحيث صار يتصرّف في جميع ممالك الشام فلا يعترض عليه حتى زاد وأفرط ، وثقلت وطأته على الناس جميعاً . فطرق الأمير ألبجيجاً نائب طرابلس دمشق في ليلة الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبعمائة ، وتوجّه ومعه الأمير فخر الدين أياز⁽¹⁾ السلاح دار إلى القصر الأبلق خارج دمشق ، وبه أرغون شاه . فدق الباب من آخر الليل بإزعاج ، فكان إذا خرج إليهما طواشي قبضاه . فلما كثرت الغوغاء خرج أرغون شاه ويده سيف . فأمسكاه ومضيا به إلى دار أياز ، وقيداه وسجناه ووكلاه به الأمير طيغاقاسمي إلى يوم الخميس ، ثم دبح في ليلة الجمعة رابع⁽²⁾ عشرينه . ووُجد وفي يده سكين يحصر بأنه ذبح نفسه . وجُهِز إلى السلطان صحبة الأمير ينبلك أمير علم ، ودُفن بمقابر الصوفيّة . فشق ذلك على أمراء الدولة ، وما منهم إلا من حلف أنّه لم تكن هذه الواقعة برأيه . وكتب إلى ألبجيجا بالإنكار عليه ، فكان ما ذكر في ترجمته⁽³⁾ .

- (1) في المخطوط وفي النجوم : أياس . وقد أخذنا بقراءة الوافي ، وكذلك بترجمة أياز في المقتفى : س 857 . وقد أطنب الصفديّ ، ومن بعده ابن تغري بردي في تفصيل الحادثة ، ألا أنّ صاحب النجوم هو الذي ذكر سبب عداوة الأميرين ألبجيجا وأياز لأرغون شاه ، وذكر انتقام السلطان منها وقتلها بدمشق بُعيد فتحها بأرغون شاه .
- (2) في المخطوط : حادي عشرينه ، والتصويب من النجوم ، وكذلك من معقول السياق .
- (3) ترجمة ألبجيجا في المقتفى : س 831 .

705 - الحاج أرقطاي [750 -]⁽¹⁾

أرقطاي ، الأمير سيف الدين ، المعروف بالحاج أرقطاي ، نائب السلطنة وأحد المماليك المنصورية قلاوون .

[170 ب] ربّاه الطواشيّ فاخر مقدّم المماليك أحسن تربية . ثمّ خدم الأشرف / خليل ابن قلاوون ، وصار صغيراً إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون هو وأخوه أيتمش الحمدي ، وكانا معه في الكرك . فلما عاد إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة في شوال سنة تسع وسبعمائة .

تقلّب الأحرار به :

ثمّ بعثه مع الأمير تنكز نائب الشام لما ولاه نيابة دمشق في ربيع الآخر سنة اثني عشرة وسبعمائة ، هو وطُرُنطاي الجمدار ، وتقدّم إلى تنكز أن لا يستبدّ بأمر دون أرقطاي . فلم يزل بدمشق إلى أن تغيّر ما بينه وبين تنكز ، وكاتب فيه . فرُسم له [بنيابة] حمص عوضاً عن قرطاي⁽²⁾ ، بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس في جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة .

فدخلها سابع رجب . ثمّ نقل منها بعد سنتين ونصف إلى نيابة صفد ، عوضاً عن طغاي الحسامي⁽³⁾ في جمادى الأولى سنة ثمانٍ عشرة وسبعمائة ، وولي بكتوت القرماني⁽⁴⁾ مكانه نيابة حمص .

فأقام بصفد ثمانٍ عشرة سنة حتى تنكّر ما بينه وبين الأمير تنكز نائب

(1) الوافي 8 / 361 (3792) ؛ الدرر (877) ؛ النجوم 10 / 244 . المنهل 2 / 328 (378)

(2) قرطاي الأشرفي الجوكندار - الدرر ، 3 / 332 (3247) .

(3) طغاي (ت 734) - الدرر ، 2 / 322 .

(4) بكتوت القرماني : الدرر ، 2 / 22 (1317) .

الشام . فأشار السلطان بإحضاره من صفد صحبة تنكر . فقدم في سادس
جادی الآخرة سنة إحدى وثلاثين [وسبعمائة] ، وأصلح بينها ، وأنعم على
ولدي أرقطاي بإمرة طبلخانة وإمرة عشرة بصفد ، وأعاد [هـ] إليها .

ثم صرفه ، وأمره بالحضور ، لشكوى تنكر منه . فقدم في سنة ست
وثلاثين . وأستقرّ عوضه في نيابة صفد الأمير أيتمش . وأنعم على أرقطاي بتقدمة
أيتمش - وكان يعمل نيابة الغيبة إذا خرج السلطان إلى الصيد .

ثم أخرجه في سنة إحدى وأربعين لنيابة طرابلس عوضاً عن طينال ، فقام
بعد موت السلطان مع أَلْطُنْبَغَا نائب الشام في قتال قطلوبغا ، وقد قام في نصره
الناصر أحمد . فانهزما خارج دمشق ولحقا بقوصون . وهو يومئذ القائم بتدبير
دولة الأشرف كجك . فوافيا تحت القلعة في اليوم الذي قبض عليه ، فقبض
عليهما الأمير أيدغمش أمير أخور . وهو إذ ذاك الذي تولى كسر فتنة قوصون
والقبض عليه وسجنه . حتى استقرت سلطنة الناصر أحمد ، فأخرجه فيمن
أخرج من الأمراء ، إلى الإسكندرية . وسجنه بها .

فأفرج عنه الصالح عماد الدين إسماعيل في أول سلطنته في محرم سنة ثلاث
وأربعين [وسبعمائة] بواسطة الأمير ملكتمر الحجازي . وأستقرّ من جملة الأمراء
الأكابر . ورسم بجلوسه مكان الأمير علم الدين سنجر الخاوي حتى مات
[إسماعيل] .

فلما ولي الكامل شعبان السلطنة أخرجه لنيابة حلب بطلبه . وذلك في يوم
الخميس حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين . على البريد . عوضاً
عن الأمير يلبغا ألبحياوي . فلم يقيم بها إلا خمسة أشهر . وأعيد إلى مصر على
إقطاع الأمير جنكلي بن البابا . فقدم في العشرين من المحرم سنة سبع وأربعين .
وخلع عليه بذلك - وأستقرّ عوضه في نيابة حلب طقتمر نائب حماه .

تعيينه نائباً للسلطنة :

ثمّ خلّع عليه في يوم الخميس ثاني شهر رجب منها ، واستقرّ في نيابة السلطنة بديار مصر - وكانت شاغرة - بعد تمتّعه . فخرج في موكب عظيم إلى دار النيابة ، فجلس بالشباك على عادة التّواب ، واستمرّ إلى أن خلّع المظفر حاجي ، وأقيم بعده أخوه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون فشبكت⁽¹⁾ عليه الأحوان وأخذ يلحّ على الأمراء في إعفائه من النيابة وخروجه إلى نيابة حلب ، وبالف في ذلك حتى بكى في المجلس السلطانيّ ، فرقوا له وخلع عليه بناية حلب عوضاً عن فخر الدين إياس في خامس شوال سنة ثمان وأربعين . وخلع على الأمير بيبغا أروس القاسميّ فاستقرّ عوضه في نيابة السلطنة . وخرّجاً معاً بتشريفهما فجلس بيبغا أروس في دست النيابة حيث كان يجلس أرقطاي ، وجلس أرقطاي في خدمته ، بعدما كان قبل ذلك بساعة بيبغا أروس جالساً في خدمة أرقطاي . [171 أ] وتوجّه إلى القاهرة في عاشره ، وصحبته الأمير كجلي / متسفرّاً فقدم حلب في ثاني ذي القعدة ، وأنعم على كجلي بما قيمته مائة ألف درهم . وأقام بها حتى قُتل الأمير أرغون شاه نائب الشام [فد]رُسم له باستقراره عوضه ، فسرّ الناس به وتوجّهوا إلى حلب ، فاستعدّ لذلك ، وخرج في طلبه وحاشيته ، وبه حمى وإسهال .

فاشتدّ مرضه حتى مات يوم الأربعاء خامس جادى الأولى سنة خمسين وسبعمائة بعين مباركة خارج حلب ، وله من العمر ثمان وسبعون سنة ، فدفن بحلب .

(1) في المخطوط : فشكوت

صفاته :

وكان جميل الوجه ، تامّ القامة ، كثير الأدب ، حسن المعاشرة ، له عناية تامّة باقتناء آلات الحرب ، بحيث وُجد له بعد خروجه من طرابلس زردخاناه فيها ثمانية وثلاثون صندوقاً ملأته من السلاح ، منها ستّة جواشن ، وستة بَرَكُستُوانات⁽¹⁾ حرير ، قيمة كل واحد خمسة عشر ألف درهم فضّة .

وكان يَخْمَعُ⁽²⁾ إذا مشى [و] كان به عرج ، فإنه تقطّر⁽³⁾ في ميدان دمشق عن الفرس .

وكان لطيفاً ظريفاً خفيف الروح .

وله بصفد تربة ومدرسة وكتاب سبيل . وله بمصر سبيل وكتاب سبيل . وكان يخرج زكاته في كل سنة .

وترك أبنا اسمه أمير موسى⁽⁴⁾ .

706 - أربك الحمويّ [737 -]⁽⁵⁾

أربك الحمويّ ، الأمير صارم الدين ، أحد ممالك المنصور صاحب حماه . ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء حماه ، وعرف بالشجاعة والإقدام ، وشهد وقائع عديدة ، مع المهابة ، وكثرة العطاء والجود ، بحيث إنّه كان إذا سافر لغزاة يقوم بجميع مؤن من يرافقه من أجناده وغيرهم .

(1) البركستوان : جُلُّ الفرس إذا زخرف وزين للعرض .

(2) يَخْمَعُ (على وزن فتح) : يمشي مشي الأعرج .

(3) تقطّر الرجلُ : رمى بنفسه من علوّ .

(4) أمير موسى (ت 774) - الدرر ، 5/ 146 (4881) .

(5) النجوم الزاهرة 9/ 313 ؛ النبل الصافي 2/ 341 (388) - الدرر ، 1/ 377 (880) .

فلما نذبت العساكر لمحاربة الأرمن بمدينة آياس⁽¹⁾ ، خرج مقدماً على
عسكر طرابلس وحماه ، وأبلى في حربه بلاءً كبيراً فأصابه جرح في وجهه مات منه
في رابع ذي الحجة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . فأخفى البواب موته خشية من
الأرمن ، وحملوه إلى حماة حتى دفن بها ، وكان قد قارب المائة سنة . وقدم
مصر مراراً .

707 - الحاج أزدمر الحمصي [680 -]⁽²⁾

أزدمر الحمصي ، عز الدين الحاج ، أحد المماليك [...] .
ترقى في الخدم بديار مصر حتى صار من أعيان الأمراء في الدولة الظاهرية ،
وحدثته نفسه أنه يملك مصر ، دالة بشهرته وشجاعته . إلى أن قدم منكوتمر
ابن هولاكو في جموع المغل والتتار إلى بلاد الشام ، وخرج الملك المنصور
قلاوون بعساكر المسلمين إلى لقائه ، ومعه أزدمر هذا .
فلما التقى الجمعان ، وحمل التتار على ميسرة المسلمين كسروها وكسروا
جناح القلب الأيسر . وحمل من كان مع السلطان على منكوتمر ، وأشدت
الكر ، وكاد أمر المسلمين أن يضمحل .
فباع أزدمر نفسه لله ، فأظهر أنه قد خامر على السلطان ، وحمل بقوسه
يريد اللحاق بمنكوتمر ، فشى ذلك على التتار ، وأفرجوا له إلى أن قرب من
منكوتمر [ف]تقدم إليه وضربه [و]ألقاه عن فرسه إلى الأرض ، وقد جرح .

(1) في النجوم 813/9 هامش 2 : آياس : ميناء على المتوسط ببلاد الأناضول . وفي المنهل :
قرب سيس ببلاد الأرمن .

(2) الوافي 370/8 (3803) ؛ عبر الذهبي 328/5 ؛ النجوم 349/7 .

فترل التار عن خيولهم بأجمعهم إلى الأرض ، كما هي عادتهم أن ينزلوا إذا نزل كبيرهم . فلما رأت عساكر المسلمين التار وقد ترجّلوا غافصوا⁽¹⁾ الفرصة وحملوا حملة رجل واحدٍ عليهم [ف]كسروهم . ونجا منكوتمرٌ بحاشيته وهو مجروح . واستشهد أزدمر رحمه الله بأرض حمص يوم الخميس رابع عشر رجب سنة ثمانين وستمائة فعوّضه الله عن ملك مصر الفاني الحياةَ الأبديةَ بجواره⁽²⁾ .

708 - أزدمر العلانيّ [696 -]⁽³⁾

أزدمر العلانيّ ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون . ترقّى في الخدم حتى صار من أمراء دمشق . وقبض عليه الملك الأشرف خليل في سنة اثنتين وتسعين وستمائة . وحمله إلى مصر ، وكانت له أموال جلييلة . فقدم مصر أوّل ربيع الأوّل منها ، ثم أعيد إلى إمرته بدمشق ، ومات بها في سنة ستّ وتسعين وستمائة . وهو أخو الأمير طبرس .

وكان مهاباً شجاعاً شرس الخلق قليل الفهم / [171 ب]

(1) غافص : فاجأ . وهنا : أتّزوا الفرصة .

(2) لم يعرض المقرّبي لتحالف المترجم مع سنقر الأشقر نائب دمشق في تمّردّه على السلطان ، كما فعل ابن تغري بردي في المنهل . وقد لحّص المقرّبي في ترجمته الختاميّ طموح أزدمر إلى السلطنة . وأضاف الصفديّ أنّه « كان يزعم أنّه شريف النسب » .

(3) الوافي 8 / 370 (3802) ؛ المنهل 2 / 347 ؛ النجوم 8 / 110 .

أزدمر الكاشف الأعمى - الأمير عزّ الدين ، مملوك الأمير المّاس ، ثم انتقل إلى الأمير قجليس⁽²⁾ السلاح دار وعمل استاداره. فلما مات خدم كريم الدين الكبير . وتوجّه لاشتغاله في النواحي .

ثمّ انتدبه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لقياس الجزائر وجعله من جملة مقدّمي الحلقة . وبعث به في التجريدة إلى بلاد اليمن . فلما عاد ولّاه قطيغا على إمرة عشرة ، فشكرت سيرته . ثمّ نقله إلى ولاية الصناعة وشدّ الأهراء ، ثمّ إلى ولاية البهنسى ، وعمله أمير طبلخاناه .

ثمّ نقله إلى كشف الوجه القبليّ فظهرت كفايئته وأمانته وهمّته ، حتى كان السلطان يشكره ويثني عليه بحضرة الأمراء . وأكثر من سفك دماء المفسدين ، ومهدّ بلاد الصعيد . وطالت أيامه .

ثمّ استعفى من كشف الوجه القبليّ وطلب كشف الوجه البحريّ من أجل ضرر الحرّ بعينه ، فنقله إلى كشف الوجه البحريّ ، وعمل الجسور ، وثغر الإسكندرية وأعمالها . فأثخن في تلك النواحي وأوقع بأهل الفساد حتى أذعر الناس . هذا ورمد عينيه سرى به حتى عمي في سنة اثنتين وأربعين . وأقام أعمى اثنتي عشرة سنة ، منها مدّة سنتين لا يعلم أحد بعاه ، بل يجلس للحكم ويتصرّف في الأحكام فيفهم من يحضر عنده من الأجناد والأمراء والعربان وغيرهم ، ولا يشبهه عليه واحد بآخر ، ويركب إلى كبس البلاد وسفك الدماء ، وهو على عماه ، من غير أن يظهر ذلك . ثمّ فشا أمره . وكان الأمراء

(1) النجوم 10 / 224 - 228 - الدرر ، 1 / 378 (884) ومنها وفاته .

(2) قجليس . انظر الدرر ، 3 / 328 (3239) .

يعجبون منه ومن قوّة نفسه إذا دخل إلى الخدمة وطلبه السلطان ، فيأتيه كأنه يراه .

ثمّ توجه إلى الحجاز صحبة النائب ببيغا أروس فكانت له يدٌ في حرب المجاهد صاحب اليمن ⁽¹⁾ .

فلما قدم من الحجّ قبض عليه فيمن قبض من الأمراء ثمّ أفرج عنه فلزم داره ولم يغيّر شيئاً من حاله ، بل أقرّ ممالكه عنده ، وأجرى لهم الرواتب وعلف خيولهم ، على عادته في أيام مباشرته ، بعدما بعث عند قدومه من الحجّ بهداياه إلى جميع الأمراء . ففسدت في مدّة عطلته حال النواحي وكثر عيث العربان بها ، فأعيد إلى كشف الوجه القبليّ لأوّل سلطنة الصالح صالح ، وأنعم عليه بألف أردب غلّة ومبلغ أربعين ألف درهم . فسار إلى عمله ومهد البلاد . ثمّ نقل بسؤاله إلى كشف الوجه البحريّ عوضاً عن الأمير مجد الدين موسى بن الهذبانيّ .

ثمّ أخرج عنه كشف الوجه البحريّ لناصر الدين محمد بن إياس الدويداري ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . وكان يشدو قليلاً من النحو ، ويحفظ مقامات الحريري ، وعدّة أشعار للعرب وغيرهم ، ويقول الشعر ، وله عدّة مدائح في الأمراء .

710 - أسامة بن زيد التنوخيّ [- بعد 104] ⁽²⁾

أسامة بن زيد بن عديّ ، أبو عيسى ، التنوخيّ ، الكاتب ، ويقال : الكلبيّ ، مولاهم ، مولى سليح .

(1) المجاهد الرسوليّ : عليّ بن داود بن يوسف . وخبر اقتحامه مكّة وقت الحجّ مفصّل في النجوم 226 / 10 .

(2) النجوم 231 / 1 ؛ الجهشياري : الوزراء والكتّاب ، 51 .

روى عنه زيد بن أسلم ، وحرمله بن عمران . وكان على ديوان الجند بدمشق في زمان الوليد بن عبد الملك . ثم ولي خراج مصر في زمن الوليد ، فقدمها يوم السبت لإحدى عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين .

ثم نزع في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ، وأمر على الخراج عوضه حيّان بن شريح من قبل عمر بن عبد العزيز . وأمر به فأقيم بمصر في العساكر ، فما جاء أحدٌ من الناس يطلب فبله ديناراً ولا درهماً إلا وجد شيئاً في بيت المال فإنه كان أميناً .

ثم أعيد أسامة إلى ولاية الخراج في سنة اثنتين ومائة ، وصُرف حيّان ، فأقام على الخراج إلى سنة أربع ومائة .

وسار إلى الشام فجعل على الدواوين ، وعُمل بدّله على خراج مصر يزيد ابن أبي يزيد .

ومات أسامة في [...] .

وكانت له بمصر قصص وأنباء ، منها أنه استخرج مالها اثني عشر ألف دينار .

وهو أول من اتخذ صاحب حماله .

وكان بالإسكندرية صنم يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر [172 أ] يستقبل بإصبع من كفّه قسطنطينيّة لا يدرى من عمله . وكان الحيتان يدورون بالإسكندرية وتصاد عند هذا الصنم . وكان قدمه بطول قامة الرجل . فكتب أسامة إلى الوليد بن عبد الملك : أنّ عندنا بالإسكندرية صنماً يقال له شراحيل من نحاس ، وقد غلت علينا الفلوس . فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونضربه فلوساً ، فعل .

فبعث إليه رجالاً أمناء حتى أنزل فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما

قيمة ، فضربه فلوساً . فأنطلقت الحيتان فلم ترجع إلى هنالك ⁽¹⁾ .
وهو الذي بنى مقياس النيل القديم بجزيرة مصر تجاه الفسطاط لما بطل
مقياس [عبد العزيز بن مروان] ⁽²⁾ .

ويذكر أنه لما بعثه سليمان بن عبد الملك إلى مصر ، دخل على عمر بن
عبد العزيز فقال : يا أبا حفص ، إنه والله ما على وجه الأرض من رجل بعد
أمير المؤمنين أحب إليّ رضا منك ، ولا أعزّ عليّ سخطاً منك . وإن أمير المؤمنين
قد وجهني إلى مصر ، فأوصني بما شئت واكتب إليّ بما شئت ، فإنك لن تأمر
بأمر إلّا نفذ إن شاء الله .

فقال : ويحك يا أسامة إنك تأتي قوماً قد ألحّ عليهم البلاء منذ دهر
طويل ، فإن قدرت على أن تنعشهم فأنعشهم .

قال : يا أبا حفص ، إنك قد علمت نهمة أمير المؤمنين في المال ، وأنه لا
يرضيه إلّا المال .

قال : إنك إن تطلب رضا أمير المؤمنين بسخط الله يكن الله قادراً على أن
يسخط أمير المؤمنين عليك .

قال : إنّي سأودعه وانت حاضر إن شاء الله فتسمع وصاته .
فلما كان اليوم الذي يسير فيه غدا على سليمان متقلداً سيفاً متوشحاً عمامته .
فلما عرف أنّ عمر قد استقرّ عنده دخل وسلّم . ثمّ قام وقال : يا أمير المؤمنين ،
هذا وجهي ، وأردتُ أحدث عهداً بأمير المؤمنين وأن يعهد إليّ .
فقال : أحلب حتى يتقيك الدم . فإذا أنقاك الدم فأحلب حتى يتقيك

(1) هذه القصة رواها المقرئ في الخطط 174/1 عن ابن يونس .
(2) في الخطط 92/1 : بنى أسامة مقياس الجزيرة بعد بطلان مقياس عبد العزيز بن مروان
بجلوان . وبناء مقياس الجزيرة كان في سنة 76 (وفيات 112/3) . وفي المروج 71/2 :
بني في أيام سليمان بن عبد الملك (96 - 99) . وفي الخطط : في سنة سبع وتسعين .

القيح ! لا تبقيها لأحد بعدي !

فخرج ، فلم يزل واقفاً حتى خرج عمر ، فسار معه . فقال : يا أبا حفص ، قد سمعت وصايته .

قال : وأنت ، قد سمعت وصايتي .

فقال : أوصني في خاصتك .

قال : ما أنا بمُوصيك مَنِّي في خاصّتي ⁽¹⁾ إلا بما أوصيك به في العامة .

فسار إلى مصر ، فعمل فيها عملاً ما عمله فرعون ، وأشدّت على نصارى مصر ، وأمر بقتلهم وأخذ أموالهم ، ووسم أيدي الرهبان بحديدة عليها أسمه وأسم ديره وتاريخه ، فكان مَن وُجد منهم بغير وسم قطع يده . ثم كبس عليهم الديارات ، فوجد جماعة منهم بغير وسم فضرب أعناق بعضهم ، وضرب بعضهم حتى مات تحت الضرب . وكتب إلى الأعمال بأن مَن وُجد من النصارى ولم يكن بيده منشور يؤخذ منه عشرة دنانير ، ففعل ذلك .

711 - أسامة بن منقذ [488 - 584] ⁽²⁾

أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سوار بن زياد بن زغيب بن مكحول بن عمرو بن الحرث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن بكر بن عذرة بن زيد اللات ابن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، أبو المظفر ، مؤيد الدولة ، الشيرزي .

(1) في المخطوط : في حاجتي .

(2) الوافي 8 / 378 (3818) ؛ الوفيات 1 / 195 (84) . الخريدة (الشام) 1 / 498 ؛ معجم الآباء 5 / 188 ؛ تهذيب ابن عساكر 2 / 403 .

مولده :

ولد يوم الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة -
وقيل : ثالث عشرينه . وقيل : في شهر رمضان منها - والأول هو الصحيح .
وكانت ولادته بقلعة شيزر .

وتوفي بدمشق في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وثمانين
 وخمسمائة ، ودفن من الغد بجبل قاسيون .

وهو من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم . وله
تصانيف عديدة في فنون الأدب ، وله ديوان شعر في جزئين .

وأنقل من شيزر إلى دمشق فسكنها مدة . ثم سار منها إلى مصر في خلافة
الحافظ لدين الله هو وإخوته أبو الغيث منقذ ، وشرف الدين مرشد وأولادهم ،
والوزير نظام الدين أبو الكرام محسن ، لاستيحاشرهم من الأتابك معين الدين أنز⁽¹⁾
لمجير الدين أبق صاحب / دمشق ، وخوفهم منه . وقدموا في جمادى الآخرة سنة [172 ب]
تسع وثلاثين وخمسمائة . فاستمر بها إلى أن ولي العادل ابن السلار⁽²⁾ الوزارة ،
فاختص به .

تحريضه على قتل الظافر :

فلما خرج العسكر من القاهرة لحفظ عسقلان من الفرنج في سنة ثمان
وأربعين وخمسمائة ، وعليه عباس بن تميم⁽³⁾ ربيب الوزير العادل علي بن

(1) انز بن عبد الله مملوك طغتكين (ت 544) ، وهو أتابك أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين
صاحب دمشق . وفات 1/ 297 5/ 184 . والتعبير ملتبس ولعل المقصود :
لأستيحاشرهم من معين الدين أتابك - أي قائد جيش - صاحب دمشق .

(2) ابن سلار : هو « الأمير المظفر سيف الدين ، معد الملك ، ليث الدولة ، علي بن اسحاق
ابن السلار » ؛ أئماظ 3/ 196 .

(3) عباس بن أبي الفتوح يحيى بن تميم الصنهاجي ، له ترجمة في المقفى : رقم 1433
(ت 549) .

السلار ، ومعه من أمراء الدولة ملهم والضرغام وأسامة بن منقذ هذا ، وكان خصيصاً بعبّاس ، ونزلوا على بليس ، تذاكر عبّاس وأسامة مضر وطيبها وما هم خارجون إليه من مقاساة السفر ولقاء العدو . فتأوّه ⁽¹⁾ عبّاس أسفاً على مفارقة مصر وأخذ يُتَرَّب ⁽²⁾ على العادل كونه جرّده . فقال له أسامة : لو أردتَ كنتَ أنتَ سلطان مصر .

فقال : كيف لي بذلك !

فقال : لهذا ولدك نصر بينه وبين الخليفة - يعني الظافر - مودّة عظيمة . فخطبه على لسانه أن تكون سلطان مصر موضع عمّك فإنه يحبّك ويكرهه . فإذا أجابك فأقتل عمّك ⁽³⁾ .

فوقع كلامه من عبّاس بموقع ، وجّهز ابنه إلى الخليفة ، وكان من قتل ابن السلار وولاية عبّاس الوزارة ما تقدّم في موضعه ⁽⁴⁾ .

فلما استقلّ عبّاس بوزارة الخليفة الظافر ، وكره اختلاط نصر بن عبّاس بالخليفة الظافر ، ثقل أسامة على أمراء مصر ، واستوحشوا منه لعلمهم أنه هو الذي دبّر قتل ابن السلار وتحدّثوا بقتله ، وخيلوا للظافر منه كونه من أهل الشام ، وهواه مع بني العبّاس ، ومتى تُرك وقع منه ما لا يتدارك . وبلغه ذلك فخاف من الظافر وأخذ في الخيلة لنفسه وشرع يدبّر في فتنة أخرى . فأغرى عبّاس الوزير بآبنته نصر ، وبالغ حتى قال له يوماً : كيف تصبر على ما يقول الناس في حقّ ولدك ، من أنّ الخليفة يفعل به ما يفعل بالنساء ؟

فغضب عبّاس من ذلك وطلب ابنه وعثّفه . فلم يُصغِر لقوله واستمرّ على

(1) في المخطوط : فتأسّف ... أسفاً . والإصلاح من الاعماظ 204 / 3 .

(2) يُتَرَّب : يلوم . ولعلّه يُتَرَّب ، أي يدعو عليه بتربت يده ..!

(3) ابن السلار ليس عمّ عبّاس ، وإنما هو زوج أمّه . ولعل عبارة عمّ هنا من باب التلطّف .

(4) أي . في ترجمة عبّاس .

معاشرة الخليفة إلى أن أنعم عليه بناحية قلوب . فقال له أسامة بحضرة أبيه : ما هي بمهرك غالية !

فأمتعض عباس وشقّ عليه هذا القول ، وقال لأسامة : كيف الحيلة في الخلاص ممّا بلينا به ؟

فقال : هين ! هذا الخليفة يأتي في كل وقت إلى بيت ولدك خفية ، فمره إذا جاءه أن يقتله .

فما زال عباس بأبنة نصر حتى قتل الخليفة كما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

فلما أقام عباس الفائز عيسى في الخلافة بعد قتل الظافر ، وقدم طلّاح بن رزيك من الأشمونين لأخذ ثأر الظافر آل أمر عباس إلى أن فرّ من القاهرة ، هو وولده نصر ، وأسامة ، في عدّة من أصحابهم ، بعدما نهب لأسامة عند خروجه من مصر أربعون غرارة ⁽²⁾ جمالية مخاطة فيها من الذهب والفضّة والكسوة شيء كثير ، وأخذ من اصطبله ستّة وثلاثون حصاناً وبغلة بسروجها ولجمها وعدتها ، وخمسة وعشرون جملاً ، وأخذ من إقطاعه بكوم اشبين مائتا رأس بقر لبساتينه وأوسيته ⁽³⁾ ، وأهراء غلّة .

هروبه من الإفرنج وخذلانه العباس :

فخرج عليهم الإفرنج ، ففرّ أسامة وتبعت أصحابه ، وتركوا عباساً وأبنة حتى قتل عباس وأسر ابنه نصر في يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ⁽⁴⁾ . وسار أسامة إلى دمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة ⁽⁵⁾ فأقام بها .

(1) ترجمة اسماعيل بن عبد المجيد ، الظافر العبيدي : رقم 773 .

(2) الغرارة هي الكيس الكبير للحبوب أو السميد . وجمالية نسبة الى الجمال ، ولعلّ العبارة تعني حمولات القافلة من الإبل .

(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّها تعني : المراعي المشتركة كما في قاموس دوزي .

(4) في الانتعاظ 220 / 3 ، أسر نصر في ربيع الأول سنة 550 .

(5) لعلّ الصواب : سنة 550 .

ثمّ رماه الزمان إلى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين يوسف دمشق ، فأستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين .
قال فيه العماد الكاتب : وأسامة كآسمة في قوّة نثره ونظمه ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف .

شعره :

ومن شعره في قلع ضرسه [بسيط] :

وصاحب لا أملّ الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا لناظريّ أفرقنا فرقة الأبد

[173 أ] / وقال [بسيط] :

انظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها مغالباً ثمّ بعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها حتى إذا مات خلّاه وما فيها

وقال [بسيط] :

لأرمينّ بنفسي كل مهلكة مهولة يتحاماها ذوو الباس
حتى أصادف حيني فهو أجملُ بي من الخضوع وأستغني عن الناس

وقال قصيدته المشهورة التي كتبها إلى دمشق بعد خروجه منها إلى مصر يعيب على الأمير معين الدين أنز ، وهي من غرر القصائد [بسيط] :

وَلَوْ فُلِمَّا رَجَوْنَا عَدْلَهُمْ ظَلَمُوا فَلَيْتَهُمْ حَكَمُوا فِينَا بِمَا عَلِمُوا
مَا مَرَّ يَوْمًا بِفَكْرِي مَا يَرِيْبُهُمْ وَلَا سَعَتْ بِي إِلَى مَا سَاءَهُمْ قَدَمٌ
وَلَا أَضَعْتُ لَهُمْ عَهْدًا وَلَا أَطْلَعْتُ عَلَى وَدَائِعِهِمْ فِي صَدْرِي الثُّهْمُ
فَلَيْتَ شِعْرِي، بَمَ اسْتَوْجِبْتُ هَجْرَهُمْ مَلَّوْا فَصَدَّهُمْ عَن وَصْلِي السَّأْمُ
حَفَظْتُ مَا ضَيَعُوا، أَغْضَيْتُ حِينَ جَنَوْا وَفَيْتُ إِذْ غَدَرُوا ، وَاصِلْتُ إِذْ صَرُمُوا
حَرَمْتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو مِنْ وَدَادِهِمْ مَا الرِّزْقُ إِلَّا الَّذِي يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ

محاسني منذ ملّوني بأعينهم
 وبعدُ ، لو قيل لي : ماذا تحبّ وما
 همُ مجال الكرى من مقلتيّ ، ومن
 10 تبدّلوا بي وما أبغي بهم بدلاً
 يا راكباً تقطع البيداء همته
 بلّغ أميرِي معين الدين مألُكَةً
 وقل له : أنت خير الترك فضلك
 وأنت أعدل من يشكى إليه ، ولي
 15 هل في القضية يا من فضل دولته
 يضيع واجب حقّي بعدما شهدت
 وما ظننّك تنسى حقّ معرفتي
 ولا اعتقدت الذي بيني وبينك من
 لكن ثقاتك ما زالوا بغشهم
 20 باعوك بالبخس ييغون الغنى ، ولهم
 والله ما نصحوا فيما أسشّرتهُم
 كم حرّفوا من مقال في سفارتهم
 أين الحميّة والنفسُ الأبيّة إذ
 هلاً أنفت حياءً أو محافظةً
 25 أسلمتنا وسيوف الهند مغمدةً
 وكنت أحسب من والاك في حرم
 وأنّ جاركم جارُ السموأل لا

فدى ، وذكرِي في آذانهم صمم
 تختار من زينة الدنيا؟ لقلت : هم (1)
 قلبي محلّ المنى ، جاروا أو اجترموا
 حسبي بهم أنصفوا في الحكم أو ظلموا
 والعيس تعجز عمّا تدرك الهمم
 من نازح الدار ولكن ودّه أمم
 الحياء والدين والإقدام والكرم
 شكّية أنت فيها الخصم والحكم
 وعدل سيرته بين الورى علم ؟
 به النصيحة والإخلاص والخدم
 إنّ التعارف في أهل النهى ذم
 ودّ ، وإن أجلب الأعداء ، ينصرم
 حتى أسوّت عندك الأنوار والظلم
 لو أنّهم عدموك الويلُ والعدم
 وكلّهم ذو هوّى في الرأي متهم
 وكم سعوا بفسادٍ ضلّ سعيهم !
 ساموك خطّة خسف عارها يصم / [173 ب]
 من فعل ما أنكرته العرب والعجم ؟
 ولم يروّ سنان السمهريّ دم
 لا يعتريه به شيب ولا هرم
 يخشى الأعادي ولا تغتاله النقم (2)

(1) في المخطوط : وبعث ، والإصلاح من الخريدة 1 / 534 .

(2) في الخريدة 1 / 586 : وأنّ جارك جارٌ للسموأل . وكذلك في معجم الأدباء 5 / 212 .

وفاء لكن جرى بالكائن القلم⁽¹⁾
 عذر ، فإذا جنى الأطفال والحرم ؟
 رضى عدى يسخط الرحان فعلهم
 وهم بزعمهم الأعوان والخدم
 تقاعدوا ، فإذا شيدته هدموا
 فكلهم للذي يُبكيك مبتسم
 بحدّ عزمك وهو الصارم الخدم
 ووردهم من نذاك السلسل الشبم
 واش فذاك الذي يُحبى ويحترم
 والاك فهو الذي يُقصى ويهضم
 وموقع البغي لولا جهلهم وخم
 فللرجال إذا ما جربوا قيم
 جلّى الحوادث حدّ السيف والقلم
 ذرع الرجال يدٌ يسطو بها وفم ؟
 فليت أنا بقدر الحبّ نفتسم
 ولا لجرح إذا أرضاكم ألم
 شهب البراة سواء فيه والرخم
 ثمّ أنشئت وهي صفراً ملوّها ندم
 في الجوانح نارٌ منه تضطرم
 وكلّ ما نالني من يؤسه نعم

وما طمان بأولى من أسامة بال
 هبنا جنينا ذنوباً لا يكفرها
 30 ألقيتهم في يد الإفرنج مبتغياً
 هم الأعادي وفاك الله شرهم
 إذا نهضت إلى مجدٍ تؤلّه
 وإن عرتك من الأيام نائبة
 حتى إذا ما انجلت عنهم غيابتها
 35 رشفت آجنَ عيش كله كدر
 وإن أتاها بقولٍ عنك مخلّق
 وكلُّ من ملت عنه قرّبوه ، ومن
 بغياً وكفراً لما أوليت من من
 جرّتهم مثل تجريبي لتخبرهم
 هل فيهم رجل يُغني غناي إذا
 40 أم فيهم من له في الخطب ضاق به
 لكنّ رأيك أدناهم وأبعدني
 وما سخطت بعادي إذ رضيت به
 ولستُ آسى على الترحال من بلد
 45 تعلّقتُ بحبال الشمس من كبدي
 لكن فراقك آساني وآسفني
 فأسلم فما عشت لي فالدهر طوعٌ يدي

فلما وقف عليها معين الدين ألزم الأديب أبا الثناء محمود بن نعمة بن

(1) طمان مملوك تركيّ جاءه أنز وقرّبه (تعليق المرحوم شكري فيصل ناشر الخريدة 1 / 536 هامش

رسلان الشيزري⁽¹⁾ حتى أجاب عنها بأبيات أولها :

يا ظالماً ناره في القلب تضطرمُ مهلاً ! فلحظك تغشى نوره الظلمُ
كأنك القوسُ تردي وهي صارخة وما ألم بها من غيرها ألمُ
تجني وتلزمي ذنباً أتيت به ووجهه غدرك بادٍ ليسَ بينهمُ

وقال⁽²⁾ [كامل] :

للخلق في يوم القيامة موقف تجزى البرية فيه عن أعمالها
ومطوق الأرضين غاصب حدّها فليها من قد حازها بكماها

وقال [كامل] :

يا ليت أن ديارنا كانت كذا : ظوراً تفرّقنا وطوراً تجمع
/ لكنّها درست وأوحشها الردى من أهلها فهي القفار البلقع
لا يرتجى لهم إيابٌ جامعٌ أشنأتهم حتى يضمّ المجمع

[174 أ]

وقال [بسيط] :

وسائل الدار عمّن كان يملكها هل آنست عنهم من بعدهم خبراً
فلو أجابت لقات وهي عالمة بسيرة السلف الماضي ومن غبراً
أرئهم العبر الدنيا فما اعتبروا فصيرتهم لقوم بعدهم عبراً

وقال [وافر] :

وما أشكو تلون أهل ودي ولو أجدت شكائهم شكوتُ
مللت عتابهم ويشت منهم فما أرجوهم فيمن رجوتُ
إذا أدمت قوارصهم فوادي صبرت على أذاهم وأنطويتُ

(1) له ترجمة في خريدة الشام 575 / 1 (ت 556) .

(2) أي : أسامة .

ورحمتُ عليهمُ طلقَ المحيّا كأني ما سمعتُ ولا رأيتُ
ولا والله ما أضمرتُ عُذراً كما قد أضمره ، ولا نويتُ
تجنّوا لي ذنباً ما جنتها يداي ولا أمرتُ ولا نهيتُ
همُ نقضوا مواثقي وعهدي ولم يوفّوا ، وها أنا قد وفيتُ
ويوم الحشر موعدنا وتبدو صحائف ما جنّوه وما جنّيتُ

كتبه :

وله عدّة مصنفات ، منها : كتاب التاريخ البدريّ ، ذكر فيه أهل بدر ، وعدّتهم ، وأسماءهم ، وأنسابهم ، وأحوالهم . وذكر فيه مغازي النبي ﷺ وجميع أحواله من أوّل أمره إلى آخره ، واستقصى ذلك في خمس مجلّدات كبار على حروف المعجم .

وكتاب الشيب والشباب ، ذكر فيه الخضاب وما جاء فيه ، ورثبه على سبعة أبواب في كل باب فصول . وكتاب ملحق به سمّاه « استدراك المرتاب » . وكتاب الحنين إلى الأوطان . وكتاب أخبار النساء ، بدأ فيه بجوّاء ، وذكر فيه أمّ موسى ، ومريم ابنة عمران وأخبارهنّ ، وأمّهات العرب ، والأخوات ، والزوجات ، والبنات المنجبات ، والنساء التي سارت بذكرهنّ الأشعار ، واستقصى أخبار الجميع وأشعارهنّ وما قيل فيهنّ . وكتاب وسائل السائل ، يتضمّن الأدعية وأوقاتها وما ورد فيها . وكتاب المنازل والديار . وكتاب نصيحة الدعاة . وكتاب الإشارة . وكتاب زجر عمرو بن بحر الجاحظ ، فيه النهي عن الزنا واللواط والفواحش . وكتاب أزهار الأزهار ، فيه صفة الجنة ومنافع اللبّ ومضارّه . وكتاب العصا ، فيه ذكر عصا موسى عليه الصلاة والسلام ، وما جاء في العصا . وكتاب النوم والأحلام . وكتاب التأسّي والتسلّي . وكتاب فضائل الخلفاء الراشدين . وكتاب المحاسن . وكتاب نزهة الناظر في إملاء الخاطر ، وكتاب ردع الظالم وردّ المظالم ، وكتاب الاعتبار ، وكتاب تاريخ ،

ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه مختصراً ، وكتاب لباب الآداب ، وكتاب مكارم الأخلاق ، في عشرين مجلدة ، صنّفه في مدّة عشر سنين ، مدّة مقامه بمصر ، وكتاب المنتخب من أشعار العرب ، وكتاب المختار من محدث الأشعار ، وكتاب الماثلة في الشعر ، وكتاب معونة المساعد على حصر الشواهد ، في الشعر أيضاً ، وكتاب الأقسام ، في الشعر أيضاً ، وكتاب أمان الخائفين ، في الزهد ، وكتاب الديرة والحصون ، وكتاب فيه شعر جماعة سألهم ابن الزبير عنهم ، وكتاب المكارم والكرم ، ورعاية الذم ، وكتاب الفرق ما بين المحبة والهوى ، وكتاب زور أبي العلاء ، وكتاب ضربة الولاء ، وكتاب اختيار شعر أبي تمام ، وكتاب / التجارة المريحة ، وكتاب مختار شعر أبي نواس . [174 ب]

712 - القاضي الوزيري [650 - 719] ⁽¹⁾

إسحاق بن إبراهيم بن المظفر بن عليّ المقرئ ، الفاضل ، أبو محمد ، الوزيري ، القاضي .

ولد سنة خمسين وستمائة ، وقرأ القراءات على ابن فارس ، وسمع من الكمال الضرير الشاطيية والتيسير وتفرّد بسماعه بدمشق . وسمع من الحافظ المنذريّ معجمه ، وحدث .

وكان شيخاً فاضلاً حسن الأخلاق .

توفي بدمشق في رابع عشرين شعبان سنة تسع عشرة وسبعمائة .

(1) الدرر (885) .

713 - ابن قلا النصراني الكاتب [- بعد 300]⁽¹⁾

إسحاق بن إبراهيم بن قلا ، يكتي بأبي يعقوب ، النصراني ، الكاتب .
استدعاه أبو عليّ الحسين بن أحمد الماذراني ، المعروف بأبي زنبور ، وهو
يتقلّد خراج مصر ، أمانة وقال له : إنّي قد طولبتُ من الحضرة بالحساب لأربع
سنين ، فكن عند ظنّي بك ، وأخرج الحساب وقم بالكلام فيه .
فقال : أفعل .

وأنصرف ليّتجه . فجاءته رقعة أبي عليّ ومعها عشرة آلاف دينار ليتحمّل
بها ، وكتب له عليّ دمشق بخمسة آلاف دينار ، وإلى بغداد بعشرة آلاف
دينار . فأتى إليه وقال : يا سيّدي ، وما أصنع بهذا كلّ؟
فقال : إنّه عليك في بغداد مؤونة ، وإن احتجت إلى شيءٍ آخر ، فخذ
من فلان واكتب له سفاتي عليّ .

فسار بالحساب إلى أن دخل على الوزير عليّ بن عيسى بن الجراح . فلمّا
مثل بحضرته قال له : أنت صاحب أبي زنبور؟

فقال : أنا صاحب خادمك الحسين بن أحمد .

قال : لعمرى إنّه الحسين بن أحمد ، ولكن أنت صاحب أبي زنبور .

فقال : أنا صاحب خادمك الحسين بن أحمد .

فقال : كم لهذا؟ أنت صاحب أبي زنبور !

قال : أنا صاحب خادمك أبي عليّ الحسين بن أحمد أيّده الله ببقائك !

(1) لم نجد له ترجمةً غير هذه .

فقال : أنظروا موضعاً من الديوان يكون فيه ، ووكلوا به من يكون معه .
قال إسحاق : ما سمعتُ بهذا ! رجلٌ ليس قبله تبعه ، وإنما ورد
بقرطيس فيها حساب بما ليس في زمنه . والله ما أبالي بطل أو صحّ .
فقال الوزير : إنّه ثمانية آلاف ألف دينار .
فراجعهُ مراراً إلى أن قال للوزير شابّ في مجلسه : عليّ ضمانه ، أيّد الله
الوزير !

فقال الوزير : يا هذا ، إنه ثمانية آلاف ألف دينار .
فقال : تكون ماذا ؟
فقال الوزير : خذوا خطّه !
فأخذ الشاب الدواء والدرج . فقال إسحاق لبعض من حضر : من هذا ؟
فقال : هذا ابنُ حوارى .
فلما كتب وقرأه الوزير ، قال لإسحاق : أنصرف حيث شئت .
فخرج إسحاق ووقف على باب الوزير إلى أن خرج ابنُ حوارى (1) حواراً فدعا له
وشكره وقال له : أعان الله على شكرك ومكافأتك .
ومشى معه إلى داره . فلما وصلها قال : يا سيدي ، أين تأمر أن أكون ؟
فالتفت إليه وقد حرد وقال : في لعنة الله ! أتراني ضمنتك لأحفظك ؟
خرج عليك الا ركبت الساعة البريّة أو سفينة ومضيت إلى مصر . والله لولا أن
تظنّ أنّه احتياط عليك لما أنزلتك إلّا في داري . ولكن أكتب إلى صاحبك أن له
بظهر الغيب من يعمل هكذا .
فأقام إسحاق بالعراق ما شاء ، وكتب بذلك إلى أبي عليّ . وكتب إلى

(1) في المخطوط : أبو حوارا ، وقد مرّ ابن حوارى .

أولاده كتاباً يتشوق فيه إليهم . فدخل أبناؤه إلى أبي عليّ . فعندما رآهما قال :
جاءكما كتاب أبي يعقوب ؟

قالا : نعم - وتدمعا .

فقال : إيش هَذَا ؟ شوقاً إليه ؟ عن قريب يأتي بمشيئة الله تعالى كما نختار ،
ولكن بكمّوا لديّ في غد لمهمّ أذكره لكما .

فبكّرا إليه فوجدا أربع جمّازات⁽¹⁾ نوق ، واحدة عليها قبة ، والأخرى
جنية مجّهزة ، وأثنتان محمّلة بما يحتاج إليه . فحمّلا في القبة وأنفذا إلى أيّهما ،
فلم يشعر حتى دخلا عليه في بغداد . فقال : إيش هَذَا ؟

فحدّثاه الحديث فقال : لا حول ولا قوّة إلّا بالله ! اللهمّ ، أمتني في
أيامه !

فلم يزالا معه حتى قدم بهما إلى مصر ، فعمل معه أبو عليّ أضعاف ما عمل
قبل خروجه ، وكان ذلك بعد سنة ثلاثمائة .

714 - أبو يعقوب الشاشيّ [325 -]

إسحاق بن إبراهيم بن [. . .] ، أبو يعقوب ، الخراسانيّ ، الشاشيّ .

[715 أ] قدم مصر / وكان يتفقّه على مذهب أبي حنيفة . وكان فقيهاً يتصرّف مع

قضاة مصر . وكان على قضاء بعض أعمال مصر . قاله ابن يونس . وكان ثقة .

توفي بمصر سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

(1) الجمّازات : آلة الإبل ممّا يُحمل عليه كالأفتاب ونحوها .

إسحاق بن علي بن أبي الغنائم المسلم بن محمد بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن أبي طالب بن الحسين ، الكندي ، نجم الدين . أبو المعالي ، ويقال ابن مَراجِل .

كان جدّه الحسين عراقياً ، فانتقل إلى سلمية فبنى بُرجاً عُرف به . وكان كريماً جواداً كثير الأضياف . فكان إذا طرّقه الأضياف يقول لغلمانه ، أغلوا المَراجِل ، وضعوا المَراجِل ! - فلَقِبَ مَراجِل لذلك .

ونجم الدين هذا كان والده شاعراً . وولد هو بحِجاة سنة عِشْر و سِتّائَة . وقدم إلى القاهرة وتقلّب في الخِدم الديوانية ، وكتب عنه الأمير ابن الهمّام والي المنوفية بناحية الغربية من ديار مصر .

ومن شعره - وكتب به إلى كمال الدين عمر بن العديم - [مَخْلَع] :

عاينت دهري لمّا تصدّى معانداً لي وما رثي لي
فقال حظّي لا تخشَ نقصاً فقد وصلنا إلى الكمال

وقال ، وقد خلّع عليه الملك [المؤيد إسماعيل بن عليّ] صاحب حِماه ⁽¹⁾

[كامل] :

يا أيها الملك الذي لنواله قول بألسنة الفعال مصدّق
شرّفني بين الأنام بخلعة خلعت قلوب الحاسدين فأطرقوا
أهديتها حمراء من يد نعمة بيضاء فاصفرّ العدو الأزرق

(1) صاحب حِماه هو أبو الفداء المؤرخ ، انظر ترجمته رقم 753 .

716 - نجم الدين الحلبي [711 -]⁽¹⁾

إسحاق بن عليّ بن يحيى ، نجم الدين ، أبو الطاهر ، الحلبيّ ، شيخ الحنفية في وقته .

كتب على الهداية حواشي في مجلدين .

وناب في الحكم عن قاضي القضاة معزّ الدين . ودرّس بالأزكوجية⁽²⁾ وبالنصورية ، وبالفارقانية ، وهو أول مدرّس بها . ودرّس بالحسامية ، وهو أول مدرّس بها أيضاً .

وتوفي في خامس المحرم سنة إحدى عشرة وسبعمائة بالمدرسة الأزكوجية من القاهرة .

717 - إسحاق المؤمن زوج السيدة نفيسة [- بعد 208]⁽³⁾

إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي⁽⁴⁾ بن الحسين بن علي بن أبي طالب . قدم مصر هو وزوجته نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، مع أبيها⁽⁵⁾ . وكان يقال لإسحاق المؤمن ابن الصادق ، وكان من

(1) نجم الدين الحلبيّ : لم نجد له ترجمة .

(2) في الخطط 4 / 199 : الأزكشية . وقال : بناها الأمير أيازكوج سنة 592 للحنفية فقط .

(3) لم نجد ترجمة للمؤمن ابن جعفر الصادق ، لكنّه مذكور في تراجم السيدة نفيسة (وفيات 5 / 423 رقم 767 ؛ النجوم 2 / 185 ، والخطط 4 / 313) .

(4) في المخطوط : ابن محمد بن الحسين ، ومحمد مقحم : فجعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط . وانظر الخطط 4 / 314 .

(5) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، ولي المدينة المنصور ومات سنة 168 (عبر الذهبي 1 / 252) ، وترجم له المقرئ في الخطط 4 / 314 وفي المقفى رقم 1152 .

أهل الصلاح والخير والفضل والدين .

وروي عنه الحديث . وكان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول : حدّثني الثقة
الرضا إسحاق بن جعفر .

وكان له عقب بمِصر والعراق وحلب ، منهم بنو الرّقّيّ ، وبحلب بنو
زهرة . وولدت منه السيّدة نفيسة ولدين ، هما قاسم وأمّ كلثوم ولم يعقبا .
وقال الدارميّ عن يحيى بن معين : ما أراه إلّا صادقاً .
روى له الترمذي وابن ماجه .

وتوفّي [بعد] سنة ثمان [ومائتين] عن خمس وثمانين سنة ببغداد ⁽¹⁾ .

718 - أبو نعيم ابن الفرات صاحب مالك [204 -] ⁽²⁾

إسحاق بن الفرات بن الجعد ، أبو نعيم ، التجيّبيّ ، الكنديّ ، مولى
معاوية بن حديج .

يروى عن يحيى بن أيوب ، والليث بن سعد ، ومالك بن أنس ،
وجماعة . ويروي عن محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ، وبحر بن نصر ، وأحمد
أبن السرح ، في آخرين .

وثقه أبو عوانة الحافظ . وقال أحمد بن يحيى بن وزير : كان من أكابر
أصحاب مالك . لقي أبا يوسف وأخذ عنه ، وكان موقفاً سديداً . وقال بحر بن

(1) في المخطوط : سنة 168 ، وهو خلط مع تاريخ وفاة والد السيّدة نفيسة . وجاء في
الوفيات 5 / 424 : وتوفّي [نفيسة] في رمضان 208 فعزم زوجها المؤمن إسحاق بن
جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ، فسأله المصريون بقاءها عندهم . . .

(2) الوافي 8 / 421 (3889) ؛ الكندي ، 393 ؛ عبر الذهبيّ 1 / 344 . الشذرات
11 / 2 .

نصر : سمعت ابن عليّة يقول : ما رأيتُ في بلدكم أحداً يحسن العلم إلاّ إسحاق آبن الفرات .

وقال ابن عبد الحكم : ما رأيت فقيهاً أفضلَ منه .

وقال ابن يونس : وليّ القضاء بمِصر خلافة لمحمد بن مسروق الكنديّ . وفي أحاديثه أحاديث كأنّها مقلوبة .

توفّي لليلتين خلتا من ذي الحجّة لسنة أربع ومائتين .

719 - رفيع الدين الأبرقوهي [582 - 623] ⁽¹⁾

[175 ب] إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل / بن أبي طالب ، رفيع الدين ، أبو محمد ، ابن أبي عبد الله ، الهمدانيّ الأصل ، المصريّ المولد ، الوبري ، الشافعيّ ، المعروف بالأبرقوهي .

ولد بمِصر سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة تخميناً . وسمع من أبيه ، ومن أبي عبد الله الأرتاحي ، وأبي الفضل الغزنوي ، وفاطمة بنت سعد الخير ، وجماعة من أهل مصر والقادمين إليها .

ورحل إلى الشام ، فسمع من ابن طبرزد وغيره .

وسمع ببغداد وواسط وأصبهان ، وتفقه .

وولي قضاء أبرقوه ⁽²⁾ مدّة ، ثمّ عاد إلى مصر وحدث .

توفّي ليلة [...] السابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وستمائة بالقاهرة .

(1) الوافي 424 / 8 (3894) .

(2) أبرقوه : بلد بفارس من كورة اصطخر (ياقوت) .

720 - إسحاق بن العازار الطيب [363 -]⁽¹⁾

إسحاق بن موسى بن العازار ، أبو يعقوب ، اليهودي ، الطيب .
 قدم إلى مصر مع المعزّ لدين الله هو وأبوه وأخوه عون الله بن موسى . وكان
 عون الله مسلماً . وكان موسى بن العازار طبيباً للمعزّ ، وإلى ابنه إسحاق تدير
 الدولة والنظر في جميع أمور المعزّ وخزائنه ، وقليله وكثيره ، والأمر والنهي .
 ومات بمصر في حياة أبيه موسى لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وستين
 وثلاثمائة .
 ومات أخوه عون الله قبله بيوم . فاغتمّ المعزّ لموت إسحاق لكفائته . وأقرّ
 مكانه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن إسحاق .
 وبقي أبوه موسى طبيباً للمعزّ حتى مات المعزّ . وصار عسلوج بن الحسن⁽²⁾
 إليه في الحقيقة ما يتولاه إسحاق بن موسى⁽³⁾ .

721 - أبو يعقوب الأسفرايني [284 -]⁽⁴⁾

إسحاق بن موسى بن عمران الأسفرايني ، أبو يعقوب ، ابن أبي عمران .
 تفقه على المزني . وسمع المبسوط من الربيع . وسمع من قتيبة بن سعيد ،

(1) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، في ترجمة الأب ، موسى بن العازار (ص 575) ؛
 القفطي : حكماء ، ص 320 في ترجمة الأب كذلك ؛ ورفقات ح.ج. عبد الوهاب
 301 / 1 .

(2) عسلوج بن الحسن الدهاجي : أحد رجالات كتامة . انظر عنه عيون الأخبار ، 726
 هامش 327 ، ولعله هو أبو علي [بن] عسلوج الذي قتله الحاكم مع جماعة (اتعاط
 266 / 1 والنجوم لابن سعيد ، 69) .

(3) إسحاق بن موسى يلتبس هنا مع الترجمة الموالية . وقد ظنّها الناسخ مكررة .

(4) أسفراين بالفتح كما ضبطها ياقوت . وترجم له الصفدي في الوافي 419 / 8 (3885)
 بعنوان : إسحاق بن أبي عمران .

وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن حجر ، وإبراهيم بن يوسف البلخي ، وجبارة
 ابن المعلّس ، وهشام بن عمار ، وخلق بالعراق والشام ومصر .
 روى عنه مؤمل بن الحسين ، وأبو عوانة ⁽¹⁾ ، ومحمد عبدك ، ومحمد بن
 الأحزم ، في آخرين .
 وكان فقيهاً محدثاً زاهداً ورعاً ، أحد أئمة الشافعيين والرحالة في طلب
 الحديث .
 توفي بأسفرايين سنة أربع وثمانين ومائتين .

722 - إسحاق بن نصير العبادي الكاتب [297 - ⁽²⁾]

إسحاق بن نصير ، أبو يعقوب ، العبادي .
 كان يخلف أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان على المكاتبات والترسل .
 فلما مات ، وانفرد الوزير أبو الحسن علي بن أحمد الماذراني لم يستخلف
 أبا يعقوب ، وأمره أن يلزم بيته ، وتولى الترسل بنفسه مدة .
 ثم إن الأمير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون أمره أن يستكتب أبا
 يعقوب فأستكتبه . وقال له أبو الجيش : كم رزقك ؟
 قال : أربعون ديناراً ⁽³⁾ .

فقال [خمارويه] لعلي بن أحمد : أجعلها أربعمئة دينار في الشهر - وقال
 لأبي يعقوب : لا تبرح في حضرتي .

(1) قال الصفدي : واسحاق هو والد الحافظ أبي عوانة .

(2) الوافي 8 / 428 (3902) ، وفيه : البغدادي .

(3) في المخطوط : أربعون ألف . والإصلاح من الوافي .

فبلغ أبو يعقوب من النفقة أن صار يجود في الشهر بالآلاف .
[قال ابن زولاق : مات سنة سبع وتسعين ومائتين]⁽¹⁾ .

723 - أسد بن الفرات [144 - 213]⁽²⁾

أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله ، مولى بني سليم ، قاضي إفريقية .

أصله من أبناء جند خراسان .

ومولده في سنة أربع وأربعين ومائة . وأقام بالكوفة . وكتب عن أهلها .
وكتب بالري عن جرير بن عبد الحميد .

وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس ، وروى عنه المسائل الأسدية ، وهو معهود من كبار أصحاب مالك .

قدم مصر ، ومضى إلى إفريقية ، وولي القضاء بها من قبل زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب شركة مع أبي محرز محمد بن عبد الله بن قيس في [. . .] .
غزوه صقلية :

ثم غزا جزيرة صقلية ، وذلك أن أهلها كانوا معاهدين . فترع بعض أهلها إلى زيادة الله يستدعيه إلى دخول الجزيرة ، وذلك أن ملك الروم سخط عليه ، وكتب إلى صاحب صقلية أن يعاقبه ويُمثل به . فلما خافه آستدعى أصحابه إلى الخلاف معه فأجابوه . فمضى في مراكبه نحو سرقوسة إحدى مدائن جزيرة

(1) تنمّة من الوافي .

(2) رياض النفوس 1/ 254 (وانظر الفهارس) ؛ الكامل لأبن الأثير تحت سنة 201 ، وفيات
182/3 ؛ معالم الإيمان 2/2 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1/ 706 - طبقات الفقهاء
للشيرازي ، 155 وفيها حديث عن الاسدية « المرفوضة عندهم الى اليوم » .

صَقْلِيَّة ، فنزل بِمَرَسَاها وقاتل البطريق الذي كان بها حتى قتله ، ثم لبس [176 أ] الديباجة التي يلبسُها الملوك والخفّ الأحمر ، وأخذ الأموال التي بسرقوسة / ، واستولى عليها ، وأعطى أصحابه الأموال ، ثمّ رغب [إلى] زيادة الله في أن يمدّه .

فجمع زيادة الله العلماء وشاورهم في غزو صَقْلِيَّة . وكان في عهدهم أنّهم إذا دخل عندهم رجل من المسلمين مرتدّاً ، أن يسلموه إلى المسلمين . فأحضر زيادة الله أسد بن الفرات وأبا محرز ، في آخرين وسألهم عن ذلك ، فقال أسد : نسأل رسلهم إن كانوا أحبّسوا أحداً من المسلمين ارتدّ عندهم . فسألوهم فقالوا : نعم ، فعلنا ذلك ، ولا يحلّ لنا في ديننا ردّ مَنْ أتى إلينا ودخل في ديانتنا .

فقال أسد : قد نقضوا عهدهم ، وجاز لنا أن نقض ما عقدنا لهم ، وإنّما تتأدّى إلينا الحقائق عنهم برسلهم ، فبهم عاهدناهم⁽¹⁾ وبهم نجعلهم ناقضين ، وقد قال الله تعالى : « فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ » (محمد ، 35) . فكما لا ندع السلم ونحن الأعلون فكذلك لا نتماسك به ونحن الأعلون⁽²⁾ .

فأخذ زيادة الله بقول أسد ، وأمر بإنشاء المراكب والاستعداد للغزو . وعرض أسد نفسه على زيادة الله للخروج في الغزاة ، فولّاه على الجيش ، وفيهم أشراف أهل إفريقية من قريش ، والعرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر ، وأقرّه على القضاء مع قيادة الجيش . فخرج في حفل عظيم ، وعدّة جلييلة في شهر ربيع الأوّل سنة اثنتي عشرة ومائتين . فقال لمن حوله : والله ما ولي أبي ولا جدّي ولاية قطّ ، ولا رأى أحدٌ من أهل بيتي ولا

(1) في الرياض 1 / 271 : فيهم هادناهم .

(2) هذا الاحتجاج الغريب ساقط من الرياض .

سلي مثلَ هذا الجمع يتبعه ، ولا بلغتُ ما ترون إلا بطلب العلم فأجهدوا
أنفسكم في طلبه ، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة .

وأجتمع لزيادة الله من المراكب سبعون مركباً ، وجعل فيها سبعمائة
فرس⁽¹⁾ ، ثم فصل أسد بالعساكر يوم السبت للنصف من شهر ربيع الآخر ،
فكانت طريقه على قلعة البلوط ، ثم على قرى الريش ، ثم سار إلى قلعة الدب
وقرية الطاووس . وذلك أنهم أصابوا في القلعة دباً أنيساً ، وفي القرية طاووساً .
ثم سار إلى معركة « بلاطة » [وهو ملك صقلية]⁽²⁾ فظهر له فيها جمع من الروم
فنازلهم وواضعهم الحرب فأنهزم المشركون ، وأصيب لهم خيل وسلاح . ومن
ذلك اليوم سميت معركة بلاطة . ثم دخل إلى حصون الروم ومدنهم وقراهم
ينسفها ويغير عليها . وبعث السرايا إلى قصور صقلية وقراها فأصابوا سبياً كثيراً ،
ومن الدواب والمواشي ما لا يُحصى كثرة . وكثرت الغنائم عند المسلمين فصاروا
في رغد من العيش ، حتى نزل على سرقوسة ، وحصر أهلها أشد الحصار ،
ونصب عليهم المجانيق وقتلهم برّاً وبحراً .

محاصرته سرقوسة واستشهاده بها :

وكانت المراكب تأتيهم من القسطنطينية لتنصرهم ، فربّما تغلب المسلمون
عليها قبل دخولها .

وبث السرايا من كلّ جهة ، واختطّ الناس المنازل من سرقوسة إلى قطنانية
وما حولها ، وتزوّج المسلمون في الروم وسكنوا القرى ، وسارع الناس إلى
إمدادهم والغزو إليهم من إفريقية والأندلس وغيرهما ، وأتتهم مراكب من

(1) هذه أرقام ابن عذاري أيضاً : البيان 102/1 .

(2) في المقول التباس وغموض ، ورواية المالكي أثبت : فبلاطة هو ملك صقلية زحف إلى
الفاحين في مائة وخمسين ألفاً ، وكان المقرئ خلط بين وقعة « بلاطة » وحصار سرقوسة .
أما الريش فقد قرأها محمد الطالبي : الإمارة الأغلبية ، 459 هامش 312 : الرفش .

الأندلس فيها. كليب الأعرج ورجل يقال له المشاط فنزلوا وافتتحوا قلعة تعرف بقلعة خضص . وأحرق أسد مراكب سرقوسة ⁽¹⁾ وقتل جماعة من أهلها فأنقطعت المواد عن سرقوسة ، واشتدّ عندهم الغلاء وذبحوا خيولهم . وأشير على أسد أن يرجع وقيل له : سلامة مسلم واحد خير من الروم بأسرهم ، فأبى أن يرجع وقال : ما كنت لأضيع على المسلمين غزاةً وفيهم خير كثير .

وأمر بالزحف وأخذ اللواء بيده وقرأ سورة يس حتى فرغ منها ، ثم قال : أيها الناس ، لا تهابوهم ، إنهم عبيدكم ، هربوا من أيديكم ، ثم هم قد وقعوا لكم - يشير إلى من أنهزم من الروم عند فتح إفريقية .

ثم إنه زحف وقاتل قتالاً كثيراً ، واشتدّت الحرب ، وهزم الله المشركين ، وكانوا في مائة ألف وخمسين ألفاً . وقُتل [بلاطة] ملكهم في خلق كثير منهم . [176 ب] وجرح أسد ، فلم تزل به جراحته حتى / مات وهو على حصار سرقوسة في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين . فدفن بمدينة بلرم .

724 - شمس الخلافة [- بعد 512] ⁽²⁾

أسد ، الملقب شمس الخلافة ، متولّي عسقلان [...]
فلما كانت سنة أئتي عشرة وخمسمائة عزم على الغدر والتغلب على عسقلان ، وأخرج القاضي وصاحب الترتيب على أنه يرسلها إلى الباب في خدمة عرضت له . وعين من العسكر من يخافه وأوهمهم أنه يبعثهم إلى بلاد العدو . فلما برزوا خارج المدينة ، أمرهم بالتوجه إلى باب الأفضل ، وبعث إلى العسكر الذي خرج من القاهرة على جهة البدل وقد وصل إلى الفرما ، وأخافهم من

(1) هنا أيضاً التباس : هم أسد بإحراق مراكب المسلمين حتى لا يرجعوا إلى إفريقية ، كما فعل طارق حين نزل بالعدوة الأندلسية .

(2) انعاظ الحنفاء 3/ 46 - 51 .

العدو وأنه في أنتظارهم ، فخافوا من المصير إلى عسقلان ، فتمكّن حينئذ وأعلن بالخلاف .

فلما بلغ ذلك الأفضل أنزعج وهمّ بالمسير إليه بنفسه ، فإنّ عسقلان كانت حينئذ كالحقل على أرض مصر ، تحجز بين العدو وبينها .

ثمّ إنه رأى أن الحيلة أنجع فيه ، فخادعه وبعث الكتب إليه وهو يطمئنه ، وغالطه في نفسه بأنّه ما برح على الطاعة ، وأنّ الذي فعله في المشارف وصاحب الترتيب والبدل المسير هو الصواب . ولم يغيّر رسمه في المكاتب ولا تعرّض لإقطاعاته ولا رسومه ، بل أقرّها على حالها ، وعامل أصحابه وخواصّه بما جرت به عادتهم قبل عصيانه . فانخدع وكفّ عن تسليم عسقلان إلى العدو بعدما عزم على ذلك .

ودسّ الأفضل في الباطن إلى الكنانيّة والرجال المركّزة ، وبذل لهم الأموال في أخذه ، إلى أن قتلوه غيلةً من غير حرب ولا تكلف حركة . وبعثوا برأسه إلى الأفضل⁽¹⁾ ، فسيّر عوضه والياً على عسقلان مؤيّد الملك خطلج المعروف بزرّيق .

725 - ابن التركمانيّ قاضي القضاة [729 - 802]⁽²⁾

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن موسى ، قاضي القضاة ، مجد الدين ، أبو الفداء ، ابن الشيخ برهان الدين أبي إسحاق ، البليسيّ ، التركمانيّ شهرة ، الحنفيّ .

(1) وكان قديم الرأس في 4 محرم سنة 506 . ائعاظ 51 / 3 .

(2) الضوء اللامع 286 / 2 (897) ولم يذكر نسبة التركمانيّ ، وقال إنّ المقرئيّ ذكره في عقوده مسهباً ؛ المنهل 379 / 2 (423) ؛ النجوم 13 / 17 ، شذرات 7 / 16 ، ولم تذكروا نسبه التركمانيّ .

ولد في سنة تسع وعشرين وسبعمائة . وتفقه بمذهب أبي حنيفة على مشايخ الحنفية بالقاهرة . وسمع الحديث ، وحدث بسنن أبي داود وجامع أبي عيسى الترمذي ، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام ، وكتاب الدعاء للمحاملي ، وكتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصفهاني ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، وكتاب إصلاح الغلط لابن قتيبة ، وسداسيات الرازي ، وتصدي للسمع عليه مدة .

وبرع في الفقه والنحو ، وشارك في الحديث ، وكتب في توقيع القضاة مدة بعد أن جلس بجوانيت الشهود دهرًا .

وحكم عن قضاة الحنفية بالقاهرة ، وصار من أعيانهم . ثم شحن بينه وبين قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسي ، فلم يستببه ، ولزم داره على أجمل حال عدة أعوام ، إلى أن تحدث له الأمير شيخ الصفوي أمير مجلس في ولاية القضاء . فاستدعاه الملك الظاهر برقوق في يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وهو معتكف بالمدرسة الطبرسية جوار الجامع الأزهر . فصعد القلعة وتقلد قضاء القضاة الحنفية عوضاً عن الطرابلسي . فلم ينجب فيه ، وصار في غاية الخوف من الطرابلسي ، وإذا سئل في الحكم بشيء أو ولاية أحد يقول : أعذرني فإن الطرابلسي ورائي .

ففر عنه من كان يألفه من خواص أصحابه ، وذمه من تجدد تردده إليه أيام قضاؤه ، وخذله من كان له ناصرًا ، ووقع فيه أعيان البلد من ييس قلمه وكف يده عن التصرف وردّه لشفاعات الأكابر . وتنبه له [...] ⁽¹⁾ الدولة جمال الدين محمود القيصري ، وهو يومئذ ناظر الجيش ، وأشاع عند خواص الدولة أنه / يتبرم من السفر إلى الشام مع السلطان ، ويريد الإغفاء من ولاية القضاء . [177 أ]

(1) في المخطوط : أقمى الدولة ، ولم يرد هذا اللقب الغريب في السلوك 3 / 723 ولا في النجوم .

وكان السلطان قد عزم على السفر ، ومحمود يروم أن يضاف إليه منصب القضاء ويعجز عن مقاومة الطرابلسي .

فلما صُرف بالجد ورأى أنه أرتبك في المنصب وفشل ، أعمل الحيلة في عزله ليجد السبيل إلى أخذ وظيفة القضاء . فتم له ما أراد ، وحاق بالجد مكره . ورأى السلطان أن في عزله الرفق به . وكان المجد يودّ لو بقي على القضاء . وسافر ماشياً ، وأعان محمود على أن حاق مكره بالجد كون المجد بدُن وعظم سمنه إلى الغاية حتى إنّه كان إذا أراد أن ينهض قائماً ، يعتمد على يديه ويرفع عجزته عالياً ، وكانت كالكتيب ضخامة ، ويقم ساعة ويداه ورجلاه على الأرض ، وعجزته مرتفعة ، حتى يستطيع أن ينتصب قائماً . فلما رأى السلطان ذلك منه غير مرة رحمه وعزله ، مع إجلاله له وتعظيمه إياه ، فإنه لم يكن كُتب في الفتوى عليه لمنطاش بإباحة قتاله وقتله ، وعلم السلطان أنه طُلب بالكتابة في الفتوى ، فاستتر حتى سافر منطاش . وكان عزله يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ولم يكمل عاماً . فلزم داره خامل الذكر لا يؤبه له ولا يلتفت إليه ، وقد علا سئه ، وضعف بدنه ، وهرم من الأسف على مفارقة القضاء ، ومن مقاساة ألم الفاقة وكثرة العيال ، وفقد نور عينيه . وساءت حاله وأثكله فقد أولاده الذكور . وتوفي وهو متشخص في الحمول ليلة الخميس العاشر من جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانمائة .

وكان جميل العشرة فكة المحاضرة ، بهيج الزي ، إماماً يقتدى به في معرفة الشروط والوثائق ، صدرأ من صدور المصر ، علامة في الفرائض والحساب المفتوح ، وعنه أخذت ذلك ، أحد مشايخ الحديث المتصدرين للإسماع يرجع إليه في الإفتاء والعلوم الأدبية وتعرف القراءات والنحو .

وجمع لنفسه مجموعاً في عدّة مجلّدات كثيرة . وله شعر يحويه ديوان لطيف . فمن شعره [كامل] :

يا غائباً ما راقني بوصاله يوماً ولم أظفر بحسن تعطف
وإذا ثنى إبعاده وصدوده إن لم يكن مرأى لعيني أنتني⁽¹⁾

وقال [طويل] :

تقللت من وزني قريضاً ودرهماً وقد نفدت من بيت مالي الذخائر
وها أنا عن أهل القريض بمعزل : فلست بوزان وما أنا شاعر

وقال [طويل] :

إذا شئت أن تبقى من المال معدماً فكن قائلاً للشعر أو كن معلماً
وإن تك نساخاً فذاك محارف وأعظم من هذا : تكون منجماً

وقال [سريع] :

إن كنت يوماً كاتباً رقعة تبغي لها نجاح وصول الطلب
إياك أن تعرب ألفاظها فتكتسي حرفة أهل الأدب

وقال [كامل] :

[177 ب] لا تحسبن الشعر فضلاً بارعاً ما الشعر إلا محنة وخبال /
فالهجو قذف والرثاء نياحة والعتب ضغن والمديح سؤال

726 - إسماعيل بن محمد بن قلاوون [726 - 746]⁽²⁾

(الملك الصالح)

إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، السلطان الملك الصالح ، عماد الدين ،
أبو الفداء ، ابن السلطان الملك الناصر ، ناصر الدين ، ابن السلطان ، الملك

(1) هذا البيت عسير الفهم .

(2) الوافي 9/ 219 (4123) ، الدرر (960) ، النجوم 10/ 95 ، المنهل 2/ 425 (452) .

المنصور الألفي ، الصالحى ، النجمي .

أمه [. . .] .

ولد في سنة ستّ وعشرين [وسبعمائة] ، وأقيم في السلطنة بعد خلع أخيه الناصر أحمد يوم الأربعاء ثاني عشرين المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة باتفاق الأمراء عليه ، وقد بلغهم عنه أنه لما أخرجه قُوصون وإخوته إلى قوص ، كان يديم الصومَ يومَي الاثنين والخميس ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن ، مع العفة والصيانة عما يرمى به الشبابُ من اللهو واللعب . وحلفوا له ، وأحلفوه أن لا يؤذِيَ أحداً منهم ، ولا يقبض عليه بغير ذنبٍ يوجبُ ذلك شرعاً . ودُقَّت البشائر السلطانية ، وزينت القاهرة ومصر على ما جرت به العادة ، وأفرج عن المسجونين ، وكتب إلى ولاة الوجه القبلي والبحري بأن لا يترك في السجون إلا من وجب سجنه شرعاً . وأفرج عن الأمراء المسجونين بالإسكندرية ، وهم ستّة وعشرون أميراً .

واستقرّ الأمير أرغون العلائيّ زوج أمّ السلطان ورأس نوبة مدبّر الدولة ، ورأس المشور ، وكافل السلطان .

واستقرّ الأمير أقسُنقرُ السلاري نائب السلطنة . ثمّ قبض عليه وأقيم الأمير سيف الدين الحاج ألّ ملك بدلاً في النيابة . وتزوج السلطان ابنة أحمد بن بكتمر الساقى على عشرة آلاف دينار ، وعمل لها مهمماً عظيماً ، وخلع على الأمراء وغيرهم . وعمل للعروس بشخاناها⁽¹⁾ ودائر بيت كان فيه مبلغ ثمانين ألف دينار .

وتعصّ وتردّد عليه المرضُ بالاسترخاء وغيره ، فخرج عليه أخوه⁽²⁾ رمضان في شهر رجب سنة أربع وأربعين ، وظفر به وقتله .

(1) البشخانة : ستائر تعلّق فوق الفراش وقايةً من البعوض (دوزي) .

(2) في المخطوط : فتعصّ .. وخرج . وعبارة النجوم 82 / 10 أسلم .

وبعث إلى أخيه الناصر أحمد بالكرك العساكر تجريدةً بعدَ أخرى حتى ظفر به ، وأحضرت إليه رأسه فتمكَّن .

وعمر [قاعة] الدهيشة⁽¹⁾ بقلعة الجبل وأنفق عليها مالاَ جزيلاً يقال إنَّه خمسمائة ألف درهم ، سوى ما حُمِلَ إليه من التقدّام الشاميّة . وعمل فيها من الآلات الذهب والفضّة ، ومن الفروش ما يجلّ وصفه . فلم يتهدّ [أ] بالنعمة ومرض أياماً ، ومات ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعائة ، وقد أوصى بالسلطنة لأخيه شقيقه شعبان بن محمد .

وكان خير إخوته ، وأحسنهم شكلاً ، له وجهٌ حلوّ أبيضُ بصفرة ، وعلى خدّه خال .

ابتدأ دولته بدين وعفّة وعدل ، وقام بتدبيرها زوج أمّه ، الأمير سيف الدين أرغون العلانيّ .

وكان وادعاً ساكناً قليل الشرّ ، إلّا أنّ النساء والخدم كانوا مستولين عليه ، لشدة ميله إلى النساء ، لا سيّما السودان منهنّ ، فلها بهنّ عن تدبير الملك ، ومكّنهنّ من جميع أغراضهنّ ، حتى كان إذا ركب إلى نحو الأهرام ، إلى ناحية سرياقوس ، ركبت جواريه مع أمّه في نحو المائتي امرأة ، وسيّرن على الأكاديش⁽²⁾ بألوان الحرير ، وعلى رؤوسهنّ الطرايطير البرغالي⁽³⁾ ، المرصّعة بالجواهر . وكنّ يركبن الخيول العريّات ويتسابقن ويلعبن بالكرة ويتنوّعن في اللهو .

وبلغت الخدّام أيضاً في أيامه مبلغاً عظيماً ، وأقتنوا الخيول المسوّمة ، وأخذوا الأراضي الكثيرة ، وجعلوها رزقاً أحباسيّة ، وأثروا ثراءً زائداً ،

(1) الدهيشة ذكرها في الخطط 3 / 344 من جملة دور القلعة . وذكرها ابن تغري بردي في النجوم 10 / 89 .

(2) الأكديش : الفرس الفارهة (دوزي) .

(3) البرغالي ولعلّها : البلغاري : هو ما يسمّى جلد روسيا (دوزي) .

وتَحَكَّمُوا في الدولة ، حتى كان الأمير آل ملك النائب إذا رُفعت إليه قِصَّة بطلب خبز أو رزقة يقول لدافعها : النائب ما له حكم . أذهب إلى باب الستارة واسأل عن الطواشيّ فلان أو عن فلان / يقضوا شغلك . [178 أ]

وأنفق أيضاً جملةً في العماره مع توقّف حال الدولة . ولمّا فرغت الدهيشة التي عمرها بقلعة الجبل ، عمل بها مهمّاً لجواريه بالغ فيه على قدر الهمة في ذلك الوقت .

[و]قدم عليه رأس أحمد أخيه من الكرك . فعندما رآه أخذته الرعدة وتغيّر لونه وتكدّرت حياته وأعتراه الفرغ في نومه ، وتعلّل . وبالجملة كان أشبه بطباع النساء منه بطباع الملوك ، لرفقه قلبه ، وكثرة حنّوه ، وكرمه ، وأسماّلته مع من يستميله .

727 - الصاحب الأجد ابن القيسرانيّ [671 - 736]⁽¹⁾

إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر ، الرئيس عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن القاضي شرف الدين ، ابن الصاحب فتح الدين ، ابن الصاحب عزّ الدين ، القيسرانيّ ، الخزوميّ . ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة .

سمع من العزّ الحزّاني ، والأبرقوهي ، والحافظ الدميّطي ، والتقيّ ابن دقيق العيد . [وحدّث بدمشق] وبرع في كُتّاب الإنشاء ، وباشر توقيع الدست . ثمّ وليّ كتابة السرّ بحلب عوضاً عن [...] فباشرها [بأبهة] وتحمّل

(1) الوافي 217/9 (4122) ؛ الدرر (955) ؛ المنهل 423/2 (450) ؛ النجوم 311/9 ؛ الشذرات 113/5 . وتكرّرت الترجمة في النصوص الموالي مع زيادات فجعلناها بين مرتعين .

كبير [فلم يحتمله الأمير الطنبغا النائب وعمل عليه هو وعلاء الدين عليّ ابن الأثير حتى عزل بعد خمسة أعوام . ونُقل هو وولده شهاب الدين يحيى إلى دمشق فباشر هو توقيع الدست بها ، وكتب ولده في الإنشاء] . وصار الأمير تنكز يعظّمه ويقول في المجلس : ما هنا مصريّ إلا أنا وأنت !

وتوفي في ذي القعدة سنة ستّ وثلاثين وسبعائة [وله خمس وستون سنة] .

وكان جميل المحاضرة محبّاً لأهل الله معتنياً بهم ، ويروي من كراماتهم شيئاً كثيراً إلى الغاية . وكان خيراً ديناً مقصداً ، فيه تعصّب لمن يتّرامى عليه ويقصده في حاجة . وله سمت .

ووقع بينه مرّة وبين امرأته ابنة الصاحب تاج الدين محمد بن حنّا فقالت له دأيتُها : يا قاضي ، ما تعرف من قدّامك ! ذي إلا بنت المقوقس ! فقال لها : وأنا الآخر ابن خالد بن الوليد ! ⁽¹⁾

728 - مجد الدين ابن كسيرات [682 -] ⁽²⁾

إسماعيل بن إبراهيم بن أبي القاسم عبيد الله ، ابن أبي طالب عليّ بن عبيد الله ابن الوزير ، أبو الفداء ، مجد الدين ، ابن كسيرات ، الموصلّي ، الدمشقيّ .

من بيت الوزارة . كان أبوه وزير الملك المنصور عماد الدين زنكي ابن العادل أرسلان شاه ، ابن عزّ الدين مسعود ، ابن مودود ، ابن زنكي بن أقسقر .

(1) لأنه مخزوميّ الأصل .

(2) الوافي 9/ 74 (3991) ؛ السلوك 1/ 719 .

وباشر هو نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . ثم نقله إلى جزيرة ابن عمر لما فتحها .

ثم قدم إلى دمشق / صحبة الملك المجاهد إسحاق ، وسكنها . وولي نظرب [178 ب] دمشق ونظر نابلس ، ونظم الزكاة بدمشق . ثم نقل إلى صحابة الديوان بها . وتردد إلى القاهرة مراراً . فلما تسلطن سنقر الأشقر بدمشق ولّاه الوزارة إلى أن أنهزم عن دمشق . فقبض عليه ، وأعتقل على مال يحمله ⁽¹⁾ ثم أطلق ، ولزم داره إلى أن مات في سابع عشرين شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وستمئة .

وكان جميل المنظر تامّ القامة ، مهاباً ، وقوراً ، واسع الصدر ، غزير المروءة ، كثير التعصب لمن يقصده ، متودداً إلى أصحابه ، مقيماً على عهده ، لا يزال يقضي حوائج الناس ويتفقد معارفه وأهل مودته .

وأنشأ داراً بجبل قاسيون من صالحية دمشق . فلما أضرت به العطلة بعد أنهزام سنقر الأشقر ، قيل له : لو ذكرت أحد أصحابك من الأمراء حتى يذكر السلطان أو نائب دمشق بك ، فإن خدمتك وتفصّلك على الناس كثير؟

فأنشد [سريع] :

لذّ خمولي وحلا مرّه وصانتي عن كلّ مخلوق
نفسيّ معشوقي ولي غيرة تمنعني من بذل معشوقي

729 - ابن فلوس [593 - 637] ⁽²⁾

إسماعيل بن إبراهيم بن غازي بن عليّ بن محمّد ، الإمام ، العلامة ، شمس الدين ، أبو الطاهر [و] أبو محمد ، النميريّ ، الماردينيّ ، الحنفيّ ،

(1) نُكِب المترجم في صفر 679 ؛ السلوك 1 / 678 .

(2) الوافي 66 / 9 (3985) ؛ النهل 2 / 377 (422) .

المعروف بابن فلّوس .

ولد بمّاردين سنة ثلاث - وقيل : أربع - وتسعين وخمسمائة . وسمع بدمشق على أصحاب السلفيّ . وقدم مصر ، ودرّس بالمدرسة الفخرية من القاهرة . ودرّس بمدرسة عزّ الدين أبيك المعظمي بدمشق ، إلى أن مات في حادي عشر صفر سنة سبع وثلاثين وستمائة بها .

وكان عالماً بالفقه والخلاف والأصولين والمنطق والطبّ والحساب والعربية والرفق⁽¹⁾ والموسيقى وغير ذلك ، وصنّف في هذه العلوم كلّها .

وبعث إليه المعظم عيسى ليفتي بإباحة النبيذ فقال : ما أبيع هذا الباب ، وإباحته إنّما هي رواية عن أبي حنيفة ، وقد صحّ عنه أنّه ما شرّبه قطّ . والحديث عن عمر في إباحة شرّبه لا يثبت .

فغضب منه وأخرجه من مدرسة طرخان ، وولّأها غيره ، فلزم بيته . وله شعر ، منه [خفيف] :

بأبي الأهيفُ الذي لحظُ عَيْنَيْهِ هـ [ف]ـذا راشقٌ وهذا رشيقٌ
راح في حسنه غريباً وإن كا ن شقيقاً لوجتته الشقيقُ

730 - التاج إسماعيل الخزومي [611 - 694]⁽²⁾

إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن عليّ [بن] قريش الخزومي ، أبو الطاهر .

مولده في سنة إحدى عشرة وستمائة .

- (1) هكذا في المخطوط . وعند دوزي : رَقَقَ : ساير المعني في غنائه .
(2) الوافي 64/9 (3981) ؛ المنهل 375/2 (419) ؛ معجم الدميّاطي نشر فاجدا ، 101 ؛ الشفّرات 426/5 .

سمع الحديث وكتب بخطه كثيراً . وسمع من أبي المقيم ، والمهمذاني ، وابن رواج .

وحدث عنه الديلمي في معجمه ، وصار من جلة الشيوخ وفضلائهم . وكان فيه عبادة وزهد .

ومات في سابع عشرين شهر رجب سنة أربع وتسعين وستمائة وهو والد نور الدين علي بن إسماعيل بن قریش .

731 - علم الدين القنائي [652 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر ، الشيخ علم الدين ، المنفلوطي ، ثم القنائي ، المالكي .

أحد الفقهاء الصالحاء المعروفين بالمكاشفات والكرامات ، من كبار أصحاب الشيخ أبي الحسن علي بن حميد بن الصباغ . سلك على يديه فلم يتعب في تربيته ، وقال عنه : نفسه زكية .

وكانت له دنيا متسعة ، فخرج عنها ، ودخل الخلوة عند الشيخ أبي الحسن ، ففتح عليه . وكان يغيب أوقاتاً كثيرة ، وربما استمرت غيبته اليومين والثلاثة ، وتخل عمامته وتنسحب خلفه ، وهو ينشد [كامل] :

لا تُجر ذكرني في الهوى مع ذكركم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وقال يوماً : والله الذي لا إله إلا هو ، أنا القطب غوث الوجود .

وصنف كتاباً ذكر فيه من كلام شيخه أبي الحسن ، ومن كلام شيخه عبد [179 أ]

(1) الوافي 82/9 (3995) ؛ المنهل 375/2 (420) ؛ الطالع السعيد 155 (84) .

الرحيم⁽¹⁾ ومن أحوالهم [أ] نبذة . وذكر غير ذلك من أحاديث واستدلالات دلت على قوة فهم وعلم . وفيه مسائل فقهية ومقالات صوفية⁽²⁾ ، فأذن له الشيخ أبو الحسن في قراءته ، وسلك بعد الشيخ جماعة في رباطه . وما زال به حتى مات بقنا لأيام من صفر سنة اثنتين وخمسين وستمائة . وكان خ[أ] طب الشيخ أبا الحسن في مرضه بمُخاطبات تردُّ عليه فقبل الشيخ ذلك منه .

732 - ابن اللمطي [545 - 638]⁽³⁾

أسعد بن أحمد بن الحسن ، الأمير المكرم ، أبو الطاهر ، ابن أبي العباس المالكي ، المعروف بأبن اللمطي .

مولده سنة خمس وأربعين وخمسمائة . وسمع من أبي العباس أحمد بن الخطيئة ، وحدث . وولي عدة ولايات ، منها قوص في ذي القعدة سنة ست وستمائة .

وتوفي بمنية بني خصيب في ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

واللمطي نسبة إلى لمطة - بفتح اللام ، وسكون الميم ، وفتح الطاء المهملة - قبيلة من البربر .

وسأني ذكر ولده ، الأمير أبي البقاء صالح⁽⁴⁾ .

(1) عبد الرحيم بن أحمد القنائي (ت 592) ؛ انظر الطالع 217 (230) .

(2) قال صاحب النهل هنا : انتهى كلام الأدفي .

(3) السلوك 1 / 171 ، ولم يذكر اسمه ، ولم نتيين في المصورة أسعد هوأم إسماعيل ؟ ولم تذكره بقية المصادر لا بهذا ولا بذلك .

(4) حرف الصاد مفقود .

733 - القاضي عماد الدين ابن الأثير [652 - 699]

إسماعيل⁽¹⁾ بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد ، القاضي عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن تاج الدين أبي الطاهر ، ابن شرف الدين أبي البركات ، ابن شمس الدين أبي جعفر ، المعروف بابن الأثير ، التنوخي ، الحلبي .

ولد ليلة النصف من شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة . وكتب في الإنشاء زماناً . وولي كتابة السرّ بديار مصر بعد وفاة أبيه في يوم العشرين من شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة . وقدم القاهرة أول ذي القعدة وباشر .

وتوجّه مع السلطان إلى بلاد الصعيد ، وعاد في صفر سنة اثنتين وسبعين . ثمّ توجّه معه في جمادى إلى الكرك وعهد⁽²⁾ من قبله فيها إلى جهة دمشق . [ثمّ] صرفه عن كتابة السرّ في أول جمادى الآخرة منها⁽³⁾ سنة اثنتين وتسعين . وولّى بعده شرف الدين عبد الوهاب ابن فضل الله [العمري] .

وسبب عزله أن السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أمره أن يكتب إلى نائب الكرك بقتل بعض الأمراء ، فقال له : قد عاهدتُ الله أن لا أكتب في قتل مسلم .

فغضب منه وضربه بالدواة ورفسه في صدره فكان يقول⁽⁴⁾ : رضيتُ بغضب السلطان ، ولا بغضب الله .

(1) في المخطوط : أسعد بن أحمد . وفي السلوك 1/ 786 ، 905 : اسماعيل . وكذلك في الوافي 9/ 90 (4007) ؛ المنهل 2/ 391 (428) ؛ النجوم 8/ 190 .

(2) قراءة عسيرة .

(3) في السلوك 1/ 786 : في آخر ذي الحجة 692 .

(4) في المخطوط : فقال وهو يقول ...

ولمّا عزل عن كتابة السرّ ، باشر التوقيع عند التّواب . وعلّق شرح كتاب عمدة الأحكام عن الشيخ تقيّ الدين محمد آبن دقيق العيد . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائية التي رثى بها بني الأفطس . وله ديوان خطب ، وكتابة جيّدة ، ونظم ونثر . وصنّف كتاباً في صناعة الإنشاء في أربعة أجزاء .

وقتل يوم الأربعاء تاسع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة في واقعة الترمع المسلمين على حمص .
وسيّاتي ذكر ابن أخيه علاء الدين علي بن أحمد ابن الأثير . كما مرّ ذكر أبيه أحمد بن سعيد ابن الأثير ⁽¹⁾ .

734 - الشقيّ الأحوال مستوفي الحاشية [716 -] ⁽²⁾

أسعد بن أمين الملك ، تقيّ الدين ، المعروف بالشقيّ الأحوال ، كاتب برلغي ويعرف أيضاً بمُستوفي الحاشية .

كان من جملة كتّاب مصر النصارى ، فدخل في دين الإسلام وعرف بأستاذه برلغي الأشرفي . وباشر في الاستيفاء الحاشية السلطانية ، فعرف بذلك مدّة .

ثمّ استقرّ في نظر الدولة بعد موت التاج الطويل عبد الرحمان ⁽³⁾ في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وفي مباشرته أبطل السلطان الوزارة ، بعد صرف أمين الملك عبد الله آبن الغنّام . فكثُر تَمَكُّنُ الأسعد . واتفق أنّه منع [أرباب] الرواتب من مراتبهم من استقبال سنة ست عشرة [وسبعمائة] ، وأحيلوا على

(1) هاتان الترجمتان مفقودتان .

(2) السلوك 2 / 169 ؛ الدرر 1 / 352 .

(3) عبد الرحمان الطويل القبطي الأسلمي (السلوك 2 / 114) .

جهات غير طائلة لا تقي ممّا لهم إلا بشيء يسير / ، وجُعِلت سنّهم ثمانية [179 ب] أشهر ، كانت نسّراوة⁽¹⁾ أحسن جهاتهم التي أحيلوا بها ، ثمّ صولحوا على الثمانية أشهر بثلاثها ، شهرين وثلاثي شهر . ثمّ أحيلوا على المطابخ فتحصّل من الدينار سدّسه ، وكثر تبدّل الحرم وذلّة الأيتام عند عرضهم وتردّدهم إلى أبواب الأقباط . وتولّى ذلك صاحب سعد الدين محمد بن عطايا ، والسعيد مستوفي الرواتب ، فكثّر الدعاء وجهر الناس بالسوء ، وسمّوها : سعد الذابح وسعد بلّع⁽²⁾ .

ومات وهو ناظر الدولة في ليلة الاثنين ثامن شهر رجب سنة ستّ عشرة وسبعمائة ، ودفن بالقراقة .

وكان يحسّن للسلطان روك أراضي مصر ، وذلك أنه لمّا بلغه عن السلطان أنه تقلّق من البرجيّة ، وهم يومئذ جمهرة عسكر مصر ، وأنهم أخذوا معظم البلاد ، حتى لم يبقَ للسلطان خاصّ يقوم بكلفه ، اجتمع به سرّاً وحدّته في الروك ، وأرتجاع⁽³⁾ بلاد تقوم بالكلف وزيادة ، فأعجبه ذلك . وتقدّم للفخر محمد ابن فضل الله ناظر الجيش بعمل أوراق على ما ربّبه التقيّ هذا . فلمّا كملت حضر لقراءتها على السلطان . فأنكر الفخر على التقيّ ترتيبها وقال له : أنت قصدك ترمي بين السلطان وبين ممالكه .

فمال السلطان مع التقيّ على الفخر . فثبت الفخر ، وحلف بحياة رأس السلطان ، لا أوافق على ما في هذه الأوراق ! - وخوّفه عاقبتها . وما زال به حتى أمر بها فغيّرت وزيد في عبّرة إقطاعات الأمراء والأجناد . وعرف الأمراء ما

(1) نسّراوة هي مدينة البرّس وبحيرتها (السلوك 1/ 339 هامش 2) .

(2) انظر تعليق ناشر السلوك على هذين الكوكبين (2/ 166 هامش 4) .

(3) في المخطوط : والاتجاع . وأصلحنا تخميناً ، وأعتاداً على العرض المطول لتفاصيل الروك الناصريّ في الخطط 1/ 141 وفي النجوم الزاهرة 9/ 42 .

عمله التقى فسبّوه ولعنوه ، وأخذوا في تقبيح صورته عند السلطان إلى أن غضب عليه وأحضره وسبّه ولعنه وهدّده بأن يسلم جلدته ويرميه إلى الكلاب . فاشتد خوفه وتعلّل من حينئذ فلم يفلح بعدها .
وكان هو وأبوه من الظلمة اللثام ، وكان الناس لا يقولون عنه إلا :
« الشقيّ الأحول » .

735 - القاضي نفيس الدين ابن قادوس [543 - 639]⁽¹⁾

أسعد بن عبد الغنيّ بن أسعد بن عبد الغنيّ بن أسعد بن الحسن ، أبو الكرم ، ابن أبي الطاهر ، نفيس الدين ، ابن قادوس ، العدويّ .
وله بمصر في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

سمع من الشريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن الرنديّ ، والفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله بن الخطيّة ، وهو آخر من حدّث عنهما . وسمع أيضاً من أبي الحسن علي بن عبد الرحيم السلميّ ، المعروف بابن القصّار ، والعلامة ابن بريّ ، وأبي عبد الله محمد بن عليّ الرجيّ .

وسمع بالإسكندرية من أبي المفضّل عبد المجيد بن الحسين بن ذليل والحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن محمد الحضرميّ ، والحافظ السلفيّ ، ومن آخرين ، وحدّث .

توفيّ سحرّ التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة بثرغر الإسكندرية ، ودفن بالجزيرة .

(1) شذرات ، 5 / 203 ؛ عبر الذهبية 5 / 159 .

736 - أسعد بن عطية الصحابي⁽¹⁾

أسعد بن عطية بن عبيد بن بجالة بن عون بن ورم بن ذبيان بن الهميم ،
القضاعي .

كان ممّن بايع تحت الشجرة . وشهد فتح مصر ، ولا تُعرف له رواية .
ذكره ابن يونس .

737 - وزير الوزراء [466 -]⁽²⁾

أسعد بن عقيل ، المشرف ، وزير الوزراء ، العادل ، خليل أمير
المؤمنين ، أبو المكارم .

كان من صنائع الوزير أبي الفرج عبد الله بن محمد البابليّ وخواصّه . وكان
يُنعتُ قبل الوزارة برئيس الرؤساء ، ذخيرة الملك .

فلما صُرف جلال الملك أبو أحمد ابن عبد الكريم بن عبد الحاتم عن
الوزارة والقضاء ، وليَ عَوْضَه وزارة المستنصر بالله أبي تميم معدّ في ثالث

(1) أسد الغابة رقم 102 .

(2) أكتاظ الخفاء 2/ 270 وهو فيه : المشرف ابن أسعد بن مقل - وهو المشرف بن أسعد
أيضاً عند ابن ميسر (نشر قواد أيمن السيد) ، 28 ، 41 - مع التنبيه إلى أنّ بعض النسخ
تسميه ابن أسعد بن عقيل كما في ترجمتنا هذه ، وابن صاع كما عند ابن ميسر (نشر
ماسي) ، 23 . ويسميه ابن منجب (الإشارة ، 51) المشرف ابن أسعد ايضاً .

فتساءل عن سبب ترتييه في حرف الهمة ، مع أنّ أسعد أسم أبيه ، وكان أولى به
حرف الميم (مشرف) ؟

على أنّ المقرئ في الأكتاظ 2/ 313 عند ذكر مقتله ، سمّاه أبا المكارم أسعد .

عشرين المحرم سنة ست وخمسين وأربعمائة .

[180 أ] وصُرف عنها في تاسع عشر ربيع الآخر منها بأبي غالب عبد الظاهر / بن الفضل . ثم أعيد بعد أبي محمد الحسن بن مجليّ ابن أبي كدينة في نصف رجب سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وزيد في ألقابه « رئيس الرؤساء » .
وقبض عليه في العشر الأخير من شوال ، ثم خلّي عنه .
فلما قدم أمير الجيوش بدر الجماليّ قتله في سنة ست وستين وأربعمائة .

738 - السناء الجوّانيّ [- نحو 550] ⁽¹⁾

أسعد بن عليّ بن معمر بن عمر بن علي بن أبي هاشم الحسين بن أحمد
أبن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد : الجوّانيّ ، ابن عبيد الله بن
الحسين بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القاضي ، الشريف أبو
البركات ، سناء الملك ، الحسيني ، الجوّانيّ ، النحويّ .

قال تاج الرمليّ النسابة ، على ما نقلته من خطّ الحافظ أبي الحجّاج
يوسف الأسديّ : كان أسعد هذا النسابة الذي بمصر ، وأبوه نُقلا من
واد [.....] على طرف الغرب إلى بجاية . فأقاما يعملان الجلجل والخلخل
مدةً . ثمّ صارا إلى مصر ، ونقيها أبو إبراهيم الموسوي ، فاتخذها بها دكاناً بزقاق
القناديل يعملان فيها . وأبوه يحيى الوركلاّني صار يحدث على كرسيّ الجسر .
فحسّن له رأيه أنه أدعى الشرف ، وأدعى نسباً في بني عبيد أصحاب مصر ،

(1) ترجم له القفطيّ : إنباه 230 / 1 وجعله من معاصري طلائع ابن رزيك المتوفى سنة
556 . وترجم العماد : الخريدة (مصر) 117 / 1 و 119 لأبنة محمد بن أسعد ثمّ له .

وترجمة الابن النسابة مطوّلة في لسان الميزان 74 / 5 (246) مقتضبة في الوافي
202 / 2 (579) .

وبلغ ذلك الناظر ، وهو ابن أبي عقيل ، أحد الأقارب ، فأحضره وقال له :
ما الذي بلغني عنك !

فأقر بالدعوة . وعزّره ونفاه ، فصار إلى الإسكندرية مدّة . ورجع إلى
مصر خفية . وتوجّه إلى الحجاز ، وسار مع ركب العراق إلى بغداد ، ودخل
الموصل وأقام بها ، وأشتغل بالأدب وصناعة الإبر . والأبّار يعرف بمِصر . ثمّ
رجعا إلى مصر وسكنا بزقاق القناديل . فصار يعمل الإبر ويمدح ويهجو ويكثر
من مجالسة أهل النحو . فأجري له جارٍ عليه وصار من جملة السعداء ⁽¹⁾ وحسنت
حاله . وتزوج بنت الصقلّي ، أخت عبد الصمد الوراق . فأولد أخت عبد
الصمد محمداً هذا النسابة اليوم بمِصر وأشتغل بالناس وغير أسم جدّه بعليّ -
وكان يحسّي - وزاد في أسم أبيه همزة ، وبلغ من حاله إلى أن ولي النقابة
بمِصر . وكان أسعد يخطط المغربية باللغة العراقية ، فقال له رجل من أفاضل
المغاربة يقال له أبو عبد الله السوسي الفقيه محمّد [كامل] :

والمغربيُّ إذا تمعّق قيل له يا نحسُّ يا ابن النحس لا تتمعّق !

وقال [طويل] :

ومن يهوّ إدراك المعالي فإنّه يعُدُّ المنايا من ملابسه طمرا
قريع الرزايا والقنا يقرع القنا خطير العطايا يستقلّ الجدا خطراً
[ويحفظ بالخطّي في النقع موطناً يحوز العلا، والموت يلحظه شزراً] ⁽²⁾

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : من جملة الشعراء .

(2) هذا البيت الثالث من الإنباه . وهو أيضاً في الخريدة 1 / 120 .

739 - ابن هبة الأملولي

أسعد بن هبة الحميري ثم الأملولي .
شهد فتح مصر وهو أعمى حمير الذي كانوا يحكمونه . وله أخبار . قاله ابن
يونس .

740 - السديد ابن علان الدمشقي [561 - 636]⁽¹⁾

أسعد بن السلم⁽²⁾ بن علي بن خلف بن مسلمة بن أحمد بن محمد بن
علان ، سديد الدين ، الدمشقي .
ولد سنة إحدى وستين وخمسمائة .
وسمع من أبيه ، وأبي القاسم بن عساكر ، وأبي المعالي بن خلف ، وابن
جاعة ، وحدث .
ومات بدمشق في ثامن شهر رجب سنة ست وثلاثين وستمائة .

741 - أبو المعالي ابن القلانسي [598 - 672]⁽³⁾

أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة بن أسعد بن علي ، الصاحب
الرئيس ، مؤيد الدين ، أبو المعالي ، المعروف بابن القلانسي ، التميمي ،

- (1) النجوم 314/6 وهو فيها : أسعد بن المسلم بن مكّي بن علان القيسي توفي عن ست
وتسعين سنة . ولعلّ التسعين التبت بالسبعين على ناشري النجوم .
(2) في المخطوط : ابن السلمة .
(3) السلوك 1 / 613 ، الوافي 39/9 (3943) ، ذيل مرآة الزمان 36 .

الدمشقيّ ، والد الصاحب عزّ الدين حمزة .

ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وحدّث بدمشق ومصر عن حنبل المكّيّ بسمّاعه منه حضوراً ، وعن ابن طبرزد ، والكنديّ .

روى عنه جماعة . وكان صدراً ، جليلاً ، معظماً ، وافر الحرمة ، كثير الأملاك ، تامّ الخبرة ، ذا عقل ورأي وحزم .

باشر أملاك السلطان الملك الظاهر بيبرس بعد موت ابن سويد⁽¹⁾ ، وهو متكلّف ذلك بغير معلوم .

توفيّ سنة اثنتين / وسبعين وستمائة .

[180 ب]

ومن شعره [بسيط] :

يا ربّ جد لي إذا ما ضمّني جدّي برحمة منك تنجيني من النار
أحسّن جوارِي إذا أصبحت جارَك في لحدي فإنّك قد أوصيتَ بالجار⁽²⁾

742 - ابن ممّاني [606 -]⁽³⁾

أسعد بن مهذّب بن مينا بن أبي المليح زكريا بن قدامة بن أبي مليح مينا ،
القاضي الأسعد ، شرف الدين ، أبو المكارم ، ابن الخطير أبي سعيد ، المعروف
بأبن ممّاني .

(1) ابن سويد : وجه الدين محمد بن سويد التكريتيّ (ت 670) .

(2) البيتان نقلهما الصفدي عن اليوناني . وعند اليوناني ورداً بعد ترجمة الجدّ أسعد بن حمزة ،
وقد أردف بها ترجمة الحفيد ، فلعلّها من نظم الجدّ .

(3) النجوم لأبن سعيد ، 269 ؛ الوافي 9 / 19 (3936) ؛ الوفيات 1 / 210 (91) ؛
إنباه الرواة 1 / 231 (143) ؛ الخريدة (مصر) 1 / 100 ؛ معجم الأدباء 6 /
100 . دائرة المعارف الإسلامية 3 / 886 .

ولي ديوان الجيش بعد أبيه الخطير . فلما استبدَّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة مصر ، استقرَّ في نظر الدواوين من سنة ست وثمانين وخمسمائة . وأختصَّ بالقاضي الفاضل وحظي عنده . وكان يسمِّيه « بلبل المجلس » لما يرى من حسن خطابه .

وله عدَّة مصنَّفات ، منها كتاب « تلقين القين » ، فيه كلام على قوله ﷺ : بني الإسلام على خمس .

وكتاب حجة الحقِّ على الخلق ، في التحذير من سوء عاقبة الظلم ، وهو كبير . وكان السلطان صلاح الدين يكثر النظر فيه .

وكتاب وجوه الخطب وصدور الكتب . وكتاب أخاير الذخائر . وكتاب ترجان الجمان . وكتاب درة التاج . وكتاب باعث الجلد عند حادث الولد . وكتاب أعلام النصر . وكتاب أعلام الوزر . وكتاب طور الأعلام . وكتاب تحسين الأفعال ⁽¹⁾ . وكتاب أدعية الصدور . وكتاب الطيب من شعر أبي الطيب . [وكتاب] التف الأدبية والمآخذ الشعرية . وكتاب دقائق الاحتيال في طرائق الاغتيال ، وكتاب ميسور النقد ، وكتاب سلاسل الأدب ⁽²⁾ . وكتاب ذمَّ البخل . وكتاب الحصَّ على الرضى بالخط . وكتاب سرَّ الشعر . وكتاب قرص العتاب . وكتاب لطائف الأدب وطرائف الكتب . وكتاب زواهر السدف ⁽³⁾ وجواهر الصدف . وكتاب لمع الأخاير وملح الذخائر . وكتاب مجارة السديد . وكتاب ملاذ الأفكار وملاذ الاعتبار . وكتاب إثار الطالب بإيثار المطالب . وكتاب شعر العصرين من المصرين . وكتاب شعر أشعر اللمع . وقال عنه القاضي الفاضل : وقفت من الكتب على ما لا تحصى عدته ، فما رأيت والله كتاباً يكون قبالة ثان منه ، وإنه من أهمِّ ما طالعه الملوك .

-
- (1) قال القفطي : هو كتاب ابن طريف الأندلسي « فاختاره وأجاده » .
(2) في الوافي 20/9 : سلاسل الذهب . وقيل إنَّ هذا الاسم اختاره له القاضي الفاضل .
(3) سدف الشجر : ما يلوح منه أسود من بعيد (دوزي) .

وله أيضاً كتاب «قوانين الدواوين» صنعه للملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ذكر فيه ما يتعلّق بدواوين مصر ، ورسومها ، وأحوالها وما يجري فيها . وهو أربعة أجزاء ضخمة ، والذي يقع في أيدي الناس الآن جزء واحد اختصره منه غير المصنّف . فإنّ ابن ممّاتي ضمّنه ذكر أربعة آلاف قرية من أعمال مصر ومساحة كلّ قرية وقانون ربّها ومتحصّلها من عين وغلّة . ولما قدّمه للعزيز أنعم عليه بخمسمائة دينار حملت إليه .

وله أيضاً كتاب سيرة السلطان صلاح الدين ، نظماً ، وكتاب نظم كليلّة ودمنة . وله عدّة رسائل ودیوان شعر .

ولم يزل بديار مصر إلى أن ولي الوزارة صاحب تقيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر الدميريّ للملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، فخافه لما كان في حقّه قبل ذلك من الإهانة ⁽¹⁾ . وأخذ الوزير في العمل عليه ، ورثب مؤامرات أحال بها الأجناد عليه ، ثمّ قبضه في جمادى الآخرة سنة اثنتين وستّائة وعلّق برجليه . ففرّ من القاهرة وسار إلى حلب ، فأكرمه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين فأستخدمه .

وأسقّر بحلب إلى أن مات بها في يوم الأحد سلخ جمادى الأولى سنة ستّ وستّائة عن اثنتين وستّين سنة .

قال فيه العماد الكاتب : ذو الفضل الجليّ والشعر العليّ . ومن شعره يصف الخليج يوم فتحه بمصر [وافر] :

خليج كالحسام له صقال ولكن فيه للرّائي مسرة / [181 أ]
رأيت به الصغار تجيد عوماً كأنهم نجومٌ في المجرة

وله في [غلام] نحويّ [سريع] :

(1) في المخطوط : الإهنة ، والتصحيح من الوافي 23/9 .

وأهيفٍ أحدث لي نحوه
علامة التأنيث في لفظه
تعجباً يُعرب عن ظرفه
وأحرف العلة في طرفه

وقال يصف البقّ [طويل] :

تكاد بقرص البقّ تلتف مهجتي
ومن أعجب الأشياء في البقّ أنه
إذا لم أجد من ثوب جلدي تخلّصا
على الجسم سُمّاقٌ وتنبّ حِمَصا

وله [وافر] :

تعاثني وتتهى عن أمور
أتقدر أن تكون كمثلي عيني
سبيل الناس أن ينهوك عنها
وحقك ما عليّ أضّر منها

وله في أترجة كانت بين يدي القاضي الفاضل ، وهو معنى بديع
[سريع] :

لله بل للحسن أترجة تذكّر الناس بأمر التّعيم
كانها قد جمعت نفسها من هبة الفاضل عبد الرحيم

وقد ذكر أبوه وجدّه في مواضعها من هذا الكتاب ⁽¹⁾ .

وقال من أبيات يصف سيفاً [طويل] :

وأبيض مصقول العوارض أهيف
مورّد خدّاً بخد الماء والخمر ⁽²⁾
كأن دم الأعداء في صفحاته
وإن قصّر التشبيه وردّ على نهر

ومنها يصف فرساً :

وأدهم يحكي ليلة الهجر لونه
ومن جريه ما بين ليلين في مهر

(1) هلّه من التّراجم المفقودة .

(2) هذا الشطر غير موزون .

فيا عجباً من جمعه في أديمه ويشبه ليل الوصل في الكرّ والفرّ
ومنها :

إذا أدّرت يوم اللقاء جيوشه وسارت رأيت الخيل تركض بالبحر
ومن أعجب الأشياء أن مراكباً من الطير تحت البحر تجري على البرّ

743 - إسماعيل الكردي الزنديق [720 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن سعيد بن [. . .] الكرديّ ، المصريّ ، المقرئ ، الشافعيّ .
قرأ القراءات على الشيخ نور الدين الشطنوفيّ وعلى الفقيه الصائغ وغيره ،
وكان عارفاً بها ، وبالفقه والنحو ، والتصريف ، ويحفظ قطعة من التوراة
والإنجيل . وكان طلق العبارة ، سريع الجواب ، حسن التلاوة . لا يزال يجاري
في الفقه ويسرّد الحاوي في الفقه حفظاً ، مع العمدة في الحديث ، والحاجية .
إلا أنه كان كثير الهزل ولا يتحفّظ ، فحفظت عنه كلمات وأفعال قبيحة حتى
قيل له : « إسماعيل الكافر » ، ثم صار يدعى إسماعيل الزنديق . فطلب إلى
قاضي القضاة تقيّ الدين محمد بن أبي بكر الأحنائيّ المالكيّ . وأدّعى عليه
بالوقية في حقّ لوط عليه السلام . وأقيمت البيّنة فخلط في كلامه كأنه مجنون .
فساقه إلى السجن ، وتوقّف فيه حتى أخبره من لا يتهمه أنّه رأى رسول الله
ﷺ في منامه وسأله عمّا قيل عن إسماعيل ، فقال عليه السلام : قل للأحنائيّ
يضرب عنقه ، فإنه سبّ أخي لوطا .

فأستدعى به ، وعقد له مجلساً ، وضرب عنقه بعدما شهد عليه بعضا

(1) وردت الترجمة مكرّرة في لوحين متاليتين فأعتمدنا الترجمة الثانية . وهي أكمل ، وأضفنا
إليها ما زاد في الأولى . ولإسماعيل هذا ترجمة في الدرر 391 / 1 (928) ، والمنهل
432 / 2 (458) والنجوم 249 / 9 والسلوك 212 / 2 .

بمحاضرة القضاة والعلماء ، في يوم الاثنين سادس عشرين صفر سنة عشرين وسبعائة ، وله من العمر أربعون سنة أو تزيد قليلاً . وكان يوماً مشهوداً .

744 - الشهاب القوصي [574 - 653] ⁽¹⁾

إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمان بن المرجي بن المؤمل بن محمد بن علي ابن إبراهيم بن يعيش [...] ⁽²⁾ ، شهاب الدين ، أبو المحامد وأبو الطاهر وأبو العرب ، ابن أبي الشكر وأبي القاسم ، الأنصاري ، الخزرجي ، القوصي ، [181 ب] الفقيه الشافعي / .

ولد سنة أربع وسبعين وخمسمائة بقوص .

وسمع من [...] ⁽³⁾ . وخرج لنفسه معجماً في أربع مجلدات ضخمة . وبرع في الأدب والأخبار . ودّرس ، وحفظ كثيراً من الأشعار . وكان فصيحاً مفوهاً حُفَظَةً .

وصنّف كتاب بغية الراعي ومُتَبِّية الآمل في محاسن دولة السلطان الملك الكامل . وكتاب الدرّ الثمين في شرح كلمة آمين ، صنّفه للملك الكامل . وكتاب قلائد العقائل في ذكر ما ورد في الزلازل .

وأتصل بالصاحب صفّي الدين عبد الله بن عليّ بن شُكر ، فتقدّم عنده ، وسيره رسولاً عن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب إلى [...] ⁽⁴⁾ . وولي وكالة بيت المال بالشام ، وتقدّم عند الملوك . وكان يلزم الطيلسان

(1) الوافي 9/ 105 (4021) ؛ ذيل الروضتين 189 ؛ الطالع السعيد 157 (87) .

(2) ... ابن سعد بن عبادة في الطالع .

(3) ذكر الأدفويّ جملة من شيوخه ، كابن طبرزد ، والخشوعيّ ، والحريستانيّ .

(4) سقوط في المتن .

المحنك . ومدحه جماعة وأخذوا جواثره . قال بعضهم في معجمه [بسيط] :

كم معجم طالعته مُقلتي فبداً للخطها منه فضلٌ غير منقوص
فما سمعتُ ولا عاينتُ في زمني أتم في فضله من معجم القوصي

وهو يشتمل على عجائب ، لأنه صنفه في سجن الملك الصالح عماد الدين
إسماعيل بعلبك ، وقد غضب عليه .

وكانت فيه دعاية ، وله عدة نوادر ، منها أنه رأى رجلاً يحادث شاباً مليحاً
أسمه سليمان ويمارحه ، فقال له : أنت تروم الملك !

فقال : معاذ الله !

فقال : ما لي أراك تحوم حول خاتم سليمان ؟

فخجل .

وقال له الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح يوماً : يا شيخ شهاب
الدين ، أنت عندنا مثل الوالد .

فقال : لا جرم ، إني مطروح !

وقال له بعض الرؤساء : أنت عندنا مثل الأب - وشدد الباء .

فقال : لا جرم ، إنكم تأكلون[ن]خي !

وتوفي في يوم [الاثنين سابع عشر ربيع الأول] ⁽¹⁾ سنة ثلاث وخمسين
وسمائة .

(1) الإكمال من ذيل الروضتين ، 189 .

745 - الموقف الجلجولي [546 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن سلامة ، القاضي مكين الدولة ، الموقف في الدين ، داعي الدعاة ، أبو الطاهر ، الأنصاري ، الجلجولي .

ولاه الحافظ لدين الله ، أبو الميمون عبد المجيد بن محمد ، قضاء القضاة في سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، بعد صرف هبة الله بن عبد الله بن الأزرق ، بغير تقليد . فأقام ينظر في الحكم إلى مستهل المحرم سنة خمس وثلاثين [وسعى أن] يوفر جاريه على الحكم ، وهو مبلغ أربعين ديناراً في [182 أ] كل شهر ، و[ب] -خدم بجاري التقدمة على الدعاة ، وهو / مبلغ ثلاثين ديناراً في الخدمتين [وأن يستقل بالحكم] فأجيب إلى ذلك . وأستمر إلى أن صُرف عن القضاء في سابع المحرم سنة ثلاث وأربعين بأبي الفضائل يونس بن محمد بن الحسن القرشي المقدسي ، وبقي داعي الدعاة . فلما كان في شهر رجب قُطعت أيدي بني الأنصاري ، وصلبوا على بابي زويلة الكبير والصغير⁽²⁾ .

وكان كريم الأخلاق ، حليماً ، عليه سكينه ووقار ، مليح الشبهة ، ظريف الهيئة .

ذكر ابن فضال أن إسماعيل هذا مات سنة ست³ وأربعين .

746 - العارف شمس الدين النوري [598 - 644]⁽³⁾

إسماعيل بن سودكين بن عبد الله ، أبو الطاهر ، شمس الدين ، النوري ، الإمام العارف .

(1) رفع الإصر 1 / 121 .

(2) هذه الحادثة لم يذكرها ابن حجر في رفع الإصر ، فكأنها غريبة عن الترجمة .

(3) شذرات 5 / 233 .

ولد في مصر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وسمع الحديث من محمد بن حمد بن حامد الأرتاحي ، وأبي الفضل محمد ابن يوسف الغزنوي ، وبحلب من الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي .

وحدث بمصر والشام .

وكان فقيهاً حنفياً ، فاضلاً ، محدثاً ، شاعراً ، له نظم جيد ، وكلام في التصوف . وكب كثيراً من كلام ابن عربي ، وصحب العارف محيي الدين بن محمد بن العربي الصوفي واختص به ، وقال الشعر .

وتوفي بحلب في رابع عشرين صفر سنة ست وأربعين وستائة .

ومن شعره [طويل] :

وقائلة : من أين أنت وحبهم
لك الخير ما هذا بوكرك فأدرجي
لئن كان قلدي ناقصاً قبل حبهم
وقال ، من أبيات [رمل] :

قدم العهد يجيران النقا
كلّ يوم لي شأن في الهوى
يا نسيماً هب مشكور الريا
وبريقاً لاح من جوههم
آه من شوقي إلى من قد غدا
وإذا لم يحتلهم ناظري
لو قطعت الدهر وصلاً كان لي
وأقال [كامل] :

وهواهم مستجد يا أخني
لا خلوت الدهر من هذا الهوى
أهدت الأشواق مسراه إليّ
حاكياً ذاك السنا من ثغر مي
بصري يلقاهم في كلّ شيء 5
أي نفع لي إذن في ناظري
قدر ما يثبت للطائر طي

وَصَلَتْ وفيها حاجتي مقضية
فَقَضَى الإلاه لك الحوائج كلها !
يَا مَنْ إذا ضاقت عليّ مطالبي
وَتَعَقَّدَتْ رُفَعَتْ إليه فحلّها

وقال [خفيف] :

ما على الصبّ في المحبة عار
ما لنا في هواكم قطّ عذر
تارة خيفة الرقيب ووقتاً
كلّ هذا يلذّ ما لم تملّوا
كيف شتم كونوا سوى الصدّ عني
[182 ب]
إنّما العار سلوة أو فرار
ولكم في وصالنا أعدار
حسن دلّ منكم وحيناً نفاً
ملك الإلف ما عليه اضطبار
فصدود الأحباب للقلب نارُ/

[وقال : بسيط] :

ناشدتك الله يا هطالة السحب
لكنّ أعظم ما ألقاه من ألم
لا أرضى للشوق أن يجري على قلم
أحبّابنا لا تلوموني على قلتي
5 خلّوا أحاديث أشجاني معنئة
وحدّثوا بمواجيدي على ثقة
إلا حملت تحيائي إلى حلب
أنّي أموت ، ولا تدري الأحبة بي
ماذا عسى يشرح المشتاق في الكتب ؟
كيف القرائ ، وخيل الشوق في الطلب ؟
عن الغرام عن الأنفاس عن كربي
فالوجد أصدق أنباء من الكتب

747 - المزيّ صاحب الشافعيّ [175 - 264] ⁽¹⁾

إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق ، أبو إبراهيم
المزنيّ - بضم الميم وفتح الزاي وبعدها نون - نسبته إلى مزينة بنت كلب بن

(1) وفیات 217/1 (93) ، الوافي 238/9 (4145) ؛ طبقات السبكي 238/1
ويكاد المقرئ ينقل عنها حرفياً ؛ النجوم 29/3 .

وضرة ، وهي أم عمرو وأوس أبي أدد بن طابحة بن إلياس بن مضر بن نزار -
ناصر مذهب الإمام الشافعي .

ولد سنة خمس وسبعين ومائة . وحدث عن الشافعي ونعيم بن حماد .
وروى عنه أبو بكر بن خزيمة ، وأبو جعفر الطحاوي ، وزكريا الساجي ،
وابن جوصا ، وعبد الرحمان بن أبي حاتم .

وكان مناظراً محجاً . قال في حقه الشافعي : لو ناظر الشيطان لعلبه .
وكان زاهداً ورعاً متقلاً من الدنيا مجاب الدعوة . وإذا فاتته الصلاة في
جماعة صلاتها خمساً وعشرين مرة ، استدراكاً لفضيلة الجماعة ، مستنداً في ذلك
إلى قوله ﷺ : صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين
درجة⁽¹⁾ .

قال ابن يونس : وكانت له عبادة وفضل ، ثقة في الحديث ، لا يختلف
فيه حاذق في الفقه ، يلزم الرباط . وكان أحد الزهاد في الدنيا ، ومن خيار خلق
الله تعالى . حدثني إبراهيم بن محمد بن الضحّاك قال : سمعت المزني يقول :
عانيت غسل الموتى ليرقّ قلبي ، فصار ذلك لي عادة .

وقال أبو الفوارس السندي : كان المزني والربيع رضيعين .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : كان زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاً غوّاصاً
على المعاني الدقيقة ، وهو إمام الشافعيين ، وأعرفهم بطرقه وفتاويه ، وما ينقله
عنه .

مصنفاته :

صنّف كتباً كثيرة ، منها : الجامع الكبير ، والجامع الصغير ، والمختصر ،
والمنثور ، والمسائل المعتبرة ، والترغيب في العلم ، وكتاب الوثائق ، وكتاب نهاية

(1) رواه السيوطي في الجامع الصغير 2 / 47 .

الاختصار .

وقال الشافعيّ : المزنيّ ناصر مذهبي .

وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصرة قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكراً لله تعالى .

وقال أبو العباس بن سريج : يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفتض ، وهو أصل الكتب المصنّفة في مذهب الشافعيّ ، وعلى مثاله ربّوا ولكلامه فسّروا وشرحوا . وبلغ من احتياطه وورعه أنّه كان يشرب في جميع فصول السنة في كوز نحاس . فقليل له في ذلك ، فقال : بلغني أنّهم يستعملون السرجين⁽¹⁾ من الكيزان والنار لا تُطهرها .

وقال الربيع : دخلنا على الشافعيّ عند موته ، أنا والبويطيّ والمزنيّ ومحمد ابن عبد الله بن عبد الحكم . فنظر إلينا ساعة فأطال ، ثمّ ألفت إلينا فقال : أمّا أنت يا أبا يعقوب فستموت في حديدك . وأمّا أنت يا مُزنيّ فستكون لك ببصر هيئات وهنات ، ولتدركنّ زماناً تكون [فيه] أقيسَ أهل ذلك الزمان . وأمّا أنت يا محمد فسترجع إلى مذهب أبيك . وأمّا أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب . قم يا أبا يعقوب فتسلّم الحلقة !

قال الربيع : فكان كما قال .

مناقبه :

وقال عمرو بن عثمان المكيّ : ما رأيتُ أحداً من المتعبدين في كثرة من [183 أ] لقيتُ منهم أشدّ اجتهاداً من المزنيّ ، ولا أدومَ على / العبادة منه ، ولا رأيتُ أحداً أشدّ تعظيماً للعلم وأهله منه . وكان من أشدّ الناس تضييقاً على نفسه ، وأوسعهم [م] في ذلك على الناس . وكان يقول : أنا خلُق من أخلاق الشافعيّ .

(1) السرجين : الأربال والفضلات .

وقال أبو عاصم العبادي : لم يتوصَّأ المُنْزِيَّ من حباب ابن طولون ، ولم يشرب من كيزانه ، لأنَّه جعل فيه سرجين ، والثَّارُ لا تطهره .

وتوفي [المُنْزِيَّ] يوم الأربعاء لأربع وعشرين ليلةً خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين بمصر . ودفن بالقرافة ، وقبره يزار ويُتبرَّك بالدعاء عنده .

وروي عن المُنْزِيَّ أنه قال : كنت يوماً عند الشافعيَّ أسأله عن مسائل بلسان أهل الكلام ، فجعل يسمع مِنِّي وينظر إليَّ ، ثمَّ يجيني عنها بأخصر جواب . فلما أكفيت قال : يا بنيَّ ، أدُّلُّك على ما هو خير لك من هذا ؟ قلت : نعم .

قال : يا بنيَّ ، هذا علم إن أنت أصبتَ فيه لم توجرَ ، وإن أخطأتَ فيه كفرتَ ، فهل لك في علم إن أصبتَ فيه أجرتَ ، وإن أخطأتَ لم تأثمَ ؟ قلت : وما هو ؟

قال : الفقه ! - فلزمته فتعلَّمتُ منه الفقه ودرستُ عليه . وكنت يوماً عنده إذ دخل عليه حفص الفرد فسأله سؤالات كثيرةً . فبينما الكلام يجري بينهما ، وقد دقَّ حتى لا أفهمه ، إذ ألَفت إليَّ الشافعيَّ فقال : يا مُنْزِيَّ ، تدري ما قال حفص ؟ قلت : لا .

قال : خيرٌ لك أن لا تدري !

وقال إمام الحرمين : إذا انفرد المُنْزِيَّ برأيٍ فهو صاحب مذهب . وإذا خرَّج للشافعيَّ قولاً ، فتخرِجه أولى من تخرِج غيره ، وهو ملتحق بالمذهب لا محالة .

وعنه أيضاً أنه قال : أرى كلَّ اختيار للمُنْزِيَّ تخرِجاً ، فإنَّه لا يخالف أصول الشافعيَّ ، لا كأبي يوسف ومحمد ، فإنَّها يخالفان أصول صاحبيهما .

748 - الموفق الدميّاطيّ ابن قادوس [510 -]

إسماعيل بن حسين بن حميد الفهريّ ، الدميّاطيّ ، الموفق ، سديد الدولة ، كافي الكفاة ، أبو الفضل ، المعروف بآبن قادوس ، ضامن الثغور كنيس ودمياط .

مات في شعبان سنة عشر وخمسمائة . وهو والد أبي الفتح محمود بن قادوس .

ترك ستة أولاد غير أبي الفتح ، وهم : أبو الفتح - وخدم في الأسطول والطراز ، وقتله يانس في وزارته في سنة ستّ وعشرين وخمسمائة ، وأبو الحسن ، مات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة في وزارة بهرام . وأبو عبد الله ، ضمن الثغور بعد أبيه ، وولي بعض الأعمال ، ومات بالمحلّة وحمل إلى القيس⁽¹⁾ فدفن بترتهم . وأبو المعالي ، قتله رضوان الوزير في شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة . وشرف الدولة المتجند⁽²⁾ .

ودفن الستّة مع أبيهم وأخيهم أبي الفتح تحت قبة بترتهم من القرافة .

749 - إسماعيل بن خلف الأندلسيّ [455 -]⁽³⁾

إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران ، أبو الطاهر ، الأنصاريّ ، الأندلسيّ ، ثمّ المصريّ ، المقرئ ، مصنّف كتاب : « العنوان في القراءات » .

-
- (1) القيس : قرية بعد الجزيرة غربيّ النيل (ياقوت) .
(2) هؤلاء خمسة ، مع أبي الفتح . وأبو الفتح ابن قادوس له ترجمة في الفوات 100 / 4 (512) : محمود بن اسماعيل (ت 551) .
(3) وفیات 233 / 1 (97) ؛ الصلة 105 / 1 (244) ؛ الوافي 116 / 9 (4031) ؛ غاية النهاية 164 / 1 .

أخذ القراءات عن عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي . وتصدّر للإقراء
زماناً ، ولتعليم العربية أيضاً ، وكان رأساً في ذلك .
أختصر كتاب الحجّة لأبي عليّ الفارسيّ .
أخذ عنه جماهير بن عبد الرحمان الفقيه ، وأبو الحسين الخشاب ، وولده
جعفر بن إسماعيل ، وغيرهم .
توفيّ في أوّل المحرمّ سنة خمس وخمسين وأربعمائة .

750 - ابن أبي الرّدّاد الكاتب [540 - بعد 620]

إسماعيل بن داود بن أبي الرّدّاد ، أبو عبد الرحمان ، الكاتب .
ولد سنة أربعين وخمسمائة .
سمع من أبي محمد بن رفاعه ، وحدث عنه . وناب بمِصر في ذي القعدة
سنة عشرين وستمائة .

751 - تاج الدين ابن خليل الحنفيّ [739 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن خليل بن [...] ، تاج الدين ، الحنفيّ .
كان فقيهاً نحوياً أصولياً فرضياً ، له مقدمة / في أصول الفقه . وله يدٌ طولى [183 ب]
في الفرائض .
وكان صالحاً عفيفاً زاهداً ، له مزايا كفلق الصّبح ، يخبر بأشياء غريبة من
مرائيه .

(1) الدرر 1 / 391 (926) ؛ المنهل 2 / 392 (429) .

وكان يرى في كلّ سنة ما يدلّ على النيل في زيادته ونقصه .
وكان صلواً ثقة ، تفقه عليه جماعة .
وتوفّي بالحسينيّة ظاهر القاهرة في الثامن من جمادى الآخرة سنة تسع
وثلاثين وسبعمائة .

752 - الموفق ابن المطران الطيب [587 - ⁽¹⁾]

أسعد بن إلياس بن جرجيس المطران ، أبو نصر ، موفّق الدين ، ابن أبي
الفتح ، الطيب .
كان نصرانيّاً ، وأسلم على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ،
وخلعه بالطبّ . وكان غزير المروءة حسن الخلق ، فيه تشيّع . وكان يصحب
صبيّاً أسمه عمر ، في غاية الحسن ، فقال فيه ابن عتّين ، يعرض بحبه للصبيّ
[بسيط] :

قالوا : الموفق شيعيّ فقلت لهم : هلاًّ خلافُ الذي للناس منه ظهر؟
وكيف يجعل دينَ الرّفض مذهبه وما دعاه إلى الإسلام غيرُ عمر !
توفّي الأسعد في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وكان
أوحد العلماء في زمانه في علم الطبّ وعمله - عارفاً بالعلوم الحكميّة متعبناً في
الفنون الأدبيّة .
ومولده ومنشؤه بدمشق . وكان أبوه أيضاً يعاني الطبّ ويجول في الأرض
في طلب الفضيلة ، وأشتغل على أمين الدولة ابن التلميذ . وأشتغل الموفق على
المهذّب ابن النقّاش .

(1) النجوم 6 / 113 ؛ شذرات 4 / 288 .

وكان جميل الصورة ، محباً لللبس الفاخر من الملابس . وخدم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان لا يفارقه في سفر ولا حضر . وقدم معه القاهرة ، وزوجه بعدما أسلم إحدى حظايا داره . وكانت له همة في تحصيل الكتب ، فبلغت كتبه نحو العشرة آلاف مجلد ، وكانت له عناية باستنساخ الكتب .

وممن أخذ عنه علم الطب المهذب أبو محمد عبد الرحيم بن عليّ الدخوار . ورأى في طريق حمص مجذوماً قد قوي به المرض حتى تغيّرت خلقته وتشوّهت صورته ، فأستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به ، فبقي كالمتبرّم من رؤيته وقال له : كل لحم الأفاعي .

فعاوده في المسألة فقال : كل لحوم الأفاعي ، فإنك تبرأ .

ومضى إلى حمص . ورجع فإذا بشاب حسن الصورة كامل الصحة قد سلّم عليه وقبل يده . فقال له : من أنت ؟
فعرّفه بنفسه ، وأنه المجذوم الذي شكّا إليه ، وأنه لما أستعمل ما وصفه له ، صلح به من غير أن يحتاج معه إلى دواء آخر . فتعجّب من ذلك في كمال برئه .

وله عدّة مصنفات ، منها كتاب البستان ، جعله جامعاً لكل ما وجده من ملح ونوادير سمعها أو طالعها .

وكتب بخطّه الحاوي لمحمد بن زكريا ، والقانون لأبي عليّ بن سينا ، والملكي ، والإقناع ، وشيئاً كثيراً من كتب جالينوس ، وروفس ، ومن المقالات الحكيمية وغيرها ، وكتاب حسن الخط .

وللشرف أبي المحاسن محمد بن عنين فيه أهاج كثيرة ، منها [وافر] :

وقالوا : أسعد بن ألياس أضحى رئيساً لا حوله يدُ السعود !

ولا أهجر الوجود وقد حواه فإن وجوده هجر الوجود !

753 - أبو الفداء المؤرخ [(672 - 732) ⁽¹⁾]

إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب بن شادي ،
الملك المؤيد ، عماد الدين ، أبو الفداء ، ابن الملك الأفضل ، ابن المظفر ابن
المنصور ابن المظفر تقي الدين ابن شاهنشاه ابن نجم الدين والد الملوك .

كان من جملة أمراء دمشق . فلما توجه الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى
الكرك خدمه خدمةً زائدة . فلما عاد إلى ملك مصر مرّة ثالثة بعد فرار الملك
المظفر بيبرس رعى له حقّ الخدمة .

وأتفق قدوم الأمير مهتّا أمير عرب الشام على السلطان فسأله في أشياء ،
[184 أ] منها ولاية عماد الدين حماه / . فأجاب سؤاله وولّاه حماه عوضاً عن
أَسَدْمَرْكُرْجِي⁽²⁾ . فسار من دمشق في جمادى الآخرة سنة عشر وسبعائة ، فلم
يُسَلِّمه أَسَدْمَرْحَمَه . فأقام بين حماه وحمص ، وكتب يخبر السلطان .

فأتفق موت الأمير قبجق نائب حلب . فنقل أسندمر إلى نيابة حلب .
وتسلّم عماد الدين حماه ، وجعله السلطان صاحبها ، ولقبه « الملك الصالح »
مدة . ثمّ إنّه لقبه بـ « الملك المؤيد » وحكّمه في حماه يفعل فيها ما يختار من إقطاع
وولاية من غير مراجعة ، وأذن له أن يخطب له بحماه وأعمالها ، على ما كان عليه
الملك المنصور⁽³⁾ ، فلم يزل على ذلك .

وقدم إلى مصر في تاسع عشر جمادى الأولى سنة ستّ عشرة فأنزل بمنابر

(1) المهمل 399 / 2 (437) ؛ النجوم 292 / 9 ؛ الدرر 391 / 1 (941) ؛ فوات
1 / 183 (71) ؛ الوافي 173 / 9 (4085) ؛ السلوك 87 / 2 ؛ شذرات 6 /
98 ؛ طبقات الشافعية (1345) ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1 / 122 .

(2) أسندمر كرجي : له ترجمة في المقفى ، رقم 788 .

(3) في المهمل : على ما كان عليه سلفه من ملوك حماه .

الكبش ، وأجريَ له من الرواتب ما يليق به . فحمل تقدمته من الغد ، ولقي السلطان فبالغ في تكريمه ، إلى أن سافر إلى بلده في تاسع عشرين جمادى الآخرة .

ثم قدم في شوال سنة تسع عشرة ، وتوجه مع السلطان إلى الحج . فلما عاد عظم في عين السلطان لما رآه من آدابه وفضائله وعلومه .

وأركبه في يوم الخميس سابع عشرين المحرم سنة عشرين وسبعائة بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين . وسار عنها ، والأمير فجلّيس السلاحدار حاملٌ وراءه السلاح ، والأمير أُلجّاي الدوادار حامل الدواة ، والأمير بيبرس الأحمدي أمير جاندار ، والأمير جمال الدين والأمير طيبرس والغاشية ، والعصائب ⁽¹⁾ ، وجميع دست السلطنة ، وجميعهم بالخلع والتشريف ، إلى أن خرج من القاهرة ، وصعد قلعة الجبل ، وقبل الأرض ، وجلس في الخدمة رأس الميمنة . ولقبه السلطان يومئذ بالملك المؤيد . وسار من يومه ، وفي خدمته كريم الدين ناظر الخاص ، إلى قبة النصر خارج القاهرة ، حتى رتب له كل ما يحتاج إليه في السفر . فكانت الخلع والتشريف على من كان معه في هذا اليوم من أهل الدولة مائة وثلاثين تشريفاً ، منها ثلاثة عشر أطلس ، وباقيها ما بين طرد وحش وكنجي ⁽²⁾ وعمل الدار .

وقدم أيضاً في سنة ثنتي وعشرين بهداياه وتحفه على العادة . وتوجه مع السلطان إلى بلاد الصعيد ، حتى قارب قوص .

وعاد أول المحرم سنة ثلاث وعشرين ، فخلع عليه ، وعاد إلى حماه . فلم يزل بها حتى مات يوم سابع عشرين المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة ، وهو في سن الكهولة ، فأخفي موته يومين ، حتى بعثت أمّ ولده إلى الأمير تنكر

(1) العصائب : رايات مطرزة عليها اسم السلطان (النجوم 9 / 61 هامش 2) .

(2) الكنجي : نسيج من حرير وقطن (دوزي) .

نائب الشام بجواهر ثمينه ، وسألته إقامة ابنها الأفضل محمد على مملكة حماه ، وأن يشفع إلى السلطان في ولايته . فأجاب سؤالها ، وبعث البريد إلى السلطان بذلك . فكثر أسف السلطان على فقد المؤيد ، وحزن عليه . وقبل شفاعة تنكر في الأفضل وأنعم عليه بجماه على قاعدة أبيه وجدّه ، ورسم بإحضاره كما قد ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

وكان المؤيد كريماً فاضلاً عارفاً بالفقه والطب والفلسفة وغير ذلك ، وله يدٌ طولى في الهيئة ، ومشاركة جيّدة في غالب العلوم . وكان يحبّ أهل العلم ويقرّبهم ويؤويهم إليه . وأختصّ بعبد الرحمان بن عمر الأبهريّ ، وأجرى له ما يكفيه . ورّبّ للجمال محمد بن نباتة الشاعر في كل سنة ستمائة درهم يبعث بها إليه إلى دمشق ، سوى ما يتحفه به .

ونظم كتاب « الحاوي » ⁽²⁾ في الفقه على مذهب الشافعيّ ، وكان يعرفه معرفةً جيّدة .

وله كتاب التاريخ ⁽³⁾ ، حوى ، مع اختصاره ، فوائد جليّة .

وله كتاب « الكتّاس » ، عدّة مجلّدات كثيرة . وكتاب « نعيم البلدان » ، أبدع فيه وأجاد . وكتاب « الموازين » ، وشعره جيّد .

وكان السلطان [الملك الناصر] يكتب إليه : « أخوه محمد بن قلاوون ، أعزّ الله أنصار المقام الشريف العالي السلطان الملكي المؤيدي العمادي » بلا [184 ب] مولوي / ⁽⁴⁾ .

وكتب إليه الأمير تنكر : نقبل الأرض بالمقام الشريف العالي السلطاني

(1) ترجمة الأفضل محمد بن إسماعيل مفقودة .

(2) الحاوي في الفقه للقرظيني (ت 668) .

(3) هو مختصر تاريخ البشر .

(4) هكذا في المنهل 400/2 أيضاً . والمولويّ ترد في مراسلات تنكر الآتية .

المولويّ الملكيّ المؤيّد العادي - وفي العنوان : صاحب حمّاه .

ويكاتبه سائر التّوّاب بتقبيل الأرض ، وينهى .

وقدم مرّةً ومعه ابنه الأفضّل محمد إلى القاهرة ففرض [الأفضّل] ، فأرسل إليه السلطان رئيس الأطباء جمال الدين إبراهيم بن المغربيّ ، ففلازمه بكرة وعشيّاً ، حتى برئ ، والمؤيّد يبحث معه في ذلك المرض . ويقرّر دواءه ، ويطبّخ له الشراب بيده في دست من فضّة ، حتى كان آبن المغربيّ يقول له : يا خوند ، أنت والله ما تحتاج إليّ . وما أجيء إلّا أمثالاً لأمر السلطان .

فلما عوفي الأفضّل أعطى المؤيّد لآبن المغربيّ بغلةً بسرج ولجام وكنبوش زركش ، وبعية قماش ، ومبلغ عشرة آلاف درهم ، وقال له : يا مولانا ، أعذرنيّ ، فإنّي لمّا خرجتُ من حمّاه ما حسبت مرض هذا الآبن . فأمهلي حتى أتوجّه إلى حمّاه .

ومدحه شعراء زمانه ، وأجازهم .

وفرق كثيراً من كنبه ، ووقف منها جملة .

ورثاه ابن نباتة⁽¹⁾ بقصيدة أولها [بسيط] :

مَا لِلنَّدَى لَا يَلْبَى صَوْتُ نَادِيهِ أَظُنُّ أَنَّ آبنَ شَادِي قَامَ نَاعِيهِ

ومن شعر المؤيّد [كامل] :

اقْرَأْ عَلَى طَيْبِ الْحَيَا	فَ سَلَامَ صَبٍّ ذَابَ حُرْنَا
وَأَعْلَمَ بِذَاكَ أَحَبَّةَ	بِخَلِّ الزَّمَانُ بِهِمْ وَضُنَّا
لَوْ كَانَ يُشْرَى قَرَبَهُمْ ،	بِالْمَالِ وَالْأَرْوَاحِ جُدْنَا
مَنْجَرَعٍ كَأْسُ الْفَرَا	قَ بَيْتٍ لِلْأَشْجَانِ رَهْنَا
صَبٍّ قَضَى وَجِدًا وَلَا	يُقْضَى لَهُ مَا قَدْ تَمَنَّى

(1) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الفارقيّ (ت 768) .

وقال [وافر] :

سرى مسرى الصبا فعجبت منه من الهجران كيف صبا إليّ
وكيف ألمّ بي من غير وعدٍ وفارقني ولم يعطف عليّ

وقال [كامل] :

أحسنُ به طرفاً أفوت به القضا إن رمته في مطلب أو مهرب
مثل الغزالة ما بدت في مشرق إلّا بدت أنوارها في المغرب

754 - الحافظ أبو سعد السّمّان [445 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن عليّ بن الحسين بن محمد بن الحسن بن زنجويه ، الرازيّ ،
أبو سعد ، السّمّان ، الحافظ ، الزاهد ، المعتزليّ ، الفقيه الحنفيّ ، شيخ
المعتزلة وعالمهم وفقههم ومتكلّمهم ومحدّثهم .

كان إماماً في القراءات والحديث ومعرفة الرجال والأنساب والفرائض
والحساب والشروط والمقدّرات ، وفقه أبي حنيفة وأصحابه ، ومعرفة الخلاف
بين أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله ، وفي فقه الزيدية وفي الكلام .

وكان يذهب مذهب أبي الحسين البصريّ ، وأبي هاشم الجبّائي .

ورحل إلى الحجاز ، والعراق ، وبلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، ولقي
الرجال ، فيقال إنّه أخذ عن أربعة آلاف شيخ ، وإنّه قرأ عليه ثلاثة آلاف
رجل .

وقصد أصبهان في آخر عمره لطلب الحديث .

(1) شذرات 3/ 273 ؛ تذكرة الحفاظ 1121 (1007) ؛ الأعلام 1/ 316 .

وكان زاهداً ورعاً قواماً مجتهداً صواماً قانعاً راضياً ، أتى عليه أربع وسبعون سنة ولم يُدخل إصبعه في قصعة إنسان ، ولم يكن لأحدٍ عليه مِنةٌ ولا يدٌ في حضره ولا في سفره . ومات ولم يكن له مظلمة ولا تبعة . وكانت / أوقاته [185 أ] موزعة للعبادة .

ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتغرر بحلاوة الإسلام .
وله عدة مصنفات .

ولم يتزوج قط ، حتى مات بالري في ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وأربعين وأربعمائة .

755 - عز الدين الإسنائي [700 -]

إسماعيل بن علي بن هبة الله ، عز الدين ، الإسنائي ، الحميري ، الشافعي .

برع في عدة علوم . وصنف كتاباً في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وسمع الحديث ، وأكب على الاشتغال ، وناب في الحكم عن ابن دقيق العيد ، وابن بنت الأعز .

ثم توجه إلى الشام ، وولي الأوقاف بحلب مدة . وتصدّر للإفادة فتخرج به جماعة .

ثم عاد إلى القاهرة في سنة سبعمئة فمات فيها .

وكان متضلّعاً من العلوم العقلية كريماً مُحسناً ، وهو أسنّ من أخيه نور الدين عليّ ، ولها أخ اسمه الفضل . وقد ذكرنا⁽¹⁾ .

(1) ترجمتا الفضل وعليّ أخويّ العزّ الإسنائيّ مفقودتان .

756 - ابن شبيب الرومي العطّار [551 - 606]⁽¹⁾

إسماعيل بن عمر بن نعمة بن يوسف بن شبيب ، الروميّ ، العطّار ، أبو الطاهر ، الحنبليّ ، الأديب .

ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وكان مولعاً بالأدب ، عارفاً بالعقاقير . وله مصنّفات أدبيّة . [وله ممالك ، منها : مائة غلام ومائة جارية . ومات بمصر في العشرين من المحرم سنة ست وستائة .

757 - ابن راشد الحدّاد المقرئ [429 -]⁽²⁾

إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل بن راشد ، الحدّاد ، المقرئ . قرأ على عبد العزيز ابن الإمام [وغزوان] بن القاسم ، وغيرهما . وسمع من الحسن بن رثيق ، وأحمد بن محمد بن سلمة الحنّاش ، وغيرهما . قرأ عليه أبو القاسم [يوسف] الهذليّ وغيره .

وحدّث عنه سعد بن عليّ الرّحانيّ ، وأبو الحسن الخلعيّ . ومات سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

(1) شذرات 19/5 ، والزيادة منها .

(2) طبقات القراء 167/1 (775) والزيادة منها .

758 - أبو عليّ القاليّ البغداديّ [288 - 356]⁽¹⁾

إسماعيل بن القاسم بن عيذون - بعين مهملة وياء ساكنة ، ثم ذال معجمة ، بعدها واو ساكنة ثم نون - بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان [وسلمان جدّه] مولى عبد الملك بن مروان ، أبو عليّ ، البغداديّ ، القاليّ . ولد بمنّا زكرد من ديار بكر سنة ثمان وثمانين ومائتين . ورحل إلى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة . وأقام بالموصل وكتب [الحديث] عن أبي يعلى الموصليّ وغيره .

ثمّ دخل بغداد سنة خمس وثلاثمائة ، فأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، يكتب الحديث . فكتب عن أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستانيّ ، وأبي محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، وأبي عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب القاضي ، وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغويّ ، المعروف بأبن بنت منيع ، وإبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشميّ ، وأحمد ابن إسحاق بن البهلول القاضي ، وأبي عبد الله الحسين القاضي ، وأبي عبيد أخيه القاضي⁽²⁾ ، ابنيّ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضمّيّ ، المعروف بأبن المحامليّ ، وأبي بكر يوسف بن يعقوب بن البهلول الأزرق الكاتب ، وأبي بكر محمد بن أحمد البُستَبان ، وابن قطن الإسكافيّ ، وأبي سعيد الحسن⁽³⁾ بن عليّ بن زكريا بن يحيى العدويّ .

(1) طبقات الزبيديّ 185 (111) ، وعنّها نقل المقرئيّ معظم الترجمة . الوفيات 1 / 226 (95) ، الوافي 9 / 190 (4097) .

(2) عند الزبيديّ : القاسم .

(3) عند الزبيديّ : الحرّ .

وسمع الأخبار واللغة من أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ
 القصريّ ، وأبي بكر محمد بن القاسم بن بشّار الأنباريّ ، وأبي عبد الله إبراهيم بن
 محمد بن عرفة ، المعروف بنفطويه ، وأبي بكر محمد بن السريّ السراج
 النحويّ ، ومن أبي بكر محمد بن شقير النحويّ . ومن أبي إسحاق إبراهيم بن
 آسريّ بن سهيل الزجاج النحويّ ، ومن أبي الحسن عليّ بن سليمان بن
 الفضل الأخفش ، ومن أبي بكر محمد بن محمد بن أبي الأزهر ، ومن أبي محمد
 عبد الله بن جعفر بن درستويه - أخذ منه كتاب سيبويه عن المبرد - وأبي جعفر
 أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة - أخذ منه كتب أبيه - ومن أبي بكر أحمد
 ابن محمد بن موسى بن مجاهد المقرئ - قرأ عليه القرآن بحرف أبي عمرو بن
 العلاء ، وأخذ كتابه في القراءات السبع ، وغير ذلك - ومن أبي عمر محمد بن
 عبد الواحد المطرّز ، غلام ثعلب - حدّثه عن ثعلب - ومن أبي بكر محمد بن
 عبد الملك التارنجيّ ، ومن أحمد بن يحيى المنجّم النديم - أخذ منه كتاب أبيه
 [185 ب] وغيره / ذلك - ومن أبي عليّ الحسن بن عليّ بن نصر الطوسيّ - أخذ منه كتاب
 الزبير بن بكار في النسب - ومن أحمد بن سعيد الدمشقيّ .

وخرج عن بغداد آخر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، ودخل إلى الأندلس
 في سنة ثلاثين وثلاثمائة . فقدم قرطبة لثلاث بقين من شعبان سنة ثلاثين
 وثلاثمائة ، قاصداً الناصر عبد الرحمان ، فأكرمه . وصنّف له ولولده الحكم
 تصانيف ، وبثّ علومه هناك .

وروى عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ النحويّ ، مع إمامته . وكان
 الحكم المستنصر ، قبل ولايته الخلافة وبعدها ، يُنَشِّطُ أبا عليّ ويبيعه على التأليف
 بوسع العطاء ، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام . وكانوا يسمّونه
 البغداديّ ، لوصوله إليهم من بغداد . ويقال إنّ الناصر استدعاه من بغداد ،
 لولائه فيهم .

ولم يزل مكرماً حتى مات بها ليلة السبت لسبع خلون من جمادى الأولى

سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة .

قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ : وله عدّة مصتفات ، أملاها عن
ظهر قلب ، منها : كتاب النوادر ، أمّله ظاهراً ، وأرتجل تفسير ما فيه ، وهو
غاية في معناه . وهو أنفع الكتب لأنّه فيه الخبر الحسن ، والمثل المتصرّف ،
والشعر الفائق المتقى في كلّ معنى . وفيه أبواب من اللغة مستقصاة ليست توجد
في غيره من كتب اللغة بكمال ما هي في هذا الكتاب . وفيه الإبدال والقلب ،
مستقصىّ ، وفيه تفسير الإتياع ، وهو ممّا لم يسبقه أحد إليه ، في فوائد كثيرة .
ومنها كتابه في الممدود والمقصور ، بناء على التفعيل ، ومخارج الحروف من
الحلق ، مستقصىّ في بابه لا يشدّد عنه شيء من معناه ، ولم يوضع له نظير .
ومنها : كتابه في الإبل ونتاجها وما تصرّف معها .

ومنها : كتابه في حلي الإنسان ، والخيل وشياتها .

ومنها : كتابه في فعلت وأفعلت . وكتابته في مقاتل الفرسان ، وكتابته في
تفسير القصائد السبع المعلقات ، وتفسير إعرابها ومعانيها .

إلى كتب كثيرة أرتجل جميعها وأملاها عن ⁽¹⁾ ظهر قلبه .

وألف كتاب البارع في اللغة ، بناء على حروف المعجم ، وجمع فيه كتب
اللغة ، وعزا كلّ كلمة من الغريب إلى ناقلها من العلماء ، وأختصر الإسناد
عنهم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، ولا نعلم أحداً من العلماء
المتقدمين والمتأخّرين ألف نظيره في الإحاطة والاستيعاب .

والقالي نسبة إلى قالي قلا ، وهي مدينة من مدن أرمينية ، منها ابتداء
الأنهار العظام : الفرات ، والرسّ ، والكرّ ⁽²⁾ وغير ذلك . وإنّما نسب إليها

(1) في المخطوط : على .

(2) الرّسّ والكرّ : يجتمعان قرب مدينة البيلقان ثمّ يصبّان في بحر جرجان (ياقوت : الرسّ) .

لأنه لما انحدر إلى بغداد في رفقة فيها أهل قاليقلا ، قيل ⁽¹⁾ له : « القالي » من أجل هذا .

قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي القاضي : كتبتُ إلى أبي عليّ البغداديّ أستعير منه كتاب الغريب ، وقلت [بحث] :

بحقِّ ريمٍ مُهَفِّفٍ وصدغه المَتَعَطِّفُ
أبعث إليّ بجزء من «الغريب المصنَّف» ⁽²⁾

فقضى حاجتي وأجاب بقوله :

وحقُّ دُرٍّ تَأَلَّفَ بفيك أيّ تَأَلَّفَ
لأَبْعَثَنَّ بما قد حوى الغريب المصنَّف
ولو بعثت بنفسي إليك ما كنت أُسْرِفُ

ومدحه يوسف بن هارون الرماديّ .

759 - جمال الدين ابن منقذ [569 - 626] ⁽³⁾

إسماعيل بن مبارك بن كامل بن مقلّد بن عليّ بن نصر بن منقذ ، الأمير جمال الدين ، أبو الطاهر ، ابن سيف الدولة أبي الميمون ، الكنانيّ ، الشيزريّ الأصل ، المصريّ المولد والدار .

مولده بالقاهرة في العشرين من شهر رجب سنة تسع وستين وخمسمائة .
وسمع من السلفيّ ، ومن والده بمصر ، وحدث . وتقدّم في معرفة الأدب

(1) في المخطوط : فليل .

(2) كتاب الغريب المصنّف لأبي الطيّب اللغويّ (ت 206) .

(3) الوافي 9 / 195 (4100) .

وقال الشعر . وحظي عند الملك الكامل محمد ابن العادل . وبعثه في الرسالة إلى الفرنج ، وهو على قتالهم ، فدخل دمياط . وكان يختم بها كل يوم ختمة . وتولى حرّان ، ومات بها في رمضان سنة ستّ وعشرين وستّائة .

760 - ابن الزيّات المصريّ [599 -]

[186 أ] إسماعيل بن القاسم بن عبد الله الزيّات ، أبو طاهر / ، المصريّ . سمع من أبي عبد الله الرازيّ أربعة عشر جزءاً من معجم البغويّ . وسمع من أبي الحسن الفزاري ، وعاد . وشهد ابن يحيى ، وغيرهما . ومات بمصر في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

761 - ابن النحاس المصريّ [354 - 430]

إسماعيل بن أبي محمد ابن النحاس ، المصريّ . ولد في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . ومات في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة .

762 - ابن طباطبا الرسيّ [337 -]

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسيّ ، ابن إبراهيم طباطبا ، ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عليهم السلام ، أبو إبراهيم ، ابن أبي عبد الله [. . .] . كان يتولّى النظر في أمور الطالبين بمصر بإلزام السلطان له لصيانته .

وكان يصنّف الكتب ويقول الشعر .

توفي في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة بمصر ، ودفن مع جدّه إسماعيل⁽¹⁾ في قبر واحد .

ولمّا استتر سهل بن محمد الكاتب البغدادي طلبه الأمير أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد طلباً شديداً ، فعرف أنّه عند أبي إبراهيم الرّسيّ . فأرسل إليه ، فخرج إلى الرّسل وصاح عليهم . فعادوا إلى الإخشيد ، فغضب وقال لمنجح غلامه : أركب في مائة فارس واكبس دار أبي إبراهيم ، وخذ منه سهلاً الكاتب ، فركب منجح . وبلغ إبراهيم فأغلق بابه ، ولبس درعاً وتقلّد سيفاً وأخذ اللّرة ، وفتح الباب وقال لمنجح : تقدّم ! فوالله لا طمعت في الدخول أو أقتل !

فأرسل إلى الإخشيد ، فأخبره . فأرسل إليه : أنصرف ! - ثمّ بعث إلى أبي إبراهيم : أركب ! - فركب . فلمّا دخل عليه قال : يا أبا إبراهيم ، الحرب ؟

قال : نعم .

قال : فبحقّي عليك ، سهلٌ عندك ؟

قال : نعم .

قال : هو آمنٌ . ولهذا خائمي وأماني . والساعة أزدادت رغبتي فيك يا شريف ، فأحضّر سهلاً آمناً !
وتعجّب الإخشيدُ من فعله .

(1) في المخطوط : مع أبيه إسماعيل .

763 - إسماعيل الكوراني [665 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن محمد بن أبي بكر بن خسرو الكوراني ، الشيخ الصالح .
كان مقامه في مدينة قلوب .
وتوفي بمدينة غزة قافلاً من مصر إلى بيت المقدس في الثاني والعشرين من
شهر رجب سنة خمس وستين وستائة . ودُفن بظاهر البلد .

764 - القاضي ابن اليسع الكندي [- بعد 167]⁽²⁾

إسماعيل بن الربيع بن اليسع ، أبو الفضل وأبو عبد الرحمان ، الكندي ،
النسفي ، الكوفي ، قاضي مصر ، وأول من ولي قضاء مصر على مذهب الإمام
أبي حنيفة .

قدم مصر قاضياً من قبل أمير المؤمنين المهدي محمد ابن أبي جعفر ، عوضاً
عن عبد الله بن لهيعة ، بإشارة يعقوب بن داود ، في سنة أربع وستين ومائة .
روى عنه من أهل مصر عبد الله بن وهب ، وسعيد بن سابق ، وسعيد
ابن أبي مريم ، وأبو صالح الحراني .

قال سعيد ابن أبي مريم : قدم علينا إسماعيل [بن الربيع] بن اليسع
قاضياً بعزل ابن لهيعة ، وكان من خير قضاتنا ، غير أنه كان يذهب إلى مذهب
أبي حنيفة ، ولم يكن من أهل مصر ، فشتوه . وكان مذهبه إبطال الأحباس ،
فثقل على أهل مصر . وجاء رجل إلى الليث بن سعد فقال : ما تقول في رجل

(1) الوافي 212/9 (4117) ؛ المنهل 427/2 (453) ؛ شذرات 317/5 .

(2) الولاة والقضاة 371 والترجمة منقولة عنه ؛ رفع الإصر لأبن حجر 126/1 .

قال لرجل : يا مأبون ! يا مَنْ يُنكح في دبره !

فقال الليث : يصير إلى القاضي إسماعيل بن اليسع .

فقال : قد صرت إليه . فقال : تقول له مثل ما قال لك .

فقال الليث : سبحان الله ! وهل يقال للزانية ذلك ؟⁽¹⁾ .

فكتب الليث فيه إلى أمير المؤمنين فعزله .

وقال يحيى بن بكير : كان إسماعيل بن اليسع مأموناً فقيهاً ، وكان يصلي بنا الجمعة وعليه كساء مرّج من صوف وقطن ، وقلنسوة خزر⁽²⁾ .

وقال ابن قديد عن يحيى بن عثمان : جاء الليث إلى إسماعيل بن اليسع فجلس بين يديه ، فرفعه إسماعيل . فقال : إنّما جئت مخاصماً لك .

قال : في ماذا ؟

قال : في إبطالك أحباس المسلمين . قد حبّس رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير . فمن بقي بعد هؤلاء ؟ - وقام . وكتب إلى المهديّ فورده الكتاب بعزله . فأتاه الليث وجلس إلى جنبه وقال للقارئ : أقرأ كتاب أمير المؤمنين !

[186 ب] فقال له إسماعيل : يا أبا الحارث ، وما / كنت تصنع بهذا ؟ أما والله لولا أمر السلطان⁽³⁾ ، ثمّ لو أمرتني بالخروج لخرجتُ .

فقال له الليث : إنّك ما علمتُ لعقيفٌ عن أموال الناس .

وقال ابن عبد الحكم : كتب فيه الليث إلى المهديّ : إنك وليت رجلاً يكيد سنة رسول الله ﷺ بين أظهرنا ، مع أنّا ما علمنا عليه في الدينار والدرهم

(1) عند الكندي : ألا ذلك . وعند ابن حجر : وهل يقال لهذا ؟

(2) في المخطوط : حبر . والإصلاح من رفع الإصر 1 / 126 .

(3) هذه الجملة غير موجودة في رفع الإصر ، وهي بعد غير مفيدة .

إلا خيراً - فكتب بعزله .

وفي رواية : كتب الليث فيه : إنا لم ننكر عليه شيئاً غير أنه أحدث أحكاماً لا نعرفها .

وقال ابن عُقَيْر : إنَّ إسماعيل بن الربيع كان رجلاً صالحاً . وكان إبراهيم ابن صالح بمصر أميراً ، وسراج بن خالد على البريد ، فأراداه على الحكومة لها بشيء فامتنع . فأحتالاه بعسامة بن عمرو فأدخله حمامه وأطعمه سمكاً فرض . فكتب إبراهيم بن صالح وسراج بن خالد إلى المهديّ يذكر[ان] أنه فليج . فكتب بصرفه ، فُرِدَ الأمر إلى غوث بن سليمان [الحضرمي الصوراني] ، وكان صرفه في سنة سبع وستين ومائة .

765 - أبو الطاهر العقيليّ المقرئ [454 - 523] ⁽¹⁾

إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، أبو الطاهر ، المقرئ . ولد سنة أربع وخمسين . وسمع من عليّ بن هبة الله الكامليّ ، وسعيد المأمونيّ ، وعبد الرحمان السيفيّ ، والبوصيريّ ، وأبي محمد بن برّيّ ، وغيرهم .

وتصدّر بالجامع الطاري ⁽²⁾ ، وأخذ عند جماعة .

ومات في رجب سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

(1) طبقات القراء 165 / 1 (768) وفيه : إسماعيل بن ظاهر .

(2) هكذا في المخطوط ، ولم نجد لهذا الجامع ذكراً بالمخطوط .

766 - القاضي علم الدين الصويتي [549 - 610] ⁽¹⁾

إسماعيل بن عبد الجبار بن يوسف بن عبد الجبار بن شبل بن عليّ ،
القاضي علم الدين ، أبو الطاهر ، ابن القاضي الأجلّ الأكرم أبي محمد ، ابن
القاضي الأجلّ أبي الحجاج ، الجذاميّ الصويتيّ ، المقدسيّ الأصل ، القاهريّ
المولد والدار .

مولده في سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وقرأ الأدب على أبي بريّ ،
وصحب شيخ الديوان يومئذ ، السيد أبا القاسم ، المعروف بكاتب ناصر
الدولة ، وكان أحد فضلاء زمانه ، فانتفع بصحبته .

وسمع بالإسكندرية من السلفيّ .

وحدث بدمشق .

وتولّى ديوان الجيوش وغيرها للسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
أيّوب ، ولابنه الملك العزيز عثمان ، وللملك الأفضل علي بن صلاح الدين ،
وللملك العادل أبي بكر بن أيّوب .

فلما ولي صاحب صفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شكر وزارة الملك
العادل ، وأخذ في الإيقاع بأكابر مصر ، قرّ منه إلى حلب ، وأقام بها حتى مات
فيها لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة عشر وستائة .

وله شعر وترسل . ومن العجب أن العلم لهذا وولده عاشا عمراً واحداً ،

(1) الوافي 9 / 141 (3043) ؛ تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لأبن الفوطيّ
ج 4 قسم 1 ، تحقيق مصطفى جواد ج 1 ص 568 رقم 824 : ذكر أسمه لا غير .

وهو إحدى وستون سنة ، وتوفي في ذي القعدة ، وولي كل منها ديوان الجيش عشرين سنة .

ووالده عبد الجبار أحد كتّاب الدولة الفاطمية . وجدّه أبو الحجّاج يوسف ولد بالقدس⁽¹⁾ وقدم إلى مصر وأشتغل بالفقه ، وتولّى الحكم بالغريّة وغيرها . وكان للعلم هذا ولدان ، هما أبو الحسين ضياء الدين محمد ، وأبو الحجّاج جمال الدين يوسف ، كانا فاضلين .
وقد ذكر الجميع في هذا الكتاب⁽²⁾ .

(3) 767 - نبيه الدين الأنصاريّ الكاتب [533 - 613]

إسماعيل بن عبد الرحمان بن أحمد ، الشيخ أبو الطاهر ، نبيه الدين ، الأنصاريّ ، الكاتب .

سمع من الحافظ السلفيّ ، وأبي محمد عبد الله بن عطاء بن ثعلب⁽⁴⁾ المالكيّ ، والأديب أبي الحسن عمارة اليمنيّ ، وأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن نجا الأنصاريّ ، وغيرهم ، وحدث .

وتولّى الاستيفاء بديوان الأحباس بمصر .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ثالث عشرين ذي الحجة ، وكتب بخطّه الحسن كثيراً .

وتوفي ليلة العشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستائة .

(1) في المخطوط : بالقيس ، وسبق أن قال : المقدسيّ الأصل .

(2) ترجمة الولدتين مفقودة .

(3) انكسلة لوفيات النقلة 2 / 377 (1483) .

(4) في التكملة : ابن ثعبان .

768 - فخر الدين الإمام الإسناي [720 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن عبد القويّ بن الحسن بن حيدرة الحميريّ ، الإسنايّ
الأصل ، الفرّميّ ، المعروف بالإمام .
تفقّه على البهاء القفطيّ . وأمّ بالمدرسة [العزّة] بإسنا ، وناب في الحكم
في منشأة إخميم ، وطوخ ، والمراغة .
ثمّ نزل قوص إلى أن مات في جادى الآخرة سنة عشر [ين] وسبعائة .
ذكره الكمال جعفر .

769 - أبو الطاهر الديباجيّ [572 -]

إسماعيل بن عبد الرحمان بن يحيى بن إسماعيل ، العثمانيّ ، الديباجيّ ،
أبو الطاهر / [. . .]⁽²⁾ .
توفي يوم الأربعاء [. . .] ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة .

770 - الحافظ تقيّ الدين الأنماطيّ [619 -]⁽³⁾

إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن أبي بكر بن هبة الله بن حسن بن
عبد الله ، الحافظ ، تقيّ الدين ، أبو الطاهر ، الأنصاريّ ، المصريّ ،
.....
(1) الوافي 9 / 145 (4048) ؛ الطالع السعيد 161 (91) ؛ المنهل 2 / 397 (435) ؛
الدرر 1 / 393 (934) وفيها : لقبه فخر الدين .
(2) سقوط في المخطوط بين اللوحتين ، والتعليقة لا توافق رأس اللوحة الموالية .
(3) الوافي 9 / 146 (4051) ؛ شذرات 5 / 84 ؛ النجوم 6 / 254 ؛ والترجمة مكرّرة
تباعاً وجعلنا بين مرتّعين ما زاد .

الأنمَاطيَّ ، الشافعيَّ .

ولد بمِصر وسمع بها من أبي عبد الله محمد بن عبد المولى ، وأبي القاسم هبة الله بن عليّ البوصيريّ ، وأبي الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم الدلجيّ ، وجماعة كبيرة .

وسمع بمَكّة من أبوي عبد الله محمد بن عبد الله الإسكندرانيّ ، ومحمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازيّ ، وغيرهما .

ودخل إلى دمشق سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وأستوطنها وأنقطع إلى الحافظ أبي القاسم علي بن عساكر وسمع منه كثيراً . وسمع من التاج [أبي اليمن زيد بن الحسن] الكنديّ ، وأبي القاسم عبد الصمد بن محمد الحرستانيّ . وجماعة كثيرة .

ثمّ حجّ . ودخل بغداد ، فسمع بها من حنبل بن عبد الله بن فرح [البغداديّ] وأبي حفص بن طبرزد ، وغيرهما .

ودخل واسط ، وسمع بها [من أبي الفتح محمد بن أحمد بن بختيار وغيره] .

وعاد إلى دمشق . ثمّ قدم مصر في سنة ثلاث وستمائة ، وحدث بها بشيء من مجموعاته . وحدث بدمشق . وكتب الكتب ، وحصل كتباً كثيرة .

وتوفّي بدمشق في ليلة الثالث عشر من شهر رجب سنة تسع عشرة وستمائة .

[وكان أولاً مالكيّ المذهب ، ثمّ انتقل إلى مذهب الشافعيّ ، وبلغت عدّة مشايخه ألف شيخ] .

771 - أبو الحسن النحاس المقرئ [- بعد 280] ⁽¹⁾

إسماعيل بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن عبد الله ، أبو الحسن ،
النحاس ، مقرئ الديار المصرية .

جود القرآن على أبي يعقوب الأزرق صاحب ورش . وتصدّر للإقراء
مدّة ، وقرأ عليه خلق لإتقانه وتجويده وبصره بقراءة ورش . وكان قد قرأ على
الأزرق سبع عشرة ختمّة ، وقرأ على عبد القويّ بن كمّونة ختمتين ، وعلى عبد
الصمد بن عبد الرحمان إلى سورة طه ، وهما من أصحاب ورش . وكان يقرئ
بمكتبة بجامع عمرو بن العاص . وكفّ بصره بأخرة .

قرأ عليه أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هلال الأزديّ ، وحمدان بن عون
الحوّلانيّ ، ومحمد بن خيرون الأندلسيّ ، وأبو الحسن بن شَبُوذ ، وأحمد بن
إبراهيم الخياط ، وأبو جعفر أحمد بن أسامة التجيّبيّ ، وأبو بكر بن أحمد بن أبي
الرجاء .

توفي سنة بضع وثمانين ومائتين ⁽²⁾ .

772 - القاضي عماد الدين ابن درباس [570 - 624] ⁽³⁾

إسماعيل بن عبد الملك بن عيسى بن درباس ، القاضي عماد الدين ، أبو
[187 ب] إبراهيم ، ابن قاضي القضاة صدر الدين أبي القاسم / ، المارانيّ ، الشافعيّ .

(1) الوافي 9 / 146 (4050) وهو فيه : ابن عبد الله بن عمر ، طبقات القراء 1 / 165
(770) .

(2) الوافي : في حدود التسعين ومائتين .

(3) الوافي 9 / 153 (4058) .

مولده بالقاهرة لأربع خلون من شوال سنة سبعين وخمسمائة . سمع من والده . ومن أبي القاسم البوصيري ، والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر ، وأبي بكر عبد العزيز بن أبي الفتح البغدادي .

وسمع بالمدينة النبوية من الشيخ أبي محمد جعفر بن أموسان الأصبهاني . وأبي الحسين يحيى بن عقيل البغدادي . وأجاز له جماعة كثيرة .

وحدث بمكة والقاهرة . وناب عن والده في القضاء . ودّرس بالمدرسة السيفية في القاهرة إلى حين وفاته في الثاني عشر من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة .

وكان عارفاً .

773 - الظاهر العبيدي [527 - 549]⁽¹⁾

إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد بن معدّ بن عليّ بن منصور بن نزار بن معدّ بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله ، الإمام الظاهر بأمر الله . أبو المنصور . أمير المؤمنين ، ابن الحافظ لدين الله أبي الميمون ، ابن الأمير أبي القاسم ، ابن الظاهر ، ابن الحاكم ، ابن العزيز ، ابن المعزّ ، ابن المنصور ، ابن القائم ، ابن المهديّ .

ولد يوم الأحد نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . وبويع بالخلافة بعد موت أبيه يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وعمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام ، بعهد من أبيه . وكان أصغر إخوته ، ولقب بالظاهر بالله . وأسّوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال . فخرج عليه الأمير المظفر أبو الحسن عليّ بن إسحاق

(1) وفيات 1/ 237 (99) ، ائعاظ 3/ 193 ، الوافي 9/ 151 (4057) .

أَبْنِ السَّلَارِ وَأَسْتَوَى عَلَى الْوِزَارَةِ إِلَى أَنْ قَتَلَ .

فَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الدَّوْلَةِ الْمُظْفَرُ أَبُو نَصْرِ عَبَّاسِ بْنِ أَبِي الْفَتْوحِ ، وَكَانَ الظَّافِرُ قَدْ اخْتَصَّ بَوْلَدِهِ نَاصِرَ الدِّينِ نَصْرَ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَتَّهَمَ بِهِ . فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَبُوهُ مَا يَقَالُ فِي حَقِّهِ . فَأَرَادَ الْبَرَاءَةَ مِمَّا رُمِيَ بِهِ ، وَسَأَلَ الظَّافِرَ أَنْ يَأْتِيَهُ لَيْلَةً لِيَتَفَسَّحًا . فَتَرَلَّ إِلَيْهِ فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ سَلَخَ الْحَرَمِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ ، وَمَعَهُ خَادِمَانِ . فَقَتَلَهُ وَرَمَاهُ فِي جَبٍّ ، وَمَعَهُ أَحَدُ الْخَادِمَيْنِ ، وَغَطَّاهُ بِرُخَامَةٍ بِيضَاءَ . وَفَرَّ الْخَادِمُ الْآخَرُ إِلَى الْقَصْرِ . فَكَانَتْ مَدَّتُهُ أَرْبَعَ سِنِينَ وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا . وَعَمُرُهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَعِشْرَةَ أَشْهُرٍ تَنْقُصُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَكَانَ مُحْكُومًا عَلَيْهِ مِنَ الْوُزَرَاءِ . وَفِي خِلَافَتِهِ مَلِكُ الْفَرَنْجِ عَسْقَلَانُ ، وَظَهَرَ الْخُلَلُ فِي الدَّوْلَةِ . وَكَانَ كَثِيرَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ مَعَ جَوَارِيهِ ، مُقْبِلًا عَلَى سَمَاعِ الْغِنَاءِ . وَأَنْشَأَ الْجَامِعَ الظَّافِرِيَّ بِالْقَاهِرَةِ الْمَعْرُوفَ بِجَامِعِ الْفُكَّاهِينَ بِخَطِّ الشَّوَّائِينَ . وَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَهُ أَبْنُهُ الْفَائِزُ بِنَصْرِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَيْسَى .

774 - أَبُو هَاشِمٍ الْمُقْدِسِيُّ . قَاضِي مِصْرَ [325 -] ⁽¹⁾

إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَبُو هَاشِمٍ ، الرَّبْعِيُّ ، الْمُقْدِسِيُّ ، الشَّافِعِيُّ . أَحَدُ قُضَاةِ مِصْرَ .

تَمَكَّنَ مِنَ الْأَمِيرِ أَبِي مَنْصُورِ تَكِينَ تَمَكُّنًا زَائِدًا ، حَتَّى سَلَّمَ إِلَيْهِ قِضَاءَ مِصْرَ لِعَشْرِ خُلُوفٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَبَسَطَ يَدَهُ فِي الْأَحْكَامِ . فَاسْتَكْتَبَ أَبَا مُحَمَّدٍ بَكْرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ بَدْرِ الصَّرِفِيِّ الْحَنْفِيَّ الَّذِي وَلِيَ الْقِضَاءَ فِيمَا بَعْدَ .

وَنَجَبٍ وَأَعْتَرَضَ فِي كُلِّ شَيْءٍ . وَقَدْ كَانَ قَبْلَ وَلايَتِهِ يَتَحَدَّثُ مَعَ تَكِينَ حَتَّى

(1) الْوَلَاةُ وَالْقِضَاءُ ، 484 ؛ رَفْعُ الْإِصْرِ 1 / 123 .

حملة على أن بعث بجكم صاحب الشرطة إلى المسجد الجامع . وأقام كثيراً من
المالكين والشافعيين والحنفيين من حلقتهم ، ولم يدع في الجامع إلا خمس حلق :
حلقة أبي جعفر الطحاوي .

وحلقة أبي بكر الرازي .

وحلقة أبي بكر محمد بن رمضان [الزيات] .

وحلقة عبد الرحمان [بن إسحاق] الجوهري .

وحلقة ابن عبد الغني .

وعسف في ولايته بجماعة من الشهود . وأستخلف محمد بن عليّ العسكريّ
على الفروض⁽¹⁾ وهمّ بإسقاط شهادة جماعة في نفسه عليهم شيء ، وجمع
الشهود ليركبوا معه إلى تكين . فركبوا ووقفوا على بابه فخرج ، وقد قدّمت
بغلته . فنظر إلى الجماعة وقال لهم : ألم يكن معكم أبو بكر محمد بن رمضان ؟

قالوا : نعم .

قال : وأين هو ؟

قالوا : هو ماشي .

فنظر إليه قائماً فقال : قدّموا له / بغلتي ، وأسرجوا إليّ بغلة أخرى . [188 أ]

فقدّمت بغلته إلى أبي بكر محمد بن رمضان بالسرج المرتفع ، وأسرج لأبي
هاشم . فلما ركب قال لابن رمضان : سر ! - فسار وسار أبو هاشم والجماعة
خلفه . وقال : هذا مكافأة من أتانا ماشياً .

فشكرته الجماعة . وكان هذا من محاسنه .

فلما مات الأمير تكين ، وشجر ما بين الأمير محمد بن تكين وبين محمد بن

.....
(1) في المخطوط : الفرض .

علي الماذراني صاحب الخراج ومتوليه . وتجاربا ، فقوي أبو بكر محمد بن عليّ الماذراني ، ونظر في أمر البلد . رفع إليه جماعة من الشهود على القاضي أبي هاشم ، وكان في نفسه عليه شيء من أيام تكين . فأرسل يأمره بأن لا تحكّم بين الناس وأستخلف أبا بكر محمد بن عليّ العسكريّ .

فوقعت الفتنه بمصر بين المصريين وأصحاب تكين ، فنهبت دار أبي هاشم وأخذ جميع ما فيها . وأستر خوفاً على نفسه وقد أودع بضعة عشر ألف دينار عند شخص فخانته في أكثرها .

ثم سار في استتاره إلى الرملة ، فكانت مدّة ولايته شهرين ، وبقيت مصر بغير قاض . وقام جماعة من الفقهاء بكتابة محضر عليه وساعدهم أبو بكر العسكريّ . فأتاه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد بعد عتمة ووبّخه على مساعدته لأعداء أبي هاشم ، فذكر العسكريّ عنه أموراً . فما زال به ابن الحدّاد حتى صرفه عن ذلك وأبطل كتابة المحضر . فأقام أبو هاشم بالرملة خمس سنين حتى ملك الأمير أبو بكر محمد بن طفج الإخشيد ، فبعث يستدعيه ، فإذا به قد فُلج وقال للرسول : قل للأمير ما قال الجاحظ وقد طلبه بعض الملوك : ما تصنع بشقّ مائل ، ولعاب سائل ، وعقل فائل ؟

ومات بالرملة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة . وكان من كبار الفقهاء الشافعيّة يجمع بين الحفظ والفهم ، إلّا أنّه كان جبّاراً .

775 - أبو الطاهر ابن عطية الجذامي [570 -]

إسماعيل بن عبد الوهاب بن عطية ، أبو الطاهر ، الجذاميّ .

سمع الحديث ، وتفقه بالإسكندرية .

ومات في أوائل المحرم سنة سبعين وخمسمائة عندما هجم الفرنج الثغر فأزدحم الناس في الأبواب فمات .

776 - إسماعيل ابن أبي المهاجر [107 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر أكرم ، أبو عبد الحميد ، مولى بني مخزوم .

حدّث عن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبّاس .

وحدّث عنه عمران بن عوف الغافقي ، والحريث بن مزيد ، وبكر بن سودة ، وعبيد الله بن أبي جعفر .

سكن إفريقية . وكان له عبادة وفضل . وكانت عادة خلفاء بني أمية إذا أتتهم جباية الأمصار إلى الشام ، أتى معها رجال من خيار تلك الأجناد والأمصار يحلفون بالله [أنه] ما فيها درهم إلا أخذ بحقه ، وأنه فضل عن أعطيات ذلك البلد من المقاتلة والذرية بعد أخذ كل ذي حق حقه . فإذا حلفوا أُدخل ذلك المال إلى بيت المال .

فأتى وفد إفريقية بخراجها بعد أعطيات الأجناد وفرائض الناس في زمن سليمان بن عبد الملك . فحلف قوم من الوفد ونكل إسماعيل بن عبيد[الله] ، ونكل بنكوله السمح بن مالك الخولاني ، وقالوا : لا نحلف لأنه أخذ على الظلم والغشم .

فأمر سليمان بن عبد الملك برّد المال . وأعجب عمر بن عبد العزيز ما كان من فعلها وضمّها إلى نفسه ، فأختر منها صلاحاً وفضلاً . فلمّا استخلف بعد موت سليمان بن عبد الملك استعملها معاً ، فولّى إسماعيل إفريقية ، والسمح الأندلس في سنة مائة . ولّى إسماعيل إفريقية على حربها وخراجها وصدقاتها .

(1) الوافي 9 / 154 (4062) ؛ شذرات 1 / 181 .

وسار بحسن سيرة ، فلم يبقَ في ولايته أحدٌ من البربر إلا أسلم .
 فلَمَّا مات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة وقام بعده يزيد
 ابن عبد الملك ، عزل إسماعيل وولّى يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج .
 وغرق إسماعيل ببحر الروم سنة سبع ومائة .
 وقال عبد الله بن المغيرة : قلت لسعيد بن المسيّب : إنَّ عندنا رجلاً من
 [188 ب] الأنصار يقال له / إسماعيل بن عبيد ، من العبّاد ، إذا سمعنا نقول شعراً صاح
 علينا .
 فقال : ذاك رجل تنسك بُسك العجم .

777 - الرشيد ابن المعلّم [623 - 714]⁽¹⁾

إسماعيل بن عثمان بن محمد بن عبد الكريم بن تمام بن محمد ، رشيد
 الدين ، أبو الفداء ، المعروف بأبن المعلّم ، القرشيّ ، الحنفيّ ، شيخ الحنفيّة في
 عصره .
 ولد بدمشق في رجب سنة ثلاث وعشرين⁽²⁾ وستمائة . قرأ القراءات السبع
 على السخاويّ . وسمع من أبي عبد الله الحسين ابن الزبيديّ ، وابن الصلاح ،
 وعزّ الدين النسابة ، وأحمد بن مسلمة وطبقتهم .
 وتفقه على الجمال محمود الحصريّ . وعليه تفقه شمس الدين الحريريّ
 وغيره .

وعمرّ حتى انفراد . وأفتى ودرّس وحدث .

(1) الوافي 9/ 155 (4064) ؛ الدرر 1/ 394 (937) .
 (2) في المخطوط : ثلاث عشرة . والإصلاح من الوافي ومن الدرر . ولو أخذنا بقراءة المخطوط :
 لتجاوز المائة ، وهو المتوقّف في سن التسعين .

فلَمَّا كَانَ الْجُفْلُ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ قَدِمَ فِيمَنْ قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَحَدَّثَ بِهَا . وَأَقَامَ حَتَّى مَاتَ فِي الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ عَنْ إِحْدَى وَتِسْعِينَ سَنَةً .

وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أُمَّةِ الْعَصْرِ فِي الْفَقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْقَرَاءَاتِ . لَكِنَّهُ كَانَ ضَيِّقَ الْخَلْقِ ، فَلَمْ يَقْدِرِ النَّاسُ عَلَى الْإِخْذِ عَنْهُ .

وَكَانَ الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ يَعْظُمُهُ وَيُثْنِي عَلَى عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ وَدِيَانَتِهِ . وَكَانَ لَدَيْهِ زَهْدٌ وَانْقِطَاعٌ عَنِ النَّاسِ . وَعُضِرَ عَلَيْهِ قَضَاءُ دِمَشْقَ فَأَمْتَنَعَ .

وَمِنْ شَعْرِهِ [كَامِلٌ] :

كَبِرَ وَأَمْرَاضٌ وَوَحْشَةٌ غَرِيبَةٌ	مَعَ سَوْءِ حَالٍ قَدْ جُمِعْنَ لِعَاجِزٍ
لَوْلَا رَجَاءُ تَفَضُّلٍ مِنْ رَاحِمٍ	حَتَّمَاً لِحَآبٍ وَلَمْ يَكُنْ بِالْفَائِزِ
بِئْسَ الصِّفَاتُ لِمَنْ غَدَتْ أَوْصَافُهُ	هَؤُلَاءِ الصِّفَاتِ ، وَمَا الْمَاثُ بِنَاجِزِ
يَا رَبِّ أَنْجِزْ رَحْمَةً تُحْيِي بِهَا	الْفَضْلَ فَضْلَكَ مَا لَهُ مِنْ حَاجِزِ

778 - ابْنُ أَبِي التَّمْرِ [630 -]

إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي التَّمْرِ [. . .] . وَلَدَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

وَقَدِمَ الْقَاهِرَةَ . وَمَدَحَ الصَّاحِبَ الْوَزِيرَ زَيْنَ الدِّينِ يَعْقُوبَ بْنَ الزَّيْزِرِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ .

وَمِنْ شَعْرِهِ يَصِفُ غَلَامًا يَمُدُّ الشَّرِيطَ [وَافِرٌ] :

حَكَيْتَ شَرِيطَهُ لَوْنًا وَسِتْمًا	عَلَى أَنَا كَلِينَا فِي يَدَيْهِ
وَيَرِيحُ أَجْرَهُ مِنْ دُونِ أَجْرِي	فَيُبْعِدُنِي وَيَجْذِبُهُ إِلَيْهِ

وقال [الرمل] :

جانب الشرّ فحتف الـ حمراء يجنيه لسانه
وأعتبر بالرمح ما حـ طممه إلا سنانه

وقال يعاتب صديقاً [كامل] :

لم أنتَ في ودّ الصديق مفرطٌ ترضى بلا سبب محليه وتسخط ؟
يا مَنْ تلون في الطباع ، أما ترى ورق الغصون إذا تلون يسقط ؟

وقال في وصف النهر [منسرح] :

والنهر قد جنّ بالغصون [جوى] فصار في نفسه يُميلها
وغار فيه النسيم عاشقها فجاء عن وصله يُميلها

وقال [طويل] :

كأنّ شعاع الشمس بعد غروبها على النيل لمّا زانه بخضابه
نديمٌ عقار ملّ من صِرف كأسه فبدّدها في الماء قبل ذهابه

779 - سراج الدين المهدويّ [635 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن عليّ بن يوسف ، الكاتب الأديب ، سراج الدين ، أبو الطاهر ، الحميريّ ، المهدويّ .

[189 أ] اشتغل / على أبي الخير سلامة بن عبد الباقي النحويّ ، والشريف النسابة محمد بن أسعد الجوّاني .

ورحل إلى بغداد وسمع بها . وكتب على ابن البرقطيّ .

(1) الوافي 160/9 (4082) وفيه أنّه من ولد المعزّ بن باديس .

وتوفي بقرافة مصر في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين
وسمائه ، وبها دفن .

780 - المنصور العبيديّ [301 - 341]

إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل
أبن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
الإمام المنصور بالله ، أبو الطاهر ، أمير المؤمنين ، ابن الإمام القائم بأمر الله أمير
المؤمنين أبي القاسم ، ابن الإمام المهدي بالله أبي محمد .

ولد برقادة سنة إحدى وثلاثمائة ، وهو الصحيح . وقيل : ولد بالعراق ،
وهو خطأ . وقيل : ولد سنة اثنتين وثلاثمائة .

توليه الخلافة بعد أبيه القائم

وأقام إلى أن أظهر القائم بأمر الله أمره وقوّض إليه عهده في يوم الاثنين
لسبع خلون من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . وكانت سنّه إذ ذاك
ثلاثاً وثلاثين سنة . فقال محمد بن قاسم التونسي⁽¹⁾ من قصيدة [طويل] :

شهدتُ بأنَّ الله بالغيب عالمُ	وأنَّ أميرَ المؤمنين مَوْفِقُ
لقد كانت الأيامُ خُرْساً فأصْبَحَتْ	لها أَلْسُنٌ بالشكر لله تَنْطِقُ
أميرٌ تَمَتَّتْهُ الإمامَةُ مُذْ نَشَأَ	وتصبو إلى أخلاقه وتَشَوِّقُ
وكانت عيونُ الأمر من شَفَقٍ على	رِقْبَةٍ ترنو إليه فَتَطْرُقُ

وقالت فيه الشعراء فأكثرَت .

(1) نشرنا ما عثرنا عليه من شعره في كتابنا : الأدب بإفريقيّة في العهد الفاطميّ . وانظر كذلك
طبعتنا لكتاب الداعي ادريس : عيون الأخبار المعنون بتاريخ الخلفاء الفاطميّين بالمغرب ،
ص 342 .

ثمّ كان يوم الفطر من هذه السنة ، فخرج ، وهو وليّ العهد ، من قصره ، وقد حفّ به بنوه وإخوته وعمومته وجنده وعبيده وعامة الناس يدعون له ويزدحمون عليه ، فصلىّ بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة بليغة .

وتوفي القائم بأمر الله لثلاث عشرة خلت من شوال هذا [سنة 334] . فكم المنصور بالله موته ولم يظهر عليه حزناً ، خوفاً أن يتصل ذلك بأبي يزيد مخلد ابن كيداد النكاري ، وهو بالقرب منه ، فيستأسد وتقوى عزيمته . فأبقى الأمور على حالها وأكثر العطايا والصلوات ، ولم يتسمّ بأمر المؤمنين فكانت كتبه تنفذ : من الأمير إسماعيل وليّ عهد المسلمين إلى أمير المؤمنين .

واستفتح أموره بإطلاق المحبوسين الذين حبسهم القائم بسبب القدح في الدولة ، وقتل الرجال الذين كانوا يسعون في فساد الدولة وخراب المملكة . ووصل الفقراء والمساكين ، ووجه مراكب كثيرة مشحونة بالطعام إلى فقراء مدينة سوسة المستورين بها فقرقت فيهم ، لما قاسوه من حصار أبي يزيد ، فأتسع ببركة أيامه الحاضر والبادي ، والشاسع والداني . وأقرّ الأمور على حالها ولم يُغيّر السكّة ولا البنود . وأقام على ذلك بقية سنة أربع وسنة خمس وثلاثين .

وكان القائم بأمر الله قد عقد الأمر في حياته لابنه قاسم⁽¹⁾ فمات قاسم ، ورجع الأمر إلى إسماعيل في الوقت المقدّم ذكره ، دون عمومته وإخوته⁽²⁾ . فلما كانت سنة ستّ وثلاثين أظهر إسماعيل موت أبيه بعد أن أمكنه الله من أبي يزيد ، فتسمّى حينئذ بأمر المؤمنين .

(1) لم يرد اسم قاسم هذا في أبناء القائم كما عدّدهم المقرئ في ترجمته للخليفة الثاني (ترجمة القائم رقم 2641) .

(2) الوراثة لا تنتقل إلى الإخوة في تقاليد الإسماعيلية ، فلا وجه لهذا التوضيح من المقرئ ، إلّا إذا أراد أن يلمّح إلى المنافسات التي انجرت عن تعيين المنصور والتي نجد صداها في المجالس والمسائرات للقاضي النعمان وفي سيرة جودر .

استعداداه لحرب أبي يزيد

ولمّا أفضى الأمر إليه أخذ في أهبة السفر وأعدّ السلاح وآلة الحرب وألقى المراكب في الماء وشحنها بالرجال والسلاح والعُدّة ، ووجّه بعضها إلى مدينة سوسة وقوّد عليها رشيّقاً الكاتب ، فوصل إليها لإحدى عشرة خلت من شَوّال . ثمّ ركب لعشرٍ بقين منه إلى دار الصناعة ، وأمر يعقوب بن إسحاق أن يشحن ستّة مراكب بالرجال من ساعته ففعل . فأمره أن يركب فيها فعظم ذلك عليه ، وسأله أن يَمْضي إلى داره لوداع أهله فَمَنَعَهُ من ذلك ، وأمره أن يَمْضي / [189 ب] بالمراكب إلى سوسة ويلتقي مع رشيّق وقال : « لا تقاتلوا أحداً حتى يَأْتِيَكُم رسولي ، وإنّ طلب أبو يزيد والبربر قتالكم فلا تقاتلوهم » . فتوجّه يعقوب لا يدري أحد ما أسرّ إليه .

ثمّ قال لجماعة كتامة والعبيد : « وأفوني بالغداة في قرية « بَكَّة » بسلاحكم وعدّتكم ، فإنّي أريد أن أنتزّه وأرى آثار العدو » - يعني أبا يزيد - وقرية بَكَّة على ميلين من المهدية . فبكّر من قصره في شرذمة من عبيده وخدمه قبل الصبح من يوم الاثنين لتسع بقين من شَوّال ووافته العساكر فتوجّه بهم مع الساحل يريد مدينة سوسة ، وهم لا يدرون إلى أين يقصد ومع ذلك يخافون من أبي يزيد لما يعلمون من قوّته وكثرة عدده . فبلغ قرية « لمطة » ، وهي نصف الطريق من المهدية إلى سوسة . فاجتمع الناس إليه وسألوه عن مراده وأن لا يخاطر بنفسه وبهم . وكانت ⁽¹⁾ عدّتهم ستّائة فارس . فقال لهم : « قد عزمْتُ على التّماذي إلى هذا العدو بنفسي » . فسألوه وتضرّعوا إليه في الرجوع حتى أذعن . فدعا كبون بن تصولا وقدمه إلى سوسة ووصّاه ، فتوجّه ، وقد حار من قوّة العدو وشدّة شوّكه لأنّه كان في زيادة على مائة ألف وكتّون في أربعائة فارس . وقدم المنصور بمنّ معه إلى المهدية فوافاها صلاة المغرب .

(1) في المخطوط : وكان .

فكّ الحصار عن سوسة

فلما كان صباح يوم الثلاثاء قَرَّب يعقوب مراكبه إلى البرّ وأنزل رجاله في هدوء وسكون بالقرب من الباب . فجلسوا تحت دَرَقهم ، ووقف راكباً في وسطهم فخرج إليه رشيق بمن معه ، والرماة يحمونه من أعلى السور . فلما رآهم أبو يزيد وتأمّل سكونهم قلل : « هؤلاء قوم ينتظرون غيرهم » . وقرب كَبُون من أبي يزيد ، فركب أبو يزيد بجموعه ، وخرج أهل سوسة مع رجال المنصور ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر أبو يزيد وانهزم إلى القيروان ثمّ توجه إلى ناحية سبيبة . وغنم أصحاب المنصور أثقاله ، وقتلوا من أصحابه خلقاً كثيراً .

فخرج المنصور لمّا بلغه فتح سوسة في يوم الأربعاء لسبع بقين منه ، فوصل إلى سوسة ونزل ظاهرها ، وأتاه خبر رحيل أبي يزيد عن القيروان فسره ذلك ، وكتب كتاباً يؤمّن فيه أهل القيروان . وأصبح راحلاً إلى مدينة القيروان فخيّم خارج المدينة يوم الخميس لستّ بقين منه ، وهو في قلّة من العسكر مع ضعف الدوابّ . فخرج إليه الناس فأئمّهم ووعدهم خيراً .

ووجد بالقيروان جماعة من حرم أبي يزيد ونسائه وأولاده فجمعهم وكساهم وحملهم إلى المهديّة وأجرى عليهم الأرزاق .

وولّى قضاء القيروان محمد بن أبي المنظور⁽¹⁾ . وكتب إلى القبائل التي بجبال إفريقية يأمرهم بالقدوم ، فتأقّلوا عنه . وجمع أبو يزيد قبائل البربر حتى صار في خلق كثير وكان على يومين من مدينة القيروان ، فأوقع أصحابه بكبون بن تصولا وقتلوه⁽²⁾ بعد حروب شديدة وقتلوا معه عدداً كبيراً . فعزم المنصور على حفر

(1) سيبقي ابن أبي المنظور قاضياً على القيروان إلى وفاته سنة 337 . وانظر ترجمته في رياض النفوس ، 2 / 357 .

(2) عند الداعي إدريس ، 359 ، أنّه قتل في كمين نصبه فضل بن أبي يزيد . وكان كبون والياً على طبة في بداية الثورة المخلديّة . وفي مخطوطنا هذه المرّة : كبون بن تصولات .

خندق على معسكره وشاور في ذلك وجوه رجاله ، فكلّهم كره حفره وقالوا : « هذه ذلّة » . فقال لهم : إنّ النبي ﷺ قد حفر خندقاً وتحصّن به ، ونحن أولى أن نفعل فعله ونتأدّب بأدبه ونقتني أثره » . وأمر بحفر الخندق فبدأ فيه يوم الأربعاء غرة ذي القعدة ، وأخذ فيه الناس بالجدّ .

القتال حول القيروان

وأقبل أبو يزيد إلى القيروان ونزل قريباً منها . وزحف ليلة الجمعة لثلاث خلون منه مخفّاً لبيت العسكر . وكانت ليلة مظلمة فأخطأ الطريق فلم يصل إلّا عند الفجر . فقامت الحرب على ساق ، وركب المنصور وعبأ الصفوف ، والقتال يشتدّ وهو يكرّ على العلوّ يميناً وشمالاً ، وهو في قلّة من أصحابه ، والمظلة على رأسه فصارت كالعلم يعرف بها . ونزل على موضعه وحوله نحو خمسمائة فارس ، وأبو يزيد في زائد على ثلاثين ألف فارس . فهزم البربر أصحاب المنصور حتى أدخلوهم الخندق / وهرب جماعة منهم إلى داخل القيروان [190 أ] ونهبت فازات كثيرة حتى بقي المنصور في تقدير عشرين فارساً من خدمه الذين لا يعرفون القتال . فأقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور . فحمل عليهم المنصور مشهراً سيفه ذا الفقار ⁽¹⁾ . وأراد الصقليّ أن يُلقي المظلة عن رأسه ليخفي موضعه فزجره ونهره وقال : « لا تجزع فإنّ الله وعداً لا يُخلفه » . وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضع سيفه في رأسه ، فألقى الله الرعب في قلب أبي يزيد فوّلّى هارباً مع أصحابه ، فقتل من أدرك منهم وثبت مكانه ومسح الغبار عن وجهه بكمّته وقال لمن حوله من النجّابين ⁽²⁾ ، ولم يبقَ منهم غير أربعة : « اذهبوا فردّوا الناس ! » وقد أخذ كثير منهم طريق المهدية وطريق سوسة ، فرجع من كان قريباً

(1) السيف ذو الفقار : انظر في شأنه المجالس والمسايرات للنعمان ، ١١٤ ، ووقعة صفين لنصر ابن مزاحم ، 546 ، وعيون الأخبار ، 732 .

(2) النجّاب : الساعي الذي ينقل البريد وطلبات الأمير من مكان إلى مكان راكباً على نجيّب ، أي فرس أو جملي .

منه وأتوه من كل جهة فقال لهم وهو يتسم : « ادخلوا في [كمي] ! » . فاستحى القوم منه . وكثر العجب من ثباته هذا الثبات مع أنه لم يحضر قتالاً قبله . وكان نساء أهل القيروان فوق الأسطحة يصرخن ويبكين ويرمين المنهزمين بالحجارة ويقلن : « يا كلاب ، تركم مولاكم ، أخرجتموه من حصنه وأسلمتموه ! » . وماج أهل البلد خوفاً⁽¹⁾ من البربر ، وعادوا الفريقان القتال وتمادى بينهم إلى بعد الظهر فقتل بينهم خلق كثير ، وكان يوماً شديداً الحر ، فانصرف البربر إلى معسكرهم . فكان هذا اليوم من الأيام المشهورة ، وقد وصفه جماعة من الشعراء . [و]قال أبو يزيد لمّا رجع إلى مناحه : « ما رأيت قط أثبت من إسماعيل ولا أشجع . هذا يصلح أن يكون ملكاً » . وفي ذلك يقول محمد بن الحرث⁽²⁾ الأبروطي من قصيدة طويلة [طويل] :

ولم أر كالمصور بالله ناصراً لدين ، ولا أحمى للملك وأمنعاً
ألم ترَ يومَ القيروانِ وقوفه وقد همت الأكباد أن تصدّعا؟
وأبرز عن وجه من الصبر أبيض يقابل وجهاً للكربة أسفعا⁽³⁾

ثم زحف أبو يزيد في يوم الاثنين إلى الخندق فعبا له المنصور ووقف ووقعت الحرب فنادى مناديه : « من أتاني برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار » . وكانت في هذا اليوم أعجوبة وقف عليها جميع أهل العسكر : وذلك أن رجلاً من البربر حمل بدايته إلى أن وقف بالقرب من المنصور فجعل يشتمه ويؤتبه ، فهم الأولياء به من كل وجه ، فجزهم عنه ، فلمّا استوفى مقالته رفع المنصور يديه إلى السماء وقال : « اللهم ، خذ لي بحقي منه ! » فما هو إلّا أن ردّ فرسه

(1) في المخطوط : جموعاً . وأخذنا بقراءة عيون الأخبار ، 362 .

(2) في عيون الأخبار ، 364 : محمد بن سعيد . وكذلك فيما سيأتي .

(3) سيأتي نقل أطول لهذه القصيدة ، مع شيء من الاختلاف : « أن تنقطعاً » . وأيضاً « وجه للحفيظة أبيض » .

البربري حتى انقلب عليه الفرسُ فوق قَربوس⁽¹⁾ سرجه على صدره فمات من حينه وحمل الأولياء عليه فجزّوا رأسه ، فخرَّ المنصور ساجداً على مَعْرِفَة⁽²⁾ فرسه . ووقعت الحرب وكانت للبربر . ثمَّ اشتدَّ القتال وعظم الحرّ وطلب المنصور الحشود وحثَّ في ذلك ، فتَوَقَّفَ كثير من الناس عنه مخافة أن تكون الغلبة لأبي يزيد . وقدم عليه طوائف فأنزل كلّ طائفة بمَوْضِعٍ وخذلوا عليهم . فكانت الحرب كلّ يوم مرّة لهم ومرّة عليهم ، وغلب على ظنون أكثر الناس أن أبا يزيد سيظهر لِمَا رَأَوْا من قُوَّتِهِ وكثرته . وأخذ أصحابه الناس في الطرقات إلى أن كان يوم الاثنين لعشر بقين منه ، فزحف أبو يزيد بنفسه وأطلق النار في بقية الأنادر⁽³⁾ ، ونشب القتال ووقف المنصور على باب الخندق يُمدِّد العسكر بالخيول والرماة ، وأبو يزيد ثابت . فوجّه المنصور خيلاً ورجالاً ومعهم بندان وركب في أثرهم . فلمَّا رآهم أبو يزيد ترك القتال وتوجّه نحو أخيبته فاشتدَّت الهزيمة عليه وعلى أصحابه وأثخنهم الجراح فمات منهم في هذه الليلة خلق عظيم ونقصت خيولهم / بالنشاب . وعاد المنصور إلى معسكره .

[190 ب]

حسن معاملته لحرم خصمه

فلما أصبح أبو يزيد جمع أصحابه وأشار عليهم بترك القتال ، وبثَّ أصحابه ينيهون ، ومنع الميرة عن القيروان إلى أن اشتدَّ بهم الأمر . ثمَّ زحف في نصف ذي الحجة وقاتل قتالاً شديداً ، وخرج المنصور وقاتل بنفسه حتى هزمهم . ونزل فجلس على كرسيّ والقتال مشدَّد فسأله الأولياء أن يركب ، لخوفهم عليه فقال : « لا تخافوا فإنَّ النصر قريب » . ثمَّ أمر الرُقَّاصَ⁽⁴⁾ أن يترعوا للجام فرسه

(1) قَربوس السرج : جنوه ، أي القسم الأمامي المرتفع .

(2) المعرفة (وزن مدرسة) : موضع العُرف من الفرس ، أي شعر العنق .

(3) الأنادر مفردة الأندر ، وهو الكوم من القمح ، وأيضاً البيدر .

(4) الرُقَّاص : مثل النجَّاب ، هو خادم موكل بحمل الرسائل . وهو هنا مكلف بشؤون الأمير

الخاصّة مثل مركوبه . وفي ملحق دوزي أنَّ الكلمة خاصّة بالمغرب .

وَيَسْقُوهُ مِنْ بئرِ هُنَاكَ ، ففعلوا . وقصد بذلك أن يريهم قلةَ اكرائه بالعدو . ثم افترق القتال . فكتب إليه أبو يزيد يسأله في ردّ عياله وأولاده ونسائه ونساء رجاله وأولادهم الذين أخذوا من القيروان ، وحلف وأكد الأيمان أنه إن ردهم رجع إلى الطاعة ، على أن يُعطيه الأمان في نفسه وولده وأهله ويُخلى بينه وبين السكنى في منزله بتقيوس . فأجابه إلى ذلك ووجه المنصور في رفّعهم من المهديّة . فلما علم أبو يزيد ذلك عزم على إخراج عسكر ليقطع عليهم الطريق ويخلصهم ، فبلغ ذلك المنصور فبادره بالزحف ، وبرز إليه أبو يزيد فألتحم القتال وقتل جماعة . فبعث أبو يزيد يقول : قد كان بيننا أمر في وصول العيالات ونتمّ ما عقدناه .

فردّ عليه المنصور : قد اتصل بنا أنكم أخرجتم خيلاً تقطع على العيالات الطريق .

فقال أبو يزيد : كنّا على أن نفعل ذلك ، وما فعلنا .

فأمسك عن قتالهم . وقدمت العيالات فأبرّهم المنصور وبعث بنجّابٍ إلى أبي يزيد يخبره بقدمهم ليوجه من يتسلّمهم ، وأمر بفازة فُصبت خارج المدينة وفُرشت . فقدم رجلان من ناحية أبي يزيد فأنزلتهما وحمل الطعام إليهما وكسا سائر عيالات أبي يزيد الديباج والخزّ ، وأعطى كلّ نسمة عشرة دنانير وبعث إلى الرسول بمائة دينار ، ووجه بهم ليلاً ، ومعهم عدّة أحمال من حلوى ، والمشاعل بين أيديهم وجماعة تحفّ بهم حتى حلّوا بمعسكر أبي يزيد . فبعث بهم إلى جبل أوراس ، ونكث ما عقده وحرّض أصحابه على الجهاد .

استئناف القتال

فلما بلغ ذلك المنصور خرج قبل صلاة الفجر من يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وقد تقلّد سيفه وبيده رمح ، وتمادى بعساكره إلى ناحية أبي يزيد فلم يخرج إليه أحد . فأمر بالهجوم عليهم . فهابوا ذلك فعاد وقد غضب ولم

يخرج من مضربه أياماً كثيرة ولا دخل عليه أحد . ووجد على كتامة فإن بعضهم كان قد قال له : « يا مولانا لا نقاتلهم في هذا اليوم فإنه يوم الأربعاء » ⁽¹⁾ . فأكثر البربر في تلك الأيام من أخذ الناس في الطرقات . ثم زحفوا في يوم الأربعاء لخمسة خلون من المحرم سنة خمس وثلاثين فركب المنصور ، فكانت حرب عظيمة قتل فيها من أصحاب المنصور جماعة كثيرة . وهم بعض البربر ، وقد اقتحموا عليه ، أن يطعنه برمح فحمل عليهم وهزمهم ، وقُتل منهم خلق كثير .

ثم عاد القتال في يوم الخميس لثلاث عشرة خلعت منه واشتدَّ وعظم بحيث لم يكن قبله مثله . وحمل أبو يزيد على الميمنة فهزَمَها ثم قصد القلب ، فبادر إليه المنصور بنفسه فخافت عليه كتامة وصرَّعوا إليه ⁽²⁾ أن يرجع وقالوا : « نحن أحقُّ بهذا منك » . فزجرهم وقال : « إلى متى هذا التجنُّب عن هذا الكلب ؟ وحقَّ جدِّي لا تركته ولا أمهله ، ثقةً منِّي بوعده الله لرسوله ! » . ورفع ثيابه على عاتقه وقال للعبيد والرجال بين يديه : فأجمعوا على بركة الله وعونه ، فهذا يوم الفتح إن شاء الله ، وبه أستعين وعليه أتوكَّل .

فلما قرب أبو يزيد منه وعاء [ين] صورته نكص على عقبيه / وولَّى منهزماً ، [191 أ] وأخذت السيوف أصحابه فأسلموا عسكرهم وأخبيتهم ، ففس أصحاب المنصور من كان فيها وغنموها . فسجد المنصور على معرفة فرسه شكراً لله ورجع إلى قصره . ونادى مناديه : من أتى برأسٍ فله رُبع دينار ، فأُتي بزائدٍ على عشرة آلاف رأس .

(1) هذا التحذير من كتامة يحتاج إلى تفسير فلعله من ترهات المنجمين . وقد أكَّد القاضي النعمان في المجالس والمسائرات ، 132 أن المنصور ، على درايته بعلم النجوم ، لم يكن يؤمن بتأثيرها في حظوظ الناس ولا في سير الحوادث .

(2) في المخطوط : عليه .

وأصبح المنصور يوم الجمعة فأخرج أحمالاً كثيرة ، دنانير ودراهم ، تصدَّق بها على الفقراء والمساكين والمستورين ⁽¹⁾ .

إسقاط الضرائب عن أهل القيروان

وأمر جعفر بن عليّ الحاجب بالسير إلى الجامع فصلى الجمعة ، ثمَّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما رزق من النصر والظفر ، وما كشف غمته ⁽²⁾ بالأمير عن الخاصِّ والعامِّ ، والحاضر والبادي ، من الهلاء ، وما رزقهم من الأمن والسلامة ، ثمَّ قال :

« معاشر الناس ، مولانا وسيِّدنا الأمير إسماعيل - أطال الله بقاءه وأدام عزَّه وخلد ملكه - يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : قد علم الله حسنَ نيتي لكم وما نويته من الخير فيكم وما أُحِبُّه من صلاح أموركم . وإنَّ لي آمالاً حسنة فيكم منع من إظهارها ما كان من وقائع بيني وبين هذا الفاسق . فلو كنَّا أظهرنا ما تؤمِّلُه من الإحسان قبل الظفر لقال الجاهل : إنَّما فعل ذلك استمالةً لقلوب الرعيَّة وخوفاً من العدو .

« فلما كان من فضل الله علينا ما علمتموه ، ومن نصره لنا ما رأيتموه ، أردنا أن نقابل مئة الله علينا بالشكر له عزَّ وجلَّ والإحسان إلى عباده ، والرفق بخلقه ، وأردنا أن نظهر بعض ما نوبناه فيكم ، إذ كان إظهاره بعد الفتح أولى وأشبه .

« فقد ترك لكم الأمير ، أعزَّه الله ، ما يجب عليكم من العُشر والصدقات وجميع اللوازم ، وفعل ذلك بجميع الناس ، مسلميهم وذميَّهم ، رفقاَ بهم ، وعوناً لهم على عمارة أرضهم . فليبلغ الشاهد الغائب !

« ثمَّ لا يؤخذ منكم في استقبال السنين إلَّا العشر والصدقة : فالطعام من

(1) المستورون : ضعفاء الحال المتعففون عن المسألة .

(2) قراءة تقريبيَّة ، في المخطوط : عليه ، بدون إعجام . وسائرنا عيون الأخبار ، 378 .

الطعام ، والشاة من الغنم ، والثور والبقر من السائمة ، على فرائض الله عز وجل
وسنة جدِّي رسول الله ﷺ .

« ثم بعد ذلك يساق إليكم من الإحسان والعدل ، وإحياء الحق ، وإمارة
الباطل ، ما تعظم به منة الله عليكم ، وتعرفون [ن] به بركة أيامي ويؤمن دولتي إن
شاء الله » .

فكبر⁽¹⁾ الناس في الجامع ومن حوله وارتفعت أصواتهم بالبكاء والدعاء .
وأخذ المنصور في السفر لطلب أبي يزيد ، فأقام بالمنصورة⁽²⁾ باقي محرم ،
وصفر ، وأكثر ربيع الأول [سنة 335] .

ملاحقته أبا يزيد

ورحل يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول واستخلف على البلاد
مداماً الصقلي⁽³⁾ . ونادى مناديه بعدما رحل : مَنْ عزم على صحبتنا للجهاد
فلينهض معنا ! ومن كان ذا جُنْ عند اللقاء وفشل عنه مصادمة الأعداء ،
فليرجع إلى موضعه ووطنه ، وهو في حلّ وسعة .

وقدم عسكر برقة . وقدم رسول ملك الروم ، فوصله بألف دينار وكُسي
نفيسة ، وردّه غرة ربيع الآخر .

وأعاد النداء في العسكر بمثل ما تقدّم ، وأتته القبائل شيئاً بعد شيء .
ونزل إليه أهل تلك القلاع فأمنّهم وعفا عنهم ، وأمر الناس بالتهبُّ للحرب .
وركب نجيباً وسار على مقدمة العسكر يريد لقاء أبي يزيد على باغاية . فلما علم به
أبو يزيد ترك حصارها وفرّ . فنزل المنصور عليها وفرّق مالا كثيراً في ضعفائها .

(1) في المخطوط : فكبروا .

(2) لهذا سبق للأحداث : فالمنصور لم يسكن المنصورة إلا ابتداء من سنة 337 . وإنّا أمر في
هذه الآونة بالشروع في بنائها . انظر عيون الأخبار ، 386 .

(3) في حاشية الصفحة كتب الناسخ هذه الإضافة : مات مدام الصقليّ سنة ثلاث وأربعين
وثلاثمائة .

ثمّ رحل عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الآخر ، وسار حتى وصل إلى نقاوس .

ورحل عنها وقد لبس درعاً ومغفراً . وأمر الناس أن يسيروا على تعبئة الحرب ، وكان أبو يزيد على طينة يحاصرها . فلما سمع طبول المنصور قرأ إلى جهة الرمال . فنزل المنصور على طينة . وقدم إليه جماعة من قبائل كتامة . ثمّ رحل [191 ب] لليلتين / خلّتا من جمادى الأولى يريد بسكرة فنزل [ل] بقسطيلية ⁽¹⁾ . ووافاه جعفر ابن علي بن حمدون عامل المسيلة بهدايا من خيل وإبل ومال . وقدم معه بثائر قام بجبل الأوراس ادّعى أنّه من آل البيت ودعا إلى نفسه ، فاجتمع عليه البربر وتلقّب « بعبد الله الناصر لدين الله المحتسب في سبيل الله » فشهر على جمل وسلخ حياً ⁽²⁾ وصلب .

وصوله إلى بسكرة ثمّ المسيلة

ثمّ رحل فنزل على بسكرة وقد قرأ أبو يزيد عنها إلى جبل سالات على جهة الرمال حيث لا تسلك العساكر لعدم الماء . فضى المنصور إلى المسيلة وقد جمع أبو يزيد النكّار من جبل سالات ونزل إلى جبل كيانة ⁽³⁾ في خلائق كثيرة ، وقصد أن يبيّت المنصور بمدينة مقرة ، فكمن في تلك الأوعار والجبال . فلما طلعت الخيل التي له على العسكر تصايحوا : « العدو ! العدو ! » . فخرج المنصور وقد لبس درعاً وشدّ وسطه بمنطقة وأرخى لعمامته ذؤابة ، وهزّ رحماً

(1) هي قسطيلية الزاب ، بين بسكرة وطينة ، لا قسطيلية الجريد التونسي . وفي المخطوط : سبطلة وهو خطأ من النسخ .

(2) في رواية ابن حمّاد 26 أنّ هذا الثائر ابن صافع قيرواني كان ينظر في كتب التصوف . ويضيف أنّ المنصور تعود أن يسلم المتمردين عليه حتّى سُمّي « السلاخ » .

(3) تتوّقع أنّ جبل كيانة أكثر علوّاً من جبل سالات ، فلذلك نستغرب فعل « نزل » هنا . وسيفول المقرّبي بعد قليل : « فارتفع إلى جبال كيانة » . فلملّ جهله بجغرافية إفريقية والمغرب هو الذي أوقعه في هذا الاضطراب في التعبير . وقد يكون « نزل » بمعنى : حطّ الرحال

وكسره واختلط سيفه ذا الفقار وقال : « ليس هذا يومَ رمح ولكنه يوم جلاذ بالسيوف ! » . وعبأ عساكره ميمنةً وميسرةً وقلباً ، وجعل خلف كل طائفة من هذه رداءً من عبيده ، وفرّق السلاح في العسكر ، فالتحّم القتال . وأقبل أبو يزيد فقاتلوا قتالاً كبيراً فانهزمت ميمنة المنصور إلى أن صارت إلى الردء الذي خلفها فثبتوا بمراكهم ، وأردفها المنصور بكتيبة من قبله فقوت الميمنة . ومال أصحاب أبي يزيد على الميسرة فهزموها وقتل جماعةً . فغضب المنصور وقصد أبا يزيد بالكتيبة التي معه فانهزم أبو يزيد بمن معه ، وتمادى المنصور في طلبهم فقتلوا قتلاً ذريعاً . وانحاز أبو يزيد إلى قلعة عقار ثم قرّ ليلاً إلى جبل سالات . فغنم أصحاب المنصور جميع ما كان له ، ورجع المنصور إلى مضربه بعد العشاء بالمشاعل بين يديه .

ورحل من الغد وهو يوم الخميس لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى ، فنزل المسيلة فأقام بها خمسة عشر يوماً ، وقد كثر الإرجاف بالقيروان بعد هذه الوقعة . فكتب مدام بذلك إلى المنصور ، فوقع إليه بخطه : « ذكرت ما كان المرجفون أشاعوه ، وخاضوا فيه وأذاعوه ، وأنّ ذلك أقلقك وأعمّك ، وقد كنتُ تقدّمتُ إليك قبل خروجي وأمرتك بالإعراض عما تسمعه والإقبال على ما تعتقده ، وعرفتك أنّي لم أركب الغرر وأنجشّم الخطر ، وإنّما خرجتُ متجزأً لوعدي قديم ، من ربّ عزيز حكيم ، لا تبديل لكلماته ، ولا رادّ لأمره ، ولا خلف لوعده . فتقّ ربّك واثقه ترشدً وتسعدً . وافرأ هذا الفصل على المنبر إن شاء الله » . فقرأ ذلك مدام فسكن الإرجاف .

ورحل المنصور من المسيلة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، في طلب أبي يزيد وأمر الناس بالزحف فسااروا على تعبئة الحرب قبائل وعرائف ⁽¹⁾ ، وركب

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها عرائق بالقاف ، جمع عرقاة على غير قياس ، بمعنى الأرومة والأصل .

المنصور على نجيب ولبس جوشناً مذهباً عليه خفتان أحمر مُثَقَّلٌ وعلى رأسه عمامة خَزَّ صفراء حتى نزل في وسط جبل سالات على ماءٍ جارٍ . ففرَّ أبو يزيد يريد الرمال فرحل في طلبه . واجتمع إليه الأدلاء وعرفوه أنه موضع ما سلكه عسكرُ قُطٍّ . واشتدَّ الأمر على العسكر وعدموا الشَّعِيرَ وَغَيْرَهُ فبلغ علف الدابة ديناراً ونصفاً وقربة الماء ديناراً . وعُلِّف أكثر الدواب الحلفاء . فعاد إلى بلد صنهاجة . فلقى الناس من الوُغُورِ والثلج ما يشئوا معه من أنفسهم ومات منهم كثير . فأناخ المنصور ستّة أيام حتى تلاحق به الناس .

ووافاه البريد من المهدية بمؤلِدٍ ولدٍ له اسمه هاشم .

وقدم عليه زيري بن مناد بعساكر صنهاجة فحملَه وخلع عليه وقلّده سيفاً ووصله بصلة جزيلة وعقد له على قبائل صنهاجة والبربر . وفي مُناخه هذا اعتلَّ .

دخوله بلاد صنهاجة

ورحل في نصف جمادى الآخرة ثم نزل بوسط بلد صنهاجة لِيُسْتَنَّى هنالك [192 أ] فاشتدَّت به العلة ثلاثة عشر يوماً ثم نقه . ورحل إلى / المسيلة يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب ، وقد سبقه أبو يزيد إليها فارتفع إلى جبال كيانة . فاستدعى المنصور كتامة وعجيسة وزواوة وغيرهم فأتوه وأخذ على أبي يزيد الطرق فانحصر أبو يزيد في تلك الجبال .

ثم ركب المنصور يوم السبت لعشر خلون من شعبان متزّهاً في أربعة آلاف فارس ومعه زيري في خمسمائة من صنهاجة ، وكان النكّار قد كمنوا له . فلمّا سار ركبوا ساقته فعطف عليهم وقاتلهم . فأقبل أبو يزيد في خلقٍ عظيم ، فاستدعى المنصور بقيّة عساكره فأتته ، وجرّد سيفه وقصد أبا يزيد فلم يثبت له وولّى على وجهه وأسلم أولاده ، فركب السيفُ أافية أصحابه فقتلوا أبرح قتلٍ واتبَعُوا في الجبال وبطون الأودية ، ونجا أبو يزيد إلى الوعر فخلص ، والعسكر في طلبهم أربعين ميلاً حتى كلَّت الخيول وتكسّرت السيوف . وحزَّ منهم ألفٌ

وسبعون رأساً وجّه بها إلى القيروان⁽¹⁾ . وكانت القتلى يومئذ يزيدون على عشرة آلاف . ولم يُقتل من الأولياء فارسٌ واحدٌ . وغنموا ما لا يدخل تحت حصير . ورأى الناس في ذلك اليوم أعجوبةً : وذلك أن الفريقين لمّا برزا للقتال أقبلت النسور والغربان من وراء النّكّار قبل الهزيمة فوفقت كالمنتظرة للحومهم ودمائهم . فلما كان من قتلهم ما كان نزلت على أجسادهم .

وأقام المنصور بعد الظفر ، والعساكر توافيه من كلّ جهة ، وقد اعتصم أبو يزيد بجبل كيانة ومعه بنو كملان . ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرة شهر رمضان حتى نزل على ستة أميال من أبي يزيد . وركب في يوم السبت بعساكره فسلّك طريقاً صعبة في جبال شامخة وأودية ضيقة . وترجّل عن دابّته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلاً نحو ثلاثمائة خطوة . ثمّ ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصوصه ، وهو يرّبّ الناس للقتال في ذلك الوعر ويأمرهم بتقوى الله والإمضاء على أعداء الله ويَنهاهم عن النهب .

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة . وقصد المنصور أبا يزيد بنفسه ، فلمّا رآه ولّى منهزماً على عادته وأسلم أخيبته وخصوصه ، فأمر المنصور بإلقاء النار فيها . وانهب العسكر ما لا يوصف ، فوكّل المنصور قوماً من الصقالية بقتل من وجدوا معه شيئاً من النهب لأنّهم اشتغلوا عنه به وتفرّقوا حتى لم يبقَ معه إلّا اليسير ، فطمع أصحاب أبي يزيد وكسروا أجفان سيوفهم واستحزّ القتال وعلا بعضُهم على تلك الجبال يقاتلون من أعلاها بالحجارة . وأحاط القتال بالمنصور من كلّ جهة فكان الأولياء إذا اشتدّ عليهم القتال وأرادوا الفرار صدّهم ما وراءهم من ضيق المسالك فيرجعون إليه ويلوذون حول مظلتّه ، فكلمّا أقبل العدو من جهة حمل عليهم بنفسه فانهزموا بين يديه ولم يحتملوا رؤيته . فقتل

(1) في عيون الأخبار ، 409 : إلى المهدية .

من الفريقين خلق عظيم ، وكان يوماً لم يُسمع قط بمثله . وانطبقت ⁽¹⁾ الحرب ودامت إلى اصفرار الشمس ، وكَلَّت الخيل وفني السلاح ، وتعجَّب البربر من صبره وشجاعته . وانصرف راجعاً من طريقه فتسابق البربر إلى الجبال التي في طريقه ليرسلوا الصخور عليهم فأنذره رجل بذلك فسلك طريقاً غيرها فتخلص الجيش بأسره إلى معسكره بعد أن مضى صدر من الليل . فلم يكن في تلك الحروب كلها أعظم من هذا اليوم ولا أشد . ونادى في الناس أن يردُّوا كلَّ ما انتهبوه لعصيانهم إياه ومخالفة أمره . فأحرق ذلك كله بالنار .

تحصن أبي يزيد بجبل كيانه

[192 ب] وأوى / أبو يزيد إلى قلعة كيانه وهي منيعة لا ترام . ثم وصل في سابعه خفيف الخادم ومعه ثائر ثار بأرض كتامة وادَّعى الربوبية فقتل .

وأمر في هذا اليوم المنصور بعمل قفص من خشب على بكراتٍ وقال : « لا بدَّ أن أُدخل الفاسق - يعني أبا يزيد - في هذا القفص مع قردَيْن » . وكان الناس يَمُرُّون به ويتعجبون .

وأقبلت هواره وسائر القبائل يطلبون الأمان فأمَّنهم وأحسن إليهم وخلع عليهم . وبعث بنو كملان ومزاته الذين مع أبي يزيد في القلعة يطلبون العفو إلى أن يأتوا بأبي يزيد أسيراً فأجابهم وكفَّ عن قتالهم ، وانتظرهم شهراً حتى تبين له كذبهم .

ثم ركب يوم الأحد غرَّة شوال إلى مصلى بناه فصلى بالناس صلاة العيد وخطب خطبة بليغة ⁽²⁾ ثم انصرف إلى مضاربه فأمر بإطعام الناس على مراتبهم . ونادى من الغد بالرحيل وسار إلى قلعة كيانه فترل تحتها ، وأبو يزيد ومن

(1) لا يوجد « انطبق » في المعجم . ولعلها تعني : عمَّت وانتشرت كما في قولهم : طَبَّقَ الماء الأرض إذا غشَّها .

(2) نقل الداعي إدريس خطبتي العيد في عيون الأخبار ، 417 .

معه قيام ينظرون إليه . وجاءت السماء بمطر عظيم ورعد هائل وبرق ملح لم ير مثله . وركب عند غروب الشمس بجميع العسكر وأقام المحرس حول العسكر خشية أن يُبَيِّتَهُم النُّكَارُ وأقام على ذلك ثلاث ليالٍ ثم جعل ذلك نوباً على العسكر في الليل والنهار . وقطع الميرة عن القلعة من جميع الطرق .

وفي اليوم الرابع من نزوله أمر بحفر الخندق على معسكره في سفح القلعة وأخذ بيده معولاً فحفر به أوّل الناس ، فتسارعوا بأجمعهم في الحفر وجدّوا فيه . وأمر بقطع شجر الزيتون والثمار التي في سفح الجبل . وأخذت الرُّماة في الرمي فقتلوا جماعة من أصحاب أبي يزيد بالنشّاب ، وصلى المنصور بالناس المغرب تحت القلعة وانصرف إلى مضاربه . فبلغه أن النُّكَارَ على عزم بيات العسكر ، فأمر الكافّة بالخروج عن العسكر بالخيّل والرَّجُلِ وأمرهم بالصمت . فأقبل القوم في أوّل الليل فألقوا العسكر مستعدّين فانصرفوا . ثم عادوا فلم يجدوا فرصة فانصرفوا . ثمّ لمّا كان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شوال ، زحف المنصور إلى القلعة وترجّل أكثر الناس ، وصعد المنصور بنفسه إلى القلعة وجلس على بساط ، والناس في القتال . ثمّ ركبَ يحرّضهم حتى غربت الشمس [ف]انصرف بهم ، وقد اتّخّضوا في العدو . وبعث طائفة إلى غربيّ القلعة وشمالها حيث كان النُّكَارُ يرعون دوابّهم ، فحسروا القلعة من تلك الجهة حتى ضاق أهلها ضيقاً شديداً .

وزحف يوم الجمعة لعشر بقين منه ، وصعد بنفسه إلى سفح القلعة وكان قتالاً شديداً إلى المساء ، وكان يوم السبت مثلاً ذلك إلى الليل . وكان قد بعث طائفة من العسكر إلى قلعة شاكر وبها قبائل هوارة ومن انضمّ إليهم فحسروها حتى استأمنوا وملكها . فلما علم بذلك أبو يزيد ومن معه طارت قلوبهم رعباً وخوفاً .

ثمّ زحف أبو يزيد يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة إلى الخندق فقاتل ورجع خاسئاً .

وفي غرة ذي الحجة نزل جماعة من كيانه مجرمهم مستأمنين فأمتهم المنصور وأحسن إليهم .

عيد الأضحى في حصار كيانه

وجاء عيد الأضحى يوم الجمعة ، فركب المنصور إلى المصلّى على فرس وردّ بتجافيف مذهب[ة] وعليه ثوب أصفر وعمامة صفراء ، والمطارد⁽¹⁾ والبنود والطبول في نواحي العسكر ، فصلّى بالناس ثمّ رقي المنبر فخطب⁽²⁾ :

« باسم الله الرحمان الرحيم .

« الله أكبر ! الله أكبر ! لا إله إلا الله .

« والله أكبر ! الله أكبر ! والله الحمد .

« الحمد لله المتوحد بالربوبية ، المتفرّد بالوحدانية ، المتعزّز بالقدرة والبقاء ، المتجبرّ بالعظمة والكبرياء ، الأول بلا غاية ، والآخر بلا نهاية ، المتعالي عن تشبيه الجاهلين وتحديد الواصفين وتكييف الناعتين .

[193 أ] « وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ / محمداً عبده

ورسوله ، أكرمه بالنبوة ، واصطفاه بالرسالة ، وحباه بالفضيلة وابتعثه بالنور ساطعاً ، وبالحقّ صادقاً ، وبألهدى آمراً ، وعن الكفر زاجراً ، وعلى الأنبياء مهيمناً ، ولما جاؤوا به مصدّقاً . فبلغ الرسالة ، وهدى من الضلالة ، وأنقذ من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وفرائضه ، وبيّن حدوده وشرائعه ، وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين ، صلّى الله عليه في الأولين والآخرين ، وعلى آله الطيّبين ، الأئمة المهديين ، وسلّم ، ورحم وكرّم .

« أوصيكم عباد الله بما أوصيتُ به نفسي ، من تقوى الله ومراقبته ،

(1) المطرد : الرمح القصير . والتجفاف بالكسر والفتح : ضرب من الدرع للرجل والفرس .

(2) الخطبتان في عيون الأخبار ، 428 .

والعمل بما يُرضيه ويقرّبنا وإياكم إليه ، ففي تقواه ورضاه الفوز بالجنة والنجاة من النار : ﴿ وَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ (آل عمران ، 185) ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد ، 20) .

« ألا وإن يومكم هذا يومٌ حرام في شهرٍ حرام ، معظّم على الأيام : يوم الحجّ الأكبر ، افترض فيه على كافّة [أهل] الإسلام الحجّ إلى بيته الحرام الذي جعله مثابةً للناس . فتقرّبوا فيه إلى الله بما أمركم : فأنحروا إناث الإبل والبقر وفحول الضأن ، واجتنبوا ذوات العيوب والمشوّهة بالزيادة والنقصان ، فبذلك جرت سنّة نبيكم ﷺ ، وعلى الأئمة من ولده الأطهار الكرام الأبرار عليهم السلام . ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ (الحج ، 37) .

« تقبّل الله منّا ومنكم ، وكتب لنا ولكم حجّ بيته الحرام ، والوصول إلى مشاهده العظام ، باعتزاز ملكتنا ، وإتمام أمرنا ، وإنجاز متقدّم وعد[ه] لنا ، إنّه لا يُخلف الميعاد ، ولا يُعجزه إذا أراد » .

والخطبة الثانية بعد الجلوس :

« الحمد لله المبدئ المعيد ، الكريم المجيد ، الفعّال لما يريد ، خالق الخلق ، وباسط الرزق ، منزل القطر ، ومدبّر الأمر ،

« وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى ، وأميته على ما أوحى ، المنقذ من الضلالة والردى ﷺ ، وعلى آل بيته الكرام المهديين ، الأئمة الراشدين الطاهرين ، وعلى عليّ أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين ، وعلى الحسن والحسين سيّدَي شباب أهل الجنة ، جبال الدين وسادات العالمين ، وعلى الإمام المرتضى ، والوليّ المصطفى ، عبد الله أبي محمد الإمام المهديّ بالله أمير المؤمنين ، ووارث فضل الأئمة المهديّين من آبائه الخلفاء الراشدين ، وصفو الصفوة من الأولين

والآخرين ، الذي قامت به دولة المؤمنين ، وبسيفه ذلت رقابُ المنافقين ، فأعاد الإسلامَ غَضًّا ناضراً ، والدينَ مُشرقاً زاهراً ، والحقَّ مضيئاً باهراً ، فأحیی الله به من الدين ما اندرس ، ومن الحقِّ ما التبس ، وجمع له شرف الدنيا وفخرها ، وفضل الآخرة وذُخرها ، صلوات الله عليه ورضوانه ، ورحمته وحنانه .

« وصلى الله على وليّ عهده ، ووارث مجده . وخليفته من بعده ، المتقلّد الإمامة ، المتوّج بالكرامة ، عبد الله أبي القاسم الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، سليل النبين ، وبقية الأئمة المهديين ، صلاة يزيد به كرامة وعلاء ، وشرفاً وسناءً ، سامية القدر ، عالية الفخر ، باقية الدهر .

« اللهم ، وكما قلّدتني خلافتك التي كرّمتها وشرّفتها ، ولعنت مدّعيتها ، وأخزيت مناوئها ، واخترت [لها] الواحدَ بعد الواحد من آبائي الكرام المصطفّين ، الخلفاء الراشدين ، ثمّ ألْبستني ثوبَ مجدهم ، وتوجّجتني تاجَ [193 ب] عِزِّهم ، وطوّقتني إمامتَهُم ، وقلّدتني خلافتَهُم ، وأورّثتني مقامَهُم ، وأحييت / بي ذكرَهُم ، وتَممت بي أمرَهُم ، ونصبتني لما نصبتَهُم من الاحتجاج على خلقك ، والقيام بحقِّك ، ونصر دينك ، وإعزاز ملّة رسولك ، ثمّ أبدتني ونصرتني وأظهرتني ، وأعزّزت بي الأمة بعد الدّلة ، وكثرتَهُم بعد القلّة ، وجمعتَهُم بعد الفرقة ، وكشفت عنهم مدلهم الفتنة ، ودياجي الحنة ، فأصبح الحقُّ مشرقاً ، والباطل زاهقاً ، فضلاً منك عليّ ، ونعمة جدّدتها لديّ ، اللهم ، فألهمني شكر نعمتك ، ووفّقني للعمل بما يرضيك ، ويُرلّفي لديك ، ويُقرّني إليك ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بك ، عليك توكلت وإليك أنيب .

« اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك رؤوف رحيم . »

ونزل ونحر ناقته بيده . وانصرف الناس ، وقد علموا أنّه الإمام ، وأنّ القائم بأمر الله قد توفّي ، ففرحوا بخلافته . وكتب أهل العسكر بذلك إلى القيروان والمهدية ، فسّر الخاصّ والعام سروراً عظيماً .

ووصلت عساكر كتامة في ثاني يوم النحر ، فأعرض عنهم وقال : « لا حاجة لي اليوم بكم » . فتضرّعوا إليه وسألوه الرضى عنهم ، وضمنوا له أنهم يوافونه بعشرين ألف فارس وراجل . فرضي عنهم وبعث معهم ميسوراً⁽¹⁾ الخادم ، وأجل لهم عشرين يوماً . فبلغ ذلك أبا يزيد فأيقن بالهلكة ، وكتب إلى معبد بن خزر مع ابنه فضل ابن أبي يزيد يسأله النصر ، وكان معبد يرى رأي النكار ، فأجابه وحشد الحشود وزحف على بسكرة وطبنة فانصرف مقلولاً . ودخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . فوصل ميسور بعساكر كتامة في يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم . وكان المنصور يقول في سفره هذا كله : « إن لم أأخذ أبا يزيد وأسلخه فلست بأبن فاطمة ولست لكم بإمام » . ولما أمر بعمل القفص قال : « إن لم أدخل أبا يزيد في هذا القفص فلست بابن رسول الله ، ولقد ندمت إذ لم أصعد منبر القيروان وأذكر هذا لسائر الناس » . وكان يقول هذا ، وأبو يزيد في ستّة وثمانين ألف خُصٍّ ، في كلّ خصّ جماعة أقلهم ثلاثة ، وكلّ الناس قد يشّسوا من بقاء الدولة .

رؤيا للمنصور تبشّره بالنصر

ثمّ لمّا كان قبل أخذ أبي يزيد بثلاث ليال قال المنصور لطبيبه موسى بن العزار⁽²⁾ : يا موسى ، رأيت البارحة في النوم كأنّ القائم بأمر الله ، نصر الله وجهه ، قد جاء من خلّني فضرب بيده على كتفي ، فحوّلت وجهي إليه مظهراً إجلاله وإعظامه ، فقال لي : يا إسماعيل لك البشرى ! فأخرج من كمّة كتف شاة وقال : أنظر في هذه الكتف فإنّ فيها قبر عدوك ، وأنت تأخذه وتظفر به سريعاً - وأراني موضعاً من الكتف فيه القبر الذي أوماً إليه .

(1) المذكور في عيون الأخبار ، 494 هو مسرور .

(2) أو ابن العازار كما في المعاط الخفاء ، 196 أو ابن العيزار كما عند القفطي ، وأبنة إسحاق ترجم له المقرئزي أنّفاً رقم 720 . وسيدكر طيباً « رسمياً » للمنصور يسمّيه إسحاق بن سليمان .

فقال له موسى : يا مولاي ، هذه بشرى ألقاها الله إليك !

و[بينما] هم في الكلام إذ أتى الطَّبَّاحُ بالمائدة ، فأكل المنصور ومدَّ يده إلى كتف فجرَّدها وأمر بمَسحِها ثمَّ أخذها ونظر فيها وقال : « والله لكأنَّ هذه الكتفُ التي رأيتُ في منامي ، وهذا القبرُ في المكان الذي أرانيه ! » . فكان أخذه بعد ذلك بثلاثة أيام . وذلك أنَّه لمَّا كان يوم الخميس النصف من المحرم زحف إلى القلعة عند طلوع الشمس بجميع عساكره فكان قتال شديد في يوم شديد الحرِّ . ونزل المنصور على تلٍّ مشرف ليرى منه القتال ، وأمر بالروايا والقرب ، فنقل فيها الماء على البغال إلى المقاتلة . وقُتل من البربر خلق عظيم ، ثمَّ انصرف إلى معسكره .

وصابحهم يومَ الجمعة فكان القتال أشدَّ من اليوم الذي قبله . وأصعد المنصور ثلاثمائة عبد إلى القلعة فألقوا بها النار فاحترق كثير ممَّا فيها وعادوا ، فأنعم على كل عبد بمائة درهم وخلعة .

الوقعة الحاسمة وأسر أبي يزيد

ثمَّ صبحهم يوم السبت / ولبس ثوباً أخضر موشَّحاً بذهب وعمامة حمراء [194 أ] مُعلَّمة ⁽¹⁾ ، فقويت نفوس الناس وأيقنوا بالفتح لأنَّه لم يلبس هذا اللباس في جميع حروبه . وقامت الحرب على ساق ، فكان يوماً لم يُشهد قطُّ مثله ، وعلا البربر على تلك القلاع والأوعار وألقوا الصخور العظيمة فطحنت من الرجال والدوابَّ ما شاء الله . فلمَّا كان نصف النهار كلَّ جميع الناس وملَّوا وعطشوا من شدَّة الحرب والحرِّ وأنخنوا بالحجارة والجراح ، فغضب المنصور وتقدَّم بنفسه في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل فتوغَّل وعراً شديداً لا مسلك فيه للفارس ولا للراجل . فظنَّ النكار أنَّهم قد ظفروا به فحمل جميعهم عليه حملةً منكراً منحدرين كالسيل في الليل ، ففرَّق عنه أصحابه وأسلموه حتى بقيَ وحده ،

(1) أي لها علامةٌ خاصة من طرازٍ ونحوه .

فقصده وتعاوَرَّته السيوفُ والرماح والحجارة ، وثار عجاج مظلم طَبَق الأرض ، فرماه في تلك الحالة أحدهم برمح فأتقاه بالدِرَقَة فأنفذها إلى صدره ، وكانت الحجارة تَمُرُّ على فرسه يَمِيناً وشمالاً حتى كاد يسقط ، ثم تَجَلَّى الغبار . وقد ظَنَّ النكَّار أنهم أتوا عليه ، فأرأه قائماً فانهزموا بين يديه ، واتَّبَعهم وحدَه في وعراً مسلَّك فيه ، فرآه أصحابُه سالماً وقد كانوا يشسوا منه فعطفوا من كلِّ ناحيةٍ إليه وقتلوا البربر قتلاً ذريعاً . ولجأ أبو يزيد وأصحابه إلى قصر في ذروة القلعة وقاتلوا من أعلاه ، فضربت فائزة صغيرة بالقرب من القصر وجلس المنصور فيها ، والجيش محيطٌ بالقصر من كلِّ ناحية ، ثم ألقوا النار في أبوابه . وكسب المنصور كتاباً بأمان مَن في القصر إن هُم خرجوا وأسلموا أبا يزيد ، ورفعهُ على قناةٍ إليهم ، فزَقوه ورمَوْا به وقتلوا قتال أهل البصائر⁽¹⁾ حتى هجم الظلام وقد ملَّ الفريقان وأعيَوْا . فأمر المنصور بإيقاد المشاعل حول القصر ، ودارت الجيوش عليه ، وخرج من الفائزة إلى بساط جلس عليه قريباً من القصر ، وأطلق النار في الشعاري فصار الليل كالنهار المُشْرِق ، وهو جالس ، والطبول تضرب بين يديه والأعلام منشورة . فلمَّا كان في آخر الليل فتحو باب القصر وخرجوا وهم يحملون أبا يزيد وأبا عمَّار على أيديهم ، فحملوا على مَن يليهم حملةً شديدةً حتى اختلط الناس ، وقتل من النكَّار مَن قُتل ونجا من نجا . وكانَ فيمَن قُتل أبو عمَّار⁽²⁾ وجماعة . وأسر منهم رجل فأخبر المنصور عن أبي يزيد أنه خرج محمولاً على أيدي ثقاته . فأمر بطلبه فلم يُوجَد . فشَقَّ ذلك عليه وغمَّه ووقعت فترة في العسكر⁽³⁾ .

وجاء المؤدِّنون فأذَّنوا بصلاة الصبح فقام وصَلَّى على وضوءه بالأمس . فلمَّا سلَّم من صلاته قال : « لو علم الفاسق أنَّ في الأرض أحصَنَ من هذه القلعة

(1) البصيرة : عقيدة القلب .

(2) في المخطوط : أبو عامر .

(3) الفترة هنا : الخيبة والانكسار .

لصار إليها ، وما أحسبه زال عن هذا المكان ، ولو كان في السماء لسقط في يدي . فهو في الكلام حتى أتوه به أسيراً ، فحمد الله وأثنى عليه وشكره وسجد شكراً لله ، وأمر للذي بشر به بألف دينار . وأمر بأبي يزيد فحُمِلَ إلى المضرب وهو لما به ⁽¹⁾ من الضعف والجراح ، والناس يكبرون ويهللون ويحمدون الله ويشكرونه . وركب المنصور فرسه وقد ظهر السرور في وجهه ، وهو يحمد الله ويشكره حتى انتهى إلى فسطاطه ، والناس يهتفون بما فتح الله له ونصره وأعزّه . فأمر الناس بالانصراف ودخل ، فوجد أبا يزيد مُلقًى ورأسه في حجر جعفر بن علي الحاجب ، فأعرض عنه ودخل إلى مضربه وأمر بمعالجة أبي يزيد من جراحاته ووكل به من يحفظه .

وكتب بالفتح إلى الآفاق فكانت نسخة الكتاب إلى مدام من إملائه بنفسه بعد الصدر :

رواية المنصور للأحداث

«أما بعد ، فالشكر والحمد لله رب العالمين الذي نصر عبده وأنجز له وعده ، وتفرد بالمن عليه وحده فأظهرني جل ثناؤه متوجاً بعزته / ، رافلاً في حلل كرامته ، مبوأً من الشرف دراه ، ومن المجد أعلاه ، بعد أن : ﴿ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ (الأحزاب ، ١٥) ، وظنَّ العبادُ بالله الظنون ، فجلى بي الظلام ، وأنقذ الأنام ، وأثبت الإسلام ، وجمع الأمم بعد الفرقة ، وأمنهم بعد المخافة ، وأعزهم بعد الذلة ، فحقن بي الدماء ، وسكن الدهماء ، وأبدني بنصره وإعزازه ، فاعترف لي به المؤمنُ المساعدُ ، والكافر المعاندُ ، لقصر طاقة المخلوقين عن بلوغ ما أملوه ، وإدراك ما حاولوه ، فضلاً من هذه النعمة الجليلة ، والمن الجزيلة التي حققت الآمال وقطعت أطماع الدجّال ، فأصارها الله إليّ كلّها ، ورآني أهلها .

(1) هكذا في المخطوط . ولعلها : لا يأبه .

« فلم أزل ، منذ انتصبتُ للجهاد في سبيله ، وأهدفتُ نحري دون دينه ،
 باذلاً نفسي ، متعباً جسمي ، مستصغراً لكل عظيم ، راكباً لكل هول ، متعرفاً
 من الله أجمل الصنع ، وأحسن التوفيق في كل شيء أممته ، ورأى ارتأيته .
 وموقف حرب وقفته ، إلى أن أتم الله عليّ النعمة ، وأكمل المنة ، بالإمكان
 من عدوّ الله الخائن أبي يزيد ، أسيراً ذليلاً ، بعد حربٍ شديدٍ كان بيننا وبينه
 ثلاثة أيام متتابعة لم يكن قبلها مثلها .

« بدأنا إليه بالزحف يوم الخميس لثمانٍ بقين من المحرم . طلوع الشمس .
 فقاتلناه قتالاً شديداً إلى بعض العصر . ثم عاودناه القتال صبيحة السبت .
 وأيقنوا بالهلاك . واشتد القتال في وعر شديد ، فجعلوا يُلقون علينا الصخور
 العظيمة لا تمر بفارس ولا راجل إلا صيرته رميماً ، والله يدفع ذلك عنا بمنّة
 ويكلونا بعينه . فلم نزل من أول النهار حتى كلّ الناس وملّوا من حرّ يسقط طيور
 الجوّ منه . وتقطع الأولياء جراحاً ، وأنحنا بالحجارة . وهابوا الإقدام فأغضبني
 ذلك فزجرتهم وتوعدتهم وتقدمت بنفسي واثقاً بالله ربّي . ومعني مطحينة⁽¹⁾ فيها
 أكثر من ثلاثة آلاف فارس ونيف على عشرة آلاف راجل . ورأى العدو إقدايي
 إليهم فأيقنوا بالهلكة ، وانهزموا بين يديّ حتى توسّطت الوعر الشديد الهائل
 إليهم ، فظنّوا أنهم قد ظفروا بما دبّروه ، فحملوا علينا حملة رجل واحد ردّت
 كلّ من كان معي . وأسلموني فقصدي الفسقة وتعاوروني بالسيوف والحجارة
 والرماح . وثار عجاج مظلم طبق الأرض فوصلوا [إليّ] حتى تجاذبوا ردائي
 فمزّقوه ، وقبضت ركابي ، ورُميت في تلك الحملة برُمح⁽²⁾ أخذته في درّقتي
 فنفذ إلى صدري ، وأنحنا فرسي بالحجارة فكاد يسقط تحتي ، فوثقت بالله
 وطبت بالشهادة في سبيله نفساً ، وقلت : يا نفس . حبذا والله موقف عشت

(1) طحى بالتشديد : مدّ ونشر ، وأيضاً أهلك . فالمطحينة هي القاضية المهلكة . ولعلّها
 مطحنة : اسم آلة . من طحتهم الحرب ، أي أبادتهم .
 (2) ما بين مرتعين سقط من المخطوطة ، فأخذناه من عيون الأخبار . 441 .

بعده عزيزاً أو رحمت منه شهيداً إلى لقاء جدّي رسول الله ﷺ ، فوالله ما ثنيت عنهم عناناً ، وإني لواقف في غلالة ورداء ودرقة ، فما هو إلا أن تجلّى الغبار ورأوني قائماً في وجوههم فانهزموا وولّوا الأدبار . وأتبعتهم وحدي في وعري لا مسلك للخيول فيه ، ورآني الأولياء واستيقنوا بسلامتي فعطفوا عليهم عطفة واحدة ، فصحت بهم وحرّضتهم فاستأسدوا وتفرّقوا يميناً وشمالاً في طلبهم وقتلهم ، وملكت القلعة بالسيف قسراً .

«وأنجَحَرَ اللعين أبو يزيد وأهله وكماته ورجاله وغازئه في قصر أوليّ بذروة القلعة ، وأحاطت الجيوش به من كلّ ناحية ، فرمياً بالحجارة والرماح ورشقاً بالسهم . وأشعلنا النار في أبواب القصر ، والكفرة مصرّون على كفرهم وغيّهم . فكتبْتُ لهم في ذلك المقام كتاباً منشوراً بأمانهم إن هُم خرجوا إليّ وأسلموا اللعين ، وأردتُ بذلك الإستظهار بالحجة عند الله عزّ وجلّ . فأخذوا الكتاب [195 أ] فزقوه ، فأول من / مدّ يده إلى تمزيقه أصابه سهمٌ فمات وصبر الله روحه إلى عذابه . وتمادّوا على إصرارهم . وأمرتُ بليقاد المشاعل ، وبتُّ ليلتي كلّها ساهرها ، ورجلنا على خيولهم ، وسيوفهم على أعناقهم . فلما كان آخر الليل حمل اللعين وأصحابه من الحصن حملةً واحدة فاختلف الناس ، وقتل في تلك المعركة من الفسقة من قتل ونجا من نجا . وكان ممّن قتل أبو عمّار اللعين الأعمى ، ويدرس المُرّاني ، وجعفر الناظر⁽¹⁾ وجماعة منهم ، ونجا من نجا منهم مترامياً بنفسه من أعلى القلعة هارباً . فلم أصرفهم ، وأمرت الأولياء بالثبات على مصافهم⁽²⁾ وتعبثهم حول ذلك [القصر . ولم أزل قائماً حتى لاح ضياء الفجر ، وإذا اللعين قد] جرح في تلك الحملة فحملة ثلاثيّة من أصحابه حتى [خلّصوه من المعركة ثم ولّوا وأسلموه فذهب لينزل من القلعة فسقط ، ثم

(1) في الاصل : الناطق ، والتصويب من عيون الأخبار 442 ، وكذلك الإضافات .

(2) في المخطوط : مصارفهم .

قام ليلحق بأصحابه فسقط سقطة أخرى أوهت جسمه فلم يستطع حراكاً فبقِيَ مُلقًى على ضفة الوادي ، فأُتينا به أسيراً بحمد الله ومنه وصنعه وعونه عند صلاة الفجر يوم الأحد لخمسٍ بقين من المحرم . ورأيت من سوء حاله وما أصاره الله إليه من الذلّ وأحلّه به من النعمة ما في بعضه شفاء للغيظ . فحمدت الله وشكرته ، وأمرتُ بمداواة اللعين والرفق به إلى أن أصل به إلى المهديّة إن شاء الله .

« فاحمد الله أنت ومن قبلك من رعايانا ، وأكثرُوا معاشِرَ العباد من الشكر ، وتقربوا إليه بالصدقات وعتق الرقاب من طيّب أموالكم ، واذكروا ما كنتم فيه وما أصبحتم فيه اليوم من العزّ بعد الذلّة ، والأمن بعد الخوف ، والطمأنينة بعد الروع . والاجتماع بعد الفرقة ، والدعة بعد المحنة . واحمدوا الله على ما وهبكم وصرف عنكم . فقد تحمّلت ما لم يتحمّله ملك قطّ قبلي ، لم أُرِدْ بذلك من المخلوقين جزاءً ولا شكوراً إلّا القربة إلى الله عزّ وجل ، والزلفى لديه والرغبة في ما عنده . فالحمد لله على إنجاح سعيي وتبليغي أُملي ، وإليه أرغب في العون على أداء شكره وتوفيتي لمرضاته . وهو حسبي ونعم الوكيل » .

وذكر المنصور أنّه لمّا وقف في المضيق صعد رجل على صخرة يرميه بالحجارة ويقلب الصخور عليه ، وهو لا يستطيع أن يتحرّك لضيق الموضع ، وإذا برجل قد جاء إلى ذاك الرجل من ورائه فرماه برمح فقتله وحزّ رأسه . فأمره أن يحمل الرأس إلى المضرب وينتظره ليكافئه . فلما تراجع إليه الناس وعاد إلى المعسكر وجدّ الرأس بين يديّ المضرب فعرفه . وطلب قاتله فلم يجده ، فعلم أن ذلك من نصر الله له .

المنظرة بين المنصور وأبي يزيد

وأحضر المنصور أبا يزيد بعد أخذه بيوم فقال : « أي عدوّ الله وعدوّ دينه ، كيف رأيت صنعَ الله ؟ ألم ينصر الله الحقّ على قلّة أنصاره ويخذل الباطل على كثرة أعوانه ؟ » . وقرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ : لَا

غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ . فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ ﴿ (الأنفال ، 48) .

فرفع أبو يزيد رأسه وقال : قد أقدرك الله ، والعفو أولى بك .
فقال له : تكلم آمناً مطمئناً : ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين - يعني
القائم بأمر الله - حين خرجت عليه ؟

فقال : كان أبو القاسم كريماً حوله قوم سوءٍ أحدثوا هذه القبالات التي فيها
الجور على المسلمين ، فقممت لذلك منكراً أريد إصلاح أمور الناس .

قال : فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ؟

قال : لا أعلم .

قال : فهلاً رفعت ذلك إليه وأطلعته عليه ؟ فإن ⁽¹⁾ غير المنكر ، كان الذي
[195 ب] أردت ، وإن هو لم يفعل اتخذت ذلك / حجةً عليه ؟

فصكت . قال : كأنك إنما قتت محتسباً ؟

قال : نعم .

قال : وهل غير الإسلام ونقض شريعة محمد عليه السلام غيرك ؟

قال : كيف ؟

قال : بما ارتكبت من المحارم واحتقبت من العظائم ، وسفكت من
الدماء ، وهتكت من الحرمات .

قال : فعل ذلك قوم سوء تبعوني .

قال : عن معرفة منك بهم أم عن جهل ؟

قال : عن جهل .

(1) في المخطوط : وإن .

قال : فإذا كنتَ لا ترى الحجّة عليك بفعل أصحابك ، فمن أين رأيتَ الحجّة واجبةً على أمير المؤمنين من فعل عبيده في أقاصي البلدان ، ومُلْكُهُ بِحمد الله كالبهر الذي فيه الجواهر والعُثَاء ؟

فسكت . قال المنصور : ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصة ؟

قال : قوم سوء ملاعين .

قال : قد نقضتَ قولك وأكذبتك الله على لسانك إذ زعمتَ أنك جاهل بأهل الشرّ من أصحابك . ثمّ هذا قولك في بني كملان . وهم عُمدُك وأصحابُك ، فالويل لك من الله !

قال : فإنني أتوب إلى الله عزّ وجلّ على يدك .

قال : وأيّ توبةٍ تقبل منك ، وقد خرجتَ عن مذهبك ؟

قال : بماذا ؟

قال : بالفرار من الزحف ، وهو من الكبائر عندنا أولياء الله ، وعندكم ، أعداء الله . كفرٌ وشرك . لهذا وأنت الضامن لأصحابك أنك لا تنهزم أبداً . قال : ومتى آنهزمتُ ؟

قال : من سوسة ، ثمّ من القيروان ، ثمّ من تمّاديت⁽¹⁾ ، ثمّ من باغاية .

قال : بل أردتُ دخولَ المغرب فرحلت من القيروان .

قال : بل أخرجك منها ابن رسول الله بسيف جدّه صاغراً مهزوماً ذليلاً خازياً طريداً .

فسكت . فقال له المنصور : ثمّ استعملتَ الكذب .

(1) في المخطوط : تامديت .

قال : ومتى كذبت ؟

قال : في كتابك إلى الأمويّ الشقيّ ترعم فيه أنّك حصرتي وقتلت رجالي وأخذتَ فازتي .

قال : ما كتبت هذا .

قال : يا غلام ، أحضر كُتُبَه التي أخذناها مع رسوله !

قال : العفو !

قال : ومن العجب أنّك تعدّ نفسك من الدهاة وتراها أهلاً لتدبير الحروب وسياسة الأمور ، وأمرأة من سِفلة الناس كانت أعقلَ منك .

قال : ومن هي ؟

قال : امرأتك التي حذرُك سوءَ العاقبة وأشارت عليك⁽¹⁾ بالاعتراف بذنبك ، والتوبة إلى الله عزّ وجلّ ربّك ، فلو أظعّتها لأصبتَ رشداً .

قال : لقد قالت ذلك .

قال : أتدري لِمَ بلغتَ ما بلغتَ ، على خساستك وجَهْلِكَ وسوء حالِك ؟

قال : بالقيام لله .

قال : معاذ الله ! من قام لله نصره الله . ولن يقوم لله إلّا أولياء الله⁽²⁾ .

قال : فماذا ؟

قال : بهوانك على أمير المؤمنين ، واحتقاره إيّاك ، واستصغاره لشأنك . ولقد كان يقول : لو أخذ عدوّ الله بخلقني هذا الباب ما خرجتُ إليه ، ليلبّو الله المؤمنين ويمحق الكافرين . والذي نفسي بيده ، لينجزن الله لنا وعده ولو كره المشركون !

(1) في المخطوط : إليك .

(2) في المخطوط : الأولياء الله .

فسكت . فقال له : عندنا أن نُحسن إليك ونتفضّل عليك ، ولن ينالك من عقوبتنا أكثر من سجنك في دار واسعة ورزق دارٍ لتعلم أنني ابن رسول الله وأن الله فضّل أخلاقنا كما طهر أعراقنا . فوالله ما لي في قتلك درك ثارٍ ولا شفاء غيظ . أخزى الله دولةً لا يُحييها إلّا موئك !

ثم أمر بحمله فحُمِل وهو يقول : جزاك الله خيراً ! فقد فعلت ما يُشبهك .

وفاة الثائر البربري والتمثيل بحجته

وأقام إلى ليلة الخميس آخر المحرم فمات من الجراح التي أصابته . ولما أصبح أمر بإدخاله القفص الذي كان أعدّه له ، وجعل معه قردَيْن يلعبان عليه ، وأخرجته إلى الخندق تحت قلعة كيانه ليراه أصحابه وأحضر الجزارين وأمرهم بسلخه فسلخ بصورة جميع أعضائه ووجهه ورأسه وأخرجوا أحشاءه وعولج بما يحفظ لحوم الموتى ، وحُشِيَ جلده بالتبن حتى ظهرت صورته كأنها ناطقة . وجعل ذلك في صندوقين طويلين ، وأهل القلعة مُشرفون عليه ينظرون / ما قد [196 أ] عمل به ، فهاهم ذلك وملاً نفوسهم رعباً .

ولما فرغ من فعله بأبي يزيد ، وحضرت صلاة الظهر ، تقدّم المؤذنون ، فأذّنوا . ثم قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . صلاة الظهر رحمك الله !

فسرّ الناسُ بذلك وفرحوا وتباشروا . وجلس للناس بعد صلاة الظهر فدخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وهنّووه بها . فبسط آمالهم ووعدهم بالفضل والإحسان والعدل . وأمر بإنشاء الكتب إلى الآفاق بأنه أمير المؤمنين . وإنّما ستر ذلك وكتمه من أجل الحرب ودوام الفتنة ولئلا يسرّ عدوّ الله بموت أبيه القائم بأمر الله . وتقدّم بإثبات اسمه بالسكّة ودار الضرب ⁽¹⁾ .

(1) الإعلان عن وفاة القائم كان بعد عام وثلاثة أشهر (انظر ترجمة القائم رقم 2641) .

ووافى في هذا اليوم معبد بن خرز النكاري بجموعه حتى نزل تحت قلعة
شاكر فملكها . ثم زحف من الغد إلى الخندق فنزل عليه ولحق به من بقي بقلعة
كيانة من أصحاب أبي يزيد . فندب المنصور لقتاله واقتتلوا قتالاً شديداً [و] قتل
من الفريقين خلق كثير . ثم انهزم معبد إلى كيانة فامتنع بها وقاتل منها . وكان
زيري بن مناد وقصر وشفيع بالمسيلة فأمر بإحضارهم مُحَفِّين بغير أثقال .

ورحل يوم السبت غرة صفر ، فأخذ معبد يضرب ساقة العسكر ، فبعث
المنصور بشري الصقلي بعساكره⁽¹⁾ إلى زيري وقصر لمحاربة معبد فحاربوه
وقتلوا منه عدداً كبيراً حتى انهزم .

ووصل المنصور إلى المسيلة فأقام بها سبعة عشر يوماً . فأتته عساكر كتامة
مع خفيف ومسرور الصقليين . وأتاه قوم من بني كملان فعفا عنهم وخلع
عليهم .

ورحل ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة بقية من صفر ، وأمر زيري بحشد
صنهاجة .

ثم نزل تاهرت يوم الاثنين غرة ربيع الأول ، فطيف بأبي يزيد فيها .
ونزل بالمنصور علة شديدة مدة عشرين يوماً حتى يئس منه ثم برئ .
وقلّد مسروراً الخادم عمل تاهرت .

ورحل عنها لتسع خلون من ربيع الآخر ، فمرّ بقبائل لواتة ومضى يريد
إفريقية . وخلع على زيري بن مناد أربع خلع كاملة فيها ثوب مثقل بدارات⁽²⁾
قيمته أكثر من ألف دينار ، وخلع على أولاده وأصحابه ، وحمله على فرس من
مراكبه بسرج ثقیل وقلده سيفاً وأعطاه ثلاثة أحمال مالا وأعاده إلى موضعه .

(1) في المخطوط : بعرامته ، ولم نفهمها .

(2) هكذا في الأصل ، ولم نفهم المقصود منها ، ولعلّها : دُرّات .

ونزل مدينة سطيف من بلد كتامة فأقام بها شهراً ، وفرض على كتامة أربعة عشر ألف بيت يوافونه بها [ب] المنصورية للسكنى بها . ثم رحل منها فوافته في مسيره حشود كتامة وعيالاتهم ، فأنفذهم إلى المنصورية . فلما نزل تبسة خلع فيها على جميع الأولياء خلعاً نفيسة ، وتلقاه كثير من أهل المهدية بها .

رجوع المنصور إلى القيروان ظافراً

ثم سار والناس يتلقونه شيئاً بعد شيء ركبناً ومشاة حتى أشرف على المنصورية ، فخرج إليه أهلها بأجمعهم يكبرون الله ويهللون ويدعون له ، فسجد على فرسه شكراً لله تعالى ، ونزل قصره بالمنصورية ، وقد بناه له مدام الصقلي في غيبته . وكان وصوله صلاة العصر يوم الخميس لليلة بقيت من جمادى الآخرة فبات بها . وأخرج من الغد أبا يزيد وطوف به على جمل وعليه طرطور وقردان على كتفيه مدة ثلاثة أيام . ثم حمل إلى المهدية فطيف به هنالك ، ثم جعل على خشبة طويلة فوق سور المهدية ، فأقام حتى مرّته الرياح .

وقالت الشعراء في ذلك فأكثرث . فمن ذلك قول محمد بن سعيد⁽¹⁾

الأبروطي من قصيدة [طويل] :

يُقَلِّدُهَا مِنْ هَاشِمٍ خَيْرَ هَاشِمٍ	وأشرفها بنيان مجدي وأرفعا
/ تَحْمَلُ مِنْهَا مَا لَوْ أَنَّ أَقْلَهُ	على كاهل الدهر انكفا وتضعضنا [196 ب]
أُظِلَّ عَلَى الدُّنْيَا فَلَمْ يَبْقَ جَانِبُ	من الأرض إلا اخضر نبتاً وأمرعا
رَمَى الْخَائِنَ الدَّجَالَ إِذْ حُمَّ حَيْنُهُ	فما رام حتى عاد شيلواً موزعا
5 سَلِ الْغَرْبَ كَمْ أَبْقَى بِهِ مِنْ وَقَائِعِ	حقيق لها بالشرق أن تُتَوَقَّعا 5
وَلَمْ أَرَ كَالْمَنْصُورِ بِاللَّهِ نَاصِراً	لدين ، ولا أحمى لمُلكٍ وأمنعا

(1) سبق أن سمّاه محمد بن الحرث . ويسمّيه من جديد محمد بن الحرث ، ص 180 . وجاء في معجم البلدان (باجة) اسم محمد بن سعيد الأبروطي ، وهو رجل من أهل اللغة والتدريس . وهو غير هذا الشاعر حسب ما يبدو .

[هو الملكُ المخصوصُ بالتصيرِ مُلكه
 ألم ترَ يومَ القيروانِ وقوفه
 فأبرزَ وجهاً للحفيظة أبيضاً
 10 إذا استقبلَ الأبصارَ ، وهي طوامحُ
 إمامِ الهدى ، أقبلتَ ، والدهرُ مقبلُ
 وما أحدٌ يسعى ليدركَ غايتهُ
 وحافظُ ما قد كانَ ضاعَ وضيعاً⁽¹⁾
 وقد كادت الأكبَادُ أن تصدعاً ؟
 يقابلَ وجهاً للكريمةِ أسفعا⁽²⁾
 ثناها ، ولم تستكملِ اللحظَ ، خُشعا
 وقد عادَ عودُ الدهرِ رطباً فأينعا
 من الفخرِ إلا كنتَ بالفخرِ أشفعا

وقال آخر من قصيدة [كامل] :

انظر إلى الأيام كيف ترى لها
 كشف الغطا لمنصّرٍ عن حُجّةٍ
 الله جرّد للإمامةِ فضلها
 قصدَ التي ليست تُرأى ، بنفسه
 5 سل كيف كان ، وقد رأيتَ ثباته
 وسعى الضلالُ فساقَ كلَّ قبيلةٍ
 ظنَّ القلاعَ تُرْدُ بأسك دونها
 ولجا إلى تلك الوعور ، وخلفه
 أتبعته حزماً أحاط بكيده
 10 لم ينج منك ، وأين [كان] لمثله
 جازيته أوفى الجزاء ، ولم تكن
 نعتدُّ ذكركَ عندَ كلِّ شديدةٍ
 أقبلتَ تقدّمك السعادةُ مثلماً
 وجهاً تآلَقَ نُورُه وتَهَلَّلَا
 نطقت دلائلُها فكانت فيصلا
 مُدَّ قَلَدَ الأمرِ الإمامَ الأفضلا
 فأقام بالتدبير منها الأميلا
 إذ كادت الأبوابُ أن تتزيلا
 وأتى اللعينُ يقود جيشاً جحفلا
 فقصدته من حيث لم يكُ أملاً
 نَكِرُ إذا ما حلَّ وعراً أسهلاً⁽³⁾
 ورميت عَقْد ضلاله فتحلَّلا
 منجى ، ولو سكن السالك الأعزلا ؟
 فيما عهدتُ تقولُ حتى تفعلا
 وزراً نلودُ به وسيفك معقلا
 وافى بجِدته الربيعُ فأقبلا

- (1) هذا البيت غير موجود في المخطوط ، ونقلناه عن عيون الأخبار ، 364 .
 (2) مرّت بنا رواية مغايرة ، وستكرر . وأبرز عن وجهٍ من الصبر أبيض ... ، والحفيظة الحميّة والغضب والغيرة .
 (3) النكير (وزن فطن ولبق) : الذكيُّ النبيه الداهية .

فاسلّم أمينَ اللهَ للدنيا التي أعزّت ، والدين الذي بك أكملّا

تمرد الفضل ابن صاحب الحمار

ثم بلغ المنصور أنّ فضل بن أبي يزيد مضى إلى جبل أوراس وجمع عدداً كبيراً وسار إلى قسطنطينة وقفصة . فرحل في حينه من المنصورية يوم الاثنين غرة شعبان . ومعه الأمير أبو تميم معدّ وليّ عهد المسلمين . وسار حتى نزل مدينة سيطة ثم أتى قفصة فأقام بها أربعة أيام وقد قرّ عنها فضل إلى عمل بسكرة فرحل في طلبه لثلاث بقين منه وبعث الأمير أبو تميم إلى حصن منيع به جماعة من أصحاب فضل بن أبي يزيد ففتحوه وعاد غانماً بالأسرى ، فاستقبله قائماً فقبل ما بين عينيه وضّمه إلى صدره وقال : « أنت أبني حقاً ! » ، وحزّت رؤوس الأسرى فزادت على ثلاثمائة رأس بعث بها إلى المهديّة والمنصورية / وأمر بقطع [197 أ] نخلهم وأشجارهم وهدم حصنهم وعاد ، وقد توغل فضل في الرمال ، لثلاث خلون من شهر رمضان ، ونزل بقصره بالمنصورية يوم الثلاثاء النصف منه ، ثم رحل منه إلى المهديّة لخمس بقين منه .

خطبة عيد الفطر بعد الظفر

وركب منها يوم الفطر ، والأمير أبو تميم وليّ عهده خلف ظهره والأولاد والإخوة والعمومة من ورائها والأعلام والمطارِدُ بين أيديها ، والطبول تُضرب في نواحي العسكر ، وهو سائر بوقارٍ حتى وصل إلى المصلّى فنزل وصلى بالناس ثم صعد المنبر فقال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ،

« الحمد لله ، شكراً لأنعمه التي لا تحجد ، وتعرضاً للمزيد من فضله الذي لا ينفد .

« ولا إله إلا الله ، إخلاصاً للتوحيد .

« والله أكبر ، إجلالاً لذكر العليّ المجيد ، له الكبرياء والقوة ، والجلال

والقدرة ، والسناء والعظمة ، له ما في السماوات العلى ، والأرضين السفلى ، وما بينهما وما تحت الثرى ، كلٌّ خاضع لعظمته ، متذلّل لعزّته ، متصرّف بمشيئته ، واقع تحت قدرته .

«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختاره وانتخبه وارتنضاه ، وكرّمه واصطفاه ، وبعثه بالهدى ودين الحقّ الذي تعبد به من في السماوات من الملائكة المقربين ، ومن في الأرض من الثقلين أجمعين ، فقام عليه السلام بما حمّل ، وبلغ ما به أرسل ، صادعاً بأمر ربّه ، صابراً على البأساء والضراء ، إلى أن أظهر الله دينه على الأديان ، وأزهق بحقه أباطيل الأوثان ، صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، وشرف وكرّم .

«عباد الله ، أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، وخشية الله ومراقبته ، والتقرب إليه بما يرضيه ، فإنه بما في قلوبكم خير ، وبأعمالكم بصير ، لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب ، 71) .

«ألا وإن الله عزّ وجلّ جعل يومكم هذا عيداً لتَمَامِ صومِكُمْ ، فاقنطروا فيه بسنة نبيّكم ، وليُخرج كلٌّ منكم عن كلّ واحدٍ من أهله ، إنانهم وذكورهم ، وصغيرهم وكبيرهم ، نصف صاع من بُرٍّ أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمرٍ من طعامكم الذي تأكلون . وأكثرُوا الدعاء والاستغفار ، والحذر من النار . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر ، 18) .

«إن الله عزّ وجلّ لم يُهملكم إهمالَ الهمج ، ولم يجعل عليكم في الدين من حرج . وثقنا الله وإياكم لما يرضيه ، ويقرّبنا إليه ، ويزلفنا لديه . وصلوات الله أولاً وآخراً على محمد خاتم النبيّين وسيد المرسلين ، وعلى أهله الطيّبين المهديّين ، السادة الأكرمين ، الذين قضوا بالحقّ وبه كانوا يعدلون .»

الخطبة الثانية :

« الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين . والصلوات الغاديات الراثات
الزاكيات الناميات على محمد وآله الطيبين ، الأئمة المهديين ، السادة الأكرمين
الأبرّين .

« حمداً حمداً ! شكراً شكراً ! أنجزتَ وعدك ، ونصرتَ عبدك ، على
كره الكافرين ، وصغار المارقين الأخسرين ، أحزاب⁽¹⁾ الدجال اللعين ،
المغضوب عليهم الضالّين ، الأنجاس الأرجاس ، أولي الذلّ والإتعاس ،
الأشقياء الأخزياء ، الملعونين في الأرض والسماء .

« حمداً حمداً ! وشكراً لله شكراً !

« سلام الله وصلواته ، ورحمته وبركاته عليكما يا أميرَي المؤمنين ، وخليفتي
ربّ العالمين ، يا ابني الهداة المهديين ، يا أبتاه ! يا جدّاه ! يا ابني محمد رسول
الله . سلام مسلّم لله فيما قضاه عليّ من فقدكُما ، صابرٍ على ما امتحنني به من
بعدكما⁽²⁾ . فيا طول الحسرة ، وفيض العبرة عليك يا أبتاه ! يا محمداه ؟ يا أبا
القاسماه ! يا خليلاه ! / واشوقاه ! والكمّاه ! والذي خلق الأرض والسماء ، [197 ب]
باعث الموتى ، ومميت الأحياء ، ما أنا في ريب من اختيار الله لك ، ونُقلتك
إلى دار كرامته ، ومستقرّ رحمته التي بوّأها محمداً رسولَه جدّك صلّى الله عليه ،
وأمرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وفاطمة الزهراء البتول أمّك . [وآباءك]
الأطهار المهديين ، الأبرار الأكرمين . لكنّ لوعة الحزون باعثة للشجون ، مبكية
للعيون ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون ، وله مسلّمون ، وعلى كلّ حال تصرّف بنا
حاملون ، ولنعمائه شاكرون .

« فقد أعظم الله عزّ وجلّ البسّة ، وضاعف النّعمة ، بما ربطه على قلبي من

(1) في المخطوط : أحداث .

(2) الفتحة في النصّ .

الصبر ، ثم [ب]حماً أكرمني به من العزّ والنصر الذي ثبّت به قواعد الإسلام ،
ونور به قلوب المؤمنين بعد الإظلام ، وبعد انقطاع الرجاء ، لتطاول شدة
البلاء ، بالفتنة العظمى وأهوالها ، ولبالها وزلزالها ، بدجال النفاق ، وأحزابه
المراق ، أعداء الدين ، وأنصار إبليس اللعين . أمهلهم الله استدراجاً ، وأمل
هم فازدادوا في الغيّ لجاجاً ، ليميّز الله الخبيث من الطيّب ، وليريّ أولي
الألباب تصديق وعد الكتاب . ﴿آلَمْ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا
آمَنَّا ، وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ؟ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت ، 1 - 2) ، وعداً من الله [لا يخلفه] ،
وحكماً لا يبدله ، في الأولين من عباده والآخرين ، إلى يوم الدين . فكانت
بحمد الله ونعمته على أعدائنا فتنة أصمَّتْهم وأعمَّتْهم ، وأضلَّتْهم وأردتهم ، ولنا
ولأوليائنا محنة أكسبتنا أجراً ، وأعقبتنا عزّاً وفخراً ، كان وجهها شتيماً ،
وعقباها كريماً ، لما أراد الله عزّ وجلّ من تجديد دولتنا وإعزاز أمرنا ، وتكفله
بنصرنا ، وتثبيت أوليائنا ، ومحق أعدائنا ، حتى انتهت منتهاها ، وبلغت أقصى
مداها ، فجلى الله ظلّمها ، ونور بُهْمها⁽¹⁾ وكشف غمّاءها . وصرف
لأواءها ، على يديّ ، كرامةً من الله خصّني بها . وفضيلةً حباني بشرفها .
ونعمةً منه عليّ وعلى آبائي الطاهرين ، الأئمة المهديين .

«تَظَاهَرَتْ[ت] عليّ جيوش المنافقين ، الكفرة المارقين فخذلها . وطمحت
العيون نخوي فطمسها ، ورُفعت الرؤوس إليّ فطأطأها . وشمخت الأنوف
فأرغمها . وصُعرت الحدود فأضرعها ، وأبى جلّ جلاله إلّا إتمام أمري .
وإعزاز نصري ، وإنجاز وعده محمداً رسوله عليه السلام ، بإعزاز ملّته ، وإظهار
حجّته ، ونصر الأئمة من ذرّيّته .

(1) البُهم بضمّتين : جمع البهم . وهو الخالك الأسود المظلم .

الإشادة بكتامة

« يا أهل دعوتنا ، وأنصارَ دولتنا ، يا كتامة ! احمدا الله واشكروه على ما خصَّكم به وفصلكم على كافّة الخلق ، في غربٍ وشرق . بدأكم بالنعمة العظمى ، ثم شفّعكم بالمتّة الكبرى ، ووالى بينهما عليكم من نِعَمِهِ ما لا يحصى : علّمكم ، والناسُ جُهال ، وهداكم ، والعباد ضلال ، إلى نصرة حقّه وطاعة وليّه ، علّم الهدى ، وسراج الدجى ، قطب الدين ونجل النبيّين ^(١) ، ففرّتم بالسبق إلى نصرته ، والسعي في طاعته ، حتى إذا قضى الله بزلزال البلاد ، واختبار العباد ، [و]زلزلت الأقدام ، وجلّ الأرض الظلام ، وعظمت الخطوب ، واشتدّت الكروب ، عصمكم الله وهداكم ، وثبّت أقدامكم ، وجلّأها عنكم خاصّة ، وعن العباد كافّة ، بنا وبأيدينا ، فكانت على العباد حُجّةً ، وعليكم نعمة ، لتردّادوا إيماناً فيزيدكم إحساناً ، فاتّجّلت والله عنكم وأنتم بيض الوجوه ، موفون بعهد الله ، معتمضون بحبل الله ، مجاهدون في سبيل الله ، أحياءكم سعداء ، وأمواتكم شهداء ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [198 أ] يُرْزَقُونَ ﴿آل عمران ، 169﴾ فهنيئاً لكم هنيئاً !

« اللهم إني عبدك ، اخترتني وارفضتني ، وشرفّني بما أورشني من مقام أصفياك وخلافة أولياك ، وأغنيتني وأفقرت الخلق في دينهم ودنياهم إليّ ، وأنعمتَ بي ، ولم تجعل لأحد عليّ منّة سواك ، وأقمتني لإحياء حقك ، والشهادة على خلقك ، فإنّي لا أقول إلّا حقّاً ، ولا أنطق إلّا صدقاً . وقد بلغني عن آبائي عن جدّنا محمد رسول الله ﷺ ، أنّه قال : « ما من خطيب يخطب إلّا وقّفه الله يوم القيامة فيسأله عن كلّ كلمة وما أراد بها . فوعزّتك وجلالـ[ت]ـك ، وعلوّ مكانك وعظمتك ما هبت عدوّاً ، ولا ملّقتُ ^(٢) وليّاً ولا

(1) هكذا في المخطوط . وعند الداعي إدريس ، 485 : وحبله المتين .

(2) ملّقه (وزن نصر) وملّق (وزن فرح) ومالّقه : تملّقه .

شكرت على النعماء أحداً سواك .

« وقد أصبحت راضياً عن كثامة لاعتصامهم بحبلك ، وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك . اللهم فأرض عنهم ، وضاعف حسناتهم ، وأمَحْ عنهم سيئاتهم ، وأبقِ نعمتك عليهم في أعقابهم ، إنك مجيب سميع قريب . »
ونزل فانصرف إلى قصره ، وأمر بإطعام العوام ، وبصدقاتٍ فرقت في الفقراء والمساكين .

وفي يوم الأربعاء لعشر بقين من ذي القعدة ، وصل رأس فضل بن أبي يزيد ، وكان زحف من جبل أوراس إلى مدينة باغاية فحاصرها إلى أن خدعه رجل يقال له باطيظ بن يعلى وقتله .

خطبة عيد النحر بعد الظفر بالفضل

وركب المنصور من قصره بالمهدية لصلاة عيد النحر على الرسم الذي تقدم في يوم الفطر ، فصلّى بالناس ثم صعد المنبر فقال :

« بسم الله الرحمان الرحيم . الله أكبر ! الله أكبر ! لا إله إلا الله .

« والله أكبر ! الله أكبر ! والله الحمد والملك والخلق . تبارك الله ربّ العالمين . مدبر الأمور ، وباعث من في القبور . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي لبس العزة ، وارتنى العظمة ، وانفرد بالجبروت والأزلية ، وتوحد بالملكوت والربوبية ، العزيز الغفار ، المتكبر الجبار ، المتعالي عن الصفات ، المعروف بالآيات البيّنات ، المعبود في الأرضين والسموات .

« وأشهد أن محمداً عبده ورسول ، خاتم أنبيائه ، وسيد أصفياه ، وأكرم أوليائه ، بعثه بالهدى ، مبصراً من العمى ، منقذاً من الضلالة والردي ، وأكمل به على العباد نعمته وإحسانه ، وأبان به سخطه ورضوانه ، فبلغ عليه السلام الرسالة ، وصرح بالبشارة ، وأعلن النذارة ، وكشف الله به الظلماء ، وأبطل الجاهلية الجهلاء ، حتى تألف التافير ، وآمن الكافر ، وعبد الجاحد ،

وأذعن المعاند ، وأصبح الحق واضحاً بعد دروسه ، مضيئاً بعد طموسه بأصنام معبودة ، وقلوب كافرة ، وأيدٍ عليه متظافرة ، إلى أن أذن الله بإظهار دينه على الدين كله .

« صلوات الله على محمد سيد الأنبياء ، المضطلع بالأعباء ، الصابر على البأساء والضراء ، الباذل لله نفسه أعزّ الأنفس قدراً ، وأجلّها عند الله خطراً ، وأرفعها في الملأ الأعلى ذكراً ، لا يسأل العباد على ذلك أجراً إلا المودة في القربى ، كما أمره ربّه ليكون الودّ لأئمة الهدى من ذريته سبباً لشفاعته والحشر في زمرته .

« الله أكبر ! الله أكبر ! لا إله إلا الله ! والله أكبر ! الله أكبر ! والله الحمد والعظمة والمجد !

« عباد الله . إنّ يومكم هذا يوم عيد أوجب الله تعظيمه وتكريمه ، افتتح به الأيام المعدودات ، وختم به الأيام المعلومات ، وجعله علماً للميقات ، لحجّ بيته الحرام المعظم ، العتيق المكرّم ، تفتح فيه أبواب السماء ، لقبول الدعاء . فادعوا الله مخلصين ، وابتهلوا إليه راغبين ، تقرباً بما أمركم [وَزَعَكُمْ⁽¹⁾] ، من بهيمة الأنعام / ، وأفضلها إناث الإبل ، وإناث البقر ، وفحول الضأن . ومن [198 ب] ضحّى يجذع من المعز لم يُجز عنه ، وجذع الضأن يُجزى ، وكلّ ذبيح قبل الصلاة لحمٌ مُحَلَّلٌ ، وبعد الصلاة قربانٌ مُتَقَبَّلٌ . وتمام الأضاحي سلامة الأعين والآذان ، فاجتنبوا مرضاها ومشوّهاتها ، بزيادة الأعضاء ونقصانها ، وأجدوا الشفّار⁽²⁾ لها ، وارققوا عند الذبح بها . ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ (الحج ، 37) ، ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج ، 36) .

(1) وزعه يزعه وأوزعه الأمر : أهتمّه إيّاه وكلفه به .

(2) الشفّرة : السكين العظيمة .

« تَقْبَلُ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ قُرْبَانَنَا ، وَأَجَابَ دَعَاءَنَا ، وَزَكَّى أَعْمَالَنَا ، إِنَّهُ الْمَنَّانُ الْكَرِيمُ ، الْجَوَادُ الرَّحِيمُ » .

[الخطبة] الثانية :

« اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

« وَاللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! اللَّهُ أَكْبَرُ ! وَلِلَّهِ الْحَمْدُ دَائِمًا ، وَالْمُلْكُ بَاقِيًا ، وَالْعِزُّ قَاهِرًا ، وَالِدِينَ وَاصِبًا⁽¹⁾ . فَسُبْحَانَ مَنْ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ ، وَتَوَحَّدَ بِالْبَهَاءِ ، وَتَمَجَّدَ بِالسَّنَاءِ ، وَقَهَرَ الْخَلْقَ بِالْفَنَاءِ ، وَمَنَّ بِالنِّعَمِ وَالْآلَاءِ ، ابْتَدَأَ بِجُودِهِ وَجَزَى بِعَدْلِهِ ، شَهِدَ اللَّهُ وَشَهِدَ مِنْ مَجْدِهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَأُولُو الْعِلْمِ الْمُؤْمِنُونَ ، قَائِمًا بِالْقِسْطِ ، مُنْفَرِدًا بِالْمُلْكِ ، مُتَوَحِّدًا بِالرَّبُوبِيَّةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَكْرَمَ الْمُصْطَفِينَ ، وَأَفْضَلَ الْمُتَخَبِّينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَخَلَفَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ الْكَرَامِ الطَّاهِرِينَ ، أَلْسَنَ الصِّدْقِ وَأَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَهَدَاةِ الْخَلْقِ ، وَدَعَاةِ الرُّشْدِ ، وَأَدَلَّةِ الْقَصْدِ .

« اللَّهُمَّ ، صَلِّ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ بَدَأَ ضِيَاؤُهُ ، سَاطِعًا سَنَاؤُهُ ، بِحَرَ عُلُومِ زَاخِرِ الْغَوَارِبِ ، وَبَدَرَ سَمَاءِ زَاهِرِ الْكَوَاكِبِ ، مَنْوَرِ الظُّلُمِ ، وَكَاشَفِ الْبُهِمِ⁽²⁾ ، مُجِئِي السَّنَنِ ، وَمِمِيتِ الْفَتَنِ : ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَلِيُّهُ وَخَيْرُهُ وَصَفِيُّهُ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْإِمَامُ الْمُهْدِي بِاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمُرْتَضَى لِلدِّينِ ، وَالْهَادِي إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَسَيْفُ اللَّهِ الْمُتَنَزِّعِ عَلَى الْكَافِرِينَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ أَنْتَ صَلَوَاتِكَ ، وَوَاوِلْ لَدَيْهِ تَحْيَاتِكَ ، وَجَدِّدْ لَهُ كِرَامَاتِكَ ، وَزِدْهُ فِي نِعَمَاتِكَ ، وَفَوَاضِلِ آلَاتِكَ ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ .

« اللَّهُمَّ ، وَصَلِّ عَلَى وَارِثِ مَقَامِهِ ، وَوَاوِلْ أَيَّامَهُ ، الْعَلَمَ الْأَزْهَرَ ،

(1) وَصَب (وَزَنَ وَقَفَ) : دَامَ وَثَبَتَ .

(2) الْبُهِمُ (وَزَنَ أَمَ) : مُشْكَلَاتُ الْأُمُورِ .

والسراج الأنور ، محمد أبي القاسم⁽¹⁾ القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الذي اصطفيته وكرّمته ، وأخترته وارتضيته ، وامتحنته وابتليته ، فكان لأنعمك شاكرًا ، وعلى البلاء صابراً ، مسلماً تسليماً أنبيائك الأكرمين ، وأوليائك المنتخين ، لرفع شأنهم وكرامتهم ، لا لهوانهم . لقد كان المبلى بأعظم فتنه ، وأشدّ محنة ، من أحقّ الأمم بالخزي واللعة ، لافترائهم عليك ، وارتكابهم معاصبك ، وجحدهم تنزيك ، وتكذيبهم رسولك ، وتألّبهم على إطفاء نورك ، وتظافرهم على هدم دينك ، ولم يكن إلى سواك ضارِعاً ، ولا إلى غيرك خاضِعاً ، ولا في نصرك شاكّاً ، فنطق به مُفصّحاً ، وبينه موضحاً ، تثبتاً للمؤمنين ، واحتجاجاً على الكافرين . ثم صرمت أيامه ، وقضيت حيامه ، قبل شفاء غيظه ودرك ثأره ، وبلوغ أمله ، فخرج من الدنيا راضياً بك ، ضاحكاً مسروراً ببقائك ، واثقاً بجزائك . اللهم ، فصلّ عليه صلاة لا تَبْلُغُهَا الآمال ، ولا تنتهي إليها الأعمال ، تخصّه منها بأكرم فضيلة ، وأقرب وسيلة ، وزده إحساناً ورضواناً ، ورأفةً وحناناً ، من فضلك الذي لا يُنْقِصُهُ الإعطاء / ، [199 أ]

وجُودِكَ الذي لا مَنَ فيه ولا أذى . وإنا لفضائك عليه لمُسلمون ، وباختيارك له راضون ، وبثوابك له موقنون ، ودعاؤنا له وصلواتنا عليه فرض منك نُؤدِّيهِ ، وحقّ أَوْجَبْتَهُ علينا نقضيه .

« اللهم لك الحمد من قبلُ ومن بعد على نعمتك عليّ ، بإفضائك إليّ إمامة الآباء المهديين ، وخلافة الإئمة الراشدين ، ونصبك إيتاي لإحياء الدين ، بإقامة سُنن سيّد المرسلين وإعزاز المؤمنين . وإذلال الكافرين ، أوَانَ طغيان الشيطان . وحين أناخ الباطلُ على الحقّ بكُلِّكَلٍ وجرانٍ ، فأتَمَمْتَ أمرِي وأعزّزت نصري . وأسبغت نعمتك عليّ ، ورادفت مِنَّتكَ إليّ ، ولم تجعل للمخلوقين عليّ فيها يداً ، ولا مُنْكَدّاً⁽²⁾ .

(1) في المخطوط : أبو القاسم .

(2) نكده حاجته وأنكده إياها نكداً (ومنكداً) : منعه إياها .

« وإليك أرفع رغبتي ، وأوجه طلبتي ، في إيزاع شكر نعمتك وقضاء حقك ، وأداء فرضك ، والتوفيق لما أرضاك ، وقرب إليك ، وأزلف لديك .
« اللهم ، إني عبدك ووليك ، فضّلني فضلت ، وعزّزتي فعزّزت ، فأنا العزيز بك ، الذليل لك ، الكريم بإكرامك ، المتواضع لإعظامك ، إجلالاً لعزّتك ، وخضوعاً لقدرتك ، وإشفاقاً من خشيتك ، لا راغباً ولا راهباً إلا إليك ومنك . وأتمم عليّ نعمتك بالتوفيق فيما أمتري به إحسانك ، وأستوجب رحمتك ورضوانك .

« اللهم ، اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، الذين أنعمتَ عليهم بنا فشكروا ، وجاهدوا عن دولتنا فصبّروا ، مستبصرين في دينهم ، مؤفين بعهدهم ، مُسلمين لوليّ أمرهم ، مُصدقين بالحقّ لما جاءهم ، مسارعين إلى الخيرات ، متنافسين في الصالحات ، اللهم ، ضاعف أجرهم ، وأعزز نصرهم ، وآكبت بهم قلوب أعدائك ، وجُحّادٍ حقّ أوليائك .
« وصلّ اللهم ، على محمد نبيّك المصطفى ، ورسولك المرتضى ، وعلى آله الطيّين ، والأئمة المهديّين ، والحمد لله ربّ العالمين ، أولاً وآخراً ، باطلاً وظاهراً . ثم نزل .

التحوّل إلى المنصوريّة العاصمة الجديدة

وأقام إلى منسلخ صفر سنة سبع وثلاثين ورحل من المهديّة يوم الخميس عشرة ربيع الأوّل فوصل إلى قصره بالمنصوريّة من الغد ، وقد عمّل سوراً على المنصوريّة في العام الماضي .

وفي هذه السنة ولّى المنصور بالله الحسن بن علي بن أبي الحسين على صقلية ، وهو أوّل من وليها من بني أبي الحسين⁽¹⁾ ، واستمرّ عليها حتى وفاته

(1) حَدَثَتْ أسرة الكلبيين الدولة الفاطمية إلى ما بعد انتقالها إلى مصر . والنسبة ترجّح أنّهم من أصل عربيّ . لكنّ القرينزي ، في ترجمة أحد أحفادهم يقول : وهو أحد شيوخ كتامة .

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة . وكانت صقلية تحت يد خليل بن إسحاق إلى أن قدم منها في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، واستخلف عليها . فلما وصل إليها الحسن صرف عمالها ، وبقيت بها مملكته ومملكة عقبه من بعده .

وفيها ولى المنصور عبد الله بن هاشم قضاء القيروان في ربيع الأول بعد وفاة محمد بن أبي المنظور ، وولى علي بن أبي شعيب قضاء المنصورية⁽¹⁾ .

وفي سنة ثمان وثلاثين قطعت السبيل وكثر المفسدون فأخرج المنصور في طلبهم عسكرياً فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا مائة وأربعة عشر ، فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسملت أعينهم .

وفي يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من صفر سنة تسع وثلاثين ، عزل علي بن أبي شعيب عن قضاء المنصورية بوزارة بن أحمد ، وعمره تسعون سنة ، فخافه الخاصة فغزله في آخر شهر رمضان وولاه [هـ] قضاء المهدية . واستدعى أبا حنيفة النعمان بن محمد قاضي طرابلس فولاه قضاء المنصورية في أول سنة أربعين وثلاثمائة وخلع عليه . وولى حسن بن أحمد بن أبي الدبس قضاء

== وفي رواية إدريس عماد الدين لأحداث ثورة أبي يزيد ، يقترن اسم الحسن بن علي بقبائل كتامة في موضع واحد لا غير (عيون الأخبار ، 384) ، على أن بلاء هذا القائد في الحرب كان عظيماً . فلعل عبارة « أحد شيوخ كتامة » تعني : أحد القوا . الذين تأمروا على كتامة . وانظر أيضاً : سيرة الأستاذ جوذر ، التعليق 132 ، وترجمتها الفرنسية ، التعليق 184 و 422 .

(1) توفي ابن أبي المنظور في 20 محرم 337 . وتروي المصادر السنية تعرضه بالعقاب لإحدى جوارى « قضيب » حظية المنصور . انظر : رياض النفوس ، 360 / 2 ، ومعالم الإيمان ، 57 / 3 .

وتوفي عبد الله بن هاشم بن مسرور قاضياً على القيروان في 25 شعبان 363 (معالم الإيمان ، 100 / 3) .

أما علي بن أبي شعيب - بن أبي سفيان في الاتعاظ ، فلم نعرفه .

طرابلس⁽¹⁾ .

وفي المحرم منها [سنة 340] أخرج المنصور أسطولاً عظيماً إلى صقلية لغزو بلاد الروم . وأخرج فرجاً الصقليّ في عسكر عظيم إلى صقلية ، فسار معه الحسن بن عليّ إلى قلورية ، ولقيا ملجان⁽²⁾ الروميّ ، ومعه ثلاثون ألفاً ، وكان [199 ب] بينهم قتال شديد نصر الله فيه المسلمين ، وعاد فرج إلى المهديّة / بالغنائم والسبي في صفر .

الإعذار الجماعيّ سنة 340

وفيها أمر المنصور بكتابة أولاد القوّاد ووجوه الدولة والجند وضعفاء الناس من أهل القيروان وغيرها ، ليُحْتَنُوا ، وأعدّ لهم الكُسى والصلات ، فبلغوا أكثر من عشرة آلاف⁽³⁾ . فابتدروا إلى ختانهم يوم السبت لستّ بقين من ذي الحجة ، ودام إلى سابع محرم سنة إحدى وأربعين ، وعمل ولائم فأطعم خاصة الناس وعامّتهم ، وأعطى الصبيان على قدر مراتبهم ما بين مائة دينار وكسوة رفيعة إلى مائة درهم وكسوة . وتسامع الناس بذلك من كلّ ناحية فكثروا حتى كان يخنّ في كلّ يوم ألف وخمسمائة وأكثر وأقلّ . وأقام على ذلك سبعة عشر يوماً ، بلغت عدّتهم مائة ألف . فبلغ ما أنفقه في هذا الختان مائتي ألف دينار . وفي

(1) في المخطوط : زرارة بن محمد . وسيأتي اسمه في آخر الترجمة : زرارة بن أحمد . وقال أبو العرب المتوفى سنة 333 : تشرّق زرارة بن أحمد فولّاه عبيد الله قضاء المهديّة وهو في مذهب الشيعة من الغالين ، وهو قاضيهما إلى اليوم (طبقات 241) فلا مانع من أن يكون تولّى القضاء بالمهديّة على فترتين ، بينها ستّة أشهر في قضاء المنصورية . وفي خصوص قلوب النعمان من قضاء طرابلس إلى قضاء المنصورية ، ينبغي إصلاح ما أثبتناه في طبعتنا للمجالس والمساربات ، 57 ، حيث قلنا إنّهُ تولّى قضاء المنصورية سنة 337 .

هنا ، ولا نعرف ابن أبي الدبس ، القاضي المذكور على طرابلس .

(2) حاولنا في طبعتنا لعيون الأخبار ، 487 أن نضبط هذا الاسم .

(3) عند ابن حمّاد (أخبار ، 39) : كانوا ألف صبيّ لا غير ، ولكنّه يميل إلى انتقصهم .

نسخة⁽¹⁾ : ويقال إنه أنفق نحو ألف دينار في هذه الأيام . وحدث في البلد عند ذلك أفراح عظيمة لم ير أحدٌ قبلها مثلاًها .

وفي يوم الثلاثاء ، النصف من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ، وصل رسول من القسطنطينية في طلب المودعة والهدنة ، ومعه هدية عظيمة . فأظهر المنصور من عزّة الإسلام وقوّة أهله أمراً عظيماً وأنزل الرسول .

وفيها أخذ معبد بن خزر الزناتي صاحب أبي يزيد النكاري أسيراً مع ابنه ، فقدمًا لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فقتلًا بعدما شهراً⁽²⁾ .

وخرج المنصور على الساحل فاتتهى إلى قابس ، ودخل أهل جزيرة جربة في طاعته ، وقدم لعشر خلون من جمادى الآخرة ، بعدما غاب ثلاثين يوماً .

وأمر القاضي النعمان بن محمد بجمع العلماء المالكية والشافعية والحنفية والشيعة ، فاجتمعوا يوم الخميس النصف من صفر ، للنظر في هدنة صاحب القسطنطينية وموادعته ، وهل يجتمع رأيهم على قبول المال منه وترك محاربته ، أو محاربته وترك موادعته ؟ فقالوا : « ما رآه أمير المؤمنين فهو الرأي » . وكان رأيه قبول المال وتتمام المودعة . فانصرفوا من عند النعمان فوافوا خروج الأمير أبي تميم ، ابن المنصور ، فسلموا عليه واجتمعوا عنده فسألهم عما جرى فأخبروه بما كان فأمرهم فانصرفوا .

ورُفع إلى المنصور أن قاضي برقة⁽³⁾ تقدم إليه خصمان ، فحكم على

(1) لم يقل لنا المقرئ ما هذه النسخة .

(2) هذا الثائر هو في الحقيقة ابن للزعيم الزناتي محمد بن خزر . انظر عيون الأخبار ، 396 هامش 94 و 432 ، هامش 145 .

(3) قاضي برقة : في معالم الإيمان ، 3/ 60 قصّة مماثلة جرت على محمد بن إسحاق الجيلي ، وكانت الوشاية ، لا بسبب موقفه من أحكام الموارث كما يبدو هنا ، ولكن بسبب رفضه لتقدير هلال العيد بالحساب ، وترك الرؤية . وقد سبق المالكي : رياض 2/ 404 إلى ذكر الحادثة بأكثر تفصيلاً وتوبيلاً ، إلا أنه دون تهويل المقرئ هنا : فهو الوحيد الذي يذكر القتل بالرصاص المذاب .

أحدهما ، فقال له المحكوم عليه : لقد حكمت بغير مذاهب أهل البيت عليهم السلام .

فقال له : والله لا أحكم بمذاهبهم ولو غُلِّقَتْ بيدي !

فأحضروه إلى القيروان وعلّق بيده على خشبة غرزت في غربي الجامع حتى مات . وكان يتصرّع في شربة ماء فلم يُسَقَ . وكان معه صهره فأغلي الرصاص وصبّ في دبره فمات .

وفيها أكّد المنصور لابنه أبي تميم معدّ أنّه وليّ عهده وخليفته ووصيّهِ والقائم بالخلافة من بعده .

مرض المنصور بعد نزهة بعين جلولاء

وخرج في شهر رمضان متّزّهاً إلى جلولاء . وهو موضع كثير الثمار فيه من الأترج ما لا يحمل الجمل منه سوى أربع أترجات لعظمه . وكان قد ورد عليه منه شيء إلى قصره فأعجبت به حظيّته فضيب - وكان محبّاً لها - وسألته أن ترى ذلك على أغصانه . فسار بها وخرج معه جميع عسكره . فأخذه بجلولاء مطر عظيم وريح بها شديد . فخرج منها راكباً على فرسه . وقضيب في عمّارية ^(١) ، يريد المنصورية . فدام عليه ذلك المطر والريح ، وقد وحلّ في الطريق ، فلم يُمكنه إلّا التّماذي لما أَرادَه الله . فكان يوجد العبيد السودان على الطريق قعوداً ، فإذا حركوا إذا هم موتى قد جفّوا في البرد لأنّه كان أمراً عظيماً . وكان بين يدي المنصور حسنون الرّقاص فقال له : « يا حسنون ، احتلّ في شيء تجعله بين رجليّ والركاب ، فإنّي أحسّ برد الحديد » . فقطع شيئاً من ثيابه وجعله بين رجله والركاب .

ووصل المنصور إلى قصره بالمنصوريّة آخر النهار ، وقد مرّ عليه برد شديد .

[200 أ] فأمر / في الوقت بإحماء الحمام فأحمي ، ودخل فاعتلّ من وقته .

.....
(٢) العمّاريّة : هودج يحمل على جمل للسفر .

وأتى عيد الفطر . فصلّى بالناس وهو متغيّر اللون ضعيف . فاستحكمت علته في سؤال . فأوصى ابنه أبا تميم أن يكفنه في ثلاثة أثواب بيض ، وأن يمنع من التّوح عليه والبكاء ، وأن يباشر بخدّه الأرض - مع ما أوصاه به من حسن السيرة والعدل في الرعيّة - .

فلما كان يوم الجمعة آخر يوم من سؤال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة توفيّ بالمنصوريّة ، فغسله جعفر بن عليّ الحاجب ، وصلى عليه ابنه أبو تميم معدّ مع من حضر من الخاصّة ، ودُفن في قصره ليلاً .

ويقال إنّّه أراد عبور الحمّام في مرضه فنهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي⁽¹⁾ عن ذلك ، فلم ينته . ودخل الحمّام ففثت الحرارة الغريزيّة منه ولزمه السهر . فأخذ طبيبه يعالج المرضّ دون السهر . فاشتدّ عليه ذلك فقال لخاصّته : أما في القيروان طبيبٌ سوى إسحاق ؟

فأتوه بشابٍ يقال له أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار⁽²⁾ فجمع له مخدّراتٍ عدّة وكلفه بشمّها حتى نام . ثمّ خرج وهو مسرور بما كان منه . فجاء إسحاق ليدخل على المنصور فقليل له : هو نائم . فقال : إن كان صُنِعَ له شيءٌ منومٌ فقد مات !

(1) في طبقات ابن جليل ، 87 : مصريّ سكن القيروان ، تتلمذ لإسحاق بن عمران وخدم المهديّ عبيد الله . وقال الأستاذ إبراهيم بن مراد في ترجمته لابن الجزار (الحوّلّيات 22 / 1983 ، إنّ إسحاق بن سليمان توفي بعد 341 وأنه كان استقّدم من زيادة الله الثالث سنة 293 . وأضاف أن ابن الجزار تتلمذ عليه .

(2) في ترجمة ابن جليل له ، 88 أنّه عاش نيفاً وثمانين سنة وأنّه كان صديقاً قديماً لأبي طالب موسى ، ابن المهديّ . فإذا كان تريباً لابن المهديّ - والمهدي ولد سنة 260 - فن المقبول أن يكون مولده سنة 285 كما كتب الأستاذ إبراهيم بن مراد في فصله عن ابن الجزار بالحوّلّيات 22 / 1983 . وبهذا يكون عمره عند وفاة المنصور ، نحو 55 سنة ، وليس هذا العمر من الشباب في شيء .

وفاة المنصور

فدخلوا فإذا به [قد] مات . فأرادوا قتل ابن الجزّار فمِنَعَهُمُ إِسْحاقُ من قتله وقال : لا ذنب له . إنّما داواه بما قد ذكره الأطباء . غير أنّه جهل أصلَ المرض ولم تُعرّفوه أنتم به . وذلك أني عاجلته أريد تقوية الحارّ الغريزيّ ، وبه يكون النوم . فلمّا عالجته هو بما يطفئ الحارّ الغريزيّ ، علمت أنّه قد مات .

وتوفيّ وهو ابن أربعين سنةً كاملةً . وكانت خلافته سبع سنين وثمانية عشر يوماً . وكان حسن السيرة في الناس . وكان فصيحاً خطيباً ، يخترع الخطبة لوقته . وكان حادّ الذهن حاضر الجواب بعيد الغور جيّد الحدس شجاعاً عاقلاً . وكان كثير القتال لأهل الفساد ، وبذلك استقام الأمر لولده من بعده .

وكان يشبهه بأبي جعفر المنصور ثاني خلايف بني العبّاس : وذلك أنّ كلّ واحدٍ منهما اختلّت الدولة عليه ، وكاد أن يُسلَّ من الخلافة فهبّت له رياح النصر حتى تراجع أمره ولم يبقَ له منازع .

وكان للمنصور من الأولاد : أبو تميم معدّ ، ووليّ الخلافة من بعده . وحيدرة ، وهاشم ، وطاهر ، وأبو عبد الله الحسين⁽¹⁾ .

وخمس بنات هنّ : هبة ، وأسماء ، وأروى ، وأمّ سلمة ومنصورة⁽²⁾ . وكان له ثلاث أمّهات أولاد .

وكان نقش خاتمته : بنصر الباطن الظاهر ينتصر الإمام أبو الطاهر .

(1) أولاد المنصور : في الاثّعاظ ، 133 ، أنّ حيدرة مات بمصر سنة 372 . ومات أبو عبد الله الحسين بالمغرب ، ولم يذكر له تاريخاً . ومات طاهر بالمغرب سنة 359 . وهاشم هو الذي ولد في أيام فتنة أبي يزيد (انظر أعلاه) .

(2) لم يذكر المقرئ في الاثّعاظ ، 133 تواريخ وفياتهنّ ، واكتفى بأن قال : هبة وأسماء وأروى متن بمصر في مدّة المعزّ ، وأمّ سلمة في مدّة العزيز . أمّا منصوره - وقد قرأها المرحوم الشّيال : سمور - فماتت بالمغرب .

وكان قضاته : أحمد بن الوليد^(١) ، ثم محمد بن أبي المنظور . ثم عبد الله بن هاشم ، ثم علي بن أبي شعيب ، ثم أبو محمد زرارة بن أحمد ، ثم أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي .
وكان حاجبه جعفر بن علي .

ولمّا قدم المعزّ لدين الله أبو تميم معدّ إلى القاهرة ، كان معه توايت آبائه : المنصور إسماعيل هذا ، والقائم أبي القاسم محمد ، والمهدي عبيد الله ، فدفعهم بترية القصر من القاهرة . فلذلك ذكره^(٢) في كتابي هذا .

وحكى أبو جعفر أحمد بن محمد المروزي قال : « كنت مع المنصور في اليوم الذي أظهره الله فيه على أبي يزيد وهزمه . فتقدّمت إليه وسلّمتُ عليه وقبلتُ يده ودعوتُ له بالنصر والظفر ، فأمرني أن أركب ، وقد جمع عليه سلاحه وآلة حربه ، وتقلّد سيف جدّه ذا الفقار ، وأخذ بيده رمحين . فحدّثته ساعة ، فجال به الفرسُ ، فردّ أحد الرمحين إلى يده اليسرى ، فسقط من يده إلى الأرض ، فتفاءلتُ له بالظفر ، ونزلتُ مسرعاً ، فرفعتُ الرمحَ من الأرض ، ومسحّته بكُمّي ورَفَعْتُهُ إليه وقبلتُ يده وقلت [طويل] :

فأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ مَسَافِرُ / [200 ب]

فأخذ الرمح من يدي وقال : هَلَّا قُلْتَ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا وَأَصْدَقُ ؟

قلت : وما هو ؟

قال : قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، فَغُلِبُوا هُنَالِكَ ﴾

(١) أحمد بن محمد بن أبي الوليد في المعالم ، 75/3 . كان مناهضاً للعبيديين ، محرّضاً لفقهاء القيروان على الانضمام إلى أبي يزيد . ففي استقضاء المنصور له دليل على تسامح الخليفة الفاطمي .

(٢) الضمير يعود على المنصور . فالمفريزي لم يقتصر على ذكر من دخل مصر حيناً .

وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿ (الأعراف ، 117 - 119) .

فقلت : يا مولانا ، أنت ابنُ رسول الله وإمام الأمة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بينكم درجت الحكمة ، فقلتَ أنتَ بماً عندك من نور النبوة ، وقال عبدك بماً بلغه من علمه ومعرفة من كلام العرب وأهل الشعر .

وكان الأمر كما قال : فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبي يزيد [حتى] ضرب الله في وجوههم ، فقتلوا وأحرق معسكرهم وخيامهم بالنار ، وولَّى أبو يزيد في بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب .

ولم يُر كصبره يوم القيروان ، وهو يقاتل أبا يزيد . وقد ذكر حسن موقفه شاعره محمد بن الحرث فقال :

ولم أر كالمصور بالله ، ناصراً لدين ، وأحمى منه مُلكاً وأمنعاً⁽¹⁾
ألم ترَ يومَ القيروان وقوفه وقد كادت الأكباد أن تنقطعاً ؟⁽²⁾
وأبرز عن وجهه من الصبر أبيض يقاتل وجهاً للكرهية أسفعا
إذا استقبل الأبصار ، وهي طوامح ثناها . ولم تستكمل اللحظ ، خشتعا⁽³⁾

(1) في الروايتين الماضيتين : ولا أحمى للملك .

(2) وفيها : أن تنصدعا .

(3) هذه الترجمة أكثر إفادة لدارس التاريخ من ترجمة الخليفين السابقين المهدي والقائم . فبقدر ما اختصر المقرئ عرض الأحداث في ترجمة القائم ولا سيما ثورة أبي يزيد ، أطال هنا في ذكر تفاصيل تلك الفتنة ، وإن بقي عرضه دون عرض الداعي إدريس في التفصيل . ولا شك عندنا أن كلاً من المقرئ والداعي إدريس - وابن الأثير قبلهما - قد كرعوا من معين مغربي إفريقي لعلَّه تاريخ الرقيق أو تاريخ ابن الجزار أو تاريخ ابن شدَّاد . ورواية المقرئ أكثر اعتدالاً من رواية الداعي إدريس : فليس فيها الحميد المطلق التلقائي للخلفاء العبيديين ، ولا التحامل الدائم على المذهب الشيعي ، وإنما هي رواية أمينة لا تسكت عن قساوة المنصور إزاء المتمردين والخالفين وسوء معاملته للفقهاء المتحفظين تجاه الطقوس الجديدة ، ولكنها في المقابل لا تسكت عن الحالات التي يظهر فيها تسامح الخليفة مع المعارضين ورفقه بالرعايا واستدراجهم شيئاً فشيئاً إلى مؤازرته . وهذه الترجمة ميزة أخرى ، وهي اهتمامها بالجانب الأدبي من حياة المنصور : =

781 - الخواجه نجم الدين السلامي [671 - 743]⁽¹⁾

إسماعيل بن محمد بن ياقوت ، الخواجه نجم الدين ، السلامي [. . .]
يقال لها السلامية ببلاد الشرق .

ولد سنة إحدى وسبعين وسئمة ، وقدم إلى مصر تاجراً وأشتهر في الأيام
الناصرية محمد بن قلاوون ، وصار من تجار الخاص ، وسافر مراراً إلى بلاد
التار ، وعاد بالرقيق من الممالك والجواري ، وغير ذلك من البضائع .
ودخل مع السلطان في أمور المملكة ، وسعى في الصلح بينه وبين الأمير
جوبان والقان بو سعيد⁽²⁾ حتى تم ذلك . فعظمت مكانته وازدادت جاهته
وتأثرت على يده أمور موافقة لغرض السلطان فآزداد حبه له ورغب له الرواتب
السنية في كل يوم من اللحم ، والعليق⁽³⁾ ، والسكر ، والحلوى ،

= فالمقريزي ينقل لنا ، علاوة على خطبه البليغة المؤثرة ، شعر المادحين ، ممن لم تذكرهم
المصادر الأدبية ولا كتب التاريخ الواصلة إلينا (عدا عيون الأخبار) .
ولعل الذي يبرر حجم هذه الترجمة وطولها ، هو ثراء شخصية المنصور في حزمه
وشجاعته ، واعتداله وحكمته ، وبيانه وفصاحته ، وصبره على الشدائد ، وحلمه مع
الأعداء ، المزوج بالقسوة ، كصفحه عن أبي يزيد وتهيته فقص العرض لجثته ، ورقة عاطفته
نحو ابنه المعز ، وخضوعه لرغبة حظينة قضيب .

ولئن خصص الباحثون دراسات للمهدي مؤسس الدولة وللمعز باني القاهرة ، فإن
المنصور الذي ضمن بعزمه الدوام للدولة الفاطمية ، لم يحظ بالدرس ، وإنه به لجدير .
(1) الوافي 220 / 9 (4124) ؛ الدرر 1 / 413 (964) ؛ النجوم 10 / 19 . وتاجر
الخاص يعني التاجر في الرقيق .

(2) القان بو سعيد ابن خربندا آخر ملوك التار . النجوم 9 / 272 و 309 (ت 736) . وتوفي
جوبان سنة 728 .

(3) العليق والعليقة : ما يحتاجه الفرس من علف يومي .

والكماج⁽¹⁾ ، والرقاق ، مع الدراهم ، وكانت تبلغ في كل [يوم] مائة وخمسين درهماً . وأنعم عليه بقرية في بعلبك ، وأعطى مماليكه إقطاعات كثيرة المتحصّل فكان يقيم بالأردو الثلاث السنين والأربع ، والبريد لا يقطع عنه . وتُحمّل له التحف من مصر ليفرّقها على حسب ما يراه في أعيان الأردو . وكان له ببلاد الشرق أيضاً عدّة ضياع ، منها السّلاميّة والمأخوذة والمراوذة والمصانف⁽²⁾ .

وكان إذا قدم إلى مصر يخرج كريم الدين الكبير ، مع عظمتِه ، إلى لقائه . وكتب له مرسوم أن لا يؤخذ منه عن مبلغ خمسين ألف درهم شيء للديوان السلطانيّ ، وما عداها فيؤخذ منها نصف ما يؤخذ من غيره .

فلما مات أبو سعيد ووقع الاختلاف بتلك الديار بين المغل اتّضع بها جاهه وغرم مالا كثيراً . فكتب إلى السلطان يسأله في طلبه من الشيخ حسن . فكتب إليه بتجهيزه ، فجهّزه إلى مصر صحبة رسوله ، وسأله التوسّط بين السلطان وبينهم في دوام الصلح . فقدم في سنة ثمان وثلاثين وسبعائة⁽³⁾ ، وأقام بالقاهرة حتى مات السلطان ، وأقيم من بعده أبْنُه الملك المنصور أبو بكر . [فـ]قبض عليه الأمير قوصون وصودر على مال ، ثمّ أفرج عنه ولزم داره حتى مات بالقاهرة يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبعائة . ودفن بترية خارج باب النصر .

[201 أ] وكان ذا عقل وافر وتبدير جيّد ، وخبرة بأخلاق الملوك ومعرفة بآدابهم / وأغراضهم مع خلق ربيّض وكلام سديد وشكالة وطلعة بهيّة .

(1) الكماج : خبز مستدير سميك (دوزي) .

(2) في الوافي : المناصف .

(3) السلوك 2/ 446 . والمجدد هو الذي اقترح على السلطان أن يطلبه من الشيخ حسن الكبير .

782 - إسماعيل المحلي [- بعد 540]⁽¹⁾

إسماعيل بن محمود بن أحمد بن الحسن ، المحلي ، المزني .
كان أصله من دمشق ، وسكن المحلة⁽²⁾ ، وولي الخطابة بجامعها ، وناب
في الحكم ، وسمع من القاضي مجلي⁽³⁾ والسلفي وسعيد المأموني . قال
السلفي : قرأ عليّ مقالة السر⁽⁴⁾ الخطابي قراءة صحيحة لا تُملّ . وكان له تصدير
بالمحلة

مات في حدود الأربعين وخمسمائة .

783 - ابن عوف المالكي [485 - 581]⁽⁵⁾

إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف بن يعقوب بن محمد
ابن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمان بن عوف ، القرشي ،
الزهري ، الفقيه ، رشيد الدين ، جمال الفقهاء ، صدر الإسلام ، أبو الطاهر ،
ابن أبي الحرم ، المعروف بأبن عوف ، المالكي .

مولده سنة خمس وثمانين وأربعمائة .

وتفقّه على أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ، وسمع منه الحديث ، ومن
أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي .

(1) طبقات القراء 169 / 1 (786) .

(2) « المحلة الكبرى من ديار مصر » (طبقات القراء) .

(3) الفقيه مجلي بن جميع .

(4) قراءة للأسم تخمينية ولعلها : السري .

(5) الوافي 228 / 9 (4132) ؛ شذرات 268 / 4 ؛ عبر الذهبي 242 / 4 .

ومات بالإسكندرية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان سنة إحدى
وثمانين وخمسمائة .

ومن شعره ما كتب به إلى تقيّة أبنة غيث الأرمناري⁽¹⁾ وقد كتبت تستنّيه
في الاشتغال بالشعر فأجابها بهذه الأبيات [خفيف] :

قل لمن يعشق القوافي ويُفني ليله في تفكّر وهجود
كلّ ما هو به ليس يجدي [ك] أنتفاعاً عليك يوم الخلود
لو تفكّرت في الذنوب وأسبلت سحاب الدموع فوق الخدود
كنت قد فزت بالنجاة وأصبحت سعيداً في طاعة المعبود

784 - زين الدين السقّطيّ [739 -]

إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق ، زين الدين ، السقّطيّ ، السافعيّ .
قرأ القراءات على زكيّ الدين عبد المنعم وغيره .
وسمع بمصر على أبي الحسن بن رشيق ، والحافظ عبيد ، وبقوص من أبي
العبّاس القرطبيّ ، وغيره .
وبرع في الفقه . ودرّس بالمنكوثرية بالقاهرة . وولي الحكم بقوص ،
والبهنسا وبلبيس . وكفّ بصره .
توفّي في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .
وكان عارفاً بالفقه والأصول والنحو والقراءات . وكان يقظاً صحيحَ
الذهن .

(1) تقيّة الصوريّة ، أمّ عليّ الأدبية الساعرة ، لها ترجمة في الوفيات 1/ 297 (123) .

785 - الفخر ابن المليجي المقرئ [681 -]⁽¹⁾

إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله ، أبو الطاهر ، فخر الدين ، ابن شرف القضاة أبي القاسم ، ابن ثقة الملك أبي الحسن ، عُرف بأبن المليجي ، المصري ، العدل ، المسند ، المعمر ، المقرئ ، الشافعي .

قرأ القراءات على الإمام الفرضي النحوي المقرئ أبي الجود غياث بن فارس بن مكّي بن عبد الله اللخمي المنذري في سنة أربع وستمائة ، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا .

وأحتيج إلى إسناده العالي ، فقرأ عليه جماعة ، منهم الشيخ [أثير الدين] أبو حيّان ، وأبو بكر الجعبري ، والقطب عبد الكريم بن عبد النور الحلبي . وختم بموته أصحاب أبي الجود .

وكان تاركاً للفن ، وإنّما ازدحموا عليه لعوالي روايته .

وتوفي يوم [. . .] رمضان سنة إحدى وثمانين وستائة ودُفن بالقرافة .

786 - أبو صالح ابن العديم⁽²⁾ [610 - 694]

إسماعيل بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي جرادة ، أبو صالح ، عرف بابن العديم ، الحلبي ، الحنفي ، من بيت كبير مشهور .

(1) الوافي 235/9 (4140) ، شذرات 373/5 ، عبر الذمهي 335/5 ، النجوم

356/7 ، طبقات القراء 169/1 (789) .

(2) المهمل 429/2 (455) .

ولد بحلب سنة عشر وستمائة . وسمع من جدّه أبي غانم محمد بن هبة الله .
وقدم مصر ، وحدث بها بجزء أبي عليّ الكنديّ بسماعه من الحسين بن
صصرا .
توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة .

787 - سيف الدين البوبكريّ [- بعد 743]

إسماعيل بن بكتمر البوبكريّ ، الأمير سيف الدين . ابن الأمير سيف
الدين .
تنقل في الإمرة حتى صار من مقدّمي الألوّف .
فلما مات الناصر محمد قبض عليه وسُجن بالاسكندريّة . ثمّ أفرج عنه في
أول سلطنة الصالح إسماعيل في جملة ستّة وعشرين أميراً .

788 - أسندمر كرجي [- 711]⁽¹⁾

[201 ب] أسندمر كرجي ، الأمير سيف الدين / .
تنقل في الخدم إلى أن ولي برّ دمشق في سنة اثنتين وتسعين وستمائة ، عوضاً
عن طوغان لما جُهِز نائباً بقلعة بالروم .
ثمّ عزله العادل كُتُباً في ذي القعدة ستّة خمس وتسعين وستمائة بعلاء الدين
أجلّاي . ثمّ قبض عليه وقُيد وسجن بقلعة دمشق في حاديّ عشرين محرّم سنة
ستّ وتسعين .

(1) الوافي 9/ 248 (4156) ؛ المنهل 2/ 443 (465) ؛ النجوم 8/ 274 و 9/ 24 ؛
الدرر 1/ 413 (988) .

ونقل إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير قُطْلُوبُك المنصوريّ في سنة إحدى وسبعائة ، فهَدَّ طرابلس وأقام الحرمه وسفك الدماء بأنواع الإرهاق .

فلما قدم غازان إلى الرحبة وعاد منها ، وبعث قُطْلُوشاه على العسكر إلى الشام ، قدم أسندمر بعسكر طرابلس إلى دمشق في مَنْ قدمها من العساكر . واجتمعوا عند العادل كتبغا على حماه . فقدم الخبر بأن طائفة من التتر هجموا القريتين وبها جمع كبير من التركمان بأموالهم وأهاليهم . وركب أسندمر هذا في ألف وخمسمائة وساق[ة] فأدرك التتار بناحية عرض ، ومعهم ما كسبوه من التركمان . فثاروا إليهم وتركوا الأغنام وغيرها ناحيةً ليشغل العسكر بنهبها ، فلم يُمكنهم أسندمر من ذلك ، وقسم العسكر أربع فرق ، وقرّر أن تحمل فرقة على التتر ، فإذا أشتغلوا بالقتال أحاطت الفرق الثلاث بهم . وتقدّم في الفرقة الأولى وقاتل التتر ، فأدركته بقيّة أصحابه كما قرّر معهم وأوقعوا بهم وقعة شديدة ثبّتوا فيها ثباتاً كبيراً . وترجّل منهم جماعة عن خيولهم ورموا بالنشاب ، فنصر الله العسكر عليهم وهزمهم وقتلهم عن آخرهم فيما بين الظهر إلى العصر في يوم الحادي عشر شعبان سنة اثنتين وسبعائة ، وكانوا نحو أربعة آلاف . وأسْتَنَقَدَ أسندمر مَنْ كان في أيديهم من حريم التركمان وأولادهم ورحالهم ، وعدّتهم تقارب الستة آلاف نفس ، فنجوا بأنفسهم . ولم يَفْقِدْ من العسكر إلا أميرين هما آنص الجمدار المنصوريّ ومحمد بن باشقيرد الناصريّ ، وستّة وخمسين من الأجناد . وأسر من التتر مائة وثمانون رجلاً . وعاد العسكر إلى حماه ، وكتب بالبيشارة إلى دمشق ، فدقّت الكوسات بها ، وسرّح البريد إلى مصر لبيشارة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان قد خرج من قلعة الجبل فسرّ بذلك ، وتفاعل بالنصر فصدق الفأل كما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

ولم يزل [أسندمر] بطرابلس إلى أن ترك الملك الناصر محمد بن قلاوون

(1) ترجمة الناصر محمد بن قلاوون : ل 3 / 206 .

الملك وقام في السلطنة عوضه المظفر بيبرس الجاشنكير .

فلما تحرك الناصر على أخذ الملك من بيبرس ، وسار من الكرك إلى دمشق ، قدم عليه [أَسَدْمُر] وسار معه إلى مصر . فولاه نيابة حماه عوضاً عن قبجق في ثاني شَوال سنة تسع وسبعائة . وبعث قراسنقُر نائب الشام ، والحاج بهادر الحلبيّ نائب طرابلس ليقبضا على المظفر بيبرس ، وقد توجه من إخميم على طريق السويس يريد صهيون . فلما قبضا عليه من ظاهر غَزّة وحملاه إلى الخطّارة لقيهما أَسَدْمُر كرجي ، وقد بعثه السلطان ليقيد بيبرس ويسير به مع قراسنقُر وبهادر حتى يوصلاه إلى السلطان . فقيد بيبرس . وأسرّ إلى قراسنقُر أن لا يدخل مصر ، وخوفه من السلطان . فعاد هو وبهادر من الخطّارة إلى دمشق ، وسار أسندمر إلى مصر . فكان من قتله ما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

ودخل أسندمر الخوف ، وأخذ يعمل في سفره من مصر ، حتى أذن له السلطان فسار إلى حماه . ثم صرف عنها بالملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الأفضل فلم يُمكنه من حماه .

فاتفق موت قبجق نائب حلب . فسار أسندمر إليها ، وكتب يسأل السلطان كتابة تقليده . فغضب من ذلك وبعث التقليد ، وفي نفسه منه خزازات ، إلى أن [202 أ] أخرج الأمير كراي / المنصوري ، ومعه من الأمراء سنقر [الكالي] الحاجب ، وأيلى الرومي ، وبينجار ، وكُجكن ، وبهادر آص ، في عسكر الحصار سيس . وكتب إلى المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه بالسير مع كراي . وكتب إلى أسندمر بتجهيز آلات الحصار على العادة والاهتمام بأمر سيس . وأسرّ السلطان إلى كراي عندما وادعه بالقبض على أسندمر .

فسار بالعسكر من القاهرة في مستهلّ ذي القعدة سنة عشر وسبعائة إلى حمص . فوافاه الأمير منكوتر الطباخيّ من مصر يوم عرفة ، وعلى يديه كتاب

(1) المظفر بيبرس الجاشنكير : ترجمته ، رقم 1004 .

السلطان لكراي بما يعتمده ، وعدة كتب ملطقة لأمرء حلب بمساعدة كراي على أخذ أسندمر . وتقدم منكوتر⁽¹⁾ إلى حلب ، وتبعه كراي بمن معه على جرائد الخيل ، وساروا⁽²⁾ من حمص إلى حلب في يوم ونصف ، ودخلوها ليلاً ، وأتوا باب القلعة ، وأشاروا إلى نائب القلعة ، وكان في انتظارهم . فأخرج لهم رجال القلعة بالسلاح وآلات الحصار ، وزحفوا جميعاً على دار النيابة . وتلاحق بهم أمرء حلب . فسلم [أسندمر] نفسه من غير قتال ، وقيد وسجن بالقلعة وأحيط بسائر موجوده .

ثم حمل إلى قلعة الجبل مع بينجار وأيبك الرومي ، فسجن بها . وبعث إليه السلطان مع طغاي الدوادار يسلم عليه ، ويأمره بعرض حوائجه . فقبل الأرض ودعا للسلطان وسأله أن يقبل الأرض عنه ، ويسأل السلطان عن سبب القبض عليه ، « فإني لا أعلم لي ذنباً يوجب هذا » . فقال السلطان : عد إليه ، وعرفه أنني طيب الخاطر عليه . وله علي خدمة . ولكن « أنت قلت للسلطان يوم خرجت من عنده وودعته للسفر إلى الشام ، وقد قال لك : أوصني ، وعرفني ما أصنع ! - فكان جوابك : أوصيك يا خوند : لا تترك في دولتك كبشاً كبيراً وأخش⁽³⁾ ممالكك ! - وهو يقول لك : ما علمت اليوم بقي عندي كبش كبير غيرك !

فلما بلغه طغاي ذلك سكت . فلم يزل في الاعتقال حتى قتل في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبعائة بالكرك .

وكان شجاعاً بطلاً سائساً داهية ، جبّاراً ظلوماً مهاباً ، من أحسن أشكال الرجال وأتمّها .

(1) في المخطوط : كراي . وانظر النجوم 26/9 .

(2) في المخطوط : وساقوا .

(3) قراءة ظنية ، وفي المخطوط : وامسى .

وكان كرجي الجنس له مهابة عظيمة في نفوس أهل الشام لشدة جسارته ،
وجرأته على سفك الدماء بأنواع المثلة ، من السلخ والشنق والتوسيط وكحل
الأعين وقطع الأطراف ، ومبالغة في هلاك الأجناد . وتعدّيه حدّ الإسراف .
وله مع ذلك سمعة ببلاد العدو وسطوة بين الطائفة النصيرية . وكان عسوفاً
في أحكامه ، كثير المال والحاشية ، بلغت عدّة ممالكه خمسمائة مملوك .
وكان كثير المكارم في عطائه ، ما من أحدٍ من حاشيته إلا وله سعادة
ضخمة .

وكان أكلواً نهماً قويّ المعدة : إذا أصبح ابتدأ بالفطور على زنجبيل
مرّبي⁽¹⁾ فيأكل منه رطلاً بالميزان . وقدم له منقل⁽²⁾ نار عمل عليه مائة بيضة
نيمرشت⁽³⁾ يشربها . ثم يركب . فإذا نزل من الركوب مُدّ له السّمّاط وقدمت
له خافقيّة فيها رميس⁽⁴⁾ فيأكله عن آخره . ويُرفع السّمّاط ، ويوضع
الطاري⁽⁵⁾ ، وتقدم له خافقيّة فيها عشرة ديوك خصى سمان جدّاً ، فيأكل منها
ستّة . لهذا غير الحلاوات والفواكه والنقل ، وغير عشائه آخر النهار ، وسوى ما
يأكله . في الليل ، فإنّه كان يعملُ له بعد [ال]عشاء الأخيرة كلّ ليلة خروفاً سميناً
مطحّناً فيأكله جميعه ولا يفضل منه شيء . ثم يعمل بيده من الحلاوة
السكب⁽⁶⁾ صحناً كبيراً ويأكله كلّهُ .

وكان مرّبه وهو بمصر في كلّ يوم سبعمائة رطل لحم من ديوان السلطان
تحمل إليه ، ويشترى عليها خمسمائة درهم . وكان له سماء عظيم جداً .

(1) مرّبي ، أي معقود بالسكر .

(2) منقل : جفنة من حديد تعمّر بالجمر للشيء .

(3) بيضة نيمرشت أو نيمرشت : مسموطة ومنعقدة (دوزي) .

(4) رميس : خروف مشويّ . والخافقيّة جفنة واسعة .

(5) لم نفهم الطاري ، ولعلّه اللحم الطريّ (دوزي) .

(6) ويقال أيضاً : السكب العنانيّة (دوزي) .

وكان يحبّ الفضلاء ويقرّبهم ، ويسأل عن مسائل غامضة ، ويعرض
 اعتراضات / جيّدة : كتب مرّة فتوى وبعثها إلى دمشق فيها : أيّها أفضل ، [202 ب]
 الوليُّ أو الشهيد؟ والملك أو النبيّ؟ - فكتب عليها الشيخ صدر الدين محمد بن
 الوكيل مجلّداً ، وكتب الشيخ برهان الدين إبراهيم الفزاري ، وكتب كمال الدين
 ابن الزملكانيّ مصتَفَيْن ، وكتب شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيمية
 مجلّداً .

وطلب ابن الوكيل لمّا ولي نيابة حلب قبل صلاة الجمعة ، فسأله عن قوله
 تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ﴾ (النجم ، 1) ، فقال : هُذا الوقت يضيق عن
 الكلام على هذه المسألة . - فوهبه كتاب أسد الغابة لابن الأثير في نسخة
 مليحة ، وقال له : ألزمني ! - فكان بعد ذلك لا يفارقه حتى قبض عليه .

789 - أسندمر العمريّ [761 -]⁽¹⁾

أسندمر العمريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن
 قلاوون .

تنقّل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم أخرج لنيابة حماه عند
 انتقال الأمير طقتمُر الأحمديّ عنها لنيابة حلب ، فباشرها .

وقدم إلى الأمير يلبغا اليحياوي ظاهر دمشق ، ووافقه على خلع الحمل
 شعبان . فلمّا زالت دولته بأخيه حاجي نُقل أسندمر من نيابة حماه إلى نيابة
 طرابلس عوضاً عن أيّدمر البدريّ المنتقل لنيابة حلب .

ثم عزل بالأمير منكليّ بغا الفخريّ ، وطلب إلى مصر ، فتوجّه في أواخر
 الحرّم سنة ثمان وأربعين [وسبعائة] ، فأقام بها حتى أخرج لنيابة حماه عوضاً عن

(1) الوافي 9 / 249 (4157) ؛ الدرر 1 / 413 (983) ؛ المنهل 2 / 445 (466) .

قُطِلَ جَا الحَمَوِيَّ بِحَكْمِ انْتِقَالِهِ لِنِيَابَةِ حَلَب . فَقَدِمَهَا فِي نِصْفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ خَمْسِينَ .

وَتَوَجَّهَ بِالْعَسَاكِرِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ إِلَى سَنَجَارَ ، وَعَادَ إِلَى حِمَاهُ .
ثُمَّ عُزِلَ بِالْأَمِيرِ طَانِ يَرْقٍ ⁽¹⁾ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا ، وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ .
ثُمَّ تَأَمَّرَ بِدِمَشْقَ إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ سِتِّينَ ، وَاعْتُقِلَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي أَوَائِلِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ [وَسَبْعِينَ] ⁽²⁾ .

790 - أَسُودُ بْنُ نَافِعٍ الْفَهْرِيُّ [- بَعْدَ 132] ⁽³⁾

أَسُودُ بْنُ نَافِعٍ بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَقَبَةَ بْنِ نَافِعٍ ، الْفَهْرِيُّ .
رَوَى عَنْهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَرِيحٍ . وَوَلِيَ بِحَرِّ مِصْرَ وَرَابِطَةَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ .
فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدِمَ مِصْرَ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْمَغْرِبَ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَدَّى النَّيْلَ وَقَطَعَ الْجَسْرَ هَارِباً مِنْ جُنُودِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، سَوَّدَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَدَعَا إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْعَلَاءُ بْنُ كَثِيرٍ مَوْلَى قُرَيْشٍ فِي جَاعَةٍ ، وَقَلَّدُوهُ أَمْرَهُمْ .
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ كُوْثَرَ بْنَ الْأَسُودِ الْغَنَوِيِّ ، وَعِثْمَانَ بْنَ أَبِي نِسْعَةَ الْخُثْعَمِيِّ فِي جَيْشٍ ، فَالْتَقَوْا بِالْكَرْبُورِيِّ . وَعَلَى أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ عَيْسَى بْنُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَقَبَةَ بْنِ نَافِعٍ ، فَقَتَلَ عَيْسَى وَأَنْهَزَ أَصْحَابَهُ ، فَتَبِعَهُمْ كُوْثَرٌ حَتَّى دَخَلَهَا .
فَاجْتَمَعَ أَصْحَابُ الْأَسُودِ عَلَى الْغَدْرِ بِهِ وَهُمْ مَعْسُكِرُونَ . فَبَلَغَ الْأَسُودَ ذَلِكَ فَبَعَثَ إِلَى أَبِي شَرِيحٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحٍ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعَاوَرِيِّ لِيُبْحَثَ عَمَّا عَزَمُوا عَلَيْهِ وَيُنْخِرَهُ بِهِ . فَضَى أَبُو شَرِيحٍ فَقَالَ لَهُمْ : أَخْبِرُونِي مَا تَصْنَعُونَ بِالْأَسُودِ ؟

(1) فِي النُّجُومِ 225 / 10 : طَنْيَرَقَ ، وَفِي الْوَاوِي : طَانِ يَرْقٍ .

(2) فِي النُّجُومِ ، يَلْقَبُ أَسْنَدُ الْعَمَرِيِّ « رِسْلَانُ بَصَل » .

(3) الْوَلَاةُ وَالْقَضَاةُ 95 ، 96 ، 101 .

قالوا : نَقْتُلْهُ ونَلْحَقَ بِمَروان فنقاتل معه - ونزرعوا السواد ولبسوا البياض .
فرجع أبو شريح إلى الأسود ووجهه متغير . فلَمَّا رآه الأسود أنشد [وافر] :
وكلَّ سريرة ، والظنَّ غيبٌ لها في وجه صاحبها دليل
أَعَزَمَ القوم على قتلي يا أبا شريح ؟

قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، فآلحق بمأمنك !
فأمر المؤذن فأذن لصلاة المغرب . ثم أقام وتقدم . وهم في فضاء .
فصلَّى بهم ركعة أو ركعتين طولَ فيها جدًّا ، ثم وثب من سجوده إلى حصان له
لا يدرك ، قد أعدّه وأوقفه بين يديه ، فركبه وهم سجود ، ففضى . فرفعوا
رؤوسهم لما طال عليهم السجود فإذا هم لا يحسونه .
ولحق ببرقة . ثم أتى المسوِّدة فأقطعه صالح بن عليّ منية بولاق التي بجيزة
مصر ومنازل زبَّان بن عبد العزيز بن مروان التي بالإسكندرية .

791 - أشعب الطمّاع [154 -]⁽¹⁾

أشعب بن حميد - ويقال : أشعب بن جبير - ويعرف بابن أمّ حميدة .
ويقال اسمه شعيب ، وكُنْيته أبو العلاء - ويقال أبو إسحاق - المدينيّ ، مولى
عثمان ابن عفّان - ويقال : مولى سعيد بن العاصي ، ويقال : مولى فاطمة
بنت الحسين ، ويقال : مولى عبد الله بن الزبير . ويقال له : أشعب الطمّاع
وأشعب الطامع .

(1) الوافي 269/9 (4192) ، وفيات 471/2 (294) ، الأغاني 69/19 ، فوات
37/1 ، زهر الآداب 161/1 .

ولاؤه للقرشيين :

ويقال : أمّه جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق .

حدّث عن عبد الله بن جعفر . وأبان بن عثمان . وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعكرمة مولى ابن عباس .

روى عنه غياث بن إبراهيم . ومعدّي بن سليمان ، وأبو لبابة عثمان بن فائد القرشيّ .

ووفد على الوليد بن يزيد وقدم مصر⁽¹⁾ . وكانت [عائشة] بنت عثمان ربّته وكفلته ، وكفلت أبا⁽²⁾ الزناد معه .

وكان يقول : حدّثني سالم بن عبد الله بن عمر ، وكان يبغضني في الله عزّ وجلّ - فيقال : دع هذا عنك ! - فيقول : ليس للحقّ مشرك .

وفي رواية : حدّثني عبد الله بن عمر . وكان يبغضني في الله . - فقليل له في ذلك ، فقال : ما قلت إلّا حقّاً .

وهو معدود في الطبقة الثانية من التابعين .

وبه يضرب المثل فيقال : هو أطمع من أشعب .

ويقال : أشعب رجلان : أحدهما أشعب الطامع ، مولى عثمان ، وهو ابنُ أمّ حُميدة - بضَمّ الحاء وفتح الميم . وقيل : بل بفتح الحاء وكسر الميم - . والآخر : أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير . والصحيح أنهما واحدٌ .

اشتهاره بالملح والطمع :

ويضرب بمُلحه المثل . وعمرَ دهرًا طويلاً ، وأدرك زمن عثمان رضي الله عنه . وله نوادر مأثورة ، وأخبار مستظرفة . وكان من أهل مدينة الرسول

(1) قلوبمه مصر ذكره ابن خلكان فقط . قال : وقدم على يزيد بن حاتم مصر .

(2) في المخطوط : ابن أبي الزنا . والإصلاح من الأغاني ومن المعارف 202 ، ومن الزهر .

عليه السلام . وخدم سكيبة بنت الحسين . وهو خال محمد بن عمر الواقدي وخال الأصمعي . قال الأصمعي : حدثني جعفر بن سليمان قال : قدم أشعب أيام أبي جعفر المنصور ببغداد ، فطاف به فتيان بني هاشم ، فغناهم فإذا ألحانه طرية وخلقه على حاله . وقال : أخذتُ الغناء عن معبد ، وكنت آخذ عنه اللحن ، فإذا سُئل عنه قال : عليكم بأشعب فإنه أحسن تأديةً له مَنّي .

وقيل له : طلبتَ العلم وجالستَ الناس . ثم تركت وأفضيتَ إلى المسألة ، فلو جلستَ لنا وجلسنا إليك فسمعنا منك ؟

فقال : نعم - فوعدهم فجلس لهم ، فقالوا له : حدثنا .

فقال : سمعت عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خلّتان لا تجتمعان في مؤمن - ثم سكت . فقالوا له : ما الخلتان ؟ فقال : نسي عكرمة واحدة . ونسيتُ أنا الأخرى .

وقال أشعب : أنا أشأم الناس : ولدتُ يومَ قتل عثمان ، وختنت يومَ قتل الحسين .

وقال : دخلت على القاسم بن محمد في حائط له . وكان يبغضني في الله وأحبّه فيه . فقال : ما أدخلك عليّ ؟ اخرج عني !

قلت : أسألك بوجه الله عزّ وجلّ لما جذذت لي عذقاً .

قال : يا غلام . جذّ له عذقاً ، فإنه سأل بمسألة [لا يفلح من ردّها أبداً] (1) .

وقال الزبير بن بكار : حدثني غير واحدٍ من أصحابنا أنّ سالم بن عبد الله ابن عمر كان يستحلي أشعب ويضحك منه . وحدثني عمّي مصعب بن عبد الله [قال :] حدثني أبي عبد الله بن مصعب قال : كان أشعب بن جبير مولى

(1) الإكمال من الأغاني 84 / 19 .

عبد الله بن الزبير يجلس مع سالم بن عبد الله بن عمر في مجلسه ، وكان سالم يستخفّه ويذهب به معه إلى الغابة . (قال) فقال لي أشعب : كان سالم يذهب معه غلامان لأخيه عبيد الله . وكان معه سكتين يقال لإحدهما الوجي والأخرى العجلة . فكان الشيخ إذا غفل وقعنا بتينك السكتين في الأقناء فقطعناها بهما أوجي قطع خلقه الله . (قال) وقالوا لي يوماً : ويحك يا أشعب غننا !

فقلت : كيف أصنع بالشيخ ؟ أفرق منه !

قالا : أنصت ، فإنه لا يبالي .

[203 ب] ففعلت ، فلم يقل لي شيئاً . ثم قال لي أحدهما يوماً آخر : غنني / صوت كذا ، ولك أن أرى هذا .

فقلت له : تفعل ؟

قال : نعم - وحلف لي .

فغنيته بغناء أرق من ذلك ، فصاح بي سالم : هنا حسب ! هنا حسب ! فسكت .

أخبار تطفله :

وخرج سالم بن عبد الله متنزهاً إلى ناحية من نواحي المدينة هو وحرمة وجواريه . وبلغ أشعب الخبر فوافي الموضع الذي هم به . يريد التطفل ، فصادف الباب مغلقاً . فتسور الحائط ، فقال له سالم : ويلك يا أشعب . معي بناتي وحرمي !

فقال : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾

(هود ، 79) .

فوجه إليه سالم من الطعام ما أكل ، وحمل إلى منزله .

ودخل على سالم بن عبد الله ، فقال له : يا أشعب ، حمل إلينا جفنة من

هريسة . وأنا صائم . فأقعد فكل ! (قال) فحملت على نفسي ، فقال : لا تحمل على نفسك : ما يبقى يحمل معك . (قال) فلما رجعت إلى منزلي قالت امرأتي : يا مشؤوم ، بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك ، ولو ذهبت إليه لحباك .

قال : فما قلت له ؟

قالت : قلت له إنك مريض .

قال : أحسنت .

فأخذ قارورة دهن وشيئاً من صفرة . فدخل الحمام فتمزج به ثم خرج فعصب رأسه بعصاة وأخذ قصبة وأتكأ عليها . وأتاه وهو في بيت مظلم ، فقال له : أشعب ؟

فقال : نعم ، جعلني الله فداك ! ما رفعت جنبي من الأرض منذ شهرين - وسالم في البيت ، وأشعب لا يعلم - فقال له سالم : ويحك يا أشعب !

فقال : نعم ، جعلت فداك ، مريض منذ شهرين ما خرجت .

فغضب سالم [وخرج] فقال عبد الله بن عمرو : ويلك يا أشعب ، ما غضب خالي إلا من شيء ؟

فقال : نعم ، جُعِلت فداك : غضب من أنني أكلتُ عنده جفنة من هريسة .

فضحك عبد الله وجلساؤه ، وأعطاه ووهب له . فخرج ، وإذا سالم بالباب فقال : ويحك يا أشعب ، ألم تأكل عندي ؟

قال : بلى ، جعلت فداك !

فقال سالم : والله لقد شككتني .

خبثه واحتياله :

وقال أشعب : كان عبد الله بن عمرو بن عثمان يستخفني ، ويدعوني فأحدثه وألهيه ، فرض ، ولهوت في بعض خرجاتي أياماً ، ثم جئت فقالت لي زوجتي بنت وردان : ويحك ! أين كنت ؟ عبد الله بن عمرو يطلبك وقد مرض ، وهو يقلق بالنهار ويسهر بالليل . أرسل إليك [لـ]تلهيه وتعلله فلم يجده .

(قال) قلت : إنا لله !

ثم فكرت ساعة ، ثم قلت لها : هات لي قارورة دهن خلوقية ومنديل الحمّام .

ف فعلت . فخرجت أريد الحمّام . ففررت بسالم بن عبد الله بن عمر فقال لي : يا أشعب ، هل لك في هريسة أهديت لي ؟
فقلت : نعم ، جعلني الله فداك .

(قال) فدعا بها ، فأتى بصحفة كبيرة فأكلتُ حتى شبعته ، فجعلت أتكراره عليها . فقال لي : ويحك ، لا تقتل نفسك ، فإنّ ما فضل منها نبعث به إلى بيتك .

قلت : وتفعل ؟

قال : ما أردتُ إلّا ذاك .

فكففت ، فبعث بها إلى بيتي . وخرجت فدخلت إلى الحمّام وأطلّيت ثم صببتُ عليّ دهن الخلوقية ثم سكبتُ عليّ ماء . وخرجتُ وعليّ صفرة الدهن لم أستبق منه : فقد صار لوني أصفر كأنّه الزعفران . ولبست أطياراً لي وعصبت رأسي وأخذت معي عصا ، ثم خرجت أمشي عليها حتى جئت باب عبد الله بن عمرو بن عثمان . فلما رأيته حاجبه قال : ويحك يا أشعب ظلمناك وغضبنا

عليك . وأنت قد بلغت من العلة ما أرى . ما أصابك ؟

(قال) قلت : أدخلني على سيدي أخبره .

فأدخلني عليه فإذا عنده سالم بن عبد الله [بن عمر] فقال لي عبد الله بن عمرو : ويحك يا أشعب ظلمناك وغضبنا عليك ، وقد بلغت ما أرى من العلة .

(قال) فتضاعفت وقلت له : أي سيدي ، كنت عند بعض من أغشاه فأصابني قيء وتعمق ، فاحملت إلى منزلي إلا جنازة ، فبلغتني علّتك فخرجت أدب إليك .

(قال) فنظر إليّ سالم ، ثم قال لي : / يا أشعب ، ألم تكن عندي آنفاً ؟ [204 أ]

قلت : ومن أين أكون عندك ، جعلني الله فداك ، وأنا أموت !

فجعل يمسح عينيه ثم يقول : ألم تأكل الهريس آنفاً عندي ؟

فأقول : وهل بي أكل جعلني الله فداك ، مع العلة !

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني لأرى شيطاناً يتمثل في صورتك ، وما أرى مجالستك تحلّ - ووثب .

فقطن عبد الله بن عمرو وقال : أشعب ، تخدع خالي ؟ اصدقني خبرك !

(قال) قلت : بالأمان ؟

قال : بالأمان .

فحدثته حديثي . فضحك ضحكاً شديداً .

في بلاط الوليد بن يزيد

وقال أشعب : دعا الوليد بن يزيد المغنين . وكنتُ نازلاً معهم ، فقلت

للمرسول : خلني فيهم .

قال : لم أؤمر بذلك ، إِنَّمَا أُمِرْتُ بِإِحْضَارِ الْمُغْتَنِينَ ، وَأَنْتَ بَطَّالٌ ⁽¹⁾ ، لا تدخلُ في جملتهم .

فقلت له : لا خوف عليك ، ولك مع هذا شرطٌ .

قال : ما هو ؟

قلت : كل ما أصيبه فلك شطره .

فقال للجماعة : أشهدوا لي عليه !

فشهدوا . ومضينا ، فدخلنا على الوليد وهو لَقَسُ النفس ⁽²⁾ ، فغناه المغنون في كل فن من ثقل وخفيف فلم يتحرك ولا نشط . فقام الأبحر ⁽³⁾ إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً فسأل الخادم عن خبره وبأي سبب هو خاثر النفس . فقال : بينه وبين امرأته شراً لأنه عشق أختها ، فغضبت عليه ، وهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألا يذكرها أبداً برسالة ولا مخاطبة ، وخرج على هذه الحال من عندها . فعاد الأبحر وجلس . فلما استقر به مجلسه حتى اندفع يُعْتَي [طويل] ⁽⁴⁾ :

فبيني فلّني لا أبالي وأيقني أَصَعَّدَ باقى حُبِّكُمْ أَمْ تَصَوَّبَا
أَلَمْ تَعَلِّمِي أَنِّي عَزُوفٌ عَنِ الْهَوَى إِذَا صَاحَبِي مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ تَغَضُّبَا ؟

فطرب الوليد وارتاح وقال : أصبت يا عبيدُ والله ما في نفسي - وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وشرب حتى سكر . ولم يحظ أحد سوى الأبحر بشيء . فلما أيقنت بآنقضاء المجلس وثبت فقلت : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضرُّني مائة الساعة بحضرتك .

(1) بَطَّال هنا بمعنى : مهرج ، مضحك ، بهلواني .

(2) لَقَسَ : ضيق النفس .

(3) الأبحر : عبيد الله بن القاسم ؛ الأغاني 3 / 340 .

(4) الشعر لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان .

فضحك ثم قال : قَبَحَكَ اللهُ ! وما السببُ في ذلك ؟
فأخبرته بقصتي مع الرسول وقلت له : إنَّه بدأني من المكروه في أوَّل يومه
بما اتَّصل عليَّ إلى آخره ، فأريدُ أن أُضربَ مائة سوط ويُضرب بعدي مثلها .
فقال : لقد لطفْتَ ! بل أعطوه مائة دينار ، وأعطوا الرسول خمسين
ديناراً عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها من أشعب .
فقبضتها ، وما حظيَ أحدٌ بشيءٍ غيري وغير الأجير .

* * *

وقال ابن أبي عتيق : دخلت على أشعب ، وعنده متاع حسن وأثاث
وآلات . فقلت له : ويحك ، أما تستحي أن تسأل الناس ، وعندك ما أرى ؟
فقال : يا فديتُكَ ، معي والله من لطيف السؤال ما لا تطيب نفسي
بتركه .

وقال أشعب : كنت أنا وأبو الزناد⁽¹⁾ تربين نختلف إلى الكتاب بالمدينة
فذهب أبو الزناد علواً وذهبت سفلأً .
وأكل أشعب مع سالم بن عبد الله تمرأً ، فجعل يأكل زوجاً زوجاً ، فقال
سالم : إنَّ النبيَّ ﷺ قد نهى عن القرآن في التمر .
فقال : أسكت ! لو رأى النبيَّ ﷺ رداءةَ هذا التمر لرخَّص فيه حفنةً
حفنةً !

وقيل لأشعب في امرأة يتزوجها ، فقال : أبغوني امرأةً أتجشأ في وجهها
فتشبع وتأكل فخذ جرادة فتتخم !
وكانت أم أشعب منقطعة إلى عائشة بنت عثمان فأسلمته عائشة في
البرازين ، فقالت له يوماً : تَعَلَّمْتَ ؟

(1) أبو الزناد مولى عثمان ، المعارف 202 .

قال : تعلّمتُ نصف العلم .

قالت : وما هو ؟

قال : تعلّمتُ النشر ، وبقِي الطيّ ، وأرجو أن لا أتعلّم الطيّ .

* * *

وقال لرجل حين سخن الدجاجة ثم ردّت فسخت ثم ردّت فسخت :
دجاج هذا الرجل كآل فرعون يُعرّضون على النار عُذُوًا وعِشِيًّا⁽¹⁾ ، فضربته
[204 ب] فاطمة بنت الحسين مائة سوط لهذا الكلام ، ووهبت له مائة دينار / .

* * *

وقال أشعب يوماً لأبنته : إنّي قد كبرت ، فأطلب لنفسك المعاش .
فقال : يا أبه ، إنّي مثل الموزة لا تحمل حتى تموت أمّها .

* * *

ووجد أشعب ديناراً فكره أن يأكله حراماً ، وكره أن يعرفه فيأتي له
طالب . فأشترى به قطيفة ، وأنبعث يعرفها .

* * *

ودعا إنسان أشعب ، فقال أشعب : لا والله ما أجيبك ، أنا أعرف الناس
بك وكثرة جموعك .

فقال : عليّ أن لا أدعو أحداً سواك .

فأجابه . فبينما هم كذا إذ طلع عليهم صبيّ ، وهم في غرفة ، فصاح
أشعب : أي فلان ! تعال ههنا ! من هذا الصبيّ ؟ شرطت عليك أن لا يدخل
علينا أحد !

.....
(1) اقتباس من سورة غافر آية 46 .

فقال : جعلت فداك ! هَذَا أَبْنِي ، وفيه عشرُ خصال ما هُنَّ في صبي .

قال : وما هُنَّ ، فديتُكَ ؟

قال : لم يأكل مع ضيفٍ قطَّ .

قال : حسبي ! التسع لك .

* * *

وقال أشعب : جاءتني جاريتي بدينار فأودعته [عندي] فجعلته تحت المصلّى بين يديّ . ثم جاءتني بعد أيام فقالت : هات الدينار .

فقلت : أرفعني المصلّى ، فإن كان ولد فخْذِي ولدَه ودعيه - وقد كنت جعلتُ معه درهماً - فرفعتُ المصلّى وأخذتُ الدرهم . فقلت لها : إن تركته ولدًا لكِ كلَّ جمعةٍ درهماً .

فتركته وعادت في الجمعة الثانية ، وقد كنت أخذته . فلم تره فبكت وصاحت . فقلت : ما يبكيك ؟

قالت : الدينار ، سرقته !

فقلت : مات دينارك في النفاس .

فبكت وقالت : كيف يموت الدينار في النفاس ؟

فقلت لها : تصدّقين بالولادة ولا تصدّقين بالموت في النفاس ؟

* * *

وتولّع الصبيان بأشعب ، فقال لهم لينفّرهم عنه : إنّ في منزل فلان يقسمون الجوز ! - فتركوه وأقبلوا يجرّون إلى منزل فلان . فأقبل أشعب خلفهم وهو يقول : لعلّه حقّ ؟

* * *

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟
فقال : ما زفت بالمدينة امرأة إلا كَسْتُ بيتي رجاء أن تهدي إليّ قبله .

* * *

ومرّ برجل وهو يشحذ طبقاً ، فقال : أ جعله واسعاً ، لعلهم يُهدون إلينا
فيه !

* * *

وقال الضحّاك بن مخلد : كنت يوماً أريد منزلي ، فالتفت فإذا أشعب
ورائي ، فقلت له : ما لك يا أشعب ؟
فقال : يا أبا عاصم ، رأيتُ قلنسوتك قد مالت ، [ف]قلت : لعلها
تسقط فأخذها .

(قال) فأخذتها عن رأسي فدفعتها إليه وقلت له : أنصرف !

* * *

وقال أشعب : ما خرجتُ في جنازة قطّ فرأيتُ اثنين يتسارّان إلا ظننتُ
أنّ الميتَ قد أوصى لي بشيء .

* * *

وخرج [أبو] أشعب مع المختار [بن أبي عبيد] فقتله مصعب صبراً مع من
قتل .

وذكر الخطيب أنه توفّي سنة أربع وخمسين ومائة .

أمّه كانت نَمّامة :

وحكى أشعب عن أمّه أنها تُغري بين أزواج رسول الله ﷺ وتَمْشي بينهنّ
بالنّميّة ، وأنها زنت فحلّقت وطوّف بها أسواق المدينة ، وكانت تنادي على

نفسها : من رأي فلا يزن !
فقلت لها امرأة : يا فاعلة ، نهانا الله عز وجل عنه فعصيناه ونطيعك
أنت ، وأنت مجلودة راكبة جملاً ؟ !

* * *

وقال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة وقلت : اللهم اذهب عني الحرص
والطلب إلى الناس ! - ومررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحداً شيئاً . فجئت
إلى أمي فقلت : ما لك قد جئت خائباً ؟
فأخبرتها فقلت : لا والله . لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك !
فرجعت فقلت : يا رب أقلني ! - فلم أمر بمجلس من قريش وغيرهم إلا
أعطوني .

* * *

(قال) ووهب لي غلام . فجئت أمي موقراً من كل شيء . فقلت : ما
هذا الغلام ؟
فخفت أن أخبرها فتموت فرحاً . فقلت : وهبوا لي .
فقلت : أي شيء ؟
فقلت : عين .
قالت : إيش عين ؟
قلت : لام .
قالت : أي شيء لام ؟
فقلت : ألف .
قالت : إيش ألف ؟

قلت : ميم .

قالت : وأي شيء ميم ؟

قلت : غلام .

فقُشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقةُ فرحاً .

* * *

وتغذّي أشعب مع زياد الحارثيّ ، فجيء بصحفةٍ فيما مضيرة ، فقال
أشعب للخبّاز : ضع ذلك بين يدي .

فقال زياد : مَنْ يصليّ بأهل السجن ؟

فقالوا : ليس لهم إمام .

فقال : أدخلوا أشعب يصليّ بهم .

فقال أشعب : أو خير من ذلك ؟

قال : وما هو ؟

قال : أحلف أن لا آكل مضيرة أبداً !

* * *

[205 أ] وصلّى أشعب يوماً إلى / جانب مروان بن أبان بن عثمان . وكان مروان

عظيم العجز ، فما لبث أن أفلتت منه الريح عند نهوضه ، لها صوت . فأنصرف

أشعب من الصلاة يوهم الناس أنّه هو الذي خرجت منه الريح . فلما أنصرف

مروان إلى منزله جاءت أشعب فقال له : الدية !

قال : دية ماذا ؟

قال : الضرطة التي تحمّلُها - ولم يدعه حتى أخذ منه .

* * *

ورؤيَ أشعب ، وقد علّق رأس كلب وهو يضربه ويقول : تنبح للهدية
وتبصص للضيف !

احتياه على جعفر الصادق :

وغذّي أشعب جدياً بلبن أمّه وغيرها حتى بلغ غاية ، وقال لزوجته :
أحبّ أن ترضعيه بلبنك .

ففعلت . ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر الصادق فقال : حبوّك به ولم
أجد من يستأمله سواك .

فنظر إسماعيل إلى الجدي فأعجبه ، فأمر به فذبح وسمط .

ثم دخل أشعب على جعفر الصادق بن محمد [الباقر] واندفع يشهق حتى
ألقت أضلاعه . ثم قال : أخلني !

قال : ما معنا أحد .

قال : وثب أبئك إسماعيل على أبني فقتله وأنا أنظر إليه .

فارتاع جعفر وقال : ويحك ! وفيم قتله ؟ وتريد ماذا ؟

قال : والله ما لي في إسماعيل حاجة ، ولا يسمع هذا سامع أبداً بعدك .

فجزاه خيراً . وقام فدخل منزله وأخرج له مائتي دينار وقال : خذ هذه
ولك عندي ما تحب .

وخرج جعفر إلى ابنه إسماعيل فإذا به مسترسل . فلما رأى وجه أبيه نكره
وقام إليه . فقال : يا إسماعيل أوفعلتها بأشعب وقتلت ولده ؟

فضحك إسماعيل وقال : جاءني بجدي من صفته وخبره وأخبره بما كان
منه . فقال جعفر لأشعب : رعيتي راعك الله !

فقال : روعتي في الجدي أكثر من روعتك في المائتي دينار .

وقالت امرأة لأشعب : هب لي خاتمك أذكرك به .

فقال : اذكريني بأني منعُتك فهو أحبُّ إليّ .

* * *

ورآه رجل يقلِّب مالا كثيراً ، فقال له : ويحك ، ما هذا ؟ ولعلك أن تكون أيسر من الذي يعطيك ؟

فقال : إنِّي مهترٌ في المسألة ، وأخاف أن أدعها فتفقدَ مِنِّي .

* * *

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟

قال : ما رأيت اثنين يتساران قطَّ إلا ظننتُ أنها أمرا لي بشيء .

* * *

وقال لأُمّه : رأيتك في النوم مطليّةً بعسل ، وأنا مطليّ بعذرة .

فقالت : يا فاسق ، هَذَا عَمَلُكَ الخبيث أراك [هـ] الله !

قال : إن في الرؤيا شيئاً آخر .

قالت : وما هو ؟

قال : رأيتُ أنِّي أُلطِّعُكِ ، وأنت تلطِّعيني .

قالت : لعنك الله يا فاسق !

* * *

وكان يتحدث إلى امرأة حتّى عُرف بذلك . فقالت لها جاراتها : لو سألتَهُ

شيئاً ، فإنّه موسر ؟

فلما جاء قالت : إن جاراتي يقلن لي : ما يَصِلُكَ بشيء .

فخرج نافرأ من منزله فلم يقربها شهرين . ثم جاء ذات يوم فجلس على الباب ، فأخرجت له قدحاً مملوءاً ماء فقالت : اشرب هذا من الفزع !
فقال : أشربه أنت من الطمع !

* * *

ودخل يوماً على الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وعنده أعرابي قبيح الوجه ، فسبح أشعب حين رآه ، ثم قال للحسين : بأبي أنت وأمي ، تأذن لي أن أسلح عليه ؟
قال : إن شئت - ومع الأعرابي قوس وكنانة ، ففوق سهماً نحو أشعب وقال : والله لئن فعلت لتوكنن آخر سلحة سلحتها !
فقال أشعب للحسين : فديتُك ، قد أخذني القولنج .

* * *

وغسل في وضوء رجله اليسرى وترك اليمنى بغير غسل ، فقبل له : لم تركت غسل اليمنى ؟
قال : لأن النبي ﷺ قال : أمّتي عُزٌّ محجلون من آثار الوضوء ، فأنا أحب أن أكون مُطلق اليمنى .

* * *

وسمع حُبى المدينة تقول : اللهم لا تُمتني أو تغفر ذنوبي !
فقال : يا فاسقة ، أنت لم تسأل [بي] المغفرة ، إنما تسأل [بين] عمر الأبد !

* * *

وساوم بقوس عريّة فقال صاحبها : لا أنقصها من مائة دينار .

فقال أشعب : أعتق ما ملكك[ت] : لو أنها إذا رمي بها طائر في جَوِّ السماء [ف]وقع مشوياً بين رغيفين ، ما أخذتها بدينار !

* * *

وقيل له : أرأيت أحداً أطمع منك ؟

قال : نعم ! كلب تبغي أربعة أيام على مضغ العلك .

وقيل له : كان أبوك ألقى ، وأنت أظط ، فإلى من خرجت ؟

قال : / إلى أمي ! [205 ب]

خبره مع سكينه وزوجها :

وكان أشعب منقطعاً إلى سكينه بنت الحسين بن علي ، وكانت متزوجة بزيد [بن عمرو]⁽¹⁾ بن عثمان بن عفان . وكانت محبة له ، وكان لا يستقر معها . تقول له : أريد الحج - فيخرج معها ، فإذا مضوا إلى مكة قالت : أريد الرجوع إلى المدينة . - فإذا عاد إلى المدينة قالت : أريد العمرة . فهو معها في سفر لا ينقضي . وكانت حلفت يميناً لا كفارة لها أن لا يتزوج عليها ولا يتسرر ولا يلمّ بنسائه ولا جواريه إلا بإذنها .

وخرج الخليفة إلى الحج في بعض السنين فقال لها زيد : قد حجّ أمير المؤمنين ، ولا بدّ لي من لقائه .

فحلفت أنه لا يدخل الطائف ولا يلمّ بجواريه . وأمتنع أن يحلف لها بالطلاق . وبعثت معه أشعب وأعطته ثلاثين ديناراً وحلفت بالطلاق لزوجته بنت وردان أن لا يطلق لزيد الخروج إلى الطائف بوجه ولا سبب . وخرجا . فلما حاذوا الطائف قال زيد : يا أشعب ، هذه ثلاثمائة دينار ، خذها وأئذن لي أن ألمّ بجواري .

(1) الزيادة من الوفيات 2/ 394 (ترجمة سكينه) .

فقال : يا سيدي ، إنها سكيّنة ! فالله الله فيّ !

قال : أو تعلمُ سكيّنة الغيب ؟

ولم يزل به حتى أذن له ، ففضى وبات عند جواريه . فلما أصبح لبسَ أشعب حلّةً وشيَّ لزيد قيمتها ألف دينار وركب فرسه وجاء نساءً في أبيات قوم من العرب قريبة منهم ، فسلمَ عليهنّ ، فرددن عليه وسألته عن نسبه فانتسب بنسب زيد . فحادثته مليّاً حتى جاء شيخ فسلمَ عليه وعظّمه وسأل عنه فأخبر بنسبه . فظفر إليه وقال : ما هذه خلقة قرشيّ ، وما هو إلّا عبدٌ ! - وبادر إلى بيته ، فعلم أشعب أنّه يريد شراً . فركب ومضى ، والشيخ في إثره ، فرماه بسهم ما أخطأ قربوس السرج . فسلح أشعب في ثيابه حتى نفذ إلى الحلّة فصيرها شهرة . ووصل إلى رَحْل زيد فغسل الحلّة ونشفها . وإذا بزيد أقبل ، فرأى ما أصاب حلّته وقربوس سرجه . فقال : ما القصة ؟ - فحدّثه الحديث ، فغضب ووبّخه .

فلما عاد إلى سكيّنة سألت عن خبره كلّ فحدّثها . فقالت : هل مضيتَ إلى جواريك بالطائف ؟

فقال : سلي نفسك ؟

فدعت أشعب فسألته فحلف لها بكلّ يمين محرّجة أنّه ما مرّ بالطائف ولا فارقي .

فقال زيد : اليمين التي حلفها لازمة لي إن لم أكن دخلت الطائف وبّت عند جوارِيّ وغشيتهنّ جميعاً ، وأخذ متي ثلاثمائة دينار وفعل كذا وكذا - وأراها الحلّة والسرج .

فقال لأشعب : فعلتها ! أنا نفيّة من أبي إن أنفقتُها إلّا فيما يسوءك .

ثم أمرت بكبس منزل أشعب ، وأحضرت الدنانير واشترت بها بيضاً وسرجين وخشباً وعملت الخشب بيتاً حبسته فيه ، وحلفت أن لا يخرج منه حتى

يَحْضُنَ البيض كله إلى أن يتقب . فكث أربعين يوماً إلى أن نقب وخرج منه
فرايحٌ كبيرة فربتهن وتاسلن وكنّ في المدينة يقال لهن : بنات أشعب .

792 - أشهب بن عبد العزيز [140 - 204] ⁽¹⁾

(فقيه مصر)

أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم ، أبو عمرو ، القيسي ، ثمّ
العامري ، أحد فقهاء مصر وذوي رأيها .

ولد سنة أربعين ومائة . روى عن مالك والليث بن سعد ، ويحيى بن
أيوب ، وعبد الله بن لهيعة ، وداود العطار ، وسليمان بن بلال ، وطائفة .
وروى عنه سحنون ، والحريث بن مسكين ، ويونس بن عبد الأعلى ،
ومحمد بن إبراهيم بن المّواز ، وهارون بن سعيد الأيلي ، ومحمد بن عبد الله بن
عبد الحكم ، وبجر بن نصر ، وطائفة .

وخرّج له أبو داود والنسائي . ويقال : اسمه مسكين ، ولقبه أشهب .
وتفقه على مالك ، ثم على المدنيين والمصريين . وقال الشافعي رحمه الله : ما
رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه . ولم يدرك الشافعي من أصحاب مالك
رحمه الله سوى أشهب وابن عبد الحكم ، وكانت المنافسة [بينه وبين ابن
القاسم] ⁽²⁾ .

وقال القضاعي : كان لأشهب رئاسة في البلد ومال جزيل ، وكان من
أنظر أصحاب مالك .

وقال ابن عبد الملك : سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت ، فذكرت

(1) وفيات 239/1 (100) ، الديباج 98 ، شذرات 12/2 .

(2) زيادة من الوفيات .

ذلك للشافعيّ فقال متمثلاً [طويل] :

تمتّى رجال أن أموت ، وإن أمت فلك سبيل لست فيها بأوحد / [206 أ]
فقل للذي ينبغي خلاف الذي مضى تزود لأخرى غيرها فكأن قد⁽¹⁾

(قال) فات الشافعيّ ، فأشترى أشهب من تركته عبداً . ثم مات أشهب
فأشتريتُ أنا ذلك العبد من تركه أشهب .

وقال ابن عبد البرّ : كان أشهب فقيهاً حسن الرأي والنظر ، فضله ابن عبد
الحكم على ابن القاسم .

وقال محمد بن عاصم المعافريّ : رأيتُ في [المنام] قائلاً يقول : يا
محمد ! - فأجبتّه ، فقال [كامل] :

ذهب الذين يقال عند فراقهم ليت البلاد بأهلها تتصدّع !

وكان أشهب مريضاً ، فقلت : ما أخوفني أن يموت أشهب ! - فات من
مرضه ذلك .

وكانت وفاة أشهب بعد وفاة الشافعيّ بشهر . وقيل : بثمانية عشر يوماً ،
في شعبان ، أو سلخ رجب سنة أربع ومائتين . ودُفن بالقراقة بجوار قبر ابن
القاسم رحمهما الله .

(2) 793 - أصبغ بن عبد العزيز الأمويّ [86 -]

أصبغ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد
شمس بن عبد مناف ، أبوزبان ، ابن الأمير أبي الأصبغ ابن الخليفة أبي الحكم

(1) اليتان لعبيد بن الأبرص أو لمالك بن القين . انظر ذيل السمط للميمي 104 وأمالى القالي

218 / 2 والعقد 443 / 4 ومروج الذهب 3 / 136 .

(2) الولاة والقضاة 54 ، النجوم 193 / 1 ، الديباج 97 .

ابن أبي مروان ، القرشي ، الأموي .

أستخلفه أبوه عبد العزيز بن مروان على الفسطاط لمّا خرج في سنة أربع وسبعين إلى الإسكندرية . ثم أستخلفه مرّة ثانية في سنة خمس وسبعين لمّا وقد على أخيه عبد الملك بن مروان . فلمّا بعث عبد الملك بن مروان يسأل عبد العزيز أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد إلى الوليد وسليمان ولديّه ، أبى ذلك وكتب إليه : إن يكن لك ولد ، فلنا أولاد ، ويقضي الله ما شاء ، وإنك لو رأيت الأصبغ لسرّك ولم تقدّم عليه أحداً .

فلم يعيش الأصبغ إلّا قليلاً ، ومات يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثمانين . فمات بعده أبوه ثلاث عشرة خلت من جهادى الأولى .

قال عون بن عبد الله : قال لي أصبغ بن عبد العزيز بمصر : سمعتُ من أبيك كلاماً نفّعني الله به : لأنّ يُخطيء الإمام في العفو خيرٌ من أن يُخطيء في العقوبة ⁽¹⁾ .

وقال كثيرٌ من مرثية ... ⁽²⁾

794 - أصبغ بن الفرّج القاضي [225 -] ⁽³⁾

أصبغ بن الفرّج بن سعيد ، أبو عبد الله ، مولى عبد العزيز بن مروان فيما زعم ، وكان كثير من أهل مصر يدفعونه عن ذلك ولا يصحّحون له ولاءً . قال

(1) هذه الفقرة وردت في الوفيات في ترجمة أصبغ بن الفرّج المالكي 1/ 239 (101) ولا توجد في الوفيات ترجمة لأصبغ بن عبد العزيز .

(2) في ديوان كثير (نشر إحسان عباس) مرثية كثيرة لعبد العزيز بن مروان ولا ذكر لأصبغ فيها . وكذلك الكندي ، ذكر مرثي لغير كثير .

(3) وفيات 1/ 240 (101) ، الوافي 9/ 281 (4204) ، الديباج 97 ؛ شذرات 56/ 2 .

أبو عمر الكندي : سألتُ ابن يزيد عن أصبغ ، لمن ولاؤه ؟

قال : ليس لهم ولائٌ ، هم من عبيد المسجد ⁽¹⁾ .

وحدثني ابن قديد عن أبي نصر قال : سمعتُ المزنيّ والربيع يقولان : كنّا نأتي أصبغ قبل قدوم الشافعيّ فنقول له : علّمنا ممّا علّمك الله !

قال أبو نصر : وسمعتُ عمّي عبيد بن صالح يقول : قال لي مطّرف بن عبد الله الأصمّ : من أيّ بلد أنت ؟

قلت : من مصر .

قال : ما فعل عبد الله بن عبد الحكم ؟

قلت : مات .

قال : ما فعل أصبغ ؟

قلت : باقي .

قال : الحميّ أفقه عندنا من الميت .

وأخبرني ابن يزيد عن ابن عثمان قال : كانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين أصبغ منازعة ومباعدة ، وكان أحدهما يرمي صاحبه بالبهتان .

قال ابن قديد : وأخبرني مقدم قال : أرسل ابن عتبة إلى عبد الله بن عبد الحكم : إنّ هذا الرجل قد وجب لك عليه حدّ ، قد شهر عندي بذلك فصرّ إليّ حتى أحده .

فأبى وقال : إنّ هو حده ، صرنا حديثاً ، وقالوا : حدّ فلان في سبب فلان .

قال ابن قديد : وكتب المعتصم في أصبغ ليحمل إليه في الحنة . فهرب إلى

.....
(1) في عبيد المسجد قال الصفديّ : كان بنو أميّة يشترون للمسجد عبيداً ، فهم من ولدهم

حلوان واستتر بها .

قال الكندي : وكان فقيهاً نظّاراً . ولد بعد الحسين ومائة ، ولم يلقَ مالكا .

وقال ابن يونس : وكان يحيى بن عثمان بن صالح يقول : هو من ولد عبيد المسجد : كان بنر أمية يشترى للمسجد عبيداً يقومون على خدمة المسجد ، فهو من أولاد أولئك العبيد يُنسب إلى ولاء بني أمية . وكان مضطرباً بالفقه والنظر .

توفي يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين .

وكان ذكر للقضاء في مجلس عبد الله بن طاهر فشّعه سعيد بن عفير⁽¹⁾

[206 ب] حدثني علي بن الحسن بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن أبي يعقوب / يوسف بن يحيى البويطي ، حدثه أنه كان حاضراً في مجلس ابن طاهر حين أمر بإحضار شيوخ أهل مصر (قال) فقال لنا عبد الله بن طاهر : « إني جمعتكم لترتادوا لأنفسكم قاضياً » . فكان أول من تكلم يحيى [بن عبد الله] بن بكير فقال : أصلح الله الأمير ، ولّ قضاءنا من رأيت ، وجئنا رجلين : لا تولّ قضاءنا غريباً ولا زراعاً - يعرض بالغريب لإبراهيم بن الجراح ، وبالزراع عيسى ابن فليح .

ثم تكلم أبو ضمرة الزيدي⁽²⁾ فقال : أصلح الله الأمير ، أصبغ بن الفرّج الفقيه العالم الورع - وأصبغ حاضر المجلس .

فقال سعيد [بن كثير] بن عفير : ما بال أبناء المقامصة والصبّاغين يُذكرون لهذه المواضع التي لم يجعلهم الله لها أهلاً ؟

(1) الحادثة رواها الكندي في كتاب الولاة والقضاة ، 434 .

(2) عند الكندي 433 : الزهري .

فقام أصبغ وأخذ بمجامع ثوب سعيد بن عفير وقال له : إنك لشيطان مفتر ! من أين علمت أنني من أبناء الصباغين ؟ - وارتفع الأمر بينهما حتى كادت أن تكون فتنة . فذكر عبد الله بن عبد الحكم عيسى بن المنكدر وأثنى عليه بخير ، فقلده ابن طاهر القضاء ⁽¹⁾ .

وذكر زيد بن أبي زيد بن أبي الغمر عن أحمد [بن يحيى] بن وزير قال : كان أصبغ ابن الفرج خبيث اللسان لا يسلم منه أحد . إنما كان لسانه صاعقة ! وتفقه أصبغ بابن قاسم وابن وهب وأشهب .

وقال عبد الملك بن الماجشون : ما أخرجت مصر مثل أصبغ .

قيل له : ولا ابن القاسم ؟

فقال : ولا ابن القاسم !

وكان كاتب ابن وهب .

وقال ابن معين : كان أعلم خلق الله برأي مالك ، يعرف كل مسألة متى أقالها مالك ، ومن خالفه فيها .

وقال أبو حاتم : كان أجمل أصحاب ابن وهب ، وهو صدوق . وقد روى عن ابن وهب ، وأسامة بن زيد بن أسلم ، وعبد العزيز الدراوردي ، وابن القاسم .

وعنه أبو حاتم ، ومحمد بن إسماعيل الترمذي ، ومحمد بن عون ، ويحيى ابن عثمان السهمي ، وخلق . وروى عنه البخاري ، وروى له الترمذي والنسائي بواسطة .

وقال العجلي : ثقة صاحب سنة .

.....
(1) سنة 212 .

795 - أصلم القبجاقى [747 -]⁽¹⁾

أصلم القبجاقى ، الأمير بهاء الدين ، أحد المالك المنصورية قلاوون .
ربى بقلعة الجبل إلى أن قُتل الملك الأشرف خليل ، وأقيم بعده الملكُ
الناصر محمد بن قلاوون وعمل الأمير كتبغا نائب السلطنة ، وفرّق المالك
السلطانية ، وكان أصلم من نصيب الأمير سيف الدين الأقوشى المنصورى ، ثم
انتقل إلى الأمير سلار فلزم خدمته . وعمله سلاح دار إلى أن زالت الدولة
المظفرية ببرس وقدم الملك الناصر من الشام ، فتلّقه أصلم بتمجاة⁽²⁾ السلطنة
وبشره بهروب ببرس ، فأنعم عليه بأمرة عشرة . وما زال تنقله حتى صار من
أمراء الألوف ، وبعثه على التجريدة إلى بلاد اليمن في سنة خمس وعشرين
وسبعمائة .

ثم قبض عليه وعلى أخيه سيف الدين قُرمُجى في يوم الخميس مستهلّ
جمادى الأولى سنة سبع وعشرين ، وأعتقل في برج بقلعة الجبل . وسبب ذلك
أنه [أ]خرج سلاح خاناته وأخرج آلات السلاح بين يديه بإصطبله خارج باب
زويلة من القاهرة ، وألبس خيوله آلة الحرب وعُدّد القتال ، وسيّرها في
الإصطبل ، فوشى به بعض أعدائه إلى السلطان أنه قد اتفق مع أخيه قُرمُجى⁽³⁾
وطائفة القبجقية على الفتك بالسلطان وتغيير الدولة ، وأنه أمس عَرَضَ عُدّة
سلاحه كلّها وألبس خيوله ورّب هيئة ركوبه للقتال ، وكتب بذلك رقعة وألقاها
في الإصطبل السلطانيّ ، فأخذها بعض سؤاس الخيل ، ووصلت إلى السلطان .

(1) الوافى 285/9 (4211) ؛ الدرر 416/1 (993) ؛ النجوم 174/10 ؛ المنهل
455/2 ؛ الخطط 309/2 .

(2) التمجاة : ضرب من الخناجر .

(3) في المخطوط : قُرمُشى . والإصلاح من النجوم 151/10 ومما يأتى .

فلما قرأها بعث الحاجب إليه يسأله عما كان يعمل أمس في إصطبله . فأجاب
بأنني عرضت سلاحاً أشتريته على خيلي لأعرف ما يناسب منه ممّا لا يناسب . فلم
يشكّ السلطان في صحّة ما نُقل عنه . وقبض معه على قيران صهر قرمُجيّ ،
وعلى إتكّان أخي آقوش الحاجب وسفّهم مع طرخان بن بيسرى وبرلغي قريب
السلطان [لأمّه] إلى الإسكندرية . وتبع المماليك القبحيّة فقبضهم . وطلب
[الـ]أمير حسين بن جندر / من دمشق وأنعم عليه بإقطاع أصلم . [207 أ]

فأقام أصلم وأخوه في السجن ستّ سنين وثمانية أشهر . ثم أفرج عنها في
صفر سنة أربع وثلاثين وخلع عليهما ، وأنعم على أصلم بإمرته .
ثم أخرجها في سنة إحدى وأربعين لنيابة صفد عوضاً عن أقسنقر
السلاريّ ، فمات السلطان ، وهو بصفد .

ثم إنّ الأمير قوصون لما قام بتدبير الدولة جرّده مع الأمير الطنبغا نائب
الشام لإمساك طشتمر حمّص أخضر نائب حلب . فقدم الأمير قطلوبغا الفخريّ
إلى دمشق ، وردّ أصلم من قارا⁽¹⁾ . فأقام بعسكر صفد مع الفخريّ حتى توجه
معه إلى مصر ، وقد تسلطن أحمد بن محمد [بن قلاوون] ، فرسم له بالإقامة
بمصر على عادته أمير مائة ومقدّم ألف يجلس في المشور . فاستمرّ على ذلك حتى
مات ، فأنعم بإقطاعه على الأمير طغيتمر النجمي ، وكان إقطاعاً جليلاً عبرته مائة
ألف دينار وأربعون ألف دينار .

وكانت له يدٌ طويلة في الرمي بالنشاب . وكان الملك الناصر الكبير دائماً
يجعله رأس الحلقة . وعظّم في الدولة الناصريّة أحمد وما بعدها .
وترك ثلاثة أولاد أمراء . وعمر مدرسة بجوار داره في خطّ سوق الغنم
خارج باب البرقيّة في غاية الحسن ، وأقيم بها خطبة .

(1) قارا : بين دمشق وحمص .

796 - أطسز بن أوق الخوارزمي [471 -]⁽¹⁾

أطسز بن أوق الخوارزمي التركيّ مقدّم الأتراك . ومعنى أطسز : ليس معه قرين ، وهي كلمة تركية . وبعضهم يقول : أّتسز بالتاء ، عوضاً عن الطاء ، وأصله كما قلت لك أولاً .

كان أمير دمشق ، لقّب نفسه بالملك المعظم ، وهو أول من ملك دمشق من الأتراك وقطع منها دعوة الخلفاء الفاطميين وأعاد دعوة خلفاء بني العباس . وكان سببُ قُوم الأتراك إلى الشام أنّه لمّا تغلّب ناصر الدولة [الحسن] بن حمدان في سنة اثنتين وستّين وأربعمائة على مصر وقصد إبطال دعوة المستنصر بالله وتغيير دولته ندب الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري قاضي حلب وبعثه رسولاً إلى السلطان ألب أرسلان أبي شجاع محمد بن داود ملك العراق وخراسان يسأله أن يسير إليه عسكرياً ليقم الدعوة العباسية وتكون له مصر . ففضى أبو جعفر إلى خراسان وبلغ السلطان ألب أرسلان رسالة ناصر الدولة ابن حمدان . فتجهّز من خراسان في عساكر عظيمة ونزل الرها في أول سنة ثلاث وستّين وأربعمائة ، وبعث إلى محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب يستدعيه فخاف منه ولم يتجاسر عليه . فقطع السلطان الفرات فقال له الفقيه أبو جعفر : يا مولانا ، احمد الله تعالى على ما أنعم به عليك فإنّه لم يقطع هذا النهر تركيّاً إلا مملوكاً[ـا] ، وأنتم اليوم قد قطعتموه ملوكاً .

فأحضر الأمراء والمالّيك ، وأمره فأعاد الحديث . فحمد السلطانُ الله على ذلك . ثمّ خرج إليه محمود بن نصر فأكرمه وردّه إلى حلب بعدما نزل السلطان

(1) الوافي 6 / 195 (2652) تحت : أّتسز . وكذلك في الكامل 8 / 111 . ذيل تاريخ دمشق 112 ، 120 - 125 .

على حلب ، وحاصرها شهراً في جُمادى الآخرة ، فقطع محمود خطبة المستنصر من حلب وأقام الدعوة العباسية . وعزم السلطان على المسير إلى مصر ، فأنته الأخبار بأنّ ملك الروم قطع بلاد أرمينية يريد خراسان فعاد من حلب إلى بلاده وخلف طائفة من الترك ببلاد الشام فيهم أطرز . فسار ومعه إخوته جاولي والمأمون وقزلو وشكلي⁽¹⁾ إلى أعمال دمشق . ونزل عليها وحاصرها في يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة سبع وستين وأربعمائة . ثمّ انصرف عنها يوم الثلاثاء النصف من شوال ، ومعه إخوته ففتحوا أعمال فلسطين . ثمّ آخلف الأتراك فصار بعضهم مع أمير الجيوش بدر الجباليّ بعلكا وبلاد الساحل التي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة ذي الرئاستين أبي الحسن محمد ابن القاضي أبي محمد عبد الله ابن القاضي أبي الحسن عليّ بن عياض بن أحمد بن أبي عقيل صاحب صور .

وبقي أطرز وإخوته بفلسطين ، وفتح الرملة وطبرية وبيت المقدس / وصار [207 ب] يحاصر في كلّ سنة دمشق ويرعى زرعها . ومنع الزراعة حتى صارت القرارة [من] القمح تباع بعشرين ديناراً . فلمّا كانت سنة سبع وستين [وأربعمائة] حاصر شكلي بن أوق ثغر عكا وأخذه بالسيف وقتل الوالي . فسارت إليه عساكر دمشق وحاربوه على طبرية .

وفي سنة سبع وستين حاصر أطرز بن أوق دمشق في يوم السبت سلخ ذي الحجة عقيب هروب معلّى بن حيدرة . ورحل عنها يوم الجمعة لأربع خلون من صفر سنة ثمان وستين ، وذلك أنّ معلّى بن حيدرة بن متزو⁽²⁾ لمّا أساء السيرة بدمشق وثار الناس عليه قرّ منها إلى بانياس فأقاموا عليهم الأمير رزين الدولة انتصار بن يحيى المصموديّ زمام عسكر معلّى بن حيدرة في يوم الأحد مستهلّ المحرمّ منها . وقدم أطرز إلى دمشق في شعبان ولم يزل محاصراً لها حتى غلت

(1) في المخطوط : سكلّ . وأخذنا بقراءة الاعمّاط 2 / 314 : شكلي .

(2) معلّى بن حيدرة الكنانيّ - أو الكتاميّ - كان والياً على دمشق من قبل المستنصر : ائعاظ

276 / 2 و 290 .

الأسعار ولم يُقدر على شيء من الأقوات وبلغت غرارة الحنطة نيفاً وعشرين ديناراً .

ثم إنه فتح البلد صلحاً ، ودخلها هو وعسكره يوم الاثنين [لِتَسْعَ بَقِينَ] من ذي القعدة منها ، وقطع خطبة المستنصر منها وأبطل الأذان بحجّي على خير العمل وأقام الخطبة للإمام المقتدي بأمر الله أبي القاسم ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله العباسي في يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة . ونظر في أمور دمشق وأحوالها وكثر عسكره .

ثم قرأ إليه [ابن بلدكوش] ⁽¹⁾ خوفاً من أمير الجيوش بدر الجمالي . وحدثته نفسه بأخذ مصر فسار إليها في سنة تسع وستين وأربعائة ، وقد سار إليه ناصر الجيوش أبو الملوك ترکان شاه ابن سلطان الجيوش يلدكوش ، وأهدى إليه ستين حبة لؤلؤ تزيد زنة الحبة منها على مثقال ، وحجراً من ياقوت زنته سبعة عشر مثقالاً ، في تحف كثيرة مما كان قد أخذه أبوه من خزائن القصر . وأغراه بأخذ مصر وأطمعه في أهلها . فحشد وهم على حين غفلة . وكان أمير الجيوش بدر قد خرج لقتال العرب بالصعيد . فنزل أطنس في أرياف مصر وأقام بها شهر جمادى وبعض شهر رجب ، ومعه نحو الخمسة آلاف .

فلما بلغ ذلك أمير الجيوش قدم إلى القاهرة وأستعدّ إلى لقائه . وخرج في يوم الخميس سابع عشر رجب ، وسير المراكب في النيل بالعلوفات والميرة ، وسار في نحو الثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل . فخافه أطنس وعزم على العود عن مصر إلى الشام ، فلم يوافق أصحابه على ذلك وقالوا له : قد وطئت ديارهم ، وتعود بغير فائدة ؟

فلم يلتفت إلى قولهم . فقال له أخوه المأمون وابن بلدكوش : لا تغرنك

(1) الاتعاظ 317/2 وقرأ الناشر : وكان شاه عوض : ترکان شاه ، وهو اسمه الوارد في ترجمته بالمقنّى رقم 1026 .

كثرتهم ، فإنهم سوقة ، وصيحة واحدة تهمهم . فلا ترجع عن هذا الملك الذي أشرفت على أخذه !

وما زال به أخوه ⁽¹⁾ حتى تقدّم للقتال في يوم الثلاثاء ثاني عشرينه . وقدم [أمير] الجيوش . فتراخى أطسز عن الحرب إلى الليل بعدما استظهرت ميمته . فأحاطت العربُ به من ورائه ونهبوا سواده ، فانهزم وقتل أخوه المأمون ، ولحق أطسز بغزة وأقام بالرملة حتى وصل إليه من بقي من عسكره . ودخل دمشق يوم السبت العشرين من شعبان [سنة 469] .

وعاد أمير الجيوش مظفراً ، فندب العساكر مع نصر الدولة [أفتكين] ⁽²⁾ الجيوشي وبعثه إلى دمشق فحصرها أياماً ، وعاد في سنة سبعين ⁽³⁾ .

فلما خاف أطسز من ظفر أهل مصر راسل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان يستنجده ، فتحرك لذلك وسأل أخاه السلطان ملك شاه ابن ألب أرسلان أن يوليّه الشام ، فأقطعه السلطان أبو الفتح ملك شاه ابن ألب أرسلان الشام [فسار] إليها ونزل على حلب في سنة إحدى وسبعين ، فلم يقدر عليها فقتل بديار بكر ، وسار إلى دمشق وتسلمها من أطسز .

ثم قبض عليه في ربيع الأول منها ، وقتل أخاه ، ثم أمر بخنقه فخنق بوتر لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وأربع مائة ، فكانت مدة ملكه بدمشق ثلاث سنين وستة أشهر وواحدًا وعشرين يوماً .

-
- (1) هو شكلي التركيّ أمير طبرية وأخو أطسز كما في ترجمة بدر الجبالي رقم 911 .
(2) بياض بالأصل والإكمال من ترجمة بدر أمير الجيوش . فالنقص ليس من المقرريّ ولكن من ناسخ السليمية .
(3) ائعاظ 2 / 319 . والقائد هو نصير الدولة أفتكين الجيوشي كما جاء في ترجمة بدر الجبالي رقم 911 . وفي الكامل (سنة 471) : قائد يعرف بنصر الدولة ، لا غير ، وكذلك عند ابن القلانسي ، 112 . وفي الائعاظ 2 / 331 : « نصر الدولة أفتكين أجلّ غلمان بدر » .

797 - أُغْرُلُو الْعَادِلِيَّ [719 -]⁽¹⁾

[208 أ] أغرلو العادليّ ، الأمير سيف الدين / أحد ممالك العادل كَتَبُغا .
 ربّاه صغيراً ، فلمّا تسلطن أعطاه إمرةً بديار مصر ، ثم وّلاه نيابة السلطنة
 بدمشق - وعمره نحو الثلاثين سنة - عوضاً عن أبيك الحمويّ الظاهري في يوم
 الاثنين أوّل ذي الحجة سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان العادل حينئذ
 بدمشق . فلمّا خرج منها وسار إلى العوجاء ركب عليه الأمير لاجين نائب
 السلطنة ، فأنهزم منه إلى دمشق ، فسلمه أغرلو القلعة والمدينة إلى أن آنحلّ عنه
 الأمر وانعقد للملك المنصور لاجين . [ف]خرج من دمشق على البريد إلى قلعة
 الجبل في يوم الأحد خامس عشرين صفر سنة ستّ وتسعين ، وحضر الأمير
 سيف الدين قبجق المنصوريّ متولّياً نيابة السلطنة بدمشق عوضاً عنه ، وأقام
 أغرلو بدمشق من جملة الأمراء الألوّف إلى أن مات بها في [. . .] سنة تسع
 عشرة وسبعائة ودُفن بترتبه من قاسيون .

798 - أُغْرُلُو السيفيَّ ، شجاع الدين [748 -]⁽²⁾

أغرلو السيفيَّ ، الأمير شجاع الدين . أحد ممالك الأمير بهادر المعزّي .
 كان يدّعي أنّه جركسيّ ، وجلب من عند الأرمن بقلعة الروم فأشتراه بهادر

(1) الوافي 294 / 9 (4224) ؛ الدرر 418 / 1 (998) ؛ المنهل 463 / 2 (476) ؛
 النجوم 245 / 9 ، وهو فيها : إغزلوا بالزاي .
 (2) الوافي 294 / 9 (4225) ؛ الدرر 417 / 1 (997) ؛ المنهل 460 / 2 ؛ النجوم
 165 / 10 وفيها : عُرْلُو بدون همزة .

المعزّي ، وترقى في خدمته إلى أن حبس ، فخدم بعده أميرأخور بإصطبل الأمير بكتمر السّاقّي حتى مات . فاستقرّ أميرأخور الأمير بشتاك إلى أن قبض عليه فاستقرّ في ولاية أشموم وسفك دماء كثيرة . ثم أخرج إلى نيابة قلعة الشوبك .

ثمّ قدم القاهرة واستقرّ في الولاية يوم الاثنين ثامن عشرين ربيع الأوّل سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، عوضاً عن نجم الدين أيوب الكرديّ . ونُقل عن قليل من ولاية القاهرة إلى وظيفة شدّ الدواوين ، والدولة قد توقّف حالها . فأحدث أخذ البرطيل على الولايات كلّها ، حتى على شدّ جهة من الجهات . فرغب كثير ممّن كان لا يتأهّل للولايات فيها ، وبذلوا له المال الكثير فصار يحمله إلى بيت المال . وأغرى السلطان بأنّ هذا المال كلّه كان المباشرون يستأدونه لأنفسهم ، فحملته أنا إلى بيت المال ليمشي أحوال دولة السلطان - وبالغ في إظهار الأمانة وبذل جهده في النهضة وقبض على خالد المقدّم واحتاط على موجوده . فثقل على الأمراء ، إلى أن مرض الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وقام أخوه شعبان في طلب السلطنة من بعده ، وأستمال عدّة من الأمراء والماليك .

وخالف عليه الأمير آل الملك نائب السلطنة في جماعة من الأمراء [ف]انتدب أغزلو وتمرّ الموساوي لإثارة الفتنة ، وضمن أغزلو أن يقوم بأمر مهمّة وأن ينزل في عدّة من الماليك إلى أصطبلات الأمراء ويأخذ خيولهم وماليكهم ثم يقبض عليهم . فلمّا تحالف النائب والأمراء على الاتفاق طلب أغزلو وقال له : ويلك ! أنت أيضاً صار لك كلام بين الأمراء ؟ - وأمر بأخذ سيفه فتنمّر وأراد أن يشهر سيفه وقال : من يصل يأخذ سيني ؟ - فصاح النائب بالحجّاب فتناولوا أغزلو بالضرب وحلّوا سيفه وخربوا شاشه وأوجعوه ضرباً وحملوه إلى السجن .

فلمّا جلس الملك الكامل شعبان على تخت السلطنة أخرجه وخلع عليه . وأستقرّ في الشدّ على عادته فزادت مكانته ، وأستخدم الولاة والكتّاب في الأعمال بمال مُقرّر يُحمل لبيت المال . وأستجدّ التزول على الإقطاعات التي للأجناد

ومقايضة بعضهم بعضاً بمال يحمل لبيت المال ، وأخرج الإقطاعات لمن يختارها ، وجعل المقرّر على الإقطاع نظير عبرته : فمن طلب إقطاعاً عبرة مائة دينار حمل مائة دينار . ففسدت حال الأجناد وحال الأعمال والجهات ، فإنه نالها من كان لا يتأهل لها . وأحدث على الرزق حوادث تحصل منها مال كبير ، وعمل لذلك ديواناً يُسمّى « ديوان البذل » .

فعضمت مكانته عند السلطان وزادت رتبته وكثرت مهابته ، وصادر الولاية . فلما تولّى تقيّ الدين ابن مراحل نظر الدولة تعانداً ، فعزل عن الشدّ . [208 ب] ثم لما كانت الفتنة على الكامل قام فيها أئيمًا قيام ، وضرب / الأمير أرغون الكامليّ في وجهه فجرحه .

ثم لما كانت دولة المظفر تمكّن فيها أيضاً تمكّناً زائداً ، وبقي يدخل مع الخاصكية ويخرج معهم فنفذت كلمته ، وأخذ يغري المظفر بالأمراء حتى قتل الأمير أقسنقر الناصريّ والأمير ملكتمر الحجازيّ ، وقبض على عدّة أمراء ، فتمكّن أغزلو من أموالهم . وأنفرد عند السلطان بالكلام في أمور الدولة كلّها . وجمع طائفة الجراكسة على السلطان وأمر منهم جماعة . وصار يخلو به ليأخذ رأيه ، وأنعم عليه بإقطاع أيتّمش عبد الغنيّ وتقدمته ، ورسم أن يكون أمير سلاح ، وكثرت خلعه عليه وإنعاماته ، فعكف الناس كافّة على بابه لقضاء أشغالهم ، وخافه أمراء مصر والشام . وأقام على ذلك نحو أربعين يوماً وهو يتعاضم ويترفع . وأخذ يحسّن للسلطان القبض على الأمير أرقطاي نائب السلطنة وخطّ على ألبجيغا المظفريّ وطريق ، وهما أخصّ من عند السلطان . فبلغهم ذلك عنه ، فراسل الخاصكية والأمراء . وما زالوا بالسلطان يخيفونه عاقبة أمره حتى رسم بإخراجه لنيابة غزّة ، وإن أمتنع أخذ سيفه ، فأغتنموا ذلك وقبضوا عليه في يوم الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعائة بالقصر ، وقيدوه وأدخلوه بيت الأمير جييغا بالأشرفيّة وقتلوه قبل صلاة الجمعة . ودُفن خارج باب القرافة ، فخرجت يده من القبر بعد يوم ، فأخرجته العامّة

وجزّوه بجبل وأرادوا إحراقه تحت القلعة حتى منعوا من ذلك .
وكانت عدّة من قتله في أربعين يوماً أحداً وثلاثين أميراً .

799 - الأغلب بن سالم التميمي [150 -]⁽¹⁾

الأغلب بن سالم [بن سودة] بن إبراهيم بن عقال بن خفاجة بن عبد الله
أبن عبّاد بن محرث [بن الأشدّ] بن سعد بن الحرام بن سعد بن مالك بن سعد
أبن زيد مناة بن تميم .

وقيل : الأغلب بن سالم بن عقال بن محرث بن خفاجة .

وقيل : الأغلب بن سالم بن عقال بن عبد الله بن محرث بن سعد بن حرام
أبن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، أبو [. . .] التميمي .
كان ممّن قام مع أبي مسلم الخراساني بخراسان . ثم سار إلى إفريقية مع
محمد بن الأشعث الخزاعي أمير مصر في سنة ثلاث وأربعين ومائة . فلمّا بلغ
المنصور خروج محمد بن الأشعث من إفريقية بعث إلى الأغلب بولاية إفريقية في
ربيع الأوّل سنة ثمان وأربعين ومائة بعد مفارقة محمد بن الأشعث إفريقية ومسيره
عنها إلى العراق . وأقام المضريّة بعده على إفريقية عيسى بن موسى الخراساني فبقي
أميراً ثلاثة أشهر .

فلمّا أتاه العهد ، قدم القيروان في جمادى الآخرة . وأخرج جماعة من قواد
المضريّة فسكن الناس . وخرج عليه جمع من البربر فسار إليهم فأنهزموا من غير
قتال . وسار يريد طنجة ، فكره الجند مسيره وتسلّلوا عنه إلى القيروان حتى بقي
في جمع قليل . فكتب الحسن بن حرب الكنديّ الجند ، وهو بقونس يدعوهم

(1) ابن عذاري 74/1 ؛ الاستقصاء 57/1 ؛ وفيات 322/3 (ترجمة ابن القطاع
الأغلب) .

إلى الفتنة فأجابوه . فسار إلى القيروان وملكها من غير مانع . فبلغ ذلك الأغلب فعاد مجدداً . ثم خاف لقلّة مَنْ معه فعدل إلى قابس وجمع الناس وسار . فأقتل هو والحسن قتالاً كبيراً أنهزم منه الحسن ، وقتل كثير من أصحابه ، ومضى إلى تونس في جمادى الآخرة سنة خمسين ومائة .

ودخل الأغلب القيروان ، فجمع الحسن جمعاً عظيماً وقصد الأغلب . فخرج إليه من القيروان وقاتله ، فأصاب الأغلب سهمٌ فقتله في شعبان سنة خمسين ومائة .

وهو والد إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية . وكانت لبني الأغلب بإفريقية رئاسة عظيمة كانت مدتهم فيها مائة سنة وأثنتي عشرة سنة وأشهرًا .

800 - أفتكين التركيّ [488 -]⁽¹⁾

أفتكين الأمير ناصر الدولة التركيّ ، أحد غلمان أمير الجيوش بدر الجمالي . [209 أ] ترقى في خدمه إلى أن ولّاه الإسكندرية . فلما مات أمير الجيوش وقام من بعده بسلطنة مصر ابنه الأفضل شاهنشاه ، أستوحش منه أفتكين . وأتفق فرار الأمير أبي المنصور نزار بن المستنصر بعد موت أبيه ، خوفاً من الأفضل ، فصار إلى الإسكندرية . فقام أفتكين بأمره وبأبيع له وجمع عليه الناس ، وقاتل الأفضل ابن أمير الجيوش ، إلى أن كانت الغلبة للأفضل ، فقبضه وحمله معه إلى القاهرة على بغلة ، وسجنه مدة .

ثم تذكّره في بعض الأيام فأحضره إليه وفاجأه بكلام قبيح وسبه ، فقال له : ما بعد الموت شيءٌ يُنتظر ، وما يؤمنك أن أقول في حقك ما تفرع به ما دمت حيًّا .

(1) الإشارة 59 ؛ النجوم 5 / 144 .

فقال : إلى هذا الحد ؟

[فأمر] بالقباقيب فضرب بها من أيدي الجوّاري حتى مات .

(وقال) ما دخلت القباقيب في اليمين : فإنه كان حلف له ألا يقتله بآلة من آلات القتل .

وكان أفتك[ين] رئيساً عارفاً بالأمر .

801 - أفلح الناشب [- بعد 362]

أفلح الصقليّ ، المعروف بالناشب ، مولى المعزّ . كان من أمرائه على برقة . فلما جهّز المعزّ جوهرًا إلى القاهرة كتب إلى جميع العمال أن يترجّلوا للجوهر ، فأنف أفلح من ذلك وبذل لجوهر خمسين ألف دينار ليُعفيّه من ذلك .

ولما قدم المعزّ إلى الديار المصريّة ففقد الزاد الذي صحبه تلقاه أفلح من الزاد والطعام والآلات والجمال والبغال والخيول [ب]حما وسّع به على العسكر كلّهم ، وفضل منه ما صحبهم إلى مصر .

واستمرّ أفلح في خدمة المعزّ إلى أن دخل مصر ⁽¹⁾ .

802 - آقوش العلالي القاري [- 702] ⁽²⁾

آقوش العلالي القاريّ ، [الأمير جمال الدين] المعروف بوالي البهنسا . ترقّى في الخدم حتى ولي عدّة أعمال [ب]ديار مصر . وولي الكشف بالوجه القبليّ

(1) كنّا نأمل أن نجد معلومات ضافية عن هذا الوالي الذي مدحه ابن هانئ المغربي بقصيدة رثانة (رقم 55 من ديوانه بنشر زاهد علي) . ولا يبدو من تلك المدحة أن أفلح صقليّ ، وقد أبدينا تساؤلات كثيرة بشأنه في رسالتنا عن ابن هانئ .

والجملة الأخيرة تشعر بأنّ والي برقة هذا قد ختم حياته بمصر بعد سنة 362 .

(2) الدرر 1 / 427 (1030) ، النجوم 8 / 154 ؛ السلوك 1 / 928 .

في محرم سنة تسعين وستمائة .

وكان شديد الكبر زائد الحمق ظالماً سفاكاً . وأتفق في موته أمر عجيب ، وهو أنه لما أبحرت الشواني المجهزة لفتح جزيرة أرواد⁽¹⁾ ، وشحنت بالرجال ، كان من جملتهم رجل من أصحاب آقوش لهذا . فطلب منه أن يعطيه لمؤنته كما فعل الأمراء بأجنادهم . فغضب منه وأخذ قوسه ورماه بسهم صادف صدره فخر ميتاً . فوقف أهله للأميرين بيبرس وسلار ، وهما يومئذ القائمان بتدبير الدولة ، وشكوه . فطلب وأحرق به وألزم بدية الجندي ، وحلف الأمير سلار النائب أن يكون عوض الجندي المقتول في السفر إلى جزيرة أرواد . فوثب في أحد الشواني فتجهز للسفر ، وأهتم بالشيني الذي هو مقدمه ، وبالع في زيتته وتجميل عدته .

وركب السلطان الملك الناصر والأمراء لعرض الشواني في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة اثنتين وسبعماية . واجتمع الناس بساحل مصر ، وكان يوماً مشهوداً ملأ الناس فيه البر والبحر . وغدا الأمراء إلى بر الروضة ، فتقدم الشيني الأول ولعب ساعة مثلما يلعب في البحر وعمل أعمال الحرب فأعجب به الكافة ، وتلاه الثاني والثالث كذلك . وبقى الشيني الرابع ، ومقدمه آقوش المذكور ، فأعجل الرئيس في الخروج من البر ، فقال له : لا تعجل فإن الشيني يعوزه أن يثقل .

فانحرف على عادته وقال : أخرج ، لا كتب الله علينا بالسلامة ولا أحياناً أن تُردَّ إليهم أبداً !

فما هو إلا أن أخرجه الرئيس من الصناعة وتوسط النيل ، إذ حركه الهواء فمال ميلاً واحدة وأنفلت فصرخ الناس صرخة واحدة ، ولم يسمع أكثر هولاً منها . وتكدر ما كان الناس فيه من الصفاء ، وتنقص سرورهم ، وتلاحق

(1) تقع أرواد شمالي طرابلس الشام على خمسين ميلاً ، وجنوب أنطرسوس على ثلاثة أميال .

الناس بالشيني وهو قد صار مقلوباً ، أعلاه أسفله ، وأخرجوا الأجناد منه ، فلم يُفقد سوى آقوش وحده ، بحيث إنّ الشيني اتّحدر به تيّارُ الماء إلى بولاق . ووقّف ثلاثة أيام إلى أن ركب متولّي الصناعة والرئيس بالرجال وأقلبوه ، فإذا بامرأة الر[ث]يس ومعها أبنتها ترضعه ، وهما حيّان ، فكثر العجب من ذلك .
وعمل شيني آخر وتوجّه به الأمير كهرداش [الزراق] ، وفتح جزيرة أرواد كما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

803 - آقوش الروميّ [709 -] ⁽²⁾

آقوش الروميّ ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون . تنقّل في الخدم إلى أن صار من الأمراء الألوف بديار مصر . فلما تحرّك الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك يريد أخذ السلطنة ، جرّد السلطان الملك المظفر بيبرس آقوش هذا ليحفظ طريق السويس ، خشيةً من تسحب العسكر إلى الناصر . فأقام هناك أياماً . وكان مهاباً يخافه مماليكهُ خوفاً شديداً . فوثب عليه سبعة من مماليكه وقتلوه وهو نائم ، وأخذوا جميع ما معه وساروا إلى الملك الناصر ، وذلك في ليلة [. . .] شعبان سنة تسع وسبعائة .

804 - آقوش العتريس [- بعد 719] ⁽³⁾

آقوش العتريس أحد الأمراء الناصرية .
أنعم عليه بطلبخاناه . وأقطع ثغر أسوان لقيم بعيزاب ، وخرج في

(1) ترجمة كهرداش مفقودة .

(2) الدرر 1 / 426 (1027) .

(3) الدرر 1 / 427 (1029) .

تجريدة ، هو ، والآقوش ، ومحمد بن الشمسي ، وعلي بن قراسنقر ، وطقصبا الحسامي ، وبيرس الكريمي إلى عذاب في سنة تسع عشرة .

805 - آقوش البرلي العزيزي [661 -]⁽¹⁾

آقوش البرلي العزيزي الأمير شمس الدين ، أحد ممالك الملك العزيز محمد . ابن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب . فلما مات خدم بعده أبنته الملك الناصر يوسف ، وتنقل في خدمه إلى أن قر من دمشق خوفاً من قدوم هولاءكو وصار إلى قطيا⁽²⁾ يريد ديار مصر . ثم عاد منها وتركه من معه من العسكر ودخلوا القاهرة ولحقوا بالملك المظفر قطز ، [وكان من جملتهم آقوش لهذا ، فأكرمه المظفر ، وسار معه إلى قتال التتار فشهد وقعة عين جالوت . فلما تمت نصره المظفر على التتار رثبه أميراً بالساحل وغزة في شوال سنة ثمان وخمسين وستائة ، وأضاف إليه جماعة من العزيزية .

فقدر الله قتل المظفر قطز عند عوده من دمشق ، وتملك الملك الظاهر بيرس البندقداري بعده ، وإخراجه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار لقتال الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق من أيام المظفر قطز . فخرج إليه وقاتله وأسرته وبعثه إلى مصر . وكان قد كتب الظاهر إلى آقوش أن ينضم إليه ، فسار معه إلى دمشق وأقام بها ، وبقي أيدكين يدبر أمر دمشق . فكتب إليه الظاهر في صفر سنة تسع وخمسين [وستائة] بالقبض على بهاء الدين بغدي الأشرفي وعلى شمس الدين آقوش البرلي في عدة من العزيزية والناصرية ، فتوقف أيدكين في ذلك . ثم اتفق دخول بغدي عليه فقبضه . فثارت العزيزية والناصرية إلى آقوش

(1) في المنهل 15/3 (512) والنجوم 7/113 ، 117 : البرنلي . وفي السلوك 1/493 : البرنلي .

(2) قطيا : قرب القرما .

وخرجوا من دمشق ليلاً على حمية إلى المرج . فأرسل أيدكين إلى آقوش بالمرج يطيب قلبه ويخلف له ، فلم يلتفت إلى ذلك ورحل إلى حمص ، ودعا الملك الأشرف موسى إلى القيام ، فأبى عليه . فسار إلى حماه وبعث إلى المنصور : إنه لم يبق من البيت الأيوبي غيرك ، فقم لنصير معك ونملكك البلاد ! - فامتنع منه وردّه ردّاً قبيحاً . فأغتاظ ونزل على حماه وأحرق الزروع ، وسار إلى شيزر ، ثم توجه إلى حلب وقد عاد إليها الأمير فخر الدين [. . .] الحمصي من كشف التار باليرة ومعه عسكر . فقال له آقوش : نحن في طاعة الملك الظاهر ، فتمضي إلى السلطان وتسأله أن يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف ، ونكون تحت طاعته من غير أن يكلفني وطءً بساطه .

فسار الحمصي عن حلب ، وتمكّن آقوش منها واحتاط على ما فيها من الخواصل وأستبدّ بأمرها وجمع العربان والتركمان واستعدّ للقتال . فعندما وصل الحمصي إلى الرمل طرف مصر لقي الأمير آقوش الحمدي الصالحي متوجّهاً بالعساكر لقتال آقوش . فبعث الحمصي إلى الملك بما طلبه آقوش فأنكر عليه وأمره بالانضمام إلى الحمديّ والمسير لقتال آقوش . فعاد معه . وبعث تلوهما بالأمير علم الدين سنجر الحلبيّ لقتال آقوش على عسكر آخر بعد / ما رضي عنه [210 أ] وأردفه بالأمير عزّ الدين [أيلك] ⁽¹⁾ الدميّاطي على عسكر ثالث . فأجتمعوا على حلب ، وطرده عنها ، وأقام الحلبيّ نائباً بها . ثم خرج عنها فعاد إليها آقوش ، وبعث إلى الملك الظاهر بالطاعة ، فأبى إلّا أن يحضر إليه .

وخرج السلطان من القاهرة ومعه الخليفة المستنصر أبو القاسم أحمد إلى دمشق ، وجهّز الأمير سيف الدين بلبان الرشيدّي ، والأمير شمس الدين سنقر الروميّ إلى حلب . فرحل عنها آقوش وملكها ، فبعث الملك الظاهر لنيابة حلب الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار ، ومعه عسكر كبير ، فملكها وأطمأنت به .

(1) الزيادة من النجوم 7 / 160 .

فضاقت بأقوش البلاد ولم يبقَ بيده سوى البيرة . وخاف . فأضطرّه الحصار إلى أن سار إلى مصر رغبة في الطاعة . فكتب الملك الظاهر إلى النّوّاب بالإحسان إليه في ترتيب الإقامة له في الطرقات . حتى قدم القاهرة في ثاني ذي الحجة سنة ستين وستّائة . فتلقاه السلطان وبالغ في الإحسان إليه وأكثر من العطاء له حتى سأل أقوش السلطان أن يقلّ من العطاء إليه ، وأن يقبل منه البيرة . فلم يفعل . فألحّ عليه حتى قبلها . وبقي في الخدمة إلى تاسع عشر شهر رجب سنة إحدى وستين وستّائة ، فقبض عليه ، وكان آخر العهد به .

806 - أقوش كرجي المطروحيّ [699 -]⁽¹⁾

أقوش كرجي المطروحيّ ، الأمير جمال الدين ، الحاجب ، أحد المماليك البرجية . . .

استشهد على حمص في نوبة غازان لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستّائة . وكان من فرسان مصر وشجعانها .

807 - « قتال السبع » [710 -]⁽²⁾

أقوش الموصلّي ، الأمير جمال الدين قتال السبع ، أحد مماليك الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل .

قدم إلى مصر بعد واقعة هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستّائة في جماعة ، منهم أقوش نميلة . وأبيك الموصلّي نائب طرابلس . وترقى في الخدم حتى عمله

(1) الوافي 9/ 325 (4264) ؛ السلوك 1/ 905 وفيه : أقش المطروحيّ نائب دمشق .

(2) الوافي 9/ 335 (4266) ؛ الدرر 1/ 427 (1032) ؛ النجوم 9/ 216 ؛ المنهل

26/ 3 (517) .

الملك المنصور قلاوون أمير علم . ثم نقل بعد وفاته وصار من أكابر الأمراء ، إلى أن مات في تاسع شهر رجب سنة عشر وسبعائة .
وكان من القوّة والشجاعة على جانب كبير مع مكارم الأخلاق ودين ورأفة ورحمة .

808 - آقوش الكنجي [713 -]⁽¹⁾

آقوش الكنجي ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك الظاهرية .
ولاه الملك الظاهر بيبرس قلعة مصياف⁽²⁾ . ثم صُرف في الأيام المنصورية قلاوون . وأعيد وعُزل ثانياً في الأيام الأشرفية خليل بن قلاوون . ثم أعيد فأستمرّ حتى مات في [. . .] سنة ثلاث عشرة وسبعائة . وكان قد تمكّن في بلاد الإسماعيلية تمكناً زائداً ، وعظمت مهابته ، واستحكمت طاعته بحيث لو أمر أحدهم بقتل نفسه قتلها من غير توقّف . وغلّوا فيه على عاداتهم في الغلو ، وأدّعوا أنّ روح إلههم حلّت فيه ، تعالى الله عن ذلك .
وكان من مشاهير فرسان الخيل .

809 - آقوش الشهابي [678 -]⁽³⁾

آقوش الشهابي أحد الأمراء الطبلخاناه في أيام الملك السعيد محمد بركة بن الظاهر . يلقّب جمال الدين .
مات في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

(1) السلوك 2/ 134 ؛ الدرر 1/ 427 (1031) .

(2) قلعة مصياف : إحدى قلاع الإسماعيلية - السلوك ، 2/ 134 و 143 . وعند ياقوت : مصياف أيضا .

(3) السلوك 1/ 694 ؛ المنهل 3/ 31 (520) .

810 - آقوش الداودي الأفرم [716 -]⁽¹⁾

آقوش الداودي ، الأمير جمال الدين ، المعروف بالأفرم .
كان جركسيّ الجنس ، من قدماء ممالك الملك المنصور قلاوون ، وأحد
أكابر البرجيّة السلاحداريّة . وكان في البرج مغرى بالصراع واللكام والعلاج
والثقاف⁽²⁾ ورمي النشاب ، إلى أن أنعم عليه بالإمرة في [. . .] فلم يترك
ذلك .

وتحدّث مع بعض الخاصّكيّة في الخروج إلى الشام ، فقال الملك المنصور :
آقوش الأفرم يريد الشام ؟ لا بدّ له من نيابة دمشق ، إلّا ما هو في أيامي !
ثم أخرج إلى الشام في [. . .] وأقام بها مدّة طويلة في لهو ، إلى أن كانت
سلطنة كتبغا ونيابة لاجين ، [ف]أشتدّ عضدّه : فإنّه كان ابن خالة لاجين . فلمّا
تسلطن لاجين أحضره من دمشق ، وجعله حاجباً ، وسكن قلعة الجبل .

[210 ب] وأتفق أنّه لمّا قتل لاجين / كان بائناً بالقاهرة في دار الشريف ابن تغلب ،
ومعه الأمير شرف الدين حسين بن جندربك [الروميّ] ، وإذا الباب يُطرق
وقائل يقول : خلّوا الأمير يكلم السلطان ! - وتتابع الاستحثاث في الطلب .
فهمّ الأفرم بفتح الباب فمنعه أمير حسين . وأحسّ بالشرّ ، فأرعى أحد مماليكه
من السطوح ليكشف الخبر فعاد بأن السلطان قُتل . فخرجوا على حميّة وصاروا إلى
جهة قلوب في ممالكها وأتباعها ، وتردّدا في طريق بليس إلى أن أتقنا أمرهما مع
الأمرء . وأقبلا ، فإذا بالأمير بكتاش أمير سلاح قد قدم من التجريدة . فانضمّ

(1) الوافي 326 / 9 (4265) ؛ الدرر 424 / 1 (1024) ؛ النجوم 236 / 9 ؛ المنهل

9 / 3 (511) .

(2) الثقاف : ألعاب الحفّة .

إليه . وبقيَ أحد الأمراء السبعة الذين دبروا الأمر حتى قدم الملك الناصر محمد
أبن قلاوون من الكرك وتسلطن ، فبعثه إلى دمشق ليحفظها .

فسار في سادس جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة ، فقدمها على
[البريد] وقد سعى في نيابتها حتى كتب تقليده وجَهَّز إليه في ثاني عشرينه ،
ولبس من الغد تشريف النيابة ، وقَبِلَ عتبة القلعة ودخل دار السعادة وجلس
على السباط ، والأمراء والعساكر بين يديه . وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك
[الفخريّ] إلى مصر . وفي نصف جمادى الآخرة ألبس الأمراء وأهل الدولة
الخلع .

وقدم طلبه من القاهرة ، فلم يزل بدمشق إلى أن قدم غازان ملك التتار
وكسر العساكر الإسلامية على حمص . [ف]قدم معها إلى القاهرة في ربيع الآخر
سنة تسع وتسعين [وستمائة] .

ثم عاد مع العساكر فقدم دمشق يوم السبت عاشر شعبان منها . وتوجّه منها
في العشرين من شوال لحرب الدرزية ⁽¹⁾ سكّان جبال كسروان ، وقد أشتدّ ضرر
الناس بهم ، ونزل بالعسكر عند هزيمتهم إلى مصر منهم شدائد . فوافاه عساكر
صفد وحماه وحمص وطرابلس مع نوابها . فأمتنع الدرزية ببجلهم ، وهو صعب
المرتقى ، وأقاموا به آثني عشر ألفَ رام فأنكروا العساكر ، وكثرت جراحاتهم
وهم ثابتون لقتالهم مدة ستة أيام حتى أنهزم الدرزية ، وصعد العسكر الجبل
بعدما قتل منهم خلائق إلى أن لاذوا بطلب الأمان . فاستدعى الأفرم أكابرهم
وألزمهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة إلى مصر ، فأخذ منهم
شيئاً كثيراً وفرض عليهم مائتي ألف درهم ، وقبض على جماعة منهم ، وعاد بهم
إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذي القعدة ، وألزم أهل دمشق بتعليق السلاح في
الحوانيت وملازمة الرمي بالنشّاب ، وتقدّم لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن

(1) وقعة جبل الدروز : السلوك 1 / 902 .

جماعة⁽¹⁾ بإلزام الفقهاء بذلك . ثم جلس في حادي عشرينه لعرض الناس
فعرضوا عليه طوائف طوائف من الفقهاء والأشراف وأهل الأسواق ، فقدّم على
كل طائفة رجالاً يلون أمرهم .

فقدّم غازان في أوائل سنة سبعمائة إلى أنطاكية ، وجفل الناس قدّامه إلى
دمشق . فخرج السلطان بعساكره من مصر إلى العوجاء ، ثم عاد فأشدّ خوف
أهل دمشق وسار أكثرهم إلى مصر . ونادى الأفوم في تاسع جمادى الأولى : مَنْ
أقام بعد هذا النداء ، قدمه في عنقه ، ومن عجز عن السفر فعليه بالقلعة .

فبذل الكافة وغلّت أسعار المبيعات فبلغت غرارة القمح ثلاثمائة درهم ،
والرطل من لحم الضأن تسعة دراهم . وأشدّ الإرجاف بمجيء غازان ، فخلّت
بلاد الشام من أهلها وساروا بأجمعهم إلى مصر . ثم سكن الحال إلى أن كانت
وقعة شقحب في رمضان سنة اثنتين وسبعمائة فشاهدها .

ثم خرج في ثاني المحرم سنة خمس وسبعمائة من دمشق بالعساكر لقتال أهل
جبال كسروان بعدما نادى في الناس : مَنْ تأخّر من الأجناد والرجالة شق .
فسار في خمسين ألفاً ، ونازلهم وخرّب ضياعهم ، وقطع كرومهم ، وقتلهم
أحد عشر يوماً وملك الجبل عنوة وقتل من أهله جماعة وأسر ستمائة رجل . وغنم
[211 أ] العسكر / مالا عظيماً . وعاد في رابع صفر إلى دمشق⁽²⁾ .

وأنشأ بصالحية دمشق جامعاً جليلاً في سنة سبع وسبعمائة ، ومدّ بعد فراغه
للناس سماًطاً عظيماً عليه سائر أنواع الأطعمة والحلاوات ، وحضره أهل العلم
والصلاح . ثم مدّ من الغد سماًطاً آخر للأمراء .

ولمّا قلق الملك الناصر من شدّة الحجر عليه وتوجّه إلى الكرك بحيلة أنّه يريد
الحجّ ، وكتب إلى أمراء مصر أنّه نزل عن ملك مصر ، قام الأمير بيبرس

(1) بدر الدين ابن جماعة : انظر ترجمته في المقفّي ل 1632 .

(2) السلوك ، 14/2 .

الجاهشكير في السلطنة وكتب إلى نواب الممالك بالدخول في طاعته ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، مَا عَدَا الْأَفْرَمَ ، فَإِنَّهُ قَالَ ⁽¹⁾ : بِشَسَ مَا فَعَلَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِنَفْسِهِ ، وَبَشَسَ مَا فَعَلَهُ أَيْضاً خَوْشِدَاشْنَا - يَعْنِي بَيْرَسَ - وَأَنَا فَمَا يُمَكِّنِي الْآنَ أَنْ أَحْلِفَ لِلسُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ ، وَقَدْ حَلَفْتُ لغيره - يَعْنِي النَّاصِرَ - وَلَكِنْ أَنَا أُرْسِلُ مِنْ جِهَتِي إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ رَسُولاً وَأُرْسِلُ مَعَهُ شُهوداً يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ خَلَعَ نَفْسَهُ ، وَيَأْذَنُ لِي فِي الْحَلْفِ لغيره .

وَبَعَثَ عَلَى الْبَرِيدِ طَائِفَةً مِنْ أَعْيَانِ دِمَشْقَ فَعَادُوا بِجَوَابِهِ ، يَتَضَمَّنُ شُكْرَهُ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَعْرِضُ بِأَنَّهُ تَرَكَ السُّلْطَنَةَ . فَأَصْبَحَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ ، وَقَدْ جَمَعَ النَّاسُ بِجَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ تَقْلِيدُهُ بِنِيَابَةِ دِمَشْقَ عَلَى عَادَتِهِ ، وَزِيدَ فِي أَلْقَابِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَتَفْخِيمِهِ ، وَخُطِبَ لِلْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ ، وَزَيَّنَتِ الْمَدِينَةُ زِينَةً جَلِيلَةً .

فَاسْتَمَرَّ إِلَى أَنْ تَحَرَّكَ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكُ يُرِيدُ ارْتِجَاعَ الْمَلِكِ إِلَيْهِ فَدَافَعَهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَامَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ قِيَاماً عَظِيماً ، وَالْعَسَاكِرُ تَتَمَرَّقُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَتَصِيرُ إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَتَّى ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ ، وَعَزِمَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَمْرَاءِ دِمَشْقَ بِهَا عَلَى قَبْضِهِ . فَقَرَّرَ لَيْلاً إِلَى الشَّقِيفِ .

وَدَخَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ دِمَشْقَ فِي ثَانِي عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ . وَبَعَثَ إِلَيْهِ ⁽²⁾ الْأَمِيرَ عِلْمَ الدِّينِ سَنَجَرَ الْجَاوَلِي بِالْأَمَانِ فَأَعْتَلَّ عَلَيْهِ بِحُضُورِ أَحَدِ ثِقَاتِ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ وَحَلَفَ لَهُ ، فَحَلَفَ السُّلْطَانُ لَهُ وَوَجَّهَهُ بِالْيَمِينِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ الْحَاجِّ أَرْقُطَايَ الْجَمْدَارِ ، فَقَدَّمَ مَعَهُ ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ فَتَلَقَّاهُ . فَلَمَّا عَايَنَ السُّلْطَانُ تَرَجَّلَ ، وَهُوَ مُشْدُودُ الْوَسْطِ ، وَتَحْتَ إِبْطِهِ نِصْفِيَّةٌ ⁽³⁾ - يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا كَفَّتُهُ - فَتَرَجَّلَ السُّلْطَانُ أَيْضاً لَهُ وَعَانَقَهُ ، وَقَدْ خَرَجَ مَعْظَمُ أَهْلِ دِمَشْقَ . فَلَمَّا رَأَوْا

(1) السُّلُوكُ ، 47/2 .

(2) أَيُّ ، إِلَى الْأَفْرَمِ .

(3) النِّصْفِيَّةُ : ثَوْبٌ خَشَنٌ مِنَ الْقُطْنِ . وَانْظُرِ النُّجُومَ 265/8 وَمَا يَتَّبِعُهَا .

السلطان يعانقه صاحوا بصوت واحد : بترية والدك الشهيد ، لا تغير عليه ولا تؤذيه ! - وتباكوا . فأقبل السلطان عليه وأفاض عليه الخلع وأركبه ، ورسم له أن يجلس بدار السعادة ويحكم على عادته ويستقر في نيابة الشام ، فسر الناس بذلك فرحاً به ومحبةً له . وأصبح من الغد فقدّم للسلطان مقدمة سنّية قيمتها مائتا ألف درهم .

وسار إلى مصر مع السلطان . فبلغ السلطان عنه ، وهو نازل ببركة الحاج ، أنه قد عزم أن يثور هو وبرلغي الأشرفي [في] جماعة من البرجية ويفتلك بالسلطان ، فبادر وصعد إلى قلعة الجبل . وأصبح يوم الخميس ثاني شوال ليجلس بالأعيان . فلما اجتمع الأمراء أشار الأفرم إلى مغنيّه مسعود وقال له : قم فغنّ « أحبة قلبي » - فرفع عقيرته ، وكان شجيّ الصوت ، وغنّى بهذه الأبيات ، وهي لبعض المصريين⁽¹⁾ قالها لما توجه الملك الناصر إلى الكرك ، وهي [طويل] :

أحبة قلبي إنني لوحيد أريد لقاكم والمزار بعيد
كفى حزناً أني مقيم ببلدة ومن شفّ قلبي بالفراق فريد
أجول بطرفي بالديار فلا أرى وجوه أحبائي الذين أريد / [211 ب]

فطرب [الأفرم] وأخذ كلفته عن رأسه ووضعها بين يديه ساعة ، ودموعه تتساقط على شيبته إلى [أن] أخذ الأمير قراسنقر نائب حلب الكلفته ووضعها على رأسه .

وخرج السلطان فجلس وصرف الأفرم عن نيابة الشام بقراسنقر ، وأنعم على الأفرم بصرخد . فسار إليها وأقام بها إلى أن مات الحاج بهادر الحلبي نائب طرابلس في ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة ، فثقل إلى نيابة طرابلس ورسم له أن [لا] يدخل دمشق خشية أن تنشب أظفاره فيها ويقوم أهلها معه محبة فيه . فتوجه إلى

(1) في النجوم : لبعض عوام القاهرة (ج 9 / 10) .

طرابلس على مشارق مرج دمشق في جمادى الآخرة منها ، وأقام بها على وجل إلى [أن] خرج الأمير قراسنقر نائب حلب منها ولحق بمهتاً . فكتب إليه يستميله فجابته إلى موافقته ، وبعث بخمسة آلاف دينار إلى صهره الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش بدمشق ليفرقها على من يوافقه . وأنفق الأموال في عسكر طرابلس وسار بجماعة معه إلى قراسنقر .

وتوجهوا في أخريات سنة اثنتي عشرة وسبعائة إلى خربندا ملك المغل فأقطع الأفرم همدان . وأقام بها حتى مات في ثالث عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبعائة ⁽¹⁾ . وقيل : بل تأخرت وفاته إلى بعد العشرين وسبعائة .

وحكى عنه أنه في ابتداء أمره رأى فقيراً مغرباً في القرافة الكبرى فقال له : يا آقوش ، إذا صرت نائب الشام ، إيش تُعطيني ؟

(قال) فقلت له : يا سيدي ، ما أنا قدر هذا .

فقال : لا بد لك من هذا ! إيش تُعطيني ؟

فقلت : يا سيدي ، الذي تقول .

فقال : تتصدق بالفي درهم عند السيّدة نفيسة وبألف درهم عند الشافعي .

فقلت : يا سيدي ، بأسم الله !

فضحك وقال : ما أظنك إلا تنساها ، وما تعود تذكرها إلا إذا جئت هارباً إلى مصر .

(قال) فوالله لقد جعلت كلام المغربي ممثلاً بين عيني حتى وليت النيابة فأنسانيه الله ، ثم ما ذكرته حتى دخلت في نوبة غازان مصر هارباً . فيينا أنا في القرافة إذ مررت بمكان الفقير فذكرت قوله . فأحضرت على الفور الدراهم

(1) في السلوك 2/167 : في 23 محرم 716 .

وتصدّقتُ بها .

ودخل عليه مرّة القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق وهو يلي نيابتها في أيام تحكّم الأميرين بيبرس وسلّار فالتفت إليه وقال له ، وهو يشتكي من آفتاباتها ، وقال : والله هذا بيبرس لمّا كنّا في البرج كان يخدمني ويحكّ رجلي في الحَمَام ويضُبُّ الماء عليّ ، وإذا رأيته والله ما يقعد إلّا إذا قلت له : أقعد . وأمّا سلّار فما هو ممّا ولا له قدر . إيش أعمل في دمشق ؟ والله لولا هذا القصر الأبلق والميدان الأخضر وهذا النهر المليح ما خلّيتهم يفرحون بملك مصر !

ولمّا توجه الملك الناصر إلى الكرك قال : والله عملوا نحساً . كان ابن أستاذنا وهم حوله أصلح .

ولمّا ظفر بأهل جبال كسروان مدح بعدّة مدائح جمعها شمس الدين أحمد ابن يعقوب الطيّبيّ وسَمّاها « واقعة كسروان » .

وبلغ من التّمكّن في نيابة دمشق مدّة سلطنة المظفر بيبرس مبلغاً عظيماً بحيث كان يكتب تواقع بوظائف كثيرة ويبيعها إلى مصر ليعلم عليها السلطان فتُمضى كلّها . وكتب في دمشق عن السلطان : « بالإشارة العالية الأميريّة الكافليّة كافل الشّام أعزّها الله تعالى » . وشكا إليه أحدُ قُصّاد الخدّمة من المشير تاج الدين إبراهيم بن سعيد الدولة ، فكتب إليه [و] هكذا ابتداء : والكَ يا ابن سعيد الدولة ! ما أنت إلّا ابن تعيس الدولة ! وصلتَ أنّك تقطع جوامك القُصّاد الذين هم عين الإسلام ؟ والله إن عدت [و] تعرّضتَ إلى أحدٍ من الشّام [212 أ] بعثتُ مَنْ يقطع رأسك ويَجِيءُ به في مخلّة ! - وبعث / بذلك على البريد مع مملوكه وأمره أن يدفعه إليه في وسط المحفل ويقول له شفها ما في الكتاب . ففعل ذلك ، فلم يُطقه ابن سعيد الدولة وقام إلى السلطان الملك المظفر بيبرس وأراه الكتاب ظنّاً أنّه ينتصر له . فلمّا قرأه أطارق زماناً وقال له : أرضي الأفرم !

وإلا والله أنا بالبراءة منك . والله إن عمل معك شيئاً ما نقدر ننفعك ! - فسقط في يده ، ورجع إلى مداراته .

وكان قد أشتد خوفه من الملك الناصر بحيث [إنه] لمّا كان في نيابة طرابلس يخرج في كلّ ليلة بعد العشاء ، ومعه من يثق به من دار السلطنة إلى موضع حتى ينام فيه بالنوبة ، وخيلهم معهم ، وربما هوموا على ظهور الخيل ، إلى أن ورد عليه الخبر بأنّ السلطان رسم له بنيابة حلب وطلبه إلى مصر ليلبس التشريف ويأخذ التقليد ، فطار خوفاً . وكان في المرج . فأتاه في الحال مملوك صهره أيدمر الزردكاش يعرفه أنّه مأخوذ ويحرّضه على الفرار . فسار من وقته إلى قراسنقر . وكان قبل خروجه إلى المرج قد أتاه مملوك قراسنقر وهو يأكل . فلمّا فرغ قال له : أخوك يسلم عليك ، وقد بعث معي هدية .

قال : وأين الكتاب ؟

قال : ما معي كتاب .

قال : فالمشافهة ؟

قال : ما معي مشافهة ، ولكن هديّة لا غير .

فقال : هاتها !

فأخرج خرقة وحلّها وناوله تفّاحة ثمّ ناوله بعدها مثراً أسود ، ثمّ ناوله بعدها نصفية . ثمّ قام ليخرج ، وقال : ما معي دستور أن أفعد بعد إيصال الهدية . فوجم الأفرم ، وسارّه ودفع إليه نفقة وأعاده . فقال الأفرم لبعض من حضره [: أتعرف ما في هذه الهدية ؟

فقال : لا والله ! يا خوند ، [لا كثر الله له خيراً فيما بعث !

فقال له : أسكت وملك ! إنه بعث يقول : إن كنت تريد أن تشمّ هواء الدنيا مثلاً تشمّ هذه التفّاحة ، فسر في الليل الذي هو مثل هذا المنزر ، وإلا فهذه النصفية كفئك !

فكان هذا من نادر ما يُحكى في الذكاء والفطنة .

ولمّا سار كان عسكر مصر قد خرج فمَنَعَه من اللحاق بقراسنقر . فلمّا أشرف ورأى العسكر قال لَمَنْ معه : شدّوا لي على حام ! - وكان حصاناً لا يُجارى - فركبه ، وعليه كِبَرُ أَطْلَسُ⁽¹⁾ أحمر وكوفيّة ، وأخذ بيده الرمح ، وقَدَمَ أثقاله وقرقَ طُلْبَه⁽²⁾ وقال : إنّ هؤلاء إذا دخلوا على العسكر ولستُ فيهم ظنّوا أنّي في الصيد ، إذ ما القصدُ إلّا أنا .، فما يعارضهمُ أحدٌ لثلاثٍ أجفل أنا . وكان الأمر كما قال ، لأنّهم عبروا عليهم فلم يتعرّضوا لهم ، وعندما بعدوا أقبل وحده وشقّ العساكر فلم يفتن له أحد ، ونجا حتى لحق بأصحابه . ومن حذرِه ، لم يجتمع بالأمر قراسنقر حتى استوثق منه بأيمانٍ مؤكّده خشية أن يكون قد باطن السلطان عليه .

واتّفق أنّه نفذ ماله في توجّهه إلى غازان حتى كان قراسنقر يقوم به ، وينفخ النّار بنفسه ، ومماليكه نيام ما فيهم من رحمة ، وهو يتنهد وعينه تدمعان ، إلى أن وصل إلى بيوت سوتاي [ف]عملت له ضيافة عظيمة ونصب له خيمة كبيرة ممّا كسبه التّار في نوبة غازان ، وعليها ألقاب الملك الناصر ، ونزل الأفرم به . وقام ليتوضّأ فرأى اسمَ الملك الناصر فوق رأسه فقال : كيف أعانذُ القدرة ! نحن في هذا المكان ، وقد خرجنا من بلاده ، وهو فوق رؤوسنا ! وإذا كان الله قد رفعه [ف]كيف نقدر نحن نضعه ؟

ومن حين[ن وصل إلى بيوت سوتاي] عاد إليه ناموس الإمرة ومشّت مماليكُه في خدمته إلى أن لقي خربندا وأنعم عليه بهمّذان . وبعث إليه الملب الناصر الفداويّة⁽³⁾ غير مرّة فلم يظفروا به . وقفز عليه

(1) الكبر الأطلس : قماش ملوّن معصفر .

(2) الطُّلب بالضمّ : مجموعة الجنود الذين يرافقون القائد .

(3) الفداويّة : الفدائيّون المتطوّعون لقتله .

أحدهم ، وقدّامه يبطار ينعل فرسه فأمسكه بيده وضمّه إلى إبطه حتى أخذه مماليكه ، فقرّره وقتله .

[212 ب] وحصل له في سنة أربع عشرة فالج . وكان قوياً / يقاوم في الحروب الجماعة ، وله شغف باللهو والصيد . تمّتع بدمشق في القصر الأبلق الذي كان بالميدان تمّتعاً لم يسبقه إليه أحد ، وقضى أوقاته ما بين قصف وصيد . ومع ذلك فما كان يخلّ بالجلوس للنظر في المصالح ، وتفقد أحوال الرعيّة ، وتحصين الحصون وملء كلّ ثغر بما يحتاج إليه ، وترتيب رجاله وتفقد أحواله[م] ، وإدراار النفقات عليهم ، وأدخار السلاح . ولا يزال يتفقد هذا بنفسه ، وقصّاده لا تنقطع من بلاد العدو فتأتيه بجميع أحواله . إلّا أنه كان يسمع كلام كلّ قائل ويؤمن ذلك في نفسه من غير أن يحرك فيه ساكناً .

وكان واسع السّماط كثير الانشراح عليه ، مع كرم النفس ، إلّا أنّه كان قليل ذات اليد ، فلذلك قلّ عطاؤه . ويقال إنّ أكثر ما ملك سبعة آلاف دينار . وكان خيراً عديم الشرّ والأذى ، يكره الظلم ، ويوصف بالحلم والثّودة ، لم يسفك قطّ دماً إلّا بطريق شرعيّ .

وكان يعاشر جماعة من أهل العلم والأدب ، مثل الشيخ صدر الدين محمد ابن المرحّل⁽¹⁾ ، وبدر الدين ابن العطار . وكان أهل دمشق يحبّونه محبة زائدة ونقشوا رنكه⁽²⁾ على طرزهم وآلاتهم حتى نقشته النساء الحواظي على فروجهنّ .

ونظم فيه الأدباء عدّة أشعار . وكتب إليه الصدر ابن المرحّل وهو بصرخد هذه الأبيات ، وبعثها مع هديّة [طويل] :

أيا جيرةً بالقصر كان لكم مغنى رَحَلْتُمْ ، فعاد القصرُ لفظاً بلا معنى

(1) ابن المرحّل - وابن الوكيل - محمد بن عمر ، له ترجمة في المقفى رقم 2930 (ت) 716 .

(2) الرنك : شعار الأمير يرسم على رايته وسلاحه .

وأظلمَ لما غاب نورُ جماله وقد كان من شمس الضحى نورُه أسنى
فلا تحسبوا أنَّ الديارَ وطيبها زمانكمُ ، لا والذي أذهبَ الحسنَا
لقد كانت الدنيا بكمُ في غضارة ونعمى ، فأعمى الله عيناً أصابتنا
ولا رقت الآصالُ إلَّا صباةً ولا حرّكت ريحُ الصّبا طرباً عُصنا
يعزُّ عليهم بُعدُ دارِي عنهمُ وقد كنتُ منهم قابَ قوسين أو أدنى
وأني ألاقي ما لقيتُ من الذي لقلبي قد أصنى وجسمي قد أضنى
لقد كنتمُ يا جيرة الحيِّ رحمةً أياديكمُ تمحو الإساءةَ بالحُسنى

فوافته الهدية والأبيات ، وكانت فاكهة ، وقد خرج إلى الصيد وليس مع
خازن داره سوى ألف درهم ، فقال : هذا القدر ما يكفي الشيخ صدر
الدين ، يا صبيان ، أقرضوني حوائصكم ! - فأخذ من مماليكه عشرين حياسة
وبعثها إليه مع الألف وقال لقاصده : سلّم على الشيخ وقل له [وافر] :

على قدر الكساء مددتُ رجلي وإن طال الكساء مددتُ زادة

811 - آقوش الشرفي [700 -]⁽¹⁾

آقوش الشرفي ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك الصالحية النجمية .
[ترقى في الخدم] وأستقرّ أمير جندار . فلما ملك قلاوون أخرجه من القاهرة
لنيابة الصّلت⁽²⁾ والبلقاء ، فباشرها بعسف ومهابة حتى مهّدها .
ومات سنة سبعمائة .

(1) الوافي 324/9 (4261) ؛ السلوك 1/917 .

(2) الصلت بالأردن على يوم من عجلون ؛ السلوك 1/109 هامش 2 .

812 - آقوش الشمسيّ [679 -]⁽¹⁾

آقوش الشمسيّ ، الأمير جمال الدين ، أحد المماليك . . .
واستقرّ في نيابة حلب لمّا قام قلاوون بتدبير الدولة مع سلامش ابن الظاهر
في تاسع رجب سنة ثمان وسبعين وستّائة ، فباشرها بحرمة وافرة إلى أن مات بها
في أوائل سنة تسع وسبعين وستّائة ، فولّي بعده نيابة حلب سنجر الباشقَردي .

813 - آقوش الغنميّ [690 -]⁽²⁾

آقوش الغنميّ ، الأمير جمال الدين⁽³⁾ ، أحد أمراء مصر . مات شهيداً على
عكّا وقت فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستّائة .

814 - آقوش نميلة [693 -]⁽⁴⁾

آقوش الموصلّيّ ، الأمير جمال الدين ، المعروف بآقوش نميلة .
كان من مماليك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل . وقدم هو وجماعة
من المواصلّة بعد قتل هولاء لؤلؤ في سنة ثمان وخمسين وستّائة ، منهم آقوش
الموصلّيّ قتال السبع ، وعزّز الدين أيّيك الموصلّيّ نائب طرابلس ، فخدموا في

(1) الوافي 9 / 325 (4262) ، النهل الصافي 3 / 21 (513) ، السلوك 1 / 684 ؛

النجوم 7 / 344 .

(2) السلوك 1 / 765 .

(3) في السلوك : سيف الدين .

(4) السلوك 1 / 795 .

الدول[ة] ، وترقى آقوش هذا إلى أن صار أمير طبلخاناه وأمير علم ، وولي الحجوية .

ووافق الأمير بيدرا على قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، وباشر قتله فيمنَ باشر . وكان أولُ مَنْ ظُفِرَ به من قتلة الأشرف ، هو والأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة ، فضربت أعناقها وألقيت في المجاير ، وذلك في العشرين من المحرم سنة ثلاث وتسعين وستائة .

815 - آقوش المغيبي نائب البيرة [698 -]⁽¹⁾

آقوش المغيبي ، الأمير جمال الدين ، نائب البيرة ، أحد المالك سيف الدين سودي نائب حلب .

تقل في الخدم إلى أن صار حاجباً بحلب . ثم نُقل بعد موت الأمير شرف الدين موسى إلى نيابة البيرة في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وستائة ، فأقام بها أربعين سنة .

ومات في سنة ثمان وتسعين وستائة .

816 - آقوش الأشرفي نائب الكرك [736 -]⁽²⁾

آقوش الأشرفي ، الأمير جمال الدين المعروف بنائب الكرك - ويلقب البرناق لكبر أنفه - أحد المالك المنصورية قلاوون .

ترقى في خدمته إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرة في سنة خمس وثمانين .

(1) السلوك 1 / 879 .

(2) الوافي 9 / 336 (4267) ؛ الدرر 1 / 423 (1023) ؛ النجوم 9 / 310 ؛ المنهل 27 / 3 (518) ؛ السلوك 2 / 405 .

وسبائة ، وجعله أستاذار أبنه الملك الأشرف خليل ، وابن الخليلي ناظر ديوانه .
فأستمر على ذلك إلى أن مات الملك المنصور وقام من بعده الأشرف خليل ،
فولاه نيابة الكرك عوضاً عن بيبرس الدوادار في ربيع الآخر سنة تسعين وسبائة ،
وهو على حصار عكا ، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس ودار طبلخانائه بين
الخيم [. . .] .

وأقام في نيابة الكرك إلى أن قدم إليها الملك الناصر محمد بن قلاوون في
شوال سنة ثمان وسبعمائة فقام بخدمته . فأحتال عليه حتى صيره إلى مصر ، فأنعم
عليه الملك المظفر بيبرس بإقطاع بتخاص المتقل إلى إقطاع برلغي الأشرفي بحكم
أنه أنتقل إلى إقطاع بيبرس قبل السلطنة .
فلم يزل بمصر إلى أن زالت أيام المظفر وعاد الملك الناصر إلى السلطنة مرة
ثانية وأقره على حاله .

ثم بعثه نائب السلطنة بدمشق عوضاً عن كراي المنصوري بعدما خلع في
مستهل جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة وكتب على يده مسموحاً⁽¹⁾
لأهل دمشق بما كان قرره عليهم كراي ، فسر الناس به .

ولم يزل إلى أن قدم عليه سودي نائب حلب في ربيع الأول سنة اثنتي
عشرة فتلقاه وقام له بما يجب . وعند وداعه لمسيره إلى حلب ناوله ملطفاً
سلطانياً ، فإذا فيه تشويق السلطان إليه ، وأنه ما هان عليه غيبته عنه ،
ويستدعيه الحضور .

فبادر وركب في ثلاثة ممالك من غير أن يعلم به أحد من أمراء دمشق .
وساق البريد إلى مصر ، وصعد قلعة الجبل فأكرمه السلطان وخلع عليه .
وجلس رأس الميمنة ، والبوبكري رأس الميسرة . وكان إذا دخلا إلى الخدمة
قام لهما السلطان فيقبلان له الأرض ، ويجلس كل واحد منهما في رتبته . فاستمر

(1) المسموح ما يعينه السلطان للأشخاص أو الجماعات من المال ؛ السلوك 2 / 19 هامش 5 .

ذلك أياماً .

ثم قُبِضَ عليه في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر هو وبيرس المنصوري نائب السلطنة ، وسنقر الكمالي ، ولاجين الجاشنكير ، وبينجار ، والركن الأشرفي ، ومغلطاي المسعودي ، وسجنوا ، وكان يوماً مهولاً ، وولي الأمير تنكز نيابة دمشق عوضه . فلم يزل في السجن إلى أن أفرج عنه في ثامن عشرين شهر [213 ب] رجب سنة خمس عشرة وسبعائة ، وخلع عليه وأعطى / إقطاع الأمير حسام الدين قرا لاجين الأستاذار بعد موته في ثالث عشر شعبان منها . واستمر على رأس الميمنة ، والأمير بكتشُر البوبكري رأس الميسرة . فلما كانت سنة تسع عشرة استجدَّ السلطان القيام من على كرسي السلطنة له وللبوبكري ⁽¹⁾ ، فكان نائب الكرك يتقدَّم على البوبكري تأدباً معه عند تقبيل يد السلطان فلا يسهل هذا بالأمراء لما يعلمون [ن]ه من جلالة قدره وتقدمه في الدولة ، ويرون أنَّ هذا من سلامة صدره وسداجته . ثم سألوا السلطان عن ذلك لعلمهم أنَّ العادة جرت أن يتأخَّر الكبير في تقبيل يد السلطان ويتقدمه الصغير ، فكُشف عن تاريخ ابتداء أمرِها فُوجد إمرة البوبكري بعده في سلطنة الملك الأشرف سنة تسعين وسمائة .

ثم سار على العسناكر من مصر وخرجت معه عساكر الشام إلى آياس كرسي مملكة سيس فنازلها وقاتل أهلها برّاً وبحراً ونصب عليها المجانيق حتى أخذها من الأرمن عنوةً في حادي عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين ⁽²⁾ ، فوجد فيها ألفاً وثمانمائة فول قراره ⁽³⁾ وضمانها في كلِّ يوم ألف دينار ، فحاز العسكر منها مالاً كبيراً ، وخربَ برجها وكان في غاية المنعة . ثم [أ]غاروا على بلاد تكفور ⁽⁴⁾ وغنموا مالاً عظيماً وعادوا إلى بلادهم ، وقدم الأمير آقوش إلى القاهرة .

(1) النجوم 57 / 9 .

(2) السلوك 229 / 2 .

(3) فول قرارة أو قزازه ، ولم نعرف المقصود .

(4) تكفور اسم ملوك الأرمن (السلوك 1 / 551 هامش 3) .

ثمّ خرج في ثاني صفر سنة اثنتين وعشرين ، ومعه من الأمراء سنجر الجمدار ، وألماس الحاجب ، وطرجي أمير مجلس ، وأسلم السلاح دار ، ومضى فيهم على عسكر لغزو سيس ، فسار إلى دمشق ، وخرجت معه عساكر بلاد الشام ، فأغار على بلاد سيس وخرّب وغنم وقتل ، وعاد في سابع عشرين جمادى الآخرة ، فخلع عليه ، وشكره السلطان على ما كان منه .

ثمّ ولّاه نظر المارستان المنصوريّ بعد القبض على كريم الدين الكبير عوضاً عنه في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين ، فوجد فيه حاصلًا أربعمئة ألف درهم وسكراً وغيره من الأصناف بمئة ألف درهم ، فلم يتعرّض للمال . وأستجدّ قاعة بالمارستان للمرضى ، ونحت جميع حجارة المارستان ، والمدرسة والقبة داخلاً وخارجاً وعلواً وسفلاً ، وأعاد ذهب الطراز المكتوب حتّى عاد كأنّه جديد . وعمل خيمةً طولها مائة ذراع تظلّ الأفقاص التي يباع بها خارج المارستان من الشمس وأحكمها بأطنابٍ فيما بين أوّل جدار القبة والمدرسة وبأعلى جدار المدرسة تجاه الصالحية ، وكانت باعة الأفقاص تتضرّر من حرّ الشمس فزال عنهم ذلك ⁽¹⁾ . وقام بمصروف هذا كلّ من ماله دون مال الوقف . وكان يكشف أحوال المجانين ويدخل بهم إلى الحمام ويكسوهم الثياب ، وأحضر لهم يوماً جماعةً فغنّوهم ورقصوا على الغناء . وكان يرّ مباحري المارستان من ماله ويطلع في الليل إلى المثلثة ليتفقد المؤذنين . وكان للمارستان به حرمة وافرة لا يجسر أحدٌ أن يرمي على سكّان أوقافه شيئاً من بضائع السلطان ولا يتعرّض لهم بسوء .

وخرج أمير ركب الحاجّ في سنة سبع وعشرين فحجّ بالناس ، وعاد في خامس عشرين المحرمّ سنة ثمانٍ وعشرين .

ثمّ خرج في أوّل سنة أربع وثلاثين إلى نيابة طرابلس عوضاً عن

(1) ذكر المقرئ هذه الإصلاحات في الخطط 4 / 259 .

[قرطاي] ، وسبب ذلك ميله إلى الأمير الماس الحاجب كما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ ، وقوة نفسه ، ووفور حرمة بحيث أن السلطان يقوم له كلما دخل إلى الخدمة ، مع معارضة السلطان في أغراض له . ثم أخذ في إنكار ظلم الخاص والغض منه ، فأراد السلطان إزاحته عنه فطلب استداده عز الدين المصري وحمله إليه رسالة تتضمن أن السلطان كثر حياؤه منه لكبر سنّه ، وأنه ما بقي يليق به المشي في الخدمة / وقصد السلطان أن يريجه من الخدمة ، وأسر إليه أنه إن علم أن الأمير يختار التوجه إلى طرابلس ويكون خاطره طيباً فليتوجه ، وإلا فليقيم على حاله . فلما بلغه ذلك أبستم وقال : أنا ما أشتي التوجه ، ولا أخالف المرسوم - ثم قال : والله ، ما بقي يُخلينا هنا ولا هناك .

فما زال المصري يتلطف به حتى أجاب بالسمع والطاعة ، فخلع عليه السلطان من الغد وحمل إليه ألف دينار . ثم استدعاه وطيب خاطره وبعث معه الأمير سيف الدين برسبغا مُسَفِّراً [له] ليقّله النيابة على العادة . فلما وصل بليس بعث إلى برسبغا بأنّي أريد أن أكون في مسيري منفرداً ، ولا أحب أن أبقى معك في الترسيم إن ركبت ركبتي معي ، وإن نزلت نزلت معي ، فسير وحدك وأنا أسير وحدي ، فإنّي والله ما أهرب .

فلم يجد بدءاً من موافقته لما يعلم من حدة خلقه ، حتى قدم به طرابلس . فأقام بها ، وهو يبالغ في طلب الإقالة ، وأن يكون بالقدس ، إلى أن وصلت مركب للفرنج فيها عدة سراق إلى ميناء طرابلس تطلب غرة المسلمين ، فركب إلى محاربتهم ومعه طوائف الناس . فدفعت الريح مركب الفرنج عن الميناء وعاد بها أهلها من حيث أتوا . فلم يجد النائب بالميناء مركباً للمسلمين ليتبع به الغريم . وذكر أهل البلد أن الفرنج قدموا في السنة الماضية وأخذوا من الميناء مركباً

(1) ترجمة الماس الحاجب تأتي بعد هذه : رقم 840 (ت 734) ويقول المقريري فيها والعادة أن الأمراء لا يخالط الواحد منهم الآخر .

للتجّار . وهم هؤلاء الذين نراهم . فوقف حتى هبّ الآلات لعمل مركب أنفق فيه أربعين ألفَ درهم من ماله ، إلى أن كملت عمارته . فقدمت مركب فرنج متحرّمين . فركب في العسكر وأخرج المركب التي أنشأها وفيها عدّة من المقاتلة . في طلبهم . فقاتلوهم وأخذوهم بعدما قتلوا منهم جماعة كثيرة . وعاد ومركبُ الفرنج معهم . وكان لقدمهم فرح زائد بطرابلس . وأخرج بالفرنج مشهورين . وفيهم صاحب المركب . وله معرفة باللسان العربيّ . وقوة نفس وشهامة . فأنكر أن يكون حرامياً . و[قال] إنّهُ تاجر . وقد نهب ماله وكان شيئاً كثيراً . فذكر بعض التجّار أنّه يعرف هذا الفرنجيّ وأنّه كان بقبّرس فخرج عليه هذا في طريقه وقاتلهم في البحر وأخذ مركبهم . وأعترف أيضاً بعضُ من مع الفرنجيّ من النواتية بأنّ هذا الفرنجيّ حراميّ ، وأنّه هو الذي قدم في السنة الخالية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها المركب .

فبعث حينئذ النائب وأحاط بموجوده ، وكتب يعرف السلطان الخبر بنصّه فأجيب بالشكر . وحمل الفرنجي فبعث به مقيداً . فلمّا مثل بين يدي السلطان أكثر من التظلم ، وأنه تاجر قصّد بلاد السلطان بهديّة سنيّة ليقبّلها له ، ويتبصّع في بلاده ، فأخذ نائب طرابلس أمواله وجعله حرامياً .

فشقّ ذلك على السلطان وطلب الأمراء حتى سمعوا هذا من الفرنجي . وأخذ ينكر على الأمير آقوش ويقول : أنظروا ما يعمل في بلادكم كيف يفسد عليّ التجّار حتى يُشاع عني قبحُ السيرة في الممالك .

فأستطال الفرنجيّ عند ذلك في الكلام وشنّع في القول بحيث رحمه الأمراء .

ثمّ كتب للأمير جمال الدين آقوش بإعادة مركب الفرنجيّ إليه وجميع ما أخذ له ، فإنّه رجل تاجر ، والتاجر لا يُتعرّض له . فلم يوافق [آقوش] على ذلك . وأجاب بأنّ الناس قد تحقّقوا بأنّه مؤذٍ يقطع الطريق ، فلا يسمع السلطان قوله .

فإنه كذب .

فكتب إليه بإعادة المركب وجميع ما أُخذ إلى الفرنجي . فلم يجد عند ذلك بدءاً من تسليم المركب للفرنجي . وكتب يسأل الإغفاء من النيابة ، فأجيب بالإغفاء ، وأنه يتوجه إلى صرخد أو بعلبك . وتوجه إليه الأمير برسبغا ، فسار من طرابلس إلى دمشق ليلبس خلعة صرخد من الأمير تنكر نائب الشام . فخرج [214 ب] إليه تنكر وتلقاه وعمل له سباطاً / في دار السعادة . وحضر الأمراء فأمسكوه على السباط ، وسجن بقلعة دمشق في يوم الخميس نصف جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين . ثم نُقل منها إلى صفد فسُجن بقلعتها . ثم حُمِل من صفد إلى الإسكندرية في مستهل شوال . وأعيد الأمير طينال إلى نيابة طرابلس .

فلم يزل آقوش بسجن الإسكندرية إلى أن أشاع السلطان بأن نائب الإسكندرية بعث يستأذن في تمكين الأمير جمال الدين آقوش من إدخال المزين إليه ليقطع سلعة⁽¹⁾ ظهرت له في وسط رأسه . ثم بعث السلطان بابن منيف مقدّم الرماة ليُمضي قضاء الله فيه ، فقتله في يوم [الأحد سابع جمادى الأولى] سنة ست وثلاثين وسبعائة ، فدُفن بها ثم نقل [. . .] .

وكان شكلاً غريباً في هيئته وزيّه ، فإنه خرطانيّ الجنس . وكان عليه وقار وله حرمة وافرة ومهابة زائدة ، بحيث إذا رآه من لا يعرفه هابه . وكانت أخلاقه صعبة ، يضرب الألف عصا وأكثر ، فمات جماعة تحت ضربه ، منهم أحد بازدارية السلطان : رآه خارج القاهرة بأراضي اللوق ، وهو يشتم سقاءً عنده ويشتم أستاذه . فضربه أكثر من ألف وهو يقول له : أنت وإياه تشتما[ن] ، إيش كنت أنا؟ - فمات بعد يومين . وهذه إحدى ذنوبه عند السلطان .

وقتل جارية السلطان زوجة بكتمر الساقى بسبب الميراث ، لأن أخته أيضاً كانت زوجة بكتمر فضرب الجارية ستائة عصا .

(1) السلعة : تورم يبرز بالرقبة أو غيرها .

وعمرّ تحت الجبل مغارة كان يخلو فيها عدّة أيام ، وأنّهم أنّه كان يحفر فيها زغبة في الظفر بالمطالب⁽¹⁾ ، فكان يركب من بيته آخر الليل ، وتارة يخرج ماشياً ، وغلامه يقود الفرس وراءه ، ومعه مملوك واحد ، حتى يصل إلى الجبل ماشياً . وكان يخرج إلى الخدمة أحياناً وهو ماش حتى يصل إلى القلعة ، والفرس على يد الغلام .

وأنشأ الصاحب أمين الملك في وزارته حوانيت بجانب باب النصر ليعمل علّوها ربيعاً ، فبعث إليه بأنّ هذا الباب يدخل منه رسلُ ملوك الشرق ، وما ينبغي أن يُضَيّق بالبناء فيه ، فلم يكثرث بقوله . فتركه حتى كمل البناء وركب ومعه غلامه وهدمه إلى الأرض .

وجدد بناء قبة النصر تحت الجبل ، وتولّى عمارتها من مال السلطان . وكان فيه خير ، وله صدقات وبرٌّ ومعروف .

وأنشأ جامعاً في طرف الحسينيّة بجوار قناطر الاوژ خارج القاهرة .

وكان يعمل في يوم العيد سماً نظير سماء السلطان ، فإذا فرغ الناس من أكله عباً أطباقاً كباراً ، في كلّ طبق أربع زبادي⁽²⁾ كبار وصحن مطويّ وبعث إلى جميع جيرانه حتى يعمّم كلّهم ، ثم يبعث إلى بيوت أجناده وبيوت مماليكه وبيوت غلمانه ، كلّ واحد باسمه ، ثم يتصدّق بما بقي . ولم يعرف عنه أنّه باع من شؤنته⁽³⁾ إردباً فما فوقه ، بل جميع غلاله على كثرتها ينعم بها ويتصدّق بها . ولم يمرض قطّ فإنّه كان قليل الأكل بحيث لا يتناول الغداء في الأسبوع سوى مرتين .

وما خرج قطّ في تجريدة إلّا وقام لجميع من يرافقه بجرائته وعليق خيله

(1) المطالب : الكنوز الخفية في باطن الأرض .

(2) الزبدية : الجفنة والصحن الكبير .

(3) الشؤنة : مخزن الحبوب المطمورة .

وأَكَلِه ، من يوم خروجه من القاهرة إلى يوم قدومه .
وطلع مرّة إلى سطح داره فرأى بادَهْنَج⁽¹⁾ مرتفعاً لموسى اليهوديّ صيرفيّ
الأمير بكتُمُر السّاقيّ ، فبعث غلامه فهدموه إلى الأرض .

وكان لا يلبس المفرك ولا المصقول⁽²⁾ ، ويتوجّه إلى الحَمّام سحرّاً وييده
طاسة ومثّر حتى يغتسل ، من غير أن يرافقه أحدٌ من غلامه ولا مماليكه . فعرفه
مرّة بعض الناس فأخذ حجراً وحكّ رجله وغسله بسِدْرٍ ، وهو لا يكلمه . فلمّا
خرج طلب الرجل وأمر به فضربَ ، وقال : أنا ما لي مملوك ، ما عندي بآية ،
ما لي غلمان حتى تتجرّأ عليّ .

وكان إذا خرج إلى جامع لا يحسر أحدٌ من مماليكه ، ولا من قوّام الجامع
أن يقيم به ، بل يبقى فيه وحده ، ومتى رأى فيه ثراباً أو خللاً ضرب قوّامه ، فلم
[215 أ] يشعر يوماً إلّا / بجنديّ من الأكراد قد بسط له سفرّة فيها قصعة لبن ورقاق .
فقال له : مَنْ أعلمك بي !

قال : والله ، ولا أحد !

فطلب مماليكه وأكل ، وأمر له بستّائة درهم . فاتفق أن جاءه كرديّ آخر
في الجامع بعد هذا بمثل ذلك ، فضربه ستّائة عصا .

وكان إذا مات لأحدٍ من أجناده فرس أعطاه ستّائة درهم .

وكان يوقّع بخطّه على القصص فيُغربُ فيما يوقّع به : فمن ذلك أنّه لمّا
كان في نيابة دمشق رفع إليه رجل قصّة يسأل فيها الحضور . فوقع عليها بخطّه :
الاجتماع مقدّر .

وكتب إليه شابّ جميل الصورة قصّة يسأل فيها إقطاعاً ، فوقع عليها

(1) البادهنج والبادنج : مخرج الدخان من السطوح .

(2) المصقول : قماش خفيف يلبس في الصيف ، أمّا المفرك فلا نعرفه .

بخطّه : مَنْ كان يومه بخمسين وليّته بمائة ، ما له حاجة بالجندیّة !
وكتب إليه إنسان وهو بالكرك : قد كثرت أذية هؤلاء الصبيان للمملوك
ويسأل كفهم عنه - فوقّ بخطّه : إن لم تصبر على أذى أولادهم ، وإلا
فأخرج من بلادهم !
ووقع لآخر جرت له كائنة في الليل : قد أحصيناك ، فإن عُدتَ إلى مثلها
خصيناك .

ولمّا أمسك بدمشق قال لتنكر : أمّا أنا فقد أمسكت ، ولكن خُذ أنت
حذرَكَ منه ! - وأوصى تنكر لَمّا عُيّن لنيابة دمشق بعده ، فقال : إن أردتَ أن
تُقيم نائباً فأفعل ما أقول لك : أعلم أنّهُ يتلقّاك أهل غزّة إلى قطيا بالفاكهة
والحلوى والخيول والتقادّم . فإذا وصلتَ إلى غزّة جاءك أهل دمشق بالتقادّم
إليها . فإذا دخلت دمشق جاؤوا إليك وقالوا لك : هذا الصاحب عزّ الدين
القلانسيّ محتشم كبير [و] رئيس دمشق ، والسلطان وغيره يقبل تقادّمه وهداياه ،
وقد عمل ضيافة وجهّزها إليك - فتأخذها فيجيء إليك غيره ويقول : يا
خوند ، ينكسر خاطري لكونك ما جبرّتي مثل فلان - فتقبل منه ، فتقدّم لك
الخيول وغيرها ، وتنحلّ الإقطاعات والإمرة والوظائف ، فيأتون إليك بالذهب
فتأخذ ، فيبلغ الخبر أستاذك فأكثر ما يصبر عليك لسنة ثم يعزلك . فلا تأخذ من
أحدٍ شيئاً أبداً ! فإنّ جميع ما تأخذه في السنة [ما] يكون خمسين ألف دينار ،
وأستاذك بنعم عليك في السنة بأكثر من مائة ألف دينار . ويبلغ أستاذك خبرك
فتطول مدّتك .

فكان الأمير تنكر يقول : ما خلّاني نائباً هذه المدّة كلّها إلا الأمير جمال
الدين !

817 - آقبغا الحسنيّ [717 -]⁽¹⁾

آقبغا الحسنيّ ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون . ربّاه صغيراً وقرب من قلبه وشغف به شغفاً زائداً ، فأعطاه إمرة بمصر وخوّله في نعم جزيلة . وأستغرق أوقائه في اللهو ، وأكثر من معاقرة الخمر ، فكان لا يصحو ليلاً ولا نهاراً . ونهاه السلطان مراراً فلم ينته .

فلما خاف سطوة السلطان لما يعرفه من بغضه للخمر وشربتها ، بذل مالاّ جزيلاً للحكماء ، وقد تمارض ، على أن يقولوا : دواؤه في شرب الخمر . - فأحتمل السلطان شربه الخمر لذلك وسمح له بشربه ، فأمن وأنهمك فيه ، وصار يعاشر العجم ، ويعاني اللعب بأنواع السلاح . فلم يطق السلطان ذلك ، وقبض على ثلاثة من العجم - عُشرائه - وشنقَ أحدهم - وكحلّ واحداً ، وقطع يدَ آخر ورجله . وحبس آقبغا في دارٍ بالقلعة ، ثم ضربه وخلّى سبيله ليسكنَ القاهرة بمُقرده من غير أن يُمكنه من شيءٍ من ماله . فأقام عرياناً في تربة ستّة أيام لا يتجاسر أحدٌ على الوصول إليه إلاّ بسرقة في الليل . فقام الأمراء في أمره وما زالوا بالسلطان حتى أخرجه إلى دمشق على إمرة . وكتب إلى نائب دمشق الأمير تنكز أنّه متى وجده يشرب يقبضه ويحبسه فساد من يومه .

ومات⁽²⁾ في أثناء سنة سبع عشرة وسبعائة .

(1) الدرر 1/ 419 (1004) .

(2) في المخطوط : وسار . ولم نجد تاريخ وفاته في بقيّة المصادر .

آقبغا الناصريّ ، المعروف بآقبغا عبد الواحد ، الأمير علاء الدين الأستاذار .

قدم به التاجر عبد الواحد بن بدّال فأشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن فلاوون ، وجعل / آسم تاجره لقباً له . وحظيَ عنده وعمله من جملة [215 ب] الجمداريّة . ثمّ أقامه شادّ العائز فنهض بمّا ندب إليه منها وقام به أتمّ قيام ، زادت به مكانته وعظُمَت مهابته .

ثم ركب البريد مبشّراً بعافية السلطان من سقوطه في الصيد عن فرسه وكسر يده ، فمضى إلى الشام وهو يومئذ رأس نوبة الجمداريّة في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، فقدّم له النّوّاب بغزة وصفد ودمشق وحماه وطرابلس وحلب تقادم جلييلة بلغت نحو المائة ألف دينار ، لعلمهم بمترلته من السلطان . ثمّ وُلّيَ أستاذاراً في محرّم سنة اثنتين وثلاثين بعد موت الأمير مغلطي الجمالي . وأضيف إليه تقدمة الممالك ، فجعل عنبر السحرتي⁽²⁾ نائبه . فلمّا قبض السلطان على عنبر السحرتيّ خلع على آقبغا عوضه تقدّم الممالك في سنة خمس وثلاثين ، وأذن له في عرض الممالك ، فعرضهم واشتدّ عليهم . وما زال على مكانته حتى مات السلطان ، ومعه خمس وظائف : أستاذار ، شادّ العائز ، مقدّم الممالك ، أمير منزل ، أمير مائة مقدّم ألف ، ولولديّه محمد وأحمد إمرتان . وهو أخو خوند طغاي [زوجة الناصر] ، وله من التّمكّن في الدولة ما ليس لغيره .

(1) الوافي 304/9 (4236) ؛ الدرر 418/1 (1001) ؛ النجوم 107/10 ؛ المنهل

480/3 (485) .

(2) عنبر السحرتي هو لالا - أي مربي - الكامل شعبان .

فلما أقيم الملك المنصور أبو بكر قبض عليه لشيء كان في نفسه منه أيام أبيه سببه عدم مراعاته له ، في مستهل صفر⁽¹⁾ سنة اثنتين وأربعين ، وأحيط بدوره فباع أمواله وحمل وهو في الترسيم ما ألزم به ، فظهرت له نفائس كثيرة : منها أنه أبيع لزوجته سراويل بمائتي ألف درهم منها عشرة آلاف دينار مصرية . وأبيع لها خفٌ وسرموزة⁽²⁾ وقبقاب بخمسة وسبعين ألف درهم ، فوقف فيه كثير ممن ظلمهم وأخذ أموالهم من التجار وغيرهم ، ورافعوه ، فأرضاهم بنحو مائتي ألف درهم . وما زال في المصادرة حتى ركب الأمير قوصون على السلطان⁽³⁾ ، فأفرج عنه في يوم السبت تاسع عشره ووقف معه .

فلما تم لقوصون ما أراده⁽⁴⁾ أخرجه أميراً بدمشق ، فسار بأهله وأقام بها . ثم قدم إلى القاهرة صحبة الأمير قطلوغا الفخري في نوبه سلطنة الناصر أحمد ، وخلع عليه فيمن خلع عليه من الأمراء في يوم الخميس ثالث عشر شوال منها ، وأخرج إلى نيابة حمص فأقام بها إلى جادى الأولى سنة ثلاث وأربعين . ثم صرف وصار من جملة الأمراء المقدمين بدمشق إلى شوال منها ، فأثهم أنه كاتب أحمد الناصر بالكرك بعد خلعه من السلطنة بأخيه الصالح ، فقبض عليه هو وعدة أمراء . وسجنوا بقلعة دمشق في [. . .] سنة أربع وأربعين [وسبعائة] ، ثم نقل إلى الإسكندرية وقُتل بها⁽⁵⁾ .

وكان ظالماً متكبراً جبّاراً كثير الطمع . قهر خلائق وأخذ منهم أموالهم بأنواع من الظلم .

(1) في السلوك 563/2 والنجوم 10/10 : كانت نكبته في آخر المحرم 742 .

(2) السرموزة : نوع من الخفاف تلبس فوق النعل .

(3) خلع قوصون السلطان أبا بكر في 20 صفر 742 (السلوك 567/2) .

(4) ما أراده من تعويض المنصور أبي بكر بكجك .

(5) السلوك 660/2 .

وإليه تنسب المدرسة الأقبغاوية بجوار الجامع الأزهر من القاهرة ، ودار آقبغا بخطّ الخيميين قريباً من الجامع الأزهر أيضاً .

819 - آقبجا الحمويّ [759 -]⁽¹⁾

آقبجا الحمويّ ، الأمير فخر الدين ، أحد المماليك . . .
أحضره الصالح إسماعيل من حماه وعمله شادّ الشربخانا فتمكّن منه بحيث لم يكن أحدٌ بمنزله ومنزلة الوزير محمود بن شروين⁽²⁾ . وكان يسامر السلطان ويناديه .

ثم أخرج بعد موته إلى حماه ، وقبض عليه في نوبة يلبغا اليحياوي وأحضر مع أبيه طابطاً إلى القاهرة في شهر رجب سنة ثمان وأربعين ، فأقام في الخدمة ، ثم أخرج في شعبان سنة اثنتين وخمسين .

[ومات في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبعائة]⁽³⁾ .

820 - آقبغا الناصريّ الحسنيّ [بعد 770]

آقبغا الناصريّ الحسنيّ . كان من خواصّ الناصر حسن ، ومن بعده عمل دويداراً عند يلبغا . ثم عمل عند الأشرف دويداراً كبيراً بعد يلبغا ، وذلك في صفر سنة تسع وستين . ثم قبض عليه في جمادى الآخرة منها ونفاه إلى الشام بطالاً .

(1) الوافي 9/ 305 (4237) ؛ الدرر 1/ 420 (1010) ؛ المنهل 3/ 493 (499) .

(2) هو نجم الدين وزير بغداد (ت 748) .

(3) تاريخ الوفاة من الدرر .

[216 أ] ثم أحضر إلى القاهرة ، ثم ناب في الكرك سنة خمس وسبعين ، ثم نُقل /
إلى نيابة بهنسا قات بها [في سنة بضع وسبعين وسبعائة] ⁽¹⁾ .

821 - آقسنقر الناصريّ [748 -] ⁽²⁾

آقسنقر الناصريّ ، الأمير شمس الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن
قلاوون .

تنقل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء وزوجه أخته . فلما كانت أيام
الناصر أحمد ، أخرجه إلى غزّة نائباً في نصف ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين
وسبعائة .

ثم أعيد إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل ، وأستقرّ أميراً أخور ، وعظم
قدره وتزوج بأردو أمّ الأشرف كجك ، فسكن ما بينه وبين الأمير أرغون
العلائي ، وكان قد عينه السلطان والأمراء أن يخرج على التجريدة لقتال الناصر
أحمد بالكرك ، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسمائة حمل . فخيّل العلائيّ
للسلطان منه أن يخامر مع أحمد ، فمَنعه من السفر . فشقّ عليه ذلك ، وأنقطع
عن طلوعه الخدمة .

ثم توجه في التجريدة الرابعة صحبة الأمير جنكلي بن البابا في خامس ربيع
الأول سنة أربع وأربعين ، وعاد بعدما أبلى بلاء كبيراً وجرح في وجهه .
فأخرج إلى نيابة طرابلس في سابع رمضان منها عوضاً عن طرغاي
الجاشنكير ، وباشرها مباشرة جيدة بعفّة وأمانة ومهابة .

(1) الدرر 1 / 420 (1006) .

(2) الوافي 9 / 311 (4246) ؛ الدرر 1 / 425 (1015) ؛ النجوم 10 / 178 ؛ المنهل
2 / 496 (501) .

فلما تسلطن الكامل شعبان أستدعاه من طرابلس في ربيع الآخر سنة ست وأربعين . فلما قدم عرضت عليه نيابة السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك ، فلم يوافق عليها ، واستقرّ من جملة الأمراء الأكابر ، وضخم أمره وأمر الأمير ملكتمُر الحجازي وعظما إلى الغاية . ثم خافا من الكامل أن يوقع بهما فأرسلا إلى الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام في السرّ أن يبرز إلى ظاهر دمشق ويعلم [ن]ه أنها قد غزما على فعل شيء سيظهر . فكان من أمره ما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

[فبلغ الخبر الملك الكامل] فلم يجد بُدّاً من إخراج عسكر إلى دمشق ، وقدم عليه أقسنقر هذا . فلما سار قليلاً ركب الحجازي لحرب الكامل وأرسل إلى أقسنقر ، فقدم عليه بقبة النصر ، وكان من إزالة دولة الكامل ما ذكر في ترجمته ⁽²⁾ . فأجلس أقسنقر والحجازي المظفر حاجي سلطاناً وصاراً أجلّ أمراء دولته وأعظمهم قدراً ، إلى أن وشى ببيغا أروس إلى المظفر بأنها قد غزما على الركوب عليه كما فعلا مع أخيه الكامل شعبان . فقبضها وقتلها في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وكان أميراً كريماً له مواهب جزيلة مع شجاعة وقوة نفس . وأبنتى الجامع المعروف به قريباً من القلعة ، وهو كَلَه مبنّي بالحجارة ، وجدّ في عمارته بنفسه ، وفيه دفن ، رحمه الله .

(1) يُعلِنُ الصفدي عن ترجمة يلغا بقوله : على ما يأتي في ترجمته في حرف الباء (الوافي 312/9) . ولما كان المقرئ كثيراً ما ينقل عن الوافي ، فلعله أعترم أن ينقل ترجمة يلغا أيضاً أو أن يحرقها من مادته هو ، ولكنه أعلن عنها بصيغة الماضي كأنها كتبت وتمت . ولا نخاله سبق الباء على الهزمة .

(2) ترجمة شعبان مفقودة .

822 - آقسنقر الروميّ شاذّ العنائر [740 -]⁽¹⁾

آقسنقر الروميّ ، الأمير شمس الدين ، [أحد المالِك الناصرية محمد بن قلاوون] .

ترقى في الخدم [من الأوشاقية إلى أن] صار من أمراء الدولة ومن جملة الأمراخورية . فلما شغف السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالعمارة أقامه في سنة خمس عشرة وسبعائة شاذّ العنائر السلطانية وجعل لها ديواناً بلغ مصروفه في كلّ يوم ما بين ثمانية آلاف درهم إلى اثني عشر ألفاً .

ثمّ لما حجّ السلطان في سنة تسع عشرة استخلفه على مكّة في طائفة من الأجناد ، خوفاً من هجوم الشريف حميضة على أخيه عطيفة ، فأقام بها حتى قدم بدله الأمير بيبرس [الأحمديّ]⁽²⁾ الحاجب فسار إلى مصر .

[فوشى به في سنة ثمان وعشرين وسبعائة أنّه أنشأ لنفسه عائر واشترى أملاكاً كثيرة بما يأخذه من الأمراء وأرباب الصنائع ومن أصناف العمارة . فتكرّر السلطان له وألزمه بحمل ماله . فعُني به الأمير قوصون وما زال يشفع له إلى أن [216 ب] أفرج عنه وأخرج إلى الشام على / إمرة بحلب ثمّ قبض عليه في سنة خمس وثلاثين وأحيط بموجوده وسجن بقلعة حلب ، وأنعم بإمرته على بيبرس الحاجب] .

وأفرج عنه في سنة ثمان وثلاثين وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق فمات بها في سنة أربعين وسبعائة .

(1) الترجمة مكررة تباعاً ، والثانية لا تكرر الأولى ، وقد جاءت مطموسة عسيرة القراءة . ولم

نستفد كثيراً بترجمة الدرر 1 / 421 (1013) ولا النجوم 9 / 322 .

(2) زيادة من النجوم 9 / 62 .

وإليه ينسب جامع آقسنقر بترعة السباعين على البركة الناصرية بين القاهرة
ومصر . وإليه تنسب أيضاً قنطرة آقسنقر على الخليج بجوار قبر الكرمانى تجاه
الحبانية فإنه عمرها .

823 - آقسنقر السرى [678 -]

الأمير شمس الدين السرى أحد أمراء مصر الأكابر .
توفي بغزة في سنة ثمان وسبعين وستائة .

824 - آقسنقر السلارى [- بعد 744]⁽¹⁾

آقسنقر السلارى المنصورى ، الأمير شمس الدين ، أحد المماليك المنصورية
قلاوون . وعرف بالسلارى من أجل أنه لما فرقت المماليك بعد قتل الأشرف
خليل صار إلى الأمير سلار ، فلما قدم الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ترقى
في خدمه حتى صار من جملة الأمراء ، وولاه نيابة صفد عوضاً من طشتنر
حمص أخضر المنتقل لنيابة حلب في سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، فسار في
النيابة أحسن سيرة . ورأى أهل صفد من عفّته وعدله ما لا رأوا من غيره
قبله ، إلا أنه أقام قليلاً ، وحمل منها إلى نيابة غزة عوضاً عن أمير مسعود بن
جعفر ، واستقرّ عوضه في صفد الأمير علاء الدين أصلم .

فقام بعد موت السلطان مع قطلوبغا الفخري في سلطنة أحمد الناصر وقدم
معه مصر . فلما خرج الناصر أحمد من قلعة الجبل سائراً إلى الكرك عمله نائب
الغيبة ، فباشر النيابة ، والناصر في الكرك ، إلى أن خلعه الأمراء وأقاموا أخاه الصالح

(1) الوافى 313/9 (4247) ؛ الدرر 425/1 (1014) ؛ المنهل 499/2 (502) ؛
النجوم 105/10 .

إسماعيل . فأقرّه على نيابة السلطنة فسكن دار النيابة بقلعة الجبل وجلس بشبّاكها وأستقرّ يُخرج الإقطاعات التي عبرتها من ثلاثمائة دينار إلى أربعمائة دينار بغير مراجعة ، ويشاور فيما فوق ذلك . فمشت أحوال الناس ، إلاّ أنّه كان يخرج الجزء ⁽¹⁾ اليوم ويرتجعه غداً ممّن أخرج له ويقطعه لغيره ففتح باب المفاوضات والإقطاعات . وكان لا يردّ سائلاً .

فقبض عليه في يوم الأربعاء عاشر المحرم سنة أربع وأربعين وقبض معه على صهره الأمير بيغرا أمير جندار ، وعلى قراجا الحاجب وعلى أخيه أولاجا ، وأخرجوا مقبدين إلى الإسكندرية فسجنوا فيها واتّهموا أنّهم موافقون لأحمد الناصر ويكاتبونه . ثم قتل في [. . .] .

وكان حسن السيرة محباً لقلّة الأرزاق ، بحيث إنّ ما طلب منه أحد شيئاً إلاّ أعطاه .

825 - كريم الدين الصغير [726 -] ⁽²⁾

أكرم بن الخطير ، كاتب الحميديّ ، القاضي كريم الدين الصغير - يكتّى بأبي المكارم ، وتسمّى لما أسلم عبد الكريم - القبطي .

كان من جملة كتاب مصر التّصارى ، وخدم عند التّليّليّ مملوك الأمير سنقر الأشقر والي البهنسا كاتباً . فلما كانت أيام خاله ⁽³⁾ ابن سعيد الدولة باشر به في ديوان الجيش إلى أن وليّ خاله . كريم الدين عبد الكريم الكبير نظر الخاصّ .

(1) كلمة غير مقروءة . وفي اضطراب سياسته في الإقطاعات وسوء تصرّفه ، انظر النجوم 86 / 10 .

(2) الوافي 345 / 9 (4275) ؛ الدرر 428 / 1 (1036) ؛ المنهل 33 / 3 (522) ؛ السلوك 271 / 2 .

(3) التاج أبو الفرج ابن سعيد الدولة هو خال كريم الدين الكبير (الدرر 428 / 1 (1037) .

فاستقرّ أكرم بعدما أظهر الإسلام في نظر الدولة رفيقاً لتقيّ الدين أسعد بن أمين الملك⁽¹⁾ ، نقل إليها من ديوان الجيش واستقرّ في نظر الكارم والصحبة والقيّد في يوم السبت خامس عشرين جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وسبعمائة] .

وقصد عدّة مرات مصادرة الولاة فمَنَعَه خاله كريم الدين الكبير من ذلك ، فلم يعجبه منه إيّاه ، وشكاه غير مرّة إلى الأمير أرغون النائب أنّه يَمْنَعُهُ من تحصيل مال السلطان . فلمّا قبض على كريم الدين [الكبير] رسم له على لسان النائب أن يتحدّث في مال السلطان كيف يحفظ فإنه ما بقي له أحد يعاضده / [217 أ] وأنا أسلّم له المملكة يتصرّف فيها كلّها : الخاصّ والمتجر وغيره ، ويُدبّر الخاصّ والدولة .

فجعل يتمنّع من ذلك تمنّعا كبيرا ، فرسم بحبسه مع خاله ، فسجن عنده ، ثم أفرج عنه معه .

وقبض عليه في يوم السبت سلخ ربيع الآخر وعلى ولده سعد الدين فرج الله ، وسلّما للصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنّام ، فأحضره بين يديه وأخرق به وأهانته وهذّده بضربه بالمقارع على تخليص المال ، وأخرجته حافياً . فترّل ولده مهاناً ليجمع المال ، وسجن أكرم بـِرج في القلعة عند باب القرافة .

وكان من الاتفاق العجيب أنّ أكرم هذا كان قد وشى بالأمير طيغنا العجميّ حتى أخذه السلطان من طريق مكّة وأحضره منكلاً به وسجنه بهذا البرج وأخذ ماله . فكتب عندما أفرج عنه بخائطه : حضرت من مكّة يوم كذا ، وحُبست في هذا البرج ستّة عشر يوماً ، وكنت مظلوماً ، ففرّج الله عني . وأرجو أن يأخذ الله حقّي ممّن ظلمني - يعني أكرم هذا . فاستجيب له ، وكان أكرم يرى خطّه وهو في البرج ويتأمّله .

(1) الشقيّ الاحول ، مرّت ترجمته برقم 734 (ت 716) .

وكان الوزير ابن الغنّام إذا استدعاه للمطالبة يصبح به العامّة : بالله ذوّقه المقترح كما يفعل بالناس ! - وكان قد أستجدّ أن يضرب من يعاقبه على صدره بالعصيّ وسمّى لهذا الضرب « المقترح » ، فتكاد العامّة عندما يُحضّر أن تختطفه من شدّة بغضها له .

فبذل جهده في السعي حتى أعبى من طلبه ، واستمرّ ولده يحمل مدّة ستّة عشر يوماً - قدر ما أقام العجميّ - ثم أفرج عنه . فكان جميع ما حمل له مبلغ مائة وستّين ألف درهم ، باع فيها ثيابَ بدنه ، وأثاث بيته وأوانيّه ، وداره بمنشأة المهرانيّ .

ثم أخرج على البريد إلى صفد في ليلة الثالث والعشرين من جادى الآخرة ، فأقام بها إلى أن قدم عليه البريد بأستقراره في نظر الشام عوضاً عن شمس الدين غبريال⁽¹⁾ ، فسار إليها على البريد في يوم السادس عشر من شوال ، وقدم دمشق في ثالث عشرينه . فباشر الوزارة وضبط أمر دمشق ضبطاً زائداً وسار سيرة حسنة فأعجب به النائب وغيره ، إلى أن بلغ الفخر ناظر الجيش أن ولده أبا الفرج يكتابه بمُتجدّات أمور مصر وأخبار أهل الدولة ، ويكّتي عن أسماء الأعيان بألقاب يضعها عليهم . فحَيّلوا للسلطان منه حتى رسم بإحضاره ، فقدم على البريد من دمشق في يوم الاثنين سادس شهر ربيع الأول سنة ستّ وعشرين ومثل بحضرة السلطان وهو بناحية سَفَط من الجيزة ، فلم يكثرث به وبالغ في الإنكار عليه وأمره بملازمة داره . وبعث غبريال عوضاً عنه إلى دمشق .

وأسرّ السلطان إلى الوزير مغلطاي الجماليّ بقتله سرّاً ، فتقدّم إلى والي القاهرة بذلك : فكمن له جماعة يترصدونه إلى أن خرج من داره راكباً في ليلة الاثنين رابع شهر ربيع الآخر يريد الحمام ، فوثب به الجماعة ، وكان مستعدّاً فنجا بفرسه . وبطشوا بغلامه فقتلوه . وطار الخبر وانتشر في الناس حتى بلغ

(1) هو القاضي ابن صنيعة القبطي .

للسلطان ، فرسم بنفيه إلى أسوان . فأحضره [هـ] الوزير هو وأولاده في يوم السبت
تاسعه إلى مجلس السلطان وطالبه بالمال ، فأنكر أن يكون عنده مال ، فضرب
ابنه سعد الدين بالمقارع ، وسُلم أكرم إلى الوالي فوجد معه أوراقاً فيها مواععات
جماعة فأعلم بذلك الوزير فطلبها ، فلم يوافق أكرم حتى بعث إليه السلطان مَنْ
تسلّمها منه وقرأها ، فأفرج عن أولاده وأمر بعقوبته . فسُعط بالخلّ والجير . ثم
أخرج هو وولده سعد الدين في ليلة الاثنين حادي عشره وحملًا في سلورة⁽¹⁾
مَرّت / في النيل إلى أسوان ، فقدمًا ليلة الاثنين خامس عشرينه . وقتل أكرم في [217 ب]
ليلة الثلاثاء سادس عشرينه ودُفن من غير أن يصلّى عليه ، وكان متهمًا أنه على
دين النصرانيّة .

وكان شرس الأخلاق ظالمًا عسوفًا ، إذا غضب ارتعش بدنه . وفيه مكارم
وعصيّة للنصارى . وكان هو أكبر الأسباب في بغض العامة لكريم الدين الكبير .
واتفق أنه رأى في منامه أنّ النبيّ ﷺ [كان] جالسًا في منزله على منبر ، ثم قام
ومشى . فتبعه حتى أتى شاطئ البحر من فوق الماء فأرتدّ عنه . فعبر ذلك بأنّ
صاحب هذه الرؤيا يموت مرتدًا عن الإسلام وأنّ داره تخرب ، فإنّه عليه
السلام بشير للمؤمنين ونذير للكافرين . فلما مات خربت داره وأُخذ رخامها
وُتركت على أقبح حال .

واتفق أيضاً أنّه كان يلوذ بخدمتهم رجل يُعرفُ بعليّ السائس فيه دعاية
وبيده شدّ مذابح الغنم السلطانيّة بالحسينيّة . فلما باشر أكرم هذا وظيفة النظر
وتسلّم الجهات من الأمير علم الدين سنجر الخازن ، صرفه وجعل له مرتبًا أكثر
من معلومه في سلخ المذابح ، فلم يقبله وتشقّع بالأمرء وغيرهم إليه فأبى أن
يعيده . وتعصّب له علم الدين ابن كريم الدين الكبير وجماعة ، وتحدّثوا مع
أكرم ، وقد خرج من مجلس كريم الدين في إعادته ، فقال : يا جماعة ،

(1) السلورو والسلاريّة : مركبة على النيل .

أنصفوني من هذا ؟ - ثم سأله : كم معلومك في هذه الوظيفة ؟

قال : ثلاثة دراهم في اليوم .

فقال : إنني أكتب لك ستة دراهم وتترك هذه الوظيفة ، فإنك تتلف عليّ مال السلطان .

فقال له ابن هلال شاذّ الدواوين : يا مولانا ، هذا الرجل يخشى من تغيير الأمور وحوادث العوارض ، فيباشر غيرك فيجد أنه كان بأسمه ثلاثة دراهم فصارت ستة فيلزمه بالتفاوت .

فغضب وقال : يا مسلمين ، نحن كلنا نروح ، أنا أروح ، هذا يروح ، كريم الدين يروح ، يروح الجميع ، ويأتي من يطالبه بالتفاوت .

ومضى ، وذلك يوم الخميس بعد العصر ، فقبض على الجميع يوم الخميس بعد سبعة أيام . وولي الصاحب أمين الدين عبد الله بن غنّام ، وألزم علي السائس بالتفاوت ، إلى أن حكى له ما جرى ، فعجب من ذلك وأفرج عنه وأعاد إليه وظيفته .

826 - أكدر بن حُمام [65 -]⁽¹⁾

أكدر بن حُمام - بضَمّ الحاء المهملة - بن عامر بن صعب بن حثمة بن عكارمة بن هذيل بن سعد بن زر بن عَنَم بن أريش بن أراش بن خزيلة بن لحم اللخميّ ، أبو مصعب .

شهد هو وأبوه فتح مصر . وكان أحد فرسان لحم بمِصر ورئيساً في خلع عثمان رضي الله عنه وقتله . وقد ولي بحر مصر لمعاوية بن أبي سفيان سنة ثمان

(1) الولاة والقضاة . 41 .

وخمسين ، وكان معاوية مكرماً له يتألف قومه ، وكان يدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسه .

فلما سار مروان بن الحكم إلى مصر أشار الأكدر على عبد الرحمان بن عتبة ابن جحدم⁽¹⁾ أن يبعث مراكب في البحر تخالف إلى عمالات أهل الشام [218 أ] وذرازيهم . فعقد له يوم قدم السائب بن هشام [بن كنانة العامري] ، وذلك للنصف من ربيع الأول سنة خمس وستين على خمسة آلاف من الجند أهل الديوان ، وبعث به إلى الفرما ليمنع مروان من المسير .

فتوجه الأكدر في جيشه يوم ثمانى عشرة من ربيع الأول وسار حتى أتى الفرما ، فلقى بها عروة - رجل من جذام - وكان على طلائع جيش بن ذلجة القيني ، وكان حبيش على مقدمة مروان ، فأقتلوا ، وبرز عروة للأكدر فتطاعنا فقتل الأكدر عروة . وأجمع الجند بمصر على أن يبعثوا بمراكب تخالف أهل الشام إلى منازلهم . فقال عبد الرحمان بن عتبة بن جحدم : ليس لها غير أبي مصعب - يعني الأكدر - فبعث إليه يأمره بالرجوع إلى مصر ، فاستخلف على جيشه ابن عم له يقال له : عوف ، ورجع إلى القسطنطينية لخمس بقين من ربيع الأول / .

فلما قدم مروان بجيشه على عوف انهزم عنهم ودخل القسطنطينية من غير قتال . ويقال إن مروان كتب إلى شيعته بمصر أن أخلوا إلي الطريق - يعني مقام الأكدر بالفرما - فقال كريب بن أبرهة [الأصبحي] لابن جحدم : لو رددنا الأكدر فوجهناه في البحر يخالف مروان إلى الشام ؟

فردّه ووجهه في البحر . فخرج الأكدر في خمسين مركباً لثلاث خلون من ربيع الآخر . فلما بلغ مروان مسيره جزع جزعاً شديداً خوفاً من مخالفتهم إلى عيالهم وبلادهم . فبعث الله ريحاً على المراكب وقد قربت من سواحل الشام

(1) وهو والي مصر لأبن الزبير .

فكسرت بعضها وظفر مروان بمن فيها . وألقى البحر الأكدري في ثلاثة عشر مركباً برشيد ، فصار إلى الفسطاط ، وشهد وقعة الخندق وأيامه ، وكان رئيساً فيهم ومقدماً على لحم وجدام في قتال مروان .

فلما غلب مروان على مصر وصالحه أهلها [بعد أن أمّتهم على جميع ما أحدثوه] حضر الأكدري مع قومه من لحم فبايع مروان ، ومروان مُعرض عنه . فأنكر قومه ذلك وقالوا : يا أبا مصعب ، والله لقد رأينا لمروان وجهاً لا يصلح المقام معه في بلده ، فأراك في الخروج إلى المغرب أو تكون مستخفياً إلى حين خروجه عن مصر؟

فأبى الأكدري ذلك وقال : ما كنت لأخرج ، ولا أستخفي ، ومهما يصنع بي مروان بعد عهده ومواريقه ، هل يصنع إلا القتل ؟ فوالله لقد أجلبتُ على عثمان وسيّرت إليه الجيوش وشركت في قتله بكل ما أقدر عليه . ووالله لقد فعلتُ ذلك بمروان فحال القدر عن بلوغ الأمل . ولقد كان معاوية يبعث بعطائي ، وأمر الولاة أن يؤخروني عن الوفاة إليه خشية أن يتذكر صنيعي ، ثم ، الله الحكمُ بيننا وهو خير الحاكمين .

وجعل مروان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في أمر الأكدري : يهّم بقتله ويخشى العواقب . حتى أجمع على ذلك . فحرض عليه نفرًا من أهل الشام وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن الأكدري قتل مئتين قتيلًا ونحن أولياؤه ، ولم يكن قتله له على معنى الفتنة .

فبعث مروان فأحضر الأكدري وهو لا يعلم إلى ما دعي ؟ فلما دخل على مروان وليس معه أحد من قومه سأله عن قولهم : فأنكره ، فشهد عليه جمع من أهل الشام أنه قتل قتيلًا منهم . وأشار عمرو بن سعيد الأشدق على مروان أن يعاجله . فأمر مروان أن تُضرب عنقه فضربت .

وكان مروان يقول : لا يتم لنا أمر والأكدري حيّ ! - ويخافه لأنه سيّد لحم

وشيخها ، له التقدم والفضل والفقہ ، ويخشى أن يجرّض عليه بعد خروجه .
فدسّ عليه رجالاً يدعون عليه قتل رجل ، وقتله .

وكان الأكدر علويّاً ذا دين وفقه في الدين ، وجالس الصحابة وروى
عنهم ، وهو صاحب الفريضة التي يسمّيها أهل الفرائض الأكدرية .

وكان يوم قتل عليه حلّة أخذها بألف دينار فقال لرجل ممّن حضره : يا
أبن أخي ، إذا قُتل عمُّك فوارِ عورته وخُذ هذه الحلّة لك !

وكان قتل الأكدر للنصف من جهادى الآخرة سنة خمس وستين ⁽¹⁾ . وقال
زياد بن قائد اللخميّ يرثي الأكدر ، من أبيات عديدة [متقارب] :

كما لَقِيتَ لحْمَ ما ساءَها بأَكْدَرَ لا تَبْعُدَنَّ أَكْدُرُ !
هو السيفُ جُرْد من غمِدِه فلاقى المنايا وما يشعُرُ
ولهي عليك غداة الردى وقد ضاق ورْدُك والمصدرُ
وأنت الأسيرُ بلا منعة وما كان مثلك يُستأسرُ

وقد روى ابن لهيعة قال : مرض الأكدر بن حمام بالمدينة ليالي عثمان
رضي الله عنه ، فجاءه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عائداً فقال : كيف
تجدك ؟

قال : أنا لمّا بي .

قال : كلاً ! تعيش زماناً ، ويغدر بك / الغادرُ ، وتصيرُ إلى جنة إن شاء [218 ب]
الله .

وقال موسى بن عليّ [بن رباح] : غدر مروان بالأكدر بن حمام بمشورة
عمرو بن سعيد بن العاصي ، وعَدَرَ عبد الملك بن مروان بعمر بن سعيد
بمشورة روح بن زنباع . وقال روح عند قتل عمرو [بسيط] :

(1) النجوم 1/ 166 .

يا عمرو لا تنس أفعلاً فعلت بأكدر لا ينسأ عمرو وأكدر⁽¹⁾

وقد روى الأكدر عن عمر بن الخطاب : تعلّموا المهن فإنه يوشك الرجل منكم أن يحتاج إلى مهنة .

وروى عن أبي هريرة : من قتل نفساً فليقاتل في سبيل الله حتى يُقتل .

وروى عن جماعة .

827 - الآقوش المنصوريّ [- بعد 724]⁽²⁾

الآقوش المنصوريّ ، الأمير [جمال] الدين ، أحد ممالك الملك المنصور قلاوون [. . .] .

فلما كانت سنة أربع وعشرين وسبعمائة رُفِعَتْ قِصَّةُ لقصر السلطان تتضمّن تحذير السلطان من الركوب إلى الميدان . فإنّ الآقوش قد وافق جماعةً من الأمراء على الفتك بالسلطان ، فطلب وهُدِّدَ فأقسمَ بالأيمانِ المُحرَّجة أنه بريء ممّا رُمِيَ به ، وكيف يفعلُ هذا وقد منّ السلطان عليه وأخرجه من السجن ، وهو شيخ كبير؟

وأنهم ولدّه أنّه هو أفترى عليه من أجل نهبه عن الخمر ، فإنّه عن قريب سيّتي وتوعّدي . فأمر به إلى الحبس .

وطلب ولده وقرّر فأعترف [بـ]كتابة الورقة . فأخرج الآقوش وحُبِسَ أبْنُه مكانه . وسُقِرَ إلى دمشق على إمرة بها⁽³⁾ .

(1) البيت مختلّ .

(2) الدرر 1 / 428 (1035) .

(3) السلوك 2 / 257 .

828 - ألبكي السافي [702 -]⁽¹⁾

ألبكي السافي ، الأمير فارس الدين ، أحد مماليك الظاهرية ببيرس .
ترقى في خدمه إلى أن صار من أكابر أمراء مصر وشجعانها . ثم قبض عليه
الملك المنصور قلاوون وسجنه ، في [. . .] وكان يخرج من السجن فيتحدث
معه ويعيده إلى السجن . ثم أفرج عنه وولاه نيابة صفد ، فأقام بها عشرة
أعوام . وكان [. . .] .

فلما سخط الملك الأشرف خليل بن قلاوون على الأمير حسام الدين لاجين
وقبضه وهو على حصار عكا وبعثه إلى صفد ليُعتقل بها ، أخذ ألبكي المقرعة
وضربه على كتفه وقال له : ما تمشي إلا خواتيني - وأخذ جوخة⁽²⁾ كانت معه
وطرطوراً ضمن بقجة⁽³⁾ .

فقدّر الله تعالى أن صار لاجين سلطان مصر والشام ، فبعث إليه يقول :
أحتفظ بالبقجة والجوخة والطرطور ! - فقرّر من حمص ، وكان قد خرج من
صفد بعسكرها في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وستمائة لغزو سويس صحبة
عسكر مصر والشام . فأغاروا على بلاد سويس في رجب منها وعادوا إلى حلب .
فبعث السلطان الملك المنصور لاجين بالقبض على ألبكي وغيره من الأمراء . فلما
فطنوا بذلك قرّوا من حلب ولحقوا بالأمير قبجق نائب الشام وقد نزل على
حمص ، وساروا معه منها في ليلة السبت خامس ربيع الأول سنة ثمان وتسعين
ولحقوا بالقان غازان ، فأكرمهم وأنعم عليهم . وزوّج ألبكي بأخته وكانت بارعة
الجمال .

(1) الوافي 9/352 (4280) ؛ الدرر 1/432 (1040) ؛ المنهل 3/37 (524) ؛
النجوم 8/204 .

(2) الجوخة : رداء من الصوف الأحمر (دوزي : ملابس) .

(3) البقجة : رزمة من الثياب .

وهر عقل غازان لقيامه بآداب المغل وسياستهم فقرّبه وأفرط في دتّوه .
وسار بهم إلى بلاد الشام ، وهزم عساكر مصر والشام على حمص في ربيع
الأول سنة تسع وتسعين ، ونزل على دمشق واستتاب قبجق على دمشق ، وأنعم
على ألبكي بحمص وحماه ، ورحل عائداً إلى بلاده .

فرجع قبجق وألبكي إلى الطاعة وسارا والأمير بكتمر السلاح دار إلى لقاء
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فوافّوه في العشرين من شوال ، وهو
مخيم بالصالحية . فتلقّاهم وبالغ في إكرامهم ، وقدم بهم إلى قلعة الجبل . وأنعم
على ألبكي بإمرة في دمشق ثم ولّاه نيابة حمص .

فلم يزل بها إلى أن مات يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة اثنتين وسبعائة ،
فولي عوضه عزّ الدين أيبك الحمويّ نائب صرخد .

[219 أ] وكان مليح الشكل ليس في وجهه / شعرة كأنه طلعة القمر . وكان كثير
الأدب حياً رئيساً لم يُر قط في ليل ولا نهار بغير خفٍّ ولا أبدى رجله ولا مدّها
بحضرة أحدٍ .

وكان كلّما نزل من الركوب حمل جمداره شاشه وفتحّه وتركه . فإذا أراد
الركوب لفّه بيده مرّة واحدة لا يزيد عليها ثم يركب .
وكان خيراً ساكناً لطيف الحركات قريباً من الناس معروفاً بالشجاعة والثبات
موصوفاً بالفروسيّة .

829 - ابن أخي آل ملك [756 -]⁽¹⁾

ألبكي ، الأمير فارس الدين ، ابن أخي الأمير سيف الدين آل ملك
النائب .

(1) الوافي 352 / 9 (4281) ؛ الدرر 432 / 1 (1041) .

ترقى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم ولي نيابة غزّة بعد موت الأمير دِلنجي في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين⁽¹⁾ ، ثم صُرف بالأمير أرغون الإسماعيلي .

وقدم القاهرة في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، ثم نقل الى مقدمة ألف ، وأخرج إلى الصعيد إعانةً للأمير أزدمر الكاشف على العرب في شهر رجب سنة اثنتين وخمسين [وسبعائة] .
ومات سنة ستّ وخمسين [في أواخر شوال] .

830 - أُلجّاي الدوادار [732 -]⁽²⁾

أُلجّاي الدوادار ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقى في خدمه إلى أن أقامه دوادار صغيراً مع الأمير بهاء الدين أرسلان . ثم أنعم عليه بإمرة عشرة في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبعائة بعد موت بهاء الدين أرسلان وجعله دوادار كبيراً ، فباشّر الدواداريّة أجمل مباشرة من عفة ونزاهة وطولة روح⁽³⁾ ، وتأتّي ، بحيث إنه لم يعرف عنه أنّه غضب على أحدٍ ولا جاهر أحداً بالسوء . ثم نُقل إلى إمرة الطبلخاناه ، حتى مرض ، ونزل من القلعة فمات بدار[ه] خارج باب زويلة مبتهلاً شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة ، وهو في سنّ الكهولة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة بالأمراء والأعيان .

(1) السلوك 2 / 821 .

(2) الوافي 9 / 353 (4285) ؛ الدرر 1 / 433 (1044) ؛ المنهل 3 / 39 (526) ؛

النجوم 9 / 297 ؛ السلوك 2 / 354 .

(3) في الوافي : وكان طويل الروح .

وكان يكتب الخطَّ الجيّد ، ويحبّ الفضلاء ويعتني بأمرهم ويكثر من معاشرتهم ليلاً ونهاراً ، ويجاريهم في عدّة فنون من فقه وغيره . وكان حنفيّ المذهب ، وله اختصاص بالشيخ تقيّ الدين السبكيّ ، وهو الذي نوّه به . وشغف بالكتب فأقتنى منها شيئاً كثيراً . وكان يؤنّث المذكّر في خطّه ويعظّم وظيفته ويتبجّع بها . ولم يزل مشهوراً في ⁽¹⁾ صغره إلى وفاته بالخير وحسن الطريقة .

وأنشأ داراً بالشارع خارج باب زويلة بلغت النفقة على بوابتها خاصّة مائة ألف درهم ، عرفت بعده بالقرميّة ، ثم عرفت ببيت محمود فلما كادت الدار أن تفرغ عمارتها عمِل فيها ألجائي مجتمعاً ثلّيت فيه ختمة شريفة بالغ في الاحتفال فيه ، وحضره عامّة أهل العلم فلم يُمتّع بهذه الدار ومرض بعد ذلك بقليل ، فطلب من السلطان الإذن في نزوله إلى داره ، فأذن له في ذلك . فقبل له فيه ، فقال : أنا أدرى بخلق أستاذي : قد يكون في خاطره أن يولّي الدواديرية أحداً غيري .

ونزل إليها ، فلم يزل صاحب فراش حتى مات وأستقرّ عوضه الأمير صلاح الدين يوسف المهندار دوادار .

831 - أَلْجَبِيغَا المظفَرِيّ [750 -] ⁽²⁾

أَلْجَبِيغَا المظفَرِيّ [ي] ، الأمير سيف الدين .

رقاه السلطان الملك المظفَر حاجّي بن محمد بن قلاوون بحيث لم يكن عنده أحدٌ في رتبته حتى زالت دولته ، والجيغَا أحد أمراء الشّور الذين تصدر الأوامر

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : من .

(2) الوافي 355/9 (4286) ؛ الدرر 434/1 (1047) ؛ المنهل 44/3 (528) ؛ السلوك 813/2 ؛ النجوم 245/10 .

عنهم . فأخرج إلى دمشق في أوائل سلطنة الناصر حسن على إقطاع الأمير لاجين أمير أخور صحبة الأمير طبقغا وطلب لاجين في تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبعائة ، وأنهم أنه أراد الفتنة .

ثم نُقل من الإمرة بدمشق إلى نيابة طرابلس / عوضاً عن الأمير بدر الدين [219 ب] أمير مسعود بن خطير في أثناء شعبان منها . فلم يزل إلى أوائل شهر ربيع الأول سنة خمسين ، [ف]استأذن الأمير أرغون شاه نائب الشام في التصيّد بالناعم فأذن له ، فسار وأقام على بحيرة حمص أياماً يتظاهر بالصيد .

ثم ركب ليلاً بمن معه من عسكر طرابلس وساق إلى خان لاجين ظاهر دمشق وأقام به من الثانية من النهار إلى قبيل الغروب . وركب بمن معه وطرق أرغون شاه نائب الشام ، وهو بالقصر الأبلق من الميدان ليلاً ، وأمسه وسجنه مقيداً ، وقد عاونه على ذلك الأمير فخر الدين أياز السلحدار .

فلما أصبح نزل بالميدان الأخضر وطلب أمراء دمشق وعسكرها ، وأخرج كتاب السلطان بإمساك أرغون شاه ، فلم يشكّ أحدٌ في ذلك . واحتاط بأموال أرغون شاه وجعلها عنده في القصر الأبلق ، وذلك في يوم الخميس ثالث عشرين شهر ربيع الأول . وأظهر في يوم الجمعة ثانيه بأن أرغون شاه قد ذبح نفسه ⁽¹⁾ وجّهز البريد وكتب على يد الأمير أيدير الشمسيّ إلى السلطان بأنه أمسك أرغون شاه وأنه ذبح نفسه .

فلما كان يوم الثلاثاء أرتاب الأمراء بدمشق بما هو فيه ، فركبوا لحربه ووقفوا تحت القلعة . فركب بمن معه وواقعهم وقتل منهم عدّة وجرح جماعة ، ومضى بمن معه ، وقد حمل أموال أرغون شاه ، على [طريق] المزة وسلك [سهل] البقاع إلى طرابلس .

(1) السلوك 2 / 801 .

فورد إلى دمشق مرسوم السلطان بإنكار⁽¹⁾ لما جرى من قتل أرغون شاه والاجتهاد في أخذ أُلجِييغا . فخرج عسكر الشام وربطوا عليه الدروب . فلمّا بلغه ذلك خرج من طرابلس ، فأدركه عسكرها عند بيروت وقد وقف له أمراء العرب والتركمان والجلبيّة وأهلُ بيروت . فوقف من الثانية من النهار إلى العصر وكرّ راجعاً ، فوجد عسكر طرابلس ، فواقعه حتى سلّم نفسه . فأسلموه إلى عسكر دمشق ، وقد قرّأ ياز في ثلاثة أنفار فقبض عليه نائب بعلبك وقدم به وبألجيغا إلى قلعة دمشق⁽²⁾ .

وحمل ألجيغا إلى مصر صحبة الأمير [سيف الدين] باينجار الحاجب ، فوصل من مصر الأمير [سيف الدين] قجا السلاح دار في يوم الأربعاء بكتاب السلطان أن يُوسّط ألجيغا وأياز . فركب العسكر في يوم الخميس حادي عشرين شهر ربيع الآخر - الغد - تحت القلعة ، ووُسّطوا وعُلّقوا . وكان لِأُلجِييغا من العمر تسع عشرة سنة ما بقل عُدّاره وطَرّ شاربه .

832 - أَلدمر الناصريّ [730 -]⁽³⁾

أَلدمز ، الأمير سيف الدين ، الناصريّ ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقى في خدمه حتى صار من أمراء الألوّف أمير جاندار . وتوجّه حاجّاً صحبة الركب ، وقد قدم ركب العراق إلى مكّة صحبة محمد الخويج⁽⁴⁾ من أهل طوريز ، وكان صاحب هزل ومجون ، فتوصّل بأولاد الأمير جويان إلى منادمة

(1) في المخطوط : بإمكان .

(2) السلوك 2 / 802 .

(3) السلوك 2 / 323 ؛ الدرر 1 / 434 ؛ المنهل 3 / 184 (610) وهو فيه : أيدمز .

(4) في السلوك 2 / 323 : أمير ركب العراق : محمد الحجيج .

أبي سعيد بن خربنده ملك العراق ، وبعثه في الرسالة إلى مصر . فراج عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتردّد إليه مراراً . فبلغه عنه ما أغضبته فأسرّها في نفسه إلى أن بلغه مسيره بركب الحاجّ من العراق ، فكتب إلى الشريف عطيفة بن أبي نميّ أمير مكّة أن يتحيّل في قتله ، فأطلع ابنه مبارك بن عطيفة على ذلك في عدّة من قواده فأستعدّوا لقتله . وتمهلوا إلى أن عادوا إلى مكّة بعد قضاء النسك ، وقد تقدّم بعض الحاجّ من المصريّين على العادة وتأخّر الأمير خاصّ ترك أمير الحاجّ والأمير ألدمر والأمير أحمد ابن خالة السلطان بمكّة لأجل صلاة الجمعة .

فلما قام الخطيب على المنبر قصد عبيد عطيفة إثارة فتنة لينالوا غرض السلطان في أمير ركب العراق ، وشرعوا في نهب السوق والباعة وعبثوا بحاجّ العراق وخطفوا من متاعهم ، والشريف عطيفة جالس إلى جانب أمير الركب⁽¹⁾ . فصرخ الناس / وكثر ضجيجهم . فنهض ألدمر ومعه جماعة من [220 أ] المماليك ، وسبّ الشريف رميثة ظنّاً منه أنه يريد نهب الناس ، ولم يكن له علم بما أسره السلطان لعطيفة . ومسك بعض القوّاد [و]أخرق به ، فقام عطيفة وأخذ يلاطفه ليردّه [ه] وهو من قوّة نفسه لا يرجع ، وكان حادّ المزاج قويّ النفس معروفاً بالشجاعة . فقوي الأمر وزاد صياح الناس وزكب مبارك بن عطيفة في قوّاد مكّة لابسين السلاح ، وركب من بمكّة من جند مصر . فتقدّم خليل بن ألدمر وضرب بعض العبيد فوقعت فيه ضربة خرّ [بها] ميتاً . فأشتدّ عند ذلك حتى ألدمر وتقدّم لأخذ ثأره فإذا المبارك بن عطيفة فرفع سلاحه ليضربه فبدره مبارك بجربة أنفذه من صدره [ف]سقط ميتاً ، وركب أمير الركب وخرج من مكّة بنفسه ، ورمى مبارك بن عطيفة بسهم في يده [فشلت] ⁽²⁾ .

(1) يعني أمير الركب المصريّ وهو الأمير خاصّ ترك (السلوك 2 / 324) .

(2) الزيادة من السلوك 2 / 324 .

وقاتل أحمد قريب السلطان⁽¹⁾ حتى خلص بمن معه . وسار المصريون والعراقيون من غير أن يحصل الغرض⁽²⁾ ، وذلك في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبعائة .

فاتفق في هذا اليوم بعينه أن أشتهر بالقاهرة ومصر قتل الدمر وحصول الحرب بمكة حتى لم يبقَ أحدٌ إلّا وهو يتحدث بذلك . وبلغ السلطان والأمراء ما يتحدث [به] الناس وأنكروه . وانطلقت الإشاعة إلى الريف أيضاً . وما زالت حتى قدم مبشرو الحاج فأخبروا بالحرب و[ب]قتل الدمر وولده في يوم الجمعة الذي حصلت فيه الإشاعة . فكان ذلك من غرائب الاتفاقات .

وترك الدمر مالاً جمّاً ما بين نقدٍ وزراعات ومتاجر . وإليه ينسب حمام الدمر خارج باب زويلة من القاهرة⁽³⁾ .

833 - الطبرس المجنون المنصوري [708 -]⁽⁴⁾

الطبرس المنصوري المعروف بالمجنون ، والي القلعة ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .

كان ديناً عفيفاً تغلب عليه سلامة الباطن ، وله أحكام يضحك منها . وكان

(1) ابن خالته في السلوك .

(2) الغرض هو قتل محمد الجويج الطوريزي أمير ركب العراق .

(3) في المنهل : جهز السلطان جيشاً الى مكة للأخذ بئار الدمر وابنه « ومن حينئذ حكمت الأتراك مكة وانقمع أهلها الى يومنا هذا » وكذلك في النجوم 283/9 وأصاف : « ... وزال منها (مكة) أسوة أشراف مكة الرافضة والعبيد ... وكرههم الملك الناصر ومقتتهم وأقصاهم » .

(4) الوافي 359/9 (4289) ؛ المنهل 48/3 (530) .

فيه تسلّط على النساء بحيث يركب أيام المواسم إلى القرافة ويفتك فيهن⁽¹⁾ ويشهرهن شهرة بالغة .

وهو الذي عمّر فوق عقد القنطرة المعروفة بالمجنونة على الخليج [قبة للفقراء] فقال [علم الدين أحمد بن يوسف ابن الصاحب] فيه [كامل] :

ولقد عجبت من أطيرس وصحبه وعقولهم بعقوده مفتونة
عقدوا عقوداً لا تصحّ لأنهم عقدوا لمجنون على مجنونة
وتوفي سنة ثمان وسبعائة .

834 - أَلطُنْبغا الحمصيّ [678 -]

أَلطُنْبغا الحمصيّ ، الأمير فخر الدين ، أحد الأمراء الظاهرية ببيرس .
مات يوم السبت سادس عشر رمضان سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

835 - أَلطُنْبغا الجمدار [693 -]⁽²⁾

أَلطُنْبغا الجمدار ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .
تقلّ في الخدم بديار مصر إلى أن صار من جملة الأمراء . فلما ثار الأمير بيدرا نائب السلطنة بديار مصر على الملك الأشرف خليل بن قلاوون وقام معه جماعة من الأمراء ، كان منهم أَلطُنْبغا هذا . فقتلوا [الأشرف] كما ذكر في ترجمته⁽³⁾ ، وتسلمن من بعده أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقام بتدبير

(1) في السلوك 51/2 : وينكلّ بهنّ ، والعبارة هناك أبعد من اللبس وكذلك في النجوم 230/8 حيث أضيف : ... ومنعهنّ من الخروج الى الأسواق . وأتفق المقرئ وابن تغري بردي بوصف أحكامه بأنّها « قراقوشية » .

(2) النجوم 22/8 ، السلوك 795/2 .

(3) ترجمة خليل الأشرف ابن قلاوون ، رقم 1397 .

أمره الأمير كتبغا نائب السلطنة ، وتبع قتلة الأشرف ، فقبض على الأمير حسام الدين طرنطاي الساقى . وسيف الدين نوغاي السلاح دار ، وسيف الدين ألتاق⁽¹⁾ الساقى السلاح دار ، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار ، وعلاء الدين ألتنبغا الجمدار ، وسيف الدين أفسنقر الحسامى . وناصر الدين محمد خواجا ، في العشرين من المحرم سنة ثلاث وتسعين وستائة . فاعتقلوا بخزانة البنود⁽²⁾ من القاهرة . وتولى عقوبتهم الأمير بيبرس الجاشنكير ، في كل يوم إلى يوم الاثنين خامس صفر [فـ]أخرجوا إلى باب القلعة . وقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمروا على الجبال وطيف بهم .

وأشدت حزنهم وأسفهم عليهم . وكان ألتنبغا هذا جميلاً . فلما قربوا من [220 ب] داره خرج حريمه وأولاده يصيحون . قد نشروا الشعور / وسودوا الوجوه ، وألقت زوجته نفسها من مكان عالٍ لترتمي عليه فقبض الجوارى عليها ومنعها ذلك ، فقطعت شعرها وألقته عليه وقالت : يا ليتني كنت فداك ! وكانت أهوال شنيعة . وتركوا مسمرين على الجبال عدة أيام فمات منهم طائفة . ووقعت الشناعة فيمن بقي فككت مساميرهم وحملوا إلى منازلهم . فلم ترض ممالك الأشرف بذلك . فأخذوا من ديارهم وسمروا مرة ثانية . فلم تحمل قواهم ذلك وماتوا . فدفنوا بالقرافة .

836 - ألتنبغا الماردني [744 -]⁽³⁾

ألتنبغا الماردني⁽⁴⁾ الساقى . أحد الممالك الناصرية محمد بن قلاوون . رباه صغيراً واختص به اختصاصاً كبيراً ورقاه في خدمه حتى صار من

- (1) في المخطوط : أباق ، والإصلاح من النجوم 22 / 8 ، والسلوك 795 / 1 .
(2) صارت سجناً للأمرء بعدما كانت مخزناً لأصناف السلاح (الخطط ، 305 / 3) .
(3) الوافي 364 / 9 (4292) ؛ الدرر 437 / 1 (1057) ؛ المنهل 67 / 3 (539) ؛ النجوم 105 / 10 ؛ السلوك 658 / 2 .
(4) في السلوك 658 / 2 وفي الوافي : الماردني .

الأمراء الألوفا وزوجه بأبنته .

وأختصّ بعده بأبنة المنصور أبي بكر . وأثمهم أنه وشى به أنه يريد الفتك بقوصون فقام عليه قوصون وخلعه⁽¹⁾ . ثم إنه خذل قوصون وشغب عليه وركب تعاويقه⁽²⁾ عن الركوب حتى قبض عليه⁽³⁾ . وأقدم بعده على أطنبغا نائب الشام لما قدم وأخذ سيفه وقبض عليه فترفع ووقف فوق آغاه⁽⁴⁾ بهادر الدمرداشي فأسرّها في نفسه .

وأخرجه في أيام الصالح إسماعيل على البريد في خمسة سروج إلى نيابة حماه يوم [. . .] ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين . ثم نقل بعد شهرين إلى نيابة حلب عوضاً عن طقز دمر في أول شهر رجب منها ، فرض بعد قليل ومات مستهلاً صفر سنة أربع وأربعين وسبعائة .

وكان جميلاً كريماً صائب الخدس . أنشأ خارج باب زويلة من ظاهر القاهرة جامعاً في غاية الحسن أنفق عليه مالا كثيراً .

837 - أطنبغا التركيّ [642 -]

أطنبغا بن عبد الله التركيّ ، الأمير شمس الدين ، أحد أمراء مصر . ولي الغربية وغيرها ، وكان شهماً مقداماً ، له في الولاية أخبار دالة على فهمه وخبرته .

توفي ليلة السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة .

(1) قام على المنصور أبي بكر وخلعه في 19 صفر 742 بعد 59 يوماً من تسلطه (النجوم 16/10) .

(2) كلمة غير مفهومة ، ولعلّها : يعاوقه ، أعتماداً على ما في الوافي : وجعل يشاغله ويكسر مجاذيفه عن الحركة .

(3) قبض على قوصون في صفر سنة 742 .

(4) سيف الدين بهادر الغرتاشي كان آغا أطنبغا نائب الشام (الوافي 9/365) .

أَلطِنْبغا الحَاجِب ، الأمير علاء الدين ، نائب حلب ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

ترقّى في خدمه إلى أن ولّاه الحِجَويّة بحلب ، فأقام بها مدّة [. . .] . فلمّا مات الأمير سودي استقرّ عوضه في نيابة حلب لأَيّام من شهر رجب سنة أربع عشرة وسبعمئة فشكرت دربته بالأحكام . وعمرّ بها جامعاً حسناً .

ثم صرف بالأمير أرغون نائب السلطنة ، وقدم إلى مصر مع الأمير أَلجاي اللواداري في يوم السبت أوّل صفر سنة سبع وعشرين وسبعمئة . فأكرمه السلطان وخلع عليه وأسكنه بقلعة الجبل وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع الأمير أرغون النائب . واستقرّ الأمير أرغون في نيابة حلب [وبقي أَلطِنْبغا] عوضه بمصر من جملة الأمراء الكبار ، إلى أن ورد الخبر بموت أرغون نائب حلب ، فخلع على الأمير أَلطِنْبغا واستقرّ في نيابة حلب كما كان . في يوم الخميس عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين ، وسار إليها على البريد ففرح به أهل حلب . فتنكّر ما بينه وبين الأمير تنكّر نائب الشام . وأخذ تنكّر في الخطّ عليه . وأغرى السلطان بعزله وولاية طرغاي عوضه . فعُزل عن حلب بطرغاي وأحضر إلى مصر في سنة ثمان وثلاثين . فلمّا قدم لم يُقبل السلطان عليه وتركه على باب الإصطبل ، والسلطان يطعم الجوارح بالميدان حتى فرغ فأحضره .

وبقي مقيماً بالقلعة على إمرة طرغاي الطباخي وإقطاعه ، إلى أن قدم الأمير تنكّر في حادي عشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين . فبعث

(1) الوافي 9/ 361 (4291) ، الدرر 1/ 436 (1055) ، المنهل 3/ 53 (534) ،
النجوم 10/ 73 ، السلوك 2/ 614 .

السلطان [. . .]⁽¹⁾ الحاجب إلى الطنبغا أن يجهز أمره ولا يصبح إلا وهو سائر إلى غزّة ، وأردفه بتشريف نيابته ، إرضاءً لخاطر تنكز .

فسار من الغد وقد شقّ عليه ذلك ، فتألّم له الأمراء . فلما خرج تنكز من مصر عائداً إلى دمشق سار الطنبغا ليلتقاه بالداروم وعمل له سماً يليق به . فلم يأكل منه غير لقمة واحدة ، وركب ولم ييشّ لأطنبغا ولا استدناه حتى نزل بالميدان ظاهر غزّة ، فأكبّ الطنبغا يقبل / يده ، وكشف رأسه وأعترف [221 أ] بالخطأ . فأقبل حينئذ عليه وحادثه وأكل طعامه وطاب خاطره عليه ، ثم سار بعدما خلع عليه .

فلم يزل على نيابة غزّة إلى أن تغيّر السلطان على تنكز . [ف]كتب إليه نبياة دمشق . وأنّ الأمراء واصلون إليه بالعسكر حتى يسيروا معه إلى دمشق ، وأنّ الأمير طشتمر قد رسم له بالتوجه من صفد إلى دمشق ليجتمع هو والأمير قطلوبغا الفخريّ وأمراء دمشق ويقبضوا تنكز . فسُرّ بذلك أعظم مسرة ، وأخذ في الأهبة للمسير ، وقدم أحد نجّابته بمطافات إلى أمراء دمشق بذلك ، فبقوا على أتمّ استعداد إلى أن قدم عليهم الأمير طشتمر نائب صفد وقبض على تنكز كما ذكر في ترجمته⁽²⁾ ، وبعث به إلى مصر ، ونزل بالمدرسة النجيبية . وقام الأمير قطلوبغا الفخريّ وبقيّة أمراء دمشق بحفظ المدينة .

فقدم مملوك الأمير الطنبغا إلى الأمير طشتمر بعوده إلى صفد ، فتوجه إليها . وقدم العسكر من مصر إلى غزّة صحبة الأمير بشتاك ، والأمير أرقطاي ، والأمير برسبغا . فتلقاهم الأمير الطنبغا وأنزلهم ، ثم سار معهم يريد دمشق . فالتقوا مع تنكز على بيسان وهو محتفظ به ومروا لمقصدهم .

فقدم الأمير الطنبغا ، والأمير بشتاك ومن معهما دمشق في يوم الاثنين سادس

(1) أغفل القرينزي اسم هذا الحاجب في السلوك أيضاً 2 / 461 .

(2) ترجمة تنكز رقم 1034 .

المحرّم سنة إحدى وأربعين . فخرج الناس إلى لقاءهم ، ونزل الطنبغا بدار السعادة على العادة ، ونزل بشتاك بالميدان ، وتفرّق بقية الأمراء في عدّة أماكن .

وركب من الغد يوم الثلاثاء الطنبغا [إلى] الموكب ومعه الأمراء . وقبض على الأمير صاروجا المظفريّ ، والأمير ألبغا العادليّ ، وجنّية وطغية⁽¹⁾ ، وأوقعت الحوطة على موجودهم ، وعوقب جنّية وطغية وعوقب حواشيها وأسبابها ، ثم وُسّطت تحت قلعة دمشق . وأكحل صاروجا . وتبعت أموال تنكز ، وتولّى بيعها الطنبغا وأرقطاي مدّة شهر ، فكان في ذلك أعظم عبرة ، فإنّ تنكز لم يعرف عنه أنه قصد أحداً فخاب قصده ، إلّا في الطنبغا وأرقطاي ، فإنّه ما زال يحاول قتلها ، والأقدار تحول بينه وبينها ، بحيث إنّ السلطان كان يقول بعد قتله لتنكز : والله ما خلّصت الطنبغا وأرقطاي منه إلّا كما تخلّص من الأسد فريسته .

ونودي بدمشق : من [ترك] تنكز عنده وديعة [فل] يحضرها ، فإنّه كتب كلّ ماله في أوراق عند السلطان !

فخاف الناس وأتوا بما عندهم . وصودر جماعة كثيرة من الناس بدمشق وأخذت أموالهم فكانت أيام نكدات .

ثم رسم بتجهيز عساكر الشام لأخذ توريز . فتأهبوا لذلك وأنفقوا في إصلاح شأنهم مالاً كثيراً تكلفوا به . وبينما هم في ذلك إذ قدم الخبر بموت السلطان فبطلت التجريدة . وحلف الأمراء والعسكر [ل]لسلطان الملك المنصور أبي بكر ابن الناصر محمد ، فلم تطل أيامه وخلعه الأمير قوصون ، وأقام عوضه السلطان الملك الأشرف كجك ابن الناصر محمد ، وقصد أن يقبض أيضاً على الناصر أحمد بالكرك ، وبعث إليه تجريدة مع الأمير قطلوبغا الفخريّ ، وأخرج

(1) « وهما من أئام تنكز » (أي أتباعه) . السلوك 2 / 507 .

بقية أولاد السلطان الملك الناصر محمد من قلعة الجبل إلى قوص . فغضب لذلك الأمير طشتمر نائب حلب وبعث يعيبه على ذلك و[أ]نكر على الأمير بيبرس الأحمدى موافقة قوصون على هذا . فقبض قوصون على مملوك نائب حلب⁽¹⁾ ، وكتب إلى ألتنبغا يحذره من موافقة نائب حلب ويستميله إليه . وسير له إنعاماً سنياً ووعده عدة مواعيد . فقال إليه وصار من حزيه .

هذا وقد اتفق الأمير قطلوبغا الفخري مع الناصر أحمد بالكرك على سلطنته ، ووافقه طشتمر نائب حلب وغيره من الأمراء . فأخذ ألتنبغا يحترس على الطرقات ، وكتب يعرف الأمير قوصون بذلك كله . فكتب إليه أن يتوجه إلى حلب ويقبض على طشتمر نائبها ، وكتب / إلى نواب صفد وحمص وحماه [221 ب] وطرابلس بالمسير معه ، وبعث إليهم بالتشاريف والخلع والنفقات .

فسار في يوم الجمعة [. . .] جمادى الآخرة ، وقد أشدَّ المطر ، والناس يدعون عليه أن لا يسلمه الله ! - فإنَّ العامَّة كانت تكرِّهُه وتسبُّه في وجهه وتدعو عليه . فنشب سِنان شَطَفَتِه⁽²⁾ من خلفه في سقيفة [ف]انكسر فتقلَّعوا عليه بالشؤم .

ومضى فلقية أرقطاي نائب طرابلس على حمص . وكتب إلى طقزدر نائب حماه أن يتلقاه ، فأعذر بوجع رجله - وكان قد مال مع الناصر أحمد ، وبلغهم عنه ذلك . فبعث إليه ألتنبغا من حلفه أنه باقٍ على طاعة الأشرف كجك ، ومضى إلى حلب . فورد عليه الخبر في سلمية بفرار طشتمر من حلب يريد بلاد الشرق حتى نزل أبلستين وتوجَّه إلى قيصرية⁽³⁾ . فدخل ألتنبغا حلب بغير مانع . وكتب يعرف قوصون فرار طشتمر . وأخرج أمواله وباع موجوده .

(1) نائب حلب : هو طشتمر حمص أخضر ، النجوم 31 / 10 .

(2) الشطفة : الراية .

(3) أبلستين : مدينة ببلاد الروم (الأناضول) قرب أبهس مدينة أهل الكهف .

قيصرية : مدينة كبيرة بآسيا الصغرى (الأناضول) .

فأتاه الخبر بأن الأمير قطلوبغا الفخريّ قد سلطن الناصر أحمد بالكرك وسار من عنده إلى دمشق ، وقد مال معه آقسنقر السلاريّ نائب غزّة وأصلم نائب صفد وطقز دمر نائب حماه ، وأستخدم بدمشق الأجناد وجمع الأموال من الناس وخرج إلى خان لاجين . فكتب يعرف قوصون بذلك . فجرد [قوصون] من أمراء مصر برّسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب في جماعة ، وساروا في أخريات رجب إلى غزّة . فسار آقسنقر منها إلى قطلوبغا الفخريّ بدمشق . فسار من حلب إلى حمص وحلّف من معه . ثم سار حتى وصل خان لاجين ظاهر دمشق ومعه عشرة آلاف فارس ، وقد برز إليه قطلوبغا الفخريّ في ثلاثة آلاف فارس . فتردّدت الرسل بينها ثلاثة أيّام بلياليها فلم يرجع أحد منها إلى صاحبه ، ووقف مع غرضيه : الطنبغا في نصرة قوصون ، والفخريّ في نصرة الناصر أحمد حتى ضجرت العساكر . ثم ركب الطنبغا بكرة نهار [. . .] ⁽¹⁾ بمنّ معه ليحمل على الفخريّ ، قال منّ معه إلى جهة الفخريّ وصاروا معه . فلم يبقَ مع الطنبغا سوى أرقطاي نائب طرابلس في قليل من أمراء الشام ، منهم أسبغا ابن البوكري وأيدمر المرقبيّ . فساروا إلى المرج وقصدوا طريق صفد ، وأحمد مشدّ الشرايحاناه أحد أمراء طرابلس ، ومعه جماعة ، في طلبهم . فلم يقدروا عليهم وعادوا عنهم .

فحُطب في دمشق لأحمد الناصر ، وكان برسبغا ومن معه قد دخلوا غزّة فكتبوا إلى قوصون بهزيمة قطلوبغا الفخريّ . ثم قدم عليهم الطنبغا بمنّ معه غزّة وقد بلغوا الجهد من التعب فتزلوا بها وبعثوا بخبرهم إلى قوصون . فكثرت اضطرابه وبعث لالطنبغا ومنّ معه بالأقبية والأقمشة الفاخرة ، وكان ما أرسله لكلّ من الطنبغا وأرقطاي ثلاثين بدلة قماش ، وثلاثين قبا ، مُسنَجَباً ⁽²⁾ بطرز زركش ، ومائتي كلفتاه ، ومائتي خفّ ، سوى كساوي ممالكها وغلانها وحاشيتها .

(1) في السلوك 585/2 : من الغد ، دون تنقيح . ولا ذكر لليوم في النجوم 36/10 .

(2) مسنجب : محشوّ بفرو (دوزي : ألبسة 328) .

وشرع في تجهيز أمره للسفر ، فأختلف الأمراء عليه وأمسكوه كما ذكر في ترجمته .

وكان الطنبغا وأرقطاي قد سارا بمنّ معها من غزّة ونزلوا على مدينة بليس . فبعث إليهم قوصون بتلجك ابن أخيه أن يلقوه تحت القلعة في يوم الاثنين ثامن عشرين رجب . فلم يرحلوا عنها إلّا ⁽¹⁾ يوم الثلاثاء . وعندما وصلوا إلى سرياقوس جاءهم الخبر بركوب الأمراء على قوصون ، وأنه محصور بالقلعة . فساروا إلى بركة الحجاج ، وإذا بطلّب قوصون مع مائة من مماليكه قد خرجوا حميّةً ليعرفوهم ما بأستاذهم ، فمضّوا كما هم حتى وصلوا تحت القلعة . فقصدهم / الأمير أيدغمش ومن معه من الأمراء وسلّم عليهم وأصعدهم إلى [222 أ] القلعة . ثم قبض على الطنبغا وأرقطاي من الغد يوم الخميس مستهلاً شعبان في سبعة عشر أميراً .

وكتب بأستدعاء الناصر أحمد من الكرك ، والأمير قطلوبغا الفخريّ من دمشق ، ويعلمها بمسك قوصون والطنبغا وأرقطاي فيمنّ أمسكه . فقدم الناصر أحمد وأستقرّ في السلطنة . وبعث بالطنبغا وغيره من المسوكين إلى الإسكندرية فسُجنوا بها ، ثم قتلهم واحداً بعد واحدٍ . فلما دخلوا على الطنبغا وجدوه قد تأهّب للموت وتوضّأ وشدّ من تحته حفاظاً ⁽²⁾ وأستقبل القبلّة . فأخذوا يعتقونه على فعله وهو لا يكثرث بقولهم . فلما أكثروا عليه قال : نحن حفِظنا اليمين التي حلفناها لابن أستاذنا - يعني الأشرف كجك - وبقينا عليها إلى هذه الساعة . فقالوا له : أوصِ بما تريد .

قال : ما لي أحدٌ أوصيه على ولدي ، وقد وكلّته إلى الله .
ثمّ أستلقى وغطّى وجهه فخنقوه حتى مات ، وذلك في أوّل ذي القعدة

(1) في المخطوط : الى . وقراءتنا أوفق لما في النجوم 39 / 10 : فلم يوافقته على السرعة .

(2) حفاظ : حزام تحتيّ لآلتقاء الإسهال (دوزي) .

سنة اثنتين وأربعين وسبعائة ، وقد تجاوز الخمسين سنة .

وكان خبيراً له دربة بالأحكام وطولة روح في المحاكات ، مليح الشكل ،
مجيداً للعب بالرمح ورمي النشاب والكرة ، فارساً معدوداً من الأبطال ، قوياً لم
يقدر أحد أن يصصره . وكان سخياً لا يدخر مالاً ، ولا يتجر ولا يعمر ملكاً ،
فريداً في أبناء جنسه ، إلا أنه لم تساعده الأقدار في نيابته بدمشق . وكانت أيامه
كثيرة الشور والأكناد . وركب هواه في معاندة طشتمر نائب حلب حتى كان ما
كان .

839 - أَلْطُنْفُشُ الْجَمَالِيِّ [745 -]⁽¹⁾

كان مملوك الأفرم ، ثم تنقل في الخدم بعده . وولاه الناصر محمد الشرقية .
ثم استقرّ أستاذاراً لابن السلطان آتوك⁽²⁾ ، ثم استقرّ أستاذار السلطان .
وكان شهماً كثير العصية لمن يُعنى به ، مع سوء معاملة .
ومات في سنة خمس وأربعين وسبعائة ، وهو صاحب التربة بالقرب من
جامع الماردانيّ .

840 - أَلْمَاسُ الْحَاجِبِ [734 -]⁽³⁾

أَلْمَاسُ النَّاصِرِيُّ الْحَاجِبُ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة
محمد بن قلاوون .

(1) الدرر 1 / 438 (1061) ؛ السلوك 2 / 674 ، وهو فيه أَلْطُنْفُشُ بِالْقَافِ .

(2) آتوك ابن محمد بن قلاوون ، ترجمته آتية برقم 847 .

(3) الوافي 9 / 370 (4296) ؛ الدرر 1 / 438 (1063) ؛ النجوم 9 / 301 ؛ المنهل

3 / 89 (548 م) ؛ السلوك 2 / 365 .

ترقى في الخدم حتى صار من أكبر أمراء الدولة ، وأستقر حاجباً . فلما أخرج السلطان الأمير أرغون النائب إلى نيابة حلب شغل منصب النيابة ، فعظمت رتبة ألماس وجلس في منزلة النيابة ، إلا أنه لم يسم بالنائب ، وركبت الأمراء في خدمته عن آخرهم ، وجلس بباب القلعة من قلعة الجبل في رتبة النيابة ، ووقف الناس بين يديه .

وما زال على ذلك إلى أن حجّ السلطان سنة اثنتين وثلاثين [وسبعائة] وتركه بالقلعة ومعه الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، والأمير أقبا عبد الواحد ، والأمير طشتمر حمص أخضر ، ولم يدع سوى هؤلاء الأمراء ، بل أخذ منهم طائفة في خدمته وقرق بقيتهم في أعمال مصر ، وتقدم إليهم أن [لا] يدخلوا القاهرة حتى يعود من حجّه .

فلما قدم من الحجاز تغير على ألماس وقبض عليه في صفر . وذلك أنه بلغه عنه أنه كان مدة الغيبة يرأسل آقوش نائب الكرك ويؤادده - وكانت العادة لأنّ الأمراء لا يخالط أحد منهم الآخر - وأنه بدت منه مع ذلك قبائح من معاشرة الأحداث ومن كلام حفظ عليه في حقّ السلطان ، وأنه شغل بشاب من أولاد الحسينية خارج القاهرة يعرف بعمير كان ينزل إليه ويجمع الأويراتية مع عمير هذا ويعاقرهم الخمر . وأضيف إلى هذا كله أنّ الأمير بكتمر السّاقى لما مات بطريق الحجاز وجد فيما وجد له حرمدان⁽¹⁾ فيه جواب ألماس له يتضمن : إنّي أحفظ لك القلعة إلى أن تجيء .

فلم يحتمل السلطان ذلك ، وسلّمه بعد القبض عليه / لأقبا عبد الواحد ، [222 ب] فحُتق بعد ثلاثة أيّام بقلعة الجبل في ليلة الثاني عشر من صفر سنة أربع وثلاثين وسبعائة . وحُمّل إلى جامع خارج باب زويلة فدُفن فيه . وأحيط بموجوده فوجد له ستّائة ألف درهم فضّة وأربعة آلاف دينار ذهباً وفلوس بمائة ألف

(1) الحرمدان : كيس أو خريطة من جلد (دوزي) .

درهم ، وثلاثون حياصة من ذهب ، ومثلها كلوتات من ريش ، ومثلها خلع حرير ، سوى جواهر وتحف نفيسة . وأخذ رخام داره المجاور لجامعه وكان فاخراً .

وكان المأس أغتم لا يعرف العربية ولا يفهم منها شيئاً .

841 - الحاج آل ملك [747 -]⁽¹⁾

آل ملك ، الأمير سيف الدين . الحاج .
أخذه الظاهر بيبرس في سنة ستّ وسبعين وستّائة من كسب الأبلستين لما دخل بلاد الروم ، فصار إلى الأمير قلاوون فأنعم به على ابنه أمير عليّ .
وترقى في الخدم أيام سلطنة المنصور قلاوون حتى صار من الأمراء . وطالت أيامه ، فاستقرّ في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من رؤوس المشور . وما زال جليل القدر حتى كانت أيام الناصر أحمد بن محمد [ف]أخرجه إلى نيابة حماه . وأعاد الصالح إسماعيل بن محمد وعمله نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن أقسقر السلاري في يوم الجمعة ثاني عشر المحرم سنة أربع وأربعين [وسبعمائة] ، وجلس من الغد بشباك النيابة .

وأول شيء بدأ به أن بعث والي القاهرة إلى خزانة البنود بالقاهرة فكسّر ما فيها من أواني الخمر وأخرج منها الأسرى . وكان الناصر محمد قد أسكن بها النصارى المأسورين عند مجيئه من الكرك ، فكثّر عددهم وأكثروا من اعتصار الخمر حتى بلغت عدّة جرار الخمر الذي اعتصروه في سنة واحدة اثنتين وثلاثين ألف جرة وتظاهروا ببيع الخمر فقصدتهم أهل الفسوق من الرجال والنساء

(1) الوافي 372/9 (4297) ؛ الدرر 439/1 (1064) ؛ المهمل 85/3 (547) ؛
النجوم 175/10 ؛ السلوك 723/2 .

والمردان ، وصارت حانة يُعلن فيها بأنواع الفواحش من الزنا واللواط والقمار وشرب الخمر ، وأنفسدَ بها كثير من نساء الناس وأولادهم ، ولم يقدر أحدٌ على إنكار ذلك .

فنزّل إليها الوالي والحاجب وأزالوا ما كان بها من الفساد وهدموها كلّها .
وأشترى الأمير قماري الأستاذار أرضها وحكّرها فُتِنَتْ بها الدور .

وطلب الأمير آل ملك أيضاً والي قلعة الجبل وألزمه أن يكبس بيوت الأسرى بها ويريق ما بها من الخمر ، ففعل ذلك وأنزلهم من القلعة ، فسكنوا في مواضع وزال بذلك فساد كبير .

ومنع من نصب الخيم على شاطئ النيل وكانت من أعظم المفاسد فانكفّ الناس عن التظاهر بالمعاصي .

وأنعم عليه زيادة على إقطاع النيابة بناحيّتي المطرية والخصوص من الضواحي وعبرتهما أربعمئة ألف وخمسون ألف درهم . وصهار إذا شُكي إليه والي عمل كتب إليه في ظهر قصّة الشاكي ، وينكّت على الناس فيما يوقع به : فوقع لأمر عشرّة طلب زيادة على إقطاعه بمائتي فدّان من الجبل الأحمر ! ووقع على قصّة سأل رافعها أن يقسّط ما عليه من الدين بما مقاله : [بسيط] :

ومن تقاضى ديون الناس يوفيهما

وأرتفع إليه جنديان قد تقايضا⁽¹⁾ بإقطاعيهما وزاد أحدهما الآخر مبلغاً .
فأخرج الإقطاع عنهما وحمل المبلغ لبيت المال .

وبعث بمرسوم السلطان إلى الأعمال بإبطال جميع ما استجدّ في الدول المنصورية أبي بكر والأشرف كجك والناصرية أحمد والصالحية [إسماعيل] من

(1) تقايضا : تبادلا .

راتب أو رِزْقَةً⁽¹⁾ أو إقطاع وأن تعود الأمور على ما كانت في الأيام الناصرية محمد . وجدّ في إراقة الخمر ومعاقبة شرّبة الخمر . فلم يوافق الوقت ، وثقل على أهل الدولة وكرهه حاشية السلطان ، فإنّه كان إذا طلب منه أحد إقطاعاً أو مرتباً يقول له : أذهب إلى باب الستارة وأطلب فلان الطواشي - أو : توسّل إلى بعض المغاني⁽²⁾ تقضي حاجتك .

[223 أ] فلمّا قام شعبان في طلب السلطنة بعد أخيه الصالح إسماعيل / لم يوافق الحاج آل ملك على أن يكون سلطاناً . فغلب وتسلطن شعبان الكامل . وأخذ آل ملك يستعني من النيابة ، فصرفه عنها وولّى عوضه الأمير آقسنقر الناصريّ نائب طرابلس .

وخلع عليه في يوم السبت ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وأستقرّ في نيابة الشام عوضاً عن الأمير طقزتمر وأخرج من يومه على البريد . فلم يدخل غزّة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد وأن يكون أبنته وابن أخيه بحلب . فباشّر نيابة صفد وتشدّد على عادته في إنكار المنكر إلى أن بعث إليه الكامل بمنجك السلاح الدار يستدعيه إلى مصر على إقطاع الأمير جنكلي بن البابا بعد موته ، فسّر بذلك وخرج من صفد أوّل المحرم سنة سبع⁽³⁾ وأربعين ومعه مقدمة السلطان فيها نحو سبعين فرساً وكثير من الهجن والبخاقي ، وعشرون بقجة قماش . فلمّا وصل غزّة قبض عليه وقيد وأحيط بمأ معه ، وحُمِل سيفه إلى السلطان على العادة ، وحُمِل هو إلى الإسكندرية فسُجن بها . فوجد في شؤنه نحو ثلاثين ألف إردب غلّة .

وما زال محبوساً حتى قُتل في محبسه ، ونُقل إلى القاهرة فدُفن يوم الجمعة

(1) الرزقة : الاعطية ، وخصوصاً ما يعطى لنفقات المساجد .

(2) المغاني هنا : المغنّيات المطربات في الحفلات .

(3) في المخطوط : ثمان . والإصلاح من السلوك 2 / 699 .

تاسع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة .
وله بالقاهرة مدرسة وحمّام ، وبالحسينية جامعٌ . وكان جماعاً للمال يفعل
فيه الخير ، ويحبّ أهل العلم والصلاح . وخرّج له الشهاب أحمد بن أبيك
[الدمياطي] مشيخة حدّث بها وهو بشبّاك النيابة من القلعة .
وكان مهاباً محتشماً .

842 - أمية بن عبد العزيز [(460) - 529] ⁽¹⁾

أمية بن عبد العزيز . الحكيم ، الأديب البارع ، أبو الصلت ،
الإشبيلي ⁽²⁾ . قدم مصر في سنة ستّ وتسعين وأربعمائة . وهرب منها في سنة
ستّ وخمسمائة ، وذلك أنّه غرق مركب من مراكب الديوان بالإسكندرية وفيه
جملة من مال السلطان ، فعظم ذلك على قاضي الإسكندرية ومشارفها مكين
الدولة وأمينها أبي طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد . فجاءهم أبو الصلت ،
وكان بالإسكندرية ، وألّزم بإخراجها من البحر بجميع ما فيها من البضائع .
فبعث ابن حديد يستأذن الأفضل ابن شاهنشاه أمير الجيوش في ذلك فأذن له .
فأقترح أبو الصلت عليه عملَ حبالٍ من الحرير الخوارزمي والجرجاني الرفيع ،
وإحضار السّنديان الأسود لعمل ذلك ، فأحضر له ذلك .

وأراد ابن حديد أن يجمع له من في البلد ليجرّ الحبال فأبى [أبو] الصلت
وقال : « جمع قليل يكفي » . وخرج ابن حديد والناس عندما فرغ أبو الصلت
من عمله ليروا جرّ المركب . فانتخب أبو الصلت مائة وخمسين رجلاً لجرّ
المركب [ة] بعدما أحكم الحبال فيها وهي غارقة في البحر . فلم يزالوا في جرّها إلى

(1) الوافي 402/9 (4333) ؛ معجم الأدباء 52/7 ؛ وفيات 243/1 (104) ؛

الخريلة (قسم المغرب) 91/1 ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء 501 .

(2) في الوفيات وغيرها : الداني .

أن ظهرت . فكأثر الرجال في الجر فأنقطعت الحبال وردت في وجوه الناس وصدورهم فأتلفت عدة منهم . وشقّ على ابن حديد تلّف الحبال . فغضب أبو الصلت منه لإعراضه عن استحسان ما فعله . وصوّت استهزاءً به في الملاّ العظيم من الناس . فطالع ابن حديد الأفضّل بذلك وأغراه بأي الصلت وأنه أتلف المال وأنه أثر في الرجال آثاراً قبيحةً ، ولم يف بالشرط بإخراج المركب . فأعيد الجواب بحمله فحُمِل إلى القاهرة وسُجِنَ بالمعونة ، وفيه ألف كتاب الحديقة ورسالة الأسطراب .

ولمّا قرّ لحق يحيى بن المعز بن باديس الصنهاجيّ صاحب المهديّة وأقام بها حتى مات يوم الاثنين مستهلّ المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وكان كما قال في حقّه العماد الأصفهانيّ أوحّد زمانه وأفضل أقرانه ، متبحراً في العلوم ، وأفضل فضائله إنشاء المنثور والمنظوم . وكان له القدرة على علم [223 ب] الأوائل ، وله الباع الأطول في المنطق والأصول . وله مصتفات ، منها : / الحديقة ، على أسلوب يتيمة الدهر للثعالبيّ ، والرسالة المصرية ، تجري مجراها . وله : تقويم الدهر في المنطق ، وغير ذلك . وله ديوان شعر فائق .

843 - أمير كاتب [685 - 758]^(١)

أمير كاتب ، ابن أمير عمر ، العميد ، ابن العميد أمير غازي . الشيخ قوام الدين ، أبو حنيفة ، الفارابي ، الأتقاني ، الحنفي . ولد بأثقان ليلة السبت تاسع عشر شوال سنة خمسٍ وثمانين وستّائة . وقدم دمشق في عاشر رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ، وأجتمعت بنائها الأمير

(١) المنهل 3/ 101 (554) ؛ الدرر 1/ 442 (1078) ؛ النجوم 10/ 325 ؛ السلوك 37/ 3 .

سيف الدين يلبغا اليحياوي ، وأختصّ به . وذكر له مسألة رفع اليدين في الصلاة وأدعى بطلان الصلاة بالرفع . فقام عليه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ووهى قوله .

ثم إنه طُلب إلى القاهرة فقدمها ثاني ربيع الأول سنة إحدى وخمسين فراح على الأمير صرغتمش فعظمه ، وولاه تدريس مدرسته لما بناها بالصلبية خارج القاهرة .

وكان قد قام في أيام الملك الصالح صالح⁽¹⁾ على الشافعية . وسعى في إبطال المذهب جملة حتى كاد يتم ذلك . لولا [أن] تدارك الله بلطفه وخيب سعيه .

ومات يوم السبت حادي عشرين شوال سنة ثمان وخمسين وسبعائة بالقاهرة .

وكان قيماً بمذهبه - كتب شرحاً كبيراً على الهداية⁽²⁾ - شديد التعصب على الشافعية ، يتظاهر بتنقضيهم والطعن عليهم ، ويصرّح بأنه لو تحكّم فيهم لأتلفهم ، ويتمنى ذلك ويجهّد فيه ويبذل جهده في إزالتهم من أرض مصر والشام .

وكان شديد الإعجاب بنفسه كثير المدح لها والفخر على الناس . يرى أن كلّ أحدٍ دونّه .

وكان عارفاً بالعربية واللغة . يقول شعراً سمجاً .

(1) تسلطن الملك الصالح صلاح الدين ناصر في جمادى الثانية سنة 752 .

(2) واسمه غاية البيان (المهل) .

ابن السلطان الملك العادل كتبغا .

ولد بمصر ونشأ بها . وعانى الفروسيّة ، وأكثر من الرمي بالسّهام حتى كان يرمي على قوس زنته تُثيف على مائة وثمانين رطلاً بالمصريّ .

وشهد مع الملك خليل حصار عكّة وأصاب كثيراً من أهله بسهامه ، فصوّب عليه أحدهم بسهم أصابت عينه حتى خرج النصل من قفاه فتلفت عينه ، ثم بعد قليل ذهب ضوء أختها . فلما ملك أبوه لقبه بالمجاهد .

حجّ في سنة أربع وتسعين وستّائة ، ومعه الأمير سيف الدين طنجني ⁽²⁾ وغيره من الأمراء . ففرّق مالا عظيماً : أنعم على الشريف أبي اليمن أمير مكّة بعشرين ألف درهم ، وعلى أولاده بعشرة آلاف درهم ، وعلى الأمير طنجني بمائة وستين ألف درهم ، منها بدلة كلّها زركش فيها قبا تترى فيه ألف دينار . وفرّق على الغلمان والفقراء ثمانين ألف درهم .

وعمل طول الطريق روايا مملوءة سكرًا وسويقًا ونحوه . وفرّق حلوى كثيرة حتى بيعت العلبة [من] الحلواء بدرهمين والرطل السكر بدرهم ونصف . وخلع على جميع من معه من الأمراء والأجناد وغيرهم .

فلما ثار الأمير حسام الدين نائب السلطنة بمنزلة العوجاء من طريق الشام على الملك العادل كتبغا ، وهزمه ، وتسلطن عوضه ⁽³⁾ ، طار الخبر إلى مصر ، فأراد الأمراء المقيمون بديار مصر إقامة المجاهد ابن كتبغا في السلطنة . وأخرج

(1) الدرر 1 / 445 (1081) ؛ السلوك 2 / 252 .

(2) هكذا في المخطوط ، ولعله : طنجني .

(3) تسلطن لاجين في محرم 696 ؛ السلوك 1 / 826 .

الأمير كرتاي نائب الغيبة المالَ لنفقة العساكر ، وتحليفهم للمجاهد . فقال
المجاهد : متى سُمع أنّ السلطان كان أعمى ؟ وليس قصدي سوى الحياة ، وهذا
يوجب قتلي⁽¹⁾ .

وأمتنع منهم إلى أن حضر طقسبا الظاهريّ من قبل لاجين ، وحلف الأمراء
له ودخل على المجاهد فقال له : إن مات أبي ، فما مات مهما كان عمّي يعيش -
يعني لاجين .

فلَمَّا قدم لاجين وملك قلعة الجبل رعى له ما فعله وأكرمه وخلع عليه ،
[224 أ] وأنزله في بيت أبيه بالقاهرة . فاستمرّ به إلى أن مات يوم الثلاثاء ثالث المحرم /
سنة ثلاث وعشرين وسبعائة .

وكان كريماً حشماً جليلاً ذكياً . يركب مع عمه إلى الصيد ، وكأنه ذو
عينين ، لا يخطيء في حركة من الحركات ، ما بين إرسال الجارح على الصيد ،
وسوق الفرس تحته ونحو ذلك . وإذا وقف له أحد وسمع حسّه رماه بالبنّاق فلا
يخطئه . وكانت مواهبه وعطاياه خارجةً عن الحدّ في الكثرة .

وكان السلطان الملك الناصر يعزّه إذا حضر إليه ويكرمه ويسأله عن
حواله ، يقول : ما أحسن إليّ أحدٌ بعد موت أبي ما أحسن إليّ [أنص]⁽²⁾
هنا . وكانت إخوته تسيء عليّ الأدب وتبغضني ، فإذا بلغه ذلك عنهم أخرجهم
هم ، وطلبني ، وأكرموني ، وأجلسني على مخدّة ، ويرضيني بكل شيء حسن ،
ولا يخاطبني إلّا بـ « سيدي » ويبرّني بذهبٍ له صورة .

فلَمَّا مات أكرم السلطان أولاده وأقرهم على أوقافهم ، واشترت خوند
طغاي أم أنوك⁽³⁾ دار أبيه كتبها بالقاهرة بمائة وعشرين ألف درهم .

(1) في الدرر : وهذا يجعل موتي ، وأنا لا أبصر .

(2) الزيادة من الدرر 1 / 446 .

(3) هي زوجة الناصر ابن قلاوون (ت 749) .

845 - أنوشكين الدزبري [433 -]⁽¹⁾

أنوشكين أبو منصور الدزبري التركي الختني .
كان يلقب بالأمر المظفر ، أمير الجيوش ، عدّة الإمام ، سيف الخلافة ،
عضد الدولة ، شرف المعالي ، منتخب الدولة ، مصطفى الملك .

ولد بختن⁽²⁾ من بلاد [ما] وراء النهر . وسُي فبيع بكاشغر . وهرب منها
إلى بخارى فاسترقّ بها . وحُمِل إلى بغداد وبيع بها . وجلب إلى الشام ، فأشتراه
بدمشق القائد دزبر بن أوتيم الديلمي في سنة أربعائة ، وربّاه فعُرف بالشهامة
والشجاعة وإصابة الرأي . وأشهر ذكره حتى اتّصل خبره بالخليفة الحاكم بأمر
الله أبي علي منصور ابن العزيز ، فأستدعى به من القائد دزبر فحمّله إليه ومعه
هدية سنّية . وسيّره من دمشق فدخل إلى القاهرة في سنة ثلاث وأربعائة .

ومثل بخضرة الحاكم فجعله من جملة الغلمان الحصريّة . وظهر منه عقل
وأدب وشجاعة وفطنة وذكاء فأمره بلزوم الخدمة من سنة خمس وأربعائة .
فواظب خدمة الحاكم فأعجب به ، وأحبّه الأجناد ، فطوّقه الحاكم وسوّره
وجعله قائداً وبعثه إلى الشام مع سديد الدولة ذي الكفایتين أبي الحسن علي بن
أحمد المعروف بالضيف في سنة ستّ وأربعائة .

فلما قدم دمشق تلقّاه القائد دزبر الذي كان أستاذه وترجّل له عن فرسه إلى
الأرض وقبّل يده وأهدى إليه عدّة هدايا . فلما عاد إلى القاهرة من هذه
السفرة ، لازم الخدمة . ثم خلع عليه وجرد في السفارة .
ثم ولي بعلبك فظهر منه عدل في أحكامه وإنصاف للرعية . وكثر الثناء

(1) الوافي 9/ 425 (4361) ؛ ذيل تاريخ دمشق 71 .

(2) ختل باللام في الذيل .

عليه . فاستدعي إلى القاهرة ، وسار حتى بلغ العريش . وتلقاه كتاب [ب-]ولاية قيسارية فتأفف من ذلك ، وسار إليها من العريش . ثم إنه استدعي من قيسارية إلى الحضرة . فلما وافى الرملة خرج إليه [هـ] سجلّ بولاية فلسطين [من] قبل الظاهر لإعزاز دين الله عليّ ابن الحاكم ، فقدمها في المحرم سنة أربع عشرة وأربعمائة .

فخافه حسّان بن مفرّج ، وكانت له معه حروب كثيرة كان له في جميعها الظفر . فنتى عليه حسّان وأغرى به الوزير حسن بن صالح الروذباري فتوغّر صدره عليه ، وسعي به إلى أن قبض عليه بعسقلان في سنة سبع عشرة وأربعمائة . فقام في أمره الأستاذ سعيد السعداء صاحب القلم عند الظاهر ، إلى أن أعاده إلى الخدمة ، وردّ عليه إقطاع [هـ] وأمواله .

ولم يزل بالقاهرة إلى أن فسد أمر بلاد الشام بتغلّب العربان عليها . وأقتضى الحال إخراج عسكر من القاهرة فعينه الوزير عليّ بن أحمد الجرجاني / وأقامه [224 ب] على العسكر وكتب له أمير الجيوش وأطلق له خمسة آلاف دينار وأصبحه صدقة ابن يوسف الفلاحيّ ناظرًا في الأموال ، وذلك في ذي القعدة سنة تسع عشرة وأربعمائة . وخرج في سبعة آلاف فارس سوى العرب والرجالة . وركب الظاهر لوداعه .

وسار إلى الرملة ثم إلى القدس ، وجمع العساكر ، وحارب حسّان بن مفرّج وأوقع بصالح بن مرداس ، فانهزم منه حسّان ، وقتل صالح ، وأستباح عسكريّها . وبعث بذلك إلى المستنصر فأجيب بالثناء والشكر ، وزيد في ألقابه : منتخب الدولة ، سيف الإمامة ، عدّة الخلافة ، مصطفى الملك .

وسار بعد هذه الواقعة إلى حلب فحاربه صاحبها شبل الدولة صالح بن نصر بن مرداس على حمّاه . فقتل في سنة تسع وعشرين ، وحمل رأسه إلى القاهرة . وعاد الدزيري إلى دمشق ، ثم سار عنها إلى حلب ، وملكها . وقد كتب له المستنصر بمملكة حلب ملكاً ، فأحسن إلى أهلها . واستولى على بالس

ومنبج . ثم عاد إلى دمشق . وكانت بينه وبين الروم في سنة ثلاثين وأربعمائة حروب ظفّرهُ الله فيها ونصره . وبعث إلى الخليفة المستنصر بالله نزار ابن الظاهر يخبر ذلك . فأجيب بالثناء عليه والشكر وزيد في ألقابه : عدّة الإمام .

ولمّا عظم شأنه أطرح الوزير الجرجانيّ وقصّر به ، فغضب من ذلك .

وظهر في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بقلعة حلب نصف رأس زكريا النبي عليه السلام ، في جُرنٍ من رخام مكتوب عليه اسمه ، وهو باقٍ بلحمه . وكان هذا الرأس ظهر بطبريّة وحمل منها إلى حلب في أيام سيف الدولة [. . .]⁽¹⁾ ، فبنى عليه الذيربي ضريحاً .

وسار إلى أرمناز⁽²⁾ وجاهد الروم مرّة ثانية وأستخلص منهم عدّة من المسلمين كانوا عندهم في الأسر . وعاد إلى حلب . ثم سار منها إلى دمشق في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة وأقام بها وشرع في بناء الإمارة بها . فاتصلت به أمور من جهة مصر ، وأنّ الجرجانيّ في التدبير عليه . فأقتضى ذلك نفوره ، وأعمل الحيلة في المسير إلى حلب . وأحسنّ به العسكر فثاروا عليه وقاتلوه ونهبوا دار الإمارة بدمشق ، فانهزم ليلاً وخرج إلى حلب فوافاه بها كتاب المستنصر يتضمّن مخاطبته بغير ألقاب ، ويقبّح عليه فعله ، ويزري به ويعلّد مساوئهُ ويهدّد تهديداً كثيراً . فأجاب وهو يطلب العفو وأعتذر عن مسيره إلى حلب . فلم يُقم غير ليال قليلة ومات يوم الأحد رابع عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث⁽³⁾ وثلاثين وأربعمائة . فدُفن بحلب ثم نقل منها إلى بيت المقدس . وكتب المستنصر إلى سائر البلاد الشاميّة بأنّ تابوته إذا مرّ ببلد يخرج أهل تلك البلد ويصلّون عليه ويمشون خلفه . وسير إليه ثوب من ثياب الخليفة كُفّن فيه . وحُمِلَ من حلب إلى

(1) هنا كلام مقحم : وبين عساكر المصريّين غلب فيها سيف الدولة وحملهُ الى حلب .

(2) أرمناز : على خمسة أميال من حلب .

(3) في الاثناظ 2/ 188 : نصف جمادى الآخرة 432 . وفي الذيل 78 : جمادى الأولى

436 . وفي ترجمة ثمال بن مرداس (رقم 1045) : في النصف من جمادى الأولى .

القدس ، فلم يَمَرَّ ببلد من البلاد ، إلا أخرج عامّة أهله وصلّوا عليه ومشّوا خلف تابوته وشيّعوه حتى دُفِنَ بالقدس .

وكان رحمه الله حسن السيرة محمود الطريقة وافر الذكاء ، مظهرًا للعدل متينَ الدين . وفي آخر عمره انحرف عن مذهب الإسماعيلية ، وكان هذا أعظم أسباب الوحشة بينه وبين أهل الدولة بمصر .

وخلف بعد موته ستمائة ألف دينار عيناً ، وترك آلاتٍ وعروضاً قومت بمائة ألف درهم . ونهب له من القصر بدمشق مائتا ألف دينار . ووجد له بديار مصر وبلاد فلسطين مبلغ مائتي ألف دينار . ووُجد له عند التجّار مبلغ خمسين ألف دينار .

وكانت له مائدة من الفضة تنقسم على أربع قطع وتجتمع بزرافين حسنة الصنعة ، وزنها بالرطل الشاميّ / مائة وثلاثون رطلاً . [225 أ]

وكان إذا دخل إلى مدينة يكون معه ألف بوق وستائة قصبة فضّة وثلاثمائة بوق فضّة صغار ، وثلاثمائة جنيب ، منها ثلاثون عليها سروج الذهب والزمرد والعنبر .

ومن جميل أفعاله أنه لما كان بالقاهرة بلغه أن ببعض بلاد الصعيد نخلة تحمل في كلّ سنة عشرة أراذب ثمرًا فأخذها ، فلم تحمل في تلك السنة شيئاً . فقليل له : إذا ظلم السلطان انتزعت البركة - فتاب إلى الله تعالى من الظلم وترك النخلة لأربابها .

وكان خليج الإسكندرية لكثرة ما فيه من الأسماك ، ثمسك بالأيدي ويأخذها الصبيان ، فضمنه ، فلم يؤخذ منه في تلك السنة شيئاً ، ولا وجد في الخليج سمكة واحدة .

وورد عليه كتاب عبد الصمد بن أبي الفوارس صاحب طرابلس يعرفه فيه غرق شلنديين ، ونصّه بعد البسملة : أعرف الأمير أعزّه الله - أي حفظه الله -

أنّ شلنديين - أي مركبين - صقعا من جانب البحر - أي غرقا - من شدة موجة فهلك من فيها - أي تلفوا .

فكتب إليه يوسف بن عليّ الفلاحي وزير الدزيري بدمشق عنه : ورد كتابك - أي وصل - وفهمناه - أي علمنا ما فيه - فأدّب كاتبك - أي اصفعه - واستبدل به - أي اعزله - فإنه مائق - أي أحمق - والسلام - أي أنقضى الكتاب .

فأعجب الدزيري ذلك وأعطاه ألف دينار .

ويقال : إنّ الدزيري مات مسموماً لكثرة معاداة الجرجرائي له ، وأنه هو الذي بعث إلى أهل دمشق حتى قاتلوه ونهبوا ماله ، والله أعلم .

والدّزيريّ بدال مهملة مكسورة ثم زاي معجمة ساكنة من بعدها وباء موحدّة مكسورة وراء مهملة : نسبة إلى مولاه دزير بن أويتم الديلمي .

ولأنّوشتكين هذا صنفّ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعريّ كتاب « شرف السيف » وقد بلغه عنه كلام جميل وتوجّه إليه بالسلام ويخفي المسألة عنه فأراد جزاءه على ما فعل .

وصنفّ له أبو الهيجاء فارس بن حسن بن منصور بن البلخي البتّهاني والد أبي الوحش غضنفر بن فارس كتاباً في سيرته .

وتزوّج أنوشتكين شوّاقة ابنة صمصام الدولة .

846 - أنوش الدرزي [- بعد 410]⁽¹⁾

أنوش [تكين] البخاري الدرزي ، أبو عبد الله - وسماه بعضهم محمد بن إسماعيل ، أحد موالي الأتراك .

(1) انظر دائرة المعارف الإسلامية ، 2/ 140 (الدرزيّ) و 2/ 647 (دروز) ، وأنعاظ الخنفاء 2/ 118 ؛ وأخبار الدول المنقطعة لأبن ظافر 53 .

سلك طريق حمزة اللباد الزوزني⁽¹⁾ في القول بحلول الإلاه سبحانه في الحاكم بأمر الله أبي علي منصور ابن العزيز نزار ، ودعا الناس إلى ذلك فكثرت أتباعه وأصحابه ، وعلق على باب داره سلاحاً كبيراً . وسمى نفسه سيّد الهادين⁽²⁾ ، وحياة المستجيبين . فكان الحاكم إذا ركب تعرّض له وخلا به ، إلى أن كان اليوم الثاني عشر من صفر سنة عشر وأربعائة ، [ف]اجتمعت طائفة من أصحاب الزوزني على خيول وبغال ، ودخلوا الجامع العتيق بمصر ركباناً ، وهم يُعلنون مذهبهم ويجهرون بإلحادهم . وتقدّم ثلاثة منهم إلى مجلس قاضي القضاة أبي العباس أحمد بن محمد [بن أبي] العوام⁽³⁾ ، والمتحاكمون ينتظرونه ، فتكلّموا بكلام أنكره الناس [ف]ضجّوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله تعالى . فاجتمع أهل مصر بالجامع من كلّ جهة فصار تسييحهم كأنّه دويّ الرعد . وتقدّم بعضهم فتلّقى القاضي ، وقد أقبل في موكبه يريد الجامع فعرّفه الخبر . فلمّا استقرّ في مجلس الحكم تقدّم إليه أحد الثلاثة وناولوه رقعة من الزوزني يأمره فيها بمذهبه ويدعوه إليه . فقال له : « حتى أدخل إلى حضرة مولانا وأسمع كلامه » ، وطاوله⁽⁴⁾ في الكلام ساعة فنارت العامة بالرجل وقتلوه ورفيقه جميعاً وأخذوا باقيهم بالضرب حتى قتلوهم شرّ قتلة . وتتبّعوا من كان على مثل رأيهم من أهل البلد فقتلوهم ، وجروا بأرجلهم في الطرقات / [225 ب] وحرّقوهم . فبعث الحاكم من يومه فعزل متولّي الشرطتين وولّى غيره وطلب من أوقع بأصحاب الزوزني فقبض على أربعين رجلاً وقتلوا في أوقات متفرقة .

فحقن عامّة العسكر والرعيّة واجتمع الأتراك لسبع بقين من صفر على دار أنوش تكين لهذا يريدون أخذه ، فامتنع بها وقاتلهم من أعلاها فقاتلوه ، وهدموا

(1) حمزة بن علي بن أحمد الزوزني اللباد ، دائرة المعارف 3 / 157 .

(2) سند في مخطوطنا وفي النول المنقطعة والائعاظ . وسيّد في قراءة دائرة المعارف .

(3) القاضي ابن أبي العوام (ت 418) .

(4) الذي أطال الكلام هو صاحب الزوزني .

داره ونهبوها وقتلوا من أتباعه أربعين رجلاً ، وخلص هو منهم فأراً فلم يقدرُوا عليه وصار إلى القصر . فلبس الأتراك السلاحَ وأرسلوا إلى الحاكم يسألونه أن يدفع إليهم أنوش تكين . وقالوا : نحن لا نمنعك أن تتصرّف في ملكك كيف شئت . وهذا الرجل ممّا ، ونحن لا نتركه .

فوعدهم بتسليمه إليهم . فأنصرفوا عن القصر . فلم يبعثه إليهم . فركبوا في يوم الجمعة من الغد وراسلوه في إنفاذه إليهم فخرج الجواب بأنّه قد قتله . فرحفوا بأجمعهم ومعهم بقية العسكر إلى مسجد ريدان يريدون الزوزني ، فلم يجدوه وأحرقوا باب المسجد وعادوا . فأشتد غضب الحاكم على الأجناد في ربيع الأول ، ثم رضي عنهم في ربيع الآخر ، وطيب قلوبهم ، وأجرى الواجبات عليهم .

فلما دخل جهادى الآخرة أخذ يدبّر على أهل مصر وسلّط طوائف الرجالة ، وتقدّم إلى مقدّمى السودان وغيرهم بما يفعلونه : فكانوا يتزلون إلى مدينة مصر طوائف فيكبسون الحمامات نهاراً ويأخذون النساء ويلجون الدور ويسلبون الناس في الطرقات ليلاً ونهاراً . ثم وُجدت عدّة رفاع في المساجد تتضمّن تهديد أهل مصر بالقتل والحرق ونهب المال وسبي الحرّيم فتزايد ضرر الناس . وفتحت حوانيت البزّازين ونُهب ما فيها ، والناس يصيحون من أعلى الدور فلا يجدون من يغيثهم . وصارت الحوانيت مفتحةً ، والبلد في حركة شديدة من نقل الأمتعة من الحوانيت إلى الدور .

ثم نزل جمع كبير من العبيد إلى مصر ، وقد غلّقت الدروب قبل غروب الشمس ، فمروا في المدينة وفتحوا ما وراء الجامع من النحاسين والبزّازين والسكريين والمربعين⁽¹⁾ ودار الشمع ، وأخذوا ما قدرُوا عليه وأفسدوا ما بقي ، حتى كانوا يخلطون العقاقير بعضها ببعض ، ويخلطون الزيت بالمياه المختلفة

(1) كلمة غامضة ، وكذلك في الدول المنقطعة ، 56 .

ويفسدون هذا بهذا . فتزل بالناس من البلاء ما لا يُمكن وصفه . ونقلوا أمتعتهم من مصر إلى القاهرة ، وتزايد النهب ، وطرحت النيران في أبواب القياسر المجاورة للجامع وقد نهبت . وتخطفت الناس فسلبوا وأخذت عمائهم ، فعظم الضجيج والصراخ ، وكثر الدعاء ، فوقفوا إلى الحاكم فشكوا ما هم فيه . وتقدم بعض الأشراف في طائفة منهم للشكوى فصار للناس دوي كالرعد وأرتفعت شهب النيران بالحريق ، فقال الحاكم ⁽¹⁾ : ما للناس ؟ فقالوا : يا مولانا ، عبيد الشر قد أحربوا البلد ، وسلبوا أهله وسبوا حريمه .

فقال : ومن أمرهم بهذا لعنهم الله ؟ فقال له بعض الأشراف : أراك الله في أهلك ما رأيناه في أهلنا . فلم يزد على أن قال له : أيها الشريف ، أنت معذور لأنك مغتاض . فأجتمع عند ذلك الأتراك والكتاميون ، وتحالفوا على قتال الرجال . فكانت بينهم حروب كثيرة قُتل فيها عالم كثير من الرجال . وطالت عدة أيام والحاكم يركب حماره ويأتيهم ، فإذا رأوه تفرقوا هيبة له ، ثم إذا مضى عادوا لحربهم . فأشتد حقه على الأتراك والكتاميين . ولهذا الدرزيّ هو الذي أدخل دعوة الحاكم إلى بلاد الشام والساحل وأستجاب له عالم كثير منهم ، وصار لهم مذهب رديء ويعرفون إلى اليوم بالدرزية .

ومن مذهبهم كتمان السرّ ، فلا يطلعون سواهم على عقائدهم . ويذكر أن هذا الدرزيّ أباح البنات والأخوات والأمهات ، وهم إلى اليوم على ذلك ، ويصرّحون بأن الحاكم حيّ وأنه سيعود .

(1) عبارة ابن ظافر : فجاهل عليهم وقال : ...

847 - أنوك بن محمد بن قلاوون [721 - 741] ⁽¹⁾

[226 أ] أنوك بن محمد بن قلاوون ، الأمير / ناصر الدين ، ابن السلطان الملك الناصر ، ابن السلطان الملك المنصور ، أمّه خوند طغاي .

ولد للنصف من جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبعائة . فأحبّه السلطان محبة زائدة لشغفه بأمّه ولجماله ، وعقد له على [. . .] ابنة الأمير بكتمر السّاقى ، وقد حمل مهرها من بيت المال ، وهو عشرة آلاف دينار مصريّ . وحُمِلَ معه مائتان وخمسون ثوباً من التفاصيل الحريرية ⁽²⁾ ، ومائتا نافجة ⁽³⁾ مسك ، وألف مثقال عنبر خام ، ومائة شمعة موكيّة ، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرّجة ملجّمة . فتوجّه بذلك كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ ، والأمير طقتمش الخزندار ، والأمير أيدغمش أمير أخور في يوم السبت النصف من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين ، وهم بتشاريف جليّة . ثم أنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف في يوم الاثنين ثالث عشرين صفر سنة اثنتين وثلاثين ، وأركبه من باب الدار . ففضى ، والأمراء في خدمته حتى خرج من باب القلعة الذي يعرف بباب القرافة ، ودار على سور القلعة إلى أن خرج من باب القلعة الكبير . وعلى رأسه الشربوش ⁽⁴⁾ . وصعد منه إلى القلعة فنثرت عليه الدنانير والدراهم وخلع على أرباب الوظائف ، ومُدّ لهم سباط جليل ، وعُملت الأفراح مدّة أيام .

ثم وقع الشروع في عمل الأفراح العظيمة لدخوله على زوجته . واستخدم

(1) الوافي 431/9 (4365) ؛ المنهل 108/3 (558) ؛ الدرر 446/1 (1083) ؛

بدائع الزهور 477/1 ؛ السلوك 553/2 ؛ تذكرة النبوة 317/2 .

(2) التفصيلة : قطعة من القماش ، وكذلك الثوب المفصّل المخطط .

(3) النافجة : كيس للعطور ، «المسك النفاجي» أجود (دوزي) .

(4) الشربوش : قبعة للرأس عالية مثلثة ، وهي خاصّة بالأمراء (دوزي) .

في ديوانه شرف الدين عبد الوهاب النشوء أحد المستوفين ، وجعل الأمير الطنفس أستاذاره . فحمل رُئك⁽¹⁾ جدّه المنصور ، وتميّز على جميع إخوته مع صغر سنّه ، لأنّه ليس فيهم من معه إمرة مائة سواه ، وبقيّتهم إنّما هم أمراء أربعين . وقدم الأمير تنكز نائب الشام لحضور المهمّ فأقام الفرح سبعة أيّام بلياليها . ولم يبقَ أمير إلّا وبعث حريمه بالذهب وتفاصيل الحرير لنقوط المغاني⁽²⁾ .

فلما كانت ليلة السابع ، وهي ليلة الجمعة حادى عشر شعبان منها ، جلس السلطان على باب القصر وجلس مقابله أنوك ، وتقدّم الأمراء على مراتبهم بإحضار شموعهم : فمَن قدّم شمعةً قبل الأرض للسلطان ثمّ قبلها للأمير أنوك - ثمّ أعفوا عن تقبيل الأرض لأنوك - فبلغت عدّتها زيادةً على ثلاثة آلاف شمعة زتها ألف قطار ونيف ، ما فيها شمعة أمير إلّا وقد بالغ في جودتها وثقل وزنها وتحسينها بأنواع الزينة .

ثمّ أشعلت بأسرها ، وحملها الأمراء ومماليكهم ومشوا على حسب مراتبهم حتى مضى آخرهم . ونصب الأمير قوصون صارين عليها نطق غرم عليه مبلغ ثلاثين ألف درهم . وأطعم الناس بالأيوان .

فلما آنقضى عامّة الليل دخل السلطان إلى حيث مجتمع النساء ، فتقدّمته كلّ واحدة من نساء الأمراء وقبّلت الأرض وقدمت ما أحضرته من التقدمة ، والمغاني ترفهنّ . وكان المهمّ عظيماً جداً ، ذبح فيه من الغنم والبقر والخيل والايوز والدجاج ما ينيف على عشرين ألف حيوان ، واستعمل فيه من السكر ثمانية عشر ألف قطار ، وبلغت قيمة شورة⁽³⁾ العروس ألف ألف دينار مصرية حمل على [رؤوس] ثمانمائة حمّال ، وستّة وثلاثين قطاراً⁽⁴⁾ من البغال سوى الحلي والمصاغ

(1) الرنك : الشعار .

(2) النقوط : ما ينشر على القيان من دراهم .

(3) الشورة والشوار : ما تجهّز به العروس .

(4) قطار الإبل وغيرها : جمعها المتتابع في السير .

والجواهر . وبلغت زنة الزركش والمصاغ ثمانين قنطاراً مصرية .

فلما نصب لم يُعجب السلطان وقال : رأيت شيوار بنت سالار ، وهو أكثر من هذا وأحسن ، على أن هذا يا أمراء ما يُقابل به أنوك ! - والتفت إلى الأمير طقزدمر ، والأمير أقبغا وقال : جهّزا بتيكما ، ولا تتخاسسا⁽¹⁾ مثل الأمير - يعني بكتمر .

وعظم ديوان أنوك حتى صار له تحت يد خزنداره من الذهب العين ستمائة ألف دينار ، سوى ما كان له من أصناف المتجر . وكانت أخوته ، وهم أسنّ منه يركبون ويتزلون في خدمته ويخلع عليهم ويعطيهم .

وقيل له : لم لا تلعب بالشطرنج ؟

فقال : الملوك لا يصلح لهم الشطرنج ، ولا النبيذ .

[226 ب] وكان يحبّ اقتناء البقر والغنم والأوز والبط . وقال مرة : أنا أحبّ البقر / أكثر من الخيل .

ثم جدر وتغيّرت محاسنه . وتوفي يوم الجمعة [. . .] عشرين ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وسبعمائة قبل موت أبيه بسبعة أشهر ، فدفن بقبة المدرسة الناصرية بين القصرين . وكانت جنازته عظيمة . واستمرت أمه مدة سنة تعمل على قبره في كلّ ليلة جمعة ختمة تنفق فيها مالاً كثيراً للفقراء والقراء .

وكان قد شغف بمغنية تدعى زهرة . فلما مُنعت منه أشفى على التلف ، إلى أن أحضرت إليه . وأغضى السلطان عن ذلك وتغافل عنه ، وقد ساءه منه إعراضه عن ابنة بكتمر واشتغاله بزهرة . فخرج عليه وأراد ضربه فمَنعته أمه ، فرجف⁽²⁾ الصبي ولزمه المرض حتى مات .

(1) في الدرر : ولا تتباخلا .

(2) في الدرر : فحصلت له رجفة من ذلك فكانت سبب ضعفه .

848 - أونوجور بن محمد بن طغج [319 - 349]⁽¹⁾

أونوجور - ومعناه محمود - بن محمد بن طغج بن جف بن بلكين بن فوران بن قوري بن خاقان صاحب سرير الذهب ، الأمير أبو القاسم ، ابن الأمير أبي بكر الإخشيد ، ابن الأمير أبي محمد الفرغائي ، صاحب مصر والشام .

ولد بدمشق في سنة تسع عشرة وثلاثمائة . وكناه أمير المؤمنين المتقي لله ، وجعله خليفة لأبيه في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وسنه يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فدعي له بعد أبيه على منابر مصر والشامات من الرقة إلى برقة بالكنية ، وكان أبوه قد أخذ البيعة على جميع القواد له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين .

فلما مات الإخشيد بدمشق ورد خبر موته إلى مصر ، وبها أونوجور مع عمه أبي المظفر الحس بن طغج في يوم الأربعاء لخمس خلون من المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . فاجتمع الناس ثم أقرقوا من غير رأي . وأنصرف الوزير محمد بن علي بن مقاتل⁽²⁾ في أكثر أهل الدولة ووجوه البلد . ومضى أبو المظفر إلى داره في خلق .

ثم أصبحوا من الغد إلى دار الإمارة ، وبعثوا إلى أبي بكر محمد بن علي الماذرائي فأحضره وشاوروه فأشار بإقامة أونوجور ، وأن يكون أبو المظفر خليفته⁽³⁾ فتقرر ذلك ، وقوض أمر الدولة لمحمد بن علي ، وأقيم ابنه أبو علي

(1) الولاة والقضاة ، 294 ؛ النجوم 3 / 291 ؛ العبر 1 / 306 .

(2) في النجوم : كان صاحب خراج مصر .

(3) في المخطوط : يخلفه .

الحسين بن محمد في الوزارة ، وقُبض على محمد بن علي بن مقاتل . وطلب منه المال ، وذلك في يوم الخميس سادس المحرم . وحضر هذا العقد وجوه الناس بمصر ، وأهل الرأي ، وهم : أبو بكر محمد بن علي الماذراني ، وأبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات ، وأبو الحسن محمد بن عبد الرحمان الروذباري كاتب الإخشيد ، وأبو بكر علي بن محمد بن كلا ، وأبو عبد الله الحسين بن طاهر العلوي ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن طباطبا ، وأبو القاسم أحمد بن محمد بن الحسين الرسي ، وأبو جعفر مُسلم بن عبد الله العلوي ، وأبو محمد القاسم بن عبد الله الشيبه ، في كثير من الأشراف ووجوه الكتاب . وكان أبو محمد الحسن بن طاهر العلوي ، وأبو الحسين محمد بن الحسين بن عبد الوهاب بالشام . وحضر هذا المجلس من أهل الدولة أحمد بن بدر السميناسطي ، وأحمد ابن موسى الزغلان ، وعمر بن فارس ، وفارس كور التركي ، وسائر الحجرية . وحضر أيضاً أحمد بن محمد النيسابوري قاضي مكة . وعبد الله بن محمد الخصبني القاضي ، وبكر بن محمد القاضي المالكي . وأبو عبد الله أحمد بن شعيب بن الوليد قاضي مصر والرملة وطبرية . وحضر من الشهود محمد بن يحيى ابن مهدي المالكي ، وعبد الرحمان بن سلمويه الرازي ، وعلي بن أحمد بن إسحاق البغدادي وجمع كثير .

وركب أبو القاسم أونوجور من الغد يوم الجمعة إلى الجامع العتيق في جيش مصر ، وعمّه أبو المظفر يحجبه ، وخلفه أبو بكر بن علي الماذراني . وخلع على الحسين بن محمد الماذراني . وكتب إلى دمشق بمّا استقرّ عليه الحال بمصر فسكنت الأمور .

وسار كافور الإخشيدي بالعسكر ، ومعه أبو الفتح مزاحم بن محمد بن رائق مقيداً وقدم إلى القسطنطينية في أحسن زيّ وأكمل عدّة في سلخ صفر . وجلس [227 أ] أونوجور جلوساً عاماً للناس / وأنشد الشعراء في رثاء أبيه ، فأنشد أبو الطيّب المتنبي يومئذ قصيدته التي أولها [بسيط] :

هو الزمان مُشْتَرِكٌ [ت] الذي جمعا في كُلِّ يوم ترى من صرفه بدعا⁽¹⁾

وأنشد محمد بن الحسن بن زكريا بن أسد قصيدة أولها [خفيف] :

في الرزايا روائع الأوجال والبرايا ذرية الآجال⁽²⁾

وأنشد مهلهل بن يَموت بن المزرع قصيدة مطلعها [خفيف] :

أيَّ عَزٍّ مضى من الإسلام أي ركن أضحي حديث انهدام⁽³⁾

فكان يوماً عظيماً .

وفي ربيع الأول ورد الخبر بأخذ سيف الدولة عليّ بن حمدان دمشق ، وأنه سار إلى طبرية ثم إلى الرملة ودعي له على جميع منابر الشام . فجلس أونوجور ، ومعه عمّه أبو المظفر و غلام أبيه كافور حتى ندب العساكر إلى الشام ، وعليها أبو المظفر وكافور . فسارا في جمع عظيم ومعهما الوزير أبو علي الحسين بن محمد بن علي الماذناني إلى الشام وقاتلا ابن حمدان ، ودخلا دمشق في جمادى الآخرة ، وبعثا بالأسرى من أصحاب ابن حمدان مع صالح بن نافع ، وعدّتهم مائة رجل . فجلس لهم أونوجور جلوساً عاماً ، وحضره الأشراف والوجوه والقضاة والرؤساء والشهود ، وعرضوا عليه بعدما شهّروا بالبرانس .

فورد الخبر بخلاف غلبون بن سعيد المغربي متولّي إخميم وخروجه عن الطاعة . فندب لقتاله شادن الصقلبي فانهزم منه ، وعاد في شعبان بنفسه ، فأخرج إليه عسكر آخر . ثم خرج أونوجور فلقّيه فانهزم منه ، وملك غلبون دار الإمارة والمدينة ليلة الأربعاء سابع ذي القعدة . ثم عاد أونوجور في ضحى يوم الأربعاء فانهزم غلبون ولحق بالصعيد . فخرجت إليه العساكر وأحضر رأسه .

(1) هذا البيت غير موجود في ديوان المتنّي ، وفي المخطوط : مشت بالذي .

(2) لم نعرف صاحب هذه القصيدة .

(3) مهلهل بن يموت له ترجمة في تاريخ بغداد 13 / 273 (7232) .

وتأخّر حاجّ البرّ في هذه السنة .

وصُرف أبو بكر محمد بن عليّ الماذرّائي بمُحمد بن الحسين بن عبد الوهاب .

وقدم كافور من الشام بالعساكر في عاشر ربيع الأوّل سنة ستّ وثلاثين^١ بعدما هزم سيف الدولة بن حمدان على مرج عذراء ، وبدر الإخشيدى بدمشق متولّيًا لها ، وأقام أبو المظفّر بالرملة متولّيًا لها .

وقام كافور بخلافة أونوجور ووقف بين يديه ، واختار لمجالسته من يتأدّب به ليلةً في كلّ جمعة يتذاكرون بين يديه . وصار كافور يتولّى تدبير البلد كلّّه ، إلى أن كان في المحرم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، شجر بينه وبين كافور ، فخرج إلى المختار بالجزيرة فأقام فيه . وكان أكثر الوجوه مع كافور . فتوسّط بينهما الشريف أبو جعفر مسلم حتى صلح الأمر .

وكان رسم أونوجور كما كان أبوه الإخشيد : يصلي الجمعة بالجامع العتيق ثلاث مرّات في السنة : أوّل رجب ، وأوّل شعبان ، وأوّل شهر رمضان . ويتزل كافور بين يديه يحجبه . ويتزل في شهر رمضان ليلة الختم في الجامع العتيق يحضر الصلاة والدعاء .

فبلغ كافور في جمادى الآخرة سنة ستّ وأربعين وثلاثمائة أن أونوجور قد راسل الأولياء ووجوه الأمراء والقوّاد ، ووعدهم الولايات والمال الجزيل إن يقتل كافور إذا نزل في رجب للصلاة بعد انصرافه من الجمعة . فلمّا كان يوم الجمعة بعث كافور إلى أونوجور : إني أجد شيئاً ، وقد تقدّمت إلى الجيش أن يركبوا مع مولاي .

فأبى أونوجور وقال : لا بدّ أن تركب معي .

فلم يفعل . وانكشف الأمر ولم يتمّ ما أراد أونوجور . ويقال إنّهُ أنفق على ذلك نحو مائة وخمسين ألف دينار .

فلما دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، خرج أونوجور إلى الفيوم متصيّداً ، وشكا / إلى فاتك المجنون غلام أبيه من كافور . فوعده بنصرته وأظهر [227 ب] الخلاف على كافور . ثم أمسك عن قتاله وقدم عليه واتفق معه . فغضب أونوجور من اتفاقها وخرج إلى المختار بالجزيرة . فقلق كافور وأضطرب البلد . فلم يزل الشريف أبو [جعفر] مسلم يمشي بينهما حتى دخل أونوجور ونزل في داره بالحمراء . فركب إليه كافور في جيش عظيم ومعه الشريف مسلم ودخل عليه وقام بين يديه ، وأونوجور لا يرفع وجهه إليه ولا يكلمه ، وهو مطرق . وأمر الشريف بالجلوس ، فاحتشم من كافور وقال لأونوجور سرّاً : الرجل قائم ، وأنا أنصرفُ معه وأعود . فقال : عد إليّ .

فأخذ مسلم بيد كافور وانصرفا . فاستوحش كافور وخافه . وكان أونوجور شجاعاً مقداماً . فلما كان بعد أيام ركب بعد المغرب ومعه شاكريان وهو متقلد سيفاً حتى وافى دار كافور ، فتهارب البوابون والحجّاب ومروا سراعاً إلى كافور . فلما أعلموه قام يعدو إلى لقائه وقبل يده . فقال له أونوجور : أأمنت يا أبا المسك ؟ لو أردنا شيئاً عملناه الساعة .

وانصرف . فما جسر كافور يخرج معه وأنفذ إليه هدية كبيرة . وكانت أم أونوجور هي التي ترفق به وتكسره عن كافور . فلم تزل الوحشة بينهما إلى أن اعتلّ علّة شديدة مات منها في يوم السبت لسبع خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهو يوم خروج الحاجّ . فركب كافور إلى الجنازة وصلى عليه وحمل إلى بيت المقدس ليدفن عند أبيه . فكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر . ومات وله من العمر إحدى وثلاثون سنة .

وكان مشغولاً بالصيد والأكل والشرب والتزّه والأشعار ، لم يقتل أحداً ، ولا عاقب أحداً ولا صادر . وكان كالمغلوب مع كافور . ويحكى عنه شجاعة وسماحة وعفو كثير .

قال الشريف عبد الله أخو مسلم : وقفتُ مع شبيب العقيليّ لنظر أُنُوجور
وقد ركب . فقلت : كيف رأيت العسكر ؟

فقال : رأيت شخوصاً وبطوناً وخصياناً ، وما رأيتُ في العسكر غيرَ
صاحبه - يعني أُنُوجور .

وكان لأُنُوجور في كلّ سنةٍ أربعمائة ألف دينار جارية عليه من ضياع سلّمت
إليه ، وله كاتب نصرانيّ يقال له إبراهيم بن مرزوق ، وسائر التصرف لكافور .
وأُمّه أُمّ ولد اسمها كروم .

ووزر له أبو علي الحسين ابن أبي بكر محمد بن علي الماذرانيّ ، ثم أبو
الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات .

وفي أيّامه نزلت الروم على البرلس وعلى إرخنا فشعثوا وانصرفوا في ذي
القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . ونزلوا بالفرما وشعثوا ثم ساروا إلى البرلس
فنفر الناس إليهم في آخر سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . ثم نزلوا على الفرما أيضاً
في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . فخرج المسلمون إليهم وأخذوا مركباً
وقتلوا من فيه وأسروا عشرة .

وفي أيّامه سار صاحب النوبة في جيش عظيم وأوقع بأهل الواحات وقتل
منهم وأسر ، وذلك في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة .

وفي أيّامه جفّ النيل عن برّ مصر ، حتى استقى الناس من بحر الجيزة .
وحفر خليج إلى أن دخل الماء إلى ساحل مصر .
ووقع غلاء في المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

وفي سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة كثر الفأر في أعمال مصر وأتلف الغلات
من القمح والكروم والأقصاب . ثم قصر النيل فنزع السعر حتى بيع القمح وبيتين
ونصف بدينار ، ثم طلب فلم يوجد . [ف]شعث الرعيّة يوم الجمعة وكسروا منبر

الجامع العتيق في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة .

وفي أيامه زلزلت مصر زلزلة عظيمة في ليلة / السبت لثلاث عشرة خلت [228 أ] من ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، أقامت أربع ساعات وخرج الناس في الليل من البيوت . ثم زلزلت مرة ثانية في ليلة الخميس سادس صفر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة زلزلة عظيمة بعد عتمة ، أقامت طويلاً ، وتهدمت منها دور ، واضطرب حائط الجامع العتيق الشرقي . ثم زلزلت في خمس خلون من صفر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بعد عتمة زلزلة عظيمة ، ثم عادت في ثلث الليل ، ثم عادت بعد الأذان الثاني ، ثم عادت بعد الصبح ، ثم عادت من الغد في الثانية من النهار وكانت عظمتها وشدتها بنواحي بنا العسل سقطت عدة دور منها ، وانشقت الأرض وطفت مياه الآبار والرمال ، وخرج أهل القرى إلى الصحراء ، ثم عادت ليلة الخميس لتسع خلون من صفر في ثلث الليل . ثم كانت في ليلة الاثنين لعشر خلون من ربيع الآخر في ثلث الليل . فكانت الزلازل في هذه السنة متواترة ليلاً ونهاراً أقامت على ذلك ستة أشهر إلى شهر رجب ثم سكنت .

وزلزلت يوم السبت لثمانى عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة زلزلة عظيمة في الخامسة من النهار وكان فيها طول . ثم عادت يوم الثلاثاء بعد صلاة الصبح لسبع بقين من شهر رمضان . ثم زلزلت في شوال سنة تسع وأربعين مرتين زلزلة عظيمة .

849 - آياي متملك النوبة [711 -] ⁽¹⁾

صاحب دمقلة . قدم إلى مصر في آخر سنة أربع وسبعائة ، ومعه جمال وأنفار ورقيق وشبّ وسُنْبَادِج ⁽²⁾ ، فقدّم ذلك للسلطان ، وسأل النجدة على نائز

(1) الدرر 1/ 450 (1100) ؛ السلوك 7/ 2 .

(2) السنبادج : حجر رمليّ صلب يصقل به (دوزي) .

قام عليه وأخرجه من ملكه . فأنزل بدار الضيافة وخلع عليه ، وأجريت له الرواتب . واتفق رأي الأميرين بيبرس وسلار ، وهما القائمان يومئذ بتدبير دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون على تجريد عسكر معه ، فعين ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة والأمراء . وكتب إلى ولاية الأعمال القبليّة بإخراج العريان ورجال الوافديّة مع الأمير طقصبا والي قوص ليسيروا صحبة متملك النوبة .

وسار إياي إلى قوص ، وأقام عند طقصبا حتى اجتمعت له العساكر من البر والبحر ، وسار بهم إلى بلاد النوبة . ففرّ الثائر بدنقلة ومعه جمع كبير . وعاد طقصبا فمرّ به وبالعسكر أهوال كبيرة من محاربة السودان ، وقلة الزاد ، وصعود الجبال ، وسلوك الأوعار ، وعبور الجزائر بحيث بقي أكثر العسكر مشاةً لتلاف دوابهم . وركبوا النيل إلى قوص فكانت غيبتهم تسعة أشهر ولم ينالوا طائلاً .

فأقام إياي على مملكة النوبة إلى أن قُتل في سنة إحدى عشرة وسبعمئة . ومملك بعده أخوه كرنبش .

850 - أياز الملوحى

الأمير فخر الدين ، ولّاه المنصور قلاوون الأعمال الغربيّة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن الحسن الجزريّ .

851 - أياز المقرئ [687 -]⁽¹⁾

إياز المقرئ الحاجب ، الأمير فخر الدين ، أحد المماليك البحريّة الصالحيّة . تنقل في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وكان من الحجاب في الأيام الظاهرية

(1) الوافي 458 / 9 (4413) ؛ المنهل 21 / 3 (567) - تالي وفيات الأعيان، 21 رقم 21 .

بيرس . وكان يعتمد عليه ويثق به . وبعثه إلى أبغا ملك التتار ، وإلى غيره .
فلما ملك قلاوون جعله حاجبَ الحجاب وعظم خبزه وكبرت منزلته ،
وأعتمد عليه في مهماته . وبعثه لتحليف الفرنج بعكا عندما هادنهم في المحرم سنة
ثمانين وستائة .

ولم يزل مقرباً جليل القدر إلى أن حجّ وعاد . فتوفي عُقَيْب عوده في ليلة
الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستائة .
وكان من حسنات الدهر ، مُقَرَّباً ، سمع الحديث من ابن المقير ، وحدث
بدمشق والقاهرة / .

[228 ب]

852 - إياز البانباشي [633 -]

الأمير فخر الدين ، أحد الأمراء الكبار في الدولتين العادلية والكاملية .
مات ببلاد الجزيرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستائة .

853 - إياز - ويقال إياس - الأمير فخر الدين⁽¹⁾

كان أستاذار الوزير سنقر الأعسر . فلما مات عزّ الدين أيّدمر الرشيدي
أستاذار الأمير سلار النائب جعله أستاذاره من بعده ، إلى أن قبض على سلار
فتسلّم إياز الأمير علم الدين سنجر الخازن شادّ الدواوين ليصادره . فبعث إليه
بألف دينار ، وللوزير فخر الدين عمر بن الخليلي بألف دينار . فأما الخازن فاستقبح
أخذها وردّ عليه ردّاً جميلاً . وقبل الوزير الألف التي بعثها إليه فلم تمض غير أيام
يسيرة حتى عُزل ابن الخليلي من الوزارة بالأمير بكتمر الحسامي ، وعزل الجاولي

(1) السلوك 2 / 89 .

من شدّ الدواوين⁽¹⁾ بإياز هذا ، وتسلمهما ليصادرها . فبعث الخازن إليه بألف دينار فردّها وقال لقاصده : سلّم عليه وقل له : ما لنا عنده شيء .
وبعث البنباش الخليلي بألف دينار فأخذها وقال لقاصده : عرفه أنّي أخذت وديعتي⁽²⁾ التي كان أخذها منّي⁽³⁾ .

854 - فخر الدين أياز [750 -]⁽⁴⁾

أياز ، [الأمير فخر الدين] ، السلاح دار الناصري .
كان من الأرمن ، فأسلم على يد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنقلّ في الخدم حتى عمله من جملة مشدّي العمارة . ثمّ أخرج على إمرة عشرة بطرابلس ، ونقل [إلى] إمرة دمشق في أواخر أيام الأمير تنكز ، فأقام بها حتى توجه صبحه الأمير قطلوبغا الفخريّ إلى مصر في نوبة الناصر أحمد . فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق ، فعاد إليها .
ثم ولي شدّ الدواوين بها عوضاً عن الأمير ينجي ، وعمل الشدّ جيّداً . وعزل في نيابة الأمير طقزدمر . وعمل حاجباً صغيراً ، ثم نقل منها إلى الحجويّة الكبرى بعد موت اللّمش⁽⁵⁾ الحاجب في نيابة يلبغا اليحياوي ، واختصّ به ، ثم طلب إلى مصر .

-
- (1) كان العزل في سنة 710 ، السلوك 89 / 2 .
 - (2) في المخطوط : وداعتي . والإصلاح من السلوك 90 / 2 .
 - (3) لم تثبت من أسم أياز ولا من تاريخ وفاته . ولعلّه أياز الشمسيّ المتوفى سنة 722 حسناً في السلوك 239 / 2 .
 - (4) الوافي 459 / 9 (4415) ، الدرر 448 / 1 (1093) ، المنهل 119 / 3 (566) ، السلوك 803 / 2 ، 813 ، النجوم 245 / 10 .
 - (5) سيف الدين اللّمش (ت 746) له ترجمة في الوافي 370 / 9 (4295) .

واستقرّ في نيابة صفد في أيام المظفر حاجي . فلم تطل أيامه حتى خرج يلغا بدمشق على المظفر حاجي وهرب . فركب إياز بعسكر صفد إلى دمشق فقدمها يوم الأحد ثاني عشر [. . .] الأول .

وخرج بعسكرها إلى حمص وأقام بها حتى قبض على يلغا بجاه ، فرجع إلى صفد . ونُقل منها لنيابة حلب في جمادى الآخر سنة ثمان وأربعين ، فأحبّه أهلها لحسن سيرته فيهم .

ولم يزل حتى حضر الأمير [ركن الدين] عمر شاه الناصريّ بطلبه إلى مصر على البريد ، فأمسكه وقيّده وسجنه بقلعة حلب في وسط شوال منها . ثم نقل صحبة الأمير بلجك في الحديد إلى قلعة دمشق . وحُمِل منها بعد قليل إلى الإسكندرية . فلم يزل مسجوناً بها حتى أفرج عنه ونُفيّ بطلاً إلى طرابلس في ربيع الأول سنة تسع وأربعين .

ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها عوضاً عن سنقر الجالي ، ثم نُقل إلى دمشق .

ثم وُسِّطَ هو وألجبيغا في شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبعائة على ما ذكر في ترجمة ألجبيغا ⁽¹⁾ .

855 - أيلك البغداديّ [722 -] ⁽²⁾

الأمير عزّ الدين المنصوريّ .

... فلما توجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر لكشف القلاع الشاميّة استقرّ أيلك عوضه في الوزارة ، وخلع عليه في عاشر المحرم سنة إحدى

(1) ترجمة ألجبيغا مرّت برقم 831 .

(2) الدرر 1 / 451 (1105) ، وفيها أنّه توفّي سنة 703 ، وفي السلوك 2 / 240 أنّه مات سنة 722 .

وسبعائة⁽¹⁾ . ثم صرف بناصر الدين [محمد] ابن الشيخ⁽²⁾ يوم الاثنين تاسع
عشر شوال سنة ثلاث وسبعائة .

856 - أيلك الرومي المنصوري [- بعد 713]⁽³⁾

أيلك الرومي المنصوري [الأمير عزّ الدين] ، أحد الممالك المنصورية
قلاوون ، وأحد البرجية الأكابر ، وأشدّهم . كان ضخّم البدن شكلاً تامّ القدّ
لا يجزّ أحد قوسه ، مع الشجاعة والعفة ، بحيث لم تعرف له فاحشة .

[229 أ] ترقّى في الخدم حتى صار من أكابر / أمراء مصر . فجرت بينه وبين
أيدغدي شقير مفاوضة بسبب تنقّل الإقطاعات ، خرج عليه فيها أيدغدي بحضرة
الأمراء . وتعصّب له الأمير طغاي وغيرا عليه السلطان حتى قبضه في رابع
عشرين شوال سنة ثلاث عشرة وسبعائة .

857 - أيلك الحموي [- 703]⁽⁴⁾

الأمير عزّ الدين [التركيّ الحمويّ] الظاهري . كان هو وعلم الدين سنجر
[أبو] الخرص من خواصّ الملك المنصور محمد ابن المظفر محمود صاحب حماه .
فبعث الملك الظاهر بيبرس البندقداري يطلبها منه ، فأعتذر بمرّضها . فأرسل إليه
أن أحملها في محفّات . فلم يجد بدءاً من إرسالها . فلما قدما مصر أنعم على كلّ منهما
بإمرة وصارا من خواصّ السلطان إلى أن مات .

(1) السلوك 1 / 918 .

(2) السلوك 1 / 954 .

(3) السلوك 2 / 128 .

(4) الوافي 9 / 479 (4440) ، الدرر 1 / 451 (1107) ، المنهل 3 / 132 (576) ؛

السلوك 1 / 956 - تالي وفيات الأعيان ، 24 (25)

فأستمرّا بعده إلى أن صرف الملك الأشرف خليل بن قلاوون الأمير علم الدين الشجاعى عن نيابة دمشق ، فولى أيبك هذا عوضه في سادس شوال سنة إحدى وتسعين وستائة ، فباشرها إلى أن صرفه الملك العادل كتبغا بمملوكه أغزلو في يوم الاثنين أول ذي الحجة سنة خمس وتسعين [وستائة] ، وأوقع الحوطة على خيوله وأمواله وجميع موجوده .

ثم أنعم عليه بإقطاع أغزلو بديار مصر فسار إلى مصر وبقي بها إلى أن قبض عليه الملك المنصور لاجين في يوم النصف من ذي القعدة سنة ست وتسعين⁽¹⁾ ، وقبض على قراسنقر نائب السلطنة وعلى الحاج بهادر ، وسنقر شاه الظاهري ، والأقوش ، وعبد الله ، وكوري ، والشيخ علي ، وقيد وسجن في الحب إلى أن قتل لاجين وأعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرة ثانية [ف]أفرج عنه وعن قراسنقر النائب وسنقر الأعسر الوزير⁽²⁾ في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وخلع عليهم . وبعث لهم الأمراء التقادم الجليلة .

ثم ولي صرخد بعد نقل كتبغا الملك العادل منها إلى حماه في شعبان سنة تسع وتسعين ، ثم نُقل إلى نيابة حمص عوضاً عن [. . .] فأقام بها شهراً . ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعائة ، فنُقل إلى دمشق ودُفن بقاسيون . وعمل عزائه بعد دفنه .

وكان شجاعاً مقداماً . قال الذهبي⁽³⁾ في ترجمته : كان ساكناً عاقلاً معروفاً بالشجاعة .

(1) السلوك 1 / 829 .

(2) السلوك 1 / 873 .

(3) في المخطوط : الدهيم ، والإصلاح من الدرر ، 1 / 451 .

858 - أيبك الشيخ [678 -]⁽¹⁾

الأمير عز الدين الكركي ، أحد الأمراء الظاهرية بيبرس .
مات في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وستائة .

859 - أيبك الفخري [- بعد 680]⁽²⁾

الأمير عز الدين . استقر في ولاية مصر بعد وفاة الأمير أبي بكر بن أسباسلار⁽³⁾ في سابع عشرين ربيع الآخر سنة تسع وسبعين وستائة . ثم عزل عنها بالأمير نجم الدين إبراهيم بن السديد في رجب منها ، وخرج والياً بقلعة صرخد ، ثم نُقل إلى ولاية قوص وإخميم في أول ذي القعدة سنة ثمانين وستائة عوضاً عن بهاء الدين قراقوش .

860 - أيبك العزي [690 -]⁽⁴⁾

الأمير عز الدين ، نقيب العسكر بديار مصر . أستشهد على عكا عند فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستائة .

وإليه تُنسب سوقة العزي⁽⁵⁾ خارج القاهرة قريباً من قلعة الجبل

(1) السلوك 1 / 674 ، وهو أيضاً « الشيخ » .

(2) السلوك 1 / 681 ، 683 ، 703 .

(3) الأسباسلار أو الإسفهسلار : مقدم العسكر وحاجب السلطان ، السلوك 1 / 681 هامش 1 .

(4) السلوك 1 / 765 .

(5) تأتي هنا ترجمة أيبك الحموي مكررة عن 857 . وسوقة العزي خارج باب زويلة ذكرها المقرئ في الخطط ، 173 / 3 .

861 - أيبك الموصلّي [698 -]⁽¹⁾

أيبك الموصلّي ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .
تنقّل في الخدم إلى أن ولّاه الملك المنصور قلاوون نيابة طرابلس
والفتوحات ، فلم يزل بها حتى مات في صفر سنة ثمان وتسعين وستّائة .
وكان وقوراً مهاباً مجاهداً في الفرنج والتتار ، عفيفاً عن الفواحش جميل
السيرة حسن الشاء .

وولي نيابة طرابلس بعده سيف الدين كرد أمير أخور .

862 - أيبك الخزندار [709 -]⁽²⁾

أيبك الخزندار ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .
تنقّل في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وأستتابه الملك الأشرف خليل
مدّة غيبته في حصار عكا على ديار مصر . ثم ولّاه في أوّل المحرم سنة اثنتين
وتسعين وستّائة نيابة طرابلس عوضاً عن طغريل الإيغانيّ .

فلما تسلطن العادل كنبغا بعد خلع الناصر محمد بن قلاوون توقّف عن
الدخول في طاعته لولا قيام الأمراء عليه . فأسرّها السلطان في نفسه إلى أن خرج
أيبك من طرابلس يتنّزه ، وكان له شغف بالخمر ، فحقّق من بعض [الـ]مماليك
وضربه [فـ]كانت منبّته . فرحل أهله إلى مصر وشكوه . فوافق ذلك غرض
السلطان . فكتب إلى الأمير عزّ الدين أيبك الحمويّ نائب الشام أن يرسل كرجي

(1) الوافي 9/ 478 (4439) ؛ المنهل 3/ 133 (577) ؛ السلوك 1/ 879 - تالي

الوفيات ، 23 (23) .

(2) الدرر 1/ 452 (1110) ؛ النجوم 8/ 279 ؛ السلوك 2/ 84 .

ليقبض عليه . فلما حضر إليه خدّعه وقال له : لتحضر إلى مصر !

فأظهر البشر وأنه كان على عزمٍ من طلب الإقالة من طرابلس . وسار منها على البريد ، فلم يبعد سوى مرحلة حتى قيّده كرجي وبعث بالحوطة على جميع ماله ، وحُمِلَ إلى مصر فقَدِمَها في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين ، وأعتقل بـ برج الساقية من قلعة الجبل ثلاثة وتسعين يوماً . وولي عَوَظَه نيابة طرابلس الأمير عزّ الدين أيبك الموصليّ الخزندار . ثم أفرج عنه . وأنعم عليه بمال وإقطاع مائة فارس .

وحجّ في سنة أربع وسبعائة ، وأقلع عن شرب الخمر ، وأسْتَقَرَّ حتى مات في خامس رمضان سنة تسع وسبعائة ⁽¹⁾ .

وكانت تحته ابنة الملك الظاهر بيبرس . وكان حشماً يتناهى في الأسطة الجليلة كلّ يوم ، سفيراً وحضراً .

وكان سليم الباطن يخدّعه مباشرة ديوانه في كلّ سنة : وذلك أنهم يأخذون مالاً جليلاً من إقطاعه ، ثم يدسّون إليه مَنْ يُرافِعُهم فإذا أحضرهم لمحاكمة مرافِعِهم صالحوه بشيء يسير فقبله وخلّاهم .

863 - أيبك الأفرم الصالحيّ النجميّ [695 -] ⁽²⁾

أيبك الأفرم ، الأمير عزّ الدين الصالحيّ النجميّ . يقال إنه حرّ الأصل من أهل برقة ، وأن أسم أبيه مصطفى . ثم صار من جملة ممالك الصالح نجم الدين أيوب وأحد سقاته .

(1) في الدرر : سنة 706 .

(2) الوافي 9/ 478 (4438) ؛ المنهل 3/ 130 (575) ؛ النجوم 8/ 80 ، 189 ؛ السلوك 1/ 749 ، 1024 . تالي الوفيات ، 19 (19) . والترجمة في الوافي والمنهل قصيرة جداً بالقياس مع هذه . وبالعكس لا يذكر المقرئ هنا افتتار ورثة الأفرم بعد ثرائه الواسع .

سمع من ابن رواج وحديث .

[...] فلما ولي الملك المنصور قلاوون السلطنة أفرج عنه ورثته نائب السلطنة بديار مصر ، ثم عزله في رابع عشرين شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة بالأمير حسام الدين طرنطاي وعمله أمير جاندار على عادته .

وجرده على عسكر إلى قتال الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس بالكرك ، فخرج من القاهرة في سابع ذي الحجة منها ، ونازل الكرك إلى أن قام سنقر الأشقر نائب دمشق بها ودعا إلى طاعته وأخذ مدينة غزة فسار إلى غزة هو والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى وكان منازلًا للشوبك ، وأخرج أصحاب سنقر الأشقر من غزة وأسرا عدّة ممن كان بها من أمرائه .

فلما قدم الأمير علم الدين سنجر الحلبي بعساكر مصر سار معه حتى قاتلوا سنقر الأشقر وهزموه عن دمشق . ثم خرج في أثر سنقر الأشقر بالعساكر فلم يدركوه وعاد .

فلم يزل في الخدمة إلى أن خرج إلى غزو النوبة في ثامن شوال / سنة [230 أ] ثمان وثمانين ، ومعه من الأمراء قبجق المنصوري ، وبكتمر الجوكندار ، وأيدمر والي قوص ، ومن أجناد الأمراء وأجناد المراكز بالوجه القبلي وعربان الوجه القبلي والوجه البحري زيادة على أربعين ألف راجل . وخرج معهم ملك النوبة ونائبه جريس⁽¹⁾ وتجهّز معهم من المراكب والحرايق لحمل الزاد والزردخاناه والأثقال خمسمائة قطعة .

فلما وصلوا أسوان مات ملك النوبة ، فبعث السلطان من القاهرة رجلاً من أولاد أخت الملك داود عوضاً عنه ليملكوه . فلما وصل أسوان اتقسم الجيش نصفين في البرين الغربي والشرقي . فسار الأفرم في البر الغربي بنصف الجيش ، وساروا إلى قوص بالنصف الآخر من الشرق ، وقدموا جريس نائب ملك النوبة

(1) السلوك 1 / 749 .

ومعه أولاد الكثر⁽¹⁾ فجهّز لهم الإقامات وتلقّاهم أكابر أهل النوبة من بلاد الدوّ⁽²⁾ إلى جزائر ميكائيل ، وهي البلاد التي تحت حكم جريس . فلمّا تعلّوا بلادَه نهَبوا ما مرّوا به وقتلوا مَنْ وجدوه وحرّقوا حتى دخلوا مدينة دمّقلة ، فلم يجدوا بها أحداً سوى شيخٍ فانٍ وعجوز كبير⁽³⁾ فأخبرا العسكر أنّ الملك سمامون قد تحصّن بجزيرة في النيل مساف⁽⁴⁾ـها من دمّقلة خمسة عشر يوماً وطولها مسيرة ثلاثة أيام .

فسار إليه أيّدمر والي قوص ومن معه ، ونزل تجاه الجزيرة ، فلم يصل إليه لعدم المراكب معه . وبعث إليه ليدخل في الطاعة وبذل له الأمان فأمتنع . وأقام العسكر ثلاثة أيام ، وأوهوه أنّهم قد أرسلوا في طلب المراكب والحراريق . فأنهزم عن الجزيرة إلى جهة الأبواب وليست في مملكته . فتركه من كان معه من السّواكرة⁽⁵⁾ - وهم الأمراء - وفارقه الأسقف والقسوس ومعهم الصليب الفضة الذي يُحمل على رأس الملك وتاجُ المملكة ، وطلبوا الأمان . فأقمتهم أيّدمر وخلع على أكابريهم ، وعادوا إلى دمّقلة في جمع كبير .

فعدّى الأمير عزّ الدين الأفرم وقبجق إلى البرّ الشرقيّ وتركوا العسكر في مكانه وصاروا إلى دمّقلة . ولبس العسكر آلة الحرب وطلّبوا من الجانيين وربّبت الحراريق في البحر ولعبت بالنفط . ومدّ الأفرم الخوان⁽⁶⁾ في كنيسة أسوس التي هي أكبر كنائس دمّقلة . ثم ملك الرجل الواصل من القاهرة ووضع تاج المملكة على رأسه . وحلف على الطاعة للملك المنصور وحلفت أكابر النوبة ، وتقرّر البقط⁽⁷⁾ على عادته . وأقيم بدمّقلة مع ملكيها من جهة السلطان رجلٌ من أصحاب أيّدمر والي قوص يقال له ركن الدين بيبرس العزّي .

(1) أولاد الكثر : عربان من ربيعة (النجوم 188/7 هامش 1) .

(2) قلعة الدوّ ، السلوك 622/1 وفي النجوم 189/7 هامش 2 : الدّر .

(3) السواكرة ، انظر السلوك 752/1 هامش 1 .

(4) في السلوك 752/1 : السباط .

(5) البقط : الجزيرة . انظر السلوك 752/1 هامش 4 .

وعاد الأفرم بجميع العساكر إلى أسوان بعد أن كانت مدة الغيبة عنها ستة أشهر . وسار إلى القاهرة فوصل في أول جمادى الأولى سنة تسع وثمانين .

ولم يزل إلى أن قبض عليه الأشرف في يوم السبت ثاني شوال سنة اثنتين وتسعين ، وأحيط بسائر أمواله ، وحُمل منها إلى بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألف دينار مصرية ، ومن الغلات ستة وتسعون ألف إردب .

فأقام في الاعتقال إلى أن قُتل الأشرف وقام الأمير كتبغا النائب بتدبير سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، [فد]أفرج عنه في سلخ صفر سنة ثلاث وتسعين . ثم لمّا تسلطن جعله أمير جاندار في يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين .

فلم يزل على ذلك إلى أن مات بداره من مدينة مصر في يوم الأربعاء سادس عشرين صفر سنة خمس وتسعين وستمائة . ودُفن برباطه المطلق على بركة الحبش⁽¹⁾ . وكانت جنازته حافلة إلى الغاية .

وكان كثير الخير والإحسان . وعمر كثيراً من المدارس والمساجد بإسنا وبقوص وبمدينة مصر . وله بالرصد إلى الآن رباطٌ يشرف على بركة الحبش .

وكانت دنياه / واسعة مقبلة ، وهو من وسائط الخير وأهل المعروف وأرباب [230 ب] المروءات ومن أهل الدين . وكانت أمواله من الزراعة فإنه كان يتتبع أراضي الحرس فيشتريها أو يستأجرها ثم يعمرها ، وكان مع هذا محظوظاً فيها فصار بيده عدة بلاد ، وكل بلد يأخذها لا بدّ له من [أن] يعمل فيها أثراً : إمّا ببني مسجداً أو جامعاً أو مناراً يؤذن عليه . وكان إذا سمع بمسجد خراب عمّره . فبنى نحو ثلاثمائة مثذنة .

وبلغ متحصّله من الغلال ما ينيف على مائتي ألف إردب ، سوى التقاوى⁽²⁾ . وكان له في الغلاء أفعال فاضلة ، من إطعام الفقراء والأيتام

(1) رباط الأفرم المذكور في الخطط ، 4 / 297 .

(2) التقاوى ج تقوية ، وهي الحبوب المدخرة للبذر .

وأرباب البيوت الخبز والطعام .

وأوصى أن يُخرج طلبه على عادته ، وحيوله ملبسة وسناجقه منشورة ، وعلى مماليكه آلات الحرب مثل هيئة أيام توجّهه إلى الغزاة في سبيل الله ، ففعلوا ذلك من غير دقّ الطبول . وشهد نائب السلطان الأمير حسام الدين جنازته وجميع الأمراء والقضاة والمشايخ والفقراء ، وطلبه معهم على الحالة التي يخرج فيها إلى الغزو . فكثّر خشوع الناس وأتعاظهم به . وغلّقت مدينة مصر يومئذ .

وكانت فيه خبرة وشجاعة ومعرفة بالأمر ، منها أن المنصور قلاوون لما أفرج عنه عندما تسلطن وولاه نيابة السلطنة باشرها قليلاً بعد أسعفائه فلم يُعفيه ، ثم تمارض وأنقطع عن الخدمة في بيته فسأله أبنته أسد الدين [. . .] عن فعله فقال : لي فيه أرب .

فلما عزم السلطان على عيادته صنع له الطبيب شيئاً تهيج به وجهه وأصفر لونه . ودخل عليه السلطان فتوجّع له وقال له : تخبرني بجوائبك وما في نفسك حتى أفضيه لك - ظناً منه أنه مريض وربما مات من مرضه - ثم قال : قد مرضت في وقت حاجتي لرأيك في أمر مماليكى ومن أعطيه منهم الإمرة :

فقال : يا خوند ، ممالكك نافعة ، وقد ربّيتهم وكلّ منهم يستحقّ الإمرة فلا تؤخّر أمرهم . وأما حاجتي التي في نفسي ، فأني قد كبرت وأعتراني هذا المرض ، وضعف بصري من الحبس ، ولا أصلح للحكم بين الناس ولا يحلّ لي ، وأريد أن السلطان يُعفيني من النيابة .

فانزعج السلطان من كلامه وأمتنع من إعفائه . فألحّ في تقبيل الأرض وطلب الإعفاء . فقال له : إن كان ولا بدّ ، فأشر عليّ بمن يصلح .

فقال : إن قبل السلطان منّي ، فلا يُولِ إلّا مملوكه طرنتاي .

فوافق ذلك غرض السلطان وقام عنه . فدبّر نفسه حتى زال عنه ما به . وقال لولده بعد ذلك : أنت صبيّ . هذا قد تسلطن وله ممالك يريد أن ينشئهم

ويكبرهم ، فإنه يثق بهم ويُعجبه تقديهم ، ويفرح بهم . وأنا فما يُمكنه عزلي
عن النيابة بغير ذنب ، فيحتاج أن يعمل لي ذنباً ، ويقبض عليّ ويولي النيابة
لمملوكه ، ويبقى خلاصي ممتنعاً وقد شبت حبساً ، فعملت ما عملت ، وأنت
شاب لا يصل فكرك إلى هذا .

وما زال منقطعاً حتى ولي طرنطاي النيابة ، وأنعم السلطان على مماليكه
بالإمرات⁽¹⁾ . ثم ركب إلى القلعة فعمله السلطان أمير جاندار .

864 - أيلك الأشقر [707 -]⁽²⁾

أيلك الأشقر ، الأمير عزّ الدين الشجاعيّ ، شادّ الدواوين .
كان من مماليك الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ . وترقى بعده ووليّ شدّ
الدواوين عوضاً عن [. . .] .

وتوفّي هو وابنه وأمراته وتتمّة أحد عشر شخصاً من داره في شهر المحرم من
سنة سبع وسبعائة . فكان يُرى أنّ ذلك بدعوة لحقته : فإنه لما توجه إلى بلاد
الصعيد لإنشاء المراكب لغزو بلاد اليمن عيّن شجرة جُمَيْر ليقطعها ، وكانت
تظل على مسجد فيه طائفة من الفقراء ، وينتفعون بشمرها . فأناه رجلٌ / منهم [231 أ]
يُعتقد فيه الخير وسأله أن يتركها للفقراء فلم يفعل وأمر بها ففُطِعت . فقال :
اللهم ، كما قطع شجرنا ، أقطعه وأفطع شجره !

ففي تلك الليلة مريض ، وركب من غده في النبل وقدم إلى داره وهو مريض
فات وجميع من في داره .

وكان مهاباً عظيم الحرمة شديد الصولة .

(1) الإمرات : هكذا في المخطوط ولعلّه جمع إمرة في صيغة عامية .

(2) الدرر 1 / 450 (1103) .

(3) في السلوك 2 / 55 : في سنة 708 شهر المحرم .

865 - أَيْتَمُشُ الْجَمْدَارِ النَّاصِرِيِّ [755 -]⁽¹⁾

أَيْتَمُشُ الْجَمْدَارِ النَّاصِرِيِّ ، الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ ، أَحَدُ الْمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ .

تَرَقَّى فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أُنْعِمَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ بِإِمْرَةٍ طَبْلَخَانَاهُ ، فَعَرَفَ بِالنُّوْدَةِ وَالسَّكُونِ وَكَثْرَةِ الْأَدَبِ وَالْحَشْمَةِ ، وَالتَّبَاعُدِ عَنِ الشَّرِّ ، وَحَسَنِ التَّصَرُّفِ وَالتَّدْبِيرِ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ الْأَيَّامُ الصَّالِحِيَّةُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ مُحَمَّدٍ . [فـ] أَتَّفَقَ الرَّأْيُ عَلَى إِقَامَتِهِ وَزِيَرًا ، فَأَمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَمْتَنَاعِ ، فَلَمْ يُتْرَكْ وَخُلِعَ عَلَيْهِ فِي نِصْفِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ عَوْضًا عَنْ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَزِيرِ بَغْدَادٍ . ثُمَّ صُرِفَ عَنْهَا .

وَأَقَامَ عَلَى إِمْرَتِهِ وَعَمِلَ حَاجِبًا حَتَّى خُلِعَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عِشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى عَوْضًا عَنْ قَطْلِ بَغَا الْحَمَوِيِّ [عَلَى نِيَابَةِ دِمَشْقَ] . وَسَارَ إِلَيْهَا فَقَدِمَهَا فِي حَادِي عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ . وَسَلَكَ سَبِيلَ الْعَافِيَةِ وَلَمْ يُغَيَّرْ شَيْئًا حَتَّى طُلِبَ إِلَى مِصْرَ . فَخَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَلَاثَ عِشْرِينَ شَهْرَ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ النَّائِبُ قُبْلَايَ ، وَجَهَّزَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فَحُبِسَ بِهَا .

ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ وَتُبِّيَ إِلَى صَفَدٍ بَطَالًا فَوَصَّلَهَا فِي أَخْرِيَاتِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ كَانَتْ نَوْبَةُ الْأَمِيرِ بَيْبَغَا أَرُوسَ ، [فـ] خُلِعَ عَلَيْهِ فِي ثَلَاثِ شَوَّالٍ مِنْهَا ، وَاسْتَقَرَّ نَائِبَ طَرَابُلُسَ عَوْضًا عَنْ الْأَمِيرِ بِكَلْمَشَ [النَّاصِرِيِّ] ، فَفَاتَ بِهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَحَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَكَانَ لَيْتًا وَطِيءَ الْجَانِبِ .

(1) الوافي 482/9 (4445) ؛ الدرر 453/1 (1113) ؛ المنهل 137/3 (584) .

866 - أَيْتُمُش السَّعْدِيّ [684 -]⁽¹⁾

أَيْتُمُش السَّعْدِيّ ، أَحَدُ الْمَالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ .

تَرَقَّى فِي الْخِدْمِ حَتَّى صَارَ مِنْ الْأُمَرَاءِ . فَلَمَّا قَبِضَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ عَلَى كَوْنُذَكْ بِحَمْرَاءِ بَيْسَانَ⁽²⁾ قَرَأَ أَيْتُمُش ، وَمَعَهُ بَلْبَانُ الْهَارُونِيّ فِي نَحْوِ الثَّلَاثِمِائَةِ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ وَالسَّعِيدِيَّةِ وَلِحِقُوا بِقَلْعَةِ صِهْيُونَ عِنْدَ الْأَمِيرِ سَنْقَرِ الْأَشْقَرِ . فَأَقَامُوا عِنْدَهُ إِلَى أَنْ نَزَلَ لِقِتَالِ التَّتَارِ وَاجْتَمَعَ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ وَقَاتَلَ مَعَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى صِهْيُونِ فَتَأَخَّرَ عَنْهُ الْأَمِيرُ أَيْتُمُشُ هَذَا وَسَنْجَرُ الدَّوَادَارِيِّ وَكَرَائِي التَّتَرِيِّ وَقَبْجَكُ⁽³⁾ فِي جِمَاعَةٍ ، وَعَادُوا مَعَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ إِلَى مِصْرَ . فَرَدَّ عَلَى أَيْتُمُشِ إِقْطَاعَهُ وَهُوَ نَاحِيَةُ نَائِي وَطْنَانِ⁽⁴⁾ وَجَعَلَهُ أَمِيرَ مِائَةِ فَارَسٍ كَمَا كَانَ ، وَذَلِكَ فِي السَّبْتِ آخِرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِحُكْمِ أَرْتَجَاعِهِ عَنِ الْأَمِيرِ أَبِيكَ الْأَفْرَمِ ، وَأُعِيدَ إِلَى الْأَفْرَمِ إِقْطَاعُهُ الْقَدِيمُ مِمَّنْ هُوَ بَيْنَهُ .

ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ خَامِسِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْهَا وَعَلَى الْهَارُونِيّ وَغَيْرِهِ ، وَأَعْتَقَلُوا . فَمَاتَ أَيْتُمُشُ فِي مَعْتَقَلِهِ آخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

867 - أَيْتُمُشُ الْمَحْمَدِيّ [736 -]⁽⁵⁾

أَيْتُمُشُ الْمَحْمَدِيّ ، الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ ، أَحَدُ الْمَالِكِ الْمَنْصُورِيَّةِ قَلَاوُونَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى أَبْنَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ فَخَدَمَهُ .

(1) أَيْتَمْسُ وَأَيْتَامُشُ وَأَيْتَامُشُ . وَيُلَقَّبُ سَيْفُ الدِّينِ .

(2) السُّلُوكُ 1/ 686 ؛ النُّجُومُ 7/ 300 .

(3) فِي الْمَخْطُوطِ : نَمَاجِي . وَالْإِصْلَاحُ مِنَ السُّلُوكِ 1/ 691 .

(4) السُّلُوكُ 1/ 702 هَامِشٌ 3 وَ 4 .

(5) الْوَاقِئُ 9/ 440 (4380) وَهُوَ أَوْتَامُشُ ؛ الدَّرَرُ 1/ 452 (1112) ؛ الْبَهْلُ 3/ 112

(559) وَهُوَ أَوْتَامُشُ أَيْضاً ؛ النُّجُومُ 9/ 310 ؛ السُّلُوكُ 2/ 405 .

وخرج معه إلى الكرك في سنة ثمانٍ وسبعائة فرثبه بالقلعة ومعه أخوه أرقطاي وأرغون الدودار ، إلى أن تحرك في طلب الملك [ف]بعثه إلى دمشق بلطفين⁽¹⁾ ، أحدهما إلى الأمير قطلوبك المنصوري ، والآخر إلى الأمير بكتمر الحسامي الحاجب .

فنزل ليلاً على أحد ممالك قطلوبك وأعلمه بما قدم فيه لثقتَه به . فلمّا أعلم أستاذه عزم على قبض أيتمش وحمله إلى آقوش الأفرم نائب الشام . فأوقف أيتمش على هذا وأمكنه من النجاة بنفسه ، فطرق الأمير بهادر آص في الليل وحدته بجبره وما عزم عليه قطلوبك . فأمنه وأنزل^[هـ] عنده وقام بواجب حقّه . [231 ب] وأركبه معه بكرة إلى الخدمة ، فإذا بقطلوبك قد أعلم النائب / بأنّ قاصدَ الملك الناصر حضر إليه في الليل وأنّ مملوكه هرّبه . فاستدعى الوالي وألزمه بالفحص عنه وإحضاره وهدّده إن لم يُحضِرْهُ بالقتل . فقال بهادر آص : ما نحتاج إلى هذا ، فإنه قد جاءني القاصد وأعلمني أنّ معه مشافهة لا يقوها إلّا لمولانا ملك الأمراء بحضرة الأمراء ، وقد أحضرته - وأشار إلى أيتمش .

فتقدّم وسلّم عليهم من قبل الملك الناصر وبلّغهم ما كان فيه من الحجر عليه حتى ترك السلطنة ، وما يريد منه الملك المظفر ، وأنه يُريدُ السَّيرَ إلى الشام ، ويريدُ أن يعلم مَنْ يَمْنَعُه منكم .

فغضب النائب وأمر به فقبض عليه ووكل به إلى الليل ، وأحضره وأعطاه ذهباً وأعادته إلى الكرك .

فأخرجه [الناصر] ثانياً ومعه اللطفات فقدم حماء على الأمير قبجق فاعتذر بأنّه مع قراسنقر نائب حلب حيث كان . فسار إلى حلب واجتمع بقراسنقر ، فأكرمه وكتب جوابه بالسمع والطاعة ، وأن تكون الحركة أول شعبان . فعاد إلى الكرك بأجوبة قبجق وأسندمر نائب طرابلس بمثل ذلك .

(1) اللطّف بفتحني ج الطاف : الهدية .

ثم خرج إلى صفد وبعث إلى الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد ، وتلطّف به حتى اجتمع به سرّاً والتزم له بأمرائه ، وأخرجه ليلاً في المقابر وأجاب إلى الطاعة كما أجاب غيره .

ثم توجه إلى القدس واجتمع بالأمير كراي المنصوري ، وأخذ جوابه بالحركة مع النّوّاب ، وعاد إلى الكرك .

وسار السلطان إلى دمشق وأستخلفه على الكرك . فلم يزل على نيابتها إلى أن قبض السلطان على الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة وبعثه ليسجن بالكرك . [ف]خاف من أيتّمش أن يتفق معه ، فإنّه كان خوشداشه ومؤخياً له . فصرفه عن نيابة الكرك بالأمير بغا الأشرفي ، وأحضره إلى مصر في أثناء سنة إحدى عشرة وخلع عليه وصار من أكابر أمراء مصر . فلمّا توجه السلطان إلى دمشق في سنة اثنتي عشرة وحبّج منها ، أستخلفه بقلعة الجبل . فسار في مدّة غيبة السلطان سيرة جميلة [و]هابه الناس مهابة زائدة ، ومنع الأكابر من النخوة إلى أن قدم السلطان .

ثم أخرجه على عسكر إلى الحجاز في سنة ثمان عشرة ، وكانت له حروب مع الشريف حميضة بن أبي نُمَي أمير مكّة والشريف ودّي أمير المدينة قد ذكرت في ترجمتي حميضة⁽¹⁾ ومنصور بن حجاز .

ثم أخرجه في آخر المحرم سنة تسع عشرة إلى برقة ، ومعه من الأمراء بلبان الخاص تركي وبلبان الحسني وسنقر المرزوقي وصمغار بن سنقر الأشقر وبيكلي الجمدار وغرلوا الجكندار ونوغاي ، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة . وسبب ذلك أنّ قائد وسليمان ، من أمراء عرب برقة ، وصفا للسلطان فرسين عند جعفر ابن عمر وبالغا في مدحها فكتب يطلبها منه ، فأنكرها . فأخذ قائد وسليمان يوحشان ما بينه وبين السلطان ويتّهمانه بالعصيان والامتناع من إعطاء زكاة

(1) ترجمة حميضة رقم 1311 . أمّا ترجمة منصور ففقودة .

غَنَمَهُ ، وَأَنَّهُ كَثِيرُ الْغَارَاتِ عَلَى عُرْبَانِ الطَّاعَةِ ، وَنَحْوُ هَذَا الْقَوْلِ ، إِلَى أَنْ جَرَّدَ أَيْتُمُشَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ . وَأَخْرَجَ مَعَهُ تَمَيدَ وَسَلِيمَانَ ، وَكُتِبَ لِعُرْبَانِ بَرَقَةَ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ .

فَسَارَ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَتَوَجَّهَ مِنْهَا بَعْدَمَا أَحْضَرَ إِلَيْهِ سَرًّا مِنْ يَحْيَى الطَّرِيقِ لِيَسِيرَ بِهِ عَلَى غَيْرِ الْجَادَةِ حَتَّى يَطْرُقَ الْعَرَبُ بَغْتَةً . وَكَانَتِ الْجَادَةُ مَسَافَتُهَا إِلَيْهِمْ نَحْوَ الشَّهْرَيْنِ . فَدَلَّهَ عَلَى طَرِيقِ تَوْصُلِهِ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، بَعْدَمَا شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مِائَةَ دِينَارٍ وَيَخْلُصَ لَهُ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنَ السُّلْطَانِ إِقْطَاعًا لِيَقِيمَ بِالْبَحِيرَةِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِائَةَ الدِّينَارَ وَالْأَتَزَمَ بِالْإِقْطَاعِ ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بِالْعَسْكَرِ . فَأَنْكَرَ قَائِدَ وَسَلِيمَانَ سُلُوكَ الْعَسْكَرِ فِي غَيْرِ الْجَادَةِ وَأَرَادُوا [مِنْ] الْأَمِيرِ أَيْتُمُشَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ طَرِيقِهِ الَّتِي هُوَ [232 أ] فِيهَا / وَيَسْلُكُ الْجَادَةَ ، وَخَوَّفُوهُ عَاقِبَتَهَا . فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا وَمَضَى وَالْعَسَاكِرُ تَتَّبِعُهُ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى مَنَازِلِ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بَعْدَ ثَلَاثَةِ عَشْرِ يَوْمًا ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ لَا عِلْمَ لَهُمُ بِالْعَسْكَرِ ، فَهَيَّئُوا عِنْدَ رُؤْيَةِ الْخَيْلِ . وَوَقَفَ أَيْتُمُشَ وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ . فَبَعَثَ جَعْفَرٌ إِلَيْهِ بَأْنًا فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ ، وَنَزِيدَ أَنْ نَعْرِفَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَسِيرَكُمْ إِلَيْنَا ؟

فَأَعَادَهُمْ بِأَنْ مَعِيَ مَرْسُومُ السُّلْطَانِ ، فَلِيَحْضُرَ جَعْفَرُ لِيَسْمَعَ مَا فِيهِ . فَوَاعَدُوهُ الْغَدَ . فَبَاتَ أَيْتُمُشَ لَيْلَتِهِ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَصْبَحَ . وَأَتَاهُ أَخُو جَعْفَرٍ وَأَكَابِرُ قَوْمِهِ . فَأَبَى إِلَّا حُضُورَ جَعْفَرٍ ، فَأَمْتَنَعَ مِنَ الْحُضُورِ وَقَالَ : أَبَعَثَ بِالْفَرَسَيْنِ وَغَيْرِهِمَا إِلَى السُّلْطَانِ ، وَكَانَ قَائِدَ وَسَلِيمَانَ قَدْ عَرَّفَاهُ أَنَّ الْغَرَضَ إِسْرَافُ الْفَرَسَيْنِ وَتَكْفُلًا لَهُ بِرَجُوعِ الْعَسْكَرِ وَوَافِقَاهُ أَنْ يَكُونَا مَعَهُ يَدًا وَاحِدَةً .

فَبَعَثَ يَسْتَنْجِدُ الْعُرْبَانَ فَأَتَتْهُ طَوَائِفُ طَوَائِفَ ، فَرَابَ أَيْتُمُشَ تَوَارُدُ الْعَرَبِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ . فَبَادَرَ إِلَى لِبْسِ السِّلَاحِ وَأَلْبَسَ أَصْحَابَهُ وَمَنَعَ الْعَرَبَ أَنْ تَرْكَبَ مَعَهُ ، وَأَخْتَارَ مِنَ الْأَجْنَادِ مِائَةَ وَخَمْسِينَ رَامِيًا قَدَّمَهِمْ أَمَامَهُ وَوَصَّاهُمْ أَنْ لَا يَسُوقُوا وَلَا يَسْرِعُوا فِي السَّيْرِ حَتَّى تَحْمِلَ الْعَرَبُ بِرُمَّتِهَا عَلَيْهِمْ ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّمْيُ

عليه من غير أن يحملوا على العرب ، بل يستقرّ كلّ واحدٍ من العسكر في موضعه . وركب ساقّة العسكر وأفرد العرب ناحيةً وحرك الطبول . فحملت عرب جعفر على العسكر حملةً واحدة برماح فيها ما يبلغ طوله ثمانية أذرع وسانه قدر الذراع ونصف . فرشقهم العسكر بالنشاب ، وأصيب غرلوا⁽¹⁾ وسقط عن فرسه فتلاحقوا به وأركبوه . فلم تثبت العرب للسهم ورجعت . ثم حملت حملة ثانية ثم أخرى حتى تمّ لهم سبع حملات ، وهم ينهزمون فيها . ووصل العسكر إلى بيوتهم فإذا هي في جزيرة كلّها غابة أشجار ، فقاتلوا عند البيوت قتالاً عظيماً حتى أنهزموا إلى الجزيرة . فنع أيتّمش العسكر من اقتحامها عليهم وحمل حريمهم من التّهب ونادى : من تعرّض لنهب بيت شعراء ودخل إليه قُتل - ونادى بنهب الأغنام والجمال خاصّة ، فأشتغل العسكر بها وظفروا منها بما لا يدخل تحت حصر ، فكان الواحد يسوق المائة وفوقها ويترك أضعاف ما أخذ .

وأقتحم بعض الغلمان بيوت العرب فصاحت النسوان ، فأخرج أيتّمش الغلمان وقطع أيدي عدّة منهم وشقّ أنوف جماعة وقطع أعصاب طائفة ، فلم يجسر أحدٌ بعدها [أن] يدنو من الحرم . وبات العسكر على غاية التيقّظ والاحتراس . فلما أصبح سار عائداً ومعه ستّائة من الأسرى بعدما قتل عدداً كثيراً في الحرب . فعرضهم وعفا عنهم . وأفتقد عسكره فوجد فيهم اثني عشر قد جرحوا وقُتل منهم فارس واحدٌ . وحاز العسكر مالاً عظيماً حتى أبيع الجمل من عشرين إلى ثلاثين درهماً والرأس الغنم بدرهم ، ولم يبقَ للصوف والسمن قيمة من كثرته .

واستمرّ سنّة أيام بالسلاح ، وبعث بالبشارة إلى السلطان ، فبعث للقائه الأمير ألباي الساقى فأخذ خمس ما مع العسكر من المال للسلطان ، وقرق ما بقي على⁽²⁾ العسكر فجاء نصيب الواحد ما بين أربعة جمال إلى خمسة ، وما بين

(1) شجاع الدين غرلوا الجوكندار . السلوك 1/ 192 .

(2) في المخطوط : من العسكر .

عشرين رأساً من الغنم إلى ثلاثين . وعاد أَيْتُمُش بَمَنْ معه إلى القاهرة فشكره السلطان وخلع عليه .

ثم بعثه إلى ألقان أبي سعيد بن خربندا في سنة اثنتين وعشرين ، وعلى يده هدايا جليلة ليعقد الصلح بينه وبين أبي سعيد . وأنعم عليه بألفي دينار ، فسار بتجمل لم يسر بمثله أحد ممّن توجه في الرسالة إلى الشرق من مصر ، فما ترك [232 ب] أحداً من ممالكه حتى عمل له الكلفتاه زركش والقبا بطراز ذهب / وشبه ذلك من الخيل والعُدد فإنّه كان كبير الهمة عارفاً كريماً .

فلما قدم ماردين تلقاه صاحبها وأكرمه وبعث إليه التّقادُم ، فلم يقبل منه إلّا يسيراً ، وحمل إليه الهدية السلطانية ومعها تقدمة ⁽¹⁾ من جهته . فأركبه عند فراقه فرساً وقاد معه بغلاً وهجيناً ⁽²⁾ . فلم يبعد عن ماردين غير قليل حتى تلقاه بعضُ أمراء أبي سعيد بالإقامات إلى أن قدم توريز . [ف]ركب الوزير خواجا علي شاه ومعه المجد محمد السلامي إلى لقائه ، فأكرمه وجّهه إلى الأردو . فأجلّ ألقان أبو سعيد قدره وناولته الهُتّاب ⁽³⁾ [ب]المشروب من يده ليشرب ، وهذه أعظم كرامة عندهم . فامتنع من شرب الخمر ، واعتذر بأنّه جعّ فأعفاه . وبلغ رسالة السلطان ودفع إليه كتابه . فأنزله ورّتب له في كلّ يوم ستّين رأساً من الغنم . وأعجب به أهل الأردو وبمّن معه لحسن زيّهم ، وحلّ عندهم محلاً رفيعاً ، فإنّ [هـ] كان من خالص جنس المغل عارفاً بلُغَتِهِمْ منزلته من الترك منزلة النحويّ بين العامة ، ويكتب كتابة فائقة الحسن ، فلم يبقَ أحد فيهم من الأمراء إلّا وأضافه ، فما أضافه منهم أحدٌ إلّا وقّدم له تقدمةً تليق به . وفرّق راتبه في فقرائهم ، وتقدّم إلى جميع من معه أن يعفّوا عن الفواحش . فتيسّر على يده ما

(1) التّقادُم : الهدايا .

(2) الهجين : مركوب من الإبل .

(3) الهُتّاب : القدح من الشراب ، ولعلّ الكلمة انتقلت إلى اللغات الغريبة فيقال في الفرنسيّة مثلاً Hanap (وانظر دوزي في المادّة) .

أرادَه السلطان من الصلح ، وصعد الخطيب في يوم الجمعة منبر توريز ودعا للسلطان الملك الناصر بعد ألقان وحثَّ على الصلح ورغب المغل في الإسلام وعرفهم أن المملكتين صارتا مملكة واحدة .

فلما تهيأ سفره حلف أبو سعيد والأمير جوبان والوزير علي شاه على ما تقرّر وكُتبت نسخة اليمين ، وغمره بالإنعام وسفره . فقدم إلى مصر وأحضر إلى السلطان ما حصل له وهو نحو المائتي ألف درهم سوى القماش . وقدم من عنده لؤلؤاً اشتراه بأربعين ألف درهم قُوم بمائة ألف ، فأنعم السلطان عليه بذلك كله . فأقسم بالأيمان الحرجة أنه لا بدّ من قبول السلطان لذلك جميعه . فحُمِل إلى الخزانة . وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وقدم له كريم الدين الكبير عشرين ألف درهم .

فقدم عقيب ذلك رسول أبي سعيد لتحليف السلطان في رابع عشر جمادى الآخرة منها ، فحلف له : ثم سار في سابع جمادى الأولى سنة ستّ وعشرين في الرسالة لأبي سعيد وعلى يده هدايا جليلة ، وقدم يوم الثلاثاء [ثا] من عشرين شعبان وقد قضى المهمّات السلطانية فأكرمه السلطان ورفع محله .

وتوجّه أيضاً وعاد يوم الأحد رابع عشرين المحرم سنة تسع وعشرين ، وتوجّه إلى مكّة على عسكر للنصف من صفر سنة إحدى وثلاثين لمُحاربة الشريف رميثة بن أبي نُمَي ، فقدم مكّة وقد خرج منها رميثة وجمع عُربانه يريد الحرب ، فتلطّف به أيتُمُش ، وبعث إليه عشرة أحمال ما بين دقيق وبشماط⁽¹⁾ وشعير ، وخمسة آلاف درهم ، حتى قدم إليه طائعاً ولبس تشريف السلطان وأستقرّ في إمارة مكّة . وقصد أن يقدم لأيتُمُش ومن معه من العسكر تقادم فلم يُمكنه أيتُمُش من ذلك . وعاد بمنّ معه فقدم القاهرة في سابع جمادى الآخرة ، وقد كانت مدّة غيبته أربعة أشهر تنقصهـ[ا] ثمانية أيام .

ثم خرج لنيازة صفد عوضاً عن الأمير / أرقطاي في سنة ستّ وثلاثين ، [233 أ]

(1) البشماط : كملك غير محشو .

وكان قد أعتراه مرض الفالج مدّة سنة وصار إذا دخل الخدمة السلطانيّة يتوكأ على عصا ليتوقّر عليه حضور الخدمة . ونُقل أرقطاي إلى مصر على إقطاع أيتْمُش وتقدمته . وأحسنَ أيتْمُش السيرة في أهل صفد ، فلم تطل بها أيامه ومات في السنة المذكورة⁽¹⁾ فولّي بعده نيابة صفد الأمير طشتُمُر حمّص أخضر .

وكان أيتْمُش ططريّ⁽²⁾ الجنس عارفاً بلسان المغل جيّد الخطّ به . وذلك هو سبب سعادته : فإنّ العادل كتبها لمّا عرض المالك أعجب بكلامه وجودة خطّه بالمُعْلِيّ فزاد في جامعيّته⁽³⁾ ، وأنفق قدوم رسل ملوك الشرق بكتاب فقرأه على كتبها وكتب جوابه . فأُنعِمَ عليه بإقطاع ، ثم ولي نيابة الكرك كما تقدّم وتنقل في الأسفار والخدم حيث كانت رسل أبي سعيد بن خربندا إذا قدمت مصر يُبلِغُ السلطانَ عن أبي سعيد وحاكم دولته الأمير جوبان بأن لا يأتينا في الرسالة إلّا أيتْمُش .

وكان السلطان إذا جلس عنده الأمراء في خلوة وتذاكروا سيّر بعضهم بعضاً يقول : أذكروا أيتْمُش ، فإنّه [كان] ميمون الغرّة ما سيّرتّه في أمرٍ إلّا قضاه ولا وقف في حربٍ إلّا وانتصر .

ولمّا مات أنعم السلطان بجميع ما خلّفه على [أخيه] الأمير أرقطاي : فإنّ [أيتْمُش] لم يترك ولداً .

868 - أيدغددي شقير [715 -]⁽⁴⁾

أيدغددي شقير ، الأمير علاء الدين ، [المنكوتمريّ] ، أحد ممالك الملك المنصور لاجين .

(1) السلوك 405/2 : في 13 ذي القعدة .

(2) هكذا بطاءين .

(3) الجامكية : الراتب .

(4) الدرر 455/1 (1119) ؛ السلوك 144/2 و 159 ؛ النجوم 41/9 .

ترقى في خدمته إلى أن تسلطن [لاجين] فجعله من أمراء مصر .

ثم خرج إلى الشام فأقام بها بعد قتل لاجين . وتوجه على عسكر من دمشق إلى الرحبة في سنة سبع وسبعائة . فلما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرةً ثالثة قدم معه إلى مصر في سنة تسع وسبعائة ، وتمكّن منه تمكناً زائداً بواسطة خُشداشيه الأمير طوغاي حتى صار يستشيريه . فأكثر من رمي الفتن بينه وبين الأمراء وغيرهم ، فنفرت القلوب منه وكثر ذمه ، ودسوا عليه [للسلطان أنه يريد الفتك به هو وخوشداشيته ، إمّا بأن يغتاله أو يسقيه السمّ . فبنى على صحة ذلك كما هي عادته أنه لا يكذب خبراً يقتضي القدح في الملك ، وقبض عليه في مستهلّ شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعائة ، وقتل في يومه . وكان قد بعث إليه السلطان في هذا اليوم بكرة النهار مع كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ بالقيّ مثقال ذهباً في كيسين توجه بهما إليه كريم الدين نفسه إعانةً له على عمارة إسطبله⁽¹⁾ تحت القلعة . فقبض عليه بعد الظهر وأحاط بموجوده .

869 - أيدغدي الخوارزمي [729 -]⁽²⁾

أيدغدي الخوارزمي ، الأمير علاء الدين ، أحد [. . .] .

ترقى إلى أن صار من جملة الأمراء وعمل حاجباً نائباً . وبعثه الملك الناصر محمد بن قلاوون غير مرة في الرسالة إلى ألقان أزيلك⁽³⁾ . ثم أخرجه من مصر في سنة إحدى وعشرين وسبعائة حاجباً بدمشق لمُعاضبته الأمير ألباس الحاجب فما

(1) اسطبله بالسین. هذه المرة .

(2) الدرر 1 / 454 (1116) .

(3) السلوك 2 / 164 .

زال بها إلى أن مات في أول شهر رمضان سنة تسع وعشرين وسبعائة ، وأنعم بإمرته على قلبرص⁽¹⁾ ابن الأمير علاء الدين الحاج طيرس .

870 - أيدغدي الشهرزوري [- بعد 705]⁽²⁾

أيدغدي الشهرزوري ، الأمير علاء الدين .

كان من جملة الأكراد بمصر . فلما قبض الظاهر بيبرس على الأمير بهاء الدين يعقوبا أمير الأكراد والشهرزورية وجماعة من أكابرهم ، فر إلى بلاد المغرب في عدة من الأكراد ، وتعلقوا بخدمة السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني . وتمكّن أيدغدي وتحدّث في أمور الوزارة وسار فيها سيرة جيّدة .

ثم قدم إلى القاهرة في سنة أربع وسبعائة يريد الحجّ في حشمة زائدة وعبيد وحفلة ، ومعه هديّة جليلة للسلطان من أبي يعقوب⁽³⁾ . وقدم معه ركب [233 ب] المغاربة لقصد الحجّ . / [. . .] هذه الهدية ومعها كتاب مرسله إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقبلت منه ، وأنزل في مكان يليق به ، وأجريت عليه الرواتب السنّية ، إلى أن حجّ مع الأمير سلار النائب .

فلما عاد في المحرم سنة خمس وسبعائة جهّزت معه هديّة فيها عشرون إكديشاً⁽⁴⁾ من أكاديش التتار التي أخذت في وقعة شقحب مع عشرين أسيراً من التتر في عدة من طبولهم وقسيّهم وعدّة ثياب وتحف . وأرسل معه علاء الدين أيدغدي التليلي⁽⁵⁾ .

(1) ذكرت وفاته سنة 730 ؛ السلوك 2 / 326 .

(2) الدرر 1 / 454 (1117) ؛ السلوك 2 / 9 ، 15 .

(3) ذكر أسم السلطان المريني في السلوك 2 / 9 مطوّلاً ، يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ ...

(4) الإكديش : فرس قصير ضامر عتيق (دوزي) .

(5) في السلوك : أيدغدي التليلي الشمسيّ مملوك سنقر الأشقر ، وأضاف إلى الوفد الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي السالف الذكر .

871 - أيدُعدي التليي [728 -]⁽¹⁾

أيدُعدي التليي ، الأمير علاء الدين الشمسي ، أحد أمراء دمشق .
[جهّزه الناصر رسولاً إلى صاحب المغرب مرّة . ومات بطّالاً بدمشق سنة
728] .

872 - أيدغمش الحكيمي [680 -]⁽²⁾

أيدغمش الحكيمي ، الأمير سيف الدين ، أحد الأمراء الظاهرية .
قتله الملك المنصور قلاوون لموافقته كوندك على الفتك بالسلطان ، وغرقه في
بحيرة طبرية في خامس عشر المحرم سنة ثمانين وستائة .

873 - أيدغمش الناصري [743 -]⁽³⁾

أيدغمش الناصري ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن
قلاوون ، انتقل إليه من الأمير سيف الدين بلبان الطباخي ، ونقله في الخدم إلى
أن صار من جملة الأمراء ، وعمله أمير أخور بعد مجيئه من الكرك وعوّده إلى
السلطنة ، عوضاً عن بيبرس الحاجب في سنة تسع وسبعائة . فاستمر على ذلك
حتى مات السلطان وأقيم من بعده أبنته المنصور أبو بكر . فوافق الأمير قوصون
على خلعه وأعان عليه بخذلانه .

(1) الدرر 1 / 454 (1115) والزيادة منها .

(2) السلوك 1 / 686 .

(3) الوافي 9 / 488 (4452) ؛ الدرر 1 / 455 (1220) ؛ المهمل 3 / 165 (598) ؛

السلوك 2 / 637 ؛ النجوم 10 / 99 .

ثم توحّش ما بينه وبين قوصون في الأيام الأشرفيّة كجك ، وأنقطع عن طلوعه إلى القلعة أيّاماً ، وأحترس على نفسه ، بحيث إنّه كان يُغلق باب السلسلة إذا ركب قوصون تحت القلعة في الموكب . فما زال به قوصون حتى عاد إلى مصالحته على دخل . فلم يُقم إلّا قليلاً وثار عليه فيمّن ثار من الأمراء وأخرجوه مقيداً إلى الإسكندرية . ودبّر أمور الدولة ، وبعث الأمير جنكلي بن البابا والأمير بيبرس الأحمديّ إلى الناصر أحمد بالكرك ليُحضّراه ، وقبض على عدّة من الأمراء ، وأفرج عن الأمير ملكتمّر الحجازيّ ومن كان معه من الأمراء ، وطلب عبد المؤمن والي قوص وقتلَه لِقَتله الملك المنصور أبا بكر ، وأعاد أولاد الناصر محمد بن قلاوون من نفيهم بقوص إلى قلعة الجبل ، وحلّف الأمراء والعسكر لِلناصر أحمد .

فلما ثبتت دولة الناصر أحمد أخرجه لنيابة حلب ، واستقرّ قهاري أمير شكار عوضه أمير أخور ، وسار في أوائل ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين في نيابة حلب إلى أن خُلع أحمد الناصر بأخيه الصالح إسماعيل ، فرسم بنقله إلى نيابة دمشق في المحرم سنة ثلاث وأربعين ، واستقرّ عوضه في نيابة حلب الأمير طقزدمر . فقدم أيدغمش دمشق يوم الخميس العشرين من صفر فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة منها . فركب حتى أطلع طيوره وعاد إلى دار السعادة ، وقرئت عليه القصص على العادة وأكل الطعام وعلم على ما رسم بإمضائه ، وعرض طلبه ، وظلّ نهاره في تنفيذ الأشغال . ثم قام إلى داره فإذا جاريتان تتخاصمان ، فضرب إحدهما ضربتين ، وأراد أن يضرب الثانية فسقط ميتاً .

فأخرج من الغد ودُفن خارج ميدان الحصى في تربة عمّرت له هناك . وكان كثير العطاء جواداً . وترك ثلاثة أولاد أمراء هم : أمير عليّ وأمير حاجّ ، وأمير أحمد ، أمرهم الناصر أحمد لعلّو مكانة أيدغمش عنده . وكان الصالح إسماعيل قد تنكّر عليه وكتب بإمساكه ، وذلك أنّه وُشي به

أنه يباطن أخاه أحمد الناصر بالكرك . فوصل خبر موته ، والقاصِدُ بمسكه في
قطيا سائر إليه ، فعاد .

874 - أيدهمش [أيديكين] البندقدار [684 -]⁽¹⁾

أيدهمش [أوأيديكين] البندقدار ، الأمير علاء الدين الصالحِي / [234 أ]
النجمِي ، أحد المماليك البحرية الصالحيّة .

كان مملوكاً للأمير جمال الدين موسى بن يغمور . ثم انتقل إلى الملك الصالح
نجم الدين أيوب . وتنقّل في الخدم بديار مصر ، وجعله الملك الصالح بندقدار
ورثه على عسكر بعجلون لما ملكها . ثم نقم عليه لكونه تزوّج سرّيّة الأمير علي
أبن قليج بغير إذنه وطرده . ثم كتب بالقبض عليه فأخذ من البريّة وحمل إلى
السلطان فأخذ منه بيبرس وغيره من المماليك وسجنه بعجلون ، إلى أن صار من
الأمراء بعد زوال الدولة الأيوبيّة .

وأستتابه الملك المعزّ أيلك التركماني في سنة ثمان وأربعين وستّائة . وكان
يجلس مع نواب دار العدل بالمدارس الصالحيّة بين القصرين للنظر في المظالم .
ثم ولي نيابة حلب في سنة تسع وخمسين ، وتركها لشدة غلاء الأسعار بها
وعاد إلى القاهرة سريعاً .

ومات بالقاهرة في شهور سنة أربع وثمانين وستّائة ، ودفن بخانكاه التي
تعرّف بالبندقداريّة قريباً من صليبة⁽²⁾ الجامع الطولوني خارج القاهرة .

وإليه يُنسب الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، فإنّه كان في ملكه أولاً .

(1) في النجوم 365 / 7 : علاء الدين أيديكين البندقداري الصالحِي النجمِي أستاذ الملك الظاهر
بيبرس . وكذلك في السلوك 1 / 730 : أيديكين والشذرات 5 / 388 فلعلّ الناسخ استرسل
في كتابة أيدهمش خطأ . وكذلك في الوافي 9 / 491 (4456) - والخطط ، 2 / 282 ،
وتالي الوفيات ، 26 (26) .

(2) الصليبة : مجمع الطريقين عند تقاطعها (دوزي) . والمدرسة البندقداريّة ذكرها المقرئزي
في الخطط ، 4 / 282 .

875 - أيدكين الصالحيّ [690 -]⁽¹⁾

أيدكين الصالحيّ ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الصالحيّة .
تنقل في الخدم إلى أن ولي نيابة السلطنة بصفد ، وبها مات في سنة تسعين
وسمّائة .

876 - أيدكين [الأزكشيّ] البريديّ والي القاهرة [- بعد 735]⁽²⁾

أيدكين البريديّ ، الأمير [. . .] الدين .
[. . .] تم استقرّ في ولاية القاهرة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن سليك المحسنيّ في
[يوم الخميس ثاني شعبان] سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بسفارة شرف الدين عبد
الوهاب النشو ناظر الخاصّ . فاستبدّ على أهل الرتب ، وتبع أهل الفساد ،
وصار يتنكر ليلاً ويمشي بأزقة القاهرة ويسمع من في الدور يغني وتشتّم عنده
رائحة خمر ، فيحلّ به بلاء عظيم . فأحرق بجماعة من المستورين ، وقويت
حرمتهم وزادت مكانته عند السلطان فلم يتلطّف بالأمراء بل شاققهم وتعامى عن
مداراتهم .

وركب في ذي الحجة منها إلى النخيلة خارج اللوق حيث يجتمع الزعر -
وكان يُعمل هناك عدّة أخصاص يجتمع بها الناس للفرجة على الزعر⁽³⁾ - وطرقهم
على بغتة وأخذ كثيراً منهم وسلب خلقاً كثيراً ثيابهم . وجمع الباعة وطرحها عليهم

(1) الوافي 9/ 490 (4454) ؛ المنهل 3/ 153 (591) ، والترجمة فيها أطول بكثير من
هذه . ولم يذكر في السلوك .

(2) السلوك 2/ 372 ، والزيادات منه .

(3) الزعر والدعر والدعر : الأوباش وأهل السوء . والخبر منقول بأقتضاب في السلوك
374 / 2 .

فبلغ ثمنها نحو الخمسة عشر ألف درهم .
ثم صرف عن الولاية لِتَنَكَّرَ الأمير قَوْصُون عليه في سنة خمسٍ وثلاثين ،
وأخرج بطالاً إلى الشام ، وأقيم عوضه في ولاية القاهرة بلبان الحسامي .

877 - أيديرم القشاش [702 -] ⁽¹⁾

أيديرم القشاش ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك [. . .] .
وولي في الأيام المنصورية قلاوون الغريبة فأرهف حدّه وأكثر من سفك
الدماء ، فخافه أهل الفساد . فأضيف إليه ولاية الشرقية وكشف الوجه البحري .
فلَمّا مات المنصور وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل وأستوزر
الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن السلعوس ، تكبّر عليه أيديرم لهذا ولم
يلتفت إلى مراسيمه ، فشكا منه للسلطان شكوى كثيرة حتى كتب بإحضاره .
وكانت العادة أن يُحضِرَ الولاةُ كلَّ سنة للسلطان تقدمةً . فخرق أيديرم
العادة و[أ]حضر تقدمةً عظيمة في سنة اثنتين وتسعين وستائة فيها ستون حجرَةً ⁽²⁾
من عتاق الخيل ، وعشرون حصاناً ، ومائة هجين كلّهم يعني بحرية ⁽³⁾ ومقاود
بعضها فضّة وأكواز وسلاح كثير من أسلحة العرب . فأعجب بها السلطان
وشكره . فسأل النائب بيدرا أن ينعم عليه بالمثل بين يدي السلطان ليقبل الأرض
فقال : لا ، بل يذهب إلى الوزير ، فإنّه شكّا منه أنّه أخذ لي شيئاً كثيراً من
مالي .

فقال : ونفرض أنّه أخذ؟ فقد أحضر قدرَ ما أخذ في هذه التقدمة .

(1) الدرر 1/ 457 (1125) وهو فيها : الحشاش ، النجوم 8/ 160 و 205 والسلوك

1/ 946 وفيها : الشمسيّ القشاش .

(2) الحجرّة : أنثى الخيل .

(3) كلمتان عسيرتا القراءة .

وأبى إلا أن يذهب إلى الوزير . فعزّ ذلك على أيّدمر وقال : ليفعل
السلطانُ في كلّ ما يختار ! ولا أدخل إلى الوزير ، فإنّه كبير النفس وأنا أكبر
[234 ب] نفساً منه / ، فيحصل الضرر .

فلاطفه بيدرا ، وبعث قبله أحد الحجاب إلى الوزير بالوصيّة عليه فإنّه رجل
شيخ له قدر معتبر . ثم بعثه . فلمّا دخل على الوزير لم يعأ به ، وتشاغل عنه
ساعة . ثم نظر له وقال : أنت الذي يقال لك القشاش ؟

فأشتدّ حنقه ، ونظر إلى الوزير شزراً ، وخرج وهو يسبه بالتركيّ ،
والحاجب يصيح به فلا يلتفت إليه ، والنقباء في طلبه . فسبقهم إلى دار النيابة
وقال لبيدرا : ألف ضربة بالسيف ، ولا وقوفي قدّام عامّي يهينني ! - وحلّ
سيفه وألقاه .

فسكّن بيدرا الشرّ وأظهر أنّه قد غضب عليه ، وأخذ سيفه ووكل به ،
وأعلم الوزير بما فعل به .

فلمّا دخل إلى السلطان شكّا من أيّدمر وقوة نفسه . فقال له السلطان : ما
نجدُ من يقوم مقامه ، فإنّه متسلّط على المفسدين فلاطف الأمر معه !

فخرج وطلبه من دار النيابة ورسم عليه ليعمل حساب البلاد .

فقال : قل للصاحب : أنا ما ولّاني الملك المنصور جابياً حتى أعمل
الحساب ، وإنّما أقامني لأشتق وأوسّط وأسمر وأحطّ ابن آدم على الخازوق ،
وما أعرف غير سفك الدماء . فإن كان للوزير حساب [فلـ] يطلّبه من دواوينه !
وإن كنت قتلت له أحداً من أقاربه [فـ] يطلّبي بدمه ! - ونهّر في شادّ الدواوين
وفي المقدّمين .

فعادوا إلى الوزير بما قال ، فأقشعرّ جلده من شناعة هذا القول . فأقام في
الترسيم ثلاثة أيام [ثم] استدعاه السلطان وخلع عليه وقال له : قد سمعتُ أنّك
قتلت خلقاً كثيراً ، فكم تبلغ عدّتهم ؟

فقال : زيادةً على أُنْتِي عشرَ ألفَ رجل ، ما أعتقد أن الله أجرى حكماً على غير مفسدة .

قال : وسمعت أنك سمّرت ثلاث نساء ، منهنّ اثنتان بكران . لم ذلك ؟
قال : شكّا إليّ تاجر من أهل المحلّة عجوزاً رجلاً معها شيئاً من ثياب أخيه ، وكان قد غاب مدةً وانقطع خبره . فأُنكرتُ ما قال ، ففتّشتُها ، فإذا معها مصاغ فيه خواتم رجاليّة . فأدّعت أنّه من حلي بناتها ، فعاقبتها ثلاثة أيام فلم تقرّ ولا عرّفتني أسم بلديها ، حتى ذكر لي بعض الرقاصين أنّها من ناحية بطشة بالقرب من المحلّة . فركبت وهجمت بيتها فوجدت فيها كثيراً من ملابس الرجال والنساء ، ووجدت لها آبتين فعاقبت الثلاث عقوبة الموت ، فلم يعترف أحدٌ منهنّ ، فسمّرتنّ . فكانت العجوز تننّ من ألم المسامير ، فقالت لها آبتها الصغرى وهي مسمّرة : يا أمّاه ، إياك أن يعيب علينا باعة المحلّة ! مؤتي وأنت ساكنة !

فشكره السلطان وأعادته إلى عمله ، فأستمرّ فيه مديدة ، إلى أن حدث به مرض المفاصل . فطلب الإعفاء . وأقام بالقاهرة ، إلى أن سار الملك الناصر محمد ابن قلاوون إلى قتال التتار . فسار مع العسكر في محفّة حتى ألّقتى الفريقان على شقح . [فلبس آلة حربه وركب فرسه ، وبه من ورم رجله وضربانه] ألم شديد . فقال له بعض أصحابه : يا خوند ، أنت رائح ترمي نفسك للموت ! فنهّره وقال : ويّلك ! والله لمثل هذا اليوم كنت أنتظر ! وإلا ، بأيّ شيء يتخلّص القشّاش من ربّه إلا بهذا ؟

ثمّ أقنحم بفرسه وحمل برمحه على العدو ، وكأنّ لم يكن به ألم قطّ . وقاتل حتى قُتل في يوم الأحد ثاني شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة ، فوجد فيه عدّة جراحات .

وكان رحمه الله صاحب حرمة وافرة ومهابة زائدة . وأقترح في أيّامه نوعاً

شنيعاً من العذاب : فأقام خوازيق في الأرض وجعل محدّدها منتصباً قائماً ،
وبأعلاها عودٌ من خشبٍ طويل ختامه بكرة فيعلّق الرجل من المفسدين بيده في
[235 أ] تلك البكرة ، وترفعه / حتى يصلَ إلى آخر الخشبة ، ثم يرخيه بسرعة فيقع على
الخازوق فيخرج من جسده بحسب ما يقع عليه . فذعر أهل النواحي منه واشتدَّ
خوفُهم وفرغُهم وصاروا بحيث لا يقدر أحدٌ منهم على لبس منزر أسود ولا يتجاسر
أن يتقلّد بسيف ولا يأخذ بيده عصا ولا يركب فرساً في مدّة ولايته .
وأقام عدّة جسور وتراع كثر النفع بها ، منها جسر بين ملقة سندفا وأرض
سمنود عُرف بالشَّقَقِيّ .

فلما كان بعد موته بمُدّة رآه رجل في نومه وسأله عمّا لقي ، فقال : ساحني -
الله وغفر لي بعمارة جسر الشَّقَقِيّ .

878 - أيّدمر الحلّيّ [667 - (1)]

أيّدمر الحلّيّ ، الأمير عزّ الدين ، الصالحيّ ، النجميّ ، أحد المماليك
الصالحية نجم الدين أيّوب .

ترقّى في الخدم حتى صار أكبر أمراء مصر وأعظمهم محلاً عند الملك الظاهر
بيبرس ، وينوب عنه في غيبته لثقتّه به وأعتاده عليه ، مع قلّة خبرته ، غير أنّ
الله خوّلّه نعماً يقصر الوصف عنها .

ومات بدمشق في [أول شعبان] سنة سبع وستّين وستّائة ، وقد أناف عن
الستّين .

(1) النبل 170/3 (600) ؛ الوافي 10 [(4458) ؛ النجوم 227/2 ؛ السلوك 574/1 .

أيدير الرشيديّ . كان من ممالك الأمير بلبان الرشيديّ حُشداش الملك الظاهر بيبرس . وترقى في خدمه إلى أن عمله أَسْتداره . وآخر ما عمل أَسْتدار الأمير سلّار نائب السلطنة ، فعظّم ماله وقويّ جاهه ، إلى أن قُتل سلّار فقبض عليه .

ثم مرض وتهوّس ومات بأسوأ حال في تاسع عشر شوال سنة ثمان وسبعائة ؟ وعُدّ ذلك من بركة الشيخ عبد الغفّار بن نوح ⁽²⁾ .

وكان من كرماء الناس يقصده أربابُ الحوائج فيسعدُهم ويساعدهم . وكان منهمكاً في اللذات ، فقام عليه الأمير بيبرس الجاشنكير وأغرى به الأمير سلّار أنّه يتلف ماله في اللهو . فقال له سلّار : يا عزّ الدين ، بلغني أنّك تشرب الخمر وتعمل المقامات وتنعم وتُعطي ، فعرفني : أيّ وقتٍ يسعُك لهذا ؟

فقال : إذا نزلتُ من خدمتك قبل المغرب أجد مكاناً قد جُهّز فيه كلّ ما يحتاج إليه وحضر جماعتي ، فأقيم إلى آخر الليل وأفعل ما يفعله أرباب المجالس . ثم أنظّه وأغيّر ثيابه وأصليّ الصبح وأفطر وأركب إلى خدمتك .

فتبسّم من كلامه وقال : أقم على ما أنت عليه ولا تتغيّر عنه . فتتبّع أيدير ما أوجب ذكر سلّار هذا ، حتى ظفّر أنّه من قبل الأمير بيبرس . فركب إليه ومعه مكتوب معصرة ببلاد الصعيد ابتاعها بالقوّة والجاه بمائة وعشرين ألف درهم . فعندما رآه بيبرس ترحّب به وأجلسه وقال : لعلّ لك شُغلاً ؟

(1) الدرر 1 / 458 (1128) ؛ السلوك 2 / 51 . وتاريخ وفاته فيه نظر لأن سلّار النائب مات سنة 710 .

(2) عبد الغفّار القوسي (ت 708 أيضاً) كان للناس فيه اعتقاد (السلوك 2 / 50 ؛ النجوم 8 / 230) .

قال : نعم ، يا خوند ، لمّا سافرت إلى الصعيد أشرتت معصرة بجميع ما تحتاج إليه ، وقتُ بعد شرائها بكلفها إلى آخر السنة . وما أبتعتها إلّا على رسم الأمير ، وهذه مكاتيها . (وقال إنّ) الطلاق يلزمه ما يأخذ لها ثمنًا ، وترك المكاتب وقام .

فمن يومئذ كان يبهرس إذا سمع سلار يذكر أيدمر يُثني عليه ويبالغ في شكره .

880 - أيدمر السنانيّ [707 -]⁽¹⁾

أيدمر السنانيّ ، عزّ الدين ، أحد الأجناد . وله معرفة بتعبير الرؤيا ، ويقول الشعر . توفي [سنة 707 بدمشق]⁽²⁾ .

ومن شعره [كامل] :

يجد التسيمَ إلى الحبيب رسولاً دَنِفُ حكاها رَقَّةً ونُحولا
يُجري العيونَ من العيونِ صباةً فتسيل في إثر العريق سيولا
وتقولُ من حسد له : يا لَيْتِي كنت أأخذت مع الرسول سيلا !

881 - أيدمر التركيّ المَحْيَوِيّ [648 -]⁽³⁾

أيدمر بن عبد الله المحيويّ التركيّ ، علم الدين ، مملوك محيي الدين أبي المظفر محمد بن محمد بن ندى الجزري .

(1) الوافي 10 / 15 (4460) ؛ الدرر 1 / 457 (1123) ؛ السلوك 2 / 40 ؛ النجوم

8 / 227 . فوات ، 1 / 214 (79) .

(2) الزيادة من السلوك . وفي الدرر : مات شيخاً في جهادى الأولى .

(3) الوافي 10 / 7 (4459) ؛ المنهل 3 / 172 (602) ؛ النجوم 7 / 210 ؛ فوات ، 1 /

208 (78) ؛ وديوانه طبع منه مختارات بالقاهرة سنة 1931 .

أشتغل بالأدب على جماعة ، منهم الإمام ضياء الدين أبو طالب بن عبد الله ابن أبي طالب بن سيّد السنجاري ، فبرع في الأدب ونظم كفاية المتحفّظ في اللغة ، وسمّاها « الغاية في نظم الكفاية » .

وله / قصيدة في فضل الصحابة ، وله ديوان شعر مشهور . وأقام بالقاهرة [235 ب] دهرًا طويلاً . فلمّا كانت الوقعة بين الملك المعزّ عزّ الدين أيّك التركماني ملك مصر ، وبين الملك الناصريوسف بن العزيز صاحب الشام على العباسيّة في يوم الخميس عاشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وستّائة ، خرج فيها فوجد في مدينة بليس على بعض الدكاكين وقد ضربه بعض الأعراب بدبوس على حنكه وقد ورم . فحمل إلى القاهرة فتوفّي بعد الوقعة بأربعة أيام في يوم الاثنين رابع عشر ذي القعدة المذكور .

ومن شعره يمدح الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، من أبيات [بسيط] :

نصرت بالرعب قبل البيض والأسل	ولطف صنع كصنع الله للرسل
أوتيت بسطة تمكين قهرت بها	معانديك فنصع وأرفع وصل وطل
تبتّنا ما ظنّناه يكون لآل	سان وقد خلّق الإنسان من عجل
له يقين أبي بكر وعدل أبي	حفص وجود أبي عمرو وبأس علي ⁽¹⁾

ومن أخرى [رمل] :

حفظ الله لنا الصال	حَ مولانا وأبقاه
ووقاه حادث الدهر	بر ولا زال مؤقاه

وقال [الهزج] :

أما والسيف لا ترجى	له أوبة مضروب
بحدّ غير مصنوع	وحسن غير مجلوب

(1) أبو عمرو إحدى كنى عثمان (رضه) . وانظر الديوان ، ص 7 .

ورمح من قنا الخطَّ إلى سمهر منسوب
صليب المتن مأمون ال حشا صدق الأنابيب
5 وطرف يسبق الطرف جواد غير مركوب
لقد ألبس هذا الدي من عزّا غير مسلوب
بهذا الملك الصال ح نجم الدين أيوب

وقال من أبيات في الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود ابن العادل
أبي بكر بن أيوب عند وصوله غزّة [بسيط] :

ما بعد مرآك للآمال مُقترحُ ولا وراء هواها فيك مُطرحُ
أهلاً وسهلاً وأدنى الله دارك يا ملكاً هو الروح والدنيا له شبحُ
أنتم ملوك بني أيوب إن فسدوا يفسدُ ويصلحُ أمر الناس إن صلحوا
وله [وافر] :

لقد عتب الأمير عليّ إذ لم أسلم إذ مررتُ به لَمّا
ولو علم المراد بذاك مَنّي تبين عنده عُذري وقاما
هو الروح الأمين فلستُ إلّا بظهر الغيب أقره السلاما

وقال [وافر] :

أقول وقد تلاعبت الحميا بنا وطغى بسورته الشرابُ
عدوتِ قضية الإنصاف فينا وعُيب من حكومتك الصوابُ
أخذتِ الشارين بما جناه عليك العاصرون وما أصابوا
فقلت وهي تضحك في كؤوس ينوب عن الثغور بها الحباب
5 وجُرم جرّة سفهاء قوم فحلّ بغير جارمه العذابُ

وله من أبيات [طويل] :

إلهي ، أذاك العالمون بفضلهم من العمل الزاكي ففازوا وأدركوا

ولا فضل إلا أنني بك مؤمن وأني بحبّ المصطفى مُتمسك

وقال [سريع] :

حللتُ نفسي من عقال الهموم بعقدي الطرف بكتب العلوم /
لما رأيتُ الحظَّ بي قاعداً قعدتُ أستاذيه حتى يقوم

[236 أ]

وقال [طويل] :

وذي سفهٍ أضحي يدير لسانه فغيبته مني على صفح جُلْدٍ⁽¹⁾
ولو شئت قول السوء فيه وفعله لما خاتني فيه لساني ولا يدي

وقال [كامل] :

أهلاً بغرة وجهك الحسن الذي غرر المحاسن أهله وذووه
إن زارني بفضله أو زرته فلفضله فالفضل لا يعدوه

وقال [رمل] :

حبذا الفسطاط من والدهِ جنبت أولادها دَرّ الجفا
يردُّ النيلُ إليها كدراً فإذا مازجَ أهلها صفا
لطفوا فالمن لا يألفهم خجلاً حين رآهم أطفأ⁽²⁾

وقال [سريع] :

يا حبذا مجلسنا مجلساً قد حفت النعمة جُلاسَه
يجلو عليه الغصن أعطافه زهواً ويهدي الزهر أنفاسَه

وقال في قصر النهار [سريع] :

(1) قراءة هذا الشطر عسيرة .

(2) ابن سعيد : المغرب (مصر) 9 .

واهاً ليوم قه لهوت به
قطعت عن التهي مسافتها
لم تبد فيه الشمس طالعةً
متقارب الطرفين مختصر
وثبا كمثل الملح بالبصر⁽¹⁾
حتى تلاها الليل في الأثر

وقال [رجز] :

كأنما الهالة حول بدرها
كأمة تفتقت عن زهرها

وقال [مجثث] :

وليلة للمعاني
قد حال بين جفوني
رقص البراغيث فيها
فيها اضطراب المريض
ولذة التغميض
على غناء البعوض

وقال [منسرح] :

لو ينطق الدين قال مشتكياً
كم فارس لي وكم ظهير وكم
الحكم لله ما عرضت على
قد كنت ذا عزة ممتعة
يوماً مقال الشجي ذي الكد
ركن وكم صارم ومعمد
الخدلان حتى تكاثرت عُددي
أيام ما لي في الناس من أحد

وقال [وافر] :

إذا استقصى وداذك ذو وداد
إذا ما الشيء زاد إلى انتهاء
فقد أبدى مقدمة الزهادة
فلا يرقب سوى نقص الزيادة

وقال [كامل] :

لي صاحب مُتَلَوِّن
في خُلُقِهِ جَمَّ الثَقَلَبُ

(1) لم نفهم صدر هذا البيت .

لو كان يَجْنِي لم أُبْلُ لَكِنَّه يَجْنِي وَيَغْضَبُ

وقال [خفيف] :

لا أَهَيَّيْ مولاي بالعيد إِلَّا خوف تعطيل سَنَةٍ تُعْتَاد
فمن الجهل أن يُهَيَّتا بعيدٍ مَنْ به الدهرُ كلَّه أعيادُ

وقال [خفيف] :

خير صوم مضى وأعقب أجراً ليس يَمْضِي وخير فطرٍ أناكا
فتلقاك بالسعادة هذا وتوخطاك بالثوبة ذاكا

وقال [كامل] :

يا نائياً عَنِّي ولم يبعد وإن بخلت بقرب مرزاه الأيام
/ لو أن تقاربت القلوب فأهون لانسا بتباعد الأجسام^(١)
لو كان أمكن سار كلَّ عشية مَنِّي إليك تحية وسلام

وقال [كامل] :

كثر العجائب في الزمان ولا أرى عجباً كمثل عجيبة بحضان
نقصوا فزاد النقص فأعجبوا لزيادة حدث من النقصان

وقال :

عابني شبيهه العيو ب ولو شئت عَيْتُهُ
لكن الفُحْشُ لم تُعَدْ مَوْدُهُ نفسي فَعِفَّتُهُ

وقال [كامل] :

انظر إلى الهرمين واسمع منها ما يرويان عن الزمان الغابر

(٦) هذا البيت أيضاً صعب التقويم .

وانظر إلى أثر الليالي فيها نظراً بعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان يُخبرانا بالذي فعل الزمان بأول وبآخر
وإذا هما بدوا لعيني ناظر وصفا له أدنى حوادث عابر

وقال [سريع] :

مررت مجتازاً بصوفيّة لهم لحى يضحك منها الجُحَا
ففيهم قطب فلو أنصفوا أدير للصنع عليهم رحا

وكان يقرأ على العلامة ضياء الدين أبي طالب بن عبد الله بن أبي طالب بن
سيد السنجاري ، وقد أقبل الطواشي جمال الدين كافور خادم محبي الدين الجزري
أستاده على فرس أشهب ، فقال ضياء الدين :

جاء الجمال وتحتة مهر

أجز يا علمَ الدين :

فأنشد عقيب قوله من غير رويّة ولا فكر :

فتدقّقا فكلاهما بحر

فقال ضياء الدين :

فكأنّما كافور حين بدا

فقال علم الدين أيّدمر :

كافور إذ خضعت له مِصرُ !

وكتب الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم على ديوانه

[طويل] :

وكنْتُ أظنُّ التركَ تختصُّ أعينُ لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفانُ

إلى أن أتاني من بديع قريضهم قوافٍ هي السحرُ الحلالُ وديوانُ
فأيقنت أن السحرَ أجمعه لهم يُقرّ له هاروتُ فيه وسحبان⁽¹⁾

882 - أيدير الدوادر [740 -]⁽²⁾

أيدير الدوادر ، الأمير عزّ الدين ، أحد المالك الناصريّة محمد بن
قلاوون .

عمله دوادر[ا] مدّة ، ثم أنعم عليه بإمرة في دمشق . وسار إليها في سنة
سبع عشرة وسبعمائة . ومات في سنة أربعين وسبعمائة .
وكان خيرًا ، له معروف وصدقات ، وأشتغال بالعلم ، ويكتب الخطّ
المنسوب .

883 - أيدير العلالي [676 -]⁽³⁾

أيدير العلاليّ ، الأمير عزّ الدين ، أخو أيديكين الصالحيّ ، أحد البحريّة
الذين خرجوا في نوبة أقطاي . فكان من بينهم ، إذا أتوا إلى زرع أطلقوا
خيولهم فيه ، فيمسك هو فرسه ولا يطعمه إلا ممّا يشتريه بماله⁽⁴⁾ .

فلما ملك السلطان الملك الظاهر صفد ولّاه نيابتها . وكان يقول : هو
قاضي الترك !

(1) الديوان 59 ، والنجوم 210/7 .

(2) السلوك 176/2 ، 505 .

(3) الوافي 6/10 (4458) ، المنهل 169/3 (599) ، النجوم 276/7 .

(4) النقل مبتور والقصة غامضة ، وهي في المنهل أوضح : وكان الظاهر يتحقّق منه الأمانة
والديانة ، ممّا رأى منه قبل سلطنته : فإنهم كانوا إذا جاؤوا إلى زرع أطلقوا خيلهم ،
فكان العلاليّ يمسك فرسه بيده . . .

وَأُتِّفِقَ فِي نِيَابَتِهِ أَنْ بَعْضَ الْبَحْرِيَّةِ طَارَتْ شَرَارَةٌ نَارٍ مِنْ شَمْعَةٍ بِيَدِهِ فَأَحْرَقَتْ قَشْرَ أَرْزٍ وَتَعَلَّقَتْ بِحَوَاصِلِ مَنْجَنِيقاتٍ فَأَحْرَقَتْهَا كُلَّهَا ، فَكَاتَبَ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ وَبَذَلَ مِنْ مَالِهِ أَلْفَ دِينَارٍ لِبَيْتِ الْمَالِ عَنْ نَظِيرِ مَا أَحْتَرَقَ مِنَ الْمَنْجَنِيقاتِ . فَعَادَ جَوَابُهُ : يُشْتَقُّ الرَّجُلُ وَمَا لَنَا حَاجَةٌ بِالذَّهَبِ .

فَاعَادَ كِتَابَهُ بِدَفْعِ أَلْفِي دِينَارٍ . فَأَجِيبَ : يُشْتَقُّ مِنْ غَيْرِ مُعَاوَدَةٍ ، وَإِلَّا بَعَثْنَا مَنْ يَشْتَقُّكَ وَيَشْتَقُّهُ - كُلٌّ هَذَا وَلَا يَعْلَمُ الرَّجُلُ مَا جَرَى ، وَأَمْتَنَ مِنْ شَتَقِهِ ، تَدِينًا . فَخَافَ وَالِي الْقَلْعَةِ سَطْوَةَ السُّلْطَانِ فَأَخَذَ الرَّجُلَ وَشَتَقَهُ فِي يَوْمٍ ثَلَاثٍ . وَأُتِّفِقَ قُدُومُ بَيْتِ الرَّجُلِ وَأَهْلِهِ مِنْ مِصْرَ فَرَأَوْهُ مُشْنُوقًا فَعَمَلُوا عِزَاءَهُ . وَمَاتَ الْعَلَاثِيُّ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

884 - أَيْدَمَرُ الظَّاهِرِيُّ [700 -] ⁽¹⁾

أَيْدَمَرُ الظَّاهِرِيُّ ، الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ ، أَحَدُ الْمَالِكِ الْظَّاهِرِيَّةِ بَيْبُرسَ . رَقَّاهُ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةٍ وَجَعَلَهُ أَسْتَادَارَ . فَلَمَّا قَبِضَ عَلَى الْمَلِكِ الْمَغِيثِ عَمْرٍ صَاحِبِ الْكَرْكِ ، بَعَثَ أَيْدَمَرُ هَذَا وَالصَّاحِبَ فَخَرَ الدِّينَ مُحَمَّدَ بْنَ حَتَّانٍ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ عَشْرِينَ جَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ فَتَسَلَّمَا الْقَلْعَةَ ، وَوَأَفَاهُمَا السُّلْطَانُ وَقَدْ أَقَامَا الْخُطْبَةَ بِأَسْمِهِ . فَتَرَبَّأَ أُمُورُ الْقَلْعَةِ وَالْمَدِينَةِ وَأَسْتَنْابَ أَيْدَمَرُ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ الشُّؤْبَكَ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَثَاثِ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ .

فَلَمْ يَزَلْ بِالْكَرْكِ إِلَى أَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ فِي سَابِعِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَرَّرَ عِوَضَهُ فِي نِيَابَةِ الْكَرْكِ عِلَاءَ الدِّينِ أَيْدَكِينَ الْفَخْرِيِّ . فَتَسَلَّمَهَا فِي ثَامَنِهِ . وَأَفْهَمَ أَيْدَمَرُ أَنَّهُ طَلِبُهُ لِنِيَابَةِ حِصْنِ الْأَكْرَادِ ، وَسَارَ بِهِ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ

(1) السلوك 1/ 917 .

فدخلها في ثالث عشره على حين غفلة بعدما كتب إلى النّواب والأمرء ثمانين كتاباً بخطّ فتح الدين محمد بن عبد الظاهر كاتب السرّ في يوم ليلةٍ بحضرته أنّه استتاب أيّدمر هذا بدمشق عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش النجبي . وبعث تشريعاً للنجبي وأمره أن يتوجّه إلى مصر ، ويسلّمها إلى أيّدمر فأمثل ذلك وسلّمها لأيّدمر .

فلم يزل في نيابة دمشق حتى مات الملك الظاهر ، وقام من بعده الملك السعيد محمد بركة خان [ف]أقرّه في النيابة إلى أن اختلف عليه الأمرء وهو بدمشق وساروا إلى مصر وهو في إثرهم وكان من خلعه ما قد ذكر في ترجمته⁽¹⁾ [ف]قدّم عسكري من حلب وفيهم⁽²⁾ الأمير عزّ الدين أزدمر العلائي ، والأمير قراستقر المعزّي ، والأمير آقوش الشمسيّ ، والأمير برلغي في نحو الألفين [وساروا] إلى دمشق ، وأنفقوا على إقامة آقوش الشمسيّ في نيابة دمشق . وقبضوا على أيّدمر⁽³⁾ وسجنوه بقلعة دمشق في جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وستائة .

ثم أفرج عنه في الدولة المنصوريّة قلاوون . وأقام بدمشق حتى مات برباطه في سفح قاسيون يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الآخر⁽⁴⁾ سنة سبعائة ، ودفن بترته على نهر تورا .

وكان شجاعاً مقداماً كريماً ، وله عدّة ممالك تأمّروا ، منهم سنقر الأعسر الوزير ، وأيّدمر النقيب .

(1) ترجمة بركة خان مفقودة .

(2) في المخطوط : وقبض ، والإصلاح من السلوك 757 / 1 .

(3) في السلوك ذكر السبب : لأنّه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بليس

(4) في السلوك 917 / 1 : ربيع الأوّل .

885 - أيدمر العزّي [702 -]⁽¹⁾

أيدمر العزّي ، الأمير عزّ الدين النقيب ، أحد ممالك الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهريّ نائب دمشق .

تقدّم في الأيام الأشرفيّة خليل . والأيام الحساميّة لاجين بمُعاشرة الأمراء إلى أن أنعم عليه بإمرة وأستقرّ نقيب الممالك عوضاً عن [. . .] .
وأُسّر⁽²⁾ في وقعة شقحب ، وقُتل في ثالث شهر رمضان سنة اثنتين وسبعائة .

وإليه تنسب سويقة العزّي⁽³⁾ خارج باب زويلة من القاهرة . وكان كثير الهزل خفيف الروح ، واسطة خير ، محبوباً إلى الناس .

886 - أيدمر الرفاء [702 -]⁽⁴⁾

أيدمر الرفاء ، الأمير عزّ الدين ، أحد الأمراء المنصوريّة قلاوون .
استشهد في وقعة شقحب يوم الأحد ثاني رمضان سنة اثنتين وسبعائة بعدما أبلى بلاءً عظيماً وأصيب فرسه بسهم سقط به إلى الأرض . فعندما أحاط به المغل ، قتل منهم فارسَيْن وألقى الثالث إلى الأرض وأعتقه وتعاركا حتى قُتل هو وإياه جميعاً .
وكان من أحسن الأشكال وأجملها .

(1) الدرر 1/ 459 (1130) ؛ السلوك 1/ 935 و 946 . ومعركة شقحب وُصفت في السلوك 1/ 930 وفي النجوم 8/ 160 .

(2) في المخطوط : وأسرج . وبقية الكلام لا تلي بأستشهاده في الوقعة .

(3) وقد نسبها المؤلّف إلى أبيك العزي (ترجمة رقم 860 والخطط ، 3/ 173) .

(4) السلوك 1/ 947 ؛ والبطولة المروية هنا نسبتها الدرر 1/ 459 إلى أيدمر العزّي السالف الذكر .

887 - أيدير العلانيّ الزّاق [- نحو 760]⁽¹⁾

أيدير العلانيّ الجمقدار ، الأمير عزّ الدين الزّاق ، أحد [. . .] .
 ترقى في الخدم إلى أن استقرّ في ولاية القاهرة عوضاً [. . .] .
 ثم خلع عليه في يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ،
 واستقرّ أمير جندار عوضاً عن الأمير ألدمر المقتول بمكة⁽²⁾ . واستقرّ في ولاية
 الإسكندرية ، واستقرّ عوضه بلبان البريديّ متولّي قطيا .
 ثم أمر بدمشق في سلطنة حسن ، ثم نُقل إلى حلب أميراً . مات في حدود
 الستين [وسبعائة] . وكان ديناً وطيء الجانب .

888 - أيدير الخطيريّ [- 737]⁽³⁾

أيدير الخطيريّ ، الأمير عزّ الدين .
 كان مملوكاً لشرف الدين أوحّد الخطير [الروميّ]⁽⁴⁾ والد الأمير مسعود بن
 الخطير ، ثم صار من جملة المماليك السلطانيّة ، وأنعم عليه بإمرة عند قدوم الملك
 الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وإقامته في السلطنة مرّة ثانية في جمادى الأولى

(1) الدرر 1 / 459 (1129) ؛ الوافي 10 / 18 (4463) ؛ السلوك 2 / 328 ، 487 ؛

هذا وسيرد بعد قليل - رقم 890 - ترجمة لأيدير الزّاق لا نخالها تتعلّق بنفس الأمير .
 فالاختلاف في التفاصيل أكثر من الاتفاق .

(2) ترجمة ألدمر مرّت برقم 832 .

(3) الوافي 10 / 17 (4461) ؛ الدرر 1 / 458 (1126) ؛ المنهل 3 / 180 (607) ؛

السلوك 2 / 426 ؛ النجوم 9 / 312 .

(4) في المخطوط : ابن الخطير ، والإصلاح من السلوك .

سنة ثمان وسبعين وستائة . وأقيم في أستدارية السلطان نيابةً عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بعد نفي الأمير سنجر الجاولي في محرم سنة ست وسبعائة ، فأستمرّ في ذلك إلى أن خرج مع الملك الناصر يريد الحجّ في شهر رمضان سنة ثمان وسبعائة . فخرج إلى الكرك وكتب معه بأنّه قد نزل عن السلطنة ، فقام بها بيبرس الجاشنكير وتلقّب بالملك المظفر . فزادت مكانته .

وعندما توقّف ماء النيل عن الزيادة في سنة تسع وسبعائة توقّع الناسُ الغلاء ، وأمتنع الأمراء من بيع الغلال التي بالشون . فتقدّم الخطيريّ إلى مباشره ببيع سائر غلاله وأن لا يتركوا منها إلّا قدر مؤنته لسنة ، وأن لا تباع غلاته إلّا على الفقراء . فأرتفق الناس بها .

ولم يزل إلى أن قرّ الملك المظفر . فخرج فيمن خرج معه من أزميه⁽¹⁾ إلى إطفيح في سادس عشر رمضان ولم يزل معه [حتى وصل المظفر] إلى إخميم . فعاد [أيدمر] إلى القاهرة . وقد ملك الناصر قلعة الجبل . فخلع عليه ، ثم قبضه عقيب ذلك هو وبكتوت الفتاح أمير جندار ، وسُجنا بالإسكندرية إلى أن مات الفتاح . فثقل الخطيريّ إلى مكانه . وكان للأمير بكتوت الخزنداريّ نائب الإسكندرية به عناية . فلمّا ورد عليه المرسوم بنقله بعث له في خفية إناءً كبيراً جدّاً فيه ماء . ومعه رغيف كبير من خبز يزن أرطالاً كثيرة ليتقوّت بذلك ، فإنّ السلطان كان يقتل الأمراء بمنعهم الزاد والماء ، فعندما دخل الخطيريّ إلى حيث مات الفتاح ورأى ما ذكرنا فهم المراد ، وتبلّغ به أياماً ونجا .

وطار الخبر إلى القاهرة بنقله إلى موضع الفتاح فأيس منه أتباعه وكان قد أسند وصيته عند القبض عليه لأستداره بدر الدين بيليك . فلم يزل يسعى له عند خواصّ السلطان ويملاً أعينهم بما يهديه إليهم من التحف حتى ودّ كلُّ منهم لو خلص الخطيريّ . فشقّ عليهم ما صار إليه ولم يشكّوا في هلاكه ، وأطلعوا بيليك على هذا ووصّوه بحفظ مال أستاذه . فمضى عنهم وترقّب ورود الخبر بموته . فلم

(1) الأزام : خاصّة السلطان من خراسه وحاشيته (دوزي) .

يَمُضِ سِوَى أَحَدٍ عَشْرَ يَوْمًا حَتَّى رَأَى فِي مَنَامِهِ قَائِلًا يَأْمُرُهُ بِالصَّدَقَةِ عَنْ أَسْتَاذِهِ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ تَصَدَّقَ مِنْ شَوْنَةِ الْخَطِيرِيِّ بِأَلْفٍ إِرْدَبٍ قَمَحًا ، وَمِنْ مَالِهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ
دِرْهَمٍ فَضَّةً فِي يَوْمِهِ . وَمَضَى الْغَدَ وَبَعْدَهُ تَمَّةٌ ثَلَاثَةَ عَشْرَ يَوْمًا ، وَإِذَا بِقَصَادٍ
خَوَاصِّ السُّلْطَانِ أَتَوْهُ بِطَلْبِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَخْبَرُوهُ أَنَّ السُّلْطَانَ الْبَارِحَةَ ذَكَرَ الْأُمَرَاءَ
الْمُحْبُوسِينَ وَقَالَ : أَتَرَى الْخَطِيرِيَّ يَعِيشُ إِلَى الْيَوْمِ أَوْ مَاتَ ؟

فَوَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى الْكَلَامِ وَسَأَلُوهُ فِي الْإِفْرَاجِ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَا تَدْرِكُونَهُ إِلَّا
وَقَدْ مَاتَ .

فَقَالُوا : يَرْسُمُ السُّلْطَانُ وَتُكَلِّمُ عَلَى اللَّهِ . فَإِنْ كَانَ حَيًّا حَصَلَ لَهُ الْفَرَجُ وَإِنْ
كَانَ مَيِّتًا فَيَرْحِمُهُ اللَّهُ .

فَأَنْعَمَ بِالْإِفْرَاجِ عَنْهُ . فَسَرَّ بِذَلِكَ . وَعَقِبَهَا حَضَرَ الْخَطِيرِيَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي أَثْنَاءِ
ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِقْطَاعِهِ ، وَكَانَ
بِيدِ الْجَاوِلِيِّ .

فَاسْتَمَرَّ مِنْ جَمَلَةِ أُمَرَاءِ مِصْرَ ، وَعُدَّ هَذَا مِنْ بَرَكَاتِ الصَّدَقَةِ . فَصَارَ أَمِيرَ عَائِدَةٍ
مُقَدَّمِ أَلْفٍ يَجْلِسُ رَأْسَ الْمِيسِرَةِ وَلَا يُمَكِّنُ مِنَ الْمَبِيتِ إِلَّا فِي قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، فَلَا يَنْزِلُ
لِدَارِهِ بِرَحْبَةِ بَابِ الْعِيدِ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَّا نَهَارًا ، وَيُطْلَعُ إِلَى الْقَلْعَةِ آخِرَ النَّهَارِ ،
فَكَانُوا يَرَوْنَ هَذَا تَعْظِيمًا لَهُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ أَوَّلِ شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ
وِثْلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ أَمِيرَيْنِ : هُمَا مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ .

وَكَانَ مِنَ الْأُمَرَاءِ الْأَجْوَادِ الْأَتْقِيَاءِ الْمُحْتَشِمِينَ ، لَهُ / أَطْعَمَةُ مُفْتَخِرَةٌ وَأَسْمِطَةٌ [238 أ]
جَلِيلَةٌ ، بِحَيْثُ إِنْ مَبَاشِرِيهِ ذَكَرُوا لَهُ أَنَّ أَطْعَمَتَهُ تُحْلَى بِالسَّكَّرِ الْمَكْرَرِ ، وَالْقَصْدُ
إِنَّمَا هُوَ وَجُودُ الْحَلَاوَةِ ، وَيَكْفِي أَنْ يَكُونَ السَّكَّرُ غَيْرَ مَكْرَرٍ . فَقَالَ : لَا ، فَإِنَّهُ
لَيَبْقَى فِي نَفْسِي أَنَّهُ غَيْرُ مَكْرَرٍ [فَلَا يَطِيبُ] ^(١) .

(١) الزيادة من النجوم 312/9 .

وكان زائد التّجمل كبير الهمة . أنشأ الجامع المعروف بالخطيري في رملة بولاق والربع بجانبه ، أنفق عليها نحو أربعمئة ألف درهم فضّة . وأخذ النبل في حياته فجده ، كما قد ذكرته في أخباره عند ذكر الجوامع من كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار »⁽¹⁾ .

وأنشأ أيضاً داراً جليّة بخط المنحر المعروف اليوم بالدرب الأصفر قريباً من رجة باب العيد قد ذكرتها أيضاً عند ذكر الدور⁽²⁾ .

ولم يلبس هو ولا أحد من مماليكه قباءً مصقولاً قطّ . وحجّ ثلاث مرّات فرّق فيها مالاً عظيماً . وكان يخرج الزكاة في كلّ سنة . وكانت له صدقات جارية ، ومرتبات دائرة على ذوي الحاجات من أرباب البيوت مع مهابة قويّة وحرمة زائدة وشيبة منوّرة .

889 - أيّدمر الشمسي⁽³⁾

أيّدمر الشمسيّ ، الأمير عزّ الدين .

ترقى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثم أخرج في أوّل أيام الناصر حسن إلى دمشق ، ونقل إلى صفد . وأنعم عليه بإمرة عبد الله بن اللمش . ثم أعيد إلى دمشق .

(1) في الخطط 4 / 111 .

(2) الخطط 3 / 70 .

(3) الوافي 10 / 18 (4462) ؛ السلوك 2 / 102 (سنة 711) .

890 - أيدمر الزّراق [- بعد 748]⁽¹⁾

أيدمر الزّراق ، الأمير عزّ الدين ، أحد المماليك [. . .] .
ترقى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . ثمّ عمل نيابة غزّة في سنة
خمس وأربعين [وسبعائة] . وأعيد بعد مدّة إلى القاهرة . ثمّ توجهّ ومعه الأمير
نجم الدين داود بن الزبيق للحوطة على أموال الأمير يلغا البحيويّ في جمادى
الآخرة سنة ثمانٍ وأربعين . وعاد ومعه الأمير آقسنقر أمير جندار بالمال إلى
السلطان الملك المظفر حاجي . فزالت دولته بعد تحوّله ولم يكن معه من الأمراء إلّا
أيدمر هذا وآقسنقر وأيدمر الشمسيّ . فنقم الخاصكيّة ذلك عليهم وأخرجوهم إلى
الشام . فقدموها يوم عيد الفطر منها [سنة 748] .
ثمّ نقل الزّراق إلى حلب في نصف شوال المذكور على إمرة الأمير أسندمر
الحسنّيّ .

891 - أيدمر الشّيشيّ [- 773]⁽²⁾

أيدمر الشّيشيّ ، الأمير عزّ الدين نائب حماه ، أحد المماليك الناصريّة محمد
ابن قلاوون .

ترقى في الخدم إلى أن أنعم عليه في الأيام المنصوريّة حسن بتقدمة ألف .
فلما قتل السلطان حسن عميل أمير جاندار ، ثمّ أخرج إلى نيابة حماه عوضاً

(1) المنهل 182/3 (608) . وقد مرّت بنا - رقم 887 - ترجمة لأمير يدعى أيدمر العلانيّ
الزّراق ، وهو غير هذا ، كما يستفاد من الخطط ، 70/3 .

(2) السلوك 75/3 ، 160 ، 200 ؛ الدرر 457/1 (1124) ؛ المنهل 176/3 (603) .

عن عمر شاه في سنة تسع وستين . وصُرف عنها في سنة أربع وستين وسبعائة .
وصار من جملة أمراء دمشق .

ثم أعيد إلى نيابة حماه عوضاً عن عمر شاه في سنة تسع وستين . وصُرف
عنها في ثالث ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين بالأمير كنجكي⁽¹⁾ ، وأنعم عليه
بإمرة حلب . فلم يزل بها حتى مات في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة عن بضع
وخمسين سنة .

وكان خيراً مهابةً متواضعاً يوصفُ بدينٍ وإحسان .

892 - أيدير « دقاق » [734 -]⁽²⁾

أيدير العلانيّ المعروف بدقاق . أحد المماليك الأشرقيّة خليل بن قلاوون .
ترقى في الخدم إلى أن صار من نقباء المماليك السلطانيّة . ثم استقرّ نقيب
الجيش حتى مات في سنة أربع وثلاثين وسبعائة . فاستقرّ عوضه الأمير صاروجا
نقيب المماليك ، واستقرّ ناصر الدين محمد بن لاجين الحمّديّ نقيب المماليك
[عوضاً] عن صاروجا .
وكان دقاق مشكوراً .

893 - أيمن بن خُريم [86 -]⁽³⁾

أيمن بن خُريم - أوله خاء مُعجّمة مضمومة . ثم راء مهملة مفتوحة - بن

(1) في السلوك 3/ 182 : كنجكي .

(2) الدرر 1/ 459 (1132) ؛ السلوك 2/ 376 .

(3) انظر : الطيّب العشّاش : أيمن بن خريم . أخباره وأشعاره ؛ حوليات 9/ 1972 ؛ وأسد

الغابة 1/ 188 (352) ؛ الأغاني 20/ 269 ؛ الوافي 10/ 30 (4475) .

فاتك - ويقال : خريم بن الأخرم - بن شدّاد بن عمرو بن الفاتك بن عمرو ابن أسد بن خزيمّة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . وأبوه الأخرم يقال له : فاتك . وقد قيل إن فاتكاً هو ابن الأخرم . ويكنّى أيمن بن خريم « أبو عطية » ، ويكنّى أبوه خريم بن فاتك « أبو يحيى » ، وقيل : « أبو أيمن » .

وهو أسديّ من بني أسد بن خزيمّة .

شهد أبوه خريم بدرأً مع أخيه سبرة بن فاتك . وقيل : أسلم خريم وابنه أيمن يوم فتح مكّة ، والأوّل أصحّ : فقد صحّح البخاري وغيره أن خريم بن فاتك / وأخاه سبرة بن فاتك شهدا بدرأً . ولقي [. . .] طلحة بن خويلد [238 ب] فقال له : ما بقي من كنانتك ؟

قال : نفخة أو نفختان بالكير - يعيّره بأنّه من القيون .

وروى أيمن عن أبيه وعمّه . وروى عنه الشعبي . وهو شاميّ نزل الكوفة . وقدم مصر مع مروان بن الحكم سنة خمس وستين ، واستعان به على ولده عبد العزيز بن مروان حتى كره الإقامة بمصر . وكان شاعراً مُحسناً .

قال الشعبي : أرسل مروان إلى أيمن بن خريم يوم المرج يوم قتل الضحّاك ابن قيس الفهريّ : ألا تخرج تقاتل معنا ؟ ألا تتبعنا على ما نحن فيه ؟

فقال : إن أبي وعمّي شهدا بدرأً ، وإنّها عهدا إليّ ألا أقاتل رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله . فإن جئتني ببراءة من النار فأنا معك .

فقال : لا حاجة لنا بمعاونتك .

فخرج وهو يقول [وافر] :

ولستُ مقاتلاً رجلاً يصليّ على سلطانٍ آخرَ من قريش
له سلطانه وعليّ إثمي معاذ الله من سقّه وطيش !

أَقْتُلْ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ فَلَسْتُ بِنَافِعٍ مَا عِشْتُ عِشِّي

وقال الدارقطني : قد روى أيمن بن خريم عن النبي ﷺ . قال ابن عبد البر : أما أنا فما وجدتُ له روايةً إلا عن أبيه وعمه .

وقال أبو الفرج الأصبهاني : وكان أيمن يتشيع . وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصِفَيْن وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها . وقال مجالد : كان عبد الملك بن مروان شديد الشغف بالنساء . فلما أسنَّ وضعف عن الجماع ازداد غرامه بهنَّ . فدخل عليه أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت يا أيمن ؟ قال : بخير يا أمير المؤمنين .

قال : كيف قَوْتُكَ ؟

قال : كما أحبَّ والله الحمدُ : إنِّي لَأَكُلُ الجذعةَ من الضأن بالصاع من البرِّ ، وأشرب العسَّ المملوءَ أعبه عبًا ، وأرتحل البعير الصعب فأنضيه ، وأركب المهرَ الأرن فأذلّه ، وأفترع العذراء لا يُقعدني عنها الكبر ولا يَمْنَعني منها إلا السحر ، لا يرويني الغمر ولا يتقضي مِنِّي الوطر .

فغاض عبد الملك قوله وحسده ، فَمَنَعَه العطاء وحجبه وقصده بما يكره حتى أثار ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصدقني عن حالك ! فهل لك جُرْمٌ ؟

قال : لا والله .

قالت : فأَيُّ شيءٍ دار بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيته ؟

فأخبرها . فقالت : إنا لله ، ههنا أُتيت ! أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفتَ به نفسك .

فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك فقالت : أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي .

قالت : وما له ؟

قالت : ما أدري أنا مع رجل أو مع حائط ، وإنَّ لهُ لسنين ما يعرف فراشي . فأسأليه أن يفرّق بيني وبينه .

فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت له ذلك وسألته في أمرها . فوجّه إلى أيمن فأحضره وسأله عمّا شكت أمراته . فأعترف بذلك . فقال له : أولم أسألك عام أول عن حالك ، فوصفت لي كيت وكيت ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الرجل ليتجمل عند سلطانه ، ويتجلّد عند أعدائه بأكثر ممّا وصفت نفسي به ، وإنّي القائل [متقارب] :

لَوِ ادْرَكَ مَنِّي النِّسَاءُ الشُّبَابَا	لَقِيتُ مِنَ الْغَانِيَاتِ الْمُجَابَا
عَنَاءٌ شَدِيداً إِذَا الْمَرْءُ شَابَا	يَرَى الشَّيْبَ جَمَعَ النِّسَاءَ الْحَسَانَا
وَضَاعَفْتُ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا	وَلَوْ كِلْتَا بِالْمُدِّ لِلْغَانِيَاتَا
وَيَصْبَحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صَعَابَا	يَذْدَنُ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدَا
طِ أَصْبَحْنَ مَخْرَنْطَاتٍ غَضَابَا /	إِذَا لَمْ يُخَالِطَنَّ كُلَّ الْخِلَا
وَيُحَدِّثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا	عِلَامَ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعِيُونَا
وَيَدْنِينَ عِنْدَ الْحِجَابِ الْعِيَابَا	وَيَعْرُكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهُنَّ
فَلَا تَمْنَعَنَّ النِّسَاءُ الضَّرَابَا !	وَيَبْرُقْنَ إِلَّا لَمَّا تَعْلَمُونَا

5 [239 أ]

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أولى لك يا ابن خريم ! لقد لقيتَ منهنّ ترحاً . فما ترى أن نصنع بينك وبينها ؟

قال : تستأجلها إلى أجل العتّين ، وأداريها لعلّي أستطيع إمساكها .
قال : أفعلُ ذلك .

ففعل وَرَدَّهَا إِلَيْهِ . وأمر له بما فات من عطائه وعاد إلى برّه وتقريبه .
وقال ابن قتيبة : قال له عبد الملك لمّا أنشده هذا الشعر : ما وصف

النساء أحدٌ بمثل هذا ، ولا عرفهنَّ أحدٌ معرفتك .

فقال له : لئن كنتُ صدقتُ ، لقد صدقَ الذي يقول - وهو علقمة بن عبدة - [طويل] :

فإن تسألوني بالنساء فإتني	خيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله	فليس له في ودهنٍ نصيب
يُردن ثراء المال حيث علمنه	وشرُّ الشاب عندهنَّ عجبٌ

وقال أيمن في شبيب ومحاربه الحجاج بن يوسف ، من أبيات [متقارب] :

أبى الجبناء من أهل العراق	على الله في الحرب إلا قسوطا
يُقَتِّلُهُمْ مائتا فارس	من السافكين الدماء العبيطا
وخمسون من مارقات النساء	، يجزرن للمنديات المروطا
وخيل غزالة تَنْتَابُهُمْ	تحوز العراق وتجي النيطا
5 تكرر - وتحجر فرسانهم	كما أحجر الحبة العـ[رض]ـرفوطا
قد آذى الخليفة ما يصنعون	ومستنصر الأمة المستشيطا
فلو كان لوط إماماً لكم	لأسلمتم يوم تُلقون لوطا

وقال [بسيط] :

تعاهد الذابجو عثمان ضاحية	أي قتل حرام - ذبحوا ! - ذبحوا !
ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ، ولم	يخشوا على مطمع الكف الذي طمحووا
فأيُّ سته جور سن أولهم	وباب سوء على سلطانهم فتحوا
ماذا أرادوا - أضلَّ [الله] سعيهم -	في سفح ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا
5 فاستوردتهم سيوف المسلمين على	تمام ظمئ كما يُستورد التضح
إن الذين تولوا قتله سفهاً	لقوا أثاماً وخسراناً وما ربوا

وقال أبو بكر الصولي : وكان يُسمّى « خليل الخلفاء » لإعجابهم به لحسن حديثه وعلمه وفصاحته . وكان به وضوحٌ و [...] ⁽¹⁾ بزعفران فقدم على عبد العزيز بن مروان ، فكان حظيًّا عنده يؤاكله ويحتمل ذاك لإعجابه به . ثم خرج من مصر إلى الشام إلى بشر بن مروان ، وقال [وافر] :

ركبتُ من المقطم في جمادى إلى بشر بن مروان البريدا
فمرّ بي البريدُ على شميل [239 ب]
أمير المؤمنين أقمْ ببشر يحب مهامهاً غُبراً وسوداً /
فلو أعطاك بشر ألف ألف عمود الدين إنَّ له عموداً
كأنَّ التاجَ تاجُ بني هرقل رأى حقاً عليه أن يعودا
يصافح خدَّ بشرٍ حين يُمسي جَلَّوه لأعظم الأعياد عيداً 5
[يُحالفُ لونه ديباجُ بشر إذا الظلماء صافحت الخُدودا
إذا الألوان حالفت الخُدودا] ⁽²⁾

– قيل : إنَّه عرَّض بقوله : « إذا الألوان حالفت الخُدودا » بكلف كان في وجه عبد العزيز –

وإنَّا قد وجدنا أمَّ بشرٍ كأَمَّ الأسدِ مذكاراً ولُودا
فأعطاه بشر مائة ألف درهم .
وكان سببُ خروجه من مصر أنَّه دخل على عبد العزيز بن مروان وعنده نصيب . فقال له : يا أيمن ، كم ترى ثمنَ هذا العبد ؟
فنظر إلى نصيب فقال : والله لنعم الغادي في إثر المخاض . هذا أيها الأمير أرى ثمنه مائة دينار .
قال : فإنَّ له شعراً وفصاحةً .

(1) كلمة غير مفهومة ، ولعلها : وأخفاه .

(2) هذا البيت في الأغاني 20 / 276 .

قال : فثمنه ثلاثون ديناراً .

قال : يا أيمن ، أرفعه وتخفصه ؟

قال : لكونه أحق . أيها الأمير ، أمثلُ هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟
فقال : أنشده يا نصيب .

فأنشده . فقال عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟

قال : شعر أسود هو أشعر أهل جلدته .

قال : هو والله أشعر منك !

قال : مَيَّ أيُّها الأمير ؟

قال : إي والله ، منك .

قال : والله أيها الأمير ، إنك لمَلُولٌ طرف .

قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذاك ما صبرت عليك
تنازعي التحية وتواكلني الطعام وتكئُّ على وسادتي وفرشي ، وبك ما بك -
يعني وضحاً كان بأيمن -

فقال : إئذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق ، وأحملني على البريد .

قال : قد أذنت لك .

وأمر به فحمل على البريد إلى بشر فقال الأبيات المذكورة .

وروى مسلمة بن محارب الزياتي ، أن خريم بن فاتك مرَّ بمَجْدوم في الطريق
فاحتمله وراءه فقال النبي ﷺ : رحم الله من فعلَ هذا بالمَجْدوم !

وقال أبو اليقظان : كان لأيمن فضل ودين . وكتب إليه عبد الملك بن
مروان أن يقاتل معه عمرو بن سعيد [بن العاص ، الأشدق] فقال [وافر] :

أُقْتَلُ في حجاج بين عمرو وبين خصيمه عبد العزيز

فَأُقْتَلُ ضَيْعَةً فِي غَيْرِ جُرْمٍ وَيَقْبَى بَعْدُنَا أَهْلُ الْكُنُوزِ ؟
لِعَمْرُكَ مَا هُدَيْتُ إِذْنُ لِرَشْدِي وَلَا وَقَفْتُ لِلْحَرْزِ الْحَرِيزِ
فَأِنِّي تَارِكٌ لَهَا جَمِيعاً وَمَعْتَرِلٌ كَمَا أَعْتَرَلَ ابْنُ كُوزِ
وقال [رمل] :

إِنَّ لِلْفِتْنَةِ شَرًّا [يَبِيناً] فَاصْطَبِرْ لِلْأَمْرِ حَتَّى يَعْتَدِلُ
وَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَأَتَيْهِمْ وَإِذَا كَانَ قِتَالاً فَأَعْتَرِلُ
إِنَّمَا يُسْعِرُهَا جُهَّالُهَا حَطَبُ النَّارِ فَدَعَّهَا تَشْتَعِلُ

وقال - وقيل : هو لغيره - [وافر] :

يَقُولُ لِيَ الْأَمِيرُ إِذَا رَأَى تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِهِ الْمَرَأْسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ غَيْرُ نَفْسٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّأْسِ رَأْسُ

894 - أَيُوبُ ابْنُ النَّحَّاسِ [617 - 699] ⁽¹⁾

أَيُوبُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هُبَّةِ اللَّهِ بْنِ طَارِقِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
[الْأَسَدِيُّ] ، الْحَلَبِيُّ ، [بَهَاءُ الدِّينِ] ، أَبُو صَابِرٍ ، الْحَنْفِيُّ ، ابْنُ النَّحَّاسِ ،
[مَدْرَسُ الْقَلْبِيجِيَّةِ وَشَيْخُ الْحَدِيثِ بِهَا] .

سَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ ابْنِ بَنْتِ الْجَمَّازِيِّ ، وَبِالْقَاهِرَةِ مِنْ يَوْسُفِ السَّائِي ،
وَبِبَغْدَادَ مِنْ ابْنِ الْحَارِثِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَاشْتَغَلَ كَثِيراً وَأَفْتَى وَدَرَّسَ .
وَمَاتَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

(1) الوافي 36/ 10 (4448) ؛ المنهل 224/ 3 (630) ؛ النجوم 8/ 194 ؛ شذرات
. 445/ 5

895 - نجم الدين الكردي ، والي القاهرة [- بعد 740] ⁽¹⁾

/ أيوب ، الأمير نجم الدين الكردي .

خدم أستاذاراً للأمير الأكور ⁽²⁾ شاذّ الدواوين . ثم ولي الشرقية ⁽³⁾ . وخلع عليه في يوم الاثنين عاشر صفر سنة أربعين واستقرّ في ولاية القاهرة عوضاً عن علاء الدين علي بن حسن المروانيّ ، وعُزل وأعيد مراراً .

896 - أيوب بن شاذي ، والد صلاح الدين [- 568] ⁽⁴⁾

أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب ، الملك الرحيم الأفضل [بن] شاذي بن مروان ، من أبناء أعيان دُوَيْن ، وبينه وبين جمال الدولة المجاهد بهروز صحبة . فاتفق أنّ بهروز أنّهم بزوجة بعض أمراء دُوَيْن فخصّاه . فخرج منها وائصل بلالا أولاد السلطان غياث الدين مسعود السلجوقيّ ، واختصّ به وصار يركب مع أولاد السلطان . فرآه السلطان يوماً مع أولاده فأنكره فقال اللالا : إنّ خادمٌ مثلي .

ثم صار يسيرهُ إلى السلطان فحفّ على قلبه ، ولعب معه الشطرنج والترد ، وكان من أطرف الناس ، فحظيّ عنده . ومات اللالا فأقامه مكانه ، فاشتهر ذكره . واستدعى شاذي بن مروان ، فلما قدِم عليه أكرمه .

(1) الدرر 1 / 465 (1146) ؛ السلوك 2 / 421 ، 482 ، 648 .

(2) في السلوك 2 / 421 : الأكر .

(3) في جمادى الأولى سنة 739 (السلوك 2 / 463) .

(4) الوافي 10 / 50 (4488) ؛ وفيات 1 / 255 (107) ؛ الروضتين 1 / 209 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1 / 820 ؛ وانظر ترجمة صلاح الدين يوسف في الوفيات 6 / 139 (846) حيث ذكر دُوَيْن بأذربيجان .

ثم إنَّ السلطان بعث بهروز والياً ببغداد ووالياً عنه ، فسار معه شاذي وأولاده . وكانت تكريت قد أعطاها السلطان لبهروز فأرسل إليها شاذي ، فأقام بها مدة ومات . فولَّى ابنه نجم الدين أيوب عوضه فنهض في أمرها وشكره بهروز .

فاتفق أنَّ عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما قصد حصار بغداد أيام الخليفة المسترشد بالله الفضل بن أحمد المستظهر بالله . وكان من محاربة المسترشد ما كان وانهمز عماد الدين زنكي وعبوره على تكريت . خدمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن حتى عبر دجلة ، وتبعه أصحابه فأحسن إليهم وسيّرهم . فبلغ ذلك بهروز فأنكر على نجم الدين وقال : كيف تظفر بعدونا وتحسن إليه ؟

واتفق مع ذلك أن أسد الدين شيركوه أخا نجم الدين أيوب أته امرأة باكية وذكرت أنَّ فلاناً الإسفهلار تعرّض لها وهي داخلة في باب القلعة . فقام وضرب الإسفهلار بحربة [ف]قتله . فأمسكه نجم الدين وأعتقله وكتب يُعلم بهروز بخبره . فعاد جوابه : إنَّ لأبيكما شاذي عليّ حقاً ، وما يُمكنني أن أكافئكما بسوء . ولكن أترك خدمتي وأخرجاً من بلدي .

فخرج أيوب وشيركوه من تكريت وقصدا عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل ، فأحسن إليهما وأقطعها إقطاعاً جيداً . وما زالا في خدمته إلى أن ملك قلعة بعلبك . فاستخلف بها نجم الدين أيوب ، فأقام بها وعمر بها الحانقاه النجمية .

فلما قُتل عماد الدين زنكي وحصر بجير الدين آبق صاحب دمشق⁽¹⁾ بعلبك ضاق الأمر على نجم الدين ولم تأت نجدة من أولاد عماد الدين زنكي ، [ف]سلم آبق قلعة بعلبك على إقطاع ذكره بعدما حلف له ، وانتقل إلى دمشق بأولاده وتسلم الإقطاع والمال . وقدمه آبق وعمله من أكبر الأمراء .

(1) آبق بن محمد بن بوري بن طفتكين ، أتابك بو سعيد التركي (ت 564) .

وأتصل أخوه شيركوه بنور الدين محمود بن زنكي وخدمه في أيام أبيه فحظي عنده ، وجعله بعد موت أبيه مقدّم عسكره بخلب ، إلى أن ملك دمشق . فأقرّ أيوب وشيركوه بخدمته . وبعث شيركوه إلى مصر نجدةً لشاور كما ذكر في ترجمتهما⁽¹⁾ . فتوجّه صلاح الدين يوسف بن أيوب في خدمة عمّه أسد الدين شيركوه إلى مصر . وكان من تملّك شيركوه مصر ، ثم تملّك صلاح الدين يوسف بعده إلى أيام الخليفة العاضد لدين الله ما كان .

فاستدعى [صلاح الدين] أباه نجم الدين أيوب من دمشق ، فجهّزه إليه نور الدين محمود في سنة خمس وستين وخمسمائة . وخرج العاضد فتلّقاه عند [240 ب] صحراء الإهليلج خارج باب الفتوح وأقطعه الإسكندرية ودمياط والبحيرة / ، وأقطع ابنه شمس الدولة توران شاه بن أيوب قوص وأسوان وعيذاب ، وعبرتها في كلّ سنة مائتا ألف وستّة وستون ألف دينار .

فسلك صلاح الدين مع أبيه من الأدب ما يليق به وعرض عليه الأمر ، فأبى وقال : يا ولدي ، ما اختارك الله لهذا إلّا وأنت له أهل .

فلما استبدّ صلاح الدين بسلطنة مصر بعد موت العاضد ، وخرج إلى حصار الفرنج بالكرك ، ركب نجم الدين أيوب في يوم الثلاثاء ثامن عشر ذي الحجة ليسير [على عادة الجند]⁽²⁾ ، وخرج من باب النصر ، [ف]شبّ به فرسه وألقاه . فحمل إلى داره بالقاهرة ولزم الفراش حتى مات يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة . ودفن بجانب أخيه شيركوه ، ثم نُقلا إلى المدينة النبوية ودُفنا بجوار الحجر الشريفة في ثربة هناك سنة ثمانين وخمسمائة .

وترك نجم الدين أيوب من الأولاد : السلطان صلاح الدين يوسف ،

(1) تراجم الشين مفقودة

(2) زيادة من الوافي 10 / 50 .

والمالك العادل سيف الدين أبا بكر محمداً ، وشمس الدولة توران شاه .
وشاهنشاه ، وسيف الإسلام طغتكين ، وتاج الدين يوري ، وست الشام ،
وربيعة خاتون .

وكان ديناً خيراً له صدقات وعقل رصين وكرم وسماح .

ورثاه الفقيه عمارة بقصيدتين .

897 - أيوب بن شرحبيل الأصبحي [101 -]⁽¹⁾

أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شرحبيل
ابن مرثد بن الصباح بن معدي كرب بن جعفر بن ينوف بن شراحيل بن أبي شمر
أبن شرحبيل⁽²⁾ بن ياشر بن أشعر بن ملكي كرب بن شراحيل بن يعفر بن عمي
أبن أبي كرب بن يعفر بن أسعد بن ملكي كرب شمر⁽³⁾ بن أشعر بن ينوف بن
أصبح الأصبحي .

أمه أم أيوب بنت مالك بن نويرة بن الصباح .

روى عنه أبو قبيل ، وعبد الرحمان بن مهران .

وهو أحد أمراء مصر . ولأه عمر بن عبد العزيز . وذلك أنه لما ولي الخلافة
قال : دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أولئك صلاتها .

فقبل له : بها رجلان : معاوية بن عبد الرحمان بن معاوية بن حديج ،
وأيوب بن شرحبيل .

قال : أي الرجلين أقصد ؟

(1) الكلبي 67 ، 338 ؛ النجوم 1/ 263 ؛ تاريخ البخاري 1/ 417 (1335)

(2) في المخطوط : شرحبيل بن شراحيل بن ياشر .

(3) في المخطوط : أبي شمر .

قالوا : أيوب .

قال : فهذا أردت .

وكتب إلى أيوب بولايته ، وأمر البريد بكتّمان ذلك ، وأن تكون موافاته يوم الجمعة .

فقدم الرسول ودفع الكتاب إلى أيوب ، فراح كما كان يروح ، فركع قريباً من المنبر ، وعبد الملك بن رفاعة أمير مصر يومئذ . فلَمَّا أَدْنَى المؤذن صعد أيوب المنبر فخطب الناس وصلى بهم الجمعة وانصرفوا ، وابن رفاعة لم يعلم ، وذلك في ربيع الأول سنة تسع وتسعين ، وجعل على شرطه الحسن بن يزيد الرعيني . فورد كتاب عمر بن عبد العزيز بالزيادة في أعطيات الناس عامّة . ومُنعت الخمر وكُسِرت أوانيها وعُطِلت حاناتها . ثم صرف الحسن عن الشرط في رجب بالحِثِّ ابن داخر بن هاشم الأصبحي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بفريضة للجند ، فقال : أَلَصِقْ ذلك بأهل البيوتات الصالحة ، فَإِنَّمَا الناس معادن معادن .

وقسم للغارمين خمسةً وعشرين ألف دينار . وقفل أهل قسطنطينية ، ونزعت موارِيث القبط عن الكور ، واستعمل المسلمون عليها ، ومنع النساء الحمّامات .

وشكّي ضعف أيوب إلى عمر بن عبد العزيز فقال : إِنَّ أيوب زجرت به أعراق⁽¹⁾ صالحة فلان لبِن الأشراف وقصد قصد السادة .

ومات عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على صلاة مصر إلى أن توفي لإحدى عشرة بقيت من رمضان .

(1) في المخطوط : رجوت به أعارق . والإصلاح من الكندي .

وقيل : نزع أيوب لسبع عشرة خلت من رمضان يبشر بن صفوان [الكلبي⁽¹⁾] . وكانت ولايته سنتين ونصفاً .

898 - أيوب الملك الصالح صاحب كيفا [727 -]⁽²⁾

أيوب بن [أي بكرك] سيف الدين محمد بن [أبي] محمد [عبد الله] بن [توران شاه] بن أيوب بن شاذي بن مروان ، الملك الصالح ، ابن الملك الكامل ، / ابن الموحد [تقي الدين] ، ابن المعظم غياث الدين ، ابن الصالح [241 أ] [نجم الدين] ، ابن الكامل [ناصر الدين] ، ابن العادل [سيف الدين] . ابن والد الملوك نجم الدين .

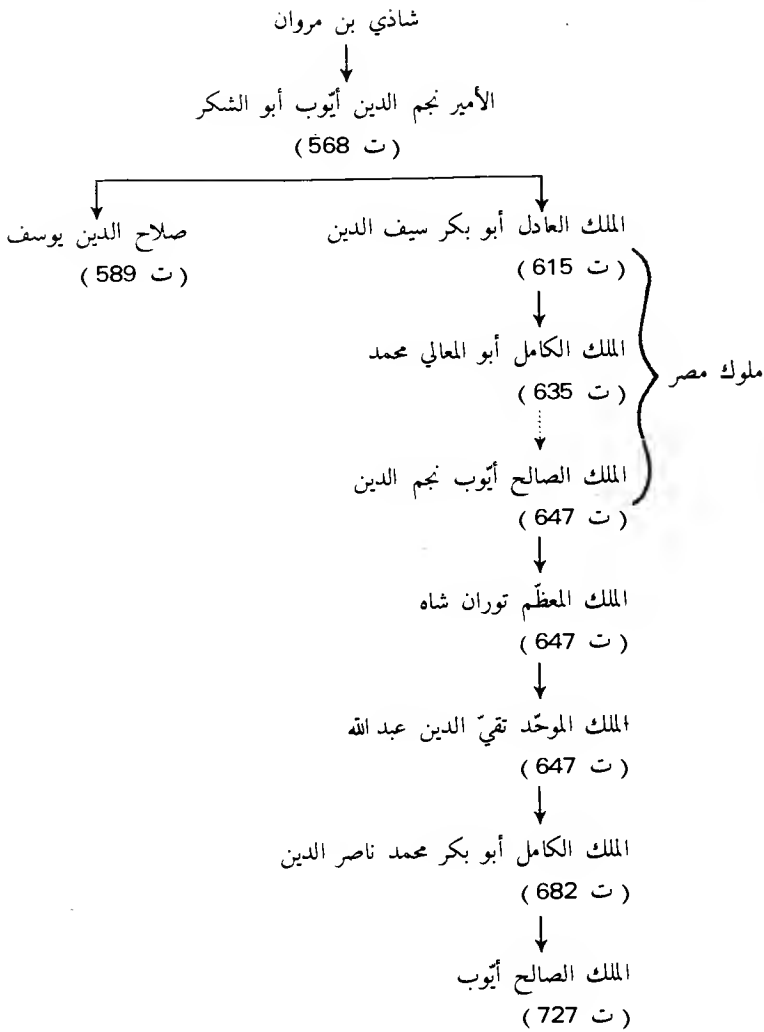
ولي حصن كيفا هو وأبوه وجدّه . وقدم إلى دمشق حاجاً في شهر رمضان سنة ستّ وعشرين وسبعمائة . وتوجّه إلى خدمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فقدم القاهرة . وحجّ وعاد مسرعاً خوفاً على بلده . فحال وصوله إلى الحصن تلقاه أخوه وهياً له من قتله وقتل ولده ، واستقلّ بمملكه .

(1) الكندي ، 69 .

(2) الدرر 462/1 (1138) والإكمال والتوضيح منها . فقد نوالى على مملكة الحصن : المعظم غياث الدين توران شاه ثم انتقل إلى سلطنة مصر ، فعوضه ابنه الموحد تقي الدين عبد الله . ثم خلفه ابنه الكامل أبو بكر ، ثم خلفه أيوب صاحب الترجمة ، فقدم إلى القاهرة ولقي الناصر محمد بن قلاوون سنة 726 وحجّ فقاتله أخوه وقتله مع ولده واستولى على الحصن في أوائل 727 . فهو في الحقيقة الرابع من ملوك كيفا بعد جدّ أبيه وجدّه وأبيه .

هنا وقد تلبس ترجمة أيوب هذا بترجمة جدّه الأعلى نجم الدين أيوب ابن الكامل ابن العادل بن أيوب مؤسس الأسرة الأيوبية . فلهذا نورد هنا شجرة جزئية منقولة عن =

= معجم زامباور في ترجمته العربية ص 150 وما يليها، وعن دائرة المعارف الإسلامية
: 827 / 1



[حرف الباء]

899 - باديس بن زيري [- بعد 370]

باديس بن زيري بن مناد بن منقوش . أنفذه العزيز بالله نزار ابن المعزّ أميراً على حاجّ مصر في سنة سبع⁽¹⁾ وستين وثلاثمائة . فلماً وصل مكّة أتاه اللصوص وقالوا له : نحن نتقبّل منك الحاجّ بخمسين ألف درهم ، ولا تتعرّض لنا⁽²⁾ .

فقال لهم : كرامة ! اجمعوا أصحابكم حتى أعقد معكم ذلك .
فاجتمعوا نيفاً وثلاثين رجلاً . فقال : هل بقي منكم أحدٌ ؟
فحلفوا أنّه ما بقي منهم أحد . فأمر فقطعت أيديهم كلّهم .

فلماً قدم بالحاجّ بعثه العزيز بالله إلى أخيه يوسف المعروف ببلكين بن زيري خليفته على المغرب بكتاب . فقدم عليه يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة ، فأقام بأشير مدّة وتوفي بها .

900 - بارزطغاي الغزيّ [- 616]⁽³⁾

بارزطغاي بن محمود بن أبي الفتح الحميريّ الغزيّ ، أبو طالب .
تفقه للشافعيّ ، ووليّ قضاء غزّة مدّة . ثمّ انتقل إلى إربل فمات بها .

(1) في المخطوط : تسع . والإصلاح من الدولة الزيرية لهادي روجي إدريس ، 53 ، ومن أين الأثير ، سنة 367 ، وحسن المحاضرة 2/ 280 .

(2) شرح إدريس هذه الصفقة بقوله : فاللصوص يشترّون من باديس حقّ السرقة . وعند ابن الأثير قالوا : نتقبّل منك الموسم (أي تركنا نفعل ما نشاء) .

(3) المنذري ، 2 / 459 (1659) وهو عنده : بارزطغان . وفي المخطوط : المغربيّ عوض الغزيّ .

وكان قد سمع بالإسكندرية من أبي الطاهر بن عوف ، وبدمشق من أحمد
أبن حمزة الموازني ومن عثمان . وحدث بمدرسة المنذري وغيره . وذكره في
معجمه .

وكانت وفاته سنة ست عشرة وستائة .

901 - باينجار رسول الخان أزيك

باينجار رسول الملك أزيك خان بن طغرل خان بن منكوتمر بن طغان بن
باطر بن جنكزخان .

قدم بالخاتون طلباي⁽¹⁾ ومعه [الشيخ] برهان الدين ، إمام القان أزيك ،
وقاضي سراي ، على مائة وخمسين ، منهم إيتغلي وطقبغا ومنغوش وطرجي وعثمان
خجبا ، وهو مقدم عليهم .

وكان شيخاً كبيراً لا يطيق من كبره المشي ولا القيام⁽²⁾ ،
فحمل حتى حضر بدار العدل في يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الآخر سنة
عشرين وسبعائة ، وجلس بين يدي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
ودفع كتاب ألقان أزيك وقال : أخوك ألقان أزيك يقول : أنت سيرت طلبت
من عظم القان بنتاً . فلما لم يعثها إليك لم يطب خاطرك . وقد سيرنا لك بنتا من
بيت كبير ، فإن أعجبتك فلا يكون عندك أكبر منها ، وإن لم تعجبك فاعمل
بقول الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » (النساء ، 58) .
فقال السلطان : نحن ما أردنا الحسن ، وإنما أردنا كبر البيت والقرب من
أخي ، وأن نكون شيئاً واحداً .

(1) في السلوك 2/ 203 : طلباي . وسيطلقها السلطان فيترؤجها منكلي بغا السلاح دار ؛

السلوك 2/ 298 .

(2) السلوك 2/ 204 .

ثم عقد عليها وأكثر من الإنعام والخلع على باينجار ومن معه حتى أعادهم ، فساروا إلى الإسكندرية وركبوا منها البحر إلى اسطنبول ⁽¹⁾ ، وساروا إلى بلاد أذربك .

902 - باينجار المنصوري [716 -] ⁽²⁾

باينجار المنصوري ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك الملك المنصور قلاوون .

ترقى في الخدم وصار من أمراء الألف إلى أن قبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر سنة اثني عشرة وسبعمائة ، هو وأقوش نائب الكرك ، وبيبرس الدوادار نائب السلطنة ⁽³⁾ ، وسنقر الكالي ، ولاجين الجاشنكير ، وألدكز الأشرفي ، ومغلطاي المسعودي .

وكان سبب تغير السلطان عليه بعد اختصاصه به أن الأمير أيدغدي شقير ⁽⁴⁾ حقد عليه كلاماً / مازحه فيه بحضرة السلطان ، فنقم عليه أنه يريد الفتك [241 ب] بالسلطان ونحو ذلك ، فتغير منه وقبضه .

وما برح في السجن حتى قُتل في سنة ستّ عشرة وسبعمائة .
وكان كريماً فيه مروءة وعصبية ، ويعمل سباطاً عظيماً . وبلغ من حشمته أن نصرانياً حضر إليه سرّاً من بلده بأوراق مرافعة في مباشرته تشتمل على ثمانية

(1) استعمال اسم اسطنبول عوض القسطنطينية دليل على أن إطلاق هذا الاسم الجديد على عاصمة بلاد الروم ، أي بيزنطة أو روما الشرقية ، قد بدأ قبل افتتاح العثمانيين لها سنة 857 . وقد استعمل القرظي في السلوك هذا الاسم مراراً .

(2) السلوك 2/ 168 وهو فيه بينجار ، النجوم 9/ 34 ، وفيها أن سبب القبض عليه ميله إلى قراسنقر ، الدرر 4/ 2 (1271) .

(3) هو « صاحب التاريخ المشهور في 25 مجلداً » ، الدرر 2/ 43 (1384) .

(4) مَرّت ترجمة أيدغدي شقير برقم 868 .

آلاف إردب غلّه وماتّي ألف درهم فضّة ، والتزم أنّه إن لم يحقّقها قام بها من ماله . فأخذها منه وصرفه سرّاً . ثم غسلها وقال لبعض خواصّه : إنّ مباشري ديواني لهم عندي عدّة سنين وما منهم إلّا من أشتري له ملكاً أو جارية أو عهداً ، أو أنشأ سكناً مليحاً . فإذا سمعتُ من هذا إحتاجوا إلى بيع ما يساوي ألفـ[ا] بماتّي درهم ، ويخرج أسمنا أسم النحاس بين الناس . وسكت عن مباشريه ولم يتعرّض لهم بشيء .

903 - باورد بن براجوا [- بعد 721] ⁽¹⁾

من أمراء المغل . قدم إلى مصر في سنة إحدى وعشرين وسبعائة فأكرمه الملك الناصر وأنعم عليه بخيل ومال وأعطاه إمرة طبلخاناه .

904 - بتخاص العادليّ [- 696]

بتّخاص ، الأمير سيف الدين ، أحد ممالك الملك العادل كتبغا . أعطاه الإمرة وجعله أستاذ السلطان في رابع عشرين المحرم سنة أربع وتسعين وستائة .
وقُتل على منزلة العوجاء يوم خلع كتبغا في ثامن عشرين المحرم سنة ست وتسعين وستائة ⁽²⁾ .

(1) السلوك 2 / 215 .

(2) السلوك 1 / 820 وفيه أنّه قُتل بباب الدهليز بمنزلة العوجاء .

905 - بُتْخَاصُ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبُ صَفْد [710 -]⁽¹⁾

بُتْخَاصُ الْمَنْصُورِيِّ ، الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ ، أَحَدُ الْمَالِكِ الْبَرْجِيَّةِ .
تَقَلَّ فِي الْخَدَمِ إِلَى أَنْ صَارَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَمْرَاءِ . فَلَمَّا عَادَ الْعَسْكَرُ مِنْهَزِمًا مِنْ
غَازَانَ إِلَى مِصْرَ ، اسْتَعْفَى الْأَمِيرُ كِرَائِي مِنْ نِيَابَةِ صَفْدَ فَوَلَّيَهَا عَوْضَهُ بُتْخَاصُ هَذَا
فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّائَةٍ فَبَاشَرَ النِّيَابَةَ بِمَهَابَةٍ زَائِدَةٍ ، وَأَكْثَرَ مِنْ
سَفْكِ الدَّمَاءِ وَمَهْدِ جِبِلِّ عَامِلَةٍ ، وَزَادَ فِي التَّجَبُّرِ إِلَى أَنْ صُرِفَ .

ثُمَّ قَصِدَ إِقَامَةَ الْأَمِيرِ مَظْفَرَ الدِّينِ مُوسَى ابْنِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلِيِّ بْنِ قَلَاوُونَ
وَوَافَقَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بِكَتْمُرِ الْجُوكَنْدَارِ
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ عَلَى ذَلِكَ . فَوُشِيَ بِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ وَقَدْ كَادَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَتِمَّ .
فَاسْتَدْعَى بِكَتْمُرِ الْجُوكَنْدَارِ لَيْلًا وَشَاغَلَهُ بِالْحَدِيثِ ، وَقَدْ بَعَثَ بِهَادِرِ النَّقِيبِ فِي
عِدَّةٍ مِمَّا لِيكَ لِإِحْضَارِ بُتْخَاصٍ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا . فَلَمَّا أَتَاهُ الطَّلَبُ أَحْسَنَ بِالْشَّرِّ
وَأَلْبَسَ مِمَّا لِيكَ السِّلَاحَ ، وَقَصِدَ أَنْ يَفِرَّ وَيَعْمَلَ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ . فَعَاجَلَتْهُ الْمَالِكُ
وَأَخَذُوهُ بَعْدَمَا رَمَاهُمْ مِمَّا لِيكَ بِالنَّشَاطِ . وَأَدْخَلُوهُ عَلَى السُّلْطَانِ لَيْلًا فَقُبِدَ وَحُبِسَ
ثُمَّ نُقِلَ إِلَى الْكَرْكِ فَتَاتَ بِحَبْسِهَا فِي سَنَةِ عَشَرَ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ .
وَكَانَ شَجَاعًا مُقَدِّمًا شَدِيدَ الْكِبَرِ وَالْحَمَقِ ، يَرَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ
جَمِيعِ الْبَرْجِيَّةِ .

(1) الوافي 10 / 75 (4511) ؛ الدرر 2 / 5 (1276) ؛ المنهل 3 / 237 (640)

ولاه الأمير أبو منصور تكين الشرط بعد وصيف في يوم السبت لثلاث بقين من رجب سنة سبع عشرة وثلاثمائة . ومات تكين⁽¹⁾ وولي أحمد بن كيغلف⁽²⁾ مصر فأقره على الشرط . ثم صرفه بالحسين بن علي بن معقل في يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

فردّه محمد بن عليّ الماذرّائي إلى الشرط فحارب الجند بالجزيرة فانهزم منهم . وعاد ابن معقل إلى الشرط فكانت فتنة الجند وقيام حبشيّ في المغاربة لمُحاربتهم .

فلما قدم محمد بن تكين أعاد يحكم وصرف الحسين بن معقل عن الشرط في ثالث ربيع الأوّل ، فعُخالف على محمّد بن تكين ولحق بالمَغاربة في العشرين من جمادى الآخرة .

فلما تمّ الأمر لأحمد بن كيغلف أعاد يحكم إلى الشرط وصرف ابن معقل في ثالث رجب .

ثمّ خرج يحكم إلى الحجّ وقد وليَ مصرَ محمد بن طُغج الإخشيد ، وسار إليها فلحق به سعد بن عثمان⁽³⁾ وهو على الشرط . فجعل أحمد بن كيغلف يحكم

(1) مات تكين الخاصّة في 16 ربيع الأول 321 . وكان وليّ الشرطة لوصيف الكاتب في صفر سنة 313 في ولايته الثالثة لمصر .

(2) سكت القريري هنا عن ولاية محمد بن طغج سنة 321 ، لأنّها لم تدم إلا 32 يوماً . ولم يدخل الإخشيد مصر (الكندي ، 281) . وولاية أحمد بن كيغلف هي الثانية (شوال 321) .

(3) في النجوم الزاهرة 3/ 252 : سعيد بن عثمان ، وكذلك عند الكندي ، 289 وقال إنّهُ توفي في 15 صفر 328 .

مكانه في رمضان سنة اثنتين وعشرين . فلما تسلّم محمد بن طغج الفسطاط ، وكره حبشيّ والمغاربة المقام معه وخرجوا / إلى الفيّوم ، خرج معهم بجكم ، [242 أ] وعليّ بن بدر ، ونظيف النوشيّ ، وعليّ المعدنيّ . وكان من أمر صاعد معهم وقتله ما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

فلما سار حبشيّ من الفيّوم إلى الإسكندرية قدم بجكم وعليّ بن بدر في مراكب صاعد التي غنموها لما قُتل ، حتى قدما الفسطاط أوّل يوم من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين [وثلاثمائة] ، وأرسوا بجزيرة مصر ، وبها حينئذ الصناعة فشعّوها .

وخرج إليهم محمد بن طغج فلم يُمكنه الوصول إليهم وعادوا من آخر يومهم إلى الإسكندرية ولحقوا ببرقة وكتبوا صاحب إفريقية في إرسال جيشٍ ليأخذوا له مصر .

فأت حبشيّ ⁽²⁾ وقدم جيش إفريقية ، فسار بجكم على مقدّمته حتى ملك الإسكندرية في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة] ⁽³⁾ .

فبعث الإخشيد بأخيه الحسن بن طغج ، فقاتل المغاربة وأسر عدّة منهم وقتل كثيراً وهزم باقيهم ، وفيهم بجكم ، فلحق ببرقة وأقام بها إلى أن قدم على الإخشيد ومعه عليّ المعدنيّ مستأمنين ، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانٍ وعشرين [وثلاثمائة] ⁽⁴⁾ .

(1) حرف الصاد في الأجزاء المفقودة من المفقى .

(2) مات حبشيّ في صفر 324 .

(3) عند الكندي ، 288 ، كانت هذه الواقعة في 22 منه ، وكان على الجيش الفاطميّ يعيش وأبو تازرت الكاميان .

(4) بجكم الأعور هو غير أبي الحسين بجكم الذي خدم محمد بن رائق بالعراق وكانت له جولات مع البريدي .

وخبر الفتنة بين ولاية مصر المعزولين والمثبتين مستفيض في كتاب الكندي ، وفي النجوم =

907 - بُجَاسُ النُّرُوزِيِّ [803 -]⁽¹⁾

بُجَاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النُّرُوزِيُّ النُّحَوِيُّ . مات في رجب سنة ثلاث
وثمانمائة .

908 - بُحْرُ بْنُ ضُبُعٍ الرَّعِينِيُّ⁽²⁾

بُحْرُ بْنُ ضُبُعٍ بْنُ أُمِّهِ بْنِ يَحْمَدَ بْنِ مَوْهَيْشَلِ بْنِ عُقْبِ بْنِ اللَّيْشَرِجِ بْنِ سَعْدِ
ابْنِ بَدْرِ بْنِ شَرْحِبِيلِ بْنِ حَجَرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ رَعِينِ . ويقال : ذو
رَعِينِ ، وَأَسْمُهُ بَرِيمُ بْنُ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ جِشْمِ بْنِ
عَبْدِ شَمْسِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ الْغُوْثِ بْنِ قَطَنِ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَهْرٍ بْنِ أَيْمَنَ بْنِ مَيْسَعِ
ابْنِ حَمِيرٍ - واسمه العرنجيج - بْنِ سَبَأَ ، وَهُوَ عَامِرُ بْنُ شَجْبِ بْنِ يَعْرَبِ بْنِ
قَحْطَانَ بْنِ عَابِرِ بْنِ سَلَّاحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحَ ، أَبُو [. . .]
الرَّعِينِيُّ .

وفد على النبي ﷺ مع يعفر بن عُريب بن عبد كلال ، وشهد فتح مصر
وأخْطَطَ بها . وكان بمِصر من ولده عددٌ .

= الزاهرة لابن تغري بردي ، وفي تراجم القواد والأمراء المعنئين في المقتى كالاخشيد ، وأخيه
الحسن بن طغج ومحمد بن تكين وحبشي رأس المغاربة وغيرهم .

وهذا القتال بينهم على الحكم مهَّد بِلُونُ شَكَّ لاسْتِيلَاءِ جَوْهَرٍ عَلَى مِصْرَ .

(1) المنهل 241/3 (642) ؛ الضوء اللامع 2/3 (رقم 6) ولم يقل إن المقرزي ذكره في
عقوده . وذكره في السلوك في مواضع : أنعم عليه بإمرة طبلخاناه (ج 3/367) في
رمضان 781 وبولاية باب القلعة في جمادى الأولى سنة 790 (ج 3/578) . ولم يلقبه
بالنحوي ، كما فعل هنا ، وكما فعل السخاوي : سيف الدين العثماني النحوي كبير الجراكسة
في بلاده . وفي نزهة النفوس والأبدان 2/131 : بُجَاسُ الْعُثْمَانِيُّ لَا غَيْرَ .

(2) أسد الغابة 1/199 (370) ؛ الوافي 10/83 (4526) ؛ الإكمال 1/208 .

909 - بحر بن نصر الخولاني [180 - 267]⁽¹⁾

بحر بن نصر بن سابق مولى خولان ، أبو عبد الله .
ولد سنة ثمانين أو إحدى وثمانين . وقال الطحاوي : ولد بحر بن نصر ،
والربيع المرادي ، والمزني ، ثلاثهم في سنة أربع وسبعين ومائة .
روى عن عبد الله بن وهب ، وأيوب بن سويد الرملي ، والشافعي ، وبه
تفقه ، وضمرة بن ربيعة ، وأشهب ، وبشر بن بكر ، في آخرين .
وروى [عنه] ابن حوصا ، وأبو جعفر الطحاوي ، وأبو بكر بن زياد
النيسابوري ، وعبد الرحمان بن أبي حاتم ، وأبو عوانة الإسفرائيني ، وأحمد بن
مسعود بن عمرو العكري ، وجماعة .
قال ابن يونس : كان من أهل الفضل . حدثني أحمد بن محمد بن سلامة
قال : سمعت يونس بن عبد الأعلى ذكر بحر بن نصر ، فوثقه . وقال الأصفير :
رأيت عند ابن وهب ، ووثقه ابن أبي حاتم .
توفي بمصر ليلة الاثنين لثمان خلون من شعبان سنة سبع وستين ومائتين ،
وصلّى عليه أخوه إدريس بن نصر الخولاني .

910 - بُجَيْر بن ذاخر الناشري

بُجير بن ذاخر بن عامر المعافري ثم الناشري .
حدث عن عمرو بن العاصي ، وعبد الله بن عمر ، ومسلمة بن مخلد ،
.....
(1) الطبري 114/1 وذكر له حديثاً في فضل يوم الجمعة ؛ تهذيب التهذيب 1/420
(775) .

وعقبة بن عامر الجهني .
 حدث عنه الأسود بن مالك الحميري ، وعبد الله بن لهيعة . وكان سيافاً
 لمسلمة بن مخلد ..
 وروى أيضاً عن عبد العزيز بن مروان .
 روى عنه ابنه علي بن بجير . وجعل الدارقطني الذي روى عن عبد العزيز
 غير بجير بن ذاخر ، وهو وهم .
 وذكره ابن يونس على الصحة ويين أن علي بن بجير هو ابن ذاخر .

911 - بدر الجمالي [405 - 487]⁽¹⁾

بدر ، أبو النجم ، الجمالي ، المنعوت بالسيد الأجل ، أمير الجيوش ،
 سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين .
 كان مملوكاً أرمينياً لجمال الدولة أبي الحسن علي بن عمّار صاحب طرابلس
 الشام [فلذلك عُرف بالجمالي] . وما زال يأخذ نفسه بالجدّ من زمن الشيبية فيما
 يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم وينتقل في الخدم إلى أن ولي دمشق من قبل
 المستنصر بالله في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس
 [242 ب] وخمسين وأربعمائة ، فتسلّمها ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين / أبو
 الحسن يحيى بن زيد الحسيني الزيدي ناظراً في الأعمال⁽²⁾ .
 وأقام بها إلى أن خرج منها كالهارب من أهلها في ليلة الثلاثاء لأربع عشرة
 خلت من شهر رجب سنة ست وخمسين .

ثم وليها ثانياً يوم الأحد السادس من شعبان سنة ثمان وخمسين ، فأقام بها

(1) الخطط 1/ 211 ؛ ابن ميسر (مسي) 50 ؛ الإشارة 55 ؛ النجوم 5/ 141 .

(2) ابن القلانسي : ذيل ، 92 ؛ ائعاظ ، 2 / 268 .

إلى أن بلغه قتلُ ولده بعسقلان . فخرج منها ونزل على مسجد القدم ⁽¹⁾ خارج دمشق في شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة . فخرج الأحداث والعسكرية إلى قصره وأحرقوه .

وفي سنة اثنتين وستين نزل على صور وحاصر القاضي عين الدولة أبا الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل الغالب عليها . ثم حصره في سنة ثلاث وستين . وتتابع وصولُ الأتراك من العراق إلى أعمال فلسطين والساحل وبلاد الشام مع أئسز بن أوق الخوارزمي وإخوته جاوي والمأمون وقرلو وشكلي ، وأخذوا أعمال فلسطين واختلفوا هناك . فصار بعضهم مع أمير الجيوش بدر بعكا وبلاد الساحل التي هي في يده ، وبعضهم مع القاضي عين الدولة محمد بن [عبد الله بن عياض بن] أبي عقيل صاحب صور . وبقي أئسز بن أوق الخوارزمي وأخوه بفلسطين ، واستولى على الرملة وطبرية والقدس . فلم يزل أمير الجيوش بعكا إلى أن انتهكت حرمة المستنصر بتغلب ناصر الدولة الحسين بن حمدان إلى أن قُتل . فاستطال عليه الأمير يلدكوش والأتراك والوزير ابن أبي كدينة . فكتب إلى أمير الجيوش كتاباً من إملاء الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر ابن المغربي ، وهو يومئذ يتولى الإنشاء ، يستدعيه للقدوم عليه وإنجاده ، من جملة [طويل] :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل . وإلا فادركني ولما أمزق

فلما بلغه الكتاب قال : ليبيك ! - وكررها ثلاثاً . وكتب إلى المستنصر يشترط عليه أنه لا يقدم إلا بعسكرٍ معه ، وأنه لا يُبقي على أحدٍ من عساكر مصر . فأنعم له بذلك .

فسار من عكا في مائة مركب مشحونة بالأرمن ، وغيرهم من العسكر . فنهاه الناس عن ركوب البحر من أجل أن الوقت شتاء في كانون الأول ، فأبى .

(1) ذيل ... 93 .

ونزل على دمياط بعد [أربعين يوماً] من إقلاعه . فزعم البحريّة أنهم لم يعرفوا صحوة تَمَادَت أربعين يوماً في الكوانين إلّا هذه ، فكان هذا الأمر بدء سعادته . واستدعى تجّار تنيس واقترض منهم مالاً ، وقام له ⁽¹⁾ سليمان اللواتي بالعليق وغيره من الضيافة . وسار إلى ظاهر قليب ، وبعث إلى المستنصر يقول له : لا أدخل إلى القاهرة ما لم تقبض على يلدكوش - فأمسكه . وعبر أمير الجيوش عشية يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ست وستين وأربعمائة ، ودخل على المستنصر ، فاستدناه وقربه ودعا له وشكر سعيه وبالغ في كرامته . وقرّر أن يكون السفير بينه وبين أمير الجيوش الوزير ابن المغربي كاتب الإنشاء ، فصار ابن المغربي إليه وعرفه ما فيه القرض ، وصار من خواصه . ولم يكن عند أهل الدولة علمٌ من أنّ المستنصر استدعاه وظنّوا أنّه قدِمَ زائراً ، فلم يتأخّر أحدٌ منهم عن ضيافته والقيام بما يتعيّن من كرامته ، وقدموا إليه أشياء كثيرة حتى كملت نُوبُهُ مِنَ الجميع . [ف]استدعى الأمراء إلى دعوة صنعها لهم ، وقرّر مع خواصه أنّه إذا بات الأمراء وجنّهم الليل فإنّه لا بدّ لكلّ واحد منهم أن يصير إلى الخلاء لقضاء حاجته ، فمَن صار منهم إلى الخلاء يُقتل فيه ووكل بكلّ أمير منهم واحداً من أصحابه ، وجعل له سائر ما هو يبدد ذلك الأمير من إقطاع وجارٍ ودارٍ ومالٍ وجوارٍ وغير ذلك .

فلما حضر الأمراء عنده وقام لهم بما يليق بهم ظلّوا نهارهم عنده في أرغد عيش وباتوا مطمئنين إليه . فلم يطلع الفجر حتى استولى أصحاب أمير الجيوش على بيوت الأمراء وصارت رؤوس الأمراء بين يديه . ففويت شوكته وانبسطت يده وخلت الديار له من منازع . فاستدعاه حينئذ المستنصر وقرّره في الوزارة وردّ إليه الأمور كلّها وعاهدّه على ذلك . وكتب له سجلٌ نُعتَ فيه بـ «السيد الأجلّ أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين» ، وصار القاضي

(1) في المخطوط : وأقام . وانظر الامعاظ 2 / 312 .

وكان من جملة ما في سجله بعد التقريظ الكبير : وقد قلّدك أمير المؤمنين جوامع تدبيره وناط بك النظر في كلّ ما وراء سريره ، فباشِر ما قلّدك أمير المؤمنين من ذلك مدبراً للبلاد ، مصلحاً للفساد ، ومدمراً لأهل العناد .

ونخلع عليه بالعقد المنظوم بالجواهر بدل الطوق الذي كان للأمرء ، وزيد له الحنك الذي يُعرف اليوم باللثام مع الذؤابة المرخاة ، وهي التي يقال لها العذبة⁽¹⁾ ، وجعل له الطيلسان المقوّر - ويعرف اليوم بالطرحة ، وهي التي يلبسها قاضي القضاة .

ونزل إلى داره ، فحضر إليه المتصدّرون بالجامع للسلام عليه . وقرأ القارئ : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ » [آل عمران ، 123] ، وسكت عن تمام الآية⁽²⁾ ، فقال له بدر : والله لقد جاءت في مكانها ، وجاء سكوئك عن تمام الآية أحسن - وأنعم عليه .

وشرع في تدبير الأحوال ، واستبدّ بأمور الدولة ، وحجّر على المستنصر أتمّ حجر ، وكبر أمره ، وأخذ في تلافي ما آتته من حرمة . وكانت الأحوال قد فسدت والأمور قد تغيّرت وطوائف العسكر قد أنتشرت ، والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الأمر والنهي ، والرخاء قد أيس منه ، والصلاحي لا يُطعم فيه ، ولؤامة قد ملكت الوجه البحريّ كلّّه ، والعييد في الصعيد ، والطرق قد انقطعت برّاً وبحراً إلاّ بالحفارة الثقيلة ، والخراب قد شمل مدينة مصر ، والعسكر [قد ثاروا] . فتجرّد لإزالة الفساد ، وساعدته الأقدار حتى أنشأ دولةً جديدةً ، واستعار ما كان قد تغلّب عليه أمراء البلاد وقضاؤها مثل عسقلان وصور وطرابلس . وقتل سائر أهل الفساد .

(1) انظر : ابن المأمون ، 76 .

(2) وتامها : وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ .

وأنشأ داراً بحارة برجوان من القاهرة وسكنها ، فعُرفت بعدة بدار المظفر .
وقتل من أمائل المصريين وقضاتهم ووزرائهم وأعيانهم خلقاً كثيراً . وقدمت إليه
عدة من طوائف الأرمن تقوى بهم .

فلما دخلت سنة سبع وستين [وأربعمائة] حصر شكلي⁽¹⁾ أخو أنسر [بن
أوق] الخوارزمي نغراً عكاً وأخذه بالسيف ، وكان به أولاد أمير الجيوش وأهله ،
فلم يعترضهم بسوء وأحسن إليهم وبعثهم إليه .

وفيا سار أمير الجيوش إلى الوجه البحري وأوقع بعرب لواتة وهزمهم وقتل
مقدمهم سليم [ان] اللواتي وولده ، واستصفى أموالهما . ثم سار إلى دمياط وقتل
عدة من المفسدين وأحرقهم . واصلح سائر البر الشرقي من مصر .

ثم غدا إلى البر الغربي وقتل من الطائفة الملحية وأتباعهم بالإسكندرية عدداً
كبيراً بعدما أقام أياماً على الإسكندرية يحاصرها حتى أخذها من الملحية عنوة ،
وعفا عن أهل البلد فلم يضرهم بشيء .

وفي سنة تسع وستين اجتمع كثير من عرب جهينة والجعافرة والثعالبة وغيرهم
بمدينة طوخ⁽²⁾ العليا من صعيد مصر واتفقوا على محاربة أمير الجيوش . فخرج
إليهم وسار حتى كان قريباً منهم [ف] نزل بجحاهم وأقام إلى نصف الليل . ثم أمر
فضربت طبولُه وأشعلت المشاعل ، وأكثر من وقود النار وضرب الطبول
والبوقات ، وصرخ كل من في عسكره وحملوا حملة واحدة على العرب ، فقتل
أكثرهم بالسيف ، وأنهزم باقيهم ففرقوا ولم ينج منهم إلا قليل . واحتوى من
أموالهم على ما لا يُحَدُّ كثرةً وبعثها للمستنصر .

ثم سار إلى أسوان ومها كنز الدولة محمد قد تغلب عليها وعظم شأنه وكثرت
أتباعه فقاتله وقتله . وبنى في موضع الوقعة مسجداً سمّاه مسجد النصر . ثم عاد

(1) انما 2 / 314 ولم يقل إنه أخو أنسر .

(2) بالصعيد غربي النيل (ياقوت) .

إلى القاهرة وقد صلحت أرض مصر كلها أعلاها وأسفلها ، وزالت العربان
والعساكر المفسدة منها .

وقدم أنسر بن أوق الخوارزمي في مدّة غيبته ببلاد الصعيد إلى القاهرة يريد
الاستيلاء عليها ، فقاتله المستنصر وهزمه .

ثم خرجت عرب قيس وعرب فزارة وسليم عن الطاعة فخرج إليهم وقتلهم
وهزمهم إلى برقة .

ثم ندب في سنة سبعين وأربعمائة العساكر إلى دمشق وقدم عليها نصر الدولة
أفتكن الجيوشي ، فسار إليها وحاصرها مدّة أيام ، ثم رجع . فلما كانت سنة
أثنتين وسبعين سير عسكرياً آخر فحاصرها / حتى أشرف على أخذها ، ثم عاد [243 ب]
خوفاً من قدوم تاج الدولة تتش .

وفي سنة سبع وسبعين عصى الأوحّد ابن أمير الجيوش على أبيه بالإسكندرية
وصار في جمع كثير من العرب . فسار إليه وحصر الإسكندرية إلى أن أخذها
وقبض على ولده وقتل كثيراً من الناس وأغرم أهل البلد مالا كثيراً ، وبنى بها
الجامع المعروف بجامع العطارين ، وقتل ابنه .

فلما كانت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة جهّز جيشاً [ف]أخذ صور وصيدا
وفتح جبيل⁽¹⁾ وعكّا ، وكانت بيد تاج الدولة تتش ، وأخذ غزّة من أصحابه
وقبض منهم مالا كثيراً من ذخائر تتش .

وفي سنة خمس وثمانين أنشأ باب زويلة الكبير على ما هو عليه الآن ،
وأنشأ باب الفتوح وباب النصر ، بناها له ثلاثة إخوة من أهل الرها .

ولم يزل على قوّة وسداد من أمره إلى أن مات بعد مرض طويل أسكت فيه
مدّة ولم يقدر على الكلام ، في ذي القعدة - وقيل : في شهر ربيع . وقيل :

(1) ابن ميسر (ماسي) 28 .

في جمادى الأولى - سنة سبع وثمانين وأربعمائة عن ثمانين سنة ، منها مدّة تحكّمه
بديار مصر زيادة على عشرين سنة .

وكان شديد الهيبة مخوف السطوة كثير البطش ، قتل في سلطنته خلقاً لا يُعدّ
من كبار المصريين وقوادهم وكتّابهم ووزرائهم .

وقد ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن محمد ابن الهباريّة ⁽¹⁾ في كتاب الصادح
والباغم فقال [الرجز] :

كان	بمصر	بدر	له	عليها	الأمر
يقتل	كلّ	ساعة	من	أهلها	جماعة
ويهرق	الدماء	حتى	تُخال	ماء	
أصلحها	بسيفه	وجوّره	وحينه		
جزاء	كلّ	فعل	لديه	سوء	القتل
لمّا	عصاه	ولّدّه	وبان	منه	نكده
خنقه	بيده	ثمّ	رمى	بجسده	
فغضب	المستنصر	وقال :	هذا	مُنكر	
فقال :	لو عصاني	قلبي	في	جثماني	
نزعتّه	من صدري	ولم	يكن	بنكر	
ثمّ	غزا	لواته	إذ	ظنّهم	حاته
فحين	قيد الأسرى	قال :	أقتلوهم	صبرا	
عشرين	ألفاً	كانوا	حتى	جرى	الميدان
في النيل	من دماهم	ولجّ	في	إفناهم	
وهو على	ظهر الفرس	كضيقهم	إذا	أفترس	

(1) ابن الهباريّة (ت 509) النجوم 5/ 210 . والمنظومة نشرها عزّت العطار القاهرة 1936 .
والأبيات في ص 60 منها بعنوان « مثل ملك ظالم لم يقتل بل مات حتف أنفه » .

ومات حنف أنفه لم يعتسف بعسفه

وكان واسع النفس بحيث إنه كان اتخذ وهو بعكاً ، ثلاثمائة قنطار بالشاميّ
سكرًا ، فعزّ في سنة اثنتين وستين وأربعمائة السكر ، وبلغت قيمة القنطار إلى
خمسین ديناراً ، وطلب فلم يوجد في أول شهر رجب منها ، فقبل لبدر : ثمنُ
هذا السكر الذي عندك خمسة عشر ألف دينار ، تبعه أو بعضه ؟

فأمتنع وقال : نحن نحتاج إليه في هذه الشهور ، يعني رجب وشعبان
ورمضان فأستعملت كلّها في مطابخه ، وسمحت نفسه بإتلاف هذا المبلغ الكبير
من الذهب .

وعلى يده صلحت ديار مصر وعمرت بعد تحكّم الفساد بها وخرابها .
ومن محاسن سيرته أنه أباح الأرض لمن يزرعها مدّة ثلاث سنين حتى
تراجعت إلى الفلاحين أحوالهم وأستغنوا في أيامه .

ومنها أنه بسط العدل فأمنت الطرق ، وحضر إلى مصر والقاهرة كثير من
التجار وأرباب الأموال بعد انتراحهم عنها في أيام الشدّة .

ومنها كثرة كرمه : وقد حُكي أنّ علقمة بن عبد الرزاق العليميّ قصده ،
فإذا على بابه أشرافُ الناس وأكابرهم ، فلم يتجاسر على العبور إلى مجلسه ، وبقي
أياماً إلى أن خرج أمير الجيوش يريد الصيد . فوقف له على تلّ رمل وأشار برقعة
في يده وأنشد [كامل] :

نحن التجار وهذه أعلاقنا	دُرّ ، وجودُ يمينك المتباغ / [244 أ]
قلّب وفتشها بسمعك ، إنّما	هي جوهر تختاره الأسماغ
كسدت علينا بالشّام ، وكلّما	قلّ التّفافُ تعطلّ الصّناع
فأناك بحملها إليك تجارّها	ومطيّها الآمالُ والأطماغ
حتى أناخو[هـ]ا ببابك ، والرجا	من دونك السمسارُ والبيّاع 5
فوهبت ما لم يعطه في دهره	هرمٌ ولا كعبٌ ولا القعقاع

وسبقتَ هذا الناسَ في طلبِ العُلَى والناسَ بعدَكَ كلَّهم أَتباعُ
يابدرُ ، أقسم : لوبك اعتصم الورى ولجوا إليك جميعُهم ما ضاعُوا

قال العليمي : وكان بيده باز ، فدفعه لأحد مماليكه وجعل يستعيد الأبيات وأنا معه إلى أن استقرَّ في مجلسه . فلما أطمأنَّ قال للحاضرين : من أحبَّني فليخلع عليه !

فخرجتُ من عنده ومعى سبعون حملاً يحملون إنعامه ، وأمر لي من ماله بعشرة آلاف درهم⁽¹⁾ .

وهو أول من ولي في الدولة الفاطمية الوزارة من أرباب السيوف ، وأقام دولة الأرمن بديار مصر .

912 - بدر [الكبير] الحامي [الطولوني] [(310) -]⁽²⁾

كان من غلمان أحمد بن طولون . وكان روميًا حسن الخلق : من حسن خلقه أنه إذا قبل أحد من الرجال يده باس هو رأسه .

وما زال يترقى إلى أن صار أكبر قواد مصر ، وتعين هو وصافي بعد قتل خمارويه . فلما صار الأمر إلى هارون بن خمارويه قبض كلُّ من بدر وصافي على قطعة من الجيش حازها لنفسه وطالب عنها بأرزاقها وسأل أن يكون ما لهم محمولاً إليه يتولى هو إعطائهم في داره . ففعل ذلك به ، وصارت عدّة كل طائفة من الجند إلى دار من صاروا في جملة يغدون إليه ويروحون من عنده ويطالبونه بأرزاقهم ويقبضونها من يد كاتبه ، لا يخافون ولا يرجون سواه .

(1) الخطط 330/2 .

(2) الطبري : سنوات 289 ، 290 ؛ تاريخ بغداد 7/105 ؛ اللباب 1/385 وفيه أنه توفي سنة 311 ؛ الأعلام 2/12 . والحامي نسبة إلى الحام الزاجل .

وخرج إلى دمشق ومعه نجح والحسين بن أحمد الماذراني في سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، فأصلح أمر الشام ، وأستخلف على دمشق طغج بن جفّ الفرغانيّ ، وعاد إلى مصر .

فحجّ بزي حسن وآلة جميلة وأنفق نفقة كبيرة ، وبنى ميصاة بباب الجامع العتيق بمصر ووقف عليها قيساريّة ملاصقة لها ، وجعل مع الميصاة ماءً عذبا في كيزان كبار فوضع في كلّ حلقة من حلق الجامع كوز ، وجعل أزياراً⁽¹⁾ مملوءة ماءً مطلقة لسائر الناس .

وكان على صدقاته الليث بن داود فيجيّ المساكين زمراً زمراً إلى بابه وهم ينادون في الطريق : دار ليث ! فيأخذون الدراهم الصالح والحيز واللحم المطبوخ قدوراً مملوءة ، وتُترَقُّ فيهم في الشتاء الجبابُ الصوف وفي يوم الأكسية . وما زال ذلك معروفاً قائماً أيام حياة بدر كلّها .

فلما انهزم طغج بن جفّ بدمشق من الحسن بن زكرويه⁽²⁾ القرمطيّ الذي يعرف بالمطوّق وبصاحب الجمل - ويُسمّى علي بن عبد الله - في سنة تسع وثمانين ومائتين ، خرج بدر وفائق بعساكر مصر وقاتلا القرمطيّ إلى أن قُتل وقام من بعده أحمد بن عبد الله - وقيل : عبد الله بن أحمد - صاحب الخال⁽³⁾ فقاتله بدر حتى هزمه ، وفيه يقول ، من أبيات [كامل] :

سبقتُ يديّ يدا نصيبٍ هاشميّ المحتد

(1) الزبرج زيار وأزيار : الكوز الكبير .

(2) في العيون 4/ 18 : انهزم من يحيى بن زكرويه .

(3) عند الطبريّ (سنة 289) وفي العيون والحدائق 4/ 109 : المقتول هو يحيى بن زكرويه ، والقائم من بعده أخوه الحسين الذي زعم أنّه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وصاحب الخال هو أبو الحسن عليّ بن مَهروية ، وصاحب الجمل هو أبو القاسم أحمد قتله مغربيّ بمزراق سنة 290 . وانظر ترجمة الأعصم القرمطي من هذا الكتاب (رقم 1146) .

وَأَنَا ابْنُ أَحْمَدَ لَمْ أَقُلْ كَذِباً وَلَمْ أَتَزَيَّدْ
مَنْ فَرَطَ بِأَسِي قَالَ بَدْرٌ : لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ⁽¹⁾

وأقاما بدمشق وحثا محمد بن سليم [ان] الكاتب على أخذ مصر وسارا معه
حتى أزال دولة بني طولون من مصر في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائتين .
[244 ب] ثم أخرج بدرأ من مصر والياً على دمشق فخرج / قواد بني طولون
ومواليهم .

913 - بدر الحقيقي

بدر الحقيقي . كانت إليه ضياع أبي أحمد بن المتوكل بمصر ، والطراز ،
والخيل ، وضياعها . وكان من وجوه غلمان أحمد بن طولون وكبارهم .
ولم يزل على ذلك إلى أن بعث أبو أحمد الموفق نحريراً خادماً للمتوكل ومعه
كتاب إلى أحمد بن طولون في حمل ما يستعين به من المال في قتال صاحب
الزنج . فلما قدم نحرير إلى مصر ورد في عقبه كتاب المعتمد سراً أن الموفق إنما
أنفذ نحريراً إليك عيناً عليك ومستقصياً على أخبارك ، وأنه قد كاتب بعض
أصحابك ، فاحترس منه .

فاحترس أحمد بن طولون على نحرير ، وتلطف حتى أخذ منه الكتب التي
كانت معه ، فإذا هي إلى جماعة من قواده يُضربهم⁽²⁾ عليه ويستميل قلوبهم
إليه ، منهم بدر هذا . فضربه بالسوط حتى مات .

(1) في النجوم 3/ 106 البيتان الأولان فقط وقد أخذنا فيها بقراءة الناشر . والبيت الثالث غير
مفهوم ، فعوضنا فيه : من صرف ، ب : من فرط . وقائل الأبيات هو القرمطي ، يفخر
على بدر الكبير .

(2) أي يغيهم به . والحادثة مروية في ترجمة أحمد بن طولون .

كان أجلّ غلمان الأمير أبي بكر محمد بن طنج الإخشيد . وترقى عنده حتى ولّاه دمشق في [. . .] .

فلما قدم محمد بن رائق إليها ، سار عنها إلى مصر . ثم أعيد إلى دمشق بعد موت الإخشيد . فلما دخل كافور الإخشيدى من الشام إلى مصر في ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وتأخّر أبو المظفر الحسن بن طنج بالرملة ، وقام كافور بخلافة الأمير أبي القاسم أونوجور ابن الإخشيد ، وخاطبه نظراؤه الإخشيدية بالأستاذ ، مثل جانك ، وطغان ، ومبشر ، ومرتاح الشرايى ، ومرتاح الخازن ، ومرتاح صلايه ، وشادن ، والحسين بن لؤلؤ ، ونحرير الأزغلي ، ونحرير الخاصة ، وبشارة ، وفرج البجكمي ، وغيرهم ، أمتنع ، وكان بدمشق .

فأرسل كافور إلى أبي المظفر يستدعيه فسار ، وعمل عليه حتى حصل بمصر في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة . فخاطبه الغلمان من الكبار في أن يكتب كافور بالأستاذ فأمتنع . فقبض عليه كافور وأعتقله بالإسكندرية ودمياط مدة عشرين سنة ، وأجرى عليه في كل شهر مائة دينار .

فلم يزل حتى مات كافور . فأطلق من اعتقاله ، وأدخل من دمياط إلى مصر في رجب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . فكثرت الفتن وأشدّت الخلاف ، فصار الإخشيدية والكافورية إلى دار الشريف أبي جعفر معلّم بن عبيد الله الحسيني للمشورة ، وقالوا لبدر هذا : أنت شيخ الجماعة ، فإيش الرأي ؟

قال : ما عندي رأي . قد شخت ، ولكن الذي أراه أن تطلبوا خادماً أسود اسمه كافور تقلّدو[ن]ه ، فإنّي أرى الأمر يستقيم .

فضحكوا وقاموا على غير شيء .

915 - بدر صاحب عبد الرحمان الداخل

بدر ، أبو الغصن ، مولى معاوية بن هشام بن عبد الملك .

قَرَّ مع عبد الرحمان بن معاوية من قريته ذات الزيتون بالشام لما طلبه
المُسَوِّدَة بعد قتل مروان الحمار ، إلى فلسطين . ثم تأخَّر عنه لأمر ، ولحقه بمال
وجوهر بعثت به إليه معه أخته أم الأصبح ابنة معاوية بن هشام بن عبد الملك .
فقبض عليه عبد الرحمان بن حبيب الفهري ، متولّي إفريقية ، وقرّره على مولاه
عبد الرحمان ، فأنكر خبره . ثم أفرج عنه حتى لحق مولاه .

فقدّمه بين يديه يدعو له . فقدم الأندلس وتجنّس له ، وما زال حتى أخذ
له البيعة وجَهَّز إليه مركباً فيه جماعة من الأعيان فبدلوا له الطاعة وساروا به ، إلى
أن كان من أمره ما ذكر في ترجمته ⁽¹⁾ .

وكان عبد الرحمان [. . .] ⁽²⁾ .

916 - بدر الحبشي [576 -]

بدر بن عبد الله ، أبو الضياء الحبشي ، مولى الشيخ أبي عبد الله محمد بن
خداذاد المعدل .

سمع أبا عبد الله الرازي وأبا الحسن الفراء ، وأبا القاسم بن الدوري [و] عبد
الرحمان بن فاتك ، وأبا صادق وغيرهم ، وحدث .

توفي ليلة الخميس ثالث شوال سنة ستّ وسبعين وخمسمائة .

(1) ترجمة عبد الرحمان الداخل : انظر رقم 1470 .

(2) كلمتان مطمستان .

917 - بُرْلُغِي الْأَشْرَفِيّ [711 -]⁽¹⁾

برلغي الأشرفيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد البرجيّة . من المماليك المنصوريّة قلاوون .

كان أولاً مملوكاً للأمير حسام الدين مهتّا أمير العرب ، أسره في بعض غاراته على التتار وبعث به إلى الملك المنصور قلاوون / فأعطاه لولده الملك الأشرف [245 أ] خليل . وترقى في الخدم إلى أن صار من الأمراء .

فلما أعيد الناصر محمد بن قلاوون بعد قتل المنصور لاجين ، وقويت البرجيّة ، وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير ، واشترك هو والأمير سلار في تدبير أمور الدولة ، زاحمهما برلغي في الأمر والنهي وقويت شوكتُهُ باجتماع المماليك الأشرفيّة عليه . وتزوَّج بابنة الأمير بيبرس فتضاعفت حرمة ، إلى أن كانت وقعة شقحب ظاهر دمشق مع التتار [ف]-انهزم هزيمة قبيحة .

فلما انتصر المسلمون وقدم السلطان دمشق ، عاد برلغي فمَنَعَهُ السلطان أن يدخل إليه وقال : بأيّ وجه تدخل إليّ أو تنظر في وجهي ؟ فلم يزل الأمراء به حتى عفا عنه ، وأنعم عليه بعد قدومه إلى مصر بثلاثين ألف درهم .

وسار بالركب إلى الحجّ في سنة اثنتين وسبعائة ، وأبطل من الحرم الأذان بـ«حيّ على خير العمل» ، ومنع الزيدية من الإمامة في الصلاة بالحرم ، وعاد إلى القاهرة .

فلما تسلطن بيبرس الجاشنكير وتلقّب بالملك المظفر في شوال سنة ثمانٍ

(1) الوافي 10 / 287 (4794) ؛ الدرر 2 / 9 (1286) ؛ المنهل 3 / 357 (663) ؛
النجوم 9 / 216 ؛ السلوك 2 / 96 .

وسبعائة ، أنعم عليه بإقطاعه قبل سلطنته ، فإنه كان تزوّج بأبنته وجّهزها ببيرس
بجهاز عظيم جداً . وأنعم بإقطاع برلغي على بدخاص ، وبإقطاع بدخاص على
الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك .

فلما أملت سنة تسع وسبعائة زفت ابنة السلطان الملك المظفر على برلغي ،
وعمل مهمّ عظيم خلع فيه على جميع الأمراء وأرباب الوظائف .

فلم يتنه [أ] بذلك ، وبعده [ب] قليل تحرك الملك الناصر من الكرك لأخذ
السلطنة . فخرج برلغي على العسكر يريد محاربته ونزل العباسة طرف الرمل .
فخامر العسكر ولحق بالناصر شيئاً بعد شيء حتى لم يبقَ عنده الجند . فسار هو
والأمير آقوش نائب الكرك ولحقا بالناصر ، بعدما وصل إلى برلغي من المظفر في
هذه الحركة زيادة على أربعين ألف دينار مصرّية .

فلقي الناصر بغزّة ، وقدم معه إلى مصر في شوال ، فلم يُمهله إلا قليلاً ،
وقبض عليه في ذي الحجة منها ، وقبض معه على الأمير علاء الدين مغلطاي
القازاني - وكان قد توجه معه إلى السلطان من مصر .

فلما قدم الأمير مهتاً في سنة عشر وسبعائة إلى مصر ، حدث السلطان في
الإفراج عنه ، فلم يجبه . وألح مهتاً إلى أن وعده بتخليه سبيله بعد شهر . وأجرى
له راتباً ، ومكّن خدمه وجواريه من العبور إليه ، فرضي مهتاً بذلك وسار عائداً
إلى بلاده .

[ف]أخرج [السلطان حينئذ] من كان عنده ، ومنعه الأكل والشرب أياماً
حتى يبست أعضاؤه وخرس لسانه وعجز عن الحركة . ثم قتل ليلة الأربعاء ثاني
شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبعائة ، ودُفن بزاوية الجعبري في سابع رجب .
ورأى من السعادة وكثرة المال ما لا يُمكن حصره . وكان كريماً يضرب بيته
المثل في كثرة الخير والحرمة وسعة العطاء . وكان يرى في نفسه أنه أكبر من بيرس
وسلار . فلما أراد السلطان قتله استدعى الأمير أيتمّش المحمّدي وأمره أن يمضي

إليه ، فإن وجدته ميتاً دفنّه ، وإلا قتله ، فإن الطواشي الموكل به أخبر أنّه أشرف على الموت . فقَبِلَ أَيْتَمُش الأرض وسأل أن يُعفى من ذلك . فأعفاه لما تعلمه من تدبّره ، واستدعى الأمير بدرجك وتقدّم إليه بذلك . فمضى إليه فإذا به قد خرس لسانه ويست أعضاؤه واحترقت آماق عينيه ، وهو جالس . فحاول أن يقوم لدخول بدرجك فلم يجد معه قوّة تهض به ، وحاول ذلك بجهده حتى قام ، ثم سقط ، وصار يشير إليه بيده ، ولم يقدر على الكلام من الجوع . فرق له بدرجك وبكى رحمة له ، وخرج وهو يقول في نفسه : والله لا خليت لهذا في صحيفتي أبداً .

وأسرّ بما رآه للسلطان فسبّه سبّاً فاحشاً ، وقد أشدّت حنقه منه ، وأخذ ينخسه في رقبته بالحماة ، ثم طرده وأبعده . وطلب الأمير قجليس وأمره بما تقدّم فحنقه . ووجد في الخدّة التي / كانت عنده أثر فيه فيها ممّا يكذّمها ⁽¹⁾ من [245 ب] الجوع .

918 - برلغي الصغير [749 -] ⁽²⁾

برلغي الصغير ، الأمير سيف الدين ، قريب الملك الناصر محمد بن قلاوون [لأمه] .

قدم إلى مصر سنة أربع وسبعائة ، وترقى حتى صار من جملة الأمراء . ثم تنكّر عليه وسجنه من سنة أثنتي عشرة إلى رجب سنة خمس وعشرين مدّة ثلاث عشرة سنة ، ثم أفرج عنه .

وذلك أنّه كان زوج ابنة المظفر بيبرس . ثم قبض عليه وأفرج عنه . وكان لا

(1) كدم بوزن نصر وضرب : عضّ .

(2) الدرر 2 / 10 (1287) ؛ النجوم 10 / 236 وقد نبّهنا الى أنّ برلغي لهذا يلتبس ببرلغي الأشرفي : كلاهما كان عضداً للملك المظفر بيبرس الجاشنكير .

يدعه في راحة ، إمّا يجردّه أو يقبض عليه ويسجنه . فكانت مدّة حبسه عشرين سنة متفرقة .

فلَمّا مات السلطان لم يزل منغصاً . ثمّ انعم عليه بإمرة مائة فلم يقم غير أيام ، ومات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة ⁽¹⁾ .

919 - بَرَحُ بْنُ عُسْكُرٍ ⁽²⁾

برح بن عسكر - ويقال : خُشْكل ، ويقال : عسكل - بن وتار بن كرع بن حضرميّ بن النعمان بن مهريّ بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، المهريّ .

وفد على رسول الله ﷺ وشهد فتح مصر وأختطّ بها وسكنها ، وهو رجل معروف من أهل مصر .

قال ابن لهيعة : كان الديوان في زمن معاوية بن أبي سفيان أربعين ألفاً ، منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين . فأعطى مسلمة بن مخلد أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالاتهم وأرزاقهم ، ونوّاب البلاد من الجنود ، والكتبة ، وحملان القمح إلى الحجاز . ثمّ بعث إلى معاوية بستّائة ألف دينار .

وقال ابن عفير : فلَمّا نهضت الإبل لقيهم برح بن خشكل المهريّ فقال : ما هذا ؟ ما بال مالنا يخرج من بلادنا ؟ ردّوه !

فردّوه حتى وقف على باب المسجد ، فقال : أخذتم أعطياتكم وأرزاقكم وأعطيات عيالاتكم ؟

قالوا : نعم .

(1) في الدرر : وهو الذي غزا سييس وقتل صاحبها سنة 720 .

(2) أسد الغابة 1/ 208 (393) .

قال : لا بارك الله لهم فيه !

وكانت امرأة برج نعم بنت يزيد بن قضم بن عويحي بن أخزر بن عمران بن الكتب بن ديني بن الدين بن مهري بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة .

920 - برغش العادليّ [608 -]

برغش بن عبد الله ، العادليّ ، صارم الدين .
كان من أمراء الملك العادل ابن أيوب . وولاه قلعة دمشق . ومات بها في رابع عشرين شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وستائة .

921 - بسر بن أرطاة [86 -]⁽¹⁾

بسر بن أرطاة بن أبي أرطاة - وأسم أبي أرطاة عمير - بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيّار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ، أبو عبد الرحمان ، القرشيّ ، العامريّ .

يقال إنه سمع من النبيّ ﷺ . وقيل : لم يسمع منه لأنّ رسول الله ﷺ قبض وهو صغير . هذا قول الواقدي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل في آخرين . وقال ابن عديّ عن ابن معين أنّه قال : أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من رسول الله ﷺ ، وأهل الشام يروون عنه عن رسول الله ﷺ . وقال الواقدي : وكان من الشجعان ، إلّا أنّه كان غير مرضيّ في دينه ،

(1) الإصابة 1/ 147 ، الاستيعاب (بهامش الإصابة 1/ 154) ؛ تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكرم ضياء العمريّ ، بغداد 1967 ص 294 ؛ ابن عساكر (بدران) 3/ 223 ، (ابن منظور) 5/ 182 (87) الكامل في سنة 40 ؛ وقعة صفّين (فهارس) ؛ الأغاني : أخبار ربيعة الرقيّ .

وأبلى في الفتنة وكان فيها رأساً . ومات في أيام معاوية .

وقال ابن معين : كان رجل سوء خبيث-[أ] ، لا تصح له صحبة . وقال الهيثم بن عدي : لم يكن في بني عامر بن لؤي أخبث من بُسر ولا أسوأ منه . ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ، ما رأى رسول الله ﷺ ولا سمع منه . وأخرج له الإمام أحمد [بن حنبل] في المسند حديثين .

شهد فتح مصر :

ويقال إنه أحد الذين بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص ، وشهد فتح مصر بلا خلاف وأختط بها داراً وحمّاماً . ولما وقعت فتنة عثمان رضي الله عنه ، لحق بمعاوية بن أبي سفيان وصار من شيعته وخرج معه إلى صفين ، فاستعمله على السّاقة حين كتّب الكتاب بصفين [ف]-استعمله على رجالة أهل دمشق ، فقال لمعاوية : أنا لعلي .

فقال له : أنت له لولا تسيّعتك وتسرعك في الحرب .

[246 أ] فلما عين معاوية أصحابه لقتال أصحاب علي رضي الله عنه / ندب بُسراً لقتال قيس بن سعد بن عباد ، فطعنه بُسر وأقتلا ثم أنصرفا ، وقال بسر [رجز] :

أنا ابن أُرطاة عظيم القدر مُرَدَّدٌ في غالب بن فهر⁽¹⁾
ليس الفراء من طباع بُسر أن يرجع اليوم بغير وتر
وقد قضيت في العدو نذري ياليت شعري ، مابقي من عمري ؟

ونظر معاوية وكان واقفاً على التلّ ومعه وجوه قريش فقال : والله لقد دعاني عليّ للبراز حتى لقد استحييتُ من قريش .

فقال له عتبة بن أبي سفيان : الله عن هذا كأنك لم تسمعه ، فقد علمت

(1) وقعة صفين ، 487 .

أنّه لا أحد يعتريه إلّا قتله .

وإنّما أراد معاوية بقوله بسرّ بن أرطاة ، فقال بسرّ : ما كان أحدٌ أحقّ بمبارزته من بني حرب ، فأما إذا أبيتّموه فأنا له .

قال له معاوية : أما إنّك ستلقاه في العجاجة غدّاً في أوّل الخيل .

فأتى بسرّ [أ] ابن عمّ له فقال : أما تعلم أنّ معاوية الوالي ، ثمّ من بعده عتبة ، ثمّ من بعده محمد [أخوه] ، فما يدعوك إلى ما أرى ؟

قال : الحياء : خرج ممّي شيء فأنا أستحي أن أرجع عنه ، وهو الموت ، لا بدّ والله من لقاء الله .

قتاله لعلّي في صفّين :

فاستقبل عليّاً رضي الله عنه ، فطعنه عليّ وهو لا يعرفه فألقاه برجله فانكشفت عورته فانصرف عليّ . فناداه الأشتر النخعيّ : يا أمير المؤمنين ، إنّهُ بسرّ بن أرطاة !

قال : دعه لعنه الله !

فقال الأشتر [رجز] :

أكلّ يوم رجلٌ شيخٍ شاغرة وعورة وسط العجاج ظاهرة ؟
تبرزها طعنة كفّ وatre عمرو وبسرّ رُميا بالفاقرة

وقام بسرّ من طعنة عليّ وولّت خيلهُ . ونادى عليّ : يا بسرّ ، معاوية كان أحقّ بهذا منك .

فرجع بسرّ إلى معاوية ، فقال له : أرفع طرفك يا بسرّ ، فقد أدال الله عمراً منك .

فقال النضر بن الحرث [طويل] :

أفي كلّ يوم فارس تندبونه له عَوْرَة وسطَ العجاجةِ بادية؟
يكفّ بها عنه عليّ سنانَه ويضحكُ منها في الخلاءِ معاوية
بلت أمّسٍ من عمرو فقتع رأسه وعَوْرَة بُسرٍ مثلها حذو حاذية
فقولوا لعمرو وابن أرتاة انظرا سليلكما لا تلقيا الليث ثانية
5 ولا تحمدا إلا الخصا وخصاكما هما كانتا والله للنفس واقية
فلولاهما لم تنجوا من سنانَه وتلك بما فيها عن العود ناهية
متى تلقيا الخيلَ المُشيحة صبحه وفيها عليّ فاثركا الخيلَ ناحية
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا وحمي الوغى ، إنّ التجارب كافية
وإن كان منه بعدُ في النفس حاجة فعودا إلى ما شتتما ، هي ماهية

فكان بسر بعد ذلك إذا لقيَ الخيلَ التي فيها عليّ رضي الله عنه ، تنحى ناحيةً . وتحامى فرسان أهل الشام عليّاً .

فلما أنقضت أيام صفين بعثه معاوية في سنة أربعين - وقيل : سنة اثنتين وأربعين - على ثلاثة آلاف فارس . فسار حتى قدم المدينة النبوية ، وعليها أبو أيوب الأنصاريّ من قِبَل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ففرّ منه إلى عليّ . ودخل بسر المدينة بغير قتال ، فصعد المنبر فنادى عليه : يا دينار ، يا نجار ، يا زريق - وهذه بطون من الأنصار رضوان الله عليهم - ثم قال : أين شيخي الذي عهدته ههنا بالأمس ؟ - يعني عثمان رضي الله عنه - ثم قال : يا أهل [246 ب] المدينة ، والله لولا ما عهده إليّ معاوية ما تركتُ فيها محلاً إلا قتلته / .

عسفه بأهل المدينة :

ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية ، وأرسل لبني سلامة فقال : ما لكم عندي أمانٌ ولا مبايعة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله .

فأخبر جابر رضي الله عنه ، فأنطلق حتى جاء أمّ سلمة رضي الله عنها ، فقال لها : يا أمّ المؤمنين ، ماذا ترين ؟ فإنّي خشيتُ أن أقتل ، وهذه بيعة

ضلال .

فقلت : أرى أن تباع . وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبيع .
فأتى جابرُ بسرّاً فبايعه لمعاوية . وهدم بسر دوراً بالمدينة ، وأقام بها شهراً
يستعرض الناس ، لا يقال له عن أحد إنه شرك في دم عثمان إلا قتله .

ثم انطلق حتى أتى مكة ، وبها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، فخافه
على نفسه أن يقتله فهرب . فقبل ذلك لبسر ، فقال : ما كنت لأقتله وقد خلع
عليّ .

وكتب أبو موسى إلى اليمَن : إنّ خيلاً مبعوثه من عند معاوية تقتل الناس
من أبي أن يُقرّ بالحكومة .

وأكره بسر الناس بمكة أيضاً على البيعة لمعاوية . ثم مضى إلى اليمَن وعليها
عبيد الله بن العباس ، ففرّ منه إلى الكوفة حتى أتى عليّاً رضي الله عنه ،
وأسخلف على اليمَن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ - وقيل : بل استخلف
عمرو بن أراك الثقفي - فقتله بسر وقتل ابنه . ولقي ثقل عبيد الله بن العباس .
وفيه ابنان صغيران لعبيد الله قد وارتها أمُّهُما ، فأخذهُما من تحت ذيلها فقتلَهُما ،
ورجع إلى الشام .

وارتكب أموراً عظاماً في الإسلام ، منها قتلُ ابني عبيد الله بن عباس . وقد
قبل إنه إنّما قتلها بالمدينة ، والأكثر أنّ ذلك كان منه باليمَن .

وكان يحيى بن معين يقول : لا تصح له صحبة . وكان يقول فيه : رجل
سوء .

وقال أبو الحسن الدارقطني : له صحبة ، ولم تكن له استقامة بعد النبي
ﷺ : هو الذي قتل طفلين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب باليمَن في إمارة
معاوية ، وهما عبد الرحمان وقثم ابنا عبيد الله بن عباس .

ذبحه طفلين لبعض أتباع عليّ :

وقال أبو مخنف : لما توجه بسر بن أرطاة إلى اليمن أخبر عبيد الله بن عباس بذلك ، وهو عاملٌ لعليّ عليها ، فهرب . ودخل بسر اليمن فأُتي بابني عبيد الله بن العباس وهما صغيران فذبحهما ، فنزل بأُمهما عائشة بنت عبد المدان⁽¹⁾ من ذلك أمرٌ عظيم فأنشأت تقول [وافر] :

ألا من بيّت الأخويّ من أمّهما هي الشكلى
تسائل من رأى أبنيها وتستنعي فما تنعى⁽²⁾

وفي ذلك تقول أيضاً [بسيط] :

ها من أحسّ بُنيّ اللذين هما كالدرّتين تشظى عنها الصدف⁽³⁾
ها من أحسّ بُنيّ اللذين هما سمعي وعقلي ، فقلبي اليوم مُختطفُ
ها من أحسّ بُنيّ اللذين هما مُحُ العظام فمُحيّ اليوم مُرذَهفُ
حدثتُ بسرّاً وما صدقتُ ما زعموا من قتلهم ومن الإفك الذي اقترفوا
5 أنحى على ودجِ أبنيّ بمُرهفةٍ مشحودة ، وكذلك الإثم يُقرَفُ
من ذا لوالهةٍ حيرى مُدلّهةٍ على صبيّين ذلاً إذ عدا السلفُ

ثم وسوست فكانت تقف بالموسم تنشد هذا الشعر وتهيم على وجهها . وقد روي أنّ هذين الابنين كانا عند رجلٍ من بني كنانة بالبادية . فلما أراد بسر قتلها قال له الكنانيّ : فلم تقتل هذين ، ولا ذنبَ لها ؟ فإن كنت قاتلها فأقتلني معها - فقتله وقتلها بعده . وقيل : إنّ الكنانيّ أخذ سيفه وقاتل عن الغلامين وهو يقول [رجز] :

(1) في الأغاني : أم حكيم جويرية بنت خالد الكنانية .

(2) في الأغاني : وتستنعي فما تسقى .

(3) تشظى : تفرّق وتطير شظايا . وعند ابن عساكر : تجلّى .

الليثُ مَنْ يَمْنَعُ حافات الدار ولا يزالُ مصلتاً دون الجار / [247 أ]
ألا فتى أروع غير غدار؟

وقاتل حتى قتل .

ولمّا ذبح بسر الغلامين خرجت نساء بني كنانة فقالت امرأة منهم : يا
هَذَا ، قتلْتَ الرجلَ ، فعلامَ تقتلِ الولدان ؟ والله ما كانوا يقتلون في جاهليّة ولا
إسلام ! والله إنّ سلطاناً لا يقوم إلّا بقتل الطفل الصغير والشيخ الكبير ، ويرفع
الرحمة ، ويأتي بعقوق الأرحام ، لسلطان سوء !

فلمّا بلغ عليّاً رضي الله عنه ، قتلُ الغلامين جزع جزعاً شديداً ودعا على
بسر فقال : اللهمّ ، أذهب عقله ، ولا تُبقِ له من دينه ما يستوجبُ به عفوكَ !
فأصابه ذلك وفقد عقله ، فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيفٍ من
خشب ، ويُجعل بين يديه زقٌّ منفوخ ، فلا يزال يضربه . وما زال كذلك حتى
مات في آخر أيام معاوية .

وقال أبو عمرو الشيباني : لمّا وجّه معاوية بسر بن أرطاة لقتل شيعة عليّ
رضي الله عنه ، قام إليه معن - أو عمرو - بن يزيد بن الأخنس السلمي ،
وزياد بن الأشهب الجعديّ فقالا : يا أمير المؤمنين ، نسألك بالله والرحم أن
[لا] تجعل لبسر على قيس سلطاناً فيقتل قيساً بما قتلتُ بنو سليم من بني فهر
وكنانة [يوم] دخل رسول الله ﷺ مكة .

فقال معاوية : يا بسر ، لا إمرة لك على قيس .

فسار حتى أتى المدينة فقتل أبي عبيد الله بن عباس ، وفرّ أهل المدينة
ودخلوا حرّة بني سليم . وفي هذه الخرجة أغار بسر على همدان وسبى نساءهم -
فكنّ أولَ مسلماتٍ سُبِينَ في الإسلام - وقتل أحياءً من بني سعد .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب قال : حدثني موسى بن

عبدة : نازيد بن عبد الرحمان بن أبي سلامة أبو سلمة عن أبي الرباب وصاحب
له أنها سمعا أبا ذر رضي الله عنه ، يدعو ويتعوذ في صلاة صلاها أطال قيامها
وركوعها وسجودها . (قال) فسألناه : ممّ تعوذت ، وفيم دعوت ؟
فقال : تعوذت بالله من يوم البلاء ويوم العودة .

فقلنا : وما ذاك ؟

قال : أمّا يوم البلاء فقلتي فتان من المسلمين فيقتل بعضهم بعضاً . وأمّا
يوم العودة ، فإن نساء من المسلمات يُسيبن فيكشفن عن سوقهنّ ، فأيتهنّ كانت
أعظم ساقاً اشترت على عظم ساقها . فدعوت الله أن لا يدركني هذا الزمان ،
ولعلكما تدركانه .

(قال) فقتل عثمان رضي الله عنه ، ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى
اليمن فسبى نساء مسلمات فأقمهن في السوق .

والصحيح أن بسر بن أرطاة لما سار إلى اليمن أستخرج أبني عبيد الله بن
عبّاس من بيت أم سعيد بنت بزرج بن وهرام بن [....] ، امرأة داود
أبن هرم . وأسم أبني عبيد الله بن عبّاس أحمد ومحمد ، وأمّهما عائشة بنت
عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فذبحها على درج القصابين عند
باب مدينة صنعاء ، وذبح على دماها سبعين شيخاً من الأبناء - هكذا نقلته من
خط ابن الكلبي في كتاب « نسب الأبناء » له ، وهو عندي بخطّه .

ولمّا صالح الحسن بن عليّ عليه الصلاة والسلام معاوية ، أجمع الناس
عنده ، وبُسر جالس إلى جانب عبيد الله بن عبّاس ، وهو واضع سيفه في
حجره ، وقائمته إلى عبيد الله ، إذ أخذ عبيد الله بقائم السيف فأخترطه ، ثمّ قام
على رأس بسر وقال : أي عدوّ الله ، عمدت إلى صبيّين صغيرين فقتلتها عبثاً ؟
فألقي بيده ، وقام إليه حبيب بن مسلمة الفهريّ فدخل بينها فقال :
أسألك بالله والرحم إلّا ما أعطيتني السيف !

فأعطاه إياه ، وأقبل حبيب على بسر فقال : خذ سيفك ، عليك لعنة الله ! حمار خبيث ! قتلت أبنَي الرجل ، ثم جلست إلى جنبه ادنيت قائم سيفك منه ! والله لو ضربك ما أنتطح فيك عتران ! فتفرقوا .

ولايته البصرة لمعاوية :

ثم ولّاه معاوية على البصرة في سنة إحدى وأربعين ، وأمره بقتل بني زياد ابن أبيه . وكان زياد / على فارس من قبل علي رضي الله عنه . فقدم بسر البصرة [247 ب] وصعد منبرها فشتّم عليّاً رضي الله عنه ، وتنقّصه وذكره بالقبيح ، ثم قال : نشدتُ الله رجلاً يعلم أنّي صادق إلّا صدّقني ، أو كاذبٌ إلّا كذّبي ! فقال أبو بكره نُفَيْع⁽¹⁾ بن الحرث رضي الله عنه : إنك تنشّد عظيمًا . والله ما صدقت ولا بررت ! - وفي رواية : اللهم ، إنّنا لا نعلمك إلّا كاذبًا . فأمر به فحُتّق . فقام أبو لؤلؤة الضبيّ عليه فرمى بنفسه عليه فمَنَعه . وقيل لأبي بكره : ما حملك على ذلك ؟

فقال : ناشدنا بالله ، ثم لا نصدّقه ؟

وأخذ بسر أولاد زياد : عبد الرحمان ، وعبد الله ، والمغيرة ، وسلمًا وجزياً ، وكتب إلى زياد : لتقدّمَنّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك ! فكتب إليه : لست بارحاً مكاني حتى يحكم الله بيني وبين صاحبك . وإن قتلت ولديّ ، فالمصيرُ إلى الله ، ومن وراثتنا الحساب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » (الشعراء ، 227) . فأراد بسر قتلهم . فأتاه أبو بكره فقال : قد أخذت ولد أخِي بلا ذنبٍ ، وقد صالح الحسن على ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا . فليس عليهم ولا على أيهم سبيل . فأجلّه أسبوعاً حتى يأتيه بكتاب معاوية . فركب أبو بكره إلى معاوية وهو

(1) نُفَيْع هو أخو زياد ابن سميّة لأُمّه (تهذيب التهذيب 10 / 469) .

بالكوفة . فلَمَّا أتاه قال : يا معاوية ، إنَّ الناسَ لم يُعطوك بيعَتَهُم على قتل الأَطفال .

فقال : وما ذاك يا أبا بكرة ؟

قال : بسر يريد قتل بني أخي زياد .

فكتب له بتخليتهم . فأخذ الكتاب وعاد إلى البصرة يوم الميعاد وقد أخرج بسر أولاد زياد مع طلوع الشمس ينتظر بهم الغروب لقتلهم . واجتمع الناس لذلك إذ رفع أبو بكرة ثوبه وكَبَّر ، فكَبَّر الناسُ معه . وأقبل يسعى على رجله ودفع الكتاب إلى بسر فأطلقهم . ثمَّ صرفه معاوية بعبد الله بن عامر ، فكانت إقامته بالبصرة ستَّة أشهر .

وبعته فغزا بلاد الروم سنة ثلاث وأربعين وشَتَّى بأرضهم حتى بلغ القسطنطينيةَ فيما زعم الواقديّ . وأنكر قوم أن يكون بُسر شَتَّى بأرض الروم .

ثمَّ غزا بسر في البحر أيضاً سنة أربع وأربعين .

وغزا سنة خمسين أرض الروم ، وخرج على الصائفة في سنة إحدى وخمسين . وقيل : إنَّه شَتَّى بأرض الروم في سنة اثنتين وخمسين ومعه سفيان بن عوف الأزديّ .

قلعة بسر بإفريقية :

وذكر أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم أنَّ موسى بن نصير وجَّه بسر بن أرطاة إلى قلعة من مدينة القيروان على ثلاثة أيَّام فأفتحها وسبى الذريةَ وغنم الأموال ، فسُمِّيت قلعة بُسر ، فهي لا تعرفُ إلَّا به إلى اليوم . وكان ذلك سنة ستّ وثمانين .

وذكر ابن السكن أنَّه مات أيَّام معاوية . وذكر محمد بن سعد أنَّه عاش إلى

أيّام عبد الملك بن مروان ، وهو قول خليفة⁽¹⁾ وحزم بن حبان . وحكى
المسعودي أنه مات في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين .

922 - بشارة الإخشيدّي الخادم [- بعد 388]⁽²⁾

. . . فلما مات سيف الدولة ابن حمدان بحلب ، سار بتابوته إلى ديار بكر
بشارة الخادم وتقيّ ، في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، وكان
بينهما منافرة . فأذاع تقيّ الدين عن بشارة أنه كاتب حمدان ابن ناصر الدولة -
وكان قد غلب على الرقة عند وفاة عمّه سيف الدولة - وحثّه [هـ] على أخذ
حلب . وكتب تقيّ إلى قرغويه القائم بضبط حلب نيابة عن سعد الدولة أبي
المعالي شريف ابن سيف الدولة ، فقبض قرغويه على أسباب بشارة بحلب .
فلما بلغ ذلك بشارة داخل تقيّ [الدين] وأنسه فأنس به وصفى نيته له ،
وأطلقه على أنه يريد ديار بكر ليعمل على أبي المعالي شريف ابن مولاة ويقبض عليه
ويملك التدبير ، وضمن بشارة أنه يُسلم له ميفارقين . فأظهر له بشارة القبول ،
وسار بمسيره إلى قريب من ميفارقين .

فكتب بشارة مع من يثق به إلى أبي المعالي يحذّره الخروج إلى / لقاء تابوت [248 أ]
أبيه ، ويعرفه ما عزم عليه تقيّ . فلما قرب تقيّ كتب إليه بخبر التابوت وأن يخرج
لتلقيه . فأظهر أبو المعالي علة وأمتنع من الركوب ، وأخرج كلّ من في البلد
لتلقيه . وضرب تقيّ مضاربه ولم يدخل المدينة ووكل بأبوابها الرجال . فطلع
بشارة على السور وغلق الأبواب وخاطب أصحابه عن الأمير أبي المعالي بكلّ
جميل . فأنقلبوا عن تقيّ ، وبطل ما دبّره . وسار إلى منازل كرد ، وكتب إلى أبي
المعالي يطلب منه الأمان . فأتمته حتى حصل عنده ، فقبض عليه وسلمه إلى

(1) أي خليفة بن خياط ، 294 .

(2) تاريخ ابن عساكر (بدران) 3/ 228 ، النجوم 4/ 117 .

بشارة فقتله .

وسار إلى حلب في رجب منها ومعه بشارة . فلم يزل عنده أثيراً إلى أن مات في رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة . وبائع أجناده كلهم أبه أبا الفضائل سعيد بن شريف ، إلا بشارة ، فإنه استأمن إلى العزيز بالله نزار ابن المعز [لدين] الله الفاطمي في نحو أربعمائة غلام . وقدم عليه بالقاهرة ، ومعه وفاء الصقلي أيضاً في ثلاثمائة غلام . فقبلهم العزيز - وكان يميل إلى الأتراك أكثر من-ه إلى [المغاربة ، لا سيما الحمدانية ، لشدة بأسهم وفضل النجدة فيهم . وولى بشارة طبرية ، وولى وفاء ثغر عكا ، وولى رباحاً قيسارية ، وذلك في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة .

فاستجلب بشارة من جند حلب عدة وضبط الأمور ، وعزّ وقوي أمره بطبرية . ولما خرج بكتكين التركي من القاهرة على عسكر كبير لقتال ابن الجراح ، سار إليه بشارة من طبرية ليكون عوناً له على ابن الجراح . فلقيا ابن الجراح وهزماه عن الرملة . وسارا إلى دمشق وفيها قسّام فقاتلاه . وأبلى أصحاب بشارة في القتال بلاء حسناً لكثرة الرماة فيهم ، إلى أن أخذ قسّام وحُمِل إلى مصر .

ولم يزل في طبرية إلى أن كتب له من القاهرة بولاية دمشق ، فسار ونزل عليها يوم الجمعة رابع رجب سنة ثمانٍ وثلاثمائة . فأجتمع جيشه مع عسكر جيش بن الصمصامة على دمشق . فاستخلف على البلد ، وسار مع جيش في رابع عشر رجب إلى فامية ، وقد نزل عليها الدوقس متملك أنطاكية فقاتلوه قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر جيش وملك الروم ما معهم . فانهزم من كان مع بشارة من بني كلاب وغيرهم من العرب وتفرقوا على طريق جوسية إلى بعلبك وعلى طريق الجادة إلى دمشق .

فلما رأى جيش وبشارة ما نزل بالناس حملاً فيمن معها على الروم فانهزموا

وأحدهم السيف ، فقتل منهم نحو الخمسة الاف وقتل الدوقس⁽¹⁾ ، وذلك يوم الثلاثاء لتسع بقين من رجب ، وتفرّق المنهزمون في الجبال ووصلوا إلى أنطاكية . ونفر الناس بعد ذلك من دمشق وأعمالها ومن الساحل إلى عسكر جيش ، فسار بهم إلى مرعش . وسار بشارة إلى دمشق فترها يوم الاثنين النصف من شوال ، وقدم جيش لتسع بقين من ذي القعدة فزل بيت لها ، وكان الشتاء قد هجم . فكُتب من مصر بصرف بشارة عن دمشق إلى طبرية وولاية جيش .

923 - بشتاك الناصري [742 -]⁽²⁾

بشتاك الناصري ، الأمير سيف الدين ، أحد المالك الناصرية محمد بن قلاوون .

جُلب من بلاد القان أزبك بن طقطاي ملك التتر ، فأستراه السلطان بستة آلاف درهم وسلّمه للأمير قوصون ليريّه . فترقى في الخدم ، وشغف به السلطان وقربه وأفرط في العطاء له والإنعام عليه .

وأنعم عليه في ثالث المحرم سنة ثمان وعشرين وسبعائة بإقطاع الأمير سيف الدين كوجري أمير شكار فصار من أمراء الألو . فلما مات الأمير بكتمر الساقى أنعم السلطان بإقطاعه وحوصله ومغله على بشتاك ، ثم زوجه بأمراة أم أمير أحمد بن بكتمر ، وأسكنه إصطبله المطلّ على بركة الفيل ، واشترى جارية بكتمر المدعوة خوي⁽³⁾ بستة آلاف / دينار وأتته ومعها ما قيمته عشرة آلاف [248 ب] دينار وأخذ [أحمد] بن بكتمر عنده . وحمى⁽⁴⁾ الشارقة بعد بكتمر .

(1) تعرّض ابن الأثير لهذه الحرب مع دوقس الروم تحت سنة 386 .

(2) الوافي 10/ 142 (4600) ؛ الدرر 10/ 2 (1920) ؛ المنهل 3/ 367 (668) ؛

النجوم 10/ 74 ؛ السلوك 2/ 613 ؛ الخطط 3/ 113 .

(3) خوي العوادة ؛ الدرر 2/ 184 (1675) .

(4) حمى هنا بمعنى جى أموالها .

وزاد أمره وعظم محله بحيث كان السلطان يسمّيه في غيبته بالأمير . وبلغ إقطاعه سبع عشرة طبلخانا يتحصّل منها زيادة على مائتي ألف دينار مصرّية . وأنشأ في سنة تسع وثلاثين جامعاً في غاية الحسن على بركة الفيل ، وتجاه بابه خانقاه مطلّة على الخليج .

وحجّ في سنة تسع وثلاثين فأنعم عليه السلطان عند سفره بمائتي ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيّاً وستين جملاً ، ولم يبق أحدٌ من الأمراء حتى بعث إليه بتقادم جليلة . فلما دخل مكّة فرّق بها على الأمراء الألوف ، كلّ أمير ألف دينار ، وعلى كلّ أمير طبلخانا خمسمائة دينار ، وأنفق في جماعة من الأجناد ، وفي من حجّ من نساء الأمراء ، وفرّق في جميع المجاورين وفي أهل مكّة من الأشراف والفقراء والزیالعة⁽¹⁾ حتى لم يدع أحداً إلّا ووصله بمال ، فبلغ مصروفه في هذه السفرة ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم فضّة ، سوى ما حمل في البحر من الغلال وغيرها .

وكان السلطان قد تقدّم إليه بإنه إذا فرغ من الزيارة بالمدينة النبويّة يمضي على الكرك ليكشف حال الأمير أبي بكر ، ابن السلطان ، وأنّه يكتب إلى الأمير شطي أن يتلقاه بقرية⁽²⁾ . فسار من المدينة نحو الكرك فإذا شطي في انتظاره ومعه نحو أربعمائة فارس . فتخيّل منه وخاف أن يكون قد كتب إليه بقبضه إذا دخل الكرك . وركب ليلاً في ثقاته وترك بقيّة مماليكه مع طلبه ، وقصد عقبة أيلة وقدم منها إلى السلطان وقال له : إن أردت مسكي ، فهذا أنا جئتُ إليك برقبتي ! فطّيب خاطرّه ولم يظهر له سوى البشر . وفي الباطن فإنّه قد ثقل على السلطان وأراد الفتك به ففاته غرضه منه ، وخلع عليه . وأخذ بشتاك في تفرقة هداياه ، وكانت شيئاً يجلّ عن الوصف ، بلغت قيمة ما كان فيها من اللؤلؤ

(1) لم نجد الزيلع في المعاجم . وعند دوزي : الزلاع هو الشخاذ والمهرج .

(2) قراءة ظنيّة ، ولعلّ اسم القرية ساقط .

والعطر والرقيق أثني عشر ألف دينار .

ثم بعثه السلطان إلى دمشق للقبض على تنكر نائب الشام . فقدمها في المحرم سنة أربعين بعد أن كان قد قبض عليه ، وقدم في خدمته عشرة أمراء ، منهم أرقطاي ، وبرسبغا ، وطاجار الدوادار . فترل بالقصر من الميدان وحلف الأمراء الشاميين للسلطان وذريته ، واستخرج أموال تنكر ، ووسط جنغاي وطغاي مملوكي تنكر ، وخرج بعد خمسة عشر يوماً عائداً إلى مصر ، وقد تعلق خاطره بنبابة الشام فلم يحسر على مفاتحة السلطان فيها .

وفرغت في هذه السنة عمارته للقصر المعروف به بخط بين القصرين .

ثم سار في سنة إحدى وأربعين ليتصيد ببلاد الشام ، فكتب إلى نواب الشام بتعبئة الأنا [. . .]⁽¹⁾ له والخروج لتلقيه . فغاب أياماً وعاد .

فاتفق مرض السلطان وأرجف به ، فتنافس بشتاك وقوصون ، وكادت الفتنة تقع بينهما . وبلغ ذلك السلطان فشق عليه واستدعاهما ليُصلح بينهما ، فلم يتمالك نفسه وعُشي عليه ، فأقاما على شرّ . فبادر المشايخ من الأمراء إلى الاجتماع بالسلطان وما زالوا به حتى عهد لابنه أبي بكر وأصلح بين بشتاك وقوصون وأسند إليهما وصيته ، وجعلهما مديري أمر ولده وحلفهما ألا يغير أحدهما بالآخر ولا يخونه . فلما مات السلطان لم يوافق بشتاك على سلطنة أبي بكر واختار إقامة أخيه أحمد . فقام قوصون إلى الشباك وطلبه وقال له : أنا ما يجيء مني ولا منك سلاطين لأننا كنا كذا وكذا ، ولهذا أستاذنا أوصى لمن هو أخبر به من أولاده / ، وهذا في ذمته وما يسعنا إلا امتثال أمره حياً وميتاً . وأنا ما أخالفك [249 أ] إن أردت أحمد أو غيره .

وما زال به حتى أذن له وتحالفا وتعانقا وقاما إلى رجلي السلطان فقَبَلَاهُما ، ونصبا أبا بكر ابن السلطان ولقباه بالملك المنصور ، وحلفا له فيمن

(1) بقية الكلمة مطموسة .

حلف من الأمراء . فلم يكن غير أيام قلائل حتى سأل بشتاك نيابة الشام ، فلم يوافقهم قوصون على ذلك ، فقوي توهمه منه . وأخذ يهادي خاصكية السلطان ويسأل أكابر الأمراء في مساعدته على قصده ، إلى أن أنعم له السلطان . وتحدث مع قوصون في ذلك فحطّ على بشتاك وقرّر مع السلطان بعد أن رجّعه عن إجابته بأن يعدّه بولايته إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخري المتوجّه لتحليف نواب الشام ، وأخبر بطاعتهم وحلفهم وأحضر معه نسخة يمين الأمير الطنبغا نائب الشام . فعندما دخل أكابر الأمراء إلى الخدمة عرفهم السلطان بأن الأمير بشتاك قد سأل في نيابة الشام - ولم يكن لهم علم بما قرّره قوصون - فأخذوا في الثناء على بشتاك .

فطلبه السلطان وطيب خاطره ووعدّه بالولاية عند مجيء نسخة حلف نائب الشام ، وتقدّم إليه بأن يتجهّز . فطار من الفرج كلّ مطار ، ونزل فعرض خيوله ، وبعث لكلّ من أكابر الأمراء ما بين فرسين وثلاثة بالقماش المذهب . وأخرج ذهبه وجواهره وتُحفّه وبعث إلى الأمراء الخاصكية منها بشيء كثير . وقرّق جواربه أيضاً حتى لم يدع أحداً من الأمراء إلّا وبعث إليه بما ملأ عينه ، وعمّ ممالكه وأجناده بعطاء كثير ، وخرج فيه عن الحدّ حتى تخيل منه السلطان وقوصون وجعلوا ذلك سبباً لمسكه عند حضور الفخريّ من الشام . فإنّ الذي خصّ قوصون من تفرّقه هذه حجران لاعتصار السكر بما فيها من القند والعسل ، والأبقار ، والقُدور⁽¹⁾ ، والغلال ، وخمسمائة فدّان من القصب مزدّعة في أرض ملك له .

وأتفق مع ذلك أنّه أشيع بأنّ بشتاك يقتل الفخريّ عند قدومه . فقدم بعض ممالك الفخريّ وهو بالزمل عائد[اً] من الشام وأعلمه بذلك . فاستعدّ لمُحاربة بشتاك ، حتى وصل بئر البيضاء وقارب سرياقوس ، وقد خرج بشتاك بجيوشه بالربدانية خارج القاهرة حتى يعرض جماله . فبلغ النخريّ أنّه أقام بالربدانية في

(1) قراءة ظنيّة .

انتظاره حتى يفتك به . فلبس وألبس ممالك [هـ] ، وسار في لحق الخيل معرجاً عن الدرب السلوك حتى حاذى موضع بشتاك ، وقد كان عنده علم من قدوم الفخري . فعندما رأى سواده عن بعد بعث : [لا أريد] اجتماعي به ولا بغيره حتى أقف قدّام السلطان .

واشتدّ توهّمه وساق خشية أن يدركه بشتاك حتى صعد القلعة ، وعرف السلطان وقوصون والأمراء بطاعة النّوّاب ، وأنّ بشتاك قصد قتله . ففاوضوه في القبض عليه عند طلوعه إلى الخدمة حتى تقرّر ذلك .

فلما كان وقت العصر من يوم الأحد ثامن المحرم سنة اثنتين وأربعين⁽¹⁾ وعملت الخدمة بالقصر على العادة ، وحضر بشتاك فيمن حضر ، تقدّم إليه الفخري بعد أنقضاء السباط ، ومعه الأمير طقزدر وقبضا عليه وعلى ثلاثة من أزمائه ، وقيد وحمل إلى الإسكندرية . وأحيط بجميع حواصله وحواشيه ، فوجد له مبلغ مائتي ألف دينار ، ومن الجواهر والزرّكش والتحف شيء كثير جداً . ووجد له ثمانون جارية قد اعتقهنّ وزوجهنّ . ووجد اثنا عشر ألف إردب .

ثم قُتل في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الأول منها .

وكان جميلاً حلّو الوجه / ، في قدّه هيف ، زائد التيه لا يكلم أستاذاره [249 ب] وكتابه إلا بترجان ، كثير الشبق يحكى عنه في ذلك أوابد . وتمكّن من السلطان حتى أطلعه على سرّه الذي ما كان يطلع غيره عليه ، وبالغ في العطاء له بحيث أنعم له في دفعة واحدة بألف ألف درهم ليشتري بها [قرية] بينا من ساحل رملة لدا . وكان راتبه في كلّ يوم برسم شراء الفحم لشيء اللحم عشرين درهماً منها دينار مصري . وسافر مرة إلى دمياط فكان راتبه في كلّ يوم لسباطه خمسين رأس غنم يذبحها مع فرس ، سوى الدجاج والإوز .

وهو أول من أمسك من الأمراء الناصرية محمد بن قلاوون بعد موته وقُتل .

(1) في المخطوط : وسبعين . والإصلاح من الوافي . ثم إنّ السلطان محمد بن قلاوون (ترجمة

3265) توفي سنة 741 .

بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ ، الأمويّ ، أبو مروان .

أمّه [قُطَيْبَةُ بنت بشر بن عامر ملاعب الأستة أبي براء بن مالك بن جعفر بن كلاب]⁽²⁾ .

. وقدم مع أبيه إلى مصر ومكة⁽³⁾ مع أخيه عبد العزيز بن مروان ، وهو حدث ، فأقام عنده بمصر . ثمّ شخص إلى الشام ، وخرج مع أخيه عبد الملك ابن مروان إلى العراق في سنة إحدى وسبعين فولاه الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير . ثمّ ضمّ إليه البصرة عوضاً عن خالد بن عبد الله القسريّ . وكتب إليه : أمّا بعد ، فإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم وإنّ خالداً لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية . فانظر المهلب بن أبي صفرة فوله حرب الأزارقة ، فإنه سيّد بطلٌ مجرّبٌ . وأمدّده من أهل الكوفة بشمانية آلاف رجل . فشقّ عليه ما أمره به في المهلب وقال : والله لا قبلته !

فقال له موسى بن نصير : أيّها الأمير ، إنّ للمهلب حفاظاً وبلاءً ووفاءً . وخرج بشر يريد البصرة فتلّقاه المهلب على بغل فسلم عليه في غمار الناس . فلمّا جلس بشر مجلسه قال : ما فعل أميركم المهلب ؟ قالوا : قد تلّقاك أيّها الأمير وهو شاكٍ .

(1) الطبري 193/6 (سنة 73 و 74) ؛ ياقوت : أدباء 2 / 647 ، 748 ؛ الشعر والشعراء ، 345 ؛ البلاذري : نسب 5 / 166 - 180 - شرح نهج البلاغة 1 / 395 ؛ البداية والنهاية 9 ، ؛ الوافي 10 / 152 (4616) ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1 / 1280 .
(2) الزيادة من مختصر ابن عساكر 5 / 213 (104) .
(3) لعلّها : من مكة .

فهم بشر أن يولي حرب الأزارقة غيره . ثم كتب إلى عبد الملك يعلمه بعلّة المهلب ، وأن بالبصرة من يُغني غناؤه . فكتب يعزم عليه أن يولي المهلب فولاه . وخرج صالح بن مسرج التميميّ ومعه فرسان من الخوارج ، فأتبعه بشر فنكص عنه وكره لقاءه وأتى النهروان . فبعث إليه بشر وقتله وهزم من معه . وخرج أيضاً يزيد بن بعثر التميميّ ، فوجّه إليه بشر خيلاً فقتلته . وخرج هذبة بن عمر الطائيّ في جماعة ، فبعث إليه بشر فقتله . ومات بشر بالبصرة بعد مقامه بها شهرين - وقيل : أربعة أشهر . وهو أول أمير على البصرة مات بها . وهو أول من أحدث الأذان والإقامة ورفع اليدين في العيدين . فلما سمع الناس ذلك أنكروه .

وهو أول من عاقب في التخلّف عن الغزو : وذلك أن الرجل كان إذا أخل⁽¹⁾ بوجهه الذي يكتب إليه في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما ، نُزعت عمامته ، ويُقام للناس ويشهر أمره . فقال مصعب : ما هذا شيء ! - وأضاف إليه خلق الرؤوس واللقى . فلما ولي بشر زاد فيه : فصار يُرفع الرجل عن الأرض ويسمّونه في يديه بمسمارين في حائط ، فربّما مات وربّما خرق المسماران يديه ، فقال فيه [بسيط] :

لولا مخافة بشر أو عقوبته وأن ينوط في كفّي مسمار⁽²⁾
إذا لعطّلتُ ثغري ثم زرئكمُ إنَّ المحبَّ لمن يهواه زوَّارُ

وكان بشر سهل الحجاب لئِن الولاية ، وله يقول أعشى بني شيان

(1) في المخطوط : أدخل . والإصلاح من ابن عساكر ومن الأمالي 30 / 2 .
(2) في أمالي القاضي 30 / 2 : وأن يُشدَّ على كفّي مسمار . وفي الشطر الرابع : إذا ما أشتاق زوَّار .

[وافر] :

رأينا ما خلا أخويه بشراً من الفتیان سيّد عبد شمس
وسيد من سواهم من قريش ويصبح خيرهم أبداً ويُمسي
إذا خلا أخوك إلى أخيه خلا فيه بسعدٍ غير نحس⁽¹⁾
فأنت الثالث الموصى إليه وصية حازم في غير لبس / [250 أ]

وله يقول أيمن بن خريم بن فاتك [وافر] :

ركبت من المقطم في جمادى إلى بشر بن مروان البريدا
فلو أعطاك بشر ألف ألف رأى حقاً عليه أن يزيدا
وقدم الأخطل البصرة وعليها بشر ، وقد احتمل ديات عن قومه وحلف لا يسأل
إلا ربعباً ، فأتى مجلس بني سدوس فسألهم المعونة في حالته فقال
الأسعدي⁽²⁾ : أولست الذي يقول [وافر] :

إذا ما قلت : قد صالحت بكرّاً أبى الأضغان والنسب البعيد
وأيام لنا ولهم طوال يعرض الهام فيهن الحديد
هما أخوان يصطليان ناراً رداء الحرب بينهما جديد
والله لا نرفدك ولا نعينك ، وإنك منا للهوان لأهل .

فقام وهو يقول [وافر] :

مئى آت الأراقم لا يضرني نيب الأسعدي وما يقول
فإن تمنع سدوس درهميها فإن الريح طيبة قبول
وإن بني أمية ألبسني ظلال كرامة ليست نزول

(1) صدر البيت مختل الوزن .

(2) في تعليق الأب صالحاني : ديوان الأخطل ، 126 هو الغضبان بن القبعثري الشيباني .

سيحملها أبو مروان بشرٌ فذاك لكلّ مُثقلةٍ حمولٌ
ويكفيني الذي استكفيتُ منها بفعلٍ لا يمنُّ ولا يحولٌ⁽¹⁾

5

ولها تَمَّةٌ . ثم أتى بشرًا فأنشده شعره وأخبره بما لقي . فقال : وكم
حَالُكَ ؟

قال : خمسون ألفاً .

فأمر بها وقال : أنا أحقُّ برفدك من بني سدوس وبني أسعد . فقال يمدحه
[طويل] :

لعمري لقد أُمست معدٌّ وأصبحتُ
أراها إذا ما زادك الله رفعةً
تمتّى ويرجو أن تكون خليفة
فإن أشرقت يوماً على هول غمرة
فأنت الذي تقتاد منها لأهلها
حياتك ما دامت لها العزّ والغنا
يَعْمَ عليهم من جزيل ببسطةٍ
يراها الجوادُ البحرُ منك رغبةً
تُحبُّك يا بشرُ بنَ مروان كلّها
كثيراً بها مسرورها ومهلّها
ويرجوك للدنيا وللدين جلّها
مخوفٍ رداها من بعيد مزلّها
وأنتَ إذا ما اقتدتها لا تُضلّها
وملكك يحبي ملكها ويثّلّها
يعيش بها ذو وفّرها ومقلّها
وأنتَ إذا أعطيتها تستقلّها⁽²⁾

5

وأمر بشر سراقه البارقي بهجاء جريرٍ فهجأه ، فقال جرير [كامل] :

يا بشر ، حقّ لوجهك التبشير
قد كان حقاً أن تقول لبارق
لا يدخلنّ عليك إنّ دخولهم
أهجي بلا ذنبٍ وأنتَ أميرٌ
يا آل بارق فيم سُبّ جرير ؟
نحسّ وإنّ خروجهم تطهيرٌ

(1) قراءة البيت عسيرة ، وهو بعد مفقود من الديوان .

(2) الأبيات في الأغاني 8 / 312 . وديوان الأخطل 282 .

ولمّا قدم بشر استبطأ الفرزدق في إتيانه بالكوفة ، فاعتذر إليه من ذلك فقال [بسيط] ⁽¹⁾ :

لو أنّي كنتُ ذا نفسين إن هلكت إحداها بقيت أخرى لمن غبراً
[250 ب] إذا لجئتُ على ما كان من وجلٍ وما رأيتُ حذاراً يغلبُ القَدْرَا /
كلّ أمرئٍ آمِنٌ للخوفِ أَمْنُهُ بشرُ بنُ مروانَ ، والمدعورُ من دَعْرَا
تغدو الرياحُ قُمُسي وهي فاترةٌ وأنتَ ذو نائلٍ يُمسي وما فترا

فأكرمه وحباه وحمله على فرس عتيق وأمر حاجبه أن لا يَمْنَعَهُ شيئاً . وكان الفرزدق لا يكون في قومه حمالة إلا احتملها وأداها عنه بشر حتى قيل إنّه كان ينادمه على شرا به .

وقال آخر ⁽²⁾ يذكر سهولة حجاب بشر [طويل] :

بعيدُ مردِّ الطرفِ لم يثنِ طرفه حذارَ الغواشي بابُ دارٍ ولا سترُ
ولو شاء بشرٌ حال من دون بابِه طماطمٌ سودٌ أو صقالبة حمرة
ولكنّ بشرًا سهّل البابَ للتي يكون له في غيبتها الحمدُ والأجرُ

وقحط الناس في زمن بشر فخرجوا فاستسقوا وبشر معهم فمطروا فقال سراقه بن مرداس البارقيّ [وافر] :

دعا الرحمانَ بشرٌ فاستجابا لدعوته فأسقانا السحابا
وكان دعاء بشر صوبَ غيث يعاش به ويحيي ما أشابا
أغرّ بوجهه نسقى ونرعى ونستجلي بغيرته الضبابا

ومرّ بشر بسراقه بعدما استسقى بالكوفة وقد دخل ماء المطر داره فقال : ما هذا يا سُرّاقة ؟

(1) ديوان الفرزدق نشر الصاوي 1/ 289 .

(2) هو الحكم بن عبد الأسدّي . البيان والتبيين 3/ 310 ؛ عيون الأخبار 1/ 88 ؛ البخلاء ، 226 . وفي تاريخ دمشق 10/ 113 الأبيات لأمين بن خرم .

قال : هذا ولم ترفع يديك بالدعاء . فلو رفعتها لجاء الطوفان .
وكان بشر صاحب شراب دخل البصرة لما قدمها بين الحكم بن المنذر بن
الجارود ورجل آخر ، كلاهما يعلمُ الناسُ أنه لا يدع الشراب ، فلم يزالا نديمين
له حتى مات .

وكان يقول الشعر فقال حين احتضر لعبد الملك [طويل] :

إذا متّ يا خير البرية لم تجد أخاً لك يُغني عنك مثل غنائيا
يواسيك في الضراء والسر جهده إذا لم تجد عند الحفاظ مواسيا
شريحان لوني من سوادٍ وحمرة تبدّلت من واضح كان صافيا
وكم من رسول قد أتاني بعّبه إليّ ، ورُسلي يكتُمونه ما بيا

وقال مالك بن دينار : لما مات بشر بن مروان فدفن مات رجل أسود
فدفن إلى جنب قبره فلما أتت عليه ثلاث مررت بقبريهما فلم أعرف أحدهما من
صاحبه . فذكرت قول الشاعر [رمل] :

والعَظِيَّاتُ حِساسٌ بَيْنَنَا وسواءٌ قَبْرُ مُثَرٍّ ومُقلٍّ⁽¹⁾

وكان بشر في حجر عبد العزيز بن مروان ، وكان مروان قد جعل أصاغر بنيه
في حجور أكابرهم . فلما ولي بشر العراق كتب إلى عبد العزيز [طويل] :

عَينِنا وأَعْنانا غنانا وغالنا مآكل عمّا عندكم ومشارب⁽²⁾

فلما قرأ عبد العزيز كتابه قال : غير هذا كان أولى بأبي مروان . لو [قال]

(1) القصة مفصلة في البيان والتبيين 3 / 147 . وقراءتنا هنا طيّبة ، والبيت لعبد الله بن

الزبرى ، انظر تعليق عبد السلام هارون : البيان والتبيين 3 / 148 هامش 2 .

(2) البيت في تاريخ ابن عساكر 10 / 122 . وفيه : وعاقنا عوض : وغالنا .

كما قال عبد العزيز بن زرارة⁽¹⁾ [طويل] :

فإن ألك قد ودّعتُ نجداً وأهلهُ فمأ عهدُ نجدٍ عندنا بذيَميمٍ
فلمّا قرأ بشر كتابه قال : صدق والله أبو الأصبغ ، ما عهدُهُ عندنا بذيَميمٍ .

925 - بشر بن أوس الجرشيّ [- بعد 131]⁽²⁾

بشر بن أوس ، أبو الجراح ، الجرشيّ .
تسلّم الأمير حوثة بن سهيل [الباهليّ] إمرة مصر من حفص بن الوليد
[الحضرمي] ، وأمر عبد الرحمان بن سالم الجيشانيّ بالصلاة بالناس ، وختم على
الدواوين وبيت المال .
فلمّا قدم حوثة أستخلفه على مصر . ثمّ خرج إلى الإسكندرية في سنة
إحدى ثلاثين ومائة واستخلفه على الشرطة .

926 - بشر بن صفوان [- 109]⁽³⁾

[251 أ] بشر بن صفوان / بن نوفل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شراحيل بن
عديّ بن أبي جابر بن زهير بن حباب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن
عوف بن غنّرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، الكلبيّ .
شهد جدّه نوفل بن بشر صفين مع معاوية ، وقُتل ومعه اللواء .

(1) عبد العزيز بن زرارة الكلبيّ (ت 50) ؛ الأعلام 4 / 141 ؛ الكامل 3 / 227 (سنة 49) .

(2) الكنديّ ، 88 ؛ النجوم 1 / 365 .

(3) النجوم 1 / 244 ؛ الوافي 10 / 150 (4610) ؛ الكنديّ ، 70 .

وقدم إلى مصر من قبل يزيد بن عبد الملك بن مروان والياً عليها لسبع عشرة خلّت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة بعد أيّوب بن شرحبيل . فجعل على شرطه شعيب بن حميد ، ثم نزع وولاه التابوت⁽¹⁾ ، وجعل على شرطه أخاه حنظلة ابن صفوان . ونزلت الروم ببتيس فقتل مزاحم بن سلمة أميرها في جمع من الموالي .

وكتب يزيد بن عبد الملك بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز أمر بها لأهل الديوان .

وكتب إلى يزيد يستأذنه في استخراج من في القبائل من قضاة ، وكانوا متفرّقين ، فأذن له في ذلك . فأخرج مهرة من كندة ، وتنوخاً من الأزد ، وآل كعب بن عليّ من قريش ، وجهينة من أهل الراية ، وخشينا من لخم ، فجعلهم من سائر قضاة دعوة مفردة .

وكان تدوين بشر هذا تدويناً رابعاً لأنّ الأوّل تدوين عمرو بن العاصي والثاني تدوين عبد العزيز بن مروان ، والثالث تدوين قرّة بن شريك ، والرابع تدوين بشر هذا .

ثمّ ورد كتاب يزيد على بشر بتأمره على إفريقية . فخرج إليها في شوال سنة اثنتين ومائة ، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر . فلمّا دخل إفريقية بلغه أنّ عبد الله بن موسى بن نصير هو الذي دسّ بقتل يزيد بن أبي مسلم⁽²⁾ ، فكتب إلى يزيد فأمره بقتله ، فقتله .

ثمّ وفد بشر إلى يزيد بهدايا جلييلة ، فبلغه لمّا قدم مصر وفاة يزيد بن عبد الملك لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة . فقدم بتلك الهدايا على هشام بن

(1) لم تعرف التابوت ، وقد ذكره الكندي أيضاً .

(2) يزيد بن أبي مسلم عامل إفريقية . وفي البيان المغرب 1 / 48 ، قتله حرصه لأنّه أمر برسم أسماهم على أيديهم « كما تصنع ملوك الروم بحرسها » .

عبد الملك فردّه إلى إفريقية ، فقدمها . وتتبع أموال موسى بن نصير وعذب عمّاله .

وولّى على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي⁽¹⁾ وعزل عنها الحرّ بن عبد الرحمان القيسيّ .

وغزا في البحر جزيرة صقلية فغنم شيئاً كثيراً وأصابه هول البحر فهلك من جيشه خلق كثير . وعاد فمرض بالدميلة ومات في شوال سنة تسع ومائة .
ويذكر أنّه نزع عن إفريقية في سنة خمس ومائة ورُدّ إليها في سنة ست ومائة . واستخلف على إفريقية قبل موته نقاش بن قرط الكلبي⁽²⁾ .

927 - بشر بن نصر « غلام عرق » [302 -]⁽³⁾

بشر بن نصر بن منصور ، أبو القاسم ، الفقيه الشافعيّ ، المعروف بـ « غلام عرق » ، وعرق خادم للسلطان كان على البريد بمصر ، يقال له عرق الموت ، قدم معه فيمن قدم من بغداد ، وتفقه . وكان فقيهاً متّصلاً ديناً .
توفي بمصر في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة .

وأخذ عنه الفقيه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحدّاد ، وكان يقول : شيخنا ومعلّمنا وقتلوتنا . وكان القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حربويه كثيراً ما يطلبه ، ويحبّ مجالسته .

وكان في يده حبس عرق الخادم ، فإنّه كان قد ربّاه وحبس عليه رباعاً بمصر . فسعى ساع إلى أبي عبيد بأنّ حبس عرق في يد رجل لا يستحقّه ، ولم

(1) وولّى بعد عنبسة يحيى بن سلمة الكلبيّ ؛ البيان 25 / 2 والكامل 5 / 136 .

(2) لم تتبيّن لهذا الاسم . وفي البيان 49 / 1 : استخلفه العبّاس بن باضعة الكلبيّ

(3) حسن المحاضرة 1 / 400 .

يسمّه . فأحضره وقال له : هَذَا الْوَقْفُ فِي يَدِكَ ؟

قال : نعم .

قال : مَنْ مُحَبِّسُهُ ؟

قال : مَالِكُهُ .

قال : فَمَنْ مَالِكُهُ ؟

قال : مُحَبِّسُهُ .

قال : فَمَنْ مُحَبِّسُهُ ؟

قال : مَالِكُهُ .

فقال له القاضي : قَدْ سَمِعْتُ مَا تَقُولُ . يَا هَذَا ، مَنْ مَالِكُهُ ؟

قال : مُحَبِّسُهُ .

قال : فَمَنْ مُحَبِّسُهُ ؟

قال : مَالِكُهُ .

فقال له القاضي : مَا أَحْسَبُكَ تَزُولُ عَنْ هَذَا الْجَوَابِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .

قال : وَلَا عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ .

فقال له القاضي : مَا كُلُّ قَصِيرِ اللَّحْيَةِ [عَاقِلٌ] - وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بَشَرٌ شَيْخًا رُبْعَةَ حَسَنِ اللَّحْيَةِ .

فقال له بشر : وَلَا كُلُّ قَصِيرٍ مُجْدُورٌ⁽¹⁾ عَاقِلٌ - وَهَذِهِ صِفَةُ أَبِي عُبَيْدٍ .

فغاضبه ذلك وقال : يَلَازِمُ .

فقام بشر ملزوماً⁽²⁾ .

(1) يقول الكندي ، 525 : وَكَانَ كَثِيرُ الْجَدْرِ .

(2) ملزوم : موقوف ، محبوس (دوزي) .

[251 ب] فبلغ ذلك أبا بكر / بن الحدّاد ، فأتى إلى أبي عبيد فقال له : أيّد الله

القاضي ، أليس القاضي على الرغبة في مجالسة شيخنا أبي القاسم بشر؟

فقال : بلى !

فقال : ولا تغيّرت له حال عند القاضي زهّدته فيه ؟

قال : لا .

قال : فإنه ملزوم بباب القاضي .

فأطرق أبو عبيد ثم قال : وإنّه للشيخ الذي دخل آنفاً ، وإنّ كلامه لكلام

فقيه . فاصرفه ولا تُدخله إليّ . - كأنّه احتشم منه .

فخرج ابن الحدّاد فصرفه . وما زال يعرف الاحتشام من القاضي إلى أن

توفي أبو القاسم رحمه الله .

928 - البعيث المجاشعيّ [- قبل 98]⁽¹⁾

البعيث الشاعر . اسمه خدّاش بن بشر بن لييد - وقيل خدّاش بن لييد -

أبن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع المجاشعيّ .

قدم مصر ومدح عبد العزيز بن مروان . وكان خطيباً شاعراً بليغاً . وكان

أخطب الناس . وقال : إني والله ما أرسل الكلام قضيياً خشياً وما أريد أن

أخطب الناس . وقال : [لا] آتي يوم الحفل إلّا بالبائت المحكّك . وقيل

لرؤبة : من أخطبُ ثميم ؟

فقال : خدّاش بن لييد بن بيبة - يعني البعيث .

(1) الأعلام 2/ 345 ؛ البيان والتبيين (المهرس) ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1/ 980 ؛

ياقوت : أدباء 11/ 52 .

وإنما قيل له البيث لقوله [طويل] :

تَبَعْتُ مَنِّي مَا تَبَعْتُ بَعْدَمَا أُمِرْتُ حِبَالِي كُلَّ مِرْنَهَا شَزْرَا

وقال سحيم بن حفص : أخطب تميم البيث إذا أخذ القناة .⁽¹⁾

وقال يونس⁽²⁾ : لعمرى لئن كان مُعَلِّباً في الشعر لقد كان عُلب في الخطب .

وفي الشعراء مِمَّنْ يغلب شيء قاله في شعره على اسمه وكنيته فيسمى به ،
بشر كثير . فمنهم البيث هذا .

929 - بُغا الصغير [737 -]⁽³⁾

بغا الصغير ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون .
ترقى في الخدم إلى أن عمل له دوا دار صغيراً مع الأمير ألباي . فلما مات
ألباي تشوّف إلى أن يستقرّ دوا دار كبيراً . فولّى السلطان صلاح الدين يوسف بن
أسعد الدوادارية مدة سنة ، ثم أخرجه إلى صفد . وأقام بغا في الدوادارية بأمرة
عشرة في آخر سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة ، رفيقاً لحبي الدين يحيى بن فضل الله
كاتب السرّ ، فسار سيرة جميلة بسكون وهدوء وعقل ، إلا أنه كان يتعلّل من
قرحة به وينقطع عن الخدمة أياماً . فبلغ السلطان أنه في انقطاعه يشتغل باللهو
من معاشرة الشباب ومعاقرة الخمر ، إلى أن قدّم قصّة على لسان بعض التجار في
شيء طرحه عليه النشو من متجر الخاص . فما زال به النشو حتى عزله السلطان
في سنة خمس وثلاثين وأخرجه إلى صفد فمات بعد قليل في سنة سبعٍ وثلاثين
وسبعائة .

(1) يضيف الجاحظ في البيان 3 / 11 : ... فهزّها ثمّ أعتمد بها على الأرض فرفعها .

(2) يونس بن حبيب النحويّ .

(3) الوافي 10 / 175 (4658) ، الدرر 2 / 12 (1294) .

930 - بغدوين صاحب القدس [508 / 1118] ⁽¹⁾

بغدوين بن [. . .] . ملك بيت المقدس بعد قتل أخيه كندفرى على عكا في سنة أربع وتسعين وأربعمائة [/ 1100 م] ⁽²⁾ . قدمها في خمسمائة فارس وراجل ، فخرج من مصر في رجب سنة خمس وتسعين عسكر لَمَنَعَ الفرنج ممّا بقي بيد المسلمين من البلاد الشامية . فسار إليهم بغدوين في سبعمائة فارس وقاتلهم ، فنصرهم الله عليه وقتلوا أكثر أصحابه ، ونجا إلى أجمة قصب ، فأضرموها عليه بالنار ، ففرّ وقد احترق بعض جسده .

وصار إلى الرملة والمسلمون في أثره . فسار إلى يافا بعدما عظم القتل والأسر في أصحابه . ثم كانت بينه وبين سعد الدولة القوّاسيّ مقدّم عسكر مصر وقعة في سنة ستّ وتسعين انتهزم فيها سعد الدولة وقُتل ، وأخذ بغدوين أمواله .

ثمّ ظهر المسلمون على نفر ⁽³⁾ بغدوين إلى الرملة ثمّ إلى يافا . وعادوا الحرب مع ابن الأفضل مدّة . ثمّ ملك عكا في سنة سبع وتسعين [/ 1104 م] وسار إلى الفرما في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة فبعث الأفضل ابن أمير الجيوش من القاهرة فأخذ بغدوين في نهب الفرما وخرّبها وأحرقها ، وعزم على الرجوع ، فأهلكه الله [252 أ] بها . وخاف الفرنج من إظهار موته فكتموه . وساروا به بعدما شقّوا / بطنه ومكّوه ملحاً ودفنوا ما في بطنه بالسبخة التي عُرفت به إلى اليوم قرب الودادة ، والعامّة تسمّيها سبخة بردويل وترجّم موضع قبره بالحجارة .

(1) ابن القلانسيّ ، 192 ؛ النجوم 5 / 208 . وبغدوين أو بلدوين هو Baudoin . وكندفرى

هو Godefroy .

(2) في النجوم 5 / 152 : سنة ثلاث وتسعين .

(3) في الكلام نقص .

931 - بقي بن مخلد [201 - 276] ⁽¹⁾

[. . .] ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وطوّف الشرق والغرب وسمع [. . .] . وبلغت شبوخته مائتي ونيفاً وثمانين شيخاً . وكان إماماً عالماً قدوةً مجتهداً لا يقلّد أحداً ، ثقةً ، حجةً ، صالحاً ، عابداً ، متهجداً ، أوهاً منياً ، عديم النظر في زمانه .

قال أحمد بن أبي خيثمة : ما كنّا نسميه إلا المكنسة . وهل يحتاج بلدٌ فيه بقيّ أن يأتي منه إلينا أحدٌ ؟

وقال أبو الوليد [ابن] الفريسيّ : ملأ بقيّ الأندلس حديثاً .

وقال أبو عبد الملك القرطبيّ في تاريخه ⁽²⁾ : كان بقيّ طوالاً ، أفنى ، ذا لحية . وكان متواضعاً ، ملازماً لحضور الجنائز .

وكان يقول : إنّي لا أعرف رجلاً كان يمضي عليه الأيام في وقت طلبه ليس له عيش إلا ورق الكرب .

وقال بقيّ : لما رجعت من العراق أجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه وسمع مني سبعة أحاديث وقال : لقد غرست للمسلمين غرساً بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال .

وقال أبو محمد بن حزم : كان بقيّ ذا خاصّة من أحمد بن حنبل ، وجارياً في مضمار البخاري ومسلم والنسائي .
وقال بقيّ : كلّ من رحلت إليه ، فاشياً على قدمي .

(1) صلة ابن بشكوال 118/1 (281) ؛ ابن عساكر 277/3 ؛ (بدران) و5/235 (121) ؛ نفح الطيب 113/6 ، وفيه : بقيّ على وزن عليّ ؛ دائرة المعارف الإسلامية 986/1 . أعلام النبلاء ، 13/285 (137)

(2) هو ابن عبد البر أحمد بن محمد (ت 338) له كتاب في أخبار علماء قرطبة .

وكان مجاب الدعوة . ويؤثر عنه إيثار حتى بثوبه . وقيل إنه كان يحتم القرآن كلَّ ليلةٍ في ثلاث عشرة ركعة ، ويسرد الصوم . وحضر سبعين غزاةً . ومات في جمادى سنة ستّ وسبعين ومائتين .

ولمّا قدم من رحلته إلى الأندلس تعصّب عليه فقهاء زمانه لإظهاره مذهب أهل الأثر فمَنعهم عنه أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمان المروانيّ واستنسخ كتبه وقال لبقّي : أنشر علمك !

932 - بكار بن قتيبة [182 - 270]⁽¹⁾

بكار بن قتيبة بن أسد بن أبي بردعة بن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة تُفجع بن الحارث [بن كلدة الثقفيّ] مولى رسول الله ﷺ ، يكنى أبا بكرة .

بصريّ ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين ومائة . تفقّه بالبصرة على هلال بن يحيى بن مسلم المعروف بهلال الرأي ، أحد أصحاب أبي يوسف ، وزفر بن الهذيل ، وأخذ عنه علم الشروط أيضاً .

وسمع أبا داود الطيالسيّ ، ويزيد بن هارون . ونشر علم البصريّين بمصر فحدّث عن عبد الصمد بن عبد الوارث ، وصفوان بن عيسى الزهريّ ، ومؤمل ابن إسماعيل .

روى عنه أبو جعفر الطحاوي فأكثر ، وبه تخرّج . وروى عنه أيضاً أبو عوانة في صحيحه ، وأبو بكر بن خزيمة .

(1) وفيات 1/ 279 ؛ ابن عساكر 3/ 282 (بدران) و 5/ 237 (ابن منظور) ؛ الكندي ، 507 ؛ رفع الإصر 1/ 140 ؛ النجوم 3/ 18 ؛ الوافي 10/ 185 (4668) ؛ شنرات 2/ 158 .

توليّه قضاء مصر :

وكان له اتّساع في الفقه فولّاه المتوكّل قضاء مصر ، فقدمها قاضياً ودخل
الفسطاط يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين .
فأقام على القضاء ثمانين سنين حتى قدم أحمد بن طولون إلى مصر .
وآسّتر قاضياً حتى توفي ليلة الخميس لست خلون من ذي الحجة سنة
سبعين ومائتين . وكانت مدّة ولايته على القضاء أربعاً وعشرين سنة .
وكان محدثاً جليلاً . حدّث بمصر حديثاً كثيراً .

وجرت له مع أحمد بن طولون قصص ، منها أنّه بعث به إلى برقة لمّا
خالف عليه ابنه العبّاس بن أحمد ، فسار إليها ولقي العبّاس فيمن خرج معه من
مصر وحدّثه في الرجوع إلى أبيه فقال له : يا أبا بكر ، المستشار مؤتمن ، وأنا
أقلّدك أمري : أسألك بالله : هل تأمّنه عليّ ؟
فقال له : قد حلف لي أبوك أن لا يسوءك ، فأما أن يفني فليس ممّا
أعلمه ، ولهذا الله دوني .

ثمّ عاد بكار إلى أحمد بن طولون بغير طائل . فلمّا أخذ العبّاس وأسر
أصحابه بعدما أمّتهم أحمد بن طولون ، رأى بكار أن لا أمان لهم : وذلك أن
أحمد بن طولون أمّتهم خوفاً من النهب وسفك الدماء وهتك الحرم / ، فلم يرَ [252 ب]
بكار هذا أماناً . وعارضه يزيد بن محمد بن عبد الصمد ، ورأى أنّهم آمنون
وذكر قوله عليه السلام : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم
أدناهم » ⁽¹⁾ ، فأسكته أحمد بن طولون وقال : أهل الفقه أدري بهذا منك .
وأمر بآكتاب محضر بما رآه وقتلهم .

(1) الحديث في سنن ابن ماجه ص 895 رقم 2683 .

غضب ابن طولون عليه وسجنه :

ولمّا بلغ أحمد بن طولون القبض على المعتمد ومنعه من دارا ، استدعى بكّاراً من مصر إلى دمشق ، فاجتمعَ بها مع مَنْ حضر لخلع الموقّ . فلم يكن منه ما يرضاه أحمد بن طولون . فتغافل عنه وأسرها في نفسه إلى أن قدم مصر . فأمر بكشف بكّار وأوقفه للناس وأمر بسجنه في جمادى الآخرة سنة سبعين ومائتين ، وذلك بعدما خرّق سواده . ثمّ أحضر قيس بن حفص كاتب بكّار وأصحابه وأمرهم برفع حساب ما جرى على أيديهم .

فاجتمع أصحاب الحديث إلى أحمد بن طولون وشكوا إليه أنقطاع سماع الحديث من بكّار ، وسألوه أن يأذن له في الحديث ، ففعل . وكان بكّار يحدث وهو في السجن . وفي كلّ يوم جمعة يلبس ثيابه ويتأهب للرواح فيقول له الموكل به : أعذرني أيّها القاضي ، ما أقدر - فيقول : اللهمّ أشهد !

ثمّ [إنّ] ابن طولون بعث إليه يقول : إنّك زعمت أنّ المحجّور عليه يأمر وينهى ويكعب ويكتب . فكيف رأيت حال الممنوع ممّا يريد ؟ أنت أيضاً أوردت عليّ كتاباً من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك . والآن فقد منعك حتى تورّد عليّ كتاباً منه برّدك فأردك حينئذٍ .

فلم يزل في السّجن حتى مات أحمد بن طولون ، وقام من بعده ابنه أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون فأخرجه من الحبس فيمن أخرج من أرباب الجرائم والتّهم . فلم يتمّ له شهر بعد إطلاقه حتى مات .

وقال أبو عمر الكنديّ : إنّ بكّار[اً] القاضي أطلق في شعبان سنة سبعين ، وذلك يقتضي أن أحمد بن طولون هو الذي أطلقه لأنّه مات في ذي القعدة سنة سبعين ، والله أعلم .

ندم ابن طولون على سوء معاملته لبكّار :

وقال أحمد بن يوسف الكاتب : حدّثني نسيم الخادم قال : دعاني أحمد ابن طولون ، وقد مضت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحد ، فقال لي : أدخل إلى بكّار بن قتيبة ، فإن كان يصلي فأنظر فراغه من ركعته ، ثم قل له : أنت تعلم ميلي إليك قديماً وإكرامي لك ، وأنه لم يُفسد محلك عندي إلا أمر الخلع ، فإنّ شهادتك فيه شهادة مغلب للقتية ، وقد شاع في عسكري أنّك نَقَمْتَ هذا الخلع . والله ما آخرفت عن الناكث لآخراف قلب ولا إساءة اعتدتها له ولا أردتُ بخلعه إلا الله عزّ وجلّ ، لأنّه أسر الخليفة ومنعه ما يجب له . والصواب أن تحضر مجلسي ويجتمع فيه أولياء أمير المؤمنين وتبرأ من الناكث براءة تدلّ على صدق نيّتك لأمر المؤمنين ، وترجع إلى عملك وما كنّا عليه من إكرامك وموالائك . وإن تأخّرت عن هذا فلا لوم علينا فيما آتيناك إليك ممّا لا أؤثره والله فيك .

قال نسيم : فتحت باب الحجرة التي كان بها فوجدته قائماً يصلي . فقلت وصحتُ : رسول الأمير ! - لأنّه كان ثقیلاً السمع - فوالله ما تجوّز في صلاته ولم يزل يقرأ ، ثمّ ركع وسجد ورفع رأسه وقام ، فقرأ صدراً كبيراً ، ثمّ ركع وسجد وجلس . فلما سلّم قلت : الأمير !

فقال لي : وما يريد الأمير ؟

فلما قصصْتُ عليه الرسالة قال لي : قل له : أعزز عليّ بأن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك إلى ما لا تنفك عنه . وقد أعنتني لأنك تكلفني التصديق لبلاغات لا يعتدّ بها الحكّام . فخيف الله في أمري ، فإنّي شيخ فانٍ وأنت مريض مدنف ، ولعلّ التقاءنا بين يدي الله عزّ وجلّ قريب . وقد والله نصحتُ لك ، والسلام .

(قال) فخرجتُ من عنده ، فقال : ما قال لك ؟

[253 أ] فقصصتُ عليه قوله . فقال : شيخ فان وعليل / مدنف ، ولعلّ الالتقاء بين [يدي] الله قريب - وأقبل يكرّرها . وقال لي : أنظر إلى أعفّ المضمونين إليك وأكثّر داراً ووكله بياها ، وأطلق له أبني أخيه ومن أحبّ إليه . فاكثرتُ داراً في حيّ الموقف ، وكان الموكل به رشيق أخو سعد الفرغاني . ومات بعد أحمد بن طولون بأقلّ من عشرين يوماً .

سبب القطيعة بينهما :

وكان سبب ذلك كلّهُ ⁽¹⁾ أن أمير المؤمنين المعتمد على الله أبا العبّاس أحمد ابن المتوكل كانت أيامهُ مضطربة الأحوال مختلفة التدبير كثيرة العزل والتولية بتدبير الموالي وغلبتهم عليه . فقام أخوه الموفق بالله أبو أحمد ، الملقّب بالموفق بالله ، والناصر ، والمنصور ، بالخلافة أحسن قيام وصار الحكمُ إليه ولا تُجسبى الأموال كلّها إلّا له . وولّاه المعتمد العهدَ بعده وخطب له بذلك على المنابر فكان يقال : اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله وليّ عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين . ولم يبقَ للمعتمد معه من الخلافة إلّا الاسم بحيث لم ينفذ له توقيع في كبير ولا حقير . فضجر من ذلك وكتب إلى أحمد بن طولون سرّاً يشكو من أخيه الموفق ، فأشار عليه أن يلحق بمصر ووعدّه بالنصرة له ، وأخرج من مصر والشام عسكرياً إلى الرقة ينتظرون وصول المعتمد إليهم ، وخرج بنفسه من مصر يريد لقاء المعتمد وأقام بدمشق مترقّباً له .

فاغتنم المعتمد غيبة الموفق عنه ، وسار في جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين ومعه جماعة من القوّاد ، منهم إبراهيم بن المدبّر ، وأحمد بن خاقان وخطارمش ، وغيرهم ، في أربعة آلاف فارس على خيل جريدة يريد مصر ، في

(1) انظر في سبب القطيعة : رفع الإصر 1 / 151 والطبري 9 / 620 .

هيئة متصيد ، إلى أن وصل إلى عمل إسحاق بن كنداجق⁽¹⁾ عامل الموصل وعامة الجزيرة . فكتب الموفق وهو بالبصرة على حرب صاحب الزنج ، كتب إلى إسحاق يخبره أن المعتمد قصد أحمد بن طولون ، وإن دخل مصر تنحيت عن العلوي حتى يغلب على دار السلطان . وإن استولى أحمد بن طولون على أمره لم يبقَ منكم معشر الموالي أثنان - وناشده الله لما جرد العناية في خروجه .

فقام إسحاق ، ووكل بالطرق أصحابه ومنعهم أن يطلقوا⁽²⁾ لأحد ممن مع المعتمد العبور . وسار فوجد المعتمد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دونه وركب حتى وافى مضرب المعتمد من غير أن يشعر به أحد من أصحابه . فخرج إليه نحرير الخادم وسلم عليه واستأذن له . فدخل على المعتمد ومعه ابنه محمد بن إسحاق وجماعة من وجوه أصحابه ، فسلم ووقف بأصحابه . فقال له المعتمد : يا إسحاق ، لمَ منعت الحشم من الدخول إلى الموصل ؟

فقال : وما معنى دخول الحشم الموصل ؟

قال : لأنني أثرت دخولها .

قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين ، ما إلى ذلك من سبيل . أخوك في وجه العدو وأنت تخرج من دار مستقرّك ومدينة آبائك ، ولئن صحّ هذا عنده ليرجعن عن مقاومة الخارجي حتى يغلب العدو على دار ملكك . ولهذا كتاب أخيك . فقال له : أنت غلامي وغلّام أخي .

قال : كلنا غلمانك يا أمير المؤمنين ، ما أطعت الله . فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا .

قال : فيم عصيته ؟

(1) إسحاق بن كنداج أيضاً ، وكنداجيق .

(2) في المخطوط : أن لا يطلقوا . . .

قال إسحاق : تخلي دار خلافة آبائك وتزيل أخاك عن عدوّ دولتك وتبعد عن مستقرّك ، ولا ترى أنّك عاصٍ لربّك ؟

ثمّ خرج من المضرب وترك أصحابه[ه] الذين دخلوا معه ، ووقف على باب المضرب ، وبعث نحريراً إلى المعتمد يسأله أن يبعث إليه خطارمش ونيزك⁽¹⁾ حتى يناظرهم . فبعث بهم إليه مع أخيه أبي عيسى ابن المتوكّل وإبراهيم بن المدبّر . فلمّا دخلوا مضرب إسحاق قال لهم : ما جئني على الإسلام أحدٌ جنايتكم : أخرجتم الخليفة في عدّة يسيرة ، وهارون الشاري⁽²⁾ في جمع كبير بإزائكم ، فلو [253 ب] عارَضَكُمْ وأسرَ الخليفة لكُنّا فضيحةً . ولولا أنّي لحقّكم في عسكري / لذهب الخليفة وذهبتم .

ثمّ وكلّ بهم وبعث إلى مضاربهم ، فعاد دوابّهم وغلماّهم . فلمّا دجا الليل وجّه إسحاق ابنه محمد بن إسحاق ، وحبّش ووصيف ابني أخيه ، ومعهما ثلاثون رجلاً يحفظون المعتمد . وأصبح عند المعتمد وقال له : يا أمير المؤمنين ، ما مقامنا ها هنا ، والأمر يضطرب بناحية أخيك ؟

فقال له : أحلف لي أنّك تنحدر معي ولا تسلمني .

فحلف له وانحدر به إلى سرّ من رأى . فتلقاه أبو العباس أحمد ابن الموفق وصاعد بن مخلد كاتب الموفق ، فسلم إسحاق المعتمد إلى صاعد . فأنزله في دار ووكل به قائداً في خمسمائة رجل يَمنعون من الدخول إليه .

أمتناع بكّار من خلع الموفق :

فورد رسول أحمد بن طولون إليه وهو بدمشق وأخبره ما فعل بالمعتمد . فكتب إلى أعماله بحمل القضاة والفقهاء . فلمّا اجتمعوا عنده بدمشق استفتاهم في خلع الموفق . فأفتاه من حَضَرَ بأن يخلعه إلّا بكّار[اً] فإنّه ضعّف الأمر ، فتغافل

(1) في المخطوط : تينك وكذلك الطبري 9 / 620 . والإصلاح من الكامل 6 / 49 .

(2) هارون الوازي (الطبري 10 / 37) .

عنه أحمد بن طولون . وكتب كتاب خلع طويل[اً] خلّده في أمصاره وقُرِئَ على منابر أعماله ، وهذه نسخته بعد البسملة :

هذا ما أجمع عليه القضاة والأولياء ووجوه الأمصار : إنّ أحمد بن طولون أحضرهم مجلسه بمُعسكره في دمشق سنة تسع وستين ومائتين وسألهم عما يوجبهُ ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله من إيقاع احتياله في قبضه جيوشه وتشريد جملته بحملهم على السيف مرّة وغيلتهم بالسّم أخرى ، وتخطّى ذلك إلى إحقاق سربه وحمله على الائتمار له في كثير ممّا آثره . فلمّا كثُر ذلك عليه وخافه على نفسه أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون والاعتصام به إذ كان ثقتَه وعُدَّتَه ومن خلص على تجربيه ورأى توقّفه عن مكاره الخلفاء قبله . وإنّ أبا أحمد لمّا رأى ذلك تحوّف أن يصير مأموراً بعد أن كان آمراً فكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده وردّه . فشخص في جمع كثيف حتى وافاه بين الموصل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين يناشده الله ويذكّره به ويعلمه مروّقه من الدين ونقضه ما أكّده يبعته عليه ، وأنّه إن فعل ما أقدم عليه فقد فارق طاعته وبرئ من ذمّته ووجب على الأُمّة جهادُه . فلم يُصغِ إلى ذلك ولا أكثرت به حتى أدخله سرّاً من رأى وسلّمه إلى صاعد ، فحبسه ومنع منه جميع أهله وشملته ، وغدا مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، عُرضة لسوء القول وقبيح الفعل ، يخاف على نفسه في آناء الليل والنهار . فالأُمّة في حرج من القعود عن نصرته والأولياء في حنث من نقض بيعته ، والسنن داثرة ، والأحكام ضائعة ، والحقّ منبوذ ، والعدل شارد ، وعينُ الله تنتظر . فرأى كلّ من حضر خلعه ممّا كان أمير المؤمنين أثبته له من ولاية عنه ، والتبرؤ منه ، والجهاد له إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أوّلها حقّ الإمامة ، والثاني حقّ الأخوة ، والثالث حقّ النعمة عليه .

وأوقع من حضر من الحكّام شهادتهم عليه وفتياهم فيه ، وجعل عشرَ نسخ على نسق واحدٍ . وفي آخر الكتاب : يقول عبد الله بن محمد العمري القاضي بجند قنسرين والعواصم والثغور الشاميّة وجُنْدِ حمص : قد قُرئَ عليّ هذا

الكتاب ، وهو قولي والحقُّ عندي ، والذي أفتيتُ به ، وقد صحَّ عندي غدر الناكثِ المعروفِ بأبي أحمد ، وتعديّه ، وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه استوجب بما كان منه ممّا سُمّي ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمه وخلعه وقطعَ الدعاء له ، وأنه غير مُستحقٍّ لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليها ، ولا موثوق به فيها . وأشهدت على قولي وفتيائي مَنْ كتب شهادته في هذا الكتاب . وكتب عبد الله بن محمد القاضي خطّه يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين .

[254 أ] يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي على دمشق / والأردنّ وفلسطين ، قد قرئ عليّ هذا الكتابُ من أوّله إلى آخره ، وهو قولي ، والحقُّ عندي ، والذي أفتيتُ به ، وقد صحَّ عندي غدرُ الناكثِ المعروفِ بأبي أحمد ، وتعديّه ، وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين ، وأنه استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه . . . - وحكى في شهادته مثل ما حكى صاحبه حرفاً بحرف . يقول أحمد بن العلاء القاضي بديار مضر مثل ما قال صاحبه حرفاً بحرف .

شهد بكّار بن قتيبة القاضي بمصر والإسكندرية ونواحيهما على ما سُمّي ووُصف في هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، وعلى إحسان أمير المؤمنين أعزّه الله إلى الناكثِ أبي أحمد ابن جعفر المتوكّل على الله ، وتفضّله عليه ، وما كان من تعديّه على أمير المؤمنين وعُدّره ، وأنّ الناكثَ أبا أحمد قد استحقَّ بما كان منه خلعه وترك الدعاء له . وكتب بكّار بن قتيبة بيده .

وصار الخاطب إذا دعا لأمر المؤمنين في أعمال أحمد بن طولون قال بعد الدعاء : اللهم أكفهِ مَنْ ظلمه وحصره ، واستنقِذْه ممّن أسره وجار عليه وقهره - يريد الموقّ - ثمّ يدعو للمفوّض لله جعفر ابن المعتمد وليّ عهده ولأحمد بن طولون فقط .

ونخرج الموقّ إلى أمصاره بلعن أحمد بن طولون على ما فعله من خلعه

[ويقول :] إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَرَنَ بَطَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ طَاعَةَ أَوْلِي الْأَمْرِ الَّذِينَ انتخبهم الله لإعزاز دينه وإقامة معالمه فقال : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء ، 59) . وَإِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الْمُبَايِنَ لِمَجَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمَعْرُوفَ بِأَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ أَظْهَرَ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ مَعْصِيَةٍ وَشِقَاقٍ ، وَكُفْرٍ وَنِفَاقٍ ، فِيمَا بَيْنَ أَقَاصِي الْمَغْرِبِ إِلَى أَكْنَافِ الْعِرَاقِ ، وَمَرَقٍ عَنِ الدِّينِ ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَخْرَبَ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَاتَلَ فِيهَا الْمَجَاهِدِينَ ، بِأَهْلِ الْفِسْقِ مِنَ الْمُخَالِفِينَ ، وَأَسْتَبَاحَ حَرَمَهُمْ ، وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ . فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرُهُ وَعَرَفَ كُفْرَهُ وَغَدْرَهُ ، تَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ ، وَلَعَنَهُ لَعْنًا ظَاهِرًا ، وَأَمَرَ بِلَعْنِهِ لِيُلْحَقَهُ ذَلِكَ مِنْ خَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ وَعَوَامِّ الرِّعَايَا . اللَّهُمَّ ، الْعَنَّهُ لَعْنًا يَفْلَحُ حُدُّهُ ، وَيَتَعَسَّى جَدُّهُ ، وَيَجْعَلُهُ مَثَلًا لِلْغَابِرِينَ ، إِنَّكَ لَا تُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

وسار أحمد بن طولون إلى مصر ، وبعث إلى بكّار بعدما أسقط من مصر وغيرها اسمَ الموفق وأزاله من على الطراز . فسأله عن امتناعه من لعن الموفق ، وقال : تتوقف عن خلع رجل حصر الخليفة وحجر عليه وأسره واستبدّ بالأمر دونه ؟ مثل هذا أيؤمن على المسلمين أو على خلافة ربّ العالمين ؟

فقال بكّار لرسوله : قل له : أنتَ أوردتَ عليّ كتاباً من الخليفة بتولية الموفق العهد . فإن أوردتَ عليّ كتاباً منه أنّه خلعه ، خلعتُه ، وإلاّ لم أقل في هذا شيئاً .

قال : صدقت . أتيتُك بكتاب منه بتقليده العهد . فلم ترعَ عهده ، وهو نافذ الأمر مُطاعُ القول . وإنّه اليومَ محصور مأسورٌ مضيقٌ عليه .

فقال بكّار : ما أقول في هذا شيئاً بغير حجة .

فقال أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ونقص عقلك وأعجبك قول الناس : بكّار ! بكّار ! ثم أمر فحبس .

بعض مناقب بكّار :

ومن مناقب بكّار أنّ أحمد بن طولون بقيت له بقية كبيرة من خراج على بعض المُتَقَبِّلِينَ فاستتر وتغيّب ، وعمد قبل استتاره إلى ربع نفيس في ملكه يفي بما عليه من الخراج ويفضل ، فحبسه على ولده وخرج عن مصر . فرفع الخبر إلى ابن طولون فطلبه فلم يدركه . فطلب القاضي بكّار [أ] وقال له : صاحبك - يعني أبا حنيفة رحمه الله - يقول بحلّ بيع الحبس في الدّين . نَحْلُ حُبْسَ هذا الهاربِ مِنَّا ونَأْخُذُ مال السلطان منه .

فقال له بكّار : لا تفعل ، ولا تَسُنَّ سَنَةَ يَسْتَرُ بها فيك ، لأنّ لك أوقافاً على وجوه ، فإن حلتّ حلُّوا عنك .

[254 ب] فوقف عن ذلك وكفّ عنه وشكر لبكّار مشورته / عليه .

وباع مدين دابة فظهرت بها عيوب فطالبوه بالردّ فأبى ، وبالتخطيط⁽¹⁾ فأبى . قالوا : فاليَمين !

قال : ما حلفتُ على حقّ ولا باطلٍ قطّ !

فصاروا به إلى بكّار فطالبوه فأنكر . فأرادوه على اليمين فقال : ليس في هذا .

فطمعوا في الردّ . فقال له بكّار : إمّا أن رددت ، وإمّا حلفت .

فقال : أخاف إن حلفت [أن] يعاودوني .

فقال : أضعهم في الحبس .

فحلف بالعموس . ثم قال : وهذه رجحان اليمين : بلغت السماء مع الشيطان وأُفْتِنْتُ كواكبَ الرّحمان ، ولعبت بالكعاب في الكعبة ، وأَعْنَتْ عاقرَ

(1) لم نفهم المقصود بالتخطيط .

الناقة على صالح ، ولقيتُ الله بذنب فرعون يوم قال : أنا ربُّكُمْ الأعلى ، وحاسبني الله على مثل مال قارون لا أعلم فيه مثقال ذرة خير إلا أنفقته في هدم المساجد ، وخراب الثغور ، وشرب الخمر ، والجمع على الفجور ، وضرب العود والطنبور ، والقمار بالطيور ، والكفر بيعت من في القبور ، إن لم أكن قدّمته بعشر دوابّ كانت تخلع أرسانها ، فكان هذا الدائن يجيء يصلح أرسانها بفم قليلاً قليلاً ، فكان السائس يزيد في سعره لهذا السبب .

فضحك بكّار حتى أمسك بطنه بيده وقال : لو عرفتم صاحبكم لما تعبت .
أنصرفوا راشدين !

وقال محمد بن موسى صقلاب : سمعت بكّار القاضي ، وذكر في مجلسه الوعيد ، فقال : الدليل على أنّ الله تعالى يُخلف وعيده قوله عز وجل : « لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ، ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا » (الأحزاب ، 60) . والله ما انتهوا ، وما أغراه بهم ولقد جاوروه .

ولبّكّار عدّة مصتفات ، منها : كتاب الشروط ، وكتاب المحاضر والسجّلات ، وكتاب العهود والوثائق ، وهو كبير ، وكتاب نقض فيه على الإمام الشافعيّ في ردّه على الإمام أبي حنيفة . وسبب تصنيفه أنّه نظر في مختصر المزنيّ فوجد فيه ردّاً على أبي حنيفة ، فقال لبعض شهوده : أذهبوا وسمعا هذا الكتاب من أبي إبراهيم المزنيّ ، فإذا فرغ منه قولاً له : سمعت الشافعيّ يقول ذلك ؟ - وأشهدا عليه به . فمضيا وسمعا من المزنيّ المختصر وسألاه : أنت سمعت الشافعيّ يقول ذلك ؟

قال : نعم .

فعادا إلى القاضي بكّار وشهدا عنده على المزنيّ أنّه سمع الشافعيّ يقول ذلك . فقال بكّار : الآن استقام لنا أن نقول : قال الشافعيّ .

ثم ردّ على الشافعيّ هذا الكتاب .

وكان بكار قد لقي في قدومه إلى مصر محمد بن أبي الليث قاضي مصر قبله وهو خارج إلى العراق ، فقال له : أنا رجل غريب ، وأنت قد عرفت البلد ، فدلّني على مَنْ أشاوره وأسكن إليه .

فقال : عليك برجلين : أحدهما عاقل ، وهو يونس بن عبد الأعلى ، والآخر زاهد وهو أبو هارون موسى بن عبد الرحمان .

فقال بكار : صفهما لي .

فوصفهما له . فلما دخل مصر أتاها الناس . وأتاه يونس فرفعه وأكرمه ، وأتاه موسى ، فأختصّ بهما .

وكانت [كلمته الأخيرة :] الحمد لله ، هكذا قدّر⁽¹⁾ .

933 - بكتاش الفخريّ [706 - ٠]⁽²⁾

بكتاش الفخريّ ، الأمير بدر الدين ، أمير سلاح ، الصالحيّ ، النجميّ . كان أحد ممالك الأمير الوزير فخر الدين [يوسف] بن شيخ الشيوخ . فلما مات أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب . وترقى في الخدم حتى صار من أمراء مصر في الأيّام الصالحية . وأعطى إمرة مائة وتقدّم ألف في أيّام الظاهر بيبرس . وأقام أميراً زيادة على ستين سنة ، وعرف بأمر سلاح . وتردّد في الغزو مراراً عديدة في بلاد سويس وغيرها .

ولما قتل المنصور لاجين عُرضت عليه السلطنة فامتنع ، وأشار بإحضار

(1) هكذا في المخطوط ، والإضافة من عندنا .

(2) الوافي 10 / 188 (4674) ؛ الدرر 2 / 14 (1301) ؛ السلوك 2 / 30 ؛ النجوم 8 / 224 ؛ المهمل 3 / 385 (675) .

الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك . فصار الأمراء يتردّدون إلى داره بالقاهرة ويأكلون على سَمَاطه ، إلى أن حضر الناصر من الكرك وأُعيد إلى السلطنة ، فبالغ في إكرامه .

وما زال يُواظبُ الخروج إلى الغزاة حتّى مرض وقد أناف على الثمانين . فخاف أستاذاره بكتمر الفارسيّ أنّه يَمُوت فيطالب من الديوان السلطاني بتفاوت⁽¹⁾ الإقطاع في مدّة إمرته وهي ستّون سنة وأن يلزم بالتقاوي⁽²⁾ السلطانيّة ، فحسّن لولده ناصر الدين محمد أن يجتمع بالأميرين بيبرس / [255 أ] وسلار - وهما يومئذ القائمان بتدبير أمور الدولة ويبلغها سلام أبيه وأنّه يسألها الكلام مع السلطان في إخراج الإمرة عنه وكتابة مسموح لأولاده ومباشره بما يخصّ السلطان من تفاوتِ الإقطاعات والانتقالات من ابتداء تاريخ إمرته وإلى حين خرج إقطاع الإمرة عنه ، ويذكر لها عنه أنّه قال : قد كبر سنيّ وعجزت عن الركوب ، ولا يحلّ لي أكل هذا الإقطاع بغير استحقاق ، وأن يذكرهما بما له من قديم الهجرة والتنعم بخدمة البيت المنصوري ومناصبته .

ونخيل لابن بكتاش أنّه إن لم يفعل هذا حتّى يموت أبوه لا يبق له ولاخوته شيء ، ويحتاج إلى الاستدانة في وفاء ما يجب للديوان السلطانيّ . فانفعل له وبلغ الأميرين عن أبيه ما ربّبه مع استداره . فتألّما وبكيا بكاءً كثيراً ورأيا من تمام حقّ الأمير بكتاش المبادرة إلى أمتثال ما أشار به ، ولم يشكّا في صدق ولده .

وأجتمعا بالخدمة السلطانيّة مع الأمراء ، وقام ابنُ بكتاش فأعاد الرسالة على الجميع فلم يجلّوا بدءاً من إجابته . وكتب مرسوم سلطانيّ بمُسامحته ، وحمل إليه مع الأمير سنقر الكماليّ الحاجب والأمير بدر الدين محمد بن الوزيريّ ، وتقدّمها

(1) تفاوت الإقطاع أو التفاوت الجيشي : الفارق بين الدخل محسوباً بالسنة الهلاليّة والدخل بحسب السنة الحراجيّة ؛ السلوك 2/ 19 حاشية 1 .

(2) التقاوي السلطانيّة : يبدو أنّها أموال تجمع للسلطان من الأقاليم ؛ راجع السلوك نفس الصفحة حاشية 3 .

ابنُ بكتاش ودخل على أبيه ومعه بكنمُرُ أستاذاره ، وأخذوا يقولان له ما هو فيه من المرض والعجز عن الحركة وأنَّ الإقطاع الذي باسمه يستكثر عليه ، ويعرّضان له بتركه . فقال لهما : أنا أرجو أن يمُنَّ الله بالعافية وأن أموت على ظهر فرسي مجاهدًا في سبيل الله .

فذكرنا له ما يتخوَّف[ن]ه بعد وفاته من كثرة المغم للدين . فلم يعبأ بكلامهما ، وهما في ذلك إذ قدم الأميران بالمسموح ، فخرجا إليها وقالوا لهما : لا تُطِيلَا في الحديث معه فإنّه قد تغيّر عقله وأختلط .

فصدّقاهما فيما قالَا . ودخلا عليه . وعرفاه ما قال ولدّه عنه للسلطان بحضرة الأمراء ، وأنه يسلم عليه . وقد أجاب سؤاله وأخرج الإقطاع وكتب المسموح - وأخرجاه إليه - ثم بلغاه سلام الأمراء عليه ، وأنهم يقولون له : لو لم تبعث ولذلك بهذا ما أخرج الإقطاع عنك بوجه من الوجوه ، وأنه قد ربّب لك في كلّ شهر خمسة آلاف درهم .

فلما بلغاه هذا أشدّت غضبه وقال : قطع السلطانُ خبزي ؟

قالا : نعم - وأعادا عليه ما قاله ولدّه .

فألّفت إليه وقال : أنت سألتَ في ذلك ؟

قال : نعم .

فسبّه . وقال للأميرين : قولَا للسلطان والأمراء : ما كنت أستحقّ أن يقطع خبزي قبل الموت ، وهم يعرفون ما فعلته معهم . وكان أُملي أن أموتَ في الجهاد . وكذلك كنت أخرج كلّ سنة إلى الغزو في سبيل الله فلم يقدر الله ذلك . ثم استدار بوجهه إلى الحائط ، فقاموا عنه . فتمادى مرضه إلى أن مات في يوم [. . .] ربيع الآخر سنة ستّ وسبعمائة عن ثمانين سنة .

وكان كثير الصدقة خيرًا وافر الحرمة في كلّ دولة ، فارساً شجاعاً ، له مقامات مشهورة في الحروب . ورأى من الخطّ شيئاً طائلاً في مدّة طويلة ولم

يُنَكَّبُ قَطَّ . وكلَّ سنة يخرج فيها إلى الغزاة . وكان يبعث النفقة لِمَنْ يخرج معه من الأمراء والمقدمين ، ويعمَّهم بالشعير والأغنام . وأقننى المالك الحشمية النافعة . وكانت أخبازهم من عشرين ألف درهم في السنة إلى عشرة آلاف وهي أقلها . وكان يكره من يتحدث عنه في أمر المملكة ومتعلقاتها . وكان الملك المنصور يبالي في تعظيمه بحيث قال لنائبه الأمير طرنطاي : ما بقي في الأمراء غير أمير سلاح إذا قلت فارس الجبل ما يُردّ وجهه عن عبوّه وإذا حلف ما يتحوّل وإذا قال صدق ، ولا يتطلّع إلى رفعة .

934 - بكتمر البوبكري [728 -]⁽¹⁾

بكتمر البوبكري ، الأمير سيف الدين ، السلاح دار ، أحد المالك المنصورية قلاوون .

ربّاه صغيراً ورقاه في الخدم وعمله من جملة البرجية . فلما قبض / الأمير [255 ب] سنقر الطويل عرض جماعة من البرجية واختار منهم أربعة : بكتمر هذا ، وأيدمر الخطيري ، وسنجر الجمقدار ، وطشتمر الجمقدار . ثم عيّن من الأربعة بكتمر وأنعم عليه بإمرة سنقر الطويل وهي طبلخاناه . فقال له الأمير بيدرا النائب : يا خوند ، أول إمرة الجندي تكون عشرة ثم ينقل منها إلى الطبلخاناه . فقال : قد قلت شيئاً وما أرجع عنه - وكان البوبكري أول من نُقل من الجنديّة إلى إمرة طبلخاناه ، وذلك في نصف ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستّائة .

وتقدّم حتى صار من أكابر الأمراء الناصرية محمد بن قلاوون ، وجعله أمير

(1) الدرر 2 / 15 (1304) ، النجوم 9 / 274 ، السلوك 2 / 208 ، 304 .

سلاح ويجلس رأس الميسرة ، والأمير آقوش نائب الكرك رأس الميمنة⁽¹⁾ .
فلما كانت سنة عشرين وسبع مائة رسم أن يتحول من القلعة ويسكن في دار
الأمير كراي المنصوري بالقاهرة ، لأنه ثقل عليه وصار يعارضه ويشير عليه بغير ما
يريد . فسكن القاهرة إلى سنة اثنتين وعشرين . [ف]عينه لنيابة صفد ، واعتذر
إليه على لسان الأمير أرغون بأن السلطان يستحي منه إذا رآه في الخدمة لما يعلمه
من تقدمه وكبر سنه ، وأنه قصد بنيابته صفد إراحته .

فامتنع من ذلك وأحتج بأنه رجل غنمي لا يعرف بالعربي ، وما حكم قط
بين أحدهما فلا أعرف ما يقول الناس إذا وقفوا لي . فأعرض السلطان عن هذا
القول ، وبعث إليه بالفي دينار مع كريم الدين ناظر الخاص وجهز له تشريف
نيابة صفد ، والإنعام على أولاده بإمرات . فلما جاءه كريم أقام ساعة حتى أذن
له ، ثم دخل عليه فلم يحتفل به كاحتفال غيره من الأمراء . فوضع الذهب
والتشريف بين يديه ، وقام كالمغضب إلى السلطان .

فأصبح يوم الخميس ثاني شهر [رمضان] منها ، [ف]ألبس السلطان ولده
الأصغر شربوش الإمرة ، فصعد في آخر النهار إلى الخدمة وجلس رأس الميسرة
على عادته وأستغفى من صفد ، فأعرض عنه ، وقبض عليه وعلى أولاده في ليلة
الجمعة ثالث شهر رمضان . فوقف غوغاء العامة بكرة يوم الجمعة تحت القلعة
وصرخوا بالسلطان : ما يستأهل مسكه ! - فأشدت حنقه ، وبعث إليه مع
قجليس فرساً وطعاماً وأمره أن يقرئه السلام ويعتذر إليه مما وقع ويستعرض
حوادثه . فسأل أن يفرج عن أولاده . فأجابه إلى ذلك وأفرج عنهم ليلة عيد
الفطر ، ومنعهم من الخدمة السلطانية .

وبعثه إلى الإسكندرية⁽²⁾ فسجن بها ، إلى أن كانت فتنة أهل الإسكندرية

(1) في الدرر : يجلس بكسر رأس الميسرة ، وكذلك في بقية الترجمة . وفي المخطوط ، عكس
هنا التوزيع .

(2) سجن بالإسكندرية في رمضان 722 ؛ السلوك 2 / 238 .

[ف]حمل إلى قلعة الجبل هو وبقية الأمراء المسجونين ، فقدموا في ثامن عشر رجب سنة سبع وعشرين ، وأرسل هو وتمر الساقى إلى الكرك⁽¹⁾ . ثم أحضر هو والأمير كراي ليفرج عنهما . فلما قدما بركة الحجاج خرج إليهما الأمير مغلطاى الجمالي ، وصعد بهما إلى قلعة الجبل ، فسجن بكتمر بها إلى أن مات يوم السبت نصف شعبان سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، فشهد الأمراء جنازته ودُفن بالقرافة .

وكان جواداً ، له صدقات ومعروف ، سليم الباطن .
وترك ولدين من أمراء الطبلخاناه بمصر ، ولم يقع لهذا لغيره .

935 - بكتمر الجوكندار [716 -]⁽²⁾

بكتمر الجوكندار المنصوري ، الأمير سيف الدين ، أمير جاندار .
ترقى في الخدم حتى صار جوكندار وأحد أمراء الألف بديار مصر . فلما كانت أيام بيبرس وسلار ، كان من أهل الحل والعقد . ولم يزل الملك الناصر محمد بن قلاوون يقول له إذا خاطبه : يا عم ، ويقول لأبنة ناصر الدين محمد : يا أخي .

وحجّ في سنة سبعمائة ، وأنفق في حجّه خمسةً وثمانين ألفَ دينار وصنع معروفاً كثيراً ، من جملة أنّه حمل في البحر سبعة مراكب مشحونة بالدقيق والقمح وأنواع الإدام ، ما بين سكر وعسل وزيت وحلوى ونحو ذلك . فوافى ساحل ينبع منها ثلاثة فنقلها إلى ينبع وجعل ما فيها أصنافاً مثل التلال ، ونادى في الحجاج : مَنْ كان محتاجاً إلى مؤنة أو شيءٍ من الإدام أو السكر أو الحلوى

(1) السلوك 2/ 286 .

(2) الوافي 10/ 198 (4678) ؛ الدرر 2/ 18 (1307) ؛ المنهل 3/ 398 (680) ؛ السلوك 2/ 102 ؛ بدائع الزهور 1/ 440 .

فليحضر!

[256 أ] فَأَتَاهُ الْمُحْتَاجُونَ فَعَمَّهُمْ / وَفَرَّقَ مَا بَقِيَ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْضُرْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَعَلَى أَهْلِ يَنْبَعِ .

وَوَافَتْ بَقِيَّةَ الْمَرَاقِبِ جَدَّةً فَحَمَلَهَا إِلَى مَكَّةَ وَفَرَّقَ مَا فِيهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَعَلَى فُقَرَاءِ حِجَاجِ الشَّامِ ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ .

فَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ ضَجَرَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنْ شِدَّةِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ وَعَزَمَ خَاصَّكَيَّتَهُ عَلَى الْقِيَامِ مَعَهُ . فَأَسْتَدْعَى بِكَتْمُرَ هَذَا وَأَعْلَمَهُ بِحَالِهِ وَمَا عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَوَافَقَهُ عَلَى مَا أَرَادَ ، وَأَنَّهُ يَهْجُمُ عَلَى الْأَمِيرِ [بْنِ] بَيْبَرَسَ وَسَلَّارَ فِي بُيُوتِهِمَا وَيَأْخُذُهُمَا . فَنَقَلَ الْخَيْرَ إِلَيْهِمَا فَاحْتَرَسَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا ، وَثَارَتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ آلَتْ إِلَى إِخْرَاجِ ثَلَاثَةِ مِنْ خَاصَّكَيَّةِ السُّلْطَانِ إِلَى الْقُدْسِ ، وَنَقِيَ بِكَتْمُرَ إِلَى الصُّبْيَةِ فِي نِصْفِ الْحَرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ . فَأَقَامَ بِهَا إِلَى شَعْبَانَ مِنْهَا ، فَرَسَمَ لَهُ بِنَايَةَ صَفْدٍ بَعْدَ وَفَاةِ سَنْقَرِ شَاهٍ . فَدَخَلَهَا فِي ثَمَانِمِائَةِ مَمْلُوكٍ كَانُوا يَرْكَبُونَ مَعَهُ فَيَصِيرُ فِي عَسْكَرٍ يَقَارِبُ عَسْكَرَ صَفْدٍ .

فَمَا زَالَ بِهَا إِلَى أَنْ خَرَجَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ وَتَوَجَّهَ إِلَى دِمَشْقَ . [ف]تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَقَدِمَ مَعَهُ مِصْرَ . فَوَلَّاهُ نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ بِدِيَارِ مِصْرَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ ثَالِثِ عَشْرِينَ شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ .

فَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، نَقَلَ إِلَى السُّلْطَانِ أَنَّهُ قَدْ وَافَقَ الْأَمِيرَ بَتَّخَاصَ الْمَنْصُورِيَّ عَلَى إِقَامَةِ الْأَمِيرِ [مُظَفَّرِ الدِّينِ] مُوسَى ابْنِ [الْمَلِكِ] ⁽¹⁾ الصَّالِحِ عَلِيِّ بْنِ قَلَاوُونَ سُلْطَانًا وَاسْتَمَالَ مَمَالِيكَ الْمُظَفَّرِ بَيْبَرَسَ . فَبَادَرَ السُّلْطَانُ وَقَبْضَ عَلَى بَتَّخَاصٍ وَأَمِيرِ مُوسَى ، وَلَمْ يَظْهَرْ بِكَتْمُرَ شَيْئًا . وَتَبَعَ الْمُظَفَّرِيَّةَ وَأَمْسَكَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً نَحْوَ الْمِائَةِ وَعَشْرِينَ . فَلَمَّا أَوْقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْحَدِيدِ ، أَخَذَ بِكَتْمُرَ الْجُوكَنْدَارَ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : هَا هُوَ شَغْلُكَ الْمُشْتُومُ .

(1) الزِّيَادَاتُ مِنَ السُّلُوكِ 2 / 91 - 92 .

تغافل السلطان عنه وأمر بقتل الجميع ، ثم عفا عنهم ، وتغاضى عن
بكتُمُ الجوكندار إلى يوم الجمعة سابع عشر جادى الأولى سنة إحدى عشرة
[ف]استدعاه . فلَمَّا دخل إليه قبض عليه وعلى صهره أَلِكْتُمُ [الجمدار] ⁽¹⁾
وعلى أيدغدي العثماني ومنكوتُمُ الطبّاخي ، وسجنوا . وفوّضت نيابة السلطنة
بعده إلى الأمير بيبرس اللوادر المنصوري .

وحمل بكتُمُ إلى الإسكندرية فسُجن بها . ثمّ نقل إلى الكرك فأقام بها
مُسجوناً في عدّة من الأمراء إلى أن قُتلَ في سنة ستّ عشرة وسبعمئة ⁽²⁾ .

وكان خيراً ساكناً كثير المسألة لا يرى سفك دم أحد ولا يعتني بالقصاص
بل يعاقب بالضرب المؤلم حتى يبلغ قريب ألف ضربة ، ويقول : الحَيّ خير من
الميت ، فليُقيم هذا في السجن ! - فكثُر الفسادُ في أيام نيابته .

وكان كثير الخير والصدقات ، وقد تقدّم ذكر حجّته وما فعل فيها من أنواع
الخير .

وأجرى الماء من عين إلى بلد الخليل عليه السلام وأنفقَ عليها أربعين ألفَ
دينار . ولمّا فرغ منها وقُدّم له أوراق مصروفها لم يقرأها وغسلها كلّها وقال :
شيءٌ خرجنا عنه الله تعالى لا نحاسب عليه .

وعظّم النفع بهذه العين ، فقد كان بلد الخليل معطّشاً تباع فيه الشربة
بنصف درهم وربّما بلغت إلى درهم ، فوسّع الله على يديه وزال ذلك .

(1) الزيادة من السلوك 102/2 والنجوم 231/9 .

(2) وقتل معه سبعة أمراء « خُيّقوا في ليلة واحدة » ، السلوك 168/2 .

936 - بكتمر السلاح دار الظاهريّ [703 -]⁽¹⁾

... وخرج من القاهرة على عسكر فيه من الأمراء : عزّ الدين طقّاي ، ومبارز الدين أوليا بن قرمان ، وأيدغدي شقير الحسامي ، وثلاثة آلاف فارس ، مدداً للأمير بدر الدين بكتاش الفخريّ أمير سلاح في قتال أهل سيس من الأرمن . فوصل دمشق في سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وتسعين وستائة .

وخرج منها بالعسكر في عشرينه يريد حلب فأقام بها . وأخذ الأمير منكوتمر نائب السلطنة بديار مصر يدبر مع أستاذه الملك المنصور لاجين على قبض أكابر الأمراء بمصر والشام . وبعث حمدان بن صلغاي من مصر على البريد إلى بلاد الشام بسبب ذلك ، وأن يرسل الأمير بكتمر هذا إلى مصر على البريد ، ليفرق شمل الأمراء .

فسار بكتمر من حلب ونزل بلبيس ، وقد عزم الأمير منكوتمر النائب [256 ب] على / قبضه ، فمنعه السلطان من ذلك حتى يرد خبر قبض الأمراء بحلب . وكان بكتمر قد أحسّ بالشرّ ، ووصّى قبل خروجه من حلب ، وأخذ ألف دينار فتصدّق بها طول طريقه . واتفق أنّه لما نزل بلبيس اشتدّ خوفه وكثر قلقه وغلبه الفكر . فقام وصلى ركعتين وسأل الله أن يكفيه ما يخافه وجدّ في الدعاء ، وإذا بالمسيح قد صعد المئذنة على العادة وابتدأ بعد البسملة بقوله تعالى : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ... » الآية (الفتح ، 1) . فتفاعل بذلك وسجد لله شكراً - وكان من المتديّنين المشهورين بالخير .

ثمّ ركب من ساعته وقد طاب خاطره حتى دخل على السلطان ، فبالغ في

(1) الدرر 2 / 16 (1305) ؛ السلوك 1 / 957 ؛ المنهل 3 / 401 (681) .

إكرامه وسأله عن العسكر وما جرى له في غزاته ، وأظهر له أنه ما استدعاه إلا لذلك ، وخلع عليه ، وأمر له بألف دينار إنعاماً ، وردّه إلى حلب .

فشقّ ذلك على منكوتمر وعتب السلطان فقال له : والله ما زلت أريد مسكّه حتى دخل عليّ فغيّر الله ما كان في خاطري منه ، وأستحييتُ منه لمّا له عليّ من الخدمة .

فلم يرضَ منكوتمر ، وما زال به حتى كتب له تقليداً بِنِيَابَةِ طرابلس عوضاً عن الأمير عزّ الدين أيبك الموصلّي بعد وفاته في صفر سنة ثمانٍ وتسعين ، ورُتب أنّه يجهّز طلبه وثقله إليها ، ويحضر بمُقرده على البريد إلى مصر ليُشافِهَه السلطان بأمر مهمّة .

فلَمّا ورد المرسوم بذلك أظهر البشرَ به ، وعلم أنّه قد خُذع ، وأحترز على نفسه ، وثار من حلب هو وفارس الدين ألبكي و[سيف الدين]⁽¹⁾ عزاز إلى حمص ، وعليها الأمير قبجق نائب دمشق ، وتحالفوا . ورحلوا في ليلة الثلاثاء ثامن ربيع الآخر منها ، ومضوا إلى القان محمود غازان . فأكرمهم وأنعم عليهم ، وسار بهم إلى بلاد الشام ، وهزم عساكر مصر في ثامن عشرين ربيع الأول سنة تسع وتسعين ، ووَلّى بكتمر هذا حلب وحماه وحمص وعاد إلى بلاده .

فأقام بكتمر وقبجق وألبكي بدمشق ، ثم ساروا يريدون مصر وقد عادوا إلى الطاعة ، فلقوا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على منزلة الصالحية في عاشر شعبان ، فأكرمهم وعاد بهم إلى قلعة الجبل وأجرى عليهم ما يليق بهم . ثمّ أنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف بديار مصر فلزم الخدمة حتى مات في [. . .] سنة ثلاث وسبعائة .

وكان من أكابر الأمراء وفرسانها وشجعانها ، مشهوراً بالإقدام في الحروب ، حسنَ الشكل ، قوياً إلى الغاية ، يرمي على ستّة وخمسين رطلاً

(1) الزيادة من السلوك 1/ 854 .

بالدمشقيّ ، مع خفّة روح وبشاشة وجه ومحبة في الطرب ورغبة في السماع والرقص ومعاماة الظرف ، ولبس الكامليات والتبسّط في المطاعم الفاخرة ، وكثرة الإكرام والإحسان ، بحيث إنّه وشي إليه بكتابته شرف الدين المعروف بكتاب النظرون أنّه يُفسد ممالكه بشرب الخمر وسعة العطاء ، وإنّه أخذ مركباً فيها ستائة إردبّ قحاً عند وصلها من بلاد الصعيد إلى الشونة ، وباعها وأخذ ثمنها لنفسه . فاستدعاه وأحضر من حاققه على ذلك . فلم يزد الكاتب على أن نظر إليه طويلاً وتبسّم ، وقال : يا متعوس ، والله لقد رافعت وحش . ويليكَ ! أحد يسرق ستائة إردبّ ويوسخ عرضه ! ليتك قلت : ألف إردبّ أو ألفين - وولّى قفاه وانصرف وهو يضحك ، والأمير أيضاً يضحك . فقليل له : إيش قال الكاتب حتى تركته ؟

قال : بلغني أنّه رجل كريم معطاء لا يُبقي على شيء . فإن كان ما نُقل عنه صحيحاً فقد أثلّفه وأكل به وشرب ، وذهب ولم يبق معه شيء ، فلا نحصل منه إلّا على شناعة نقيمتها على أنفسنا .

ولمّا انسحب إلى دمشق لم يخدم هذا الكاتب بعده أحداً حتى عاد . فشكر له ذلك . وأقام سنة يتناول ما رُتب باسمه على الخوايج خاناه السلطانية من اللحم والكماج ⁽¹⁾ والسكر والتوابل ونحو ذلك من غير أن يطلع الأمير عليه ، [257 أ] ويستهلكه في ملاذّه إلى / أن حضر الأمير يوماً عند الأمير سلّار نائب السلطنة ، وقد حضر الأمير بيبرس الجاشنكير الأستاذ والأمرء لأكل طعامه . فأخذ يعتبهم ويقول : إي والله يا أمرء ، أتم تشبعوا اللحم ونحن نشتره وما نشبع منه ! فأنكر الأمرء لهذا إنكاراً عظيماً وشقّ عليهم سماعه . وقال له الأمير بيبرس : لم تقول هذا يا أمير ؟ إن كان راتبك ما يكفي نزيده .

فقال : ومن له عندكم راتب ؟ من يوم حضرت ما رأيت راتباً ولا غيره .

(1) الكماج : الحبز الأبيض أو الدقيق الرطب (دوزي) .

فظنَّ بيرس أنَّ راتبه لم يصل إليه وخجل . فلمَّا آنفَضُوا من عند النائب
أستدعى ديوان البيوت وهمَّ أن يُوقِعَ بهم . فعرفوه أنَّ الراتبَ مصروف باسمه إلى
آخر يومه على يد كاتبه ما بين لحم وتوابل وجرايات وعليق . وكتبوا ذلك في
قائمة ، وبعثها إليه .

وكان بكتمر لمَّا وصل إلى بيته طلب كاتبه وذكر له ما وقع . فبتسم وقال :
والله يا خوند لقد أحجلتهم . - ووقف قدَّامه قليلاً وخرج ، فإذا بنقيب معه ورقة
بقبض الراتب قد بعثها الأمير بيرس ، فأخذها منه وعاد إلى بكتمر وقال له : قد
أثر كلامك يا خوند عندهم وبعث الأمير بيرس يطلبني .

فقال : اذهب إليه . وإن ذكر لك شيئاً ، أعترِ عني بأنني لم أقل ما قلتُ
إلاَّ مزحاً .

فأراه أنَّه متوجَّه إليه وغاب قليلاً ، وعاد وهو يقول : يا خوند ، لا تسأل
ما جرى عليهم بسبب ذلك : طلبوا ديوان الخواص خاناه وقصدوا ضربهم ثمَّ
مُصادرتهم كيف لم يذكروا الأمير بأمر الرواتب ؟ فما زلت حتى خلصتهم ، وقال
لي الأمير بيرس والأمير سلار وبقية الأمراء : يا شرف الدين ، ما نعرف سرَّ هذه
القضية إلاَّ منك ، فقد خجلنا من الأمير - وحلفوا ما عندهم من هذا الأمر
خبر . فالتزمتُ لهم أنني أعرف الأمير أن هذا الراتب وصل إليَّ وأنني كنت
أتناوله ، وأبرئ الأمراء من عتبه .

فمَشَى هذا على بكتمر وأعجبه منه هذا القول .

فلم يكن غير قليل حتى أعلمه خواصه الحال بنصه وأغروه بالكاتب . فلم
يغضبه ذلك وقال [لـ]مَن أغراه : واللك يا نحس ! أنا ما عرفت أنَّه كان يأخذ
الراتب لنفسه ! ومن أين كان هذا المسكين ينفق مدَّة غيبتنا في البلاد ؟ ولا بدَّ أن
يكون قد أستدان بالألوف فوقاه من الراتب .

فعُدَّ هذا من نادر كلام الأخلاق ، رحمه الله .

937 - بكتمر العلاني [745 -]⁽¹⁾

بكتمر العلاني . الأمير سيف الدين . أحد المماليك المنصورية قلاوون .
تنقل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . وولي أستاذار الملك الناصر
محمد بن قلاوون مدة . وجرده إلى اليمن صحبة الأمير بيبرس .
فلما قدم أخرجه إلى دمشق . ثم بعد مدة ولّاه نيابة حمص . ثم نقله إلى
غزة ، ثم أعاده إلى نيابة حمص . وبها مات في سنة خمس وأربعين وسبعمائة .
وكان مهاباً كثير المال . وهو أخو الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح .

938 - بكتمر الحاجب [728 -]⁽²⁾

بكتمر الحاجب . الأمير جمال الدين الحسامي .
كان من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرنتاي النائب . فترقى في الخدم
إلى أن أنعم عليه المنصور لاجين بإمرة عشرة . ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه في
نصف ربيع الآخر سنة ست وتسعين وستمائة بعد وفاة بلبان الفاخري نقيب
الجيش .

ثم عمله أمير أخور في سنة سبع وتسعين [وستمائة] . فباشر ذلك إلى سنة
إحدى وسبعمائة . فقتل على الأميرين بيبرس وسلار من أجل أنه أكثر الكلام مع
الملك الناصر محمد بن قلاوون - وكان حينئذ محجوراً عليه ، وقصد الأميرين أن
لا يتعرف به أحد - وصرفاه . فأقام بطالاً مدة ، إلى أن مات مغلطي التقوي

(1) السلوك ، 2 / 675 .

(2) الوافي 10 / 190 (4676) ؛ الدرر 2 / 17 (1306) ؛ المنهل 3 / 386 (677) ؛
النجوم 9 / 277 ؛ تذكرة النبيه 2 / 183 ؛ السلوك 2 / 314 .

بدمشق⁽¹⁾ ، فأنعم عليه بإمرته وأخرج من القاهرة ، وعُمل عوضه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحى . فاستقرّ / حاجباً بدمشق إلى أن أفرج عن الأمير سيف [257 ب] الدين بهادر الكجّمى الظاهريّ⁽²⁾ . وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران شاذّ الدواين ، واستقرّ حاجباً بها عوضاً عن بكتمر ، ونقل بكتمر من الحجويّة إلى شدّ الدواوين في سنة خمس وسبعائة ، فباشر الشدّ إلى ثامن عشرين ذي الحجة سنة ست . ثمّ نقل منه إلى الحجويّة ووليّ الشدّ عوضه آقوش الرستميّ والي الولاية .

فلم يزل إلى أن تسلطن الملك المظفر بيبرس ، وتحرك الملك الناصر من الكرك إلى دمشق ، فدخل بكتمر في طاعته وسار معه إلى مصر .
فولاه السلطان نيابة غزّة في سابع عشرين المحرم سنة عشر وسبعائة وتوجّه إليها .

ثمّ صُرف عنها بطقلمتريّ سابع عشرين [. . .]⁽³⁾ ، وقدم القاهرة فولي الوزارة عن صاحب فخر الدين عمر بن الخليليّ في [11 رمضان 710]⁽⁴⁾ .
ثمّ صرف بأمين الملك عبد الله بن الغنّام في سادس ربيع الآخر سنة إحدى عشرة [وسبعائة] وعمل حاجباً .

ثمّ قبض عليه في أول يوم من ربيع الأول سنة خمس عشرة وسُجن وأُخذ له عشرون ألف دينار وخمسمائة ألف درهم وغلّال وقيود وغيرها ، تتمّة مائة ألف دينار .

فلم يزل في الاعتقال وهو مُكرّم إلى أن أفرج عنه في يوم الخميس ثالث عشر

(1) السلوك 1 / 923 .

(2) السلوك 2 / 17 .

(3) لم يذكر المقرئيّ الشهر في السلوك أيضاً ج 2 / 89 .

(4) الإكمال من السلوك 2 / 89 .

شّوَال سنة ستّ عشرة ، فكانت مدّة سَجْنِه تسعة عشر شهراً وأيّاماً .

فأنعم عليه بِنِياة صَفْد عوضاً عن بلبان البدرى ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم . فسار إليها وأقام بها إلى أن صُرف بطغاي الحساميّ الكبير . فقدم إلى القاهرة في سادس عشر صفر سنة ثمانى عشرة ، وأنعم عليه بتقدمة ألف ، وجلس مع أمراء المشورة ، حتى مات في يوم [الأربعاء حادي عشرين ربيع الآخر] سنة تسع⁽¹⁾ وعشرين وسبعائة .

939 - بكتُمُر الساقى [733 -]⁽²⁾

بكتُمُر الساقى ، الأمير سيف الدين المظفرى ، أحد ممالك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

ربّاه صغيراً وعُرف عنده بمَمْلوك قزمان . ثم أنعم عليه بإمرة في أوّل يوم من شهر رمضان سنة تسع وسبعائة في جملة من أنعم عليه[م] ، وهم سبعة وعشرون أميراً ، ولبسوا الخلع جميعاً ، وشقّوا القاهرة على العادة التي كانت إذ ذاك ، فسخر العامة بهم وقالوا : يا فرحة لا تمّت ! - وذلك أنّ المظفر كانت أحوال دولته قد آختلت بقوة الملك الناصر محمد بن قلاوون وتحركه من الكرك لارتجاع ملكه .

وكان كذلك ، وفرّ المظفر في سادس عشره وبعث بمنّ معه من الممالك . فاخصّ السلطان منهم بكتُمُر هذا في جماعة ، وأثبت عند القاضي أنّ سائر ممالك سلّار وبيبرس اشتروا من بيت المال . فلمّا ثبت ذلك أعتق بكتُمُر فيمن أعتق ، وجعله ساقياً .

(1) في المخطوط : ثمان . والإصلاح من السلوك 2 / 314 والنجوم 9 / 277 .

(2) الوافي 10 / 193 (4677) ؛ الدرر 2 / 19 (1308) ؛ النهل 3 / 390 (678) ؛

بدائع الزهور 1 / 464 ؛ تذكرة النبيه 2 / 235 ؛ السلوك 2 / 364 ؛ النجوم 9 / 300 .

وكان غريباً في بيت السلطان ليس له خشداشيّة ، فكان هو وحده ، وسائر الحاصّكيّة حزباً عليه .

وعظمت مكانته عند السلطان وزادت محبّته له ، وأكثر من الإنعام عليه ، وبالغ في تربيته ورفعته قدره . وقدمت عليه أمّه في سنة ستّ عشرة [وسبعائة] فبالغ السلطان في إكرامها والإنعام إليها ، وكتب إلى الأمير حوبان وخوaja علي شاه وحكّام دولة بو سعيد ملك العراقين بتجهيز بقيّة أهل بكتمر ، وكتب أسماءهم وأماكنهم .

وأقبل السلطان بكتيته عليه ، وشغلّه حبّه له عن غيره من الحاصّكيّة حتى إنّه وعك جسمه مرّة فرّضه بنفسه ، وصار لا يفارقه ساعة واحدة ، ويسقيه الشراب ونحوه من الأدوية بيده ، ويجلسه معه على الكرسيّ . وإذا قام للضرورة أمره أن يستمرّ جالساً فوق كرسيّ المملكة ولا يتزلّ عنه حتى يعود .

ولمّا مات طغاي الكبير ، وكان الأمير تنكرز نائب الشام متّمياً إليه ، قال السلطان لتنكرز : خلّ بكتمر يكون أخاك عوض طغاي واكتب إليه بما يريد .

ولمّا استحقّ ولده الختانة عمل له السلطان مهماً عظيماً ، وختن معه عدّة

من أولاد الأمراء في سنة ثنتي وعشرين ، وأقامت الأفراح أربعة / أيام . فبلغ ما [258 أ] رماه الأمراء في طشت ابن بكتمر الذي ختن فيه أربعة آلاف وأربعائة دينار وعشرين ديناراً ، وما وقع في طشت ابن الأمير طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار تنيف قليلاً ، وفي طشت [ابن] الأمير منكلي بغا الفخريّ نحو الألفين وثمانمائة دينار . وأخذ ذلك جميعه الذي ختنهم .

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع وعشرين عقد الأمير أحمد ابن بكتمر السّاقى على قطلوملك ابنة الأمير تنكرز نائب الشام ، بإشارة السلطان ، وعمل لها مهماً مدّة سبعة أيام ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الضأن ، ومائة بقرة ، وخمسون فرساً . وناب المغاني عشرة آلاف دينار . وخلع على جميع

أرباب الوظائف ، وعلى نائب الشام ، قام بذلك كله السلطان ⁽¹⁾ .

ثم توجه بكتمر في ركاب السلطان إلى الحجاز في خامس عشر من شوال سنة اثنتين وثلاثين . فبلغ السلطان عنه أثناء طريقه أنه قد وافق جماعة من المالك السلطانية على قتله وأخذه الملك لنفسه . فهم بالعود إلى مصر وقد تزايد قلقه . ثم مضى وهو في غاية القلق حتى نزل خُلَيْص ⁽²⁾ [ف]فر نحو ثلاثين مملوكاً إلى جهة العراق ، فكثر توهمه من بكتمر وأخذ يداه ويلطف بملازمته حتى لم يجد بكتمر فراغاً من السلطان أن يجتمع بأهله : فإنه كان إذا ركب أخذه بجانبه في مدة سيره ، فإذا نزل جلس معه ولا يدعه لحظة واحدة ، حتى إن الأمير جنكلي ابن البابا بعث بآبته ناصر الدين محمد إلى الأمير بكتمر في حاجة عنت له ، فأقام نحو عشرة أيام يتردد إلى مخيمه وهو لا يجده ، ثم آخر أمره وجدّه وقد خرج من عند السلطان فسلم عليه وأخذ يحادثه ، فقال له : دعني حتى أقضي شغلاً ، وأسمع حديثك - ثم دخل الخلاء في خيمة وخرج ليجلس ، وإذا بجمدار بعث به السلطان في طلبه فأخذ يتوضأ والجمدارية تتوالى عليه ، فلم يفرغ من وضوءه حتى صار عنده اثنا عشر جمداراً ما منهم إلا أن يستعجله ، فقام يمشي وهو يقول : اللهم ، أرحني بالموت حتى أستريح ممّا أنا فيه ! - ولم يتسع له وقت لسماع كلام ابن البابا حتى دخل على السلطان .

فلما انقضى موسم الحج وعاد السلطان من مكة ونزل المدينة النبوية ، هبت في الليل ريح عاصفة أظلم منها الجو وأتلفت ⁽³⁾ جميع الخيم ، وكثر أنزعاج الناس واختبطوا ، وصار كل أحد لا يهتدي إلى خيمته ويهجم على موضع غير موضعه لشدة الظلمة وقوة الرياح . واجتمع المالك والأمراء حول دهليز السلطان وقد

(1) يبدو أن عقد ابن بكتمر وافق بناء قوصون بينت السلطان ، والحفل واحد ، السلوك

. 289 / 2

(2) خلوص : بين مكة والمدينة .

(3) في المخطوط : وألف .

أشدَّ خوفه أن يُغتال في تلك الليلة . وأتفق مع ذلك هجوم جماعة على أمير أحمد
أبن بكتمر تريد قتله - فأتهم السلطان بأنه نديهم لذلك - فلم يتمكنوا منه ،
ورعب منهم وعُشي عليه .

ثم وقع الرحيل من المدينة ، وبكتمر على عادته مسير السلطان بجانبه ،
حتى وصلا بئر علي . [ف]وجد أحمد بن بكتمر في نفسه ألماً تزايد به إلى أن
مات بوادي عترة . ثم مات بعده أبوه بكتمر بثلاثة أيام . فأتهم السلطان أنه
سمَّها . فحملاً ودُفنا بعيون القصب ⁽¹⁾ . وكان يوماً مهولاً ، خرجت فيه أمّ ولد
بكتمر بسببه ⁽²⁾ وصاحت على السلطان بأعلى صوتها : يا ظالم ، أين تروح من
الله ؟ ولدي وزوجي ! زوجي كان مملوكك ، ولدي ، إيش كان بينك وبينه ؟ -
وكررت ذلك حتى سمعها الأمراء ، وهو معرض عنها . وذلك في يوم [الجمعة
عاشر المحرم سنة 733] ⁽³⁾ . ثم نُقلا حتى دُفنا بترية بكتمر من القرافة ، وعُمل
اجتماع بها مدة سبع ليالٍ يُقرأ فيها القرآن ، واحتفلت زوجته فيها احتفالاً زائداً
وتصدّقت بمبلغ ثلاثين ألف درهم . فرأى الشيخ زادة ، شيخ خانكاه بكتمر في
منامه آخر هذه الليالي السبع كأن بكتمر السّاقى على عادته في مكانه الذي كان
يجلس فيه إذا جاء لزيارته ، وعلى يمينه ابنه أحمد ، وهو يقول له : يا شيخ ،
كنت في مكان موحش ، فسألت الله تعالى أن يخلّصني منه حتى أحيى وأصلي
معكم وتدعو لي .

وكان بكتمر قد حظي عند / السلطان حظوة ما نالها أحدٌ غيره ، وعظم [258 ب]
شأنه ، وصار هو الدولة لا يكاد السلطان يفارقه ، إمّا أن يكون بكتمر عنده ،
أو يكون هو في بيت بكتمر . وأكثر أكله في بيت بكتمر ممّا تطبخه له أمّ أحمد

(1) عيون القصب بين العقبة والمويلح على مقربة من ساحل البحر الأحمر و 80 ميلاً من
المويلح ؛ النجوم 9/ 105 هامش 2 .

(2) قراءة ظنيّة .

(3) الإكمال من السلوك 2/ 364 والنجوم 9/ 105 .

أَبْنُ بَكْتَمُرٍ فِي قِدْرِ فَضَّةٍ ، وَينام عندهم حتى ظنَّ جماعة أن أحمدَ ابنَ السلطان ، ممّا يحبّه ويقبّله ويحمّله . فشهر ذكر بكتمر بحيث كان لا يهدى إلى السلطان شيء إلا ويُهدى لبكتمر مثله ، وغالب ما يحمل إلى السلطان يكون لبكتمر فعظمت أمواله .

وكان يجمع خصالاً حميدة ، ولم يعارض السلطان في أمرٍ من الأمور ، وإذا أراد منه أمراً تلطّف فيه حتى يقضيه له . وكان السلطان يرجع إلى رأيه ويميل حيث مال .

وكان يلاطف الأمراء ويكثر من الإنعام عليهم وعلى من دونهم حتى ملك حاشية السلطان بإحسانه إليهم . وبلغ من السعادة مبلغاً لم يحصل لأحدٍ من أقرانه ، وحملت إليه أمّه وإخوته وكثيرٌ من أهله من بلاد الشرق فشملوا بنعمته . وأتفق أن السلطان في حجّته هذه احتاج إلى مال ليفرّقه على الأمراء ، فحمل إليه بكتمر أربعين ألفَ دينار قرضاً . وكان مع السلطان في هذه السفرة ثلاثة آلاف ومائة عليقة في كلّ يوم ، وكان مع بكتمر ثلاثة آلاف عليقة . وبلغت خيلُه مائة طوالة ، كل طوالة ستّة أرؤس - سوى ما له من الجشارات⁽¹⁾ - بمائة سائس ومائة سطل . وكانت عليقة خيله في كلّ يوم الفـ[ـ] ومائة عليقة .

ووجد له بعد موته ستّة وثلاثون ألفَ إردبٍ غلّة ، وحواصل سلاح وغيره ، بما ينيف على مائة ألف دينار . وبيعت خيلُه بعدما أخذ السلطان منها أربعين فرساً بألني ألفٍ وماتني ألفٍ وثمانين ألفَ درهم ، سوى ما في الجشارات ، وسوى ما نهبه الخاصّة وأخذوه بتمنٍ بنحس . ووجد له سرجٌ واحد وسيف واحد قيمتهما ستّائة ألف أخذها السلطان .

(1) الجشارات : الخيل المستة .

وأخذ له ثلاث^[ة] صناديق فيها الجواهر لا يدري ما قيمتها . وأبيع له من سائر الأصناف مدة أشهر ما بلغ مالاً عظيماً . وخصّ موسى صيرفة ممّا تقا^[ضى] مباشرو ديوانه بعد موته خمسة وعشرون ألف دينار . فانظروا إلى مال يسرق منه الصيرفي هذا القدر ما يكون جملته ؟

وكان بكثر فيه من الحشمة والرئاسة ورصانة العقل والسكون ما لا يوجد في أحد من أمثاله . وكان مع هذه المنزلة العالية ليست له حماية ولا رعاية ، ولا لعلّاه ذكر ، بل يُغلق باب اسطبله من المغرب ولا يكاد يوجد به لأحد حسّ . وعمر القصر الجليل على بركة الفيل ، فبلغت نفقة الصنّاع فيه كلّ يوم ألفاً وخمسمائة درهم ، سوى العجل التي تجرّ الحجارة ، فإنها كانت من عند السلطان ، وسوى الحجّارين والفعلّة ، فإن الحجّارين من عمائر السلطان ، والفعلّة هم المقيّدون من أرباب السجون ، ويبلغ مصروف هذا نحو الألف وخمسمائة أيضاً ، وأقامت العمارة فيه نحو سنة .

وكان قريباً من الناس يتلطّف بهم ويسوسهم أحسن سياسة . ومن دخل في أمره قضى شغله على أكمل الوجوه . وكان السلطان لا يخالفه في شيء ، وإذا أنعم على أحد بوظيفة أو إمرة يقول له : رُح إلى الأمير بكثر قبل يده ! وكان يمنع السلطان من مظالم كثيرة ظهرت منه بعد موته .

وخرج ، في حجّته التي مات فيها ، ساقّة الناس بتجمل زائد وحشمة وافرة ، فكان ثقله وحاله نظير ما للسلطان ، وتزيد عليه الزركش والآلات الذهب . ووجد في خزانته التي حملها معه ، بعد موته ، خمسمائة تشريف ، منها ما هو أطلس بطرز زركش وحوائص وكلونات ذهب .

ولمّا زوّج أبنته من آتوك ابن السلطان حمل شوورها من قصره المطلّ على بركة الفيل إلى قلعة الجبل نهراً ، وكان شيئاً خارجاً عن الحدّ في الكثرة ، من جملته / زركش ومصاغ زنة ثمانين قنطاراً من ذهب .

وكان من جملة مرتبة على السلطان في كلّ يوم مخفّيتان تُحمّل إليه بمنّهما⁽¹⁾ سبعمائة درهم حساباً ، عن كلّ مخفّية ثلاثمائة وخمسون درهماً .

940 - بكتوت العلانيّ [693 -]⁽²⁾

بكتوت العلانيّ ، الأمير بدر الدين . أرّجعه الملك المنصور قلاوون بعد موت الأمير علاء الدين [...] الأستاذار فرقاه حتى صار من أكابر أمراء دولته . فلمّا أنهزم سنقر الأشقر عن دمشق ولّاه الملك المنصور قلاوون نيابة دمشق ، وكان بها الأمير علم الدين سنجر مقدّم العساكر المصريّة . فلزم الأدب مع سنجر المذكور ، ولم يعارضه في منع ولا عطاء ولا عزل ولا ولاية ، إلى أن صرف في حادي عشر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين وستّائة بالأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصوريّ ، وأسقّر شادّ الدواوين بدمشق .

ثمّ صرف في شهر رجب سنة ثمانين بأيديكين الفخريّ . وقدم مصر وأسقّر من أمرائها . وخدم الملك الأشرف خليل . وصار الأمراء إذا خرجوا من خدمة السلطان إلى خدمة ولده المنصور عليّ وأكلوا طعامه ، أنفرد عنهم فلم يرجع . فلمّا ملك الأشرف بعد أبيه قرّبه وزاد في رتبته ، إلى أن مات في سنة ثلاث وتسعين وستّائة ، وأنهم الأمير كتبغا نائب السلطنة بأنّه سمّه خوفاً منه . وكان قد قام مع كتبغا على سنجر الشجاعى وصار يجلس فوق الأمراء .

وأصابه مرض في رجله فكان يصعد إلى القلعة راكباً ويتزل على باب دار النيابة . وكان مهاباً له حرمة وصوله ويركب في موكب عظيم .

(1) قراءة ظنيّة .

(2) الوافي 10 / 200 (4680) ؛ النهل 3 / 411 (687) ؛ والترجمة مكرّرة باختصار شديد بعد الترجمة القادمة .

941 - بكتوت الخزندار [680 -]⁽¹⁾

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر . آستشهد في واقعة التتار على حمص في رابع عشر رجب سنة ثمانين وستائة .

942 - بكتوت الأزرق [696 -]

بكتوت الأزرق ، الأمير بدر الدين .

ترقى في خدمة الملك العادل كتبغا وهو أمير ، إلى أن تسلطن ، فأعطاه إمرة ، وأمر معه بتخاص وجعله أستاذار ، واغزلو ، وقطلوبك ، وكلهم مماليكه ، في يوم الأحد ، وهو رابع عشرين المحرم سنة أربع وتسعين وستائة . وقتل يوم خلع العادل كتبغا على العوجاء في ثامن عشرين المحرم سنة ست وتسعين وستائة .

943 - بكتوت الفارسي [694 -]

بكتوت الفارسي الأتابكي ، الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر . مات في شهر رجب سنة أربع وتسعين وستائة بالقاهرة .

944 - بكتوت الفتاح [710 -]⁽²⁾

بكتوت الفتاح ، الأمير بدر الدين ، أحد المماليك البرجية من مماليك المنصور قلاوون .

(1) السلوك ، 696/1 .

(2) الدرر ، 23/2 (1318) .

ترقى في الخدم إلى أن أنعم عليه بإمرة عند عودة الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة مرة ثانية في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة .
ثم عمل أمير جاندار بعد نفي بكتمر الجوكندار في نصف المحرم سنة سبع وسبعمائة .

فلما تسلطن بيبرس الجاشنكير اختصّ به إلى أن قرّ في سادس عشر رمضان سنة تسع وسبعمائة [فـ]خرج معه إلى إطفيح وسار إلى إخميم . ثم تركه وعاد إلى القاهرة ، وقد استقرّ الملك الناصر بالقلعة ، فأكرمه وخلع عليه .

ثم قبضه بعد قليل وعمل بيبرس الأحمديّ أمير جاندار عوضه ، وبعث الفتاح وسجنه بالإسكندرية إلى أن مات جوعاً وعطشاً في [. . .] سنة عشر وسبعمائة بعدما أقام أحد عشر يوماً لا يأكل ولا يشرب .

وأتفق في الليلة التي مات فيها [أنه] شوهدت طيورٌ بيض حائمة على [259 ب] مكانه . فلما / دُفن أقامت تلك الطيور تعتاد قبره أياماً .

وكان شجاعاً كريماً خيراً ، له مال كثير ومهابة زائدة ، وملك عدّة ممالك كثيرة .

وقال فيه :

يا أيها الفتاح قد غلقت في وجهك أبواب سكير الجحيم
هذا جزاء كلّ جبان أبى لومت بالسيف موت الكريم⁽¹⁾

(1) لم نهند الى قراءة صالحة لهذين البيتين .

بكتوت القرماني ، الأمير بدر الدين .

ترقى في الخدم إلى أن ولي شدّ الدواوين بدمشق ، عوضاً عن طوغان نائب البيرة في ثاني شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبعائة . وسار مع الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي المعروف بنائب الكرك من القاهرة في أخريات ذي الحجة ، وعلى يده مسموح بما قرره كراي نائب الشام . فقدم دمشق في رابع عشرة . وأستقرّ إلى أن عزل بفخر الدين إياز الشمسي في أوائل سنة ثلاث عشرة ، ونُقل إلى نيابة الرحبة عوضاً عن بدر الدين [موسى]⁽²⁾ الأزكشي .

ثم نُقل إلى نيابة حمص بعد أرقطاي في سنة ثماني عشرة . وعزل في صفر سنة تسع عشرة بالأمير بهادر البديّ ، ونُقل إلى إمرة بدمشق . فبعثه الأمير تنكرز نائب الشام إلى سيس في سنة أربع وعشرين لإحضار حملها فأحضر . ثم أراد أن يتوجّه إليه في سنة ستّ وعشرين فأمتنع عليه . فأخذ سيفه وسجنه بالمدرسة العنزاوية ، وكتب بذلك إلى السلطان . فأجابه بأن يحمله إلى قلعة دمشق مقيداً ويسجنه بها ، ويُنعم بإمرته على الأمير شهاب الدين قرطاي الصلاحي نائب طرابلس . فسُجن بها قليلاً .

ثم أخرج مقيداً ونكل به وحُمِل على البريد مقيداً إلى القاهرة ، وسُفر إلى الإسكندرية هو والأمير [بكتمر] الأوبكريّ ، وسنجر الجاولي فسُجنوا بها⁽³⁾ .

ثم أفرج عن بكتوت بعد سبع سنين وأشهر في صفر سنة أربع وثلاثين ،

(1) النجوم 237/10 ، وهو فيها : سيف الدين - وبدر الدين في السلوك 793/2 .

(2) الزيادة من السلوك 123/2 .

(3) في شعبان 726 ؛ السلوك 274/2 ، ولم يسمّ البوبكريّ . وقد مرّت ترجمة بكتمر البوبكري برقم 934 .

وخُلِعَ عليه وصار من جملة أمراء الطبلخانا ، ورسم بجلوسه في مجلس الملك الناصر محمد ، هو وأمير غانم ، والأمير طقصبا الظاهري ، وأن يحضروا في المشورة ، وهم أمراء طبلخانا .

ولم يزل على ذلك حتى مات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة . وهو من جملة الممالك المنصورية قلاوون ، وأحد البرجية ، ومن جملة المائة مملوك الذين أخرجهم الملك المنصور قلاوون لابنه الصالح عليّ لمّا سلطنه . فلما مات الصّالح ارتجعوا إلى البرج ، فلما كانت دولة البرجية تقدّم فيمن تقدّم منهم ، إلى أن أنتقضت دولة المظفر بيبرس [ف]أخرج شاذّ الدواوين بدمشق . وحدثت له في ظهره حذبة وهو مسجون انحنى ظهره منها . وكان مع كثرة ماله وعظيم سعادته لا يزال يطلب الكنوز والمطالب ، ويعاني علم الكيمياء ، حتى وهو في السجن . وعمرّ عدّة خرائب . وكان شجاعاً فارساً ، من أجل ممالك الأبراج .

946 - بكتوت الأقرعي ، الأمير بدر الدين [694 -]⁽¹⁾

ولي شدّ الدواوين بدمشق في أيام الظاهر بيبرس . وعُزِلَ في أيام السعيد بركة . وولي شدّ الصحبة في أيام المنصور قلاوون . وكان ظالماً جباراً لا يقبل رشوة . توفي سنة أربع وتسعين وستمائة . ورثاه العلاء الدواعي⁽²⁾ .

(1) الوافي 10 / 200 (4681) ؛ المنهل 3 / 411 (686) .

(2) نقل الصفدي 10 / 201 بيتين للدواعي في رثائه .

947 - بكتوت الممّديّ ، الأمير بدر الدين [686 -]⁽¹⁾

شدا شيئاً من النحو على الأثير أبي حيّان . وقال الشعر ، فمنه [بحث] :

من	لي	بظبي	غريّر	باللحظ	يسبي	المالك
إذا	تبدّى	بليل	جلّى	سنه	الحوالك	
من	حور	رضوان	أبهى	لكته	نجل	مالك

948 - بكتوت الخزنداريّ [711 -]⁽²⁾

بكتوت الخزنداريّ ، الأمير بدر الدين ، أمير شكار ، متولّي الإسكندرية ، أحد ممالك الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائب السلطنة في الأيام الظاهرية بيبرس .

ترقى في الخدم إلى أن عمله الملك العادل كتباً أمير شكار وكبره . ثمّ ولي الإسكندرية وعظمت مكانته عند الأميرين بيبرس وسلار أيام تحكّمها .

فلما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى / الملك حقد عليه أنّه كتب إلى [260 أ] المظفر بيبرس لما اضطربت دولته أن يلحق به ليسيّر معه إلى برقة . وشره مع ذلك في كثرة ماله . وترى به الدوائر إلى أن استأذنه في الحضور فأذن له ، وظنّ أنّه يقبض عليه عند حضوره . فلما قدم شكّا إلى السلطان جفاف ماء خليج الإسكندرية سريعاً ، وأشار بحفره ، والتزم بعمل ذلك من ماله . فأجابه

(1) الوافي 10 / 201 (4682) ؛ المنهل 3 / 412 (688) ؛ وفي الدليل الشافي 1 / 196

(687) أنّه توفّي سنة 686 .

(2) الدرر 2 / 22 (1216) .

السلطان لهذا وتقدّم إلى جميع الأمراء بالعمل معه فيه ، وكتب إلى ولاية الأعمال بمُساعدته ⁽¹⁾ .

فسار للعمل في شهر رجب سنة عشر وسبعمائة . ولم تَمُضْ إلّا نحو العشرين يوماً حتى اجتمع من رجال النواحي نحو أربعين ألف رجل ، وحضر مباشرة الأمراء ، ووقف مع بكتوت مع العمل الأمير بدر الدين محمد كيدغدي ابن الوزير وجميع الولاة حتى كَمُلَ : فكان قياسه من فم البحر إلى شنيار ثمانية آلاف قصبة ، ومثلها إلى الإسكندرية . وكان الخليج في الأصل من حدّ شنيار يدخل الماء إليه ، فجعل فم هذا البحر يرمي إليه وجعل عمقه ستّ قصبات في عرض ثماني قصبات . فلمّا وصل إلى حدّ الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجدّ فصار شيئاً واحداً ، وركّب عليه السدود والقناطر . ووجد في الخليج صهاريج فيها رصاص كثير جداً ، أنعم السلطان به عليه ، فجاء في غاية الحسن . وأنشئ عليه بلد عُرفت بالناصرية ، وأنشئ عليه فوق المائة ألف فدان ونحو ستائة ساقية وأربعين ضيعة . وسارت فيه مراكب التجار واستمرّ الماء فيه دائماً ، واستجدّ بالإسكندرية عليه نحو الألف غيط وعمرت منه بلاد كثيرة ، انتقل إليها عالم كثير بعدما كانت سباخاً . ثم أنشأ أيضاً جسراً : فإنّ بحر المالح كان إذا هاج تعذّر سلوك المسافرين إلّا بمشقة وخطر ، وصار هناك بحيرة عظيمة . فأقام ثلاثة أشهر يعمل رصيفاً مبنياً بالحجارة والجير ، وأحكم أساسه بالرصاص ، وركّب عليه نحو الثلاثين قنطرة ، وأنشأ بجانبه خاناً ، وأقام به خفراء وسوقاً يبيعون المأكّل ونحوها ، ووقف عليه أرضاً تقوم بمصالحه . فجاء مصروف هذا الجسر نحو الستين ألف دينار ، قام بها من ماله .

وكان خواصّه يلومونه على كثرة المصروف فيقول : دعه يذهب في وجهه تُوجَر عليه ، ويكون لي ذخيرة في الآخرة .

(1) عرض المقرئ لهذه الأشغال الكبيرة في السلوك أيضاً 2/ 111 .

فلما فرغ منه رافعه صهره إلى السلطان وأغراه بكثرة أمواله ، فاستدعاه . فما هو إلا أن توجه من الإسكندرية [حتى] مرض . وقدم القاهرة مريضاً . فاستدعى السلطان أمينَ الملك عبد الله بن الغنّام - وكان يومئذ يلي استيفاء الدولة . وكتب أوراقاً تتضمن ما قاله صهر بكتوت من المرافعة ، فبلغت أربعمئة ألف دينار عيناً ، وبعث بها إليه مع الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار وابن الغنّام . فلما قرئت عليه قال : قبلاً الأرض بين يدي مولانا السلطان وعرفاه عن مملوكه أنّه : [إن] كان راضياً عنه ، فكلّ ما كتب في هذه الأوراق كذب . وإن كان غير راضٍ فكلّ ما كتب صحيح . وها أنا قد قربت من الموت ، وكلّ ما لي فهو المتصرّف [فيه] وسنجتمع عند الله .

فمات في مرضه هذا في ثامن عشرين رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة . وكان من الأمراء الأعيان الشجعان أرباب المروءات والعصبيّات والمكارم الكثيرة والذكاء . وخلف مالا عظيماً احتوى السلطان عليه . وأنشأ خارج باب زويلة من القاهرة مسجداً ، ووقف أوقافاً متعدّدة على أنواع البرّ .

949 - بلال المغيبيّ [699 -]⁽¹⁾

بلال المغيبيّ الجلاليّ ، الأمير ، الطواشي حسام الدين ، أبو المناقب الحبشيّ ، الجمدار الصالحيّ ، أحد خدّام الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعُرف بالمغيبيّ لأنّه كان في خدمة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل محمد ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب . وكان حاله السّواد تامّ الشكل .

(1) الوافي 10/ 280 (4781) ؛ السلوك 1/ 905 .

[260 ب] حَدَّثَ بدمشق / ومصر عن ابن رواج وغيره . وما زال محترماً في الدول .

ورثه الملك المنصور قلاوون لالا لأبيه الملك الصالح عليّ وقال له : هذا ولدك ،
رثيه - فقام بتريته بحيث لا يركب ولا يدخل إليه أحدٌ إلا بمشورته .

وكان يجلس فوق الأمراء كلّهم مثل ييسريّ وسنقر الأشقر . وإذا رآه
قلاوون [قال :] رحم الله أستاذنا - يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب - ثم
يقول : كنت أسبل شرموزة هذا المقدم حسام الدين حتى يخرج أقدمها له .

وكان الأمير طرطاي نائب السلطنة مرّة في دست نيابته وقد دخل إلى باب
النحاس من القلعة ، وبلال هذا قدّامه ، فقال : يا طواشي حسام الدين !

فألتفت بغضب وقال : طواشي أبوك حتى تناديني يا طواشي ؟ من ربّك
بهذا الأدب ؟ - فحجل طرطاي مع عظمتِه ومشى إليه وعانقه وقبّل صدره وقال
له : والله يا سيّدي وقع منّي سهو وقلة أدب - ونحو ذلك من الاعتذار . وخشي
أن يبلغ هذا عنه إلى السلطان ، لما يعلمه من علو منزله عنده .

فلما كانت سلطنة الملك العادل كتبها جعل إليه أمر الملك الناصر محمد بن
قلاوون . وهو مع ذلك كبير خدام الحرم النبويّ .

وكان يسكن بدار الملك الصالح نجم الدين من قلعة الجبل . فإذا أنقضت
الخدمة السلطانيّة دخل إليها ومدّ سماءه وحضر عنده عدّة من الأمراء وغيرهم
لأكل طعامه ، فيجلس على طرف الإيوان ، ومرتبة الملك الصالح في صدر
المكان . فإذا قيل له : لم لا تجلس فوق الإيوان ؟ يقول : هذا مكان أستاذي ،
لا يُمكن الجلوس عليه ولا بالقرب منه .

وكانت له مكارم كثيرة وصدقات ومعروف . وله أوقاف على الحرم النبويّ
وأوقاف على عتقائه وذرائعهم ، أبطل كثيرًا [أ] منها مجد الدين عيسى بن الخشاب
وكيل بيت المال بعد موته ، وأثبت أنّه وقفها وقد آختلّ عقله . وكان يهب
الفرجة بالآلف فما دونها .

ومدحه الشعراء . وأتفق أن شرف الدين القدسيّ الكاتب أنشده قصيدة
يَمدحه بها أولها [خفيف] :

ما رأى الناس مثلَ حسنك لالا هكذا هكذا وإلا فلا لا !

فتبسم وقال : يا شرف الدين ! الحُسن يكون بعد الثمانين ؟ والله أسرفت
في التَّجَمُّل !

فقال : يا سيّدي ، أحسنُ الشعر ما كذب فيه الشاعر .

فأعجبه ذلك وأجازه خمسمائة درهم .

وكان يتأتق في الأطعمة ، ويعجبه مَنْ يُمعن في الأكل على سَمَاطه لكثته
يكره مَنْ لا يتحفّظ في أكله ، من إتلاف السفرة أو نثر الطعام بيده ونحو ذلك .

وما زال وافر الحرمة عظيم الوجاهة صاحب نعم جليلة وأموال جمّة ،
وغلمان وأتباع على خُلُقِه وآدابه مع كثرتهم ، إلى أن خرج مع العسكر لقتال
غازان . فمَرَضَ ولم يحضر نوبة حمص ، وعاد من دمشق إلى السوادة ، فمات
بها في تاسع شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة . ودُفِنَ بقطيا ، ثم نقل
منها إلى تربته بالقرافة .

وله إلى الآن أوقاف تُعرَف به . رحمه الله ، فقد كان من محاسن الخدّام
وصلحائهم وكرمائمهم وعظمائهم .

950 - بلبان الحسنيّ [749 -]

بلبان الحسنيّ ، أمير جندار المنصور قلاوون .

كان صارماً مهاباً . عمّر زيادة على ثمانين سنة . ومات في الطاعون العام
سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

951 - بلبان المشرفيّ [678 -]

بلبان المشرفيّ ، الأمير علم الدين ، أحد أمراء الطبلخاناه في أيام السعيد ابن الظاهر .
مات في سنة ثمان وسبعين وستائة .

952 - بلبان النوفليّ [678 -]

بلبان النوفليّ ، الأمير ناصر الدين ، أحد أمراء الطبلخاناه في أيام السعيد .
مات في سنة ثمان وسبعين وستائة .

953 - بلبان الروميّ دوادار العلامة [بعد 679]

بلبان الروميّ ، الأمير سيف الدين . أقامه الملك المنصور قلاوون دوادار [261 أ] العلامة لا غير ، مع القاضي فتح الدين / محمد بن عبد الظاهر في سادس جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وستائة .

954 - بلبان الروميّ الظاهريّ [680 -]⁽¹⁾

بلبان الروميّ ، الأمير سيف الدين اندوادار الظاهريّ . أستشهد في وقعة حمص بأيدي التتار لأربع عشرة خلت من شهر رجب سنة ثمانين وستائة .

(1) لعله نفس المترجم السابق .

955 - بلبان « الله كريم » [687 -]

بلبان العلانيّ ، أحد المالك البحرية الصالحية ، الأمير شرف الدين ، ويعرف بقول « الله كريم » .

ترقى في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر . وكان الملك المنصور قلاوون يكرمه ويزوره إذا مرض ، فإنه خوشداشه .

ومات يوم الثلاثاء سادس عشرين جادى الآخرة سنة سبع وثمانين وستائة ، ودُفن بالقرافة .

956 - بلبان الطباخيّ [700 -]⁽¹⁾

بلبان الطباخيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المالك المنصورية .

كان مملوكاً للحاج إبراهيم إخوان سلار⁽²⁾ قلاوون . رباه صغيراً وكان يدخل معه إلى قلاوون . وكان أميراً يحمل شرموزته عندما يقدم الطعام فأشتراه منه قلاوون بثلاثة آلاف درهم ورقاه في خدمته إلى أن تسلطن . فأنعم عليه بإمرة . ثم ولّاه نيابة السلطنة بحصن الأكراد وما معه من الفتوحات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستائة .

ثم ولّاه الأشرف خليل نيابة حلب عوضاً عن قراسنقر في شوال سنة إحدى وتسعين . فسار إليها وبعث العسكر إلى ملطية في ألف وخمسمائة فارس عليهم

(1) الوافي 10 / 282 (4788) ؛ المنهل 3 / 422 (699) ؛ السلوك 1 / 917 ؛ النجوم 8 / 194 .

(2) إخوان سلار لقب يعني صاحب الخوان ، أي المكلف بالمطابخ . انظر صبح الأعشى ، 5 / 471 و 6 / 170 .

بكتّم الجلميّ فهجموا ربّضها وأوقعوا بأربعة آلاف من الغل وقتلوا كثيراً منهم وعادوا بعيالهم .

فلما قدم غازان إلى الشام حضر نوبة حمص وأبلى فيها بلاءً عظيماً ، وعاد مع المهزمين إلى مصر في يوم الأربعاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستّائة .

وخرج مع العسكر ثانياً في أوائل رجب منها إلى دمشق ، وطلب الإغفاء من نيابة حلب فأعني ، وولي عوضه قراسنقر .

وعاد إلى مصر فأنعم عليه بإمرة مائة . وأقام إلى أن خرج مع السلطان لحرب غازان في نصف صفر سنة سبعائة ، وأقام بمنزلة العوجاء . فمات بها في سابع عشر ربيع الأوّل منها ، فدفن هناك . وأوصى ألا يُنقل من موضعه . فأنعم بإمرته على كراي عوضاً عن نيابة صفد .

957 - بلبان الفاخريّ [697 -]⁽¹⁾

بلبان الفاخريّ ، الأمير سيف الدين ، نقيب الجيش بديار مصر .
توفّي في رابع عشر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستّائة . وكان أحد أمراء الطبلخاناه فأنعم بإمرته على الأمير سيف الدين بكتّم الحساميّ طرنتاي أمير أخور بعدما كان بيده إمرة عشرة . واستقرّ في نقابة الجيش طيرس الخزنداريّ .

958 - بلبان الجاشنكير [بعد 709]

أنعم عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة في شوال سنة تسع وسبعائة .

(1) السلوك 1 / 850 .

959 - بلبان طرنا [734 -] ⁽¹⁾

بلبان طرنا ، الأمير سيف الدين ، أحد المالك [. . .] .

ترقى حتى صار أمير جندار . ثم ولي نيابة صفد في سنة اثنتي عشرة وسبعائة عوضاً عن بهادر آص . فباشرها إلى أن جعل السلطان أمر الشام كله يرجع إلى الأمير تنكر ، ورسم لسائر النواب بمكاتبتة ليكاتب هو السلطان عنهم . فأمثلوا ذلك وصاروا لا يتحركون [ن] بحركة حتى يستأذن كلّ منهم تنكر ، فتارة يجيب وتارة لا يعبا . فلما أراد لهذا أنف منه بلبان وقال : إنّ الإمرة أقلّ وأخسّ . لأن يخرج الإنسان فقيراً خيراً من مقاساة ما نحن فيه .

فبلغ كلامه تنكر فغضب ، وكتب يعرف السلطان . فرسم في صفر سنة أربع عشرة بولاية بلبان البدريّ نيابة صفد ، والقبض على بلبان طرنا . فقبض عليه في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبعائة ، وحمل إلى مصر مقيداً فسجن بها ، إلى أن أفرج عنه يوم الاثنين رابع عشرين شعبان سنة ستّ وعشرين وسبعائة ، وخلع عليه ، وسفّره إلى دمشق على إمرة [طبلخاناه / . ثم كانت له [261 ب] إمرة مائة . وكانت مدة سجنه اثنتي عشرة سنة .

960 - بلبان البدريّ [727 -] ⁽²⁾

بلبان البدريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المالك الناصريّة محمد بن قلاوون .

- (1) الوافي 10 / 283 (4790) ؛ الدرر 2 / 27 (1338) ؛ المنهل 3 / 421 (698) ؛ السلوك 2 / 274 ؛ النجوم 9 / 304 .
(2) الدرر 2 / 25 (1329) ؛ النجوم 9 / 269 ؛ السلوك 2 / 291 .

ترقى في الخدم إلى أن صار من الأمراء . وولي إمرة الركب الشاميّ في سنة سبع وسبعائة . وولي نيابة قلعة دمشق عوضاً عن بهادر السنجريّ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة . وعزل منها ، وتوجّه إلى نيابة صفد بعد صرف بلبان طرنا في صفر سنة أربع عشرة وسبعائة . وصرف في شوال سنة ستّ عشرة بالأمير بكتمر الحساميّ المعروف بالحاجب . ودخل مصر . ونقل إلى دمشق من جملة الأمراء . وولي نيابة حمص عوضاً عن بكتوت القرمانيّ في صفر سنة تسع عشرة . ومات بها في ليلة الخميس أول شوال سنة سبع وعشرين وسبعائة ، ونقل إلى دمشق فضليّ عليه ودفن بسفح قاسيون . وكان شجاعاً عاقلاً مهذباً سليم الباطن . وخلف مالاً جزيلاً . وولي حمص بعده [الأمير بلسطي] ⁽¹⁾ .

961 - بلبان القبحقيّ [723 -]

[مات ؟] في سنة ثلاث وعشرين وسبعائة .

962 - بلبان الهارونيّ ⁽²⁾ [692 -]

بلبان الهارونيّ ، الأمير [سيف الدين] ، أحد المماليك الصالحية . ترقى في الخدم وصار من جملة الأمراء . وكان ممّن أعان على قتل المظفر بقصير وممّن قام مع كوندك على المنصور قلاوون . ثم أفرج عنه . وقبضه الملك الأشرف خليل وقتله في أول ليلة من الحرم سنة اثنتين وتسعين وستائة .

(1) بياض بالخطوط ، والإكمال من السلوك 2 / 288 .

(2) السلوك 1 / 704 والنجوم 8 / 37 .

963 - بلبان الكوندكي [730 -]⁽¹⁾

بلبان الكوندكي ، الأمير سيف الدين ، أحد مماليك كوندك نائب الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس .

ترقى في الخدم حتى صار من أمراء دمشق . ومات في تاسع عشرين شعبان سنة ثلاثين وسبعائة .

وكان مشكوراً . فأخرج من مصر طنبيغا حاجي على إقطاعه .

964 - بلبان الشمسيّ [745 -]⁽²⁾

بلبان الشمسيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون . تنقل في الخدم وصار أميراً . وتوجه أمير الحاج فلم يحسن سياستهم ، فتكر له السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأخرجه على إمرة بدمشق . ثم نقل إلى حلب وبها مات في سنة خمس وأربعين وسبعائة .

965 - بلبان الغلمشيّ [709 -]⁽³⁾

بلبان الغلمشيّ ، الأمير سيف الدين . أصله مملوك ابن الصائغ بدمشق . وسمع بها الحديث في صغره . ثم قدم

(1) الدرر 2 / 27 (1341) ؛ السلوك 2 / 326 وهو فيه : الكوندي المهمندار الدواداري ، وكوندك النائب الظاهريّ معروف (السلوك 1 / 686) .

(2) السلوك 2 / 675 .

(3) الدرر 2 / 24 (1326) ؛ النجوم 8 / 151 .

مصر وتنقل في الخدم وصار من أمرائها ، وولي الشرقية والكشف . وسفك دماء
كثير من المفسدين فهابته العربان وضجوا بقولهم « العول مَشي » ، فبقي هذا
اللقب عليه وقيل له العُلمشي .
ومات في سنة تسع وسبعائة .

966 - بلبان الجوكندار [706 -]⁽¹⁾

بلبان الجوكندار ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك [المنصورية قلاوون] .
ترقى في الخدم ، وولي نيابة قلعة صفد في سنة تسع وتسعين وستائة . ثم
صُرف عنها وأعطي إمرة دمشق ، وولي شدّ الدواوين بها في ربيع الآخر سنة
سبعائة فشكرت ولايته . ونقل بعد علم الدين سنجر أرجواش إلى نيابة قلعة
دمشق في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعائة ، فباشرها إلى جمادى الأولى سنة
ثلاث وسبعائة . [ثم] ولي نيابة حمص ، فما زال بها حتى مات في ذي الحجة
سنة ستّ وسبعائة .

وكان بخيلاً أميناً عفيفاً .

وولي حمص بعده ثمّر الساقى .

967 - بلبان الحسامي [736 -]

بلبان الحسامي ، الأمير سيف الدين أحد مماليك الأمير حسام الدين
طرنتاي النائب .

(1) الوافي 10 / 283 (4789) ؛ الدرر 2 / 26 (1333) ؛ السلوك 2 / 31 ؛ النجوم
8 / 224 ؛ المهمل 3 / 420 (697) .

كان شحنة ، ثمّ استقرّ من جملة البريديّة . فلمّا تنكّر الأمير قُوصون على أيديكين⁽¹⁾ والي القاهرة طلب الملك الناصر محمد بن قلاوون بلبان هذا . فطلع إلى قلعة الجبل راكباً حماراً . فخلع عليه في [جادی الأولى]⁽²⁾ سنة خمس وثلاثين وسبعائة ، واستقرّ في ولاية القاهرة ، فنزل وقد ركب فرس الإمرة وباشر الولاية مباشرة مشكورة .

ثمّ صرف بعلاء الدين علي بن حسن المروانيّ في [شوال سنة 735]⁽³⁾ ، ثمّ ولي دمياط فأقام بها قليلاً وعاد .

فلم يزل في داره حتى مات في شهر رمضان سنة / ستّ وثلاثين وسبعائة . [262 أ]
وكان مشكوراً .

968 - بلبان الیسريّ السعودي [736 -]⁽⁴⁾

بلبان الیسريّ - ویسمی عبد اللطیف - الشیخ سیف الدین ، أحد مماليك الأمير بدر الدین بیسريّ .

[خدم مدّة ثمّ]⁽⁵⁾ انقطع بزاوية أبي السعود [خمساً و]⁽⁶⁾ خمسين سنة وعمل بها شيخاً حتى مات سنة ستّ وثلاثين وسبعائة ودُفن بها .
وكان مشهوراً بالخير والعفة .

(1) بعد أيديكين : كان شحنة ، وكأنّها مكرّرة عن السطر السابق .

(2) بياض بالأصل ، والإكمال من السلوك 2 / 277 .

(3) بياض بالأصل ، والإكمال من السلوك 2 / 385 .

(4) الدرر 2 / 25 (1327) ؛ السلوك 2 / 405 وسمّاه عبد اللطيف بلبان بن عبد الله .

(5) إضافة من الدرر .

(6) إضافة من السلوك .

بلبان المحمّدي ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .
ترقى في الخدم حتى صار من الأمراء . [. . .] في قتله الأشرف خليل بن
قلاوون ، وفرّ مدّة ، ثمّ عاد . فلمّا قدم الناصر محمد بن قلاوون من الكرك
قبض عليه سبعاً وعشرين سنة . ثمّ أفرج عنه وعمله أمير عشرة بطرابلس . ثم
نقل بعد مدّة إلى إمرة دمشق فمات يوم قدومها سنة خمس وأربعين
وسبعمائة ⁽¹⁾ .

[بلج بن بشر بن عياض القشيري ، الدمشقيّ ، ابن أخي كلثوم بن
عياض القشيريّ عامل هشام بن عبد الملك على إفريقية بعد عبيد الله بن
الحبحاب . وقد نبه هشام كلثوماً لقتال البربر وولّاه إفريقية وبعث معه ثلاثين
ألف فارس ، وعهدَ إن حدث بكلثوم حدث ، أن يكون ابن أخيه بلج مكانه
فوصل جند الشام إلى إفريقية في رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائة ⁽³⁾] وسار
بلج على مقدّمة كلثوم بن عياض إلى إفريقية فعامل أهل القيروان بالجفاء والتكبر
عليهم .

(1) الدرر 28 / 2 (1343) وبعض الكلام مطموس .

(2) الأعلام 50 / 2 ؛ نفح الطيب 19 / 3 ؛ تهذيب ابن عساكر 293 / 3 ؛ ابن عبد
الحكم : فتوح مصر والمغرب ج 1 / 296 ؛ البيان المغرب 1 / 54 ، 2 / 34 ؛ جذوة
المقتبس 180 (رقم 336) ؛ بغية الملتبس 249 (592) ؛ حسين مؤنس : فجر
الأندلس ، القاهرة 1959 ص 200 و 217 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1 / 1021 .

(3) سقوط طويل بالأصل ، والتعويض من المصادر الأخرى .

وسار مع كلثوم إلى قتال خالد بن حميد الزناتيّ رئيس البربر من الخوارج الصفرية ، فقاتلوه ، وقُتل كلثوم [بن عياض عمّه] ، وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهريّ . وأنهمز بلج ، وثعلبة [بن سلامة العامليّ] الجذاميّ ، وبقية [من] أهل الشام ، إلى الأندلس ، وفيهم عبد الرحان [بن حبيب] بن أبي عبيدة . فأتبعهم [أبو] يوسف الهواريّ - وكان طاغية من طواغي البربر - فأدركهم فقاتلهم فقتل أبو يوسف وأنهمز أصحابه ، ومضى بلج وثعلبة إلى الأندلس .

وكان كلثوم قد كتب إلى أهل الأندلس - وعليها عبد الملك بن قطن الفهريّ - يأمرهم بإمداده والخروج إليه ، فوافاهم بلج [وقد وقعوا إلى مجاز الخضراء ، وتقدّم عبد الرحان بن حبيب أمام بلج إلى الأندلس . . . ثمّ قدم بلج] ⁽¹⁾ ، فأقام بالجزيرة ، وكتب إلى عبد الملك بن قطن يعلمه أنّه خليفة كلثوم ابن عياض ، وشهد [بذلك] له ثعلبة الجذاميّ وأصحابه . وكان الرسول بينهما قاضي الأندلس . فسلمّ عبد الملك بن قطن بولاية بلج ، على كره من عبد الرحان بن حبيب ، فخرج عبد الرحان من قرطبة كارهاً لولاية بلج .

ثمّ إنّ بلجاً لمّا قدم قرطبة حبس عبد الملك بن قطن في السجن . وثار عبد الرحان بن حبيب ومعه أمية بن عبد الملك بن قطن ، فجَمَعَا لِقَتال بلج . فأخرج بلج عبد الملك بن قطن من السجن وقال له : قم في المسجد فأخبر الناس أنّ كلثوماً كتب إليك أنّي خليفة . فقام وقال : أيّها الناس ، إنّني والي كلثوم ، وإنّني محبوسٌ بغير حقّ ! - فضرب بلج عنقه . ثمّ قدّم عبد الرحان بن حبيب الجموع فخرج إليه بلج ومن معه من أهل الشام وكان بينهم نهر ، فلما كان الليل عبر عبد الرحان إلى قرطبة ، وخليفة بلج بها القاضي [وقد كان القاضي أنّهم بدم عبد الملك بن قطن] ⁽²⁾ ، فأخذه وسمل عينيه وقطع يديه ورجليه وضرب عنقه

(1) زيادة من ابن عبد الحكم 296 .

(2) زيادة من ابن عبد الحكم 297 .

وصلبه على شجرة وجعل على جثته رأس خنزير ، وبلج لا يشعر . ثم خرج من قرطبة فقاتله بلج فانهزم عبد الرحمان . ثم جمع جمعاً آخر فقتل بلج ومن معه - ويقال : إن بلج لم يُقتل ، إنما مات موتاً بعد قتله ابن قطن بشهر في سنة خمس وعشرين ومائة .

وقد قيل في خبر بلج أنه لما فعلت البربر بإفريقية ما فعلت في سنة تسع عشرة ومائة حصروا بلجاً حتى ضاق عليه وعلى من معه الأمر واشتد الحصر وهم صابرون ، فبعث بلج إلى عبد الملك بن قطن أن يرسل إليه مراكب يجوز فيها بمن معه إلى الأندلس ، وعرفه ما هم فيه من الشدة ، وقد أكلوا دوابهم . فلم يجبه إلى عبور الأندلس ووعده بإرسال الميرة ولم يفعل . فاتفق أن البربر قويت بالأندلس فأضطر إلى إدخال بلج ومن معه . فجمع أصحابه واستشارهم في ذلك ، فخوفوه من بلج ، فقال : إني أخاف أمير المؤمنين أن يقول : أهلكت جندي - فأجازهم وشرط عليهم أن لا يقيموا غير سنة ويرجعوا إلى إفريقية . فأجابوه وأخذ رهائنهم وجازوا إليه . فلما رأى سوء حالهم وفقرهم وغربهم كسأهم وخولهم ، وخرج بهم إلى شدونة ، فقاتل جمعاً من البربر وظفر [ب]-هم وغنم أموالهم ودوابهم وسلاحهم . فصلحت حال بلج وأصحابه ، وصار لهم دوابٌ يركبونها .

فتقدم إليهم عبد الملك أن يخرجوا من الأندلس . فأجابوه وطلبوا منه [262 ب] مراكب يسرون بها / من غير الجزيرة الخضراء خوفاً من البربر الذين حصروهم . فامتنع عبد الملك وقال : ليس لي مراكب إلا في الجزيرة . فأبوا أن يتوجهوا من طريق البربر خشية أن يقتلوهم . وألح عبد الملك على بلج في الخروج ، فنار به وقاتله وظفر به في أوائل ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وأخرجه من قصر قرطبة وقتله وصلبه ، وولي الأندلس . ففر قطن وأميه ، أبنا عبد الملك بن قطن ، وصار أحدهما بماردة والآخر بسرقسطة . وأستجدا بأهل البلاد والبربر فاجتمع لهما مائة ألف مقاتل . ورجعوا فقاتلهم بلج قتالاً شديداً جرح فيه عدة

جراحات ، وظفر بأبني عبد الملك والبربر ومن معهم ، وأكثر من القتل فيهم ، وعاد إلى قرطبة مظفراً منصوراً⁽¹⁾ . فبقي سبعة أيام ومات من الجراحات في شوال سنة أربع وعشرين ومائة . فكانت ولايته أحد عشر شهراً . فقام من بعده ثعلبة ابن سلامة العاملي .

971 - بلک المظفري [749 -]⁽²⁾

بلک المظفري ، الأمير سيف الدين ، أحد ممالیک المظفر بيبرس الجاشنكير ، ثم أحد ممالیک الناصر محمد . ترقى في الخدم حتى صار أمير مائة مقدم ألف . ومات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعائة . وكان حشماً رئيساً .

972 - بلک الجمदार الناصري [749 -]⁽³⁾

بلک الجمदार الناصري ، الأمير سيف الدين ، أحد الممالیک الناصرية محمد ابن قلاوون . ترقى في الخدم حتى صار من أمراء الطبلخاناه بديار مصر . ثم أخرج لنيابة صغد في الأيام الصالحة إسماعيل⁽⁴⁾ . وعزل بالأمير آل ملك ، وأعيد إلى مصر أمير مائة مقدم ألف في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين . فلم يزل على ذلك حتى مات في طاعون سنة تسع وأربعين وسبعائة .

(1) روى ابن الأثير لهذه الأحداث في الكامل تحت سنوات 117 و 123 و 124 .

(2) النجوم 236/10 .

(3) الدرر 28/2 (1346) ؛ الدليل الشافي 1/199 (ولم ترد الترجمة في المنهل الصافي) .

(4) في آخر صفر 744 ؛ السلوك 2/646 .

973 - بلجك الناصري [- بعد 753]⁽¹⁾

بلجك الناصري ، ابن أخت الأمير قوصون .
كان معظمًا في أيام خاله ، وتزوج بنت تنكز فصار عديل السلطان .
فلما زالت دولة قوصون أخرج إلى حلب أمير مائة [و] أعيد في شوال سنة
ثمان وأربعين ، وأمير مقدمة ألف في الشام في سنة تسع . ثم ولي نيابة عشرة في
الحرم سنة خمسين . ووقعت له مع العرب وقعة أسروه فيها ثم أطلقوه . فأعيد إلى
دمشق بإمرة .
ثم نقل إلى مصر في سنة ثلاث وخمسين وسبعائة في إمرة بيبغا أروس .

974 - بُنان الحمّال الزاهد [- 316]⁽²⁾

بُنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ، أبو الحسن الحمّال ، واسطي سكن
مصر ، ومات بها في سنة ستّ عشرة وثلاثمائة .
وهو من جملة المشايخ القائلين بالحقّ والآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ،
له في ذلك مقامات مشهورة وكرامات مذكورة وأحوال جميلة .
وكان يدخل على الأمراء فيأمرهم بالمعروف من غير محاباة ، وينهاهم عن
المنكر بلا مداجاة . وكان أزهد أهل زمانه بمصر ، وله مع أبي الجيش خمارويه
ابن أحمد بن طولون ومع الأمير تكين قصص معروفة ، وأحوال مرضية .

(1) في السلوك 334/2 : ملجك .

(2) طبقات الشعرا 98/1 (187) ؛ جامع كرامات الأولياء 369/1 ؛ طبقات السلمي ،
291 ؛ حلية الأولياء 324/10 ؛ الرسالة القشيرية 31 ؛ حسن المحاضرة 512/1 ؛
شذرات 271/2 ؛ تاريخ بغداد 100/7 (3543) ؛ النجوم 220/3 .

· وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره . وعنه أخذ [أبو الحسن] النوري ⁽¹⁾ .
وحدث بمصر ، وآخر من روى عنه الحسن بن رشيق .

وسُئل عن أحوال الصوفية فقال : الثقة بالمضمون ، والقيام بالأوامر ،
ومراعاة السر ، والتخلي عن الكونين بالتشبث بالحق .

وقال : رؤية الأسباب على الدوام قاطعة عن مشاهدة المسبب ،
والإعراض عن الأسباب جملة يؤدي بصاحبه إلى ركوب الباطل .

ومن كراماته أن الأمير أبا الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون لما خلع على
كاتبه بجنس بن ميسس النصراني وأركبه فرساً ، نظر إليه بنان ، فأستعظم ركوب
نصراني فرساً . فقام إليه برفق وأمره بالتزول وقال : ما يجوز لمثلك أن يركب
هذا .

فثار بجنس وحلف أنه ما اختار ذلك . وانصرف بجنس وبنان . فبلغ أبا
الجيش ما فعله بنان ، فغضب وأمر بإحضاره . فأعلم ببركته عند الخاص والعام ،
وخوف أن ينقلب البلد وتثور الرعية ويتفاقم الأمر . فعظم في قلب أبي الجيش
ذلك وقال : أحب لقاءه وسؤاله الدعاء .

فأحضره مكرماً ، فكأنما صاح في الناس صائح ، فلم يبق أحد في البلد
حتى لحقه . فمالغ / الميدان إلا ومعه زيادة على عشرة آلاف . وتزايد الناس [263 أ]
حتى ظن أنه لم يبق في البلد أحد من كل صنف . وعرف أبو الجيش ذلك فأزداد
في قلبه محبة وقال : أنا أمتحن هذا الرجل بما أتبين به موضعه من الله سبحانه .

فأمر بأن يطلق عليه السبع إذا دخل إليه . وأدخل بنان فسلم فرد عليه
السلام ، وجلس من غير إذن له بالجلوس ، وجيء بالسبع فأطلق عليه . فلما
رآه السبع ، وكان ضارباً ، أقبل إليه منكساً رأسه مرخياً أذنيه ، وتقدم إليه يريد

(1) أبو الحسن النوري : الزيادة من الشنرات 2 / 273 وفي تاريخ بغداد 7 / 101 أبو الحسين
التوزي .

أن يتمسّح به ، فأقبل بنان ينفض بكمّه في وجه السبع . وكانت عليه جبة صوف ، فلم يريح السبع حتى تمسّح به ودار حوله ومرّغ وجهه على ثيابه وبصّص بذنبه بين يديه ، وبنان يبعده عنه ، وأبو الجيش يبكي وجميع من حضر ، لما شاهدوه من السبع مع بنان . فعلم أبو الجيش منزلة عند الله تعالى من العظمة ، وكان قد جلس في مستشرف له لينظره ، وعرف بنان بذلك عند دخوله إليه ، فأشار إليه بالسلام ، فردّ عليه مردّ من قد هاب ما شاهده ، وقال لأحد [م] ممّن حضره أولاً : إنّه من عباد الله المخلصين المنتخبين لما كان منه [م] ممّا شاهدناه . والآن فمن حقّ السياسة أن تقول له عني : قد أنكرنا ما كان منك إلى بنحس بن مسيس كاتبتنا فيما اخترناه له ، وقد صفحنا لك عمّا كان منك ، فلا تعدّ بعد هذا إلى معارضة سلطانك في فعله !

فعرّف الغلام بنان ما قال الأمير . فقال بنان : قل له : يا هذا ، - ولم يقل : أيّها الأمير - لا تعدّ أنت إلى ما عملت ، فإنّك إن عدت عدنا ، وكان الله سبحانه عوننا ، ويده تعالى فوق يدك .

فقال له جماعة ممّن حضره : أيّها الأمير [قد] شاهدنا من حاله مع السبع ما فيه كفاية ، ويلزمنا التقرب من قلبه ومسألته الدعاء لنا .

فقال : قد علمت ما علمتم ، وإنّما راسلته بما توجبه السياسة . (وقال) ارجع إليه وأقرأ عليه السلام وقل له : أعمل يا شيخ ما شئت ، وأنّه عمّا أحببت وأأمّر بما تشاء ، فما يعارضك أحدٌ فيما تختاره وتأمّر به من أمر بمعروف أو نهي عن منكر ، وأنا معاونك على ذلك ومعاضدك عليه رغبةً في ثواب الله عزّ وجلّ ، وسلّم الدعاء لنا في وقتنا هذا ولا تخلنا في أوقات خلواتك بين يدي الله جلّ ثناؤه من هديّة الدعاء لنا . [وقال للغلام] وأصرفه في حفظ الله مكرماً وسلّمه إن تكن له حاجة كائنة ما كانت قضيناها .

وأنصرف بنان لما بلغه الغلام ذلك من غير أن يذكر حاجة . فلمّا خرج قيل

له : ما الذي كان في قلبك حيث شَمَّكَ السبع ؟

فقال : كنت أتفكر في اختلاف العلماء في سُورِ السَّبَّاع .

ولمّا طلب الرّجالة أباّام هلال بن بدر أمير مصر أبا زنبور الحسن بن أحمد عامل الخراج ، قرّ منهم ودخل على بنان . فأمره أن يدخل الكنيف . فأقتحم الرّجالة على بنان داره يسألون عن أبي زنبور ، فقال لهم بنان : أبو زنبور في الكنيف - فظنّوه يهزأ بهم فتركوه وأنصرفوا[هـ] عنه . فقام إلى أبي زنبور وقال : يا حسن صدقناهم ، وقد يسّر الله فأحدث ثُربةً في هذا الموضع الخسيس . فقال أبو زنبور : الله الله يا أبا الحسن ، دعني من صبرك ، إنّي أُقتل !

فقال : لا بأس عليك .

وأقام عنده إلى أن تفرّق القوم وهذا الطلب عنه ، فأنصرف [. . .] .

ولمّا احتضر قيل له : من يصليّ عليك يا أبا الحسن ؟

فقال : من اختار الله - ثمّ أغمي عليه فصرخت أمّ أولاده وقالت :

واخراب بيتي بعدك !

ففتح عينيه وقال لها : بعده .

فكانت آخر كلامه وقضى . فعُسِّل وكُفِّن في ملبس صوف عملته له امرأته

الرفيّة - [وقد] أوصى بذلك - وأخرجت جنازته لصلاة الصبح يوم الاثنين

لليلتين خلّتا من شهر رمضان سنة ستّ عشرة وثلاثمائة . / وحضر الأمير تكين . [263 ب]

فلولا نزوله من دابّته [لـ]أنّه يريد [أن] يتبع الجنازة ، لما مشى بالنعش من كثرة

الخلق . وما فُتح بمصر حانوت في ذلك اليوم . فلمّا بلغ المصلّى أقبل الشريف أبو

إبراهيم إسماعيل بن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم الرسيّ من الحميّ .

فقبل لتكين : أهذا أبو إبراهيم . - فقدّمه وصلى عليه .

فحدّث أبو إبراهيم أنّه لمّا كان بالحيّ - وهو قرية بين اتفيح ومصر - أخذه

ما قُرب وما بُعد من القلق بأمر الدار والدخول . فقال لغلمانه : أسرجوا ، فإنّي أخاف أن يكون قد حدث بدارنا حدث .

فسار في الليل . فلمّا أصبح وطلعت الشمس تأمل الأكوام فإذا هي مبيضة بالناس . فقال لغلمانه : كدّوا ! فليست الحادثة بدارنا . الحادثة بالبلد !

فكدّوا حتى ألحقه الله الصلاة على بنان . فكان أبو إبراهيم ممّن اختاره الله له ، وكان موضعاً لذلك .

975 - بهادر الناصريّ [680 -]⁽¹⁾

بهادر بن باينجار ، الناصريّ ، الأمير بهاء الدين ، ابن الأمير حسام لدين .

كان من أعيان الأمراء وأكابرهم ، وبلغ من العمر نحو السبعين سنة . ومات وأبوه حيّ قد كفّ بصره .

مات بغزة في رابع عشر شعبان سنة ثمانين وستّائة .

976 - بهادر رأس نوبة [693 -]⁽²⁾

بهادر ، الأمير سيف الدين رأس نوبة ، أحد أمراء مصر ، من جملة من باشر قتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون . فأخذ هو والأمير آقوش قتال السبع وضربت أعناقهما في ثاني عشرين المحرم سنة ثلاث وتسعين وستّائة .

وأتفق لبهادر هذا أمر فيه معتبر : وهو أنّه عمّر داراً بجوار المشهد الحسيني

(1) الدليل الشافي 199 / 1 (699) ؛ المنهل 427 / 3 (701) ؛ الوافي 295 / 10

(4808) ؛ السلوك 625 / 1 (على ذكر قدوم أبيه بينجار سنة 675) .

(2) النجوم 22 / 8 ؛ السلوك 795 / 1 .

من القاهرة ، فوجد بأرضها عدة أموات ، فنبش قبورهم وحمل الرمم وألقاها .
 فبعث إليه الشيخ تقي الدين محمد ابن دقيق العيد ينهه عن ذلك . فقال
 لرسوله : قل للشيخ : إذا مت أنا [ف]دعهم يجرؤا برجلي للمجاير حتى يرموني !
 فلما بلغ الشيخ ذلك عنه قال : وقد يكون ذلك .

فاتفق أنه لما ظفر به وبقتال السبع ضربت أعناقها وعُمل في رجل كل
 منها حبلٌ وجرّ إلى المجاير حتى ألقى فيها . فكأنما كان ينظر إلى عاقبة أمره من ستر
 رقيق ، نسأل الله العافية .

977 - بهادر المعزّي [739 -]⁽¹⁾

بهادر المعزّي ، الأمير سيف الدين ، أحد ممالك الملك المنصور لاجين .
 خدمه من ابتداء إمرته . ولم يكن بمملوك ، وإنما هو من أبناء تركمانيّتي
 حلب . رباه صغيراً ، فلما تسلطن جعله أحد الأمراء بمصر ، وأستمر في الإمرة
 إلى أن قبض عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون في عاشر المحرم سنة خمس عشرة
 وسبعائة وسجنه بالإسكندرية . ثم نقله منه وسجنه إلى أد أفرج عنه في يوم
 الاثنين سادس عشرين جمادى الآخرة سنة ثلاثين بشفاعة الأمير تنكز نائب
 الشام . فكانت مدة سجنه خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً . فأنعم
 عليه بإمرة سنجر الجمقدار ، ونُقل سنجر إلى إمرة بهادرآص بدمشق بحكم
 وفاته⁽²⁾ .

ولم يزل على ذلك حتى مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة تسع وثلاثين
 وسبعائة .

(1) السلوك 1/ 470 ، الوافي 10/ 298 (4811) ، النجوم 9/ 318 ؛ الدرر ، 2/ 29

(1352) ؛ المنهل ، 3/ 430 (705) .

(2) السلوك 1/ 320 .

وكان جميل الوجه في صغره مشهوراً في كِبَره ، يرمي السهام يَمِينه
وشماله ، ويجيد لعب الرمح وسائر فنون الفروسية ، مع ذكاء وفطنة .
وأشتملت تركته على نحو مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ⁽¹⁾ .

978 - بهادر الشهابي [802 -] ⁽²⁾

بهادر بن عبد الله ، الأمير الطواشي سيف الدين العثماني ، مقدم الماليك .
خدم الملك الظاهر برفوق وهو أمير . فلما استبدت بمملكة مصر أنعم عليه بإمرة
طبلخاناه وجعله مقدم الماليك . فباشر ذلك مدة الأيام الظاهرية .
وتوفي في أيام الملك الناصر فرح يوم الأحد سابع عشر رجب سنة اثنتين
وثمانمائة ، وقد بلغ سنّ الهرم ، وكثر ماله ، وتزايد طمعه وشهره .

979 - بهادر البديري ⁽³⁾ [740 -]

بهادر البديري . ولي نيابة حمص بعد بكتوت القرماني في صفر سنة تسع
[264 أ] عشرة وسبعائة / ثم نقل في سنة خمس وعشرين إلى نيابة الكرك عوضاً [عن]
بيليك الجمالي . ثم صرف بعد أشهر ورسم بإقامته بدمشق بخط الأمير تنكز نائب
الشام عليه .

ثم وقع بينه وبين الأمير تنكز كلام ، فلم يتجامل في الرد فرسم بضربه ،

(1) في النجوم : مائة ألف ، وزاد : أخذها النشو ناظر الخاص .

(2) الدليل الشافي 1 / 201 (709) وفيه : الشهابي الطواشي الرومي . وكذلك في السلوك
3 / 1025 والنجوم 13 / 18 وكذلك في الضوء اللاحق 3 / 19 (94) . وفي مخطوطنا :
العثماني ؛ وانظر المنهل الصافي ، 2 / 436 (711) .

(3) النجوم 9 / 324 ؛ السلوك 2 / 505 .

وسَجَنَه مَقِيداً في سنة سبع وثلاثين . ثمَّ أخرج بعد مُدَّةٍ إلى طرابلس ، فمات بها في سنة أربعين وسبعائة .

980 - بهادر آص [730 -] ⁽¹⁾

بهادر آص ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك المنصوريَّة قلاوون . تنقَّل في الخدم إلى أن صار من جملة أمراء دمشق . فلما تحرَّك الملك الناصر يريد عودَه إلى السلطنة ، وبعث أيتَّمش المحمَّديَّ إلى دمشق يدعو الأمراء ، قام معه قياماً كبيراً . وخدمه لما قدم دمشق وسار معه إلى مصر .

وعاد أميراً بدمشق . فلم يزل بها إلى أن قبض على كراي نائب دمشق . فحكم بها من خامس عشرين جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبعائة إلى أن حضر الأمير آقوش نائب الكرك على نيابتها ، وعلى يده ولاية بهادر نيابة صفد . فسار إليها . ثمَّ صرف ببلان طرنا في سنة اثنتي عشرة وسبعائة ، وعاد إلى دمشق . فأقام بها من جملة الأمراء . ثمَّ قبض عليه في ربيع الآخر سنة خمس عشرة وسجن بالكرك . ثمَّ نقل إلى الإسكندريَّة فسُجن بها مدَّة .

ثمَّ أُفرج عنه في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبعائة ، فخلع عليه وأعيد إلى دمشق من جملة أمرائها ، بعدما أقام مسجوناً نحو الخمس سنين . فلم يزل بها حتى مات في تاسع عشر صفر سنة ثلاثين وسبعائة ، ودُفن بترتبه خارج باب الجالية . وكانت جنازته حافلة .

وكان شجاعاً مقداماً في الحرب ، كثير الصدقة والمعروف . وكان له ثلاثة أولاد أمراء ، فكان يضرب على بابه ثلاث طبلخانات . وكان محسوداً على أولاده ونعمته .

(1) الوافي 1/ 297 (4810) ؛ النبل 3/ 428 (704) ؛ النجوم 9/ 281 ؛ السلوك 2/ 326 ؛ الدرر ، 2/ 30 (1357) .

981 - بهادر الإبراهيمي [- بعد 720]⁽¹⁾

بهادر الإبراهيمي ، الأمير سيف الدين . ويقال له « زير أُمّو » .
ترقى في الخدم إلى أن صار نقيب الممالك . ثم صرف بدقّاق في سنة ست
عشرة وسبعائة وترك على إمرته . وخرج أمير الحاج من مصر غير مرة .
ثم سار على عسكر لقتال الشريف حمبضة بن أبي نُعمي في سنة سبع
عشرة ، فجن عنه وتوانى في أمره حتى فرّ . فلما عاد تنكّر عليه وقبضه في محرّم
سنة ثمانى عشرة وسجنه بالإسكندرية . وأنعم بإمرته على مغلطي الجمالي . فأقام
مسجوناً إلى صفر سنة عشرين . وفرّ منه . فقبض عليه وحمل إلى السلطان هو
وبهادر التقوي الزّاق فكحّلا بالنار حتى ذهب بصرهما .

982 - الحاج بهادر الحلبي [- 710]⁽²⁾

بهادر الحلبي ، المعروف بالحاج بهادر السلاح دار . الأمير سيف الدين .
أحد الممالك المنصورية قلاوون .
أسره الأمير ركن الدين الحلبي ألكتمر في وقعة [عين] جالوت سنة ثمان
 وخمسين وستّائة . فلما قبض الظاهر بيبرس على الحلبي أخذ بهادر فيمن أخذ من
ممالكه .

تنقل في الخدم إلى أن صار من جملة الأمراء . ثم قبض عليه الأمير لاجين
في نصف ذي القعدة سنة ست وتسعين وستّائة وسجن . وأفرج عنه في جمادى

(1) السلوك 2 / 202 ، الدرر . 2 / 31 (1360) .

(2) النجوم 9 / 216 ، السلوك 2 / 96 ، المنهل 3 / 436 (712) ، الوافي 10 / 295

(4809) ، الدرر ، 2 / 33 (1369) .

الآخرة سنة خمس وسبعائة . وأنعم عليه بإمرة قيران⁽¹⁾ مشدّ الدواوين بدمشق ،
وأن يكون حاجباً بها عوضاً عن الأمير بكتمر الحسامي بحكم أنتقاله إلى شدّ
الدواوين .

ثم أخرج إلى حلب على إمرة . ثم نُقل إلى إمرة مائة بدمشق ، فأقام بها
مدة ، وداخل آقوش الأفرم نائبها ، وأختصّ به إلى أن ولي بيرس الجاشنكير
السلطنة وفرح به الأفرم ، [ف]تغيّر الحاجّ بهادر عليه بعد مداخلته في مجالس أنسه ،
وأخذ يغيّر الأمراء عليه ويقول : هؤلاء الجراكسة متى تمكّنوا منا أهلكونا
وراحت أرواحنا . فقوموا بنا نعمل شيئاً قبل أن يعملوا بنا ! - يعني بالجراكسة
الأفرم نائب الشام والمظفر بيرس سلطان مصر . فإنهما كانا جركسيّ الجنس - .
وتخالف هو والأمير قطلوبك الكبير على الفتك بالأفرم متى ظفرا به .

فبلغ الأفرم ما عزم عليه . فلم يزل بالحاجّ بهادر إلى أن استصلحه بزعمه⁽²⁾

/ وقال : بعد أن سلمتُ من هذه الحية ما بقيتُ أفكرُ في تلك العقرب - يعني [264 ب]
بالحية الحاجّ بهادر . وبالعقرب قطلوبك الكبير . فإنّ بهادر كان معروفاً بالجرأة
ومحبة الفتن لا يكاد يصبر عن تعاطي الخمر . حتى إنّه كان يمرّ بين القصرين
بالقاهرة ويتناول الخمر . وفعل ذلك بدمشق . وكان أشبه الناس بالملك الظاهر
ببيرس .

فلما تحرّك الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك يريد أرتجاع الملك من
المظفر بيرس . أرسل الأفرم الحاجّ بهادر وقطلوبك الكبير يزكاً قدامه⁽³⁾ . فترلا
على القوّار وأظهرا مناصحة الأفرم . وأبطنا له الغدر . وبعثا إلى الملك الناصر
وحلفا له . ثم سارا إليه ودخلا معه دمشق . وحمل بهادر الجترّ على رأسه وهو
داخل إلى دمشق .

(1) في المخطوط : خيران ، وقيران له ترجمة في الدرر . 344/3 (3284) .

(2) في الوافي والمنهل : على ظنه .

(3) اليك هو الحارس .

وسار معه إلى مصر فولاه نيابة طرابلس عوضاً عن أسندمر كرجي في يوم الخميس ثاني شوال سنة تسع وسبعائة . وخرج هو والأمير قراسنقر نائب الشام من القاهرة وقبضا على المظفر بيبرس خارج غزّة ليحضراه إلى السلطان . فأشار بهادر على قراسنقر بأن لا يرسله إلى السلطان بل يوصله إلى صرخد أو صهيون حيث رسم السلطان قبل أن يرسم بقبضه . فإن وجدّا من السلطان ما يحبّان] [وإلا⁽¹⁾] كانا يخوّفانه أبداً بإطلاق بيبرس . فلم يوافقهما على ذلك وبعثه . وسار^[ا] إلى محلّ ولايتهما .

فلم يزل بهادر بطرابلس إلى أن مات بها لأيّام من ربيع الآخر سنة عشر وسبعائة . فسرّ السلطان بموته . وولي بعده نيابة طرابلس الأمير آقوش الأفرم . وكان فارساً شجاعاً مشهوراً بذلك . ونال سعادة عظيمة في أيّام حجبته بمصر والشام . وكان هو القائم بنصرة الملك المنصور لاجين على الملك العادل كتبغا بحيث إنّ كتبغا لمّا ركب من الدهليز ورأى طلب بهادر هذا وميله عليه مع لاجين قال : والله لقد خطر لي أنّه ركب في نصرتي ! فبعده ما بقي حديث ! - وهرب حينئذ . وكان كتبغا هو الذي أقام بهادر وقدمه وعمله حاجباً في أيّام نيابته .

فلم يرع له لاجين حقّه وقبض عليه عندما تمكّن سلطانه . فبعث إليه من حبسه يقول : لهذا جزائي منك ؟

فأجابه : إنّي أعلم ما فعله كتبغا معك وما أعطاك . وبعد هذا لولا أنت ، ما جرى عليه شيء . وماذا عسى بقيت أرضيك أو [أ]ملاً به عينك ، وأنا أعلم أنّي ما أقدر أفعل معك مثل كتبغا أبداً .

فقال ، لمّا بلغه هذا : قل له : أنا والله ما فعلت الذي فعلت مع كتبغا

(1) الكلام غامض في المخطوط ، والتوضيح من السلوك 2 / 80 والنجوم 8 / 274 ، والزيادة منّا .

لأجلك . وما قت عليه معك إلّا لمّا رأيت أحوال المسلمين في دولته فاسدة ،
ورأيت قصده كثير^[أ] أبناء جنسه - يعني الأويراتية - فعلمتُ أن نيتَه للمسلمين
غير جميلة . فقامت لله تعالى .

[ثم] إنّه قام مع الملك الناصر حتى أعاد الملك إليه فما وقى له ، وأخرجه
إلى طرابلس ، وأخذ في العمل عليه ، وبعث له كتاباً يتضمّن كثرة الشكر منه
والثناء عليه . فلمّا فرغ من قراءته أنشد [بسيط] :

وما تمسّكُ بالوعد الذي وعدتُ إلّا كما تُمسِكُ الماء الغرايلُ

وقال لقاصد السلطان : والله لا جاء منه خير ! وأي شيء صدق فيه حتى
يصدق الآن ؟ ولكن نستأهل كلّنا ! آه ، لو سمعوا مِنّي ! فإنّي عرفت والله أنّه ما
يبقي على أحد ممّن أحسن إليه ، وقلت لهم ، ' فاسمعوا .

ثمّ أُملي على كاتب السرّ جواباً خشناً فتلطّف في الكتابة ، حتى [إذا] فرغ
أخذه منه ، وكتب بخطّه كلاماً منكياً ، من جملة : أنت لمن صدقت حتى
تصدق لي ؟ والله ، لا جاء منك خير أبداً !

فأشتدّ حقن السلطان عند قراءته ، ولم تمض غير أحد عشر يوماً حتى قدم
عليه نعيه . فيقال : إنّه مات مسموماً . وسرّ السلطان بموته سروراً زائداً ، وقال
لخاصّته : إنّه دخل في قلبي منه رعب وخوف لا أقدر أصفه ، حتى إنّي لا
أكاد أصدّق بموته . وهو أنّي لمّا كنت في الغراي وأنا أريد مصر لم أشعر بيهادر
هذا إلّا وهو إلى جانبي بفرسه ثمّ قال لي بصوت مزعج أنزعجت له أعضائي :
أسمع يا خوند / !

[265 أ]

قلت : نعم .

فقال : اعرف أي شيء عملت معك ممالكك أليك وأبصر في أين كنت وأين
أنت الآن ! فلا تسمع فيهم كلاماً ، وأحفظهم يحفظوك ، وإياك وكلام
الصبيان ، فكلّ مائة صبيّ ما يكونوا بقدر رجل شيخ في رأيه !

(قال) والله لقد أرتعدت منه مفاصلي .
ثم أخذ يسبه ويلعنه .
وكان كريماً صاحب رأي جيد وحرمة بالغة وكلمة نافذة .

983 - بهادر الصقريّ [725 -] ⁽¹⁾

بهادر الصقريّ [بهاء الدين] ⁽²⁾ ، أحد ممالك المؤيد هزبر الدين داود بن
المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن عليّ بن رسول
التركمانيّ ، ملك اليمن ⁽³⁾ ؛

قدم إلى مصر مع تاجره وعُرض على المظفر بيبرس الجاشنكير فلم يعجبه .
وكان قد قدم رسول المؤيد صاحب اليمن بهديته وسأل أبتياح ممالك من مصر
لتقوى بهم حرمة في بلاده ، فأنعم له بذلك . فأشترى رسوله ثمانية ممالك ،
منهم بهادر هذا ، وسافر بهم إلى اليمن . وما زال المؤيد يبتاع الممالك حتى بلغت
عدهم عنده إلى خمسين . فرتب له منهم أرباب وظائف ، ما بين سلاح داريّة
وجمداريّة وسقاة ، إلى أن مات في سنة إحدى وعشرين وسبعائة ، وملك بعده
أبنته الملك المجاهد سيف الإسلام عليّ ، وعمره نحو الاثنتي عشرة سنة . وثار عليه
غير واحد ، وكثر الاختلاف ، واشتدّت الحروب في سنة اثنتين وعشرين
[وسبعائة] .

فاجتمع الممالك على بهادر هذا وقاموا في خدمته وأتّمروا بأمره وكبسوا البلاد
وساروا إلى مدينة زييد ونازلوها ، وقد أمتنع أهلها . فخدعهم بهادر حتى سلّموه

(1) الدرر 32/2 (1367) ؛ السلوك 2/265 .

(2) إضافة من السلوك 2/267 .

(3) ملك الهزبر داود الرسولي من سنة 696 إلى سنة 721 وخلفه أبنته الملك المجاهد إلى سنة

764 (انظر جداول بوزورث : الدول الإسلامية ، 76) .

البلد ، فدخلها وأستولى عليها ، وعزَّ بها جانبه وحسنت أحواله ، وتسلمن ولقب نفسه الملك الكامل ، وخطب لنفسه بزييد وضرب السكة بأسمه فنقش على أحد الوجهين : الملك الكامل ، وعلى الآخر : بهادر الصقري . ومدَّ يده إلى الأموال فصادر الناس وأخذ أموالهم .

فبعث المجاهد يسأل الملك الناصر محمد بن قلاوون النجدة ويعده مواعيد كثيرة . فندب إلى اليمَن عسكرياً عليه الأمير بيبرس الحاجب في سنة خمس وعشرين . فلما بلغ أهل زبيد قرب العسكر منهم ، خاف بهادر على نفسه وأظهر أنه يريد لقاءهم ، وفي الباطن إنمَّا قصد الفرار . فلم يخفَ ذلك على الناس ، وثأروا به ، وهم يصيحون : « مجاهد يا منصور ! » وقتلوا جماعة من المالك . فنجأ بحشاشة على فرس ، ونهبت حواصله وأمواله بأجمعها ، فاستغنى بها أهل زبيد لكثرتها . وبعثوا إلى مجاهد بتعز أن يحضر لتسلم المدينة . فعاش بعد أن كاد يتلف وتراجع إليه الناس ونزل من قلعة تعز وملك زبيد .

فلما قدم عليه العسكر كما ذكر في ترجمة الأمير بيبرس الحاجب⁽¹⁾، كتب بيبرس يستدعي بهادر وبقية الأمراء المؤيدية . فحضر بعدما حلف له أنه لا يؤذيه ولا يمكن من أذاه . فتلقاه وأكرمه هو ومن حضر معه من الأمراء . ثم رحل به مع المجاهد من زبيد إلى تعز في نصف شهر رجب منها . وبقي في خدمة المجاهد هو وجميع المؤيدية . فأخذوا في تخويفه من العسكر وتقوية عزمه على إتلافهم وكبسهم على حين غفلة . فقال إلى قولهم وتواعدوا على إحضار أصحابهم وأتباعهم وعشائرتهم ، فإذا صعد العسكر جبل صبر لقتال أهله واستقر بأعلاه ، ركبوا ليلاً وصبحوا الخيم وألقوا فيها النار ونهبوا جميع ما فيها وحسروا العسكر تحت الجبل فلا يفلت منه أحد ، وكان هذا من تدبير بهادر . فنقل ذلك بنصه إلى الأمير بيبرس فكتمه . وأصبح على أنه يصعد الجبل . فركب الموكب وأخذ يدافع عن الصعود وقتاً بعد وقت . وأتفق حضور بهادر بمفرده ، فأكرمه بيبرس ، وكان قد

(1) ستأتي ترجمة بيبرس الحاجب برقم 993 .

أظهر له مودةً وأخوةً ووعدته بمواعيد كثيرة ، وأنه يحمله إلى مصر ويعرف
السلطان منزلته ويأخذ له إمرةً بمصر . فأنخدع له . وكان هذا من بيبرس تظميناً
له فإنَّ السلطان قد عهد إليه أن يقتله .

[265 ب] فلما أتاه أختلى به ، فأخذ يعرفه أنَّ المجاهد قد استفسد ثلاثمائة مملوك من /
العسكر ليقبضوا عنده باليمن ، وحذّره من وقوع فتنة . فشكره بيبرس على نصحه
وأفترقا . فأقام بيبرس وهو في قلق زائد . فأتاه الناصح ليلاً وأخبره أنَّ بهادر قد
عزم على الفرار إلى الجبال . فبادر إلى الركوب بكرة النهار ، واجتمع إليه
العسكر ، وأتاه المجاهد في أمرائه . وتأخّر بهادر في خيمته . فلم يتمالك بيبرس
نفسه وبعث إليه بأبنة ليحضر ، خوفاً أن يفوته . وتبع أبنة في جماعة وقبض بهادر
وأتي به ، وعرف الأمراء ما نقله عن المجاهد . وأوقع الحوطة على موجوده ،
ووسطه بالسيف نصفين . فخرج أهلُ تعز بنسائهم فرحاً بموته وهلاكه ، وضربوا
الطبول والمزاهر ودعوا للسلطان دعماً كثيراً .

984 - تاج الملوك بوري الأيوبي [556 - 579] ⁽¹⁾

بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان تاج الملوك ، أبو سعيد ، الروادي
الأصل ، أخو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .
ولد ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ست وخمسين
وخمسائة .

[. . . .] قتل على باب حلب في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين
وخمسائة . وقيل : توفي ليلة الخميس ثالث عشرين صفر . وقيل : كان عمره
يوم مات اثنتين وعشرين سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً .

(1) النجوم 96/6 ؛ شذرات 265/4 ؛ وفیات 290/1 (121) .

وكان شهماً جواداً شجاعاً كريماً ما للدنيا في عينه وقع . وله شعر كثير ،
منه يرثي أخاه المعظم توران شاه من قصيدة [كامل] :

يا للرجال لنكبة قد أوهنت جلد الجليد وحسن صبر الصابر
طرقت فثا الملك المعظم فأنشني من بعد بهجته كربعٍ دائرٍ
وكذلك الأيام منذُ عرفتها ترمي أكابرَ أهلها بكبائر

قال فيه العماد⁽¹⁾ : ذو الكرم الظاهر ، والمختد الطاهر ، والفخر الصادق ،
نجره الصادق ، والتجر السامي قدره السامق ، طفل السين ، كهل السن ،
أهل المدح والثنا ، نشأ بالفضل متشبثاً ، وبالفضل متحدثاً ، وبالنبيل منبعثاً ، له
الفطرة الذكية الزكية ، والهمة العلية الجليلة ، والعزمة الماضية المضية . لم يبلغ
العشرين سنه ، ولم يورق في ترعة الترعع غصنه . وله نظم لطيف وفهم شريف
[اه] . وأنشد له قوله [طويل] :

أيا حاملَ الرُمحِ الشبيهِ بقده ويا شاهراً سيفاً حكى لحظه عَضْباً
ضَعِ الرمحَ وأَعْمِدْ ما سَلَلْتَ ، فَرَبَّمَا قَتَلْتَ وما حاولت طعنًا ولا ضرباً
وقوله [مجث] :

لي في الأنام حبيب ينمى إلى الأتراك
أشكو إليه غرامي فما يرق لشاكي
يظلُّ يضحك عجباً والطرف مني باك
فديته من غزال بعينه فتاك
ظبي أغار على ربي حقه من المسواك
يا ليتني كنت في كف ه عؤيد أراك

وله ، وقد استبعد أخوه الملك الناصر منه قول الشعر [طويل] :

(1) الخريدة : شعراء دمشق والشعراء الأمراء من بني أيوب ص 135 .

أيا ملكاً ما زال يفعل جودُهُ على سائر الحالاتِ ما يفعلُ القطرُ
أَتَكْرُرُ نثرَ الدرّ من بحرِ خاطري وتعلمُ أنّ الدرّ مسكنهُ البحرُ

985 - بُنان سعيد السعداء [544 -]⁽¹⁾

بنان ، أحد خدّام القصر في أيام الحافظ ، وهو الملقّب سعيد السعداء .
وهو صاحب الخانقاه التي صارت بعده لصالح الدين ، فوقّفها على الفقراء برحمة
العيد بالقاهرة .

وكان موت هذا الخادم في شوال سنة أربع وأربعين وخمسمائة : أمر الخليفة
بأن يحرق بالنار فأحرق عند باب البحر ورُمي برأسه ، وعلّق بباب زويلة ، وكان
جنى جنايةً أقتضت عقوبته بذلك .

986 - بهرام تاج الملوك الأرمنيّ [535 -]⁽²⁾

بهرام بن أسيد ، الوزير سيف الإسلام ، تاج الملوك ، الأرمنيّ .
[266 أ] كان يزعم أنّه من نسل داود عليه السلام . وكان من جملة الأرمن /
الواصلين إلى ديار مُضَر من قلعة الروم ، وسكن مع الأرمن في ناحية تلّ باشر⁽³⁾
مدّة . فلما مات كبير الأرمن ، كان بهرام أحقّ بمكانه ، فتعصّب عليه جماعة

(1) الخطط 3 / 401 وقد نقل عن ابن ميسّر هذا الاسم : بنان أو بيان وقال إنّ اسمه قنبر أو
عنبر . وانظر تعليق أيمن فؤاد سيّد رقم 491 من طبعته للمنتقى من أخبار مصر لأبن ميسّر
ص 144 ، و ص 90 من طبعة ماسي .

(2) الاثعاظ 3 / 97 ثمّ 155 الى 162 ثمّ 175 . ابن ميسّر (ماسي) 79 والمنتقى (فؤاد أيمن
السيد) 123 ، النجوم 5 / 242 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 1 / 968 .

(3) تلّ باشر شماليّ حلب ، وقلعة الروم غربيّ الفرات . ولعلّ تنقلهم الأوّل كان الى ديار مضر
كما أثبتنا .

من الأرمن وأقاموا غيره . فغضب وخرج من تلّ باشر وقدم القاهرة . وقتل يازمان (١) القائم بأمر الأرمن في قلعة الروم . وكان بهرام أحقّهم بمَوْضعه ، فُتِنِعَ وقام غيره بتغصّب وقع . فترك البلاد وخرج منها مغاضباً إلى القاهرة ، وصار من الجند .

وكان ذا عقل متوفّر ورأي صائب وإقدام في الحروب ، فزيدَ في إكرامه لأجل ذلك وترقّى في الخدم [و]لقّب بتاج الدولة . وخرج مع المؤمن أبي تراب حيدرة أخى الوزير المأمون البطاحي مقدّماً على طائفة الأرمن حين توجه لغزو لوانة في سنة سبع عشرة وخمسمائة وشهد حروبه ، ثمّ عاد إلى القاهرة .

وما زال بها إلى أن كانت فتنة الحسن ، ابن الخليفة الحافظ لدين الله ، ففرّ منه إلى الغربية وجمع مقطعيها والعربان والأرمن ، وسار يريد القاهرة ، وقد عاثت حشودُه في القرى والضياع ونهبوها ، وكثرت الفتن بالقاهرة بين الأجناد والسودان حتى أخرج السودان بعد قتل حسن الطائفة الجيوشية والفرجية والإسكندرانية من القاهرة وقتلوا كثيراً منهم ونهبوا ما قدروا عليه .

فلما قدم بهرام بحشوده ، تعلّق الأجناد به وأدخلوه على الخليفة وألزموه أن يؤلّيه الوزارة ، فلم يجد بداً من إجابتهم ، وخاف أن تثور الفتنة مرّةً أخرى . فخلع عليه يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة - وقيل : لإحدى عشرة خلت منه - وهو باق على دين النصرانية ولُقّب بسيف الإسلام تاج الخلافة فأشتدّ ذلك على الخليفة .

وأقتضى الحال توليته ، ف قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنّه نصرانيّ لا يرضاه المسلمون ، ومن شرط الوزير أن يرقى مع الأيام المنبر في الأعياد ليُررّ عليه المُرّرة الحاجزة بينه وبين الناس ، والقضاة نواب الوزراء من زمن أمير الجيوش ويزكرون النيابة عنهم في الكتب الحكّمية النافذة عنهم إلى الآفاق وكتب الأنكحة .

(١) قراءة هذا الاسم تقريبية .

فقال : إذا رضيانه نحن ، فمن يخالفنا ؟ وهو وزير السيف وأما صعود المنبر ، فيستنبئ عنه قاضي القضاة . وأما ذكره في الكتب الحكيمية فلا حاجة إلى ذلك ، ويُفعل ما كان يُفعل قبل أمير الجيوش .

فكثُر الإنكار من الناس لوزارة بهرام ، إلا أنه لم يدخل في شيء مشكل ، وساس الأمور بعقل جيد وتدبير حسن ، وأنفق في الجند جملة من الأموال فاستقامت أحواله وراسله الملوك وزالت الفتن من البلاد في أيامه ، فلم ينكر عليه شيء سوى أنه نصراني . وكان يقعد في يوم الجمعة عن الصلاة ويعدل إلى مكان بمقرده إلى أن تنقضي الصلاة . وسأل الخليفة أن يسمح له في إحضار أهله فأذن له في ذلك فأحضرهم من تلّ باشر ومن بلاد الأرمن حتى صار منهم بمصر قدر الثلاثين ألف إنسان . فاستطالوا على المسلمين ، وكثُر جورهم وبنوا عدة كنائس وأديرة ، حتى كان كلّ رئيس منهم يئني له كنيسة . فخاف أهل مصر منهم أن يغيّروا الملة الإسلامية ، وكثرت الشكايات فيه وفي أخيه الباساك وكان قد ولّاه قوص ، فعظم ذلك على الأمراء .

وتفاقم أمر النصارى ، ووصل إليه ابن أخيه المعروف بالسبع الأحمر ، فأطلق الأسرى من الفرنج . وشنت القالة وكاتب أهل الدولة الأمير رضوان بن الوحشي والي الغربية ، فحشد لقتال بهرام ، وخرج من سحّا في ثلاثين ألفاً حتى نزل دجوة ، وبهرام لا يترعج . فلما قرب من القاهرة جمع بهرام الأرمن وقال [266 ب] لهم : قد علمتم بأننا غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة / ، والآن فقد كثر بغضهم لآيائنا وما كنت بالذي أكون [عبد قوم]⁽¹⁾ وأخدمهم من حال الصبا ، فلما بلغت الكبر أقاتلهم ؟ والله لا ضرت في وجوههم بسيف أبداً ! سيروا بنا ! ثم أجمع بالخليفة وفاوضه في أمره . فقال له : يغلبني عليك الإسلام .

(1) النصّ مضطرب في المخطوط ، والتقوم من الخطط 3/ 160 ولعلّ السياق الأصحّ : عند قوم أخدمهم ...

فأيس حينئذ وسار بالأرمن . وقيل : بل ركب في عساكر مصر ، وخرج
ومعه الأرمن ، يريد محاربة رضوان . فلما ألتقى الجمعان خامر عليه الأمراء
ولحقوا برضوان ، فأنهزم بالأرمن . وأخذ ما خفّ من المال وخرج من باب البرقة
في حادي عشر جادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ، وسار يريد قوص ، وبها أخوه
الباساك . وأوسق مراكب كثيرة وسيّرها في النيل بما يحتاج إليه . فعندما خرج من
القاهرة تكاثرت الغوغاء على دار الوزارة ونهبوها وهتكوا حرمتها ، وخرجوا إلى
دُو[ر] الأرمن بالحسينية خارج باب الفتوح فنبهوها كلّها ، ونهبوا كنيسة
الزهري ، ونهبوا قبر البطريك أخي بهرام ومثلوا برمته .

وطار خبر هزيمة بهرام في سائر إقليم مصر حتى وصل الخبر إلى قوص قبل
وصوله إليها . فثار المسلمون بالباساك وقتلوه . فقدم بهرام بعد قتله بيومين إلى
قوص ، ومعه من الأرمن نحو الألفين ، فرأى أخاه الباساك على مزبلة وقد رُبط
معه كلب . فحق ووضع السيف في أهل قوص فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ونهب
البلد وخرج إلى أسوان ، ونزل بالأديرة البيض - وهي أماكن حصينة عدتها
ثلاث⁽¹⁾ ديارات في غربي مدينة إخميم . وتقدّم إليه ⁽²⁾ بأن يسرح من معه من
الأرمن إلى بلادهم ، ومن رضي منهم أن يقيم بمصر فلاحاً فليفعل . فأقام بأهله
وولده ، وخرج جماعة ممن معه إلى أرض الشام ، وبقيت منهم بقية كثيرة وتمكّوا
أن يكونوا فلاحين . فردّت لهم جهات ، منها سملوط وأثلوسنا وإبوان والبرجين في
صعيد مصر ، وضبعة أخرى بالحلة .

فسار إليه الأوحّد ناصر الدين إبراهيم ، أخو الوزير الأفضل رضوان
بالعساكر شرقاً وغرباً ، وقد تبعه الأسطول في النيل ، ومعه أمانٌ لبهرام ليعود
مكرماً وطائفته على إقطاعاتهم . فلم يزل على الأديرة البيض . فتقرّر الحال مع

(1) هكذا في المخطوط ، والعبارة مقحمة ، والعرض في الخطط 3 / 161 أوضح : فتفرّق عنه
عدة من الأرمن وساروا يريدون بلادهم .

بهرام على إقامته بها من غير أن تكون حرب : فلم يزل هناك إلى أن أستدعاه الخليفة الحافظ في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ، وأنزله معه في القصر وأكرمه ، إلى أن هلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . فحزن عليه الحافظ حزناً كثيراً لأنه كان يشاوره في تدبير الدولة والأمور فيعجبُه رأيه ويفتن بحزمه وعقله . وصار يوم موته على القصر غمة وأمر بغلق الدواوين ، وأستحضر بطرك الملكية ليجهّزه ، فقام بأمره . وأخرج وقت الظهر في تابوت عليه الديباج ، وحوله النصارى يبحرون باللبان والسندروس والعود . وخرج الناس كلهم مُشاةً ، ولم يتخلف عن جنازته أحدٌ من الأعيان . وخرج الخليفة راكباً بغلته خلف التابوت بعمامة خضراء وثوب أخضر من غير طيلسان وسار والأقساء يعلنون بقراءة الإنجيل ، والخليفة على حاله إلى دير الخندق خارج القاهرة - وقيل : بل في الكنيسة المستجدة بينان الزهري - فنزل الخليفة عن بغلته ونزل على شفير القبر وبكى بكاءً كثيراً ، حتى دُفن . ثم عاد⁽¹⁾ .

وكان بهرام عاقلاً حسن السياسة جيّد التدبير مقداماً في الحرب .

987 - بهرام التركماني [639 -]

بهرام بن عمر بن بهرام ، الأمير شمس الدين ، ابن الأمير حسام الدين ، التركماني .

مات بمدينة بلبس في رابع ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة . وحُمل ميتاً فدُفن خارج باب النصر من القاهرة .

وحدث بشي من شعر جعفر ابن شمس الخلافة⁽²⁾ بثغر دمياط .

(1) هذه الرواية مشابهة لرواية ابن ميسر (سنة 535) والاعتاظ 3 / 175 .

(2) جعفر ابن شمس الخلافة « مجد الملك الأفضلي الشاعر المشهور - ت 622 » ، وفيات 362 / 1 (139) .

988 - بهرام شاه صاحب بعلبك [627 -]⁽¹⁾

بهرام شاه بن فرخشاه [بن توران شاه] بن أيوب بن شاذي بن مروان ،
الملك الأجد ، مجد الدين [صاحب بعلبك] .

989 - بهرام بن [...] مقدّم الباطنية [522 -]⁽²⁾

كان من أهل [...] فلما قتل خاله إبراهيم الأزدا بادي ببغداد في
[٥٠٠] / هرب إلى الشام وصار داعي الإسماعيلية بها . وتردّد في البلاد يدعو [267 أ]
أوباش الناس وطغاهم إلى مذهبه . فأستجاب له منهم من لا عقل له وكثر
جمعه . إلا أنه كان يخفي شخصه فلا يعرف . وأقام بجلب مدّة ونفق على
إيلغازي صاحبها ، وأراد إيلغازي أن يعتضد به لاقتناء شره وشر أصحابه ، فإنهم
كانوا يقتلون كلّ من خالفهم . وأشار إيلغازي على طغديكين صاحب دمشق بأن
يجعله عنده لهذا السبب ، فقبل رأيه وأخذه إليه . وأظهر حينئذ شخصه بدمشق
وأعلن بدعوته ، وكثر أتباعه من كلّ من يريد الفساد والشر . وأعانه الوزير كمال
الدين أبو عليّ ظاهر بن سعد المزدغانيّ قصداً للاستعانة به على ما يريد . فعظم
شرّ بهرام وأستفحل أمره في سنة عشرين وخمسمائة ، وصار أتباعه أضعافاً ما
كانوا . إلا أنه خاف عامّة دمشق لفظاظتهم وغلظتهم ، فطلب من أتابك طغديكين
حصناً بأوي إليه هو وأتباعه ، فأشار عليه الوزير طاهر بتسليم حصن بانياس
إليه ، فسلمه إليه في ذي القعدة من السنة المذكورة وسار إليه . فأجتمع أصحابه
عنده من كلّ ناحية ، وملك عدّة حصون ، منها القدموس .

(1) ترجمة مبثورة ، والإكمال من مفرّج الكرب لأبن واصل 3 ومن دائرة المعارف الإسلامية
969 / 1 .

(2) خبر بهرام الباطنيّ في ذيل تاريخ دمشق 215 و 221 . وذكره المقرئيّ بأختصار في الاتعاظ
121 / 3 .

وأقام خليفته بدمشق يدعو إلى مذهبه ، فكثُر وانتشر ، وعظم خطبه وحلّت
 المحنة بظهوره . واشتدّ الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ، إلّا أنهم لا
 يقدرّون على أن ينطقوا فيه بحرف واحدٍ ، خوفاً من سلطانهم ومن شرّ
 الإسماعيليّة . فلم يقدر أحد على إنكار هذه الحالة . وشرع أصحابُ بهرام في قتل
 مَنْ يعاندهم ومعاضدة من يُوازرهم بحيث لا ينكر عليهم أمير ولا وزير .

فلَمّا مات ظهير الدين طغتكين أتاك دمشق في صفر سنة اثنتين وعشرين
 [وخمسمائة] وقام من بعده ابنه تاج الملوك بوري في سلطنة دمشق أقرّ الوزير
 ظاهر المزدقانيّ على وزارته . وبثّ بهرام دعائه من بانياس في سائر الجهات
 فاستغفوا خلقاً كثيراً ، وأمتدّت أيديهم وألستهم إلى الأخيار ، وقتلوا كثيراً من
 الناس تعدّياً وظلماً . وأغانه الوزير بغير رضى تاج الملوك .

فلَمّا أراد الله إنفاذ أمره في بهرام خدع برق بن جندل مُقدّم وادي التّيم حتى
 وقع في يده فقتله صبراً . وتألّم الناس لقتله وأعلنوا لعنَ قاتله عامة . فحقق
 صخر⁽¹⁾ بن جندل لقتل أخيه وثار في أخذ ثأره ، وجمع لقتال بهرام . فخرج
 إليه وقاتله بوادي التّيم فقتل بهرام ومَن معه في يوم الجمعة سابع ربيع الآخر سنة
 اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وحُمِلَ رأسه إلى القاهرة⁽²⁾ ، فخلع على مَنْ
 أحضره ، وأنعم عليه بمال جزيل .

990 - قاضي القضاة بهرام الدميري [(734) - 805]⁽³⁾

بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض ، قاضي القضاة ، تاج
 الدين ، أبو البقاء ، الدميريّ ، المالكيّ .

(1) في الذيل 222 : الضحّاك بن صخر .

(2) فهذا أسحق ترجمته في المقفّي : دخل مصر برأسه .

(3) النهل 3/ 438 (713) ؛ الضوء اللامع 3/ 19 (96) ؛ السلوك 3/ 1108 ؛ النجوم

أخذ الفقه عن الشيخ خليل وغيره وبرع فيه حتى صار من أئمة المالكية بديار مصر ، وأفتى ، ودرّس بالشيخونية والحجازية . وناب في الحكم عدّة سنين . فلما مات قاضي القضاة جمال الدين [عبد الرحمان] ⁽¹⁾ بن محمد بن خير ، ولي بهرام قضاء القضاة المالكية من قبل الأمير منطاش ، القائم بتدبير الدولة ، في يوم الاثنين ثاني عشرين شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعائة . أفاشر الحكم والقضاء .

وخرج مع الأمير منطاش فيمن خرج لمحاربة الملك الظاهر برقوق بالشام . فلما انهزم منطاش إلى دمشق ، وعاد الملك الظاهر برقوق إلى مصر بالخليفة ، والملك المنصور حاجي ابن الأشرف ، وقضاة القضاة ، أقرّه على وظيفة القضاء . ثم صرفه في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وسبعائة بالشيخ شمس الدين محمد الكركاكي المغربي . فلزم داره إلى أن مات في يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة عن سبعين سنة . وكان عالماً بالفقه مشاركاً في غيره . وصنّف كتاباً في الفقه سمّاه « الشامل » ، اختصر فيه شرح الشيخ خليل على ابن / الحاجب ، فجاء في مجلّد [267 ب] وشرحه في عدّة مجلّدات .

991 - بهم القائد الطولوني [- بعد 256] ⁽²⁾

بهم بن الحسين ، أحد قواد أحمد بن طولون ، بعثه لقتال بغا الأصغر لما خرج بأرض مصر فظفر به . ثم عقد له على جيش وضمّ إليه ابن عجيف ، فخرجا إلى الصعيد يوم الخميس لتسع عشرة خلت من ربيع الأول سنة ست وخمسين ومائتين ، فالتقوا بإبراهيم بن محمد الصوفي ⁽³⁾ بناحية إخميم في ثالث

(1) الزيادة من السلوك 3/ 658 .

(2) الكتلي ، 213 .

(3) ابن الصوفي العلوي : انظر ترجمته في الجزء الأول رقم 378 .

ربيع الآخر ، وهزموه ، وأحتووا على جميع ما معه ، وقتلت راحلته . فبعث أحمد بن طولون إلى بهم بخلع وطوق من ذهب صامت ، وأجازته إجازة عظيمة ، وقاد بين يديه خيلاً حسناً ، فكان بهم إذا ركب في الأعياد ركب بذلك الطوق .

992 - البهلول بن عبيدة [233 -]⁽¹⁾

بهلول بن عمر بن صالح⁽²⁾ بن عبيدة [بن حبيب بن صالح ، التجيبي ، أبو الحسن⁽³⁾ .

روى عن أبيه⁽⁴⁾ ، ومالك وعبد الله بن قروخ .

روى عنه عثمان بن أيوب المعافري [التونسي] .

ومات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

993 - بيبس الحاجب [743 -]⁽⁵⁾

بيبس [الأحمدي] الحاجب ، الأمير ركن الدين .

ترقى إلى أن صار من أمراء الألو ف بديار مصر ، ووَّلي حاجباً . ثم صُرف في سنة سبع عشرة وسبعمائة بالأمير سيف الدين ألماس ، وأستمر على إمرته . ثم سافر إلى مكة في شهر ربيع الأول سنة عشرين ليقم بها حتى لا يهجم الشريف

(1) الإكمال 53/6 ، وفيه بحث طويل في نسبه : هل هو ابن صالح أم ابن عمر ؛ رياض النفوس 1/281 ؛ لسان الميزان 2/67 (256) وزاد في نسبه : الفردمي ، وفردم بطن من نجيب .

(2) في المخطوط : ابن صالح بن عمر ، والإصلاح من بقية المصادر ، ويبدو أن خطأ المقرئ ناتج عن توقفه عند الترجمة الأولى للبهلول في تاريخ ابن يونس ، كما بين صاحب الإكمال .

(3) أبو عمرو في رياض النفوس .

(4) في تبصير المنتبه لأبن حجر 3/917 : وأبوه عمر روى عن أبيه صالح بن عبيدة .

(5) الدرر 2/41 (1377) ؛ السلوك 2/259 - المنهل الصافي ، 3/474 (720) .

حميضة على أخيه عطيفة بن أبي نُمي . فلَمَّا قتل حميضة عاد إلى مصر .
وسافر إلى دمشق في سنة إحدى وعشرين ، وخلف الأمير تنكز حتى عاد
من حجّه ، وقدم إلى مصر .

ثم سار إلى بلاد اليمن في سنة خمس وعشرين ، وسبب ذلك قدومُ رُسل
الملك المجاهد سيف الإسلام علي ابن المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر [يوسف]
ابن المنصور نور الدين عمر بن عليّ بن رسول بكتابه يشكو من الاختلاف عليه
ويسأل النجدة بعسكر . وكان قد ثار بهادر الصقري⁽¹⁾ وملك زبيد وتلقّب بالملك
الكامل ، وملك عمر بن أيك الدوادار⁽²⁾ عدن ، وملك آخر الجبال ، وملك
المنصور [...] حرّض والمهجم⁽³⁾ ، وملك آخر الجبال الشرقية . وزحف ابن
الدوادار على المجاهد وحصره بتعزّ ، فكتب ثانياً يسأل النجدة ويعد أنّه إذا وصل
عاد وأقرّ أحلامهم بالهدايا والتحف ، ويخصّ السلطان بجميع ما في قلعة دُمْلُوّة ،
وبها ذخائر ملوك اليمن كلّهم ، فتستمل من النقد واللؤلؤ والجواهر على شيء لا
يدخل تحت حصر ، وأقلّ ما يحمله منها عشرة أجمال من ذهب وجملاً [ن] من
الجواهر . وشكا من الحصر والذلّ والهوان ما رقّ له قلب كلّ قاس .

فشر[ه]⁽⁴⁾ السلطان إلى الاستيلاء على اليمن ، واستدعى الأمراء . وقرأ
عليهم الكتاب وعيّن لتقدمة العسكر بيبرس هذا ، ومعه من الأمراء سيف الدين
طينال الحاجب ، وأضاف إلى كلّ منها خمس طبلخاناه وأميرين من العشرات ،
وأربعة من مقدّمي الحلقة ، وثلاثمائة مملوك ، سوى ممالكهم وممالك الأمراء .
وفرقت أرزاقهم في يوم الاثنين خامس صفر سنة خمس وعشرين وسبعائة .
ونذب الأمير عزّ الدين أيّدمر الكجكيّ لتحصيل جبال العرب بالأجرة ، وأنفق في

(1) بهادر الصقريّ مرّت ترجمته : رقم 983 .

(2) في غاية الأمانى 499 و 501 : الدويار .

(3) غاية الأمانى ، 504 .

(4) فشر في المخطوط .

الأمراء : فبعث إلى بيبرس ألف دينار وإلى طينال ثمانمائة دينار ، ولكل من أمراء الطبلخاناه عشرة آلاف درهم ، ولكل من العشرات بألفي درهم ، ولمُقدّمي الحلقة ألف درهم لكل مقدّم ، ولم ينفق في أجناد الحلقة شيئاً وأمتنع من النفقة فيهم ، فاحتاجوا إلى تجهيز أنفسهم ، وعاهدوا على كل جمل إلى مكّة بمائة وستين درهماً ، وإلى ينبع بمائة وثلاثين ، واحتاج كلّ منهم إلى أربعة جمال . وكتب تذكّره لبيبرس بما يفعله ورسم له أن لا يخرج عمّا فيها ، وخلع عليه وعلى الأمراء .

ورحل طينال في يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر ، ومعه من أمراء الطبلخاناه ططر العقيقي ، وكوكاي طاز ، وعليّ بن طغرل الإيغاني ، وأبيك الكوندكي ، وجارباش أمير علم . ومن أمراء العشرات بلبان الدواداري ، وطرناطي [268 أ] الإسماعيلي والي باب القلّة⁽¹⁾ / في عدّة من الممالك وأجناد الحلقة . ثمّ تبعه الأمير بيبرس مقدّم العسكر ومعه من أمراء الطبلخاناه آقول الحاجب ، وقجار [الجوكندار] ، ولبان الصرخدي ، وبكتمر العلائي أستاذار ، وألجاي الحسامي الساقى ، ومن أمراء العشرات أيدمر الكوندكي ، وإبراهيم ابن التركاني في عدّة من الممالك والأجناد . ورحلوا في حادي عشره ، وقد حمل إلى بيبرس مبلغ خمسين ألف درهم مرصدة لمنّ عساه يموت فرسه في الطريق فينعم عليه بأربعمئة درهم ، فإن مات جملة أعطي ثلاثمئة درهم . وحمل برسمهم من منفلوط في البحر أربعة آلاف إردب قحاً وشعيراً لتفرّق فيهم نجدة .

فساروا إلى مكّة وارتفقوا بما حمل في البحر ، وساروا ، ومعهم الشريف عطيفة ، والشريف رميثة ، أبنا أبي نُمي بعرب الحجاز ، وقدّموا كافور^[أ] الشليلي⁽²⁾ خادم صاحب اليمن بين يديهم ليخبره بقدوم العسكر في خامس جمادى الآخرة . قدّموا حلّى بني يعقوب بعد اثني عشر يوماً وقد رعبت منهم أهل

(1) باب القلّة هو أحد أبواب قلعة الجبل .

(2) في المخطوط : الشليلي ، والإصلاح من السلوك 2 / 265 .

البلاد . فلم يتعرّضوا لأحدٍ بسوء . ورحلوا بعد [أيام] في العشرين منه ، حتى نزلوا على حرض . ورحلوا في أول شهر رجب ، فقدم الخبر بأن المجاهد قويّ أمره عندما أشتهر في البلاد خبرٌ مجيئ عسكر مصر ، وقد اتفق أهل زبيد على أخذ بهادر الصقريّ وركبوا عليه . فقرّ منهم ونُهبت أمواله وتسَلَّمَهَا المجاهدُ . فتقدّم إليه من العسكر عبد الله البريديّ ، ثم الأمير عزّ الدين الكوندكيّ ، فسَرّ بهم واعتذر إليهم من تأخّر الإقامات عن العسكر بما هو فيه . فوافى العسكر ظاهر زبيد ، وخرج المجاهد إلى لقائهم في زبيّ يضحك منه ، وأكثر من حوله غُراة مُشاة بيد كلّ منهم جريدة أو خشبة فيها خرقة بهارَنك⁽¹⁾ السلطان ، ومعه فرسان بيد كلّ منهم فرس يقوده وقد جلّله من فوق السرج ، وفيهم من يركب البغال بسرًاويلات ودراريع ، قد شدّوا سيوفهم فوق دراريعهم . والمجاهد في بني عمّه عليه عمامة فوقها عصا بملوّنة بأطراف مخيش وبنو عمّه بهذه الهيئة . فدهش عندما رأى العسكر وقصد أن يترجّل عن فرسه . فتقدّم إليه أقول الحاجب ومنعه حتى قرب العسكر منه [ف]ألقي نفسه ومن معه إلى الأرض ، فترجّل له أيضاً الأمير بيبرس والأمير طينال ، وأركباه وسارا به في الموكب وهما بجانبه إلى الخيم . وأنزلاه وقدّما له التشريف السلطان[ي] المحمول باسمه من مصر بالكلفتاه الزركش والحياصة الذهب . فألبساه وأركباه وركبا بالعسكر في خدمته إلى زبيد ، وقد عمل لهم سماءً ليس بذلك ، فلم يتقدّم أحدٌ ولا أكل منه⁽²⁾ . واعتذر إليه الأمير بيبرس بأنّ هذا لا يكفي العسكر ، وغداً يعمل بكرة النهار سماءً يليق ، ويقرأ مرسوم السلطان . وتركه وعاد بمن معه إلى الخيام .

فلما أصبحوا وقد تهيأ السَّمَاط ، ونصب للمجاهد كرسيّ عالٍ وأجلسوه عليه ، والسَّمَاط بين يديه ، ودار السقاة ، ووقف النقباء والحجّاب والجاشنكيرية على عادة أسمطة السلطان بمصر ، ووقف الأمير بيبرس رأس

(1) الرنك هو الشعار يرسم على الرايات والأعلام والسلاح .

(2) زاد في السلوك 2/ 266 : « ... خوفاً من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته » .

الميمنة والأمير طينال رأس الميسرة حتى انتهى فراغ السباط ، صاح الجاويش على أمراء المجاهد وأهل دولته ليحضرُوا . فجاءُوا وأخذوا بحالهم . فقرأ عليهم كتاب السلطان يتضمّن دخولهم في طاعة المجاهد . فقبلوا الأرض وأجابوا بالسمع والطاعة وتباشروا بذلك . ثمّ عرض المجاهد خلعه على الأمراء فأنفوا من لبسها استقلالاً لها .

وكتبوا إلى بهادر الصقريّ وغيره أن يحضروا . فحضر الصقريّ بعدما حلف له الأميران ببيرس وطينال أن لا يُمكنّا أحداً من أذاه . فتلقّياه وأكرماه .

وقلت العلوفات عند العسكر وطلبوا من المجاهد ما يعلف للدواب فلم يبعث شيئاً . وعثّفه الأمراء بسبب ذلك وقالوا له : أين ما وعدت به السلطان من أنّك

[268 ب] تقوم / بكلفة العسكر منذ يدخل إلى بلادك حتى يرجع ؟

فلم يهتزّ لتعنيفهم وأعتذر بخراب البلاد ، وكتب إلى الضياع بحمل الغنم والذرة . وسار إلى تعز في أمرائه ، ومعه من أمراء مصر الكونديّ والإسماعيليّ ، وأقام العسكر على زييد . فعادت جماهم وقصّادهم من الضياع بالخبية ولم يقابلهم أحدٌ ، فأمتدّت عند ذلك أيديهم بأخذ ما قدرت عليه . ورحلوا إلى تعز في نصف رجب فتلقّاهم المجاهد بأمرائه وقد جمع خلقاً كثيراً فكان لهم يوم مشهود . وشكوا إليه ما بهم من الجهد لقلة علف الدواب فوعدهم ومثّاهم ، ثمّ حمل أهل البلاد إليهم شيئاً يسيراً .

وسير الأمراء الشريف غطيفة أمير مكّة والكونديّ مع رسل المجاهد إلى ابن أخيه [الملك الظاهر المقيم] ⁽¹⁾ بدُمْلُوة يدعو[ن]ه إلى المطاعة . وأقام العسكر في جَهْد من قلة الجالب وارتفاع سعر الذرة ، والمجاهد يسوّف بينهم ، حتى تبين أن أمراءه خيلوه من العسكر وانتزاعه من الملك ، وحسّنوا له العمل عليهم وإتلافهم . فأول ما ظهر من ذلك قطع ماء ينزل من جبل صبر كانت الدواب

(1) الزيادة من السلوك 2 / 267 .

تَرَدُّه . ثُمَّ تَخَطَّفُوا الغلمان . فركب العسكر على أهل الجبل وقد أخذوا عدَّة من جمال الأمراء ولبسوا السلاح ، فامتنع أهل الجبل وأعلاه ⁽¹⁾ ورموا الحجارة بالـ[حـ]قاليع على العسكر فأصابوا الأميرين بيبرس وآقول ، وقتل من الأجناد أربعة ، ومن الغلمان ثمانية . وبات العسكر تحت الجبل .

فلَمَّا أصبحوا بلغهم أَنَّ المجاهد قد عَزَم على الغدْر بهم واستفسد نحو ثلاثمائة مملوك لقيموا عنده ، وَأَنَّ المصقريَّ عَوَّل على الهروب . فبادر بيبرس وقبض على المصقريَّ وعلى الغياث وأحاط على موجودهما وتمكَّن المجاهد منه ففرَّق على العسكر من موجوده عشرين فرساً عوضاً عمَّا مات من خيولهم . ثُمَّ أخرج بيبرس بهادر المصقري ووسطه نصفين بالسيف حسب ما رسم له به في التذكرة . فسَرَّ أهل تعز بقتله سروراً عظيماً . وقُيِّد الغياث ووَكِّل به ثُمَّ وَسَّط بعد ذلك أيضاً .

ثُمَّ حضر الشريف عطيفة والكوندكيَّ بأنَّ صاحب دملوة أجاب بالسمع والطاعة . فتقاضى الأمراء المجاهد إنجاز ما وعد به السلطان من المال وغيره . فأجاب بأنَّه لا قدرة له على المال إلَّا من دُمْلُوة ، صمَّم على ذلك وأشهد على نفسه بقضاة بلده أَنَّه عاجز عن القيام بالعسكر لخراب بلاده وعدم قدرته على المال ، وقد أذن لهم في الرحيل ، وَأَنَّه عاجز أيضاً عمَّا وعد به السلطان في كتبه إليه . وكتب خطَّه مع شهادة قضاته . فرحل العسكر عائداً بحُفَيَّ حنين إلى أن قدم مكَّة حادي عشر رمضان وقد تلفت دوابُّهم وهلك أكثرها . وساروا منها ثاني شَوَّال فقدموا القاهرة يوم الخميس أوَّل ذي القعدة ، وصعدوا قلعة الجبل يوم الاثنين خامسه . فخلع على الأمراء كوامل مطرز زركش وحوايص . وقد توحَّش ما بين بيبرس وطينال . وذكر بيبرس أَنَّ ذخيرته كانت ثلاثين ألف دينار مصريَّة لم يتأخَّر منها غير ألف دينار وأربعة آلاف درهم ، وأتلفـ[ت] البقيَّة في هذه السفرة .

(1) هكنا ، ولعلَّ الكلام ناقص .

فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر ذي القعدة المذكور طلع بيبرس إلى الخدمة على عادته وتوجّه إلى دار النيابة ، [ف]قال له الأمير أرغون النائب : قد رسم السلطان أن تتوجّه إلى نيابة غزّة - فلم يوافق ، فقبض عليه وسجن . وأنعم بخبزه على ألماس الحاجب ، وبخبز ألماس على طينال ، وفرّق خبز طينال على جماعة من المماليك السلطانية .

وسبب قبضه أن طينال وشى به إلى السلطان أن المجاهد صاحب اليمن حمل إليه في الليل حملين ذهباً ، وأن أبته أخذ من بهادر الصقريّ خاتميين ياقوت لا قيمة لهما وأخذ سيفه وحياسة وفيها أربعة أحجار ياقوت ولعل⁽¹⁾ . وكان [269 أ] السلطان قد علّق آماله بما وعده به المجاهد من المال . فلما عاد العسكر بغير شيء وبلغه هذا عن بيبرس لم يطقه [ف]قبض عليه وقبده ، وسلّم خازن داره وكتبه إلى الأمير الوزير مغلطاي الجمالي ليعاقبهما على إحضار الحملين الذهب والحياسة والخاتميين .

فأمّا الخاتمان فكان علي بن بيبرس قد أخذهما من الصقريّ وباعهما في القاهرة بمبلغ خمسمائة درهم . فتتبعهما حتى أحضرهما ، فإذا أحدهما بفصّ ياقوت بإصفر . والحياسة والسيف كان المجاهد قد أنعم بهما على أحد مماليك بيبرس . فلم يرهما السلطان بذلك الوصف ، فتبيّن له كذب طينال . فأمر بتخفيف القيد عن بيبرس .

وما زال في السجن حتى أفرج عنه بعد تسع سنين في يوم الاثنين ثاني عشرين رجب سنة خمس وثلاثين [وسبعمئة] وأنعم عليه بإمرة آقسنقر شادّ العائر . ثمّ نقل في سنة تسع وثلاثين على إمرة بدمشق⁽²⁾ .

(1) اللعلّ حجارة كريمة حمراء (دوزي) .

(2) في السلوك 2 / 637 : مات بها في رجب 743 .

994 - يبرس الجالقي العجمي [707 -]⁽¹⁾

يبرس العجمي ، المعروف بالجالقي ، الأمير ركن الدين ، الصالحي ،
النجمي ، أحد المالك الصالحيّة نجم الدين أيوب .

... وتوفي سنة سبع وسبعمائة عن ثمانين سنة بمدينة الرملة ، وحُمل إلى
القدس ، وهو آخر من بقي من الصالحيّة . وكان شجاعاً مقداماً ، إلا أنه ما
حضر مصافاً إلا وكان أول من أنهزم منه بعدما يبلي فيه بلاء عظيمًا . وكان يقال
عنه : قد كملت فيه الفروسية إلا أنه ليس له سعد .

وكان خيراً ديناً عنده مقدار من ماله برسم الأجناد يقرضهم منه إذا احتاجوا
في تجريدهم ويصبر به عليهم مدة ، فذهب له في هذا الوجه مال جزيل .

995 - يبرس الركني [740 -]⁽²⁾

يبرس الركني ، المظفري ، الأمير ركن الدين [الجمدار] .

كان من ممالك الأمير بكتمر السلاحدار ، ثم صار إلى الأمير يبرس
الجاشنكير قبل أن يتسلطن . فلما زالت أيام المظفر يبرس وعاد الناصر محمد إلى
ملكه وثار عليه ابن أخيه موسى ابن الصالح عليّ ابن قلاوون ، كان يبرس هذا
ممن واقفه . فنمّ به إلى السلطان فعرف له ذلك⁽³⁾ .

(1) المنل 474/3 (719) ؛ الدرر 41/2 (1376) ؛ الوافي 348/10 ؛ السلوك

40/2 ؛ النجوم 227/8 وفيها : الجالقي كلمة تركيّة تعني القوس الفره .

(2) السلوك 505/2 ومنه عرفنا سنة وفاته ؛ النجوم 325/9 .

(3) السلوك 92/2 . والعبارة هنا غامضة لأقتضابها . وفي السلوك أنّ يبرس الجمدار وافق

الجماعة ثمّ خانهم فبلغ إلى محمد بن قلاوون خبر المؤامرة .

وما زال يتقل في الخدم حتى أنعم عليه بإمرة . ثم ولي كشف البحيرة . ثم ولي الإسكندرية ⁽¹⁾ ، وحصل بها مالاً جزيلاً . فانتدب لمرافعته حسن بن الصاوي من أجناد الثغر ، وقرّر في ذهن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنه يحصل من الخمر خاصّة ثلاثين ألف دينار في السنة وأنّه [هـ] يجلبه من بلاد الفرنج ويبيعه في الفنادق المشحونة بالبغايا ، وأنّ له بالثغر ثلاثين بستاناً ، أقلّها بألف دينار ، إلى غير ذلك من الأملاك .

فخرج جمال الدين إبراهيم جمال الكفاة ناظر الخاصّ ، ومعه الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد للكشف عنه وإيقاع الحوطة على أمواله . وخلع على عزّ الدين أيدمر الزّراق بولاية الإسكندرية عوضه . فقبض عليه ناظر الخاصّ وأحاط بموجوده . فكثرت القالة السيئة فيه من جهة تضمينه الخمر ونحوه من الفواحش . ووجد له عدّة نسائين وأملاك ومتاجر ، فقام الأمراء في مساعدته حتى تفرّز عليه حمل عشرين ألف دينار وهو في بيته ، فحملها في أيام ⁽²⁾ . ومات عقيها في [. . .] . فبيعت أملاكه بالإسكندرية بخمسمائة ألف وستين ألف درهم عنها ⁽³⁾ خمسة وعشرون ألف دينار وثيّف . وبيعت تركته بنحو عشرة آلاف دينار أخرى .

وكان قبل ولايته معروفاً بتلاوة القرآن وملازمة الصلاة والعفة . فلمّا ولي ساءت سيرته وشره في أخذ المال وتحصيله من جهات غير مرضية .

996 - بيارس التاجي [- بعد 712 ⁽⁴⁾]

بيارس التاجي ، الأمير ركن الدين ، أحد البرجية . ترقّى في الخدم إلى أن ولّاه الأمير بيارس الجاشنكير ولاية القاهرة في عشرين المحرم سنة إحدى وسبعماية

(1) في 13 محرم 729 (السلوك 2 / 309) .

(2) السلوك 2 / 488 .

(3) هكذا في المخطوط ، ولعلّ بالكلام سقوطاً . وفي السلوك 2 / 493 : 560 ألفاً . ولم يزد

(4) الدرر ، 41 / 2 (1374) .

عوضاً عن ناصر الدين بن الشيخيّ . ثم صُرف عنها في [...] وأقام بدمشق من جملة أمرائها إلى أن قبض عليه في ربيع الأول سنة أئنتي عشرة وسبعائة ، هو وبيرس المجنون ، وسنجر البرواني ، وطوغان المنصوريّ ، وسجنوا بقلعة دمشق ، ثم حملوا مقيدّين إلى الكرك⁽¹⁾ .

997 - بيرس التلاويّ [703 -]⁽²⁾

بيرس / التلاويّ ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] . [269 ب]
[...] ومات بدمشق بعدما أقام في شدّ الدواوين بها سنة واحدة وسبعة وأربعين يوماً - منها [أيام مرضه] سبعة أشهر - [مات] في يوم الاثنين تاسع رجب سنة ثلاث وسبعائة .
وكان ظلوماً غشوماً عسوفاً جباراً . وولّي بعده قيران الدواداريّ شادّ طرابلس .

998 - بيرس الزاهديّ الأحذب [692 -]

بيرس الزاهديّ الأحذب الرّمّاح ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] .

تنقّل في الخدم وصار من أمراء مصر . فلمّا جرى للملك السعيد ما جرى⁽³⁾ وسبق الأمراء إلى القلعة ، كان بيرس هذا قدّامه فتقطّر عن فرسه فتكوّنت له منه

(1) السلوك 1/ 118 وأضاف : ليلهم مع قراسنفر .

(2) الدرر ، 2/ 41 (1375) - السلوك 1/ 929 و 956 ، والإكمال منه . ولم تتمكّن من سدّ الثغرة الأولى في الترجمة .

(3) أي خلع السعيد نفسه وأنزله بالكرك في ربيع الأول 678 ؛ السلوك 1/ 654 ، ولم يذكره المقرئزي من بين المشاركين في الأحداث .

حدبة وعرف بذلك .

ولم يزل حتى مات في سنة اثنتين وتسعين وستائة .
وكان جواداً .

999 - بيارس الموققي [704 -]⁽¹⁾

الأمير ركن الدين ، المنصوري ، أحد المماليك المنصورية قلاوون .
كان من مماليك الأمير [...] الموقق نائب الرحبة . فبعثه بتقدمة إلى الملك المنصور ، فوافي دمشق وقد ثار بها الأمير سنقر الأشقر ، فأخذه وما معه ، وصار في جملته إلى أن أنهزم من دمشق وقبض عليه فارتجع لديوان السلطان . وترقت به الأحوال إلى أن صار من أمراء دمشق . ومات بها يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وستائة . وظهر أنه خنقه مماليكه وهو سكران . فأثبت أولاد سنقر الأشقر أنه مملوك أيهم ، واستولوا على موجوده⁽²⁾ .

1000 - بيارس الرشيدى [680 -]

الأمير ركن الدين ، أحد المماليك الظاهرية . قُتل مع كوندك في نصف المحرم سنة ثمانين وستائة⁽³⁾ .

(1) الدرر 2 / 43 (1385) - المنهل ، 3 / 381 (725) .

(2) في الدرر : ادّعوا ولاه فلم يتم لهم ذلك .

(3) السلوك 1 / 686 . وقتل كوندك بسبب تأمره مع جماعة من الظاهرية والسعيدية على السلطان قلاوون .

1001 - بـيرس الصـيرفيّ [671 -]

بـيرس الصـيرفيّ ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك [...] .
ترقى إلى أن صار أحد الأمراء بديار مصر . ومات في رابع عشر ربيع الآخر
سنة إحدى وثمانين وستمائة .

1002 - بـيرس طـقـصوا [692 -]⁽¹⁾

بـيرس الناصريّ ، الأمير ركن الدين ، يقال له : « طقصوا » .
تنقّل في الخدم إلى أن صار من أمراء مصر في أيام الملك الظاهر بـيرس وأيام
المنصور قلاوون ، وتزوَّج الأمير لاجين الصغير بأبنته . ثم قبض عليه الملك
الأشرف خليل بن قلاوون وخنقه مع جماعة من الأمراء في أوّل ليلة من المحرم سنة
أثنتين وتسعين وستمائة بقلعة الجبل .

1003 - بـيرس المنصوريّ [725 -]⁽²⁾

بـيرس المنصوريّ ، الأمير ركن الدين ، أحد مماليك الملك المنصور
قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن تأمّر في الأيام المنصورية ، وولي نيابة الكرك إلى أن
صرفه الملك الأشرف خليل بن قلاوون بالأمير جمال الدين آقوش . وقدم مصر فأقام
بها إلى أن صار دوادار السلطان .

فلما تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل أخيه الملك الأشرف

(1) السلوك 1/ 780 و 782 : وُخِّقَ طَقْصُوا الحَمُو وأُطْلِقَ لَاجِينَ الصَّهْر .

(2) الوافي 10/ 352 (....) ؛ الدرر 2/ 43 (1384) ؛ المهمل 3/ 479 (724) ؛

السلوك 2/ 269 ؛ النجوم 9/ 263 دائرة المعارف الإسلامية 1/ 1162 .

خليل وتحكّم كتبغا في الدولة ، أعطى بيبرس هذا إمرة مائة فارس وتقدمة ألف ، وبقي على حاله دوا دار . وقوّض إليه أمر ديوان الإنشاء في المكاتبات والأجوبة والبريد ، فباشر ذلك أيام كتبغا ، وأيام المنصور لاجين إلى أن قُتل وأعيد الناصر إلى السلطنة فأستمرّ به .

وكان يباشر كتابة السرّ شرف الدين عبد الوهاب ابن فضل الله العمريّ . فبعث إليه يوماً أن يكتب إلى نائب الشام كتاباً عن السلطان بشيء ذكره . فقال : لا بدّ من مشاورة السلطان والنائب .

فغضب بيبرس منه واستدعاه . فلمّا جاءه لم يكرّث به ، وقال له : كيف أقول لك : والك ، اكتب ما تكتب !

فقال : تأدّب يا أمير ! و[لا] تقل : والك !

فقام إليه وضربه على رأسه ثلاث ضربات . فخرج من عنده ، وكان يسكن بالقلعة ، وعبر إلى الأمير سلّار النائب ، وهو أيضاً في دار النيابة بالقلعة وشكا إليه ما نزل به ، فسكّن من روعه وأقرّه عنده إلى وقت الخدمة السلطانيّة ، [ف]عرّف الأمراء ما كان من بيبرس ، وتحدّث مع الأمير بيبرس الجاشنكير - وكاناً ⁽¹⁾ حينئذ هما القائمان بأمور الدولة - فاتفق الجميع وأنكروا على بيبرس ، [270 أ] وأمر به / فأخذ سيفه وعثف تعنيفاً كثيراً . وصُرف من الدوا داريّة بالأمير عزّ الدين أيّدمر في جمادى سنة أربع وسبعائة ، وصار من جملة الأمراء الكبار .

فلمّا عاد الملك الناصر إلى الملك بعد المظفر بيبرس الجاشنكير أعاده إلى الدوا داريّة في يوم الخميس ثاني شوال سنة تسع وسبعائة ، وأضاف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس . ثمّ استقرّ في نيابة السلطنة بعد القبض على الأمير بكنشّر الجوكندار ، وخلع عليه في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى لسنة إحدى عشرة بعدما استعفى من النيابة ، فلم يعفه .

(1) أي : سلّار وبيبرس الجاشنكير .

وباشر النيابة إلى أن قبض عليه في يوم الاثنين ثاني ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة ، وسجنه هو وأقوش الأفرم وسنقر الكمال في أربعة أمراء آخر⁽¹⁾ . وولي بعده النيابة الأمير أرغون الناصري . فلم يزل في السجن إلى أن أفرج عنه بشفاعة أرغون النائب ، وأحضر من الاسكندرية هو والأمير بهادر آص في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة [وسبعائة] ، فلزم بيته . وكانت مدة سجنها نحو الخمس سنين .

ثم أنعم عليه بإمرة ثمانين بديار مصر على إقطاع مغلطي بن أمير مجلس وخلع عليه وجلس رأس الميسرة في [...] سنة ثمانى عشرة . وحجّ في سنة ثلاث وعشرين . ومات ليلة الخميس خامس عشرين شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبعائة عن ثمانين سنة ، ودفن بترته خارج القاهرة .

وكان أميراً حشماً كثير الأدب عاقلاً ، له صدقات ومعروف . وأنشأ مدرسة بسوق العزي خارج باب زويلة تعرف بالمدرسة الدوادرية ورّب فيها درسا للحنفية وجعل لها أوقافاً دارّة . وكان يخرج من داره في السحر ومعه الدراهم فيتصدق بها سرّاً .

وألّف تاريخاً سمّاه : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » ، يدخل في أحد عشر سفرّاً ، ويقال إنّه أستعان في تأليفه بكاتبه [أبي البركات]⁽²⁾ ابن كبير النصراني .

وكان يجلس رأس الميسرة ، وكان حنفي المذهب له اشتغال بالفقه . وأجيز بالفتوى والتدريس . وكان يلزم الصلوات الخمس في الجماعة ويحيي ليله صلاة وقراءة . ويقضي نهاره بسماع الحديث والبحث في العلوم .

(1) زاد في السلوك 2 / 117 : لميلهم الى قراسنقر .

(2) في النجوم 9 / 264 هامش 1 : كاتبه شمس الرئاسة ركي النصراني . وابن كبر القبطي له ترجمة في دائرة المعارف الإسلامية ، الملحق 5 - 389 / 6 (ت بين 720 و 726) .

وكان دائم البشر طلق الوجه لا يسمع غيبة أحد ولا يرى ⁽¹⁾ بالهمة مع العفة والديانة . وكان يخرج زكاة ماله وعست ⁽²⁾ غلاته ⁽³⁾ .

1004 - بيبرس الجاشنكير [709 -] ⁽⁴⁾

بيبرس الجاشنكير المنصوري . السلطان الملك المظفر ، ركن الدين .
كان يعرف أولاً بالعثاني . وملكه الملك المنصور قلاوون ، فترقى في
الخدم . وعمله جاشنكير فعرف بذلك .

ولاؤه للمنصور ولبنيه :

وكان أشقر اللون مستدير اللحية ، يوصف بعقل ودين وتزّه عن الفواحش من المحرمات . فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، ومال إليه الممالك البرجية إلى أن مات المنصور ، ومدة أيام الأشرف خليل بن قلاوون ، إلى أن قُتل [الأشرف] بتروجة ، فكان أول من نعاه وأشاع قتله فحلّ كلفته وصاح : « واسلطناه ! » ، فركب العسكر وانضمّ إلى الأمير كتبغا وقاتلوا الأمير بيدرا قاتل الملك الأشرف وقتلوه وأقاموا في السلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ⁽⁵⁾ ، وقام الأمير كتبغا بتدبير أمور المملكة . وجعل بيبرس أستاذار السلطان عوضاً عن الأمير لاجين المعروف بالحسام الأستاذار ، بحكم أنه بقي أتابك العساكر . فلم يتم ذلك سوى أيام يسيرة حتى فسد ما بين الأمير سنجر الشجاعي وزير الدولة وبين الأمير

(1) كلمة لم نفهمها .

(2) كلمة عسيرة القراءة .

(3) ختم ابن تغري بردي ترجمته في المنهل بهذا التعليق الطريف : « فهؤلاء كانوا هم الأمراء ، لا مثل أمراء عصرنا ، هذه البقر العاجرة » . وما أحوجنا الى هذه الحواطر في كتاب المقتى !

(4) الوافي 10 / 348 (4843) ؛ النجوم 8 / 232 ؛ دائرة المعارف الإسلامية 2 / 1160 ؛ الدرر 2 / 36 (1375) ؛ المنهل 3 / 467 (718) ؛ السلوك 2 / 45 ، 71 ؛ الخطط 2 / 416 .

(5) هذه السلطنة الأولى سنة 693 .

كتبغا نائب السلطنة وقبض الشجاعى على عدّة من الأمراء ، منهم بيبرس الجاشنكير من الموكب السلطانى في يوم الخميس ثاني عشرين صفر سنة ثلاث وتسعين وستائة . بعدما ضُرب بدبوس على رأسه ضربة لم يزل / بعد ذلك أثرها [270 ب] في رأسه . وحُمِل هو والأمير برلغى إلى الإسكندرية فسُجنا بها إلى أن تسلطن لاجين . فأخرجه فيمن أخرج من الأمراء . وأنعم عليه بامرة في مصر .

فلما قُتل لاجين⁽¹⁾ كان من جملة الأمراء الذين دبروا أمر مصر بعد قتله . وألقت الطائفة البرجية بأسرها عليه وأثتمروا بأمره . وقامت الطائفة الصالحية كلها مع الأمير سلار .

أقسام الحكم بينه وبين سلار :

فلما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة ، استقرّ بيبرس أستاذاراً ، وسلار نائب السلطنة . وقاما بتدبير سائر الأمور . وقدم كلّ منها حاشيته . ولم يجعل للناصر من الأمر سوى مجرد الاسم فقط . وقوي مع ذلك جانب البرجية وصارت لهم حمايات كثيرة ، وتردّد الناس إليهم في الأشغال . والقائم بذلك كلّ بيبرس . فوقع التحاسد بينهم وبين الصالحية أتباع سلار . وعظم بيبرس عن مباشرة الأستادارية ، فأستتاب فيها عنه الأمير علم الدين سنجر الجاولي وحكّمه في جميع أمورها ، وأشتغل هو بتدبير الأمور ، إلّا أنّه يتأدّب مع الأمير سلار النائب ، ويركب بين يديه .

ولما تحرك غازان محمود ملك التتار لأخذ بلاد الشام ، خرج هو وسلار بالناصر من القاهرة في عساكر مصر إلى غزّة . فثار به الأويراتية وضربه برنطاي [ف]جرح بوجهه . وكانت الفتنة التي ذكرت في ترجمة الناصر محمد بن قلاوون⁽²⁾ . فلما سكنت الفتنة ، أخذ البرجية في إغراء بيبرس بسلار ، وأنّه قد وافق السلطان على إمساك بيبرس . فدارى سلار الحال حتى رضي بيبرس ،

(1) قُتل لاجين سنة 698 .

(2) ترجمة الناصر محمد بن قلاوون رقم 3265 .

وساروا جميعاً إلى الحرب . فوافاهم غازان على وطأة حمص . فعندما توافق الفريقان عرض لبيبرس حُمى حادة وأخذة إسهالاً مُفرط لم يقدر معه أن يثبت على الفرس . فركب المحفة وأعتزل القتال . فلما كان من الكسرة على حمص ما كان وعادت العساكر إلى مصر في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستائة وتجهزت لحرب غازان مرة ثانية ، سار بيبرس وسلار بالعساكر إلى دمشق في شعبان منها . وبعثا النّوّاب إلى المالك وقتلاً من بقي من التتر . بعد رحيل غازان ، بخلب . وقررا أمور الشام [و]عادا إلى القاهرة في ثالث شوال . ثم خرجا مرة ثانية بالملك الناصر إلى جهة الشام في صفر سنة سبعمائة لحرب غازان . وعادوا جميعاً من العوجاء في جمادى الأولى . فقام بيبرس في أمر النصارى قياماً يشكره الله عليه : وذلك أنّهم كانوا قد ترايد ترفّهم⁽¹⁾ وكثّر طغيانهم وصاروا يتفتنون في ركوب الخيول المسوّمة والبغلات الرائعة بحلي الفضة والذهب . ويتأنقون في جودة الملابس الفاخرة ، وإلّهم سائر أعمال الدولة يتصرفون فيها برأيهم كيف أحبوا . فاتفق أنّ بعض المغاربة⁽²⁾ رأى أحد المتعممين راكباً وحوله عدّة من المسلمين يمشون في ركابه ويسألونه ويتضرّعون له ويقبلون رجله ، وهو لا يعأ بهم ولا يلتفت إليهم ويصبح فيهم وينهرهم ويسبّهم سبّاً قبيحاً ويُطردهم غلامه . فلما أنكر ذلك قيل له : وهو مع ما ترى نصراني !

فلم يتمالك نفسه وصعد من فوره إلى الأمير بيبرس ، ودخل عليه وهو يبكي ، وأخبره بما رأى ، وشنّع في القالة عليه . وقال : كيف ترجون النصر على أعدائكم ، وأنتم تُعزّون من أذلّ الله ، فتركبون النصارى الخيول ، وتُمكّنونهم من زيّ أهل الإسلام ، حتى أذلّوا المسلمين واستهانوا بهم ؟ - ونحو ذلك من القول .

(1) هكذا في المخطوط ، ولعلّها : ترفّهم .

(2) السلوك 909/1 : المغربي هو وزير ملك المغرب وقد مرّ بالقاهرة حاجّاً . وانظر في ص

911 هامش 1 التعليق الهامّ من الناشر .

تشديده على النصارى واليهود في اللباس :

فأثر كلامه في نفس بيبس ، واجتمع بالأمير سلار النائب ، وطلب القضاة والفقهاء وبطرك النصارى ورئيس اليهود ، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمة على حكم الشرع . فاجتمعوا بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة ، وقوض أمرهم لقاضي القضاة شمس الدين أحمد السروجي الحنفي . فالزم بطرك / [271 أ] النصارى وأساقفتهم وديان اليهود بتغييرهم زيّ طوائفهم ، وأن يتميّز النصارى بلبس العائيم الزرق ، واليهود بالعائيم الصفرة ، وأن لا يركبوا الخيول ولا البغال ، وأن يمتنعوا من سائر ما منعهم منه الشريعة المحمدية ، ويلتزموا سائر ما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فالتزموا ذلك ، وأشهد عليه البطرك أنه حرّم على جميع النصارى مخالفة ذلك والعدول عن شيء منه . وقال رئيس اليهود وديانهم : أوقعتُ الكلمة على مَنْ خالف هذا من اليهود . وكتب عن السلطان إلى سائر أعمال مصر والشام بذلك . فلما كان يوم خميس العهد⁽¹⁾ وهو العشرون من شهر رجب جمع سائر نصارى مصر والقاهرة ويهودها ، وألزموا بأن لا يخدم أحد منهم في شيء من دواوين السلطان ، ولا دواوين الأمراء ، وشدّد عليهم في المنع من ركوب الخيل والبغال ، وأن لا يخالفوا شيئاً ممّا شرط عليهم ، وهُدّدوا بالقتل إن خالفوا . ثمّ نودى بالقاهرة ومصر عليهم أن مَنْ خالف منهم ما أمر به سَفِكَ دَمُهُ . فضاقت ذراعاً بذلك وبالغوا في السعي بالأموال ليغفوا من ذلك ، فامتنع بيبس من إعفائهم وبذل جهده في الثبات ومعارضة الأمراء حتى اضطرّ النصارى الحال إلى الإذعان ، وأسلم من أعيانهم غير واحد ، أنفقه من لبس الأزرق وركوب الحمار . وسار البريد إلى سائر أعمال الشام بحمل اليهود والنصارى على [ما] شرح .

فأمّدت أيدي العامة ، وهدموا عدّة كنائس بفتوى الشيخ نجم الدين أحمد

(1) قال ناشر السلوك : هو المسمّى عيد العدس يأتي قبل الفصح بثلاثة أيّام .

أَبْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّفْعَةِ . وَجَمَعَ الْقَضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ لِلنَّظَرِ فِي ذَلِكَ ، فَصَرَّحَ ابْنُ الرَّفْعَةِ بِوَجُوبِ هَدْمِهَا ، وَامْتَنَعَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ مِنَ الْفَتْوَى بِهَدْمِهَا ، وَوَافَقَهُ الْفُقَهَاءُ عَلَى ذَلِكَ . فَغَلَقَتِ الْكَنَائِسُ بِإِقْلِيمِ مِصْرَ مَدَّةَ سَنَةٍ حَتَّى بَعَثَ الْأَشْكَرِيُّ ⁽¹⁾ مَتَمَلِّكَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ يَشْفَعُ فِي فَتْحِهَا فَفُتِّحَتْ عِدَّةُ كَنَائِسٍ حِينَئِذٍ . وَاسْتَمَرَّ النَّصَارَى بِسَائِرِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ دِمَقْلَةٍ بِيَلَادِ النُّوبَةِ إِلَى الْفَرَاتِ يَلْبَسُونَ الْعَائِمَ الزَّرَقَ وَالْيَهُودُ يَلْبَسُونَ الْعَائِمَ الصَّفَرَ ، وَلَا يَرْكَبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فَرَساً وَلَا بَغْلَةً . وَهُمْ عَلَى هَذَا إِلَى الْيَوْمِ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْقَاهِرَةِ هُوَ وَالْأَمِيرُ سَلَارُ وَأَكْثَرُ الْأُمَرَاءِ لِلنَّصَفِ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِمِائَةٍ إِلَى الصَّعِيدِ ، وَكَانَتْ وَاقِعَةً الْعَرَبُ كَمَا ذَكَرْتُ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، وَعَادَ .

فَخَرَجَ حَاجِجاً فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ أَمِيرًا ، فَدَخَلَ مَكَّةَ ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى . وَقَبِضَ عَلَى الشَّرِيفَيْنِ رَمِيَّةَ وَحَمِيضَةَ أَبْنَي أَبِي نُتْمِي وَحَمَلَهُمَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَقَامَ فِي إِمَارَةِ مَكَّةَ أَخَوَيْهَا عَطِيفَةَ وَأَبَا الْغَيْثِ ، وَقَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ اثْنَتَيْ [حـ] وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَعَهُ الشَّرِيفَانِ مَقِيدَيْنِ ، فَسَجَّنَهُمَا .

مَشَارِكُهُ فِي وَقْعَةِ شَقْحَبَ :

ثُمَّ سَارَ إِلَى دِمَشْقَ فِي ثَامِنِ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَعَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ طَغْرِيلُ الْإِيغَانِيّ ، وَكَرَارِيُّ الْمَنْصُورِيّ ، وَبِيرْسُ الدَّوَادَارِ ، وَسَنْقَرُ شَاهِ ، وَلَاجِينَ الرُّومِيّ ، بِمُصَافِهِمْ ⁽²⁾ ، وَثَلَاثَةُ آلَافٍ مِنَ الْأَجْنَادِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ غَازَانَ نَازَلَ قَلْعَةَ

(1) الْأَشْكَرِيُّ لَقِبَ أَبَاطِرَةَ بِيَزْنَةَ مِنْذُ الْقَرْنِ السَّابِعِ هِجْرِي / الثَّلَاثِ عَشَرَ مِيلَادِي وَهُوَ مَحْرُوفٌ عَنْ أَسْمِ أَوَّلِ إِمْبَرَاطُورٍ بَعْدَ اسْتِيلَاءِ الصَّلِيبِيِّينَ عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَكَانَ اسْمُهُ تَبُودُورُ لَاسْكَارِيسَ Lascaris (عَنِ السُّلُوكِ 1 / 179 هَامِش 2) . وَانْظُرْ قَامُوسَ رُوبَارِ الْأَعْلَامِ تَحْتَ هَذَا الْإِسْمِ .

(2) الْمَصَافُّ مُفَاعَلٌ مِنْ صَافٍ الْعَسَاكِرُ أَيِ رُتَبِهِمْ لِلْحَرْبِ ، وَلَعَلَّهَا : مُضَافُهُمْ . أَيِ مَا يُضَافُ إِلَى عَدَدِهِمْ وَعَدَّتِهِمْ .

الرحبة ، وبها علم الدين سنجر الغنمي ، فلاطفه مدة حتى رحل عنه عائداً إلى بلاده ، وجهز ثمانين ألفاً مع قطلوشاه أحد عظماء دولته إلى الشام . فدخل بيبرس دمشق في نصف شعبان ، وكتب يستحث السلطان على القدوم إليه . فخرج ببقية العسكر من قلعة الجبل حتى وافى ظاهر دمشق ، فكانت وقعة شقحب ⁽¹⁾ التي انهزمت فيها جيوش التتار وقتل أكثرهم ، وأبلى بيبرس فيها بلاءً عظيماً وقاتل بنفسه قتالاً مشهوراً . هو وسلار ، إلى أن كشف الله بهما التتار وهزمهما ، كما ذكر في ترجمة الناصر محمد بن قلاوون . وعاد معه إلى قلعة الجبل في شوال .

فندب زوج أخته الأمير بُرلغي إلى الحجاز ، وبعثه أمير الركب ، وجهز معه الكتب إلى الشريفين أبي الغيث وعطيفة أمير مكة / بأن لا يؤذن في الحرم بحج [271 ب] على خير العمل ، ولا يتقدم بالحرم إمام زيديّ يؤم بالزيدية في الصلوات الخمس ، وأن ترك البدع التي أحدثت في جوف الكعبة ، وهي أنهم زعموا أن بها شيئاً سمّوه : « العروة الوثقى » ، وكان الحاج يقاسي في صعوده إلى الكعبة حتى يُمسك هذه العروة أموراً شديدة ، وتنكشف فيها عورات النساء . وأحدثوا أيضاً مسماراً بالكعبة ⁽²⁾ ، فيجد الناس في مسّه ألمًا زائداً وتذهب لهم أموال عديدة . فبطل ذلك كله على يد بيبرس .

-
- (1) وقعة شقحب في رمضان 702 . وانظر تفاصيلها في السلوك 1/ 930 وما يليها .
(2) شرح ابن حجر في الدرر 37/ 2 أمر المسمار فقال : ولما حجّ بيبرس قلع المسمار الذي في وسط الكعبة ، وكان العوام يسمونه « سرّة الدنيا » . ينطح الواحد منهم على وجهه ويضع سرّته مكشوفة عليه ويعتقد أن من فعل ذلك عُتق من النار .
ولم يفصل قصة العروة الوثقى وأكفى بنعتها بالحلقة التي يسمونها العروة الوثقى . وقال المقرئ في السلوك 2/ 940 : [وأمر بيبرس] ألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان في الكعبة ممّا سمّوه العروة الوثقى ... وكان يحصل من التعلّق بها ... عدّة مفاسد قبيحة . ولم يقل إنّ هذا الإجراء تمّ عند حجّ بيبرس كما يقول ابن حجر .

مقاومته للعادات الفاسدة :

ثمّ أبطل عيدَ الشهيد من مصر ، وكان من أجلّ مواسم النصارى ، يخرجون بأجمعهم إلى ناحية شبرا من ضواحي القاهرة في اليوم الثامن من شهر بشنش⁽¹⁾ أحدِ شهور القبط ، ويلفون في النيل تابوتاً فيه أصبع بعض من سلف لهم - ويزعمون أنّ النيل لا يزيد ما لم يُلقَ فيه هذا الأصبع - فيكون في اجتماعهم من شرب الخمر والتجاهر بالفسوق ما لا يُمكن وصفه . فقام بييرس في ذلك ، وكتب إلى ولاية أعمال مصر بالنداء في الأعمال ألا يخرج أحدٌ لعمل عيد الشهيد . وبعث الحجابَ إلى شبرا فتنعوا الناس من الاجتماع بها . فكبر هذا على النصارى ، وسعوا بمنّ أظهر الإسلام منهم عند التاج ابن سعيد الدولة ، وهو أخصّ الناس بييرس حتى خيّل أن في منع ذلك عدمَ طلوع النيل وانكسار الخراج . فلم يعبأ بقوله وصمّم على إبطاله فبطلَ .

ثمّ لما خرّبت الزلزلة جامع الحاكم⁽²⁾ بالقاهرة التزمَ بعمارته وأعادَه كأحسن ما كان ورُتبت فيه عدّة دروس ، ما بين فقه على المذاهب الأربعة ، وحديث ، وقرآات ، وأقام به عدّة قراء يقرؤون القرآن ، وعمل فيه خزانة كتب جليّة شحّنها بأنواع من كتب الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك ، وحفر فيه صهريجاً يملأ من ماء النيل ويسيل طول السنة ، ووقف على ذلك ما يكفيه فأستمرّ وقفه .

وخرج إلى الحجّ مرّة ثانية أوّل ذي القعدة سنة أربع وسبعائة ومعه جماعة من الأمراء فأعاد الشريفين حميضة ورميثة ابني أبي نُعمي إلى إمارة مكّة ، وقبض على أخويهما⁽³⁾ .

(1) بشنش في شهور القبط هو أيار / ماي . مروج الذهب 2 / 335 . وانظر حديث هذا العيد في السلوك 2 / 941 .

(2) جامع الحاكم . انظر النجوم 8 / 140 هامش 1 .

(3) لم يشرح المقرئ هنا ولا في السلوك 2 / 11 سبب تراجعه في أمر أولاد أبي نعي ، وكان في حجّته الأولى قبض على حميضة ورميثة .

بداية التنافر مع سلّار :

فلَمَّا دخلت سنة ستّ وسبعمئة تنافر هو والأمير سلّار بسبب الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، فإنّه كان ينوب في وظيفة الأستداريّة . فنقل عليه ⁽¹⁾ الجاولي وما زال يغري بيبرس به حتّى صادره . فشقّ ذلك على سلّار من أجل أنّه كان صديقاً له ، وحدث بيبرس في الإغضاء عنه فلم يرجع إليه وأفرقا على غير رضا . وكان بيبرس يركب إلى موكب سلّار عند ركوبه يوم الخدمة وينزل عند منزله ، فترك الركوب معه وأنفرد بحاشيته في موكب وحده ، فتوقع الناس الفتنّة بينهما مدّة أيام ، وأستعدّ البرجيّة أتباع بيبرس وركبوا بالسلاح من تحت ثيابهم خوفاً من مفاجأة الشرّ ، إلى أن ركب من الأمراء أقوش الموصليّ قتال السبع . وبيبرس الدوادر ، وبرلغي ، وسنقر الكماليّ الحاجب . وبكتوت الفتّاح ، في عدّة كبيرة ، وما زالوا بهما حتى سكن الشرّ . وأخرج الجاولي إلى الشام بطّالاً ، وعزل سعد الدين محمد بن [محمد بن] عطايا من الوزارة . فعاد بيبرس إلى ما كان عليه من موادة سلّار .

ومنع مراكب التزهة أن تدخل في الخليج الكبير التي تسمّيه العامّة الخليج الحاكميّ ، وكان يَمَرّ فيها من اختلاط الرجال بالنساء ، وهنّ مزيّنات باديات الوجوه ، ومن شرب الخمر قبائح يتلف فيها مال عظيم ويُقتل بسببها عدّة من الناس . فبطلَ ذلك ، وصار الخليج لا يعبر فيه من المراكب إلّا ما يحمل غلّة أو متجراً ، لا غير .

فلَمَّا كان أوّل المحرم سنة سبع وسبعمئة كثر قلقُ الملك الناصر وضعجه من شدّة الحجر عليه ، فهمّ بالقبض على بيبرس وسلّار وثبتَ ذلك من

(1) في الكلام نقص . وفي السلوك 2/ 22 كانت بوادر الخصومة بين كاتب بيبرس وهو التاج ابن سعيد الدولة ، وسنجر الجاولي وهو من أصدقاء سلّار . فالجاولي ثقل على التاج فأخذ يغري مولاه بيبرس .

خاصّيته⁽¹⁾، ووافقهم الأمير بكتّم الجوكندار أمير جاندار . فثقل ذلك إليهما ، [272 أ] فاحترسا على / أنفسهما ، وثارت فتنة انجلت عن إخراج ثلاثة من الخاصّية إلى القدس ، ونفي بكتّم إلى الصّبيّة⁽²⁾ ، و[تمّ] الصّالح مع السلطان . فقوي أمر بيبرس قوّة زائدة ، وأستظهر على سلّار النّائب بكثرة حاشيته ، وهم جلّ أهل الدولة ، وعظمت مهابته . وعزم على إخراج الناصر إلى الكرك ، فمّنع سلّار بحسن تلطف .

فشرع في بناء الخانكاه بدار الوزارة من القاهرة فجاءت في أحسن هندام وأجلّ قلب ، لم يعمل قبلها مثّلها بديار مصر . ومساحتها فدّان وثلاث .

تنازل الناصر عن السلطنة :

وما زال على وفور الحرمة ونفوذ الكلمة إلى أن توجّه الملك الناصر للحجّ وعرج من الطريق إلى الكرك ، وأقام بها ، وكتب بتزوله عن السلطنة . فوافى كتابه مع الأمراء الذين ساروا معه ، في يوم الجمعة ثاني عشرين شوال سنة ثمان وسبعائة . فأجتمع سائر الأمراء ، وفيهم بيبرس . فدار الكلام بينهم فيمن يلي السلطنة ، ومال الأمراء الكبار إلى سلطنة سلّار فعرضوا بذلك له فأمتنع منه . وكبر هذا وصعب على البرجيّة أتباع بيبرس ، فقاموا من المجلس خوفاً من انعقاد أمر سلّار فتفرّق الجميع على غير سلّار⁽³⁾ . وخلا أتباع سلّار به ولائهم على امتناعه وخوفه من سلطنة بيبرس أنّه لا يبقيه ولا يبيّ أتباعه . وما زالوا به حتى أظهر أنّه إذا أعيد عليه السّؤال ، قبل .

واجتمع البرجيّة على بيبرس واتفقوا كلّهم على سلطنته ، ومنع سلّار بكلّ طريق من أن يلي السلطنة ، وتحالفوا أنّه متى تسلطن سلّار جذبوا سيوفهم يداً

(1) قراءة ظنيّة . وفي السلوك 33/2 : وشكا [السلطان] ذلك لخاصّيته .

(2) الصّبيّة قلعة بانياس ؛ النجوم 6/281 هامش 2 .

(3) هكذا في المخطوط . ولعلّ الأنسب : على غير اتّفاق . وانظر السلوك 45/2 .

واحدة وقتلوه . ودخلوا إليه فطال خطبهم معه ، وهو لا يُوافقهم على السلطنة . وأنَّ الأمر قد انتظم لسلَّار ، إلى [أن] قاموا من مجلسه ليلاً على غير رضا ، وصاروا إلى الأمير برلغي ، وكانت ابنةُ بيبرس تحته ، وأخبروه بما وقع . فوافقهم هو وبقية أصحابه من الأمراء على مرادهم . وأخرجت الأسلحة واستعدَّ الفريقان للحرب .

فبلغ ذلك سلَّار ، فاستدعى أتباعه من الأمراء ، وتلطَّف بهم حتى رضوا بما يختاره . وجلس بشبَّاك دار النيابة . وحضر بيبرس وسائر الأمراء والمالِك . وجيء بالخليفة أبي الربيع سليمان والقضاة . وقرئ عليهم كتاب الملك الناصر ، وشهد أيدمر الخطيري والحاج آل الملك بتزوله عن السلطنة . عند قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي⁽¹⁾ . فأثبت النزول .

وأعاد الأمراء القولَ فيمن يلي السلطنة ، وأشاروا بسلطنة سلَّار . فقال : نعم ، بشرط أن كلَّ ما أشير به لا تخالفوا[ن]ني فيه .

تولية بيبرس السلطنة :

فلما ألتزموا موافقته حلقهم على المصحف ألا يخالفوا له قولاً . فقلق البرجية ونظر بعضهم إلى بعض ، خوفاً من تمام الأمر لسلَّار . فلما حلف الأمراء كلهم قال سلَّار : والله يا أمراء ، أنا ما أصلح للملك ، ولا يصلح له إلا أخي هذا -- وأشار إلى بيبرس ، ونهض قائماً . فقامت البرجية بأجمعها وقالت : صدق الأمير ! - وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرهاً ، وصاحوا على الجاوشية فأعلنوا بأسمه ، وأفيضت عليه الخلعة الخليفة - وهي فرجية حرير أطلس أسود ، وطرحة - وتقلَّد سيفين على العادة ، وركب فرس النوبة بالرقبة الزركش من دار النيابة . ومشى سلَّار وسائر الأمراء والعسكر بين يديه ، وعبر من باب القلعة إلى

(1) توفي هنا القاضي سنة 717 ؛ النجوم 8 / 233 هامش 2 .

الإيوان⁽¹⁾ ، وجلس على تحت السلطنة ، وتلقّب بالملك المظفر ، وصار يبكي بحيث يراه كلّ أحد ، وذلك في يوم السبت ثالث عشرين شوال [سنة 708] ⁽²⁾ . ثمّ قام ودخل إلى القصر وتفرّق الناس ، بعدما كان يظنّ أنّ الفتنة تعظم بين أتباع سلّار وأتباع بيبرس ، فلم يتحرّك ساكن . وحضر الأمراء يوم الاثنين خامس عشرينه للخدمة فأظهر لهم الغمّ بما نزل به ، وأنّه أكره على ما هو فيه . وخلع على الأمير سلّار واستقرّ في نيابة السلطنة على عادته . وكتب إلى الأعمال بالبشارة : فخرج بيبرس الأحمديّ إلى حلب ، وبلاط إلى حماة ، وأينك [272 ب] البغداديّ / وزير بغداد وساطي إلى دمشق . وكتب تقليد الملك الناصر بنبابة الكرك والشوبك . فوردت أجوبة الجميع بالسمع والطاعة والدعاء له على المنابر وضرب السكّة بأسمه ، إلّا الأمير آقوش الأفرم . فإنّه توقّف حتى بعث إلى الملك الناصر من يثق به ، فلمّا عاد وأخبره بتركه السلطنة حلّف للمظفر وخطب بأسمه في يوم الجمعة سادس عشر ذي القعدة .

فأستدعى الخليفة والقضاة وجدّدت له الولاية بالسلطنة مرّة ثانية ولبس الخلعة الخليفية ، وكتب له العهد من إنشاء علاء الدين علي بن عبد الظاهر ، وحمله صاحب ضياء الدين عبد الله النشائي⁽³⁾ على رأسه ، وحضر الأمراء قراءته .

ثمّ ركب السلطان من الغد بشعار السلطنة في موكب عظيم إلى قبة النصر ، وقد خلع على سائر أرباب الدولة ، من أرباب السيوف والأقلام ، فبلغت عدّة الخلع إلى ألف ومائتي خلعة ، وعلى السلطان فرجية سوداء بطرز ذهب وعمامة سوداء ملمّعة بقطع ذهب وهي مدوّرة اللّفة ، وسيفاه على عاتقيه ، والوزير ضياء

(1) الإيوان هو دار العدل ، الخطط 2/ 226 .

(2) السلوك 2/ 45 .

(3) في السلوك 2/ 27 : صاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد النشائي ناظر الدواوين .

الدين قدامه على فرس ، والعهد على رأسه في كيس حرير أسود . ثم عاد إلى القلعة ، وكان يوماً مشهوداً .

بعض أعماله المعمارية :

وشرع في إنشاء جسر من قلوب إلى دمياط ، فعمل عمله في نحو شهر ، وجاء طوله مسافة يومين⁽¹⁾ في عرض أربع قصبات من أعلاه وست من أسفله ، بحيث سار عليه ستة رؤس من الخيل صفّاً واحداً ، وعظم الانتفاع به ، فإن السلوك في أيام النيل كان يمتنع في البر إلى دمياط لعموم الماء الأراضي .

ورمّ ما تحوّب من قناطر الجيزة فحصل بها نفع زائد .

ثم كتب في سنة تسع إلى الأفرم نائب الشام بإبطال المقرّر على الخمر بسائر البلاد الشامية من الساحل وغيره⁽²⁾ ، فبطل ذلك وأريقّت الخمر وغلّقت الخمّارات . وعوّض الأجناد الذين كان مرّبهم على مقرّر الخمر جهة سواها .

وشرع في تقديم البرجية ، فأمر منهم جماعة ، وندب واحداً منهم كان يعرفه بالصرامة والقوة لتتبع المنكرات بالقاهرة ومصر وإزالتها حيث كانت . فأحضر والي القاهرة ومصر ومقدميها وجميع الخفراء ، فضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلّوه على من عنده خمر ، فكتب أسماءهم وأماكنهم ، وكبس البيوت على حين غفلة ، ومعه طوائف من العامة ، وأراق خموراً كثيرة جداً . فافتضح كثير من الناس ، ونهب العامة نهباً كثيراً من أمتعة أهل الدور . فشنت القالة وتحدّث الأمراء مع السلطان في ذلك حتى رسم بالكف عنه .

(1) عبارة السلوك 49/2 أسلم : يسير عليه الراكب يومين .

(2) في السلوك 53/1 ما يُشعر بأن الإبطال كان من الأفرم ابتداءً ، فعَمَّ بييرس الحجر على سائر مملكته .

تعرّ الحال بمصر في مدّته :

وكثر الإرجاف بحركة التتر إلى بلاد الشام ، فبرز الدهليز السلطانيّ إلى الريدانية خارج القاهرة ، وقد فشلت الأمراض الحادّة في الناس وعمّ الوباء ، وتوقّفت زيادة النيل وارتفعت الأسعار حتى بلغ القمح خمسين درهماً الإردب . وترقّب كلّ أحدٍ شدّة القحط ، فخرج الناس واستسقوا . وتأخّر وفاء النيل بعد النوروز بتسعة وأربعين يوماً فلم يوف إلى تاسع عشر بابه ⁽¹⁾ حتى صارت العامّة تلهج كثيراً بقولها :

سلطاننا رُكّين ونائبنا دُقين
يحبينا الماء من أين ؟
يجبوا لنا الأعرج يجيء الماء ويدّحرج ⁽²⁾

ثمّ سار عدّة من الأمراء على ألفي فارس إلى حلب ، فأخذت دولته في الاضطراب : وذلك أنّه كثر توهّمه من الملك الناصر وقصد كلّ أحد من أتباعه وألّزاه أن يرقى إلى أعلى من منزلته ، وصاروا يتّهمون الأمير سلّار النائب بمُباطنة الناصر ، وأغروا السلطان به وحسّنوا له القبض عليه ، فجنّ عنه . ومع ذلك فلم يترك الملك الناصر بل وجّه إليه بالأمير مغلطاي أيتغلي ⁽³⁾ ، ومعه كتاب يتضمّن إرسال ما أخذه من مال مصر وخيوطها والماليك الذين عنده ، مع المال الذي استولى عليه من حاصل الكرك . فإلفظه الناصر وبعث إليه مائتي ألف درهم ، فلم يقنعه ، وبعثه مرّة ثانية وأمره بإغلاظ القول عليه وأخذ الخيل التي

- (1) بابه من شهور القبط : تشرين الأوّل / أكتوبر (مروج 2/ 335) .
(2) في بدائع الزهور 1/ 424 شرح لهذه النعوت : ركين تصغير ركن الدين وهو لقب بيبرس ، ودقين نعت سلّار لأنّه كان « أجروء ، في حنكه بعض شعرات » . أمّا الأعرج فهو الناصر ابن قلاوون « وكان به بعض العرج » .
(3) علاء الدين مغلطاي أيتغلي ، السلوك 2/ 58 .

عنده والماليك ، فعزّ على الناصر ، وبلغ المظفر ، فكثرت قلعته وجمع الأمراء ليأخذ رأيهم . فاتفقوا أن يتوجّه إليه بعض الأمراء ويتهدّده بأخذ الكرك منه متى لم يرجع عما هو فيه .

وهم في المشور إذا بكتاب الأمير آقوش الأفرم نائب الشام قد ورد يخبر بأن الملك الناصر قد خرج من الكرك ولا يدري أين يقصد . فوقع العزم على تجريد العساكر ، وأعيد جوابه بأخذ الطرقات عليه . وطار هذا الخبر بديار مصر . فعزم الأمير سيف الدين نوغاي القَبْجَاقِيّ أحد أئِمام الأمير سَلَّار النائب على الفتك بالملك المظفر ، ووافقه عدّة من المالِك . فلما ركب السلطان إلى جهة بركة الحجاج للصيد ، وعاد من صيده يريد القلعة ، همّ نوغاي بمّا في نفسه ، وصار يتقرّب من السلطان قليلاً قليلاً . ففطن البرجيّة به وأستداروا حول السلطان وأحترسوا عليه حتى صعد القلعة . فاتّهم البرجيّة سَلَّار بموافقة نوغاي وأغروه به . فاستدعاه السلطان وحدّثه في مسك نوغاي ومَن وافقه ، فدافع عنه وخوّف عاقبة مسكّه من تغيّر الخواطر ، وأشار عليه بالتغاضي وأنصرف .

فبلغ الخبر نوغاي ، فركب بعد المغرب من ليلة الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع [وسبعمائة] ومعه الأمير علاء الدين مغلطاي القازانيّ ، والأمير سيف الدين تقطاي الساقى ، وستون مملوكاً ، وشقّوا القاهرة ومروا ، يري_\ون الملك الناصر بالكرك . فارتجّت القاهرة وبلغ السلطان مسيرهم فاستدعى سَلَّار في الليل ، وبعث في طلبهم الأمير علاء الدين سمك أخا الأمير سَلَّار ، وقطر ابن الفارقانيّ⁽¹⁾ في جماعة من أتباع سَلَّار نحو الخمسمائة فارس . فتباطؤوا في السير حتى قدم نوغاي بمَن معه غزّة وعرجوا إلى الكرك بعدما أخذوا من قُطيا

(1) في المخطوط : ابن القازانيّ ، والإصلاح من السلوك 2 / 60 .

الحمل⁽¹⁾ ، وهو مبلغ مائة وعشرين ألف درهم ، وأخذوا خيل الوالي والعربان .
وعاد سُمك من غزّة بالعسكر .

تورّعه عن الايقاع بسلّار :

فزاد إغراء البرجيّة السلطان بسلّار وأشاروا عليه بقبضه وتجريد من يثق به
حتى يأخذ الطرقات على مَنْ لعلّه يتسحب من مصر إلى الكرك . فأخرج من
الأمراء سيف الدين بينجار أحد أمراء الألوّ ، والصارم الجرّمكيّ ، في طائفة ،
وبعث الأمير جمال الدين آقوش الروميّ بجماعته إلى طريق السويس ، وقبض على
أحد عشر مملوكاً ، وأميرٍ يقال [له] سيف الدين أيطرا من الأويراتيّة فيمنّ أنّهم
بالناصر . فخاف البقيّة وخرج مائة وعشرون مملوكاً من المنصوريّة والأشرفيّة
والأويراتيّة وساروا ، فأدركهم بينجار والجرّمكي وحارباهم ، فجرح الجرّمكيّ في
فخذيه جرحاً بالغاً سقط منه إلى الأرض وانهزم البقيّة . وسارت الممالك حتى
قدموا الكرك .

فأختلّ أمر المظفر وكثر تأنيب البرجيّة له ولومُه على الإغضاء عن سلّار ، فلم
تطاوله نفسه على موافقتهم واعتذر إليهم بكثرة حاشيته وأنّ مسكّه لا يتأثّر إلاّ
بعد حربٍ عظيمةٍ لا يُدرى عاقبتها . وعزم على تجريد عسكر كبير إلى الكرك ،
وعيّن من الأمراء برلغي الأشرفيّ زوج ابنته ، وجمال الدين آقوش نائب الكرك ،
وأبيك وزير بغداد ، وطغريل الإيغانيّ ، وباكير⁽²⁾ ، وتمتّ عشرة أمراء مقدّمين
وثلاثين من أمراء الطبلخاناه ، وأرسل إلى برلغي عشرة آلاف دينار ، وإلى كلّ
من المقدّمين ألفي دينار ، ولكل من الطبلخاناه ألف دينار ، ولكل من مقدّمي
الحلقة ألف درهم ، وللجندي خمسمائة درهم ، فأنفق فيهم مالاً عظيماً .

(1) الحمل : ما يحمل الى خزينة السلطان من جباية ولايةٍ ما (دوزي) . وانظر السلوك 10 / 2
هامش 3 .

(2) في السلوك 62 / 2 : الأمير سيف الدين تناكر .

بدء اختلال أمره بعد تحرك الناصر من الكرك :

فساروا من القاهرة في العشرين من شعبان ، ونزلوا العباسية ينتظرون قدوم البريد من دمشق . فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى ورد كتاب نائب الشام بأنه أخرج عدة أمراء من / دمشق ويستحبّ خروج عسكر مصر ، فإنّ قراسنقر نائب حلب [273 ب] وغيره من النّوّاب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر ، وأنّه حلّف عسكره بدمشق أن لا يخونوا السلطان ولا يتوجّهوا إلى الملك الناصر . فاشتدّ عند ذلك قلق المظفر ، وجتمع الأمراء ليأخذ رأيهم ، وإذا بمملوك الأمير برلغي قدم من العباسية بكتابه يخبر أن ممالك آقوش الروميّ قتلوا [هـ] وأخذوا جميع ما معه وساروا إلى الملك الناصر ، وأنّ عدة من أمراء الطبلخاناه ، وكثيراً من ممالك الأمراء تبعوهم يريدون الناصر ، ومتى لم يخرج بنفسه فسد الأمر . فسقط في يده .

وأخرج من الأمراء بشاش وبكتوت الفتاح وطائفة من البرجية ، فلحقوا بالأمير برلغي عوضاً عمّن تسحب ، وقواه بألفي دينار ، وكتب إليه : إنني سائر إليك عقيب هؤلاء .

فعزم برلغي على الرحيل من العباسية بمنّ معه إلى الشام . فلمّا كان الليل رحل معظم العسكر يريدون الكرك محبّةً في الناصر . فانزعج برلغي وكتب إلى الملك المظفر يعلمه بفساد حال العسكر ، وأنّه غلبه وقد لحق أكثره بالناصر ، ويستحثّه على الخروج ، وافتتح الكتاب بقوله [سريع] :

كنا ندارها فقد مرّقت واتسع الخرق على الراقع ⁽¹⁾

وختم آخره بقوله [وافر] :

وما غلظت رقاب الأسد حتى بأنفسها تولّت ما عناها

(1) البيت في أمالي القالي 72 / 3 غير منسوب إلى شاعر معيّن . ولم ينقل البيتان في السلوك ولا في النجوم .

فلما وقف عليه قال لحامله : قل لبرلغي : لا تخشَ من شيء ، فإنَّ الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعةً ثانيةً وجدّد لنا عهداً قرئ على المنابر ، وجدّدنا عهد اليمين على الأمراء ، وما بقي أحدٌ يحسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين ، فإنّه قد أكّد في كتابة العهد .

وناوله قاصدَ برلغي وقال : اذهب به إليه ودعه يقرأ وحده ، ثمّ يجمع الأمراء والجند في مخيمه ويقرؤه الموقع عليهم ثمّ يبعثه إليّ ، ويرحل بالعسكر فإنَّ نائب الشام ينتظر قدومه . - ودفع إليه ألفي دينار أخرى ليوصلها إلى برلغي .

فلما وصل العهد إلى برلغي فتحه فإذا أوّلُه : « إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ » (النمل ، ٣٠) ، فقال : « وَلَسُلَيْمَانَ الرَّيْحُ . . . » (الأنبياء . 81 وسبأ ، 13) . ثمّ التفت إلى الذي جاء به وقال : قل له : يا صقيع الذقن ، والله ما بقي أحدٌ يلتفت إلى الخليفة - ثمّ قام وهو مغضب .

تجديد البيعة من الخليفة لم يجد شيئاً :

وكان سبب كتابة هذا العهد أنّه لما ورد كتاب الأفرم نائب الشام بأنّه حلف العسكر ، أشار صدر الدين محمد بن المرحّل ، وشسس الدين محمد بن عدلان على المظفر بأن يجدّد الخليفة له البيعة ، وتقرأ على المنابر وعلى الأمراء ويجددوا أيمانهم بالوفاء ، فإنّ ذلك أثبت للمملكة . فأعجبه ذلك . وكتب عن الخليفة بعد البسملة : من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين ، سليمان بن أحمد العبّاسي ، لأمراء المسلمين وجيوشها : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء . 59) . وإنّي رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عني على الديار المصرية والبلاد الشامية وأقمته مقام نفسي لدينه وكفايته وأهليته ، ورضيته للمؤمنين ، وعزلت من كان قبله بعد علمي بتزوله عن الملك . ورأيت ذلك متعيناً عليّ ، وحكمت بذلك

الحكّام الأربعة] . وأعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم⁽¹⁾ ليس بالوراثة لأحدٍ ، سالفٍ عن سالف ، ولا كابرٍ عن كابر . وإني استخرتُ الله تعالى ووَلَّيتُ عليكم الملكَ المظفرَ ، فمَنْ أطاعه فقد أطاعني ومَنْ عصاه فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى ابنَ عمِّي أبا القاسم عليه السلام . وبلغني أنَّ الملكَ الناصر ابنَ السلطان الملك المنصور شقَّ العصا على المسلمين وفرَّق كلمتهم وشَتَّت شملهم وأطمع عدوَّهم فيهم وعَرَّضَ البلادَ الشاميَّةَ والمصريَّةَ إلى سبِّي الحرِّم والأولاد وسفك الدماء ، وتلك دماء / قد صانها الله من ذلك . وأنا خارجٌ إليه ومحاربُه إن [274 أ] استمرَّ على ذلك ، ودافعُ عن حرِّم المسلمين وأنفسهم وأموالهم هذا الأمرَ العظيمَ ، وأقاتلُه حتَّى يفيءَ إلى أمر الله . وقد أوجبتُ عليكم يا معاشِرَ المسلمين كافَّةَ الخروجِ تحتِ لوائي اللواءَ الشريف . فقد أجمعتُ حكّامَ المسلمين على وجوب دفعه وقتاله إن استمرَّ على ذلك حتَّى يفيءَ إلى أمر الله ، وأنا مستصحب معي لذلك السلطان الملك المظفرَ ، فجهَّزوا أرواحكم ، والسلام ، والحمد لله وحده .

وُقرئ على منابر الجوامع وقت الخطبة في يوم الجمعة . فلمَّا وصل الخطيب بالجامع الأزهر إلى ذكر الملك الناصر صاحبتِ العامةُ : نصره الله ! - وكرَّرت ذلك . فلمَّا وصل إلى ذكر الملك المظفرَ صاحوا : لا ! لا ! ما نريدُه ! - وارتجتِ القاهرة وضجَّ أهلها بسبب هذا طول يومهم .

انضمام الشام إلى الملك الناصر :

فقدم البريد من دمشق بكتاب الأفرم يتضمَّن أن امراء الشام كلَّهم وسائر النواب قد مالوا مع الملك الناصر ، ويُشير عليه أن يخرج بنفسه ، وإلَّا فسد الحال . وقدم قاصد الأمير برلني أيضاً بكتابه يخبر أن جميعَ مَنْ معه من أمراء الطليخاناه ساروا إلى الملك الناصر ولم يبقَ معه سوى نائب الكرك ، ووزير

(1) الملك عقيم : لا وراثة فيه بالنسب . وانظر التعليق الهامَّ من ناشر السلوك المرحوم محمد مصطفى زيادة 2 / 65 هامش 4 .

بغداد⁽¹⁾ ، وباكير ، وألدكر ، والفتاح لا غير . فجبن عن الخروج وأظهر كراهة سفك الدماء ، وتعلل بولاية الخليفة له وعزل الملك الناصر ، وأنه ما لم يقبلوا ذلك ترك لهم الملك واستسلم لقضاء الله .

فركب برلغي وأقوش نائب الكرك من العباسة وسارا يريدان الملك الناصر . وعاد وزير بغداد وبكتوت الفتاح في من بقي من البرجية إلى المظفر فعثفوه على تفريطه وتوانييه . وكان قد أمر من مماليكه وألزامه في أول رمضان عدة سبعة وعشرين ، وشقوا القاهرة بشعار الإمرة على ما كانت العادة . فصارت العوام تقول : يا فرحة لهم ، يا فرحة لا تمت !

وأخرج طائفة من مماليكه إلى الصعيد . فلما بلغه تسحب برلغي صهره أيس من البقاء في السلطنة واثضع حاله وظهر عليه الخذلان ، فتجرت عليه البرجية وعثفوه تعنيفاً خشناً لتغاضيه عن سلار ، ونسبوا كل ما وقع إليه - وكان كذلك⁽²⁾ . فوافقهم على قبضه يوم الاثنين نصف رمضان إذا دخل إلى الخدمة . فبلغ ذلك سلار فلم يحضر وتمارض . فبعث المظفر يستدعيه ليأخذ رأيه فاعتذر بشدة الألم عن الحضور .

وأصبح بيبرس يوم الثلاثاء سادس عشره فطلب الأمراء واستشارهم ، فأشار عليه الأمير بيبرس الدوادار والأمير بهادر آص بالتزول عن السلطنة والإشهاد عليه بذلك كما فعل الملك الناصر ، ويبعث يستعطفه ، [وقال :] وتخرج إلى أطفيح حتى يأتيك جوابه .

تنازل بيبرس عن السلطنة :

فقال إلى هذا وجهز خيالة وأخذ من الخزائن ما وقع عليه اختياره وركب

(1) في السلوك : أليك البغدادي .

(2) تبسط المقريري في هذا الحكم في السلوك 2 / 70 ، فزاد : فإن سلار لما فاتته السلطنة وقام فيها بيبرس ، حسده ودبر عليه .

ومعه الأمير أيدمر الخطيرى أستاذار ، وبكتوت الفتاح ، وقجاس ، وباكير ، في
عدّة من أزمائه . فكأنّما نودي في الناس أن قد فرّ السلطان ! - فاجتمعوا من كلّ
جهة ووافوه وهو قد خرج من باب الاصطبل فصاحوا عليه وتبعوه وهم يبالغون
في الصباح . ورماه بعضهم بالحجارة ، فنثر عليهم دراهم ليتشاغلوا عنه فلم
يلتفتوا إليها ، وعدّوا خلفه يسبّون^[ن]ه ويشتمون^[ن]ه ويصيحون عليه . فلمّا زادوا
ردّ إليهم طائفة من المالك وسيوفهم مسلولة فرجعوا عن أعقابهم .
وكانت مدّة سلطنته عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، كان كما قيل
[خفيف] :

أعجلتْها النوى فما نلت منها طائلاً غير نظرةٍ من بعيد

ومرّ ببيرس سائراً إلى إطفيح ، وكان لا ينزل منزلة إلّا وتذهب طائفة بعد
طائفة ممّن معه ويأتون / القاهرة ، إلى أن وصل إخميم ، فتركه الخطيرى [274 ب]
والفتاح وعادا ، وتبعهما أكثر المالك ، وبيرس يراهم فلا يقدر على منعهم .
وقدم عليه ببيرس الدوادار وبهادرآص بأمان الملك الناصر والإنعام عليه
بصهيون ، وطلب ما معه من المال وغيره ، فقبل ولاية صهيون وسلّم ما أخذه
من المال وغيره لكتابه كريم أكرم الكبير ليحضر به إلى السلطان . وسأل أن يخلف
له السلطان فأجابه إلى ذلك وحلف بخضرة أيتّمش المحمّدي وسيّره إليه . فكتب
الجواب بالطاعة .

القبض عليه بأمر من الناصر :

وتوجه على طريق السويس يريد الشام ، فبعث السلطان في طلبه الأمير
أسندمر كرجي على جماعة من المالك ، فوافى مدينة غزة وقد نزلها الأمير قراسنقر
نائب الشام ومعه النّوّاب فأقاموا حتى بلغهم قرب ببيرس ، فساروا بأجمعهم إليه
فلقوه شرقيّ غزة ، وعليهم السلاح ، وقد لبس ممالك ببيرس أيضاً السلاح
ليقاتلوا العسكر فكفّهم ببيرس عن ذلك وساق فرسه إلى الأمراء مستسلماً لهم

فأخذوه وعادوا به إلى غَزّة وأنزلوه وحدّه وأحاطوا على أسلحة مماليكه كلها .
ووكّلوا بهم وباتوا يحرسونهم . فلمّا كان من الغد ساروا ببيرس يريدون مصر إلى
أن نزلوا الخطارة . [ف]أتاهم أسندمر كرجي وأمرهم بتقييده وأركب على بغل
وسار به أسندمر .

فقدم قلعة الجبل سحر يوم الأربعاء ثالث عشر ذي القعدة . فلمّا كان الليل
استدعاه السلطان . فلمّا مثل بين يديه قَبْل الأرض . فأجلسه وأخذ يعتقه ويعدّد
عليه ما فعل به حتى فرغ ، وهو ساكت . ثمّ قال : يا مولانا السلطان ، كلّ ما
قلّته فعلته ، وما بقي إلّا مراحمُ مولانا السلطان .

فقال : اليوم أنا أستاذك ؟ وبالأمس تقول لمّا طلبتُ إوزاً مشويّاً : أيّ
شيء يعمل بالوز ؟ الأكل هو عشرون مرّة في النهار ؟

ثمّ أمر فأخرج إلى موضع خال فتوصّلاً وصلّى العشاء الآخرة ، وأتاه
السلطان في خواصّه وقتله ⁽¹⁾ . ثمّ حمل على جنوية ⁽²⁾ وغسل من الحوض الذي
تحت القلعة . واشترى له بعض الركابين قطناً برقع درهم وكفّنه ودفنه في تربة
الفراس اقطاي خلف القلعة في ليلة الجمعة النصف من ذي القعدة سنة تسع
وسبعائة .

ويبعث تركته فوجد له شيء كثير إلى الغاية ، منه ثمانون بدلة ثياب كاملة .
ثمّ نقل منها بعد موته إلى تربيته بسفح المقطم .

مناقبه :

وكان من خيار ملوك الدولة التركيّة ، صالحاً ، عابداً . معدوداً من فرسان
الخليل ، قويّ ⁽³⁾ الشوكة ، عظيم الحرمة ، محترماً عند الخاصّة والعامة ، إلى أن

(1) السلوك 81/2 ، والنجوم 275/8 أكثر تفصيلاً .

(2) الجنوية : أضلاع من لوح يُستجّ بها .

(3) في المخطوط : بأقوى .

ولي السلطنة [ف]زال حرمته وذهبت مهابته من قلوب جميع الناس . وبقي له دينه وورعه وعفته وطهارة ذيله وقلة أذاه وصدق كلامه .

ووفى للأمير سلار بما عاهد عليه وثبت ، فلم يتغير ولا مال مع من ميّله عنه ، ولا أصغى إلى كثرة إغرائهم ، حتى إنّ أمره لما اضطرب قال في بعض الليالي لمؤدّنه شمس الدين محمد البلخي : إيش تسمع ؟

فقال : الذي أسمع : أنا أختصر للسلطان بيت شعر من قول المتنبي [بسيط] :

أيملك الملك ، والأسياف ظامئة والطيرُ جائعة ، لحمٌ على وَصمٍ ؟

فقال : ويلك ، بس تفسّر⁽¹⁾ أنت والمتنّي ، والله لا لقيت الله تعالى بدم مسلم⁽²⁾ قطّ !

وكان له في حياته صدقات ومعروف على الأيتام وأرباب البيوت ، وكان له وهو أمير سبعمائة مملوك .

1005 - بيبرس الأحمدّي [746 -]⁽³⁾

بيبرس الأحمدّي ، الأمير ركن الدين ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون ومن جملة البرجيّة .

ترقى في الخدم إلى أن عمله الملك الناصر محمد بن قلاوون أمير جندار مقدّم ألف بعد قبضه على بكتوت الفتاح في شوال سنة تسع وسبعمائة . ثمّ عمله أمير / [275 أ]

(1) كلمة غير مفهومة .

(2) في المخطوط : مسلمة .

(3) الوافي 10 / 353 (4848) ؛ الدرر 2 / 35 (1372) ؛ المنهل 3 / 479 (724) ؛ السلوك 2 / 698 ؛ النجوم 10 / 143 .

سلاح . فاستمرّ إلى أن قبض عليه وعلى الأمير سيف الدين أيبك الرومي المنصوري في رابع عشرين شوال سنة ثلاث عشرة [وسبعائه] ، وبعث إليه مع الأمير قجليس يقول له : أنت وأيبك خوشداشك قال لكما المنجمون بأنه يتسلطن وأنت وافقته على هذا .

فلما بلغه قجليس ذلك قال : اللهم إن كان هذا الأمر صحيحاً فقسّ قلب السلطان علينا ، وإن كان كذباً فحتنّ خاطره علينا !

فأعاد قجليس قوله على السلطان ، فقال : عُذ وفكّ قيده فإنه ما يكذب . فكفّ القيد وأتاه به ، فأنعم عليه بإمرته على عادته . ولم يعرف عن السلطان أنه قبض على أمير وأفرج عنه ، غيره .

وما زال على مكانته حتى مات السلطان ، وكانت تلك الاختلافات من بعده . [ف]أراد الناصر أحمد أن يقبض عليه فاحترس على نفسه وانقطع عن الخدمة وأظهر أنه مريض . فأخرج لنيابة صفد . ثم كتب لأقسنقر الناصري نائب غرة بالقبض عليه بصفد . فألى أن يجمع أقسنقر عسكر غرة ويسير بهم بلغ خبره الأحمديّ . فسار من صفد وقد لبس للحرب هو ومماليكه . فقاتله عسكر صفد فقتل منهم خمسة ومضى إلى دمشق فقدمها ، وبها الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، والأمير طرنطاي الحاجب ، في عدة من خشداشيته . فتلّقوه وأكرموه .

فلم يكن غير يومين حتى قدم كتاب الناصر أحمد من الكرك ، وقد سار إليها من قلعة الجبل وأقام بها ، يأمر فيه بالقبض على الأحمديّ . فأجابوا بالسمع والطاعة ، ودسّوا للأحمديّ بأن يركب للحرب . ثم ركبوا حتى واجهوه وكاسروا عن قتاله وأعادوا القاصد بجواب غير طائل . وكتبوا إلى أمراء مصر ، وإلى أيدغمش نائب حلب ، وإلى الحاج آل ملك نائب حماة ، حتى انتقضت دولة أحمد وتسلطن الصالح إسماعيل بن محمد ، فكتب إليه نيابة طرابلس فتوجّه من

نمشتق إليها فأقام بها نحواً من شهرين .

ثمّ طلب إلى مصر ، وولي طرابلس عوضه الأمير أروم بغا⁽¹⁾ . فلما قدم الأحمديّ إلى قلعة الجبل ، أنعم عليه بإمرة ، وجَهَّزَه [ه] لحصار الناصر أحمد في الكرك ، فبالغ في ذلك فلم ينل منه غرضاً ، وعاد إلى القاهرة .

فأقام بها حتى مات في سنة ستّ وأربعين وسبعائة ، وقد قارب الثمانين سنة .

وكان فيه بَرٌّ وكرمٌ نفس وإيثار للفقراء ، مع الشجاعة ، وحسن الشكالة ، وقوّة النفس ، وشدّة البأس ، والديانة والصيانة . وله عناية بأقتناء الخيول المسوّمة والمماليك الحشمة ، ولم يركب قطّ حِجْرة ، وإنّما يركب الفحولة . وكان يحبّ الشجعان ، ولا يزال يأخذ مماليكه بالمواظبة على اللعب بالرمح والرمي بالنشاب ، ويعتني بآلات الحرب ، حتى إنّهُ بعد خروجه من صفد وهو لا بأس ومماليكه فضل عنه ثمانون قرقلًا⁽²⁾ وثمانون بَرَكُصْطُوان⁽³⁾ ومائة خوذة ونحو خمسين ألف فردة نشاب ، وغير ذلك من السروج والآلات .

وكان أحد من يسار إليه بعد الملك الناصر محمد في التولية والعزل . وهو الذي قوى عزّم الأمير قوصون على إقامته [ه] أبي بكر ابن الناصر في السلطنة وخالف رأي الأمير بشتاك ، ثمّ لمّا أخذ أبو بكر في اللعب قال في القصر : إيش هذا اللعب ؟ - فأنفلّ ندماء السلطان الملك المنصور أبي بكر .

(1) في المنيل : أرنيغا وكذلك في السلوك 2 / 637 .

(2) القرقل : نوع من الدروع تُتخذ من صفائح الحديد المغشاة بالديباج ؛ السلوك 1 / 746 .

(3) البركُصْطُوان وهو ما يسمّى أيضاً التجفاف : كساء مزركش يلبس للخيّل إمّا للوقاية وإمّا للزينة ؛ السلوك 1 / 177 (هامش) ودوزي .

بيبغا التركماني الخاصكيّ ، الأمير سيف الدين ، أحد ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون .

كان شاباً جميلاً كريماً ، له عند السلطان مكانة مكيّة ويرجع إلى قوله .
إلا أنّه لم يسعد جدّه : وذلك أنّ السلطان لمّا ضاق ذرعه من شدّة تحكّم
الأميرين بيبرس وسلّار عليه ، قصد الاستبداد بالأمر ، وواعد الأمير بكنتمّر
الجوكندار على الفتك بالأميرين . فلم يتمّ له ذلك ، وعلماً بما وقع الاتفاق
عليه ، فاتفق مع الأمراء وما زالوا بأجمعهم حتى أخرج السلطان إليهم بعدّة
من خاصّكيّته ، منهم بيبغا لهذا ، وأيدمر المرقبيّ ، وخاص ترك . فأوسعهم بيبرس
وسلّار سباً وتوبيخاً وحملهم على البريد إلى القدس في ثالث عشر المحرم سنة
[275 ب] سبع وسبعائة . فبعث الأمير أقوش الأفرم نائب الشام / ينكر على الأميرين
إخراج خاصّكيّة السلطان ويهدّدهما بأنّهما إن لم يعيدوهما إلى السلطان لحضر بنفسه
وأعادهم . فلم يجدا بداً من إحضارهم .

وأنعم على بيبغا بإمرة فلم يُمتّع بها ومات من السنة في [...] . فاشتدّ حزن
السلطان وأسفّه عليه لشدّة غرامه به ، ونزل بنفسه من قلعة الجبل حتى رثّب له
تربة ، وتقدّم إلى وكيله شهاب الدين أحمد بن عليّ بن عبادة بعمارتها من ماله .
فلمّا كملت جعل عليها عدّة أوقاف للقرّاء والفقهاء والمؤدّنين وغيرهم من أرباب
الوظائف بها ، وهي باقية إلى يومنا .

(1) في السلوك 35 / 2 و 37 اسمه يلبغا . وفي النجوم 9 / 185 : بيبغا كما هنا . وفي الخطط

3 / 168 و 4 / 320 : يلبغا أيضاً . وتراجم الياء مفقودة من المقيّ .

ولم يرد ذكر بيبغا بالباء في السلوك ولا في الخطط . وقد أعتبر ناشر النجوم 9 / 185 هامش
3 قراءة يلبغا في أحد الأصلين تصحيحاً ، ولعلّها هي القراءة الصحيحة إذا أعتدنا الخطط
والسلوك .

1007 - ببيغا تتر حارس الطير [- بعد 751] ⁽¹⁾

ببيغا تتر ، الأمير سيف الدين ، عُرف بحارس الطير ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون .

تتَقَلَّ في الخدم حتى صار أحد أمراء الألو في أيام الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون على إقطاع طرنطاي الجمقدار لمَّا أخرج لنيابة حمص في ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعائة .

ثمَّ ولَّاه الناصر حسن نيابة السلطنة في يوم [السبت ثامن] ⁽²⁾ ذي القعدة سنة إحدى وخمسين عوضاً عن ببيغا أروس ⁽³⁾ ، وقد توجَّه إلى الحجَّ . فلمَّا خلع الحسن بأخيه الصالح صالح عزله عن النيابة بالأمير قبلاي وأخرجه إلى نيابة غزّة .

1008 - ببيغا أروس القاسميّ [- 754] ⁽⁴⁾

ببيغا أروس القاسميّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن قلاوون .

ترقَّى في الخدم إلى أنَّ عمله السلطان من الخاصَّكية . وأوَّل ما شُهر ذكره في

(1) في النجوم 9 / 171 : يلغا حارس طير الناصر ، فالتردَّد بين ببيغا وبلغا متواصل : ببيغا ططر في النجوم 10 / 168 ، 190 ، 220 و 262 . وكذلك في السلوك ج 2 في مواضع كثيرة ، مع تأرجح بين ططر بالطاء وتتر بالتاء . وفي الوافي 10 / 358 (4852) : ببيغا تتر .

(2) الإكمال من النجوم 10 / 220 .

(3) تأتي ترجمته بعد هذه .

(4) الوافي 10 / 355 (4851) ؛ الدرر 2 / 44 (1387) ؛ المنهل 3 / 486 (731) ؛ السلوك 2 / 935 ؛ النجوم 10 / 293 ؛ بدائع الزهور 1 / 552 .

أيام الصالح إسماعيل ، فرتقى حتى صار من أمراء الألو ف . وأنعم عليه المظفر حاجي في يوم بألفي دينار ومائة قطعة قماش وأربعة رؤوس خيل مسرجة بسروج ذهب ، وعمله أمير مجلس .

ثم استقرّ نائب السلطنة بديار مصر عوضاً عن الأمير أرقطاي في خامس شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . فلم يزل إلى أن توجه إلى الحج ، فعزله السلطان الملك الناصر حسن بالأمير بيغا ططر⁽¹⁾ في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين .

وكان قد شكر في نيابته لقلّة ظلمه ، و[لأنّ] من مات أعطى ابنه إقطاعه أو مرتبه .

ثم كُتب بإمساكه فأمسك على ينبع في سادس عشرين ذي القعدة وقُيد . فأخذه الأمير طاز معه حتى طاف وحجّ وهو مقيد . ثم مضى به الأمير طينال الجاشنكير إلى الكرك ، فدخلها يوم الأحد سابع محرّم سنة اثنتين وخمسين .

ثم أفرج عنه الصالح ، وقدم إلى القاهرة . وولي نيابة حلب عوضاً عن الأمير أرغون الكاملي . ومضى به الأمير عزّ الدين طقّطاي مسفره ، فقدم غزّة ، وبها الأمير بيغا تتر وقد عزل من نيابة السلطنة بديار مصر بالأمير قبلاي . فعمل له سماًطاً وقبض عليه وبعث به إلى الكرك ليعتقل بها ، وذلك في شعبان منها . ثم أفرج عنه وقدم في نصف رجب منها وخلع عليه نيابة حلب في تاسع عشره عوضاً عن أرغون الكاملي ، ونقل أرغون لنيابة دمشق . فسار إلى كفالته وصحبته مسفره الأمير طقّطاي . فلم يقدّم بحلب سوى عدّة أشهر وخرج عن الطاعة ووافقه الأمير شهاب الدين أحمد الساقى نائب حماه ، والأمير بكلمش نائب طرابلس ، رابن دُلغادر قراجا وحيار⁽²⁾ بن مهتا ، وألطنبغا برناق نائب

(1) يرد هذا اللقب أحياناً بتاءين : تتر .

(2) أخذنا بقراءة الدرر ، 2/ 169 (1638) لضبط هذا الاسم ، وكذلك الدليل الشافي ،

280/1 (967) .

صفد . فخرجت العساكر طائفةً بعد أخرى من القاهرة لحربه ، بعد أن كتب إليه أن يحضر .

ثم سار الملك الصالح صالح في سابع شعبان سنة ثلاث وخمسين وقد بلغه خروج ببيغا أروس من حلب بجموعه في ثالث عشر رجب ونزوله على حماه ثم على حمص ، وأنه لما وصل إليه الكتاب بحضوره قبض على مَنْ حملة إليه وقيدته . ودخل دمشق في خامس عشرينه وقد سار عنها الأمير أرغون النائب إلى الرملة بغير ممانع . فلما بلغه مسير السلطان رحل من أصحابه قراجا بن دلغادر وحيار بن مهنا بمن معها ، فأضطرب أمره وتَفَحَّدَ⁽¹⁾ عنه كثير ممن معه ، وخرج يريد حلب في تاسع عشر شعبان . فكانت مدة إقامته بدمشق أربعة وعشرين يوماً قُبُحت فيها آثار أصحابه وساءت سيرتهم ونهبوا وسبوا وحرقوا عامة ما بين حلب ودمشق من الضياع .

ونزل السلطان غزّة فلقية الأمير أرغون نائب الشام على بُدْعَرَش ، وسار في العساكر إلى دمشق ، فقدمها غزّة / شهر رمضان . وسار الأمراء في طلب ببيغا [276 أ] أروس وقد قدم حلب في تاسع عشرين شعبان فإذا هي ممتنعة عليه . فبات ظاهرها لينازلها من الغد ، فأدركته عساكر من أهل حلب وطرابلس وحماه في جمع كبير من العرب وأهل بَانْقُوسَا⁽²⁾ . فلم يَثْبُتْ لهم وطنٌ أنْهم عسكر السلطان ، وولّى منهزماً بمن معه . فأخذهم العربان وأهل حلب ونهبوا خزائنه وأثقاله ، ونجا بنفسه ومعه أمير أحمد نائب حماه وبكلمش نائب طرابلس في مائة ونيف حتى لحق بقراجا بن دلغادر . فكوتب بالقبض عليه فأمتنع . فخلع على رمضان أحد أمراء التركمان وعمل عوضاً عن ابن دلغادر ، فقبض عليه وبعث به إلى حلب فقتل بها في شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعائة .

(1) هكذا أيضاً في السلوك 2 / 871 وقد شرحها الناشر بمعنى : تأخروا عنه وخذلوه .

(2) جبل بانقوسا : قريب من حلب شمالها .

بيدرا ، الأمير بدر الدين ، أحد المالك المنصورية .

أصله المغولي :

أصله من المغل الذين أسروا بعد وقعة عين جالوت على حلب . فكان منهم أم بيدرا ، وهو طفل تحمله على ظهرها في لباد . فحُملت فيمن حمل إلى مصر في أيام الظاهر بيبرس ، ومن جملتهم كتبغا ، وهو مراهق . ففرقهم الظاهر على الأمراء وكان في نصيب قلاوون المرأة وأبناها وكتبغا . فزوج أم بيدرا بسنجر الشجاعي .

وترقى في الخدم بديار مصر حتى صار من جملة الأمراء أمير مجلس . ثم نقل إلى الأستدارية . فلما قبض الملك المنصور قلاوون على وزيره الأمير علم الدين سنجر الشجاعي . قوض الوزارة بعده إلى بيدرا في يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وستائة . وأستقرّ تقيّ الدين نصر الله بن فخر الدين الحوجريّ معه ناظر الدواوين⁽²⁾ .

ثمّ صرف عن الوزارة في يوم الخميس تاسع عشر شهر ربيع الآخر بقاضي القضاة تقيّ الدين عبد الرحمان ابن بنت الأعزّ ، وكانت مدّة وزارته شهراً .

تولّيه الوزارة للمنصور قلاوون ثمّ لأبنيه الأشرف :

ثمّ أعيد إليها مرّة ثانية بعد توفّر⁽³⁾ ابن بنت الأعزّ منها . فلم يزل يباشر الوزارة حتى مات الملك المنصور وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل وقبض

(1) الوافي 10/ 360 (4855) ؛ المنهل 3/ 493 (724) ؛ السلوك 1/ 788 .

(2) السلوك 1/ 741 : « ... شريكاً لثلاثة وهم ابن السهريّ والحراييّ وابن الحلبيّ .

(3) هذه عبارة السلوك 1/ 742 أيضاً ولا نجد في المعاجم توفّر من الشيء .

على طرنطاي النائب [ف-]ولي بيدرا نيابة السلطنة بديار مصر بعد طرنطاي في تاسع عشر ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . وحضر مع الملك الأشرف فتح قلعة الروم .

وسار من دمشق في شهر شعبان سنة تسعين ، ومعه من الأمراء قراسنقر الجوكندار نائب حلب ، وبكتوت الأتابكي . وبكتوت العلائي ، على عسكر كبير لقتال أهل جبال كسروان . فبعث من جهة الساحل الأمير بيبرس طقصو وأبيك الحدودي في فرقة ، وسار بمن بقي . فالتقوا بالجليل وقد فتر عزم بيدرا عن قتالهم طمعاً في مال رشي به ، حتى أخذ أهل الجبال في الأوعار والمضايق جماعة من العسكر ، ووقعت الكسرة واختلّ الحال . فأحتاج بيدرا إلى تطمين أكابر أهل الجبال ، وخلع عليهم . فتغيّرت قلوب الأمراء وأنكروا عليه . فعاد إلى دمشق . وخرج السلطان إلى لقائه وترجل له عند السلام . ثم أنكر عليه إنكاراً كبيراً . فخاف [بيدرا] عاقبة ذلك ومرض في أوائل شهر رمضان - وتحذّث الناس بأنه قد سّي السم - فتصدّق بمال جزيل ، وأخرج من في سجونته ، وردّ غصباً كثيرة إلى أربابها ، وعمل مُهماً عظيماً⁽¹⁾ في عاشره بجامع دمشق وقرى القرآن الكريم به . وعاد مع السلطان إلى مصر .

فلما توجه السلطان إلى بلاد الصعيد استخلفه على مصر بقلعة الجبل ، وهو ضعيف . فأتتهى السلطان إلى قوص ، وكشف الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس الوجه القبلي فوجد الجهات التي في ديوان بيدرا من الإقطاعات والمشتراوات والحمايات⁽²⁾ أكثر من الجهات الجارية في ديوان الخاص السلطاني . ووجد الشئون السلطانية خالية من الغلات وشئون بيدرا مملوءة . فعرف السلطان ذلك وأغراه به حتى تغيّر عليه .

(1) في المخطوط : مجتمعاً . والإصلاح من السلوك 1 / 779 .

(2) في السلوك 1 / 782 : ... وما أشتراه وما حمّاه .

كشف أحواله المالية :

فبلغ الخبر بيدرا فجعل يتلافى ذلك . وجَهَرْ تَقْدَمَة عَظِيمَة ، من جملتها خيمة حرير أطلس أحمر معدني بأطنا ب إيزيسم ، وأعمدة صندل محلاة ، ومُفَصَّلَة بفضّة مذهبة ، وبَسَطَهَا بُسُطُ حرير ، وأخرجها إلى ناحية [276 ب] العلوِيّة⁽¹⁾ ، ومعها بقيّة / التقدمة .

غضب الأشرف على بيدرا لأحتجانه مال السلطان :

فلما عاد السلطان من بلاد الصعيد نزل بها . فلم يعبأ بها ولا بالتقدمة وطلع إلى القلعة . فأرتجع للخاصّ بعض ما بأسم بيدرا . ولما خرج السلطان ليتصيّد بالجيزة قدم الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس إلى الإسكندرية ، فكتب إلى السلطان بأنّ نواب الأمير بيدرا استولوا على ما في الثغر من القماش وغيره وأنّه [لم] يجد ما يكفي به الإطلاقات⁽²⁾ . من التعايي القماش الإسكندراتي . فلما وقف السلطان على الكتاب استشاط غضباً واستدعى بيدرا وسبه وبالغ في إهانته والإخراق به بحضرة الأمراء . فدارى الحال حتى خرج من المجلس وقد تميّز من الغيظ . فطلب الأمراء الذين يهون⁽³⁾ هواه وحدّثهم بما نزل به من السلطان ، وقد كانوا شاهدوا ما جرى ، وأخبرهم أنّه يترقّب منه أن يقبض عليه . فأشاروا بمبادرة السلطان لئلا يفعل فيه وفيهم كما فعل في سنقر الأشقر وجرمك وغيره .

- (1) العلوِيّة : بلدة خارج القاهرة قرب بركة الحبش ؛ السلوك 783 / 1 هامش 1 .
(2) الإطلاقات : شرحها ناشر السلوك 788 / 1 هامش 4 بأنّها الهبات التي يعطيها السلطان أو يقرّها أو يزيد في قيمتها .
(3) في المخطوط : يهون . وفي السلوك : ... ومن يوافقه .

أغتيال الأشرف وتسلطن بيدرا :

فتحالفوا وتعاهدوا على قتله وركبوا مع بيدرا وقتلوا الأشرف كما قد ذكر في ترجمته⁽¹⁾ . وعادوا إلى الوطاق ونزلوا بالدهليز⁽²⁾ السلطاني وعقدوا السلطنة لبيدرا وأجلسوه في مرتبة السلطنة وقتلوا الأرض وحلفوا على الوفاء له ولقبوه بالملك الأوحده - وقيل : بالملك المعظم ، وقيل : الملك القاهر - وذلك في يوم السبت عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .

فأول ما بدأ به أن قبض على بيسري ، وبكتمر السلاح دار أمير جندار وأمر بقتلها . فقام الأمراء وشفعوا فيها ، فرسم عليهما . وركب من فوره تحت السناحق ، والأمراء بين يديه ، وسار يريد القاهرة . وكان الأمير كتبغا قد توجه للصيد في طائفة من الأمراء . فلما بلغه قتل السلطان أقبل مسرعاً إلى الوطاق ، فلقى الأمير برلغي ، وبيبرس الجاشنكير ، والحمام لاجين الأستاذار ، وبكوت العلائي ، وجماعة الممالك السلطانية . فساروا جميعاً في إثر بيدرا يريدون قتاله . فلحق بيدرا الرزدخانا وهى سائرة عند المساء ، فسأله من فيها عن السلطان فقال : أنا قتلته .

فقال له الأمير بيببرس أمير جندار : يا خوند ، لهذا الذي فعلته كان بمشورة الأمراء ؟

قال : نعم ، أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم . وها هم كلهم حاضرون وأشار إلى الأمير لاجين نائب الشام ، وقراسنقر نائب حلب ، وبيسري وغيره . ثم شرع يعدد مساوىء الملك الأشرف ومخازيه ، وأسبغاءه بالأمراء وممالك أبيه ، وإهماله لأموار المسلمين وتوليته الوزارة لابن السلغوس ، ونفور الأمراء منه

(1) ترجمة الأشرف خليل بن قلاوون رقم 1397 .

(2) الوطاق والدهاليز : الحيمة .

لمسكه الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، وقتل الأمير سنقر الأشقر وجرمك وطقصو
وغيره⁽¹⁾ ، وتأميره مماليكه ، وقلة دينه ، وشربه الخمر في شهر رمضان ، وفسقه
بالمردان .

انتقام كتبغا من قاتلي الأشرف :

وسأل عن الأمير كتبغا فلم يره . فما هو إلا أن طلع النهار يوم الأحد إذ أقبل
الأمير كتبغا في طلب كبير نحو الألفي فارس من الممالك السلطانية والأمراء .
فالتقى بالأمير بيدرا في الطرانة⁽²⁾ . وقد رتب كتبغا جماعة ترمي بالنشاب على
بيدرا . وحمل بنفسه وبمن معه عليه حملة منكرة وقال : يا بيدرا ، أين
السلطان ؟ - ورماه بسهم ، وتبعه الرماة ، فلم يثبت بيدرا وانهمز وتفرق عنه
أصحابه ، والطلب في إثره ، إلى أن أخذ فقطعت يده ثم كتفه قِصاصاً منه بما
فعله بالأشرف . ثم قطعت رأسه ورُفعت على رمح وسُيرت إلى القاهرة ، فطيف
بها .

ووجد في جيبه رقعة فيها فتيا نصّها : ما يقول فقهاء الإسلام في رجل
يشرب الخمر في شهر رمضان ويفسق بالمردان ولا يصلي ؟ فهل على قاتله ذنب أم
لا ؟ - فكتب في الجواب : يقتل ولا إثم على قاتله .

تخوفه من السلطنة :

ومن غريب ما وقع أنّه لما ولّاه الأشرف نيابة السلطنة دخل عليه الجحد
عيسى ابن الخشّاب وهو في خلوة ، فقبل يده وهنّأه . فقال له : يا مجد الدين ،
تُهَنّئني بأمر أنا أخشى عقابه وأنشد [طويل] :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمري عن قليل يلومها
[277 أ] / إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

(1) هؤلاء خنقهم الأشرف خليل سنة 691 ؛ تشریف الأيام والعصور لابن عبد الظاهر ، 281 .

(2) هي طرنوت القديمة (مركز كوم حماده اليوم) ؛ النجوم 8/16 هامش 1 .

ثمّ دمعت عيناه ساعة ، فكأنّه نظر إلى الغيب من ستر رقيق . وكان كما قال .

وجرح مرّة بالرمح في وجهه ، فقال السراج الورّاق [كامل] :
عجباً لرمح في يمينك طرفه من جراحة فيه لطرفك طامح
ولوأنّه في غير كفك ما ارتقى يوماً ولو كان السهاك الرامح

وقال فيه علاء الدين عليّ بن المظفر الوداعيّ [كامل] :

عمرت بعدلكم البلاد وأقبلت فترى ربوعاً أو ربيعاً أخضرا
والناس كلّهم لسانٌ واحدٌ داع : أدام الله دولةً بيدرا !
حبّه للكتب والغناء :

وكان يرجع إلى دين وعقل ، ويحبّ الكتب في أنواع العلوم ، وأقتنى منها جملة وأستنسخ أيضاً جملة . وكان يحبّ الفضلاء ويقدمهم ويكرمهم . وكان حسن الوجه مهابة مأمون الغائلة سهل العريكة بشوشاً لطيفاً ظريفاً حسن الأخلاق محبباً إلى الناس ، له شغف زائد بالطرب : وجد له بعد موته ستون جارية ما فيهنّ إلّا من تتقن صناعة . وكان له نديم أعمى لا يكاد يفارقه . وكان يحبّ التأنق في المآكل ويعتني بها ، حتى إنّ له لما سافر مع السلطان إلى قلعة الروم أراد السلطان أن يطعم الأمراء حلوة سكب⁽¹⁾ بمنزلة الورادة وندب الحسام أستاذار لذلك ، فاحتاجت الحلوى إلى فستق ، فوجد صحبة الأمير بيدرا منه ثمانية أحمال بغير قشر وستة أحمال بقشر ، فبعث منه حملاً عملت منه الحلوى وفرقت على الأمراء .

وأشتملت محاسبة إقطاعه بعد قتله فيما بين ورثته وبين الأمير كتبغا ، فإنّه

(1) السكب أو السكب العثمانيّة : نوع من الحلوى (دوزي) .

أخذ النيابة بعده واستولى على إقطاعه بما فيه من الغلال وغيرها ، فشطب⁽¹⁾ على المحاسبة من الديوان السلطاني بينهم على ستة آلاف إردب قمحاً ، ومائتي إردب برسيماً ، وثلاثمائة وثمانين رأس بقر ، وستة أحجار معاصر ، وأربعة آلاف قطعة قند واثنى عشر ألف مطر⁽²⁾ عسل ، ومائتي قنطار سكر ، وألفي إردب فولاً ، وثلاثمائة ألف درهم فضة .

1010 - يدمر البدريّ [748 -]⁽³⁾

يدمر البدريّ ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصريّة محمد بن قلاوون .

تنقل في الخدم حتى صار من أمراء الألوّف بعد موت الناصر . ثمّ أخرج إلى دمشق فأقام بها إلى أن طلبه الكامل شعبان بن محمد وولّاه نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير آقسنقر الناصريّ ، فلم يكن غير قليل حتى ثار الأمير بلبغا البيحياوي نائب دمشق على الكامل ، فقدم عليه ووافقه على ما أَراده .

فلما زالت دولة الكامل بأخيه المظفرّ حاجي طلبه إلى مصر وولّاه نيابة حلب عوضاً عن طقتمر الأحمديّ ، فتوجّه إليها . ثمّ طلب فقدم القاهرة وولي نيابة حلب عوضه الأمير أرغون شاه . فلم يُقم بالقاهرة إلّا نحو شهرين ، وأخرج هو والأمير الوزير محمود بن عليّ بن شروين ، والأمير طوغايّ تمرّ الدوادار إلى الشام على الهجن في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبعائة . فأدركهم الأمير منجك اليوسفيّ بغزة وقتلهم في ليلة [في العشر الأواخر من]⁽⁴⁾ جمادى الأولى المذكور .

(1) شطب الحاسب دفتره : ختم حسابه بعلامة وكتب تحتها الرقم النهائي (دوزي) .

(2) المطر : مكيال للسوائل . فطر الزيت بتونس كان يساوي نحو عشرين ليترًا (دوزي) .

(3) الوافي 10 / 363 (4858) ، المنهل 3 / 497 (748) ، الدرر 2 / 46 (1392) .

(4) زيادة من الوافي . وفي السلوك 2 / 754 : في أوائل جمادى الآخرة .

وكان يكتب خطاً جيداً وينسخ عدّة ربعات بخطّه ويعتني بالمصاحف . ويتصدق في كلّ شهر بخمسة آلاف درهم فضّة . ويقوم من الليل في ورد له دائماً ، ويعرف بين الأمراء بالدين والعقل والحشمة . وله مدرسة بالقاهرة⁽¹⁾ .

إلا أنّه لمّا ولي نيابة حلب أخذ من الولاة والنواب والمباشرين الرسوم والتقاعد ثمّ عزّهم ، وأستجدّ عوضهم على رسوم فرضها عليهم ، وترفع على الأمراء حتى كرهوه وكرهوا مماليكه لسوء سيرتهم .

واتفق أنّ رجلاً من الأعيان توفي عن بنت وترك مالاّ جزيلاً ، وأوصى أن تزوّج ابنته بابن عمّها . فرغب بعض الأكابر فيها وتزوّجها على / كره منها . فلم [277 ب] تطب لها الإقامة وألحّت في طلب طلاقها منه حتى قالت : إن تطلقني وإلاّ كفرت ! - واتّصل ذلك بالقاضي فجدد إسلامها وحقن دمها . وطلبها النائب بيدمر وابن عمّها وضربه عرياناّ ضرباً مبرحاً ، ثمّ ضرب المرأة فأفحش في ضربها وقطع أنفها وأذنيها وشهرّها . فازداد الناس له بحب بغضاً ومقتاً . فلم يُمهّل بعدها إلاّ قليلاً وعزل .

1011 - بَنَرَجَك الناصريّ [724 -]⁽²⁾

الأمير بدر الدين . كان متقدماً عند الملك الناصر ، وحجّ معه سنة تسع عشرة وسبعائة ، وبعثه بشيراً بالسلامة إلى دمشق فحصل له مال كثير . وكان جيّداً متواضعاً . مات سنة أربع وعشرين وسبعائة .

(1) قريباً من المشهد الحسينيّ (السلوك) .

(2) السلوك 2 / 201 ، الدرر 4 / 2 (1274) .

1012 - أبو الخير بدل التبريزي [552 - 631]⁽¹⁾

بدل بن أبي المعمر بن إسماعيل بن أبي نصر ، الإمام أبو الخير ، التبريزي .
سمع بدمشق من أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي ، وأبي الحسين أحمد بن
حريزة بن علي ، والحافظ أبي محمد القاسم بن عساكر . وسمع بأصبهان من
جماعة ، وبنيسابور .

وقدم مصر فسمع من البوصيري ، وأبي الحسن علي بن نجبا ، وكتب
وحصل . وأستوطن مدينة أربل وتولّى دار الحديث بها . وانتقل إلى حلب
وسكنها حتى مات بها في ثالث جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وستائة ، وقد
تجاوز السبعين سنة .

1013 - برسغا الحاجب [742 -]⁽²⁾

برسغا الحاجب ، الأمير سيف الدين ، أحد المماليك الناصرية محمد بن
قلاوون .

ترقى في الخدم إلى أن أنعم عليه بإمرة وعمله حاجباً رفيقاً لبدر الدين مسعود
ابن الخطير . ثم ولّاه حاجباً كبيراً عوضاً عن أمير مسعود في سنة إحدى وأربعين
وسبعمائة ، وأنعم عليه بإقطاعه وتقدمته من غير أن يخلع عليه .

فلما مات السلطان قبض عليه بعد قوصون ، ثم أخرج إلى الإسكندرية

(1) الوافي 100/10 (4551) ؛ تذكرة الحفاظ 4/1424 ؛ عبر الذهبي 5/149 ؛
شذرات 5/180 .

(2) الوافي 10/114 (4569) ؛ المنهل 3/282 (655) ؛ الدرر 2/7 (1280) ؛
السلوك 2/605 .

وقتل بها هو وقوصون وغيره في شَوال سنة اثنتين وأربعين وسبعائة .
وكان الناصر يسلّم إليه مَنْ يصادره ليعاقبه ، فسلّم إليه النشو وأقاربه ،
فعاقبهم حتّى ماتوا تحت العقوبة . وبعثه بعد إمساك الأمير تنكز نائب الشام ،
فتولّى مصادرة أهلها . وسلّمه أيضاً الصاحب أمين الملك ابن الغّام فمات في
عقوبته .

وكان مع هذا لَين الجانب بسليم الباطن .

1014 - بركات صاحب البديعية [513 -]⁽¹⁾

ظهر بمِصر في أيام الأفضل ابن أمير الجيوش ، وأقتدى به جماعة يعرفون
بالبديعية . وكانوا يجتمعون بدار العلم من القاهرة ، وصرّحوا بأموال قبيحة . فلمّا
بلغ الأفضل ذلك أمر بغلق دار العلم والقبض على بركات . فهرب وأختفى عند
أستاذين من أهل القصر فأدخلاه في زيّ جارية اشتريها إلى القصر ، وقاما بحقه
وجميع ما يحتاج إليه . وصار أهله يدخلون إليه في بعض الأوقات .

فاتفق أنّه مرض ومات . فقال الأستاذان لزمّام القصر : إنّ إحدى عجائزنا
قد توفيت ، وإنّ العجائز يغسلنها على عادة المقصورات ويشيعنها إلى تربة النعمان
بالقراة - فأذن في ذلك وأطلق العُدّة ، وأخذوا في غسله ، وأخذوا من أهله ثياباً
معلّمة وشاشية ومنديلاً وطيلساناً مقوّراً [و]ألْبَساه .

فلمّا قطعوا بعض الطريق أراد الأستاذان أن يكمل الأجر بزعمهما فقالا
للحمّالين : هو رجل تربيتُـه [هـ] عندنا ، فنادّوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال ،
وهذه أربعة دنائير لكم .

فسرّ الحمّالون بذلك ودفنوه . ثمّ عادوا إلى صاحب الدكّان وعرفوه بمّا

(1) القصة منقولة هنا وفي الخطط 2/ 335 عن ابن المأمون : أخبار مصر ، 44 .

جری وقاسمُوه الدنانير فخاف على نفسه وعلم أن هذا الأمر لا يخفى . فمضى بالحمالين إلى الوالي وذكر له القصة . فأودعهم السجن وأخذ الذهب منهم ، وكتب مطالعة إلى الأفضل . فأخذها القائد أبو عبد[الله] محمد بن [أبي] شجاع فاتك البطحائي [الذي قيل له بعد ذلك المأمون] ⁽¹⁾ ، وكان حينئذ يدير أمور الأفضل ، فعندما رآها قال : هو بركات المطلوب . وأحضر الأستاذين والحمالين وكشف عن القبر بحضورهم ، فإذا هو بركات . فلما علم الأفضل بالقضية أمر [278 أ] الأستاذين بلعن بركات ، وأحضر من كان في الاعتقال من أصحاب بركات / وأمرهم بلعنه والتبرؤ منه . فمنهم من لعنه وتبرأ منه فأطلقه . ومنهم من أمتنع من ذلك - وكانوا خمسة نفر وصيًّا لم يبلغ الحلم . فأمر بضرب رقابهم ، وقال بلفظه للصبي : تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك .

فقال له : الله يطالبك إن لم تلحقني بهم ، فإنني مشاهد ما هم فيه - وأخذ يسفه ⁽²⁾ على الأفضل . فأمر بضرب عنقه . وطلب الأستاذين فلم يقدر عليهما . وفر حميد القصّار فلم يظفر به .

وكانت واقعة بركات في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة .

1015 - برّجوان العزيري [390 -] ⁽³⁾

برجوان العزيري ، أبو الفتح ، المنعوت بالأستاذ .

كفالهته للحاكم عند موت العزير :

كان خصيًّا صقليًّا أبيض ⁽⁴⁾ ، ربّي في دار العزير بالله وولاه القصور . فلما

(1) - زيادة من أخبار مصر .

(2) قراءة ناشر أخبار مصر : وأخذ بسيفه على ...

(3) الخطط 3/3 ؛ وفيات 270/1 (112) ؛ الوافي 110/10 (4564) ؛ انعاظ

. 25/2

(4) في الوافي : وكان أسود .

حضرتة الوفاء أوصى برجوان على أبنه أبي عليّ المنصور . ومات العزيز بالله فبادر
برجوان إلى أبي عليّ ابن العزيز ، فإذا هو على شجرة جميز يلعب في دار من دور
بلييس - وبها مات العزيز . فقال له برجوان : بستك^(٣) تلعب ! أنزل !
فقال له : ما أنزل والله الساعة !

فقال : انزل ويحك ! الله الله فينا وفيك .

فترل ، فألبسه العمامة الجواهر على رأسه وقبل له الأرض وقال : السلام
على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته - وخرج به إلى الناس على تلك الهيئة ،
فقبلوا له الأرض وسلّموا عليه بالخلافة ، وسار به إلى القاهرة .

واستمرّ بالقصر أعظم ما كان إلى أن فسدت أحوال أمين الدولة أبي محمد
الحسين بن عمّار . فتقدّم الحاكم بأمر الله إلى الأستاذ برجوان بالنظر في التدبير
وجميع ما كان ابن عمّار ينظر فيه ، وأن يُنهي إلى الحاكم أحوال الدولة يوماً
يوماً . فنظر في يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر رمضان سنة سبع وثمانين
وثلاثمائة ، وبكر إلى القصر ، ونهى عن التعرّض لأحدٍ من الكتّامين والمغاربة ،
ووجه إلى دار ابن عمّار فمنع أحداً أن يتعرّض إليها ، وصان ما بقي فيها -
وكانت قد نُهت - وأمر بأخذ من وُجد معه شيء من النهب ، وأخذ عريف
الباطلية^(٢) وألزمه بإحضار ما نهبوا فأحضروا شيئاً كثيراً . وأجرى الرسوم التي كان
ابن عمّار قد قطعها لأصحاب الرواتب ، وأجرى على ابن عمّار ما كان يُجرى له
في أيام العزيز .

وأستكتب أبا العلاء فهد بن إبراهيم النصراني ، وجعل إليه التوقيع عنه .
ورتب الغلمان الأتراك في القصر ، وأمرهم بملازمة الخدمة ، وتفقد أحوالهم ،
وأزاح عنهم وعلل أولياء الدولة وفحص عن أمور الناس ، وأزال ضروراتهم .

(١) أي : كفاك لعباً ! وهي عبارة الاتعاظ 1 / 291 .

(٢) انظر تعريف الباطلية في الاتعاظ 2 / 13 هامش 2 .

ومنع الناس من الترجل له فكانوا يلقونه في داره ، وإذا تكاملوا ركبَ وساروا بين يديه إلى القصر .

استقامته في الوزارة ثمّ آخراؤه :

ثمّ إنّهُ لَمَّا تَمَكَّنَ قَصْرَ فِي الخدمَةِ وتشاغل بِلذَّاته وأقبل على سَمَاعِ الغناء وشُغف بكثرة الطرب ، وكان شديدَ الميل إليه والمحبة له ، يحضر إلى داره المغنّين من النساء والرجال ، ويجمعهم عنده فيصير كواحدٍ منهم . وصار يجلس في داره حتى يَمضي صدرُّ من النهار ويتكامل الناس على بابه ، ثمّ يخرج ويركب إلى القصر ، فلا يُمضي من الأمور إلّا ما يختار من غير مشاورة .

فأنف الحاكِم من هذا وتجرّد للنظر في الدولة ، ونقم على برجوان أموراً عدّها عليه من سوء أدبه ، وحمل برجوان عليها دأته على الحاكم بأنّه قديم في دار أبيه ، وأنّه ربّاه صغيراً ، وقام بأمر دولته . فكان الحاكم يقول : والله إنّني لأذكر وقد آستدعيته يوماً ونحن ركبان ، فصار إليّ ورجله على عُتق فرسه وبطنُ الخفّ قبالة وجهي ، فشاغلته بالحديث ولم أره تَكْبُرُهُ في ذلك ، إلى غير ذلك ممّا يطول شرحه .

[278 ب] فلمّا كان يوم الخميس سادس عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسعين / وثلاثمائة ، أنفذ الحاكم إلى برجوان عشيّة يستدعيه للركوب معه إلى المقس . فجاء بعدما تباطأ وضاق الوقت . فدخل إلى القصر ، ورؤساء الدولة والموكبُ بالباب الذي يخرج منه الحاكم إلى المقس ، فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم يبكي ويصيح : قتل مولاي ! - وكان هذا الخادمُ عيناً لبرجوان في القصر قد أصطنعه وجعله على خزانة الخاصّ .

تخلّص الحاكم منه :

فأضطرب الناس لذلك ، وبادروا إلى باب القصر الكبير ووقفوا هناك ، فأشرف عليهم الحاكم ، ووقف رَيّدان صاحب المظلة وصاح بهم : مَنْ كان في

الطاعة فلينصرف إلى منزله ويبكر إلى القصر المعمور ! - فأنصرف الجميع .

وكان في خبر برجوان أنه لما دخل إلى القصر ، كان الحاكم قائماً في بستان يقال له « دويرة التين والعناب » ، ومعه ريدان الصقلي . فعندما سلم برجوان ووقف ، مشى الحاكم وخرج من باب الدويرة . فوثب ريدان وضرب برجوان بسكين كانت معه في خُفّه ، وتناوبه قومٌ قد أعدُّوا لقتله بالسكاكين والخناجر ، وأحترقوا رأسه ودفنوه موضعه وألقوا عليه حائطاً .

فكانت مدة نظر برجوان ستين وثمانية أشهر تنقص يوماً واحداً .

ونزل جعفر بن مهذب متولّي بيت المال لأخذ تركته ، فوجد له مائة منديل [يعني عمامة] ، شروب ملوّنة معمّمة كلّها ، على مائة شاشيّة ، وألف سراويل [ديبقيّة] ⁽¹⁾ بألف تكّة حرير أرمني ، ومن الثياب المخيطة والصحاح ، والحلبة ، والطيب ، والفرش ، والصباغات الذهب والفضّة ما لا يُحصى كثرةً ، ومن العين ثلاثة وثلاثين ألف دينار ، ومائة وخمسين فرساً لركابه ، وخمسين بغلة ، وثلاثمائة رأس من الخيل والبغال لغلمانه وللنقل والحمل ، ومائة وخمسين سرجاً ، منها عشرون ذهباً . ووجد له من كتب العلم والأدب شيئاً كثيراً . وحمل لجاريته من مصر إلى القاهرة رَحْل على ثمانين حملاً . وأدخل جميع ذلك إلى القصر .

قال ابن خلكان : وبرجوان بفتح الباء الموحّدة وسكون الراء وفتح الجيم والواو ، وبعد الألف نون . هكذا وجدته مقيّداً بخط بعض الفضلاء .

وقال ابن عبد الظاهر : وكان برّجوان يسمّى « الوزغ » سمّاه به الحاكم .

(1) زيادة من المخطوط 3 / 4 .

الأمير بدر الدين ، الصالح ، النجمي ، أحد المالك البحرية الصالحية .
أصله مملوك الأمير شمس الدين قراسنقر الكاملي . ثم انتقل إلى الملك
الصالح نجم الدين أيوب ، وترقى في خدمه . فلما آل ملك مصر إلى المالك
البحرية صار من أمراء الألوف الأكابر [....] .

أعتقله قلاوون وأفرج عنه الأشرف خليل :

فلما ولي قلاوون السلطنة داراه مدة ، ثم قبض عليه في أول صفر سنة
إحدى وثمانين وستائة ، وأعتقله في الحب⁽²⁾ بقلعة الجبل ، إلى أن أفرج عنه
الملك الأشرف خليل في يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان سنة تسعين ، وكتب له
إفراجاً سلطانياً نسخته : الحمد لله على نعمه الكاملة ، ومراحمه الشاملة ،
وعواطفه التي أضحت [بها]⁽³⁾ بدور الإسلام بازغة غير آفلة ، ومواهبه التي
تجول وتجدو وتحيي رميم الآمال في يومها بعد رمسها بأسمها في أضيق من اللحد ،
ويقر لها بالفضل كل جحد . أحمدته حمداً يعيد سالف النعم ، ويفيد آنف
الكرم ، الذي خص وعم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
شهادة بُودّي حقوقها ونجتب عقوقها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
المبعوث بمكارم الأخلاق ، والمنعوت بالحلم والعلم على الإطلاق ، صلاة لا تزال
عقودها حسنة الأساق [صلى الله عليه] وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد ، فإن أحق
[279 أ] من عومل بالجميل ، وبلغ / من مكارم هذه الدولة القاهرة الرجاء والتأمل ،

(1) الوافي 10 / 364 (4859) ؛ المنهل 3 / 500 (741) ؛ النجوم 8 / 185 ؛ السلوك
880 / 1 .

(2) جب القلعة : وصف المقرزي هذا المطبق القطع في السلوك 2 / 310 وفي الخطط
306 / 3 .

(3) نقل ناشر السلوك 1 / 769 هامش 4 نصّ هذا الإفراج نقلاً عن نهاية الأرب للنوري .
والإكمال منه .

مَنْ إِذَا ذَكَرْتَ أَبْطَالَ الْإِسْلَامِ كَانَ أَوَّلَ مَذْكُورٍ ، وَإِذَا وَصَفْتَ الشَّجْعَانَ كَانَ أَمَامَ صَفِّ كُلِّ شَجَاعٍ مَشْهُورٌ ، وَإِذَا تَرَيْتِ سَمَاءَ الْمَلِكِ بِأَنْجَمٍ كَانَ بِدَرِّهَا الْمَنِيرُ ، وَإِذَا أَجْتَمَعَ ذُووُ الْآرَاءِ عَلَى أَمْتَالٍ أَمْرٍ كَانَ خَيْرَ مَشِيرٍ ، وَإِذَا عُدَّتْ أَوْصَافُ أَوَّلِي الْأَمْرِ كَانَ أَكْبَرَ أَمِيرٍ ، كَمْ تَجَمَّلَتْ الْمَوَاقِبُ مِنْ حَوْلِهِ بِأَعْلَى قَدَرٍ ، وَتَرْتَّبَتْ الْمَرَاتِبُ مِنْهُ بِأَبْهَى بَدَرٍ ، وَهُوَ الْمَقَرُّ الْأَشْرَفُ الْعَالِي الْمَوْلِيُّ الْكَبِيرِيُّ الْبَدْرِيُّ الْيَسْرِيُّ الشَّمْسِيُّ الصَّالِحِيُّ النُّجُمِيُّ الْمَلِكِيُّ الْأَشْرَفِيُّ ، فَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ وَالْمِدْحِ ، وَالْمَعْرُوفُ بِهَذِهِ الْمَكَارِمِ وَالْمِنْحِ . فَلِذَلِكَ أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلِيُّ السُّلْطَانِيُّ الْمَلِكِيُّ الْأَشْرَفِيُّ الصَّالِحِيُّ - لَا زَالَتِ الْكُرْبُ فِي أَيَّامِهِ تَكْشِفُ ، وَالْبَدُورُ تَكْتَسِي فِي دَوْلَتِهِ الْغَرَاءَ شَرَفًا وَلَا تَخْسَفُ - أَنْ يَفْرَجَ عَنْهُ فِي هَذِهِ [السَّاعَةِ] مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ ، وَيُمَثِّلَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَقَامِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِيِّ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ نَائِبٍ وَلَا وَزِيرٍ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَجُعِلَ الْإِفْرَاجُ فِي كَيْسٍ أَطْلَسَ أَصْفَرُ ، وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ السُّلْطَانِ . وَتَوَجَّهَ بِهِ إِلَى الْجَبِّ الْأَمِيرِ بَدْرِ الدِّينِ بَيْدَرَا نَائِبِ السُّلْطَانَةِ ، وَالْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ كَتَبْغَا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَكَابِرِ الْأَمْرَاءِ . وَأَخْرَجَ [بِيسْرِي] مِنَ الْجَبِّ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَقُرِئَ عَلَيْهِ الْإِفْرَاجُ ، وَرُسِمَ بِكَسْرِ قَيْدِهِ ، وَأَحْضَرَ إِلَيْهِ التَّشْرِيفَ السُّلْطَانِيَّ [بِ] . فَقَالَ : لَا نَفْكَ الْقَيْدِ وَلَا نَلْبَسُ التَّشْرِيفَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ نُمَثِّلَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ - وَصَمَّمَ عَلَى ذَلِكَ . فَأَعْلَمَ السُّلْطَانُ بِمَا قَالَ ، فَرَسَمَ بِفَكَ الْقَيْدِ وَحَضْرَهُ بِمَا عَلَيْهِ مِنْ هَيْئَةِ السَّجْنِ . فَكَسَرَ الْقَيْدَ وَحَضَرَ . فَعِنْدَمَا رَأَاهُ السُّلْطَانُ أَنْتَصَبَ لَهُ قَائِمًا وَتَلَقَّاهُ وَأَكْرَمَهُ ، وَأَلْبَسَهُ التَّشْرِيفَ وَأَجْلَسَهُ بِجَانِبِهِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَمْوَالٍ جَزِيلَةٍ وَأَقْشَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَمَرَهُ لَوْقَتَهُ عَلَى مَائَةِ فَارَسٍ بِإِقْطَاعِ جَلِيلٍ ، مِنْ جَمَلَتِهِ مَنِيَّةُ بَنِي خَصِيبِ دَرِيَسْتَا ⁽¹⁾ بِالْجَوَالِي وَالْمَوَارِيثِ الْحَشْرِيَّةِ ⁽²⁾ .

(1) دَرِيَسْتَا كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ بِمَعْنَى : كَامِلَةٌ (حَاشِيَةُ نَاشِرِ السُّلُوكِ 1/ 770 رَقْمُ 1 وَص 884 حَاشِيَةُ 7 .

(2) الْمَوَارِيثُ الْحَشْرِيَّةُ هِيَ التَّرَكَاتُ الَّتِي لَا وَارِثَ لَهَا فَتَعُودُ إِلَى خِزَانَةِ السُّلْطَانِ . السُّلُوكِ 1/ 770 حَاشِيَةُ 2 .

وقربه وأدناه وأختصر به في خلواته . فكان بيسري من يومئذ يكتب « بيسري الأشرفي » ، بعدما كان يكتب « بيسري الشمسي » .

تنكر السلطان لاجين عليه :

ولم يزل على إمرته إلى أن مات الأشرف ، وتسلمن من بعده أخوه الملك الناصر محمد ، ثم خلع بالعدل زين الدين كتبغا . فلما قام عليه ⁽¹⁾ المنصور لاجين وتسلمن ، قبض عليه ⁽²⁾ من أجل أن لاجين عزم على أن يعهد لمملوكه ونائبه الأمير منكوتر بالسلطنة ، ويقرن اسمه بأسمه في السكة والخطبة ، وحدث بيسري في ذلك ، فأنكر عليه غاية الإنكار وقال : إن منكوتر لا يصلح للجندية وقد أمرته وقدمته فصبر الناس لك على هذا ، وجعلته نائب السلطنة ومشيئت ⁽³⁾ الأمراء والجيوش في خدمته فأجابوا لذلك طاعة لك وطلباً لرضاك ، مع ما تقدم من أيمانك عند السلطنة ⁽⁴⁾ أنك لا تقدم ممالكك على الأمراء ولا تُمكنهم منهم ، فلم يقنعك ما حوّلت فيه حتى تريد أن تجعله سلطاناً مثلك ! هذا ما لا يوافقك الناس عليه أبداً .

وحذره عاقبة ذلك . فأمسك عنه لاجين حتى قام ، وأعلم منكوتر بما كان منه . فأسرّها في نفسه ، وأخذ في التدبير عليه . وتحيل على بهاء الدين أرسلان أستاذار بيسري حتى مال معه ووافقه على ما يأتي ذكره . وحسن للسلطان أن يندب بيسري لكشف جسور الجيزة فتقدم إلى بيسري بذلك ، فخرج إليها بسائر ممالكه وأتباعه . وصار يحضر الخدمة بالقلعة في يومي الاثنين والخميس ، ويعود إلى مخيمه بالجيزة حتى أتقن عمل الجسور . فاستأذن السلطان في عمل ضيافة يحضرها بالجيزة فأجابه إلى ذلك ، فشرع في الاهتمام بعمل المهم .

(1) على كتبغا .

(2) على بيسري .

(3) كلمة غير مفهومة ، والتوضيح من السلوك 1/ 833 .

(4) أي : عند تسلمنك .

ووجد منكوتمر السبيل / إلى كيدته وحمل أرسلان أستاذار بيسري على أن وشى [279 ب]
إلى السلطان بأن بيسري على عزم اغتيال السلطان إذا حضر إليه .

سعاية منكوتمر ضده :

وأتفق مع هذا أن بيسري بعث يطلب من منكوتمر الدهليز السلطاني لينصبه
للسلطان حتى يجلس فيه يوم المهم . فسلمه للمالكة بغير علم السلطان . فعندما مرّ
الدهليز من تحت القلعة على الجبال مع ممالك بيسري ، رآه السلطان فأنكره :
وأرسل إلى منكوتمر يسأله عنه ، فأنكر أن يكون عنده علم ذلك ، ولكن ممالك
بيسري أخلوه من الفراشخانة السلطانية من غير استئذان - وأخذ يغري
السلطان بأن أخذ الدهليز يحقق ما نُقل عنه . فأمر السلطان بإعادة الدهليز
فأعيد . وقوي في نفسه صدق ما رُمي به بيسري .

وفاته في الاعتقال :

فبلغ ذلك بيسري فلم يأخذ بالحزم . وحضر على عادته إلى الخدمة في يوم
الاثنين سادس ربيع الآخر . فلقاه السلطان وقام له على العادة وأجلسه بجانبه
وبالغ في إكرامه . وقدم السماط فأعذر عن الأكل بأنه صائم . فرفع له السلطان
من الطعام ما يكون لفطوره وأخذ يحادثه سرّاً ليشغله عن القيام حتى رُفع السماط
وخرج الأمراء . فعندما قام بيسري وأنهى إلى أثناء الإيوان . استدعاه . فلمّا
جاء قام له وأجلسه وحادثه طويلاً حتى أنصرف الجميع . وتركه فقام ومشى .
فاستدعاه ثانياً وحادثه طويلاً وناولته شيئاً . فقبل عند ذلك بيسري يد السلطان
وقام ، وقد خلا المجلس والدهاليز من الأمراء والممالك . فعارضه سيف الدين
طغجي وعلاء الدين أيدغدي شقير ، ومضيا به [إلى] القاعة الصالحية فأعتقل
بها . وأحضرت إليه زوجته . ولم يزل في الاعتقال حتى مات في تاسع عشر شوال
سنة ثمان وتسعين وستمائة . وأخرج من القلعة ودُفن بتربته خارج باب النصر .

نماذج من كرمه :

وكان شجاعاً كريماً النفس عاليّ الهمة حشماً فخوراً . وكان مُفضلاً على ممالكه بحيث كان فيهم مَنْ له عليه في كلّ يوم مائة رطل لحماً راتباً . ومنهم مَنْ راتبه نصف قنطار لحماً . وأقلّ راتب ممالكه عليه في اليوم خمسة أرتال لحم . وفيهم مَنْ له عليه في كلّ يوم راتباً ستون علفه لحيه . وما منهم إلّا مَنْ له عليه في مرتبه السكر وتوابل الطعام . وكان عليه دوابه الخاصّة نفسه في كلّ يوم ثلاثة آلاف علفه . وراتب سباطه ثلاثة آلاف رطل لحم . ويُنعّم بالآلاف دينار وبالخمسة دينار ، وأقلّ إنعامه مائتا دينار .

ولمّا فرّق الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة المماليك السلطانيّة على الأمراء ، كانت حصّته ستين مملوكاً نزلوا من القلعة في خدمته إلى إسطنبول . فجلس على ثوب السرج وعرض خيله وأعطى كلّاً منهم فرسين وبغلاً ، حتى عمّمهم بذلك . وركب من فوره وعاد إلى القلعة .

وشكا إليه أستاذه مرّة قلّة الحاصل عنده وعرض له بالاعتقاد وتقليل العطاء ، فغضب عليه وعزّله وقال : لا تُرني وجهك بعدها !

ولمّا عمّر داره المعروفة بقصر بيسري من خطّ بين القصرين بالقاهرة في الأيام الظاهرية ببيرس بالغ في إتقانها وأكثر من المعروف فيها ، ولم يكن هذا من عادة أمراء مصر يومئذ ، فلامه السلطان على ما فعله وقال له : يا أمير ، ماذا خلّيت للبيكار؟ فقد أنفقت مالك جميعه في عمارة دار !

فقال : خلّيت للبيكار صدقات السلطان . والله ما عمّرت هذه الدار إلّا حتى يقال في بلاد العدو : إنّ بعض ممالك السلطان عمّر داراً غرم عليها أموالاً عظيمة .

فأعجب السلطان قوله وأنعم عليه بالقي دينار .

ولم يعرف عنه قط أنه شرب في كوز واحدٍ مرتين ، لكّته إذا شرب منه لم يعاودّه ، وجُدّد له غيره .

وكان من أحسن الناس وأعرفهم بالفروسيّة . ومقاماته في الغزوات مذكورة ، ولم يُر في زمانه / أكرم منه ، ولا يزال عليه ديناً أربعائة ألف درهم [280 أ] فصاعداً ، فكلما أدّى ما عليه من الدّين استدان شيئاً آخر لكثرة عطائه ، ولا تجاسر أحدٌ على لومه في ذلك من خواصّه ، وضرب جماعةً بهذا السبب . ومات ، وعليه زيادة على أربعائة ألف درهم أُدّيت من ثمن موجوده .

1017 - بيغجار [الساقى] الناصريّ [731 -] ⁽¹⁾

كان من أمراء الطبلخاناه في زمن الناصر محمد بن قلاوون . ومات في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبعائة .

1018 - بيغرا الناصريّ [754 -] ⁽²⁾

[الأمير سيف الدين بيغرا بن عبد الله الناصريّ ثمّ المنصوريّ] ⁽³⁾ . كان من أمراء الناصر . وتقدّم في سلطنة [...] ولما نكل الكامل شعبان نائب السلطنة بمصر قرّره حاجباً كبيراً يحكم بين الناس ، ورثب له موقفين بين يديه لمكاتبات الولاة . ثمّ ولي كشف الجسور بالوجه القبليّ . ثمّ نُني إلى حلب في سنة أربع وخمسين وسبعائة . وكان مشكور السيرة .

(1) السلوك 2/ 338 وهو فيه : بيغجار الساقى . والدرر 2/ 48 (1397) وهو فيها : بيغجار الساقى .

(2) الدرر 2/ 48 (1396) وفيها أنّه أخرج إلى حلب أميراً . وبها مات في شوال 754 ؛ النجوم 10/ 294 وفيها أنّه مات وهو بطلّ بحلب ؛ السلوك 2/ 905 .

(3) في المخطوط : بيغل المنصوريّ .

1019 - بيليك الأيدمري [687 -]⁽¹⁾

بيليك الأيدمري ، الأمير بدر الدين ، أحد الأمراء الصالحية .

تقل في الخدم من أيام الصالح أيوب حتى صار من أعيان الأمراء في الدولة الظاهرية والمنصورية . واشتهر بالشجاعة والكرم وحسن الرأي مع الحرمة الوافرة وسلامة الباطن التي يُظنُّ أنها بلة . ويقال إنه كان يُظهر ذلك ويتصنَّعه حتى يؤمن جانبه ويطمئن على نفسه . وله في ذلك أخبار : منها أنه قُرئ عليه حسابه فوجد فيه باسم ولده بلجك ألف درهم ، فانزعج انزعاجاً كثيراً وقال لأستاداره : والكَ ! أنت مجنون ؟ تصرف من مالي ألفَ درهم ؟ - وأراد أن يخرق به . وكان كاتبه يعرف حاله ، فقال : لا تغتظ يا خوند ، ما هي ألف ، وإنما هي تسعمائة وتسعة وتسعون درهماً لا غير .

فسكن غضبه وأعجبه كلامه . ومما يؤيد أنه [كان] عاقلاً غير مغفل أن أبنه بلجك كان من الفرسان المعدودة ، فمات وأبوه مجرّد في سبب . فرسم السلطان أن لا يخبره أحد بموته ، وإن أخبره أحد شفقته . فلم يحسر أحد [أن] يخبره حتى قدم وسأل عنه . فقيل : هو في الصيد - فركب للسلطان وتلقاه من قبة النصر وترجل له وعانقه وردّه إلى بيته وبعث إليه على الفور النائب طرنطاي ، فقبل يده وبلّعه سلام السلطان . فقبل الأرض . ثم قال له طرنطاي : يقول لك السلطان : يعيش رأسك في ولدك .

فقال : مات بلجك ؟

فقال : نعم .

(1) المنهل 3/ 515 (750) ؛ السلوك 1/ 447 ، 666 وأماكن أخرى ، ولم يذكره في وفيات سنة 687 ولا 686 كما قال صاحب المنهل .

فتبسّم وقال : بلجك مات . السلطان يعيش وألف مثل بلجك يموت .
ولم يظهر الحزن . فلما قام عنه طرنطاي وهو يتعجب من أمره سأله كاتبه ،
وكان يدلّ عليه : لم تظهر الحزن عندما عزّاك السلطان ؟
فقال له : والله كنت أحسب لك عقل . والله لما قال طرنطاي : ولدك
مات أحسست نشابة في قلبي . ولكنّ الملوك ما يريدون [ن] من يُظهر لهم الحزنَ
على أحدٍ .
وتوفيّ سنة سبع وثمانين وستّائة .

1020 - بيليك المحسنيّ [695 -]⁽¹⁾

الأمير بدر الدين ، أبو شامة . ولي الكشف بالوجه القبليّ في الدولة
المنصوريّة قلاوون . ومات في سنة خمس وتسعين وستّائة .

1021 - بيليك الطيّار [699 -]⁽²⁾

بيليك الطيّار [ي] ، الأمير بدر الدين ، أحد المماليك [....] . ولّاه
المنصور قلاوون نيابة صفد في حاديّ عشرين شوال سنة ثمان وسبعين وستّائة
عوضاً عن [علم الدين] سنجر الكرجي .

(1) المنهل 3 / 511 (747) وهي أطول ممّا هنا ؛ الوافي 10 / 368 (4864) ومادّتها مختلفة
عمّا هنا ؛ النجوم 8 / 79 ؛ السلوك 1 / 688 وسمّاه السلاح دار ، ولم يُذكر في وفيات
695 .

(2) السلوك 1 / 667 و 886 . وفيه أنّه استشهد في وقعة حمص مع التتار في ربيع الأوّل
699

1022 - بيليك المسعودي [690 -]⁽¹⁾

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء مصر . مات على عكاً عند فتحها في جمادى الأولى سنة تسعين وستمائة .

1023 - بيليك المحسني الجزري [739 -]⁽²⁾

بيليك المحسني ، الجزري ، الأمير بدر الدين .
ترقى في الخدم حتى ولي الغربية . وصرف منها بأياز الملوحي في رمضان سنة ثمان وسبعين وستمائة .
وتوجه في الرسالة إلى اليمن ، ومعه شرف الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج في خامس عشرين ذي القعدة سنة ثمانين ، وقدم .
ثم ولي كشف البحيرة . ونقل منها إلى ولاية القاهرة عوضاً عن أيدير [عز الدين] الزراق في ذي الحجة سنة ثلاثين وسبعائة . وعزل بأيديكين البريدي في سنة أربع وثلاثين ، وأخذ إلى الإسكندرية هو وعلاء الدين بن هلال [الدولة]
[280 ب] فسُجنا بها لتتكرر النشو ناظر الخاص / عليهما . ثم نُفيَ ومعه أبناه ناصر الدين محمد ، وشهاب الدين أحمد إلى طرابلس⁽³⁾ . فمات بها في سنة تسع وثلاثين وسبعائة .

(1) الوافي 10 / 367 (4863) ، المنهل 3 / 511 (746) ؛ السلوك 1 / 765 .
(2) السلوك 1 / 665 : وهو فيه ناصر الدين . وفي وفیات سنة 739 ، 2 / 471 لقبه بدر الدين .
(3) في السلوك 2 / 418 أنه سجن في رجب 736 وأفرج عنه في شعبان 737 . ولم يذكر من الابنين إلا واحداً ولم يسمه باسمه بل قال : ابن المحسني .

وكان عفيفاً ديناً ، إذا وجد فقيراً أو مظلوماً دفع إلى غريمه ما يطلبه منه ولا يرجع عليه به .

وكان مشهوراً بالفروسيّة ومعرفة الخيل وتربيتها وحسن المعاملة .
وقد ولي أبنته محمد بن يليلك ولاية القاهرة أيضاً .

[حرف التاء]

1024 - تبر الإخشيدى [360 -]⁽¹⁾

/ نافق في شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة بأسفل الأرض ، فأرسل [281 ب] إليه جوهر القائد يستعطفه فلم يجب . فسير إليه عسكرياً فحاربه بناحية صهرجت ونهبها ومضى منهزماً إلى الشام في البحر . فأخذ بمدينة صور وحمل إلى القاهرة فدخل على فيل مع عليّ بن جعفر بن فلاح وشهر في البلد وسجن إلى صفر سنة ستين وثلاثمائة . [و]اشتدّت المطالبة عليه بالمال وضرب بالسوط ، وقبضت ودائعهُ ، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنوا في القيود . وفي ربيع الآخر جرح نفسه فأقام أياماً ومات . فسُلخ بعد موته وصُلب عند كرسيّ الجسر⁽²⁾ خارج مصر إلى جانب من صلب من أصحابه .

1025 - ترمش الطولوني [283 -]⁽³⁾

ترمش بن عبد الله ، أحد موالى الأمير أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون .

- (1) أنماط 1 / 120 ، وهو فيه : القائد أبو الحسن تبر الإخشيدى .
- (2) كرسيّ الجسر : كثيراً ما يذكر هذا الموضع ، ولا ندري ما علاقته بالجسر ، وذكره ابن دقماق ، 1 / 35 بما لا يُعَيّن موقعه .
- (3) برمش بالموحدة التختية في النجوم 2 / 81 وقال : غلام خزري لحمارويه . وهو في كتاب الولاة للكندي 242 : يرمش بالياء آخر الحروف .

ترقى في الخدم إلى أن اختلف القواد على جيش بن خمارويه ، واجتمعوا على خلعه . فهجم عليه ترمش وأمسكه وهم بقتله ثم كف عنه . وخلعوه وأقاموا أخاه هارون بن خمارويه ⁽¹⁾ ، وقام بأمره أبو جعفر محمد بن أبّا ، فلم تنضبط الأمور ، وتغلب بدر وصافي وفائق ونحوهم من القواد على الدولة .

فعرّ ذلك على ابن أبّا ، وكان صاحب مكر ودهاء ، وفي نفسه حقد على ترمش لكونه قبض على الأمير جيش حتى تمّ خلعه ، وأنه قال لابن أبّا : أنت خليفته ونصف ذنبه عليك ⁽²⁾ - وجرّه إلى المنظر وألب عليه حتى هرب منه وأفلت من القتل . فخلاه يوماً وقال له : يا ترمش ، ويحك ! أما ترى ما نحن فيه مع هؤلاء القوم ؟ ⁽³⁾ قد انقلبت الدولة رومية ، ما لنا معهم أمرٌ ولا نهي ! - وكان ترمش خزريراً أحمق ، فبسط لسانه في بدر وغيره [من الأروام] ⁽⁴⁾ ، ودسّ إلى بدر غلاماً نوياً ، فوقف له على باب الأمير وفي كفه مشمل ⁽⁵⁾ . فلما خرج بدر أقبل إليه وقبل فخذيه ، فأكبّ بدر على رأسه يقبله - وكانت هذه عادته - فقنّعه ⁽⁶⁾ النوبيّ بالمشمل فشجّه . ووقعت الصيحة فقبض على النوبي ، وقالوا : ترمش دسه .

فغضب الناس لبدر وركبوا إلى دار ترمش . فركب ترمش في غلماه ومن أنضمّ إليه وخرج يريد الحرب . فركب ابن أبّا إلى الأمير هارون وأركبه . فلما رآه الناس انضمّوا إليه ، وسار . فأقبل ترمش ليقاتل فناداه الناس : مولاك ! مولاك !

(1) خلع جيش في 10 جمادى الآخرة 283 ، النجوم 3 / 94 .

(2) عبارة النجوم تشرح الكلام هنا : ... وكان ينبغي لك أن تؤدّبه وتسدّده .

(3) في المخطوط : الروم ، وليس مستبعداً حسبما يأتي من كلام ترمش ، وأخذنا بقراءة النجوم 103 / 2 .

(4) زيادة من النجوم .

(5) المشمل : السيف القصير الدقيق يخفيه المرء تحت ثوبه .

(6) قنّعه بالسيف : علا رأسه به وضربه .

فقال : أروني ، أنا لا أقاتل مولاي ، وإنّما أقاتل هؤلاء الروم بني الزانية !

فأولمّا إلى الأمير . فلمّا رآه رمى بنفسه عن فرسه إلى الأرض فابتدره الرجال يتعاورونه بأسيا فهم حتى قُتل . ورجع الأمير هارون إلى داره ، ونهب دار ترمش وجميع أسبابه .

وكان قتله في [. . .] .

1026 - ترکان شاه بن بلدکوش [- بعد 466]⁽¹⁾

ناصر الجيوش ، أبو الملوك ، ابن سلطان الجيوش .

كلّ أبوه كبير الأتراك بمصر ، واستبدّ بعد قتل ناصر الدولة الحسن [بن الحسين بن حمدان]⁽²⁾ ، إلى أن دخل أمير الجيوش⁽³⁾ . وقبض عليه المستنصر بالله أبو تميم معدّ وقتله كما ذكر في ترجمته⁽⁴⁾ . ففرّ أبوه⁽⁵⁾ ترکان شاه إلى الشام في عدّة من العساكر ، والتجأ إلى أطرز بن أوق الخوارزمي مقدّم الأتراك بدمشق وأهدى إليه ستين حبة لؤلؤ مدرجة ، زنة كلّ حبة فوق المثقال ، وحجراً من ياقوت ، زنته سبعة عشر مثقالاً ، إلى غير ذلك من التحف . وأغراه بملك مصر وأطمعه في أخذه حتى سار إليها ، وكان من خبره ما تقدّم ذكره في ترجمته⁽⁶⁾

(1) الأتعاظ 317/2 ؛ ابن القلانسي 109 .

(2) زيادة من الأتعاظ .

(3) بدر الجمالي : ترجمة رقم 911 .

(4) ترجمة المستنصر و ترجمة بلدکوش كلاهما مفقودتان .

(5) في الأتعاظ 312 ، 317 : كان شاه (حوادث 466) .

(6) أطرز بن أوق : ترجمته رقم 796 .

1027 - تميم بن المعز الفاطمي [337 - 374]⁽¹⁾

تميم بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بنصر الله أبي الطاهر [281 أ] إسماعيل بن القائم بأمر الله / أبي القاسم محمد بن المهديّ عبيد الله ، الأمير أبو عليّ ، أكبر أولاد المعز .

تحويل ولاية العهد منه إلى أخيه عبد الله :

ولد بالمغرب لستّ بقين من رجب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة . وعهد إليه أبوه بالخلافة بعده . فلما أخذ مصر جوهر القائد كتب المعز إلى جوذر الصقليّ ، وكان بالمهدية ، يأمره بالوصول إليه . فلما وصل أسرّ إليه أنّه قد ردّ العهد من تميم إلى عبد الله ، وكلف⁽²⁾ جوذر بذلك . فلما قرب جوذر أمر المعز ولده الأمير تميم بن المعز أن يخرج في العساكر إلى لقائه لأنّه كان مكيناً عنده . فخرج تميم ومعه أخوه عبد الله خلفه حتى قرب من جوذر . فترك جوذر تميمًا وقصد عبد الله وترجّل وقبّل يده . وقال للناس : هذا مولاي ومولاكم .

فرجع الناس كلّهم وراء عبد الله ورجع تميم وحده ، وصار عبد الله وليّ العهد من ذلك اليوم . وكان الذي دعا المعز إلى خلع تميم من العهد أنّه رأى أنّه لا يعقب ، وتعرّفه الأدب .

ومات مع زوال الشمس في يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة⁽³⁾ في بستانه بخليج بني وائل خارج مدينة مصر ، وكان العزيز بالله ميرزا بعين شمس ، فعاد إلى البستان وأقام به حتى فرغ من جهازه . وغسله

(1) وفيات 1 / 301 (رقم 125) ، الحلة السيرة (رقم 108) ، النجوم 4 / 133 ، حسن المحاضرة 1 / 561 .

(2) انظر خبر هذا التعيين في سيرة الأستاذ جوذر 139 ووترجمتها الفرنسية ، هامش 467 .

(3) وفي بعض المصادر أنّ وفاته كانت سنة 368 (البداية والنهاية 11 / 293) .

القاضي محمد بن النعمان وكفّنه في سَتِين ثوباً . وأُخرج من البستان مع المغرب وحُمِل بين يديه فصُلّي عليه بالقرافة ، وحُمِل إلى القصر فدُفِن به .

شيء من شعره :

وكان تَمِيم فاضلاً شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً . وقال في كتاب « معاقره الشراب » : إِنَّ تَمِيماً ركب في النبل متنزّهاً فَمَرَّ ببعض طاقات الدور المشرفة على النبل وجارية تغني [كامل] :

نَبَّهْتُ ندماني بدجلة مَوْهِنًا والنجمُ في أفق السماء مَعْلَقُ
والبدر يضحك وجهه في وجهها والماء يرقصُ حولنا ويصفقُ

فاستحسن ذلك وطرب عليه وما زال يستعيده ويشرب عليه حتى انصرف وهو لا يعقل سكرًا . فلَمَّا أصبح عارضه فقال [متقارب] ⁽¹⁾ :

شرَبْنَا على النيل لَمَّا بدا بمَوْج يزيدُ ولا يَنْقُصُ
كَأَنَّ تكاثُفَ أمواجه معاطفُ جاريةٍ ترقصُ

فأحسن ما شاء . وبلغ هذا الشعر عبد الله بن محمد الكاتب ⁽²⁾ ، فجمع شعراء إفريقية وأمرهم أن يقولوا في معناه فلم يأتوا بباطل .

(1) ديوان تميم ، 255 .

(2) عبد الله بن محمد الكاتب : أمير إفريقية من قَبْلِ الصنهاجيين . انظر عنه رسالة هـ . ر . إدريس عن النولة الزيرية 48/1 و 66/1 .

هذا وقد أَفْهِمَتْ في المتن ترجمة لهذا الوالي علّم عليها الناسخ - أو غيره - بحرف (ح) في أولها ، وكأنّه يَنْبَغُ على أنّها ليست من متن المَقْفِي ، وهذه الحاشية المَقْصِدَة تقول : [عبد الله بن محمد بن أبي العباس الأغلب نشأ بإفريقية وتعلّم الخط والترسل فاستكتبه زيري ابن مناد ، ثم استكتبه أبوه أبو الفتح يوسف بن زيري [وكان] حاذقاً بلسان البربر . فبعثه يوسف إلى المنصورية عوناً لأبي نصر زيادة الله بن القديم ، فقدمها ثالث رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة فأمر ونهى مع ابن القديم إلى أن تحاسداً وثارت الحرب بينهما ، وقبض على ابن القديم وسجنه حتى مات . واستبدّ بأمر إفريقية في ثامن ربيع الأول =

وقال [خفيف] :

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تبدى في يدِ الأفقِ مثلَ نصفِ سِوارٍ⁽¹⁾

وقال [خفيف] :

وكانَّ الصِّباحَ في الأفقِ بازٍ والدُّجى بينِ مِخْلَيْهِ عُرَابُ⁽²⁾
وكانَّ السماءَ لجةَ بحرٍ وكانَّ النجومَ فيها حَبَابُ

وقال [بسيط] :

ناولتها شبهَ خَدَيْهَا مشعشةً [281 ب] / تقبَّلَتْهَا وقالت وهي ضاحكة
... قلت : أَشْرَبِي ، إِنِّهَا دَمْعِي ، وَحُمْرُهَا
قالت : إِذَا أَنْتَ مِنْ حَيٍّ بِكِتَ دَمًا
5 يا لَيْلَةً باتَ فِيهَا الْبَدْرُ مُعْتَنِي
وبتُ مُسْتَعْنِيًّا بِالْغَرِّ عَنْ قَدَحٍ
بكرًا كأنَّ سَنَاهَا ضَوْؤُ مِقْبَاسٍ
وكيف تُسْقَى خَدُودُ النَّاسِ لِلنَّاسِ ؟
دمي ، وطابِخُهَا فِي الْكَأْسِ أَنْفَاسِي
فسَقَّيْتُهَا عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّأْسِ
وباتتِ الشَّمْسُ فِيهَا بَعْضَ جَلَّاسِي
وبالْخُدُودِ عَنِ التَّفَاحِ وَالْآسِ⁽³⁾

وقال [بسيط] :

قالت وقد نالها للبين أوجعه والبينُ صعبٌ على الأحبابِ مَوْقَعُهُ
أَجْعَلْ يَدَيْكَ عَلَى قَلْبِي فَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَاهُ عَنْ حَمَلِ مَا فِيهِ وَأَضْلَعُهُ⁽⁴⁾

= سنة أربع وستين [وثلاثمائة] إلى أن قتله الأمير أبو الفتح منصور بن يوسف يوم الأحد
لأحدى عشرة خلت من رجب سنة سبع وسبعين وثلاثمائة هو وابنه يوسف بن عبد الله ،
فدفنا بغير غسل ولا كفن [و] ردَّ عليها التراب في اصطبل .

(1) الديوان ، 183 .

(2) الديوان ، 70 .

(3) الديوان ، 249 .

(4) في المخطوط : قواي . والتصوب من الديوان ، 260 .

وَأَعْطِفْ عَلَيَّ الْمَطَايَا سَاعَةً فَعَسَى
كَأَنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حَسْرَةً وَأَسَى
مَنْ شَتَّ شَمَلَ الْهَوَى بِالْبَيْنِ يَجْمَعُهُ ⁽¹⁾
غَرِيقُ بَحْرٍ يَرَى الشَّاطِي وَيُمْنَعُهُ

وقال [طويل] :

إذا حان من شمس النهار غروبُ
... وما بلدُ الإنسانِ إلَّا الذي له
تذكرُ مُشتاقٌ وحنٌ غريبُ
... تُرى عندهم علمٌ وإن شطَّت النوى
به سَكَنٌ يَشْتاقُهُ وَحِيبُ
بأنَّ لهم قَلْبِي عَلَيَّ رَقِيبُ ⁽²⁾

وقال [كامل] :

واللهِ لولا أن يقال تَغَيَّرَا
لَأَعَدْتُ تَفَاحَ الْخُلُودِ بِنَفْسَجَا
وسَلَا ، وإن كان التَّسْلِي أجدرًا ⁽³⁾
لثَمًا وكافورَ التَّرائِبِ عَثَرَا

وقال [كامل] :

يومٌ لنا بالنيل مُخْتَصِرُ
والسُّفُنُ تَصْعَدُ كَالْخَيْولِ بَنَا
ولكلِّ وَقْتٍ مَسَرَّةٍ قَصْرُ ⁽⁴⁾
فيه وَحْشِدُ الْمَاءِ مَنْحَدِرُ ⁽⁵⁾
وكأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ عُكْنُ
وكأَنَّمَا دَارَاتُهُ سُرُرُ

وقال [بسيط] :

أما ترى يومَنَا قد جاء بالعجب
والبدْرُ في الأفقِ الغرْبِيِّ تحسُّبُهُ
فما أَنْتَظَارُكَ بِاللَّذَاتِ وَالطَّرَبِ ؟
قد مَدَّ جَسْرًا عَلَى الشَّطِّينِ مِنْ ذَهَبٍ ⁽⁶⁾

(1) في الديوان : بالوصل .

(2) الديوان ، 52 .

(3) في الديوان ، 464 وفي ترجمة الوفيات وكذلك البيتمة 292 / 1 : وصبا وإن كان التصابي ...

(4) الديوان ، 241 : ولكلِّ يوم .

(5) الديوان : في موجه والماء ينحدر . وفي الوفيات : فيه ، وجيش الماء ينحدر .

(6) هذان البيتان لا يوجدان في الديوان ، على كثرة المقطوعات من الوزن والروي .

يقال [طويل] :

راتني وقد شَبَّهْتُ بالورد خَدَّها
كما قال إنَّ الأَفْخُونَ كَمِيسَمِي
وَحَقُّ صَفَا ماءِ النِّعَمِ بَوَجَّتِي
لئن عادَ للتَّشْبِيهِ يوماً حَرَمْتُ
5 إذا كانَ هذا في البساتينِ عِنْدَهُ
فقولوا له : لِمَ جاءَ يَطْلُبُهُ عِنْدِي ؟ ⁽¹⁾

وكان قد طال عهده بالاجتماع مع أخيه عقيل وعمه حيدرة ، فلما التقوا في [282 أ] يوم عيد الفطر / سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قال لها في بعض مخاطبته ارتجالاً [خفيف] :

لم أفارقكما اختياراً . وهل تخ
حاش لله من قَلِيٍّ وصدودٍ
أنَّما نور ناظِرِيَّ وهل في الـ
أنَّما حيثما حللتُ مقبلاً
5 غير أنَّ الرِّمَانَ أَبْحَلُ من أن
شأنه نقصٌ ما استتمَّ من الأمر
فاعلنا من عدلتنا على البعد
لا أهنيكما بعيدٍ لأنَّ الـ
إنَّما عيدنا العزيرُ الذي ند
10 كلَّ يوم لنا يجلوى أبي المند
تأرُّيمنى اليدين بعد الشمال ؟ ⁽²⁾
وسلَّو وجفوة وملال
نَّاس خلقٌ لثور عَيْنِهِ قال ؟
ن بقلبي وساكنان بيالي ⁽³⁾
يتهادى على إدامة حال
ر وإفساد ما انتهى من حلال
ل ولوما في البعد جور الليالي
عيد نقص [لنا] من الآجال
نا بُعْماهُ منتهى الآمال
صور عيدٌ مجدُّ الإقبال

(1) هذه الأبيات أيضاً مفقودة من الديوان ومن التينة ومن مختارات الحصري (زهر

757 - 764) .

(2) في الديوان ، 346 : فقد الشمال .

(3) هذا البيت ساقط من الديوان .

ملكٌ من بني الوصيِّ عزيزٌ نبويُّ الهدى كريمُ النوال⁽¹⁾

إكرام أخيه نزار العزيز له :

وتترّه أخوه أمير المؤمنين العزيز بالله إلى بركة الحبش يوماً ، فخرج إليه تميم راجلاً حافياً حتى لقيه فسلم عليه بالخلافة وقال : يا أمير المؤمنين قد وجب على عبدك الضيافة . قال : نعم . ودخل معه إلى بستانه وقد أمر بجنيبة من الجنايب التي كانت بين يديه وأقسم على تميم أن يركبها ويسايره . فلما توسّط البستان نظر إلى ثمر يلوّح الذهب عليه فعجب منه واستطرفه ودنا من شجرة فأخذ منها ثمرةً واحدةً فقرأها فإذا عليها مكتوب بالذهب [وافر] :

أنا الثمر الذي عُذيتُ عُصوني ببرِّ الماء في حرز حرير
حسنتُ فليس يصلح أن يحيى بأمثالي سوى الملك العزيز⁽²⁾

فجعلها في كفه وقال : « هذه ضيافتي عندك » . وأنصرف إلى قصره . فبعث إلى أبي جعفر بن مهذب صاحب بيت المال فقال : « ما عندك من ضرب هذه السنة ؟ » - وكان ذلك في أولها - فقال : « مائة ألف وسبعة وستون ألفاً » . فأمره أن يحملها إلى الأمير تميم فحملت إليه من ساعته مع راشد العزيري وقال له : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : « أستعين بهذه على مروعتك »⁽³⁾ ، فقبل الأرض وبعث إليه من الغد قصيدة يمدحه فيها ويشكره .

(1) في الديوان : كريم الفعال .

(2) هذان البيتان مفقودان من الديوان ومن مختارات اليتيمة وزهر الآداب ، ولكنها موجودة في ترجمة الحلة السراء 1/ 291 (رقم 108) . وقد جاء البيت الأول على هذا النحو :

أنا الليمون قد غذيت عروقي ببرِّ الماء في حرز حرير

(3) في الحلة السراء : على مؤونتك .

عطفه على أهل الغناء :

ووصل إلى مصر فتى من أهل بغداد كانت له نعمة فزالت عنه . فنزل في بعض دور الكراء ، وكان القيم عليها رجلاً فيه مروءة . فنظر إلى البغدادي وهو لا يتصرف في تجارة ولا غيرها ، فسأله عن حاله ومقصده فقال : توفي أبي وترك لي نعمة طائلة ، فأقبلتُ على القصف واللهو حتى أتيت عليها وأفضيت إلى بيع الديار والعقار . فلما لم أَدع شيئاً أرجع إليه ، ولم تكن لي صنعة أتصرف بها . رأيتُ أنَّ مكابدة الفقر ومسألة الناس في غير بلد الإنسان الذي يُعرفُ به أسترُ . فتحملتُ إلى هذه البلدة .

قال : وما تعرف صنعةً تعودُ عليك بقوتك ؟

قال : لا ، إلاَّ أنني أغني بالعود غناءً لا أحكمه ولا أرضاه .

قال : فغنّ ! فإن كان غناؤك ممّا ينفق ببلدنا ما أخذتَ قدرًا⁽¹⁾ تنفق منه . وإن كان ممّا لا ينفق سترتُ على نفسك وتحملتُ قوتك ما بقيتُ وبقيت .

[282 ب] وأحضر له عوداً فغنّ / غناءً مقصراً لو سأل عليه جذرُ درهم واحدٍ لما وجده . فقال له : أستر حالك ، ويدك مع يدي فيما ملكت ، وثوبك مع ثوبي :

فأقام على ذلك مدّة من الزمان . ثمَّ إنَّ المصري قال للبغدادي : ويحك ! قد سنع لي رأي ، ووالله ما أشير به عليك لأنّي ضيقت من مقامك .

قال : أذكر رأيك .

قال : تنظّف اليوم ثيابك ، فإذا كان الغداة لبستَ وتطيّبتَ وتصديتَ لقاء

(1) قراءة ظنيّة ، ولعلَّ « ما » زائدة . وفي المخطوط : جذرا - أو خذرا ، ولم نجد لها ما يناسب المعنى . وستأتي بعد قليل كلمة « جذر درهم » واضحة الخطّ ، فأبقيناها لأنَّ جذر العدد في الحساب جزء منه بعد القسمة .

الأمير تميم وعرفته أنك من وجوه أهل بغداد وأنك كنت في نعمة فزالت عنك .
وقل : « إني دُفعتُ من بلدي قاصداً إليك ومعولاً بعد الله عليك ، وليست لي
حرفة تعود عليّ ، إلا أنني أغني غناء لا أحمدُهُ » ، ونظرت إلى ما يكون منه ⁽¹⁾
وعدت إلى حالك عندي .

ف فعل البغداديّ ذلك ووافى الأمير تميماً عند ركوبه فسلم عليه وذكر له ما
أوصاه به صاحبه . فالتفت إلى حسن الطراز فقال له : احمل الرجل واحتفظ
به ، فإذا أنا عدتُ من قصر أمير المؤمنين ، ذكرتني به .

فلما عاد إلى قصره واستقرّ به مجلسه وحضر ندماؤه دعا البغداديّ وكان عنده
حسن بن الجزاز وقسم ونحرير وابن الحويلا ⁽²⁾ وجاعة من كبراء المغنّين
المذكورين بمصر . فلما أكلوا وشربوا غنى القوم على مراتبهم حتى انتهوا إليه .
فأمر الأمير بعوده فوضع في حجره فضرب وغنى . فتغامز المغنون وضحكوا منه
فغضب الأمير تميم وقال : « أبصيني تستخفون ومنه تضحكون ؟ » فأطرق القوم
إجلالاً له ومهابة . فلما كان في آخر المجلس قال للبغداديّ : أين منزلك ؟

قال : والله يا مولاي ما لي منزل ، وما نزلت إلا عند رجل حرّ تحمل
ضيافتي منذ وصلت إلى هذه البلدة ، وأنا أتعرض في كلّ يوم إلى رؤيتك فإذا
أمكنتني قطعني هيئتك .

فدعا بحسن الطراز قهرمانه فقال له : احمل إلى حجرة هذا كفايتها من الفرش
والآنية والأطعمة والأشربة . واحمل إليها جاريتين لفراشه وخادمين لخدمتها
وابعثن مع قلاوون الصقلي وعرفه [أي] وهبته له ومرة بلزوم دهليزه .

فلما خرج البغداديّ قرّب إليه بغلة فارهة بسرج مُحلّى ومعه غلامان ،
ومشى به حسن حتى أنزله في الدار . فلما كان من غدٍ وحضر الندماء ، دعا به

(1) في المخطوط : منك . ونظرت معطوف على لبست وتطيبت وتصديت ...

(2) لم نجد هذه الأسماء في مراجعتنا .

فجاء في ثياب نفيسة وبزة حسنة . فلما طعموا وشربوا جاء حسن قهرمانه فقال له : يا مولاي أنفذ فلان الوكيل على ضيعة كذا بثلاثة آلاف دينار .
قال : أحضرها !

فجاء بها وقرعها بين يديه وقال : يا بغداديّ ، كيف تراها ؟

قال : يا مولاي ، هذا مال عظيم .

قال : تطارحك عليّ وقصدك إليّ أعظمُ منه . ارفعه مباركاً لك فيه .

فأدرك المغنّين من حسده ما أحدّ مزاج حسن الطراز ، فلم يخرج إلا محموراً
فـ[تـ]خلف أياماً قليلة وكان ذلك سببَ موته .

وما كان يمرُّ له يوم من الأيام إلا أفاد فائدة جليّة . فبعث البغداديّ إلى صديقه المصريّ الذي دلّه على الأمير تميم وقال له : هذه نعمتك التي كنت سببها وأنسي⁽¹⁾ فيها . فقد كنتَ شركني في مالك مبتدئاً بالفضل فوالله لا مددتُ يدي إلى حبةٍ فما فوقها إلا من تحت نظرك .

فبلغ ذلك الأمير تميماً فاستحسنه وكانا جميعاً في خدمته حتى مات تميم .
عطفه على المحيّين :

وكان بمصر رجل موسر من أهل طرابلس يعرف بابن فرح له نعمة عريضة إلا أنّه قبيح الوجه وحش الصورة . فمرّ يوماً بدار ابن الشعيري النحاس فرأى عنده جارية حلوة أديبة حاذقة للغناء ف وقعت بنفسه فخاطبه على ثمنها فوافقه على خمسمائة دينار . فلما علمت أنه أرادها امتنعت أشدّ الامتناع فلم يصبر عنها لما خامره منها . فسأل أحد أصحابه فاشتراها ومضى بها إلى دار ابن فرح ، وكانت في بعض الشوارع المسلوكة ، فوجّه طعاماً كثيراً وفاكهة وشراباً . فشمرت الجارية عن ساعديها وأصلحت من ذلك ما يجب وعبّت الفاكهة ونصّلتها وروّقت

(1) هلكت في المخطوط ، ولم نهند الى قراءة شافية .

الشراب وجلست في انتظار مولاها في روشن⁽¹⁾ / ترى منه كلّ جاءٍ وذاهبٍ . [283 أ]
 فلما نظرت إليه وعرفته أظهرت به سروراً وقدّمت إليه طشتاً فتوضّأ وغسلت يديها
 وجهه ورجليه وقربت له الطعام فأكل وقد كاد أن يطير سروراً لما رأى من
 انشراحها . ثمّ شربت ثلاثاً وسقته وتناولت العود فغنت له كلّ شيءٍ حسنٍ . فما
 زالا في أطيب عيش وأنعم بال حتّى [إذا] كان ثلث الليل أقبل الأمير ثميم في
 ذلك الشارع وبين يديه مشاعل . فلما قرب منها ألقت العود وكسرتة وألقت
 بنفسها إليه . فوقف وأرتاع . وقال : ما هذا ؟

فقلت : « أستجرتُ بالله وبالأمر » . ثمّ قصّصت حديثها كلّهُ . فدعا
 بمولاها ، فلما نظر إليه عذرها وأمر بحملها إلى قصره . فلما عاد إليه أحضرها
 ومولاها وقال له : يا هذا ، ليس لك فيها مستمتع وقد كرهتُك . فكم ثمنُها ؟
 قال : خمسمائة دينار .

فأمر بإحضار ألف دينار وقال له : هذه خير لك منها إن طببت عنها نفساً .
 فأخذ المال وأثنى وشكر وأنصرف ، فأمر بإيصاله إلى بيته . ونظر إلى غلام
 له تركيٍّ أمرد قيمته ألف دينار فقال لها : « خير لك من مولاك » وأعتقها وزوّجها
 منه .

تسريحه لجارية رغم تعلّقه الشديد بها :

وذكر محمد بن أبي نصر الحميدي⁽²⁾ : نا أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد
 ابن حزم⁽³⁾ بن غالب الفارسيّ : نا أبو البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري :

(1) الروشن : النافذة على الشارع .

(2) الحميدي صاحب الجنوة (ت 488 / 1094) ، والقصة واردة في ترجمة محمد بن عبد
 الواحد الزبيري (رقم 104 ص 66 من طبعة ابن تاويت) . وكذلك في مختصر ابن
 عساكر : 20 / 23 (48) .

(3) هو ابن حزم الفقيه الظاهريّ صاحب كتاب الفصل وطوق الحمامة ، وأصله من الفرس كما
 قال الصبيّ في البغية .

حدّثني أبو علي حسن بن الأشكري المصري قال :

كنت من جلاس تميم ابن أبي تميم وممن يخفّ عليه جداً (قال) : فأرسل إلى بغداد فابتعت له جارية رائقة فائقة الغناء ، فلما وصلت إليه دعا جلساءه (قال) - وكنت فيهم - : ثمّ مدّت الستارة وأمرها فغنت [كامل] :

وبدا له من بعد ما أندمل الهوى برق تألّق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه صعب الذرى متمنّع أركانه
وبدا لينظر كيف لاح فلم يُطق نظراً إليه وصدّه سجّانه⁽¹⁾
والنار ما أشتمكت عليه ضلوعه والماء ما سمحت به أجفانه

(قال) : فأحسن ما شاءت ، وطرب تميم وكلّ من حضر . ثمّ غنت [طويل] :

سيسليك عمّافات دولة مُفضل أوائله محمودّة وأواخره
ثنى الله عطفه وألف شخصه على البرّ مدّ شدّت عليه مآزره
(قال) : فطرب تميم ومن حضر طرباً شديداً . ثمّ غنت [بسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قرأ بالكرخ من فلك الأزرار مطلعته⁽²⁾
فاشتدّ طرب تميم وأفرط جداً . ثمّ قال لها : تمّني ما شئت فلك مُناك !
فقالت : أتمّني عافية الأمير وسعاده .

(1) هذا البيت ساقط من الجنوة . وهو مثبت في رواية ابن خلكان للقصة (ترجمة موسى بن عبد الملك الأصبهاني ، رقم 750) وفيها أن المقطوعة للشرّيف أبي عبد الله محمد بن صالح الحسيني ، وهو شاعر علويّ ثار على المتوكّل العبّاسي فسجنه ثلاث سنين فمدحه بالقصيدة التي منها هذه الأبيات ومطلعها :

طرب الفؤاد وعاودت أحزانه وتفرّقت قرّقا به أشجانه

(انظر ترجمته في تجريد الأغاني ، 1773) .

(2) في الوفيات 5 / 338 أنّ هذا البيت من عينيّة محمد بن زريق المشهورة .

فقال : والله لا بُدَّ لك أن تتمي !

فقالت : على الوفاء أيها الأمير بما أتمني ؟

قال : نعم .

قالت : أتمني أن أعطي هذه النوبة ببغداد .

(قال) : فامتقع لون تميم وتغير وجهه وتكدّر المجلس ، وقام وقنا . (قال ابن الأثير) : فلحقني بعض خدمه وقال لي : « ارجع فالأمير يدعوك ! » فرجعت فوجدته جالساً ينتظري . فسلمت وقت بين يديه ، فقال : ويحك ! رأيت ما آمتحتن به ؟

فقلت : نعم أيها الأمير .

فقال : لا بدّ لنا من الوفاء وما أثق في هذا بغيرك . فتأهبّ لحملها إلى بغداد ، فإذا غتّ هناك فاصرفها .

فقلت : سمعاً وطاعة .

(قال) : ثمّ قت وتأهبت . وأمرها بالتأهب . وأصحابها جارية له سوداء تعادها وتخدمها . وأمر بناقة ومحمل⁽¹⁾ فأدخلت فيه وجعلها معي وسرت إلى مكة مع القافلة فقصينا حجتنا . ثمّ دخلنا في قافلة العراق وسرنا . فلما وردنا القادسية أتتني السوداء عنها فقالت : تقول لك سيدي : أين نحن ؟ فقلت لها : نحن نزل بالقادسية .

فانصرفت وأخبرتها . فلم أنشب⁽²⁾ أن سمعت / صوتها قد ارتفع بالغناء [283 ب]

[كامل] :

لما وردنا القادسية حيث مجتمع الرفاق

(1) المحمل هو المودج .

(2) أي : لم ألثب .

وشممت من ارض الحجد لاز نسيم أنفاس العراق
أيقنت لي ولن أحج بجمع شمل واتفاق
وضحكت من فرح اللقد ماء كما بكيت من الفراق⁽¹⁾

فصايح الناس من أقطار القافلة : أعيدي بالله ! أعيدي بالله ! (قال) :
فما سَمِع لها كلمة . ثم نزلنا الياسرية وبينها وبين بغداد نحو خمسة أميال في بساتين
ينزل الناس بها فيبيتون ليلتهم ثم يهكرون لدخول بغداد . فلما كان قرب الصباح
إذا بالسوداء قد أتني مدعورة . فقلت : ما لك ؟

قالت : إن سيدي ليست بحاضرة .

فقلت : ويلك ! وأين هي ؟

قالت : والله ما أدري .

(قال) : فلم أحس لها أثراً البتة . ودخلت بغداد وقضيت حوائجي بها
وانصرفت إلى تميم فأخبرته خبرها فعظم ذلك عليه واغتم له . ثم ما زال بعد
ذلك ذاكرة لها واجماً عليها⁽²⁾ .

(1) جاء في الهامش : هذه الأبيات لأبي عمران موسى بن عبد الملك الأصماني صاحب ديوان
الخراج أيام المتوكل . مات في شوال سنة 246 ، وتتمها :

لم يبق لي إلا نوح شمم هذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنا بصفات ما كنا نلاقي

والأبيات في ترجمته بوفيات الأعيان (رقم 750) .

(2) هذه الترجمة لا تفيدنا فيما كنا نأمله : معرفة الأسباب الحقيقية لعزله عن ولاية العهد ، فقد
سكت عنها المقرئ واكتفى بالسبب « الرسمي » المتداول ، وهو أنه لا يعقب ، ولعله كان
عتيماً أو حصوراً أو مبتلى بشنوذ الجنس ، مما تشعر به سيرة الأستاذ جودر .
ونفهم من سيرة جودر أيضاً أن هناك أسباباً سياسية ، أي تأمرأ مع بعض أفراد الأسرة
من أبناء القائم والمهدي على المعز .

وقد طرق المقرئ المعنى المألوف بخصوص هذا الشاعر الرقيق : وهو حبه للغناء
والجالس الأدبية . وخروجه الكثير إلى البساتين والجولات على النيل ، مع طيبة نفسه وكرمه =

1028 - أبو الطاهر الباديّ [565 -]

تَمِيم بن المعزّ بن يعلى الباديّ ، الفقيه أبو الطاهر ، المالكيّ . يروي عن سند بن عنان الأزديّ . توفي سنة خمس وستين وخمسمائة .

1029 - تَكِين الحَاصَّة [321 -]

الأمير أبو منصور الخزري . ولي مصر من قبل المقتدر بالله على صلاحها فدعي له بها يوم الجمعة لإحدى عشرة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين . وقدمها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي الحجة ، وتقدم إليه بالجدّ في أمر المغرب والاحتراس منه فعقد لأبي النير أحمد بن صالح على برقة فبعث معه بجيش فلقى حباسة بن يوسف فواقعه . ثم صرفه بخير المنصوريّ فقاتل حباسة خيراً وهزمه . وكتب تكين إلى المهديّ عبيد الله صاحب إفريقية كتاباً على لسان أمير المؤمنين المقتدر بالله يدعوه فيه إلى الطاعة والتمسك بها . وجمع وجوه أهل مصر وقرأ عليهم وأنفذه إليهم⁽¹⁾ وذلك في سنة ثلاثمائة .

= الكبير . والصورة بعد إيجابية ، فليس فيها تفاصيل فحش أو مجون أو خروج عن جادة الأخلاق كما نجده في مصادر أخرى .

وأفادتنا الترجمة أخيراً ببعض الأبيات التي خلا منها ديوانه المنشور .

ثم إن إدراج ترجمة عبد الله بن محمد الكاتب في المتن مع التنبيه إليها بحرف «ح» قد يعني أن المقرئ كان ينوي تخصيص فصل في معجمه لهذا الأمير الإفريقيّ رغم أنه لم يذكر له زيارة إلى مصر . ولعل المؤلف كتبه في هامش مسودته فجاء الناسخ فأقحجه داخل النص سهواً أو غلطاً .

وكذلك نتساءل في شأن التنبيه في الحاشية إلى صاحب الأبيات القافية والتعريف به :

هل هو من المقرئ نفسه أم من بعض النساخ أو المحشّين ؟

(1) أي إلى العبيديّين بإفريقيّة ، وانظر العيون والحداث ، 163 .

وخرج رجل بمَدِين ^(١) يقال إنه من آل أبي طالب . فبعث إليه تكين محمد
 ابن طاهر صاحب الشرطة فأتى به وشهره في رابع عشر شعبان منها .
 وأمر تكين في يوم نوروز أو المهرجان بجمع المؤنثين ^(٢) فأمرهم بإظهار المعازف
 والمزامير والطبول وشهرهم في لباسهم وطاقوا الفسطاط ومروا على الجامع العتيق ،
 وذلك يوم الثلاثاء سابع ذي القعدة منها .

وقدم عليه الخبر بدخول حباسة إلى الإسكندرية في ثامن المحرم سنة اثنتين
 وثلاثمائة ، فبعث بالخبر إلى بغداد فقدمت الجيوش في العشرين من صفر مدداً
 له . وقدم الحسين بن أحمد الماذرائي وأبو بكر محمد بن علي الماذرائي ^(٣) من
 بغداد على الخراج بمصر في تاسع ربيع الأول [سنة 302] ، ومعها أحمد بن
 كيغلع وأبو قابوس ^(٤) محمود بن حمك في جمع من القواد ، فبعث تكين مقدمته
 في الخامس من جمادى الأولى إلى الجيزة . وخرجت الجيوش يوم الاثنين تاسعه
 فعمسك بالجيزة . ونودي بالنفير بالفسطاط . وقابل حباسة يوم الخميس لثمان
 بقين منه ، وهزمه وقتل رجاله . وتبعه طائفة من الناس فخرج عليهم كمين لحباسة
 قتل منهم عشرة آلاف ، ومضى حباسة إلى المغرب .

فقدم المظفر مؤنس الخادم من بغداد للنصف من شهر رمضان ومعه جمع
 من الأمراء فصرف تكين عن مصر يوم الخميس الرابع عشر من ذي القعدة سنة

-
- (١) مدين : تقع على بحر القلزم (البحر الأحمر اليوم) وهي من أعمال مصر الشرقية (ياقوت) .
 (٢) في المخطوط : الوثنين ، والإصلاح من الكندي ، 269 .
 (٣) الماذرائيون : الحسين بن أحمد المعروف بأبي زنبور : خدم الطولونيين وكلف بالخراج في
 مصر والشام مراراً وتوفي سنة 314 أو 317 (انظر تعليق عمر السعيدى ناشر العيون والحدائق
 في الفهرس ، وانظر ترجمته في المقتفى رقم 1223 .
 أما محمد بن علي الماذرائي فقد ولي خراج مصر إلى وفاته سنة 345 (العيون
 والحدائق ، 488 وانظر ترجمته رقم 2713) .
 (٤) في المخطوط : أحمد بن كيغلع أبو قابوس وأبو قابوس محمود بن حمك ، والإصلاح من
 الولاة والقضاة 269 .

أثنتين وثلاثمائة وأخرجه في سابع ذي الحجة [سنة 302] .

ثم ولي مصر ثانياً بعد موت ذكا الأعور⁽¹⁾ ، وتسلم [له] خليفته⁽²⁾ حتى قدم ، والعسكر بالجيزة ، لقتال أبي القاسم ابن المهدي صاحب إفريقية . فترها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وحفر خندقاً ثانياً .

وأقبلت مراكب إفريقية تريد / الإسكندرية فبعث إلى ثعلب الخادم فقدم [284 أ]
بمراكب طرسوس فقاتل سليمان وهو على مراكب إفريقية وأسره وقتل أكثر من معه . وقدم بسليمان ومن بقي إلى تكين فقتلهم .

وقدم المظفر مؤنس الخادم من العراق مدداً إلى تكين في المحرم سنة ثمان وثلاثمائة ، فعسكر معه بالجيزة وسارا بعسكريهما يوم الخميس لثاني عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثمائة وملكا القيوم . فضى أبو القاسم حتى بلغ برقة ، ولم يكن لقاء .

وعاد إلى الجيزة يوم السبت الرابع من ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة .
فصرف مؤنس تكين عن مصر يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول
بأبي قابوس محمود بن حمك ثم أعاده يوم الجمعة لخمس بقين من ربيع الأول ،
فأقام أربعة أيام وصرفه عنها وأمره أن يسير إلى الشام فخرج في أربعة آلاف من
أهل الديوان فقال ابن مهران [وافر] :

وَلَيْتَ وَلَايَةً وَعُزِّلَتْ عَنْهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ تَعِزُّ مَنْ تُؤَلِّي
رَحِمْتُكَ يَا أَبَا مَنْصُورَ لَمَّا خَرَجْتَ كَذَا بِلَا عِلْمٍ وَطَلَّ⁽³⁾

(1) توفي ذكا الأعور في 11 ربيع الآخر 307 (العيون والحدائق ، 276) .

(2) تسلم ولاية مصر باسم تكين في انتظار قدومه .

(3) هذه الترجمة تنقل في شيء من الاقتضاب ما جاء في كتاب الولاة والقضاة للكندي ، كان يختصر المقرري الأحداث ويحذف الشعر ، ويغفل حدثاً تكرر أو يخلط بين التواريخ والمدد =

1030 - تُلْك الحسنيّ [753 -]⁽¹⁾

تلك الحسنيّ ، الأمير سيف الدين الأرغونيّ ، أحد ممالك الأمير آقوش الأفرم . ونسب إلى الأمير أرغون الدوادار النائب .

ترقى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء . وأخرج على إمرة طبلخاناه بدمشق فقدمها في آخر شعبان سنة ثمان وأربعين . وعمل حاجباً ثانياً في نيابة الأمير أيتمش سنة خمسين ، إلى أن طلب في خامس عشرين شعبان سنة اثنتين وخمسين ، فعمل حاجباً صغيراً بالقاهرة .

ثم عمل أمير أخور عوضاً عن الأمير قردم في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة بإقطاعه ، وهو حاجب . وخرج في الخدمة السلطانية إلى دمشق في نوبة يبيغا أروس . فمرض بها . وعاد فمات بغزة في شوال منها⁽²⁾ .

= فالمعروف أن تكين ولي مصر ثلاث مرّات والثالثة كانت سنة 311 (الكندي ، 280) ، وهذه الولاية الثالثة لم يذكرها المقرئ ، كأنه اعتبر رجوع تكين إلى الولاية بعد اثني عشر يوماً من عزله الثاني ، توليةً ثالثة . ثم إنه لا يتتبع حياة مترجمه إلى آخر مراحلها ، فلم يذكر مثلاً وفاته (الكامل ، سنة 321) ولا ذكر تلقيه بتكين الخاص (المغرب لابن سعيد ، 152) أو تكين الخاصة (الكامل) . وانظر ترجمة تكين في تهذيب ابن عساكر 3/ 340 والوافي 10/ 386 (4883) .

(1) الدرر 2/ 52 (1410) وقد ضبط آبن حجر اسمه فقال : بضم أوله وفتح اللام الخفيفة بعدها كاف ، السلوك 2/ 859 وقال : ويعرف بتلك الشحنة .

(2) في السلوك 2/ 885 : وهو عائد إلى القاهرة . وبعد هذا جاء في الترجمة كلام مضطرب أو مقحم أو معاد : وولي أمير أخور إلى دمشق على إقطاع أمير مسعود من خطه سنة خمسين ، وكان أكبر أمرائها . ثم طلب على إقطاع الأمير قردم بعد إخراجة إلى دمشق في سادس عشرين ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين .

1031 - ابن الحنبليّ الواعظ [620 -]⁽¹⁾

تمّام بن عبد الهادي بن أبي البركات عبد الوهاب بن أبي الفتوح⁽²⁾ عبد الواحد بن محمد بن عليّ ، الأنصاريّ [الخزرجيّ السعديّ العبّاديّ] الواعظ ، أبو القاسم ، حسام الدين ، الشيرازيّ الأصل ، الدمشقيّ ، الحنبليّ .
سمع من السلفيّ وحلّث عنه . ومات بمصر في [الخامس من] ذي الحجّة سنة عشرين وسبّائة .

1032 - تَمْر السّاقِي [743 -]⁽³⁾

تَمْر السّاقِي ، الأمير سيف الدين المنصوريّ ، أحد المماليك المنصوريّة قلاوون .

تنقّل في الخدم إلى أن صار من جملة الأمراء . وولي نيابة حمص بعد موت بلبان الجوكندار في ذي الحجّة سنة ستّ وسبعمائة . ثمّ صرف عنها ، وأقام بدمشق من جملة أمرائها .

فلمّا تسحب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم هو وقراسنقر نائب حلب إلى خربندا رسم لتَمْر هذا بنيابة طرابلس عوضاً عن الأفرم ، وأرسل إليه التقليد ، وكتب إليه أنّه إذا مرّ بحمص وخرج نائبها بيبرس العلميّ إلى لقائه ، يقبض عليه ويحمله إلى دمشق .

(1) التكملة لوفيات النقلة للمندريّ 3 / 111 (1956) والزيادات منها .

(2) في التكملة أبي الفرج .

(3) الدرر 2 / 54 (1419) ؛ السلوك 2 / 616 .

فسار تمر من دمشق في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبعائة ونزل على حمص ، فوجد الأمير بكتوت القرماني شادّ الدواوين بدمشق قد عاد من كشف القلاع . وأقام على حمص ، فخرج بيبرس العلمي إلى لقاء تمر على العادة ونزلا . فبالحال أحاط به تمر والقرماني وقبضا عليه ، وسار به القرماني إلى دمشق . وتوجّه تمر إلى طرابلس وأقام على نيابتها .

وقبض عليه في ربيع الآخر سنة خمس عشرة ، وسُجن بالكرّك ، ثم نقل إلى مصر . وأستقرّ عوضه ⁽¹⁾ فسجن بها . ثم أحضر في ثامن عشر رجب سنة سبع وعشرين لمّا كاتب فيه أهل الإسكندرية ، وسُيّر هو والأمير بكتمر البوبكري إلى الكرّك . ثم سجن مدّة سنين ⁽²⁾ وأفرج عنه في رجب سنة خمس وثلاثين [وسبعائة] ، وأمر على إمرة طبلخاناه بالشام ، فاستمرّ إلى أن مات بها سنة ثلاث وأربعين .

1033 - تمرغا المنصوري [698 -] ⁽³⁾

[284 ب] تمرغا المنصوري / [الأمير سيف الدين] . كان رفيق الناصر محمد [بن قلاوون] لمّا خلع في المرّة الأولى من السلطنة ونقل إلى الكرّك . فأقام معه مدّة . ثم نقل إلى طرابلس فمات بها في سنة ثمان وتسعين . وكان جميل الصورة كثير الأدب مقبلاً على اللهو . وله مسجد بالقرب من الميدان الكبير .

-
- (1) كأنّ في الكلام نقصاً ، ولكن بدون بياض .
(2) في الدرر : نحو العشرين سنة . وفي السلوك 378 / 2 : أفرج عنه في جادى الأولى سنة 735 وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة فكانت مدّة سجنه إحدى وعشرين سنة .
(3) السلوك 882 / 1 . والزيادة منه .

1034 - تنكز الحسامي نائب الشام [741 -]⁽¹⁾

تنكز الحسامي ، الأمير سيف الدين ، أبو سعيد ، نائب السلطنة بالشام .
جلبه إلى مصر :

جلب إلى مصر صغيراً مع الخواجا علاء الدين [....] السيواسي ، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين قبل سلطنته . فلما تسلطن وقُتل انتقل تنكز إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون . وصار من جملة خاصّيته ، وشهد معه واقعة وادي الخزندار ، ثمّ وقعة شقحب . وأنعم عليه بإمرة عشرة . ثمّ خرج معه إلى الكرك .

فلما عاد إلى السلطنة مرّة ثالثة بعد فرار الملك المظفر بيبرس أنعم عليه بإمرة في يوم السبت خامس عشرين شوال سنة تسع وسبعائة مع جماعة من المماليك ، عدّتهم اثنان وثلاثون مملوكاً ، أنعم عليهم الجميع في هذا اليوم بإمرات ما بين طبلخاناه وعشرات ، وركبوا بالشرابيش من قلعة الجبل وشقّوا القاهرة من باب زويلة إلى القبة المنصورية بين القصرين ليحلفوا كما كانت العادة ، وأشتعلت لهم الشموع والقناديل في سائر طرقاتهم ، وأوقفت لهم أربابُ الملاهي في عدّة مواضع ، وكان يوماً مشهوداً .

ثمّ نقله من إمرة العشرة إلى الطبلخاناه ، ثمّ إلى التقدمة وألزمه هو وسودي بملازمة الأمير أرغون النائب ليتعلّم منه الأحكام ، فبقيا يلازمانه كلّ يوم مدة سنة .

(1) الدرر 55/2 (1424) ؛ الوافي 420/10 (4926) ؛ المنهل 156/4 (797) ؛
فوات 251/1 (88) ؛ السلوك 506/2 ؛ النجوم 145/9 ، 327 .

تولّيه نيابة دمشق :

فلما استدعى الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي ، المعروف بـ«نائب الكرك» إلى مصر ، وحضر إليه ، ولّى تنكز عوضه نيابة دمشق يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة . وخشي أنّه لا ينهض بأعباء نيابة دمشق فشارك معه الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، والأمير حسام الدين طرنطاي البجمقدار⁽¹⁾. وتقدّم إليه أن لا يستبدّ بأمرٍ دونها ولا ينفرد برأي ولا تدبير ولا كتابة مطالعة عنها . وسيرهما معه على البريد في يوم الجمعة سابعه . فوصلوا دمشق في يوم الخميس عشرينه .

فلما جلس بدار السعادة وحضره الأمراء والقضاة وأهل الدولة على العادة ، قام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سلمان بن غانم الموقع وأنشد [كامل] :

بشّر دمشق [...] بوجوده	فيها ومنّ ظهرت دلائل جوده
إذ جاءها الرحمان منه برحمة	وسمت جميع الأرض عندوروده
ويمين طلعتّه وطالعه الذي	شرقت علينا نيرات سعوده
طابت دمشق لأهلها وجميع من	فيها بما سكنت بخفق بنوده
كم في المغاني من معان أطربت	فرحاً بمقدمه ومنّ وروده
وتناثرت وزد إلباء حيّا له	لما جنينا الدرّ من تقليده
[و] كأنّ غداة قدومه بسروره	حقاً يرى ذاك النهار كعيده

فشكره على ذلك . وركب الموكب على العادة في تجمل عظيم . وجلس وأرقطاي إلى جانبه . وقرئت القصص عليهما . وأقام تنكز حرمة وافرة . فهابه أمراء دمشق وخشوا عاقبته .

(1) البشمقدار في السلوك 2/ 118 .

تأثيره على كافة أمراء الشام :

فلما رآك السلطان البلاد الشامية في سنة ثلاث عشرة ، زاد إقطاع النيابة عن عاداته . ورسم أن تكون كتب نواب بلاد الشام كحلب وحماه وطرابلس وصفد وغيرها ترد على تنكز بما ⁽¹⁾ عاداته أن ترد على السلطان / ويكتب [285 أ] السلطان بما تشتمل عليه ويجاوبه عنها . وبقي أمر البلاد الشامية كلها لا يخرج منه شيء عنه .

وخرج أول المحرم سنة خمس عشرة بعساكر مصر والشام ، ومعه القضاة ، وهو بزي الملوك من العصابات السلطانية والكوسات - ولم يفعل ذلك نائب قبله - وجرت ثلاثة وثمانين نجياً من الخيل ، وسار وفي إثره عسكر صفد وحماة وطرابلس إلى حلب . وتنكر على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة من أجل أنه لم يلقاه ⁽²⁾ من بعد ، وأبى أن يأكل طعامه ، وأعرض عنه . فلما نزل حلب جرد منها عسكراً إلى ملطية ، وكان في ظن كل أحد أن العساكر متوجهة إلى سيس . ثم سار في إثره ونازل ملطية يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم حتى تسلمها من أهلها . فأقر كل أحد على ما هو عليه . وقبض على مندوه الكردي متولي الخراج . ونهب العسكر المدينة فقام تنكز وأخرجهم . ورحل بمال كثير وأسرى متعددة وعاد إلى دمشق في سادس عشر ربيع الأول ، وقد قاسى الأمراء منه ما لا يوصف من الحيف والترفع ، بحيث كان إذا ركب يترجل سائر الأمراء وتمشي في خدمته ، حتى البوبكري ، إلى أن ينزل .

جامع تنكز بدمشق :

فلما كانت سنة ثمانى عشرة أنشأ بالشرف القبلي خارج دمشق جامعاً في غاية الحسن ، وهدم أماكن كثيرة استجدت في أسواق دمشق كانت قد ضيقت

(1) التعبير أسلم في السلوك 1 / 137 .

(2) في السلوك 2 / 142 : لم يلقه بالجزم الصحيح .

الطرق من باب جسر الحديد إلى باب الفرديس . وفي سوق الخيل أيضاً حتى ذهبت عن آخرها ، وكانت شيئاً كثيراً ، فلم يتجاسر أحد على الكلام فيها .

وحجّ سنة إحدى وعشرين ، وأستخلف عنه الأمير بيبرس الحاجب إلى أن عاد . ثمّ قدم إلى مصر يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب بعد الاستئذان ، فأكرمه السلطان وقربه ، ورسم لسائر الأمراء أن تحمل إليه التقادم والهدايا ، فلم يبقَ أحدٌ منهم حتى بالغ فيما يحمله إليه ، وبلغت قيمة ما جاءه من التقادم ثمانين ألفَ دينار ، منها مبلغ أربعة آلاف دينار حملت إليه من السلطان ، ونحو عشرة آلاف دينار من كريم الدين ناظر الخاصّ . وبلغت عدّة السلاسل الذهب والفضّة التي حضرت إليه في الخيل أربعين سلسلة . ورسم أن تكون الخلع التي يخلعها على من يحضر من مماليك الأمراء إليه بالتقادم من الخزانة السلطانية .

فأقام بقلعة الجبل خمسة أيّام ، وسار عائداً إلى دمشق على البريد يوم الاثنين رابع عشرينه . فقدمها في يوم الاثنين أول شعبان ، وكان يوماً مشهوداً . وأضاف إليه السلطان الكلام في أمر سيس ، ومنع الأمير ألطنبغا نائب حلب من ذلك في سنة أربع وعشرين . فابتدأت العداوة بينهما .

وقدم إلى مصر باستدعاء في عاشر شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين . فأقام أيّاماً ، وعاد بإنعامٍ جزيل .

وقدم في سنة سبع وعشرين باستدعاء فبالغ السلطان في إكرامه ، وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى ، وكان السلطان قد خرج إلى لقائه بسرياقوس . وأشار السلطان بأن يزوّج ابنته من الأمير أحمد بن [بكتمر الساقى] ، فعقد لها عليه وجهزها جهازاً عظيماً ، وكان من جملة دوائر بيت فيه مبلغ ستين ألفَ مثقال من الذهب . وألبسه السلطان تشريقاً كاملاً ، بلغ مصروف القبا الفوقانيّ خاصّة مبلغ أربعة وخمسين ألفَ درهم فضّة .

منشأته العمرانية بالشام :

وعاد إلى دمشق فنظر في أوقاف الجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط والمدارس ، ومنع أن يُصرف لأحد من أرباب معالمها شيء حتى يَرْمَ شعْثُها فعمرت كلّها أحسن عمارة . ونظر في مقاسم المياه التي تتفرّق في الدور فكسح ما اجتمع فيها من الأوساخ وفتح منافذ كانت استدّت وصار الوُخم يعتاد أهل دمشق في كلّ سنة بسببها فتفثوا بها الأمراض في الناس لما يخالط المياه . فزال ذلك كلّه وسرّ / الناس سروراً كبيراً ، وكثر الدعاء له والثناء عليه . وبلغ [285 ب] المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم .

وبلغه قلّة الماء بمدينة القدس فأخرج بعض ثقاته بمال ليجري إليها عيناً وكتب إلى ولاية الأعمال بإخراج الرجال للعمل ، فأقاموا سنة في عملها حتى دخلت القدس . وبنى بها مصنعاً سعته مائة ذراع ⁽¹⁾ فعظم نفع أهل القدس بها . وعمر لهم بها حماماً وخانكاه وقيساريّة ، فكثرت الناس بالقدس في أيامه . وقدم إلى بيروت تجّار الفرنج بمائة وأربعين أسيراً مسلمين اشتروهم ممّن أسرهم لبيعهم . وكان قاضي القضاة جلال [ل] الدين محمد بن عبد الرحمان القزويني قد قرّر معهم أن يفيدهم في الأسرى عشرين درهماً تكون ربحاً على رأس المال . ففعل ذلك تنكّز بعدما حلف تجّار الفرنج أنّهم اشتروهم بكذا ، وأعطاهم المال . وكتب الأسرى وزوّدهم وبعث بهم إلى السلطان فعظم سرور الناس بهم وأعلنوا بالدعاء له .

تطهير دمشق من الكلاب :

وأمر شهاب الدين بن برق والي مدينة دمشق والي البرّ بجمع الكلاب كلّها من جميع الجهات ، وألزم التجّار والباعة بإحضارها وإلقائها في خندق المدينة ، وبنى حائطاً يحجز بين ذكورها وإناثها . فصار الناس يأتون بالكلاب من النواحي

(1) التفاصيل في السلوك 2 / 302 .

إلى تحت الطارمة⁽¹⁾ ومعهم الطبول والزمرور وهم في ضجيج حتى يلقوهم إلى الخندق ، وقد خرج النساء والصبيان وعامة الناس لرؤيتها ، وأكثروا من إلقاء المأكّل لهم . فاستمرّ الناس في جمع الكلاب نحو شهر حتى أمتلأ بهم الخندق وشنع عوارهم ، فقال الشعراء في ذلك وأكثروا .

ثمّ قدم على السلطان في محرّم سنة ثلاثين فأنعم عليه بمائة ألف درهم من مال مصر ، وكتب له من مال دمشق بمائة ألف أخرى . وعاد في رابع عشره . ثمّ قدم في سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين ، وصحبته الأمير أرقطاي نائب صفد ، فأكرما وأعيدا إلى محلّ ولاياتهما .

وقدم في سنة اثنتين وثلاثين لحضور عرس الأمير آتوك ابن السلطان ، فلمّا أنقضى عاد إلى دمشق .

وقدم في صفر سنة ثلاث وثلاثين لهناء السلطان بعوده من الحجّ سالماً . وكتب له تقليد بإضافة غزّة إليه . فبلغ إنعام السلطان عليه في هذه النوبة ألف ألف درهم سوى الخيل ، والسروج ، وما له على الشام من عين وغلّة وأنعام . واشتمكت أوراق كلفته على ثلاث وعشرين قائمة بما يحتاج إليه ، ومن جملته طلابان⁽²⁾ ذهباً صرفاً زنتها ألف مثقال ، والقباء الذي يلبسه عند سفره يتقوّم على السلطان بالفضّة ديناراً مصريّة فيه ألف وخمسمائة دينار .

تكرّر قدومه إلى مصر :

وقدم في محرّم سنة أربع وثلاثين فأنعم عليه بمائة ألف درهم .

وقدم في سنة ثمان وثلاثين⁽³⁾ . فخرج السلطان إلى سرياقوس يريد لقاءه .

(1) طارمة قلعة دمشق : منظره لجلوس السلطان سققها على هيئة قبة : السلوك 2 / 874 هامش 3 .

(2) في المخطوط : طلاباز . ولم نفهم المقصود .

(3) قبل هذه قدم تنكر في 2 رجب 737 وقال المقرئ في السلوك 2 / 411 : وهي المقدمة الحادية عشرة .

وبعث إليه أولاً الأمير قوصون بالإقامات ، فعمل له سباطاً جليلاً . ثم بعث بأولاده عندما قرب ، وركب في إثرهم . فلما قرب ترجّل له السلطان ، فترجّلت الأمراء وألقى تنكز بنفسه عن الفرس إلى الأرض ، وأسرع في جريه وهو يقبل الأرض ويقوم وقد دهش ، حتى أنكبّ على قدمي السلطان يقبلها . فأمسك رأسه بيديه وأمره أن يركب ، فركب وسائر السلطان حتى نزل ، فأنعم عليه . وأقام أياماً وعاد .

إكرام الناصر ابن قلاوون له :

وقدم في سنة تسع وثلاثين ومعه أولاده ، فركب السلطان إلى لقائه ، ومعه أولاده ، إلى بئر البيضاء . فلما قاربه ترجّل له وقبل رأسه وضّمّه إليه بعدما كان يجيء إليه أمير بعد أمير ويسلم عليه ويبوس يده وركبته راجلاً على قدميه ، وهو راكب فرسه ، وبعدما خرج إليه الأمير قوصون إلى الصالحية بالإقامات . ثم سار به السلطان ، وقد بالغ في إكرامه ، وأنزله بالقلعة على العادة . ثم نزل إلى داره التي بخطّ الكافوري من القاهرة ، وهيّا تقادم للسلطان والأمراء على قدر منازلهم وحملها إليهم من الغد ، فكانت شيئاً يحلّ عن الوصف ، بلغت قيمتها مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومثلها جوهر بثلاثين ألف دينار ، وزركش بعشرين ألف دينار . فأكرمه / السلطان بأن أخذ يده في يده وعبرّ به إلى الدور [286 أ] حتى خرجت إليه ابنته فقبلت يده . ثم خرجت بنات السلطان جميعهنّ ، فصار السلطان يقول لكلّ واحدة منهنّ : بوسي يد عمك ! - فتتقدّم وتقبل يد تنكز . ثم عيّن اثنتين [منهنّ] لولدي تنكز ، فقبل تنكز الأرض .

وخرج هو والسلطان وسار معه إلى الصيد نحو بلاد الصعيد فبالغ السلطان مبالغة زائدة في إكرامه واحترامه ، بحيث إنّه جاء إليه وقدّامه من الأمراء ملكتمّر الحجازي ، وبلغا البحيري ، وأطنبغا المارديني ، وأقسنقر وآخر[ون] ، على يد كلّ منهم طير من الجوارح ، فقال له : يا أمير ، أنا أمير شكارك ، وهؤلاء بازداريتك ، وهذه طيورك !

فأراد أن يتزل عن فرسه ويقبل الأرض فمنعه .

وكان لتنكر مملوك قد شغف به يقال له جنغية ، فصار السلطان يستدعيه عندما تنتظم الحلقة ويناوله الصقر من يده ليرمي به على الصيد ، ثم يسير ومعه تنكر حتى يرمي جنغية الصيد بصقر السلطان ، هذا وتنكر ، كلما فعل السلطان ذلك ، نزل وقبل الأرض واستغفى من فعل هذا مع جنغية ، إلى أن أعفاه .

فلما قدم السلطان من صيده ، تقدّم إلى النشو بتجهيز مال للمهر ابني تنكر ولتجهيزه للسفر . فحمل له أربعة عشر ألف دينار عين ، منها يرسم المهر ألفان ، ويرسم تسفير تنكر اثنا عشر ألفاً . وعقد لابنتيه على ابني تنكر في بيت الأمير قوصون .

فلما ولدت ابنة تنكر من السلطان جاءت بابنة . وعندما قدم البشير بولادتها ، وتنكر عند السلطان ، قام على قدميه وقبل الأرض ، ثم سجد لله شكراً وقال : يا مولانا السلطان ، كنت أتمنى أن تأتي بابنة ، فلو وضعت ذكراً [لـ]خشيتُ من كمال السعادة . فإن السلطان تصدّق عليّ في هذا المهمّ وجبرني حتى غمرني بصدقاته .

ثم أخذ السلطان في تعبئة ما جرت به العادة من الإنعام على تنكر ، وضاعف له في الخيل وتعايب القماش وغيرها ، وأحضر ذلك بين يديه واختار منه الأحسن وبعث به إليه . فبلغ ما صُرف على تنكر من الخزائنة وغيرها نحو المائة ألف وخمسين ألف دينار عيناً . وكان راتبه كلّ يوم أربعة آلاف درهم .

تفويض حكم الشام إليه مُطلقاً :

ثم سافر بعدما أقام في هذه النوبة بمصر شهرين ، وقد كتب له تقليد بتفويض الحكم في جميع مملكة الشام ، وأن الثّواب بأسرها تكاتبه بما يكاتب به السلطان ويكون هو الذي يكاتب السلطان بمهمّاتهم . وأنعم على مغنّية قدمت معه عشرة آلاف دينار ، سوى ثلاث بدلات زركش وثلاثين تعبئة فاش ،

وأربعة [بدلات] مقانع⁽¹⁾ وخمسمائة دينار من الحرير .

وكانت مكاتبة السلطان له : أعزَّ الله أنصار الجناح - فكتب له : « أعزَّ الله أنصار المقرِّ الكريم العالي الأميري » . وزيد في ألقابه : الأتابكي ، الزاهدي ، العابدي . وفي نعوته : « معزَّ الإسلام والمسلمين - سيّد الأمراء في العالمين » . ولم يكتب ذلك في الدولة التركيّة لأحدٍ سواه .

فقدم تنكر دمشق وسرَّ الناس بقدومه . ثمَّ سار منها بالعسكر فمرَّ على حماه ونزل عند المؤيّد ، وخلع عليه . ثمَّ مضى إلى حلب وتوجّه إلى بلاد سيس . فبعث إليه تكفور بتقادام وطلب الهدنة ، فهادنه . وكشف ما أنعم به السلطان عليه من تلك البلاد وعمّرها وعاد .

تغيّر الناصر عليه :

فلما أراد الله أنقضاء أيامه غيّر قلبَ السلطان عليه حتى قتله . وسببُ ذلك أنّ حسن بن دامرداش كان قد أهمّه أمر تنكر وخافه . فيقال إنّه بلغ السلطان عنه أنّه قصد الحضور إليه إلى بلاد الروم ، وأنّه يخامر عليه . وآتق مع ذلك أنّه وقع حريق بدمشق في ليلة السادس والعشرين من شوال سنة أربعين [وسبعمائة] ، استمرَّ يومين وليّتين تلف فيه من الخوانيت والأمتعة شيءٌ عظيم جدًّا . فعثر على أنّه من فعل طائفة من النصاري . فقبض عليهم تنكر وأحاط بأموالهم ، فأفتى الفقهاء بقتلهم فسمّهم ووسّطهم . وكتب يعلم السلطان بذلك ويستأذنه أن يصرف أموالهم في عمارة ما خرب من أوقاف الجامع الأمويّ . فشقّ / قتلهم على السلطان وعتبه في مكاتبته على قتلهم ، وأنّه قد جرَّ على من [286 ب] بالقسطنطينية وغيرها تحت يد الفرنج من المسلمين بقتل هؤلاء بلاءٌ عظيمًا ، ويأمره بحمل ما لهم إلى الخزانة السلطانيّة⁽²⁾ ، ويعلمه أنّ الأمير بشتاك والأمير

(1) المقصود بالمقانع أقنعة كالحرير تغطي به النسوة وجوههنّ ورؤوسهنّ (دوزي) وانظر السلوك

462 و 433 / 2 .

(2) خبر الحريق وعقاب الرهبان في السلوك 496 / 2 .

يلبغا الحيويّ وعشرين أميراً من الخاصّة يحضرون بيتي السلطان حتى يعمل مهمّ دخول ولديه عليهما .

وكان قد شرع في عمارة ما خرب في الحريق من أوقاف الجامع وإنفاق مال النصارى .

فلما قرأ كتاب السلطان استوحش منه : فإنه [منذ] ولي الشام لم ينكر عليه شيئاً فعله . وأخذ يعمل فكره في ذلك حتى قوي عنده أنّ السلطان قد ملّه وتغيّر عليه . وكتب يعتذر عن قتل النصارى ويتلطّف في الاعتذار ، ويسأل المهلة في عمل المهمّ ، وأنّه قد أنفق المال في عمارة ما احترق . وبعث به قرجي الحاجب ووصّاه أن يكشف له عن حاله . فوجد قرجي السلطان وقد تغيّر عمّا يعهده في حقّ تنكز . فاستحال مع السلطان ووشى بتنكز وعرفه أنّه قد خاف وبعثه لكشف أحواله . فرتبّه السلطان جاسوساً له على تنكز وعيناً يحصي عليه جميع ما يتحرّك فيه ، ووعدّه أن يعملّه حاجباً بمصر .

فعاد قرجي إلى تنكز وملاً قلبه خوفاً ، فأخذ في تدبير أمره . وأخذ السلطان في العمل عليه أيضاً ، وبعث طاجار الدوادار في صورة أنّه يعتب تنكز على تأخير عمل المهمّ ، وحمّله ملطّفات لقرجي وغيره بمطالعة السلطان بما عزم عليه تنكز . وكان تنكز قد عوّل على حمل ماله إلى قلعة جعبر وأنّه يخرج كأنّه يتصيّد حتّى يصل إليها . فعبأ ماله وسلاحه وبعث إلى جعبر وأمر العسكر بالتهيئ للصيد .

تجنّس السلطان عليه :

هذا وقد أشتهر بدمشق تغيّر السلطان عليه ، وهو يفضي بأسراره لقرجي ثقة به ولا يعلم أنّه قد صار عيناً عليه للسلطان . فلما قدم طاجار إلى ظاهر دمشق ، بعث تنكز من يتلقّاه ويمنعه من إيصال ملطف لأحد ، فصار معه إلى أن دخل عليه وبلغه ما جاء به . وجرت بينهما مفاوضة حفظ عليه فيها طاجار سقطة :

وهي أنه لما قال له طاجار : السلطان حلف لك .

قال تنكر : ولمن حلف وصدق حتى يصدق لي ؟ قم ، اخرج من وجهي !

فقام وركب من فوره البريد . فبعث قرجي يعرف السلطان بأن يستدرك أمره ، فإن الرجل قد جهر حاله ، ومتى لم تبادره فاتك . وعرف تنكر أن طاجار ولا بد يبلغ السلطان مقالته . فعزم على أن يخرج إلى المرج بالعسكر كأنه يتصيد . ثم بعد يومين يقتل الأمير قطلوبغا الفخري ويسير إلى الشرق أو بلاد الروم .

فقدم طاجار بعد غيبته سبعة أيام ليلاً وعرف السلطان الخبر بنصه . فطلب الأمير بشتاك وأطلعته على خبر طاجار ، وبعثه إلى الأمير بيبرس الأحمدي ، والأمير جنكلي بن البابا ، والأمير أرقطاي ، والأمير طقزدر ، وغيره . فلما صاروا بين يدي السلطان ، عرفهم خروج تنكر عن الطاعة ، وعدد له ذنباً كثيرة ، وقرر معهم خروج تجريدة لقبضه . وعين من الأمراء جنكلي بن البابا . وأرقطاي ، وبشتاك ، وأرنبا أمير جندار ، وقاري أمير جندار ، وقاري أخا بكتمر الساق ، وبرسبغا الحاجب ، وصحبته ثلاثون أمير طبلخاناه ، وعشرون أمير عشرة ، وثلاثمائة من ممالك السلطان . وأنفق ألف دينار ⁽¹⁾ في كل أمير مائة ، وفي كل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار ، ولكل مملوك خمسمائة درهم . وكتب إلى جميع العربان بأخذ الطرقات على تنكر . وأركب بهادر حلاوة البريد إلى أطنبغا نائب غزّة ، وطشتمر نائب صفد ، وعلى يده ملطفات ، بتوجه طشتمر إلى دمشق وقبضه على تنكر . بعد ذلك يعبر دمشق متنكراً إلى قطلوبغا الفخري وقرجي والأمراء ، ويعرفهم أن يكونوا على تعبئة حتى يأتيهم العسكر . وإن قدروا على أخذ تنكر فقبضوه ، وإلا فيعوق[ن]ه عن التوجه .

(1) في المخطوط : في كل أمير مائة ألف دينار ، وقدّمنا وأخرنا لرفع الالتباس : فأمر مائة رتبة عسكرية . مثل أمير طبلخاناه وأمر عشرة إلخ . . .

القبض على تنكز :

وكثر وهم السلطان وزاد قلقه وتنعّص عيشه . وأخرج العسكر يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذي الحجة [سنة 740] . فلما عبر [بهادر] حلاوة دمشق أوصل [287 أ] الملطفات / لأصحابها ليلاً . وأصبح ، وقد ركب تنكز إلى خارج دمشق وأقام في قصره بالقطائع ، وإذا بطشتمر نائب صفد قد ركب منها يريد دمشق . فلما بلغه قرْبُه منه عاد إلى دار السعادة . فبادر أمراء دمشق وركبوا بالسلاح وغلقوا باب النصر وغيره من الأبواب وأحاطوا به . فوافاهم نائب صفد وقت الظهر بعدما وصل دواذره بكرة النهار واتفق مع الأمراء . فدخل تمر الساقى ، وطرنطاي البشمقدار ، وبيبرس السلاح دار على تنكز وأخرجوه إلى ميدان الحصا ، وقيدوه ، في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ذي الحجة [سنة 740] خلف مسجد القدم . فأقامه الخدّاد وأقعده أربع مرّاتٍ ، والناس قد وقفوا لرؤيته ، فسبحان مزيل النعم ! ⁽¹⁾ .

وكان الذي تولّى تقييده بيده فرنجيّ [أ] . وساروا به وقت العصر . فحدث له بمَنزلة الكسوة إسهال ورعدة حتى أشفى على الموت . وتقدّم حلاوة بالشارة فقدم بلبيس والعسكر عليها ، فعرف بشتاك بقبض تنكز . ووصل إلى السلطان فسّر بَمَسك تنكز سروراً زائداً .

وكتب بعود جماعة من العسكر ، وأن يسير بشتاك وأرقطاي وبرسبغا إلى دمشق ، وأن يقيم بيغرا أمير جنّدار وقهاري على الصالحية حتى يحضر تنكز .
قتله بالإسكندرية :

فقدم في يوم الثلاثاء عاشر المحرم سنة إحدى وأربعين صحبة الأمير بيبرس السلاح دار ، وطلع إلى القلعة نهراً ، و[أنزل] في موضع ضيق ، ثم أخرج ليلاً

(1) هذا من التعليقات النادرة في المَقْفَى . وانظر السلوك 2 / 499 - 501 .

إلى الإسكندرية . وقتل بها في يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، على يد إبراهيم بن صابر مقدم الدولة . وصلى عليه الناس ودُفن بمقبرة الإسكندرية . ثم نقل منها إلى دمشق فدُفن بترته إلى جانب جامع في أوائل رجب سنة أربع وأربعين وسبعائة .

اشتغاله بالحديث :

وكان قد سمع في نيابته غير مرة صحيح البخاري على الحجّار ، وسمع كتاب الآثار للطحاوي ، وسمع صحيح مسلم ، وروى عن عيسى المطعم ، وأبي بكر بن عبد الدائم ، وحدث بثلاثيات البخاري في المدينة النبوية .

علوّ شأنه عند السلطان وعند الشاميين :

وعظم شأنه في نيابة دمشق وهابه الأمراء والنوّاب . وأمن الرعايا فلم يقدر في أيامه أمير ولا متجوّه⁽¹⁾ أن يظلم ذمياً فضلاً عن مسلم ، لخوفهم من بطشه وشدة انتقامه . وما زال في ارتقاء وعلوّ درجة وإقطاعه يتضاعف وأنعامه تزداد وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح تنمو كثرة . وكان السلطان لا يفعل في أكثر الأوقات شيئاً حتى يبعث يستشير . وقلما كتب هو في شيء إلى السلطان فردّه ، بل كان إذا قرّر بدمشق إمرة أو نيابة أو وظيفة قضاء ونحوه أو إقطاعاً ، أمضى السلطان ما قرّره وبعث بتوقيعه أو منشوره . ولم يسمع قطّ عنه أنّه أخرج إقطاعاً ولا إمرة ولا وظيفة - جلّت أو قلّت - فأخذ عليها رُشئ . بل كان عفيف اليد والفرج . وبلغ من أمره أن أمراء مصر الخاصكية كانت تخافه ، وأنّ السلطان قال مرة للأمير سيف الدين قرمشي الحاجب : يا قرمشي ، لي ثلاثون سنة وأنا أحاول من الناس أن يفهموا عني ما أرومه في حقّ الأمير تنكر ، ولم يفهم الناس عني ذلك . وناموس الملك يمنع من قولي ذلك بلساني : وهو أنني لا أقضي حاجةً لأحدٍ إلّا على لسانه أو بشفاعته - ودعا له بطول العمر . فلمّا

(1) متجوّه : لعلّها كلمة منحوتة من الجاه : متسلّط مدلّ بجاهه ؟

بلغ تنكر ذلك قال : بل أموت في حياة السلطان ! - فلما أنهى ذلك الأمير قرمشي إلى السلطان قال له : قل له : لا ! أنت إذا عشتَ بعدي نفعتي في أولادي وحرمي وأهلي . وإذا متّ قبلي ، إيش أعمل مع أولادك أكثر ما يكونون أمراء ؟ ها هم الآن أمراء في حياتك !

عِفْته ونزاهته :

ومن فضائله التي انفرد بها أنّه كان له كاتب لا شغل له إلّا ضبط ما يدخل خزانته من المال وما يستقرّ له ، فإذا حال الحول عمل أوراقاً بما يجب عليه صرفه من الزكاة فيأمر بإخراجه وصرفه إلى ذوي الاستحقاق . وزادت أمواله ، وعمر بظاهر دمشق جامعاً ، وإلى جانبه تربةً وحماماً . وعمر لزوجه تربة ، وعمر داراً [287 ب] للقرآن . وأنشأ بالقدس رباطاً ، وعمر مدينة القدس ، وساق / إليها الماء حتى مرّ على باب المسجد الأقصى . وعمر بصفد مارستاناً [أ] . وجدّد قنوات دمشق وجدّد بها عدّة مساجد ومدارس ووسّع طرقاتها . وأنشأ بالقاهرة داراً في غاية الحسن . وعمل له في جميع بلاد الشام آثار يذكر بها .

وكان سليم الباطن لا يعرف المكر ولا الدهاء . وكان لا يحتمل شيئاً ولا يصبر على أذى ، ولا يداري الأمراء ، ولا يرفع لهم رأساً ، بل يُعرض عنهم . وكان الناس في أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم .

وكان يسير في كل سنة بالعسكر للصيد إلى نواحي الفرات . وعدّى في بعضها الفرات وتصيد في ذلك البرّ خمسة أيام ، فكان الناس ينجفلون قدّامه إلى بلاد توريز وسلطانية ، وكذلك بلاد ماردين وبلاد سيس .

وكانت أغراضه كلّها في عمل الحقّ ونصرة الشرع ، إلّا أنّه كان يتخيّل في بعض الأوقات تحيلاً فاسداً ويبيّن عليه ، فهلك بذلك أناس ، ومن مهابته لا يتجاسر أحدٌ على إظهار الصواب له فيمّا يفعله . وكان شديداً الغضب لا سبيل إلى إرضائه إذا غضب ، ولا يعفو إذا قدر ، بل كان يبطش ببطش الجبارين . وإذا

كان الذنب صغيراً لا يزال يكبره إلى أن يخرج فيه عن الحد . وكان إذا غضب على أحدٍ ، في الغالب لا يزال في خمول حتى يموت ، وما غضب على أحدٍ فرضي عنه . وقال مرة : أي لذة للحاكم إذا لم يكن رعاياه آمنين مطمئنين ؟ وكان يأكل مرة مع بعض خواصه فرأى أصبعه مربوطة فسأله عنها فأخبره أن قوأساً عمل له قوساً ثلاث مرات فلم يعجبه وأنه لكه . فأمر بإقامته عن الطعام وضربه فضرِب نحو أربعين عَصاً ، وأخرج عنه إقطاعه وغضب عليه عدة سنين . وكان لا يغفل عن نفسه في وقت من الأوقات ، بل كان كأنه واقف بين يدي الله تعالى ، ويواظب على قيام الليل ويجتهد لكل صلاة وضوءاً . ولم يعرف عنه أنه أمسك بيده ميراثاً قط منذ كان مملوكاً في الطباقي حتى مات .

تركته و ثروته :

وحمل له من دمشق ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار مصرية ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر ، ولؤلؤ ، وطرز زركش ، وكلونات زركش وحوائص ذهب بجامات مرصعة ، وثياب أطلس ، وأنواع قماش ، [م] كما كان جملة ثماني مائة حمل . ثم استخرج له أربعون ألف دينار وألف ألف ومائة ألف درهم ، سوى الجواري والمماليك والخيول . وقومت أملاكه التي بدمشق بالعدول وأرباب الخبرة وشهود القيمة ، وعُمل بذلك محاضر فبلغت قيمة أملاكه بدمشق وضياعها خمسة آلاف درهم وثلاثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم . وبلغت قيمة أملاكه بجمص ثلاثمائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة درهم ، وأملاكه ببغداد ثلاثمائة ألف وخمسة وأربعين ألف درهم ، والقرى التي بالباقاع ، وأملاك بصرى وأذرعات وعجلون وغيرها ، ثلاثة آلاف ألف وأربعين ألف وأربعة عشر ألف درهم ، وأملاك بقراراً ألف ألف ومائتي ألف وخمسة آلاف درهم : فجملة ذلك عشرة آلاف ألف وستة آلاف وثمانية آلاف وخمسمائة درهم ، منها زيادة على خمسمائة ألف دينار مصرية

[و] ألف دينار مصريّة ، سوى أملاكه وأوقافه بصفد وعجلون والقدس ونابلس
والرملة وجلجولية⁽¹⁾ والقاهرة .

1035 - توبة بن التمر القاضي [120 -]⁽²⁾

توبة بن التمر بن حرملة بن ثعلب⁽³⁾ بن ربيعة بن نمر بن ساجي بن التمر
أبن شرح . الحضرمي . ثم البسّي . نسبة إلى [بسّ وهو] بطن من
حضر موت . يكنّى أبا محجن وأبا عبد الله . كان ممّن جمع له القضاء والقصص
بمصر .

1036 - البيع الدمشقيّ [620 - 698]⁽⁴⁾

توبة بن عليّ بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصدر ، الوزير صاحب
تقيّ الدين ، أبو البقاء . الربيعي . التكريتي . المعروف بالبيع الدمشقيّ .
ولد سنة عشرين وستمائة يوم عرفة بعرفة وعانى المتجر . وسافر في طلب
كسب المال . وقدم مصر وتعرّف بقلاوون وهو أمير [. . .] .
[288 أ] فلمّا ولي الملك المنصور / قلاوون السلطنة ولّاه نظر الخزانة السلطانيّة

(1) جلجولية : ذكرت في السلوك 1 / 534 كإقطاع مقسّم بين ثلاثة أمراء ، ولم نعرف مكانها .

(2) فتوح مصر لأبن عبد الحكم (نشر تورّي) 240 ؛ الكندي 342 ؛ تاريخ البخاري 156 / 2 (2042) ؛ رفع الإصر 1 / 158 ؛ الجرح والتعديل 2 / 446 (1794) .

(3) في رفع الإصر سقط ثعلب .

(4) الوافي 10 / 438 (4930) ؛ السلوك 1 / 881 وقال : ولي وزارة دمشق سبع مرّات ؛ المنهل 4 / 179 .

بدمشق ، ثم فوّض إليه وزارة دمشق في خامس شوال سنة ثمان وسبعين وستائة عوضاً عن فتح الدين بن القيسرانيّ ، وخلع عليه خلع الوزراء . وتلقّب بالصاحب .

فلما تسلطن سنقر الأشقر بدمشق قبض عليه في خامس عشرين ذي الحجة ، واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات . وسجنه بقلعة دمشق إلى أن أنهزم عن دمشق . فخرج فيمنّ خرج من الاعتقال وعاد إلى الوزارة ، وحملت إليه الخلع من مصر . فلبسها في ثاني عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين . وأعطى سواة الوزارة فباشر الوزارة إلى أثناء جمادى الأولى . ثم احتيط عليه وحُبس وأخذ له مال كثير .

ثم استقرّ ناظر النظار بالشام شريكاً للتاج ابن السهريّ في شعبان منها ، ثم أعيد إلى الوزارة بدمشق عوضاً عن محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس . فسافر من القاهرة إلى دمشق ، وقدمها سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وستائة ، ثم صرف عنها .

واستقرّ ناظر الدواوين بالشام في ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ، إلى أن قدم الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ مع السلطان إلى دمشق بعد فتح طرابلس في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين . فأوقع الحوطة عليه وباع له بضائع ما بين سكر وخشب وغيره بنحو خمسمائة ألف درهم . وأخرجه مع العسكر مقيداً إلى مصر . فلما وصل بيسان مرّ عليه الأمير طرنطاي النائب والأمير كتبغا ، وهو بالزردخاناه ، فسبّها كما هي عادته ، فأتياه ومازحاه وضمنّا خلاصه . فلما عادا قبل السلطان شفاعتهما وأفرج عنه وسلّمه لهما . فلم يزل بالقاهرة إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل . [ف]أعادته إلى وزارة دمشق .

فخرج من القاهرة ودخل دمشق في الخامس من المحرم سنة تسعين وستائة .

ثم عزل في ثاني عشر رجب ، واستقرّ عوضه ابن النحاس . وأبطل اسم الوزارة بدمشق ودُعيَ ابن النحاس ناظر الشام .

فلما تسلطن العادل كتبغا كان توبة بالقاهرة . فولاه وزارة دمشق على عادته في الأيَّام المنصورية ، وكتب له برّد ما أخذ منه في الدولة الأشرفية وسار إلى دمشق في المحرم سنة أربع وتسعين .

ثم صرف في خامس ذي الحجة سنة خمس وتسعين بشهاب الدين أحمد ابن الحنفِيّ ، واستقرّ في نظر الخزانة إلى أن خلع كتبغا من السلطنة ، وقام من بعده لاجين . فأعادته إلى وزارة دمشق . فقدمت ولايته في ثاني عشرين ربيع الأوّل سنة ست وتسعين وستّائة ، فلم يزل حتى مات . وفيه يقول علاء الدين عليّ بن مظفر الوداعيّ [مجتث] :

إني حلفتُ يميناً لم آت فيها بحوبة
مُذْ أقعدتني اللبالي لا قت إلا بتوبة

وله فيه وقد وقع من أعلى حصانه [متقارب] :

فدينّاك لا تحش من وقعة فإنّ وقوعك للأرض فخر
سقوط الغمام بفضل الربيع في البرّ برّ وفي البحر درّ

وكانت وفاته بدمشق ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وستّائة . وصلي عليه من الغد بالجامع وسوق الخيل . ودفن بتربته تجاه دار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون .

وكان ظالماً عسوفاً ، وفيه مع ذلك مروءة وسلامة باطن من الغشّ ، وسماح ومداعبة ، وكرم كثير ، وحسن خلق ، ومحبة في التجميل وأقتناء الخيول المسومة والمالِك الملاح .

ومرّ يوماً آخر النهار بالربوة ظاهر مدينة دمشق ومملوكه أقطوان خلفه

راكب[اً] ، وكان مليحاً . فمَرَّ ببعض الفقراء وهو نائم . فعندما أحسَّ بركض الخيل انتبه وقال / : يا لله ، توبة !

[288 ب]

فقال له : يا كذا ، إيش تعمل بتوبة ؟ واحد شيخ نحس . اطلب منه أقطوان أحبَّ إليك .

1037 - توران شاه بن أيوب ، الملك المعظم [649 -]⁽¹⁾

توران شاه بن أيوب بن محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان ، السلطان ، الملك المعظم ، غياث الدين ، أبو [....] ، ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتوح . [ابن الكامل محمد] ، ابن السلطان الملك العادل أبي بكر ، ابن والد الملوك نجم الدين أبي الشكر أيوب ، الأيوبي ، الكردي ، الدويني ، آخر ملوك بني أيوب بديار مصر . الفقيه ، الشافعي . ولد في [....] .

ورثه أبوه في حصن كيفا . فلما مات الملك الصالح . قام الأمير فخر الدين يوسف ، ابن شيخ الشيوخ ، بتدبير الأمور . وبعث الفارس أرقطاي رأس المالك البحرية لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا ، وخطب له على منابر مصر بعد الدعاء لأبيه ، ونقش اسمه على السكة بعد اسم أبيه .

توليه السلطنة :

فخرج المعظم من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة مضت من رمضان سنة سبع وأربعين وستمائة في خمسين فارساً من خواصه ، وصحبته الفارس أرقطاي . وقصد عانة ليعدّي الفرات ، خوفاً من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومن الحلبيين ، وكانوا قد أقاموا له جماعة لتقبض عليه فقاتهم ، وعدى

(1) الوافي 10 / 445 (4936) ؛ شذرات 5 / 241 ؛ السلوك 1 / 351 .

الفرات من عانة ، وسلك البرية فكاد يهلك عطشاً . وقدم دمشق يوم الخميس النصف منه ، ونزل القُصير في دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق . ثم دخل المدينة في يوم الاثنين ونزل بالقلعة . وكان يوماً مشهوداً . وقام ابن يغمور بخدمته وحلف له الأمراء وغيرهم . وتسلمن وخلع على الأمراء وأنفق فيهم مالاً جزيلاً بحيث أنفد ما كان في قلعة دمشق من المال ، ومبلغه ثلاثمائة ألف دينار ، واستدعى بمال من الكرك أنفقه أيضاً . وأفرج عمن كان [بدمشق] في سجن أبيه . وأتته الرسل من حماه وحلب تهنئه بقدمه وسلطنته ، وكتب بذلك إلى القاهرة على أجنحة الحمام فسقط الطائر في رابع شوال فدفنت البشائر بالعسكر وقلعة الجبل .

وخرج المعظم من دمشق في يوم الأربعاء سابع عشرينه يريد القاهرة ، وخلع على ابن يغمور وأقره على نيابة دمشق . وأصبح معه الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي ، ومعين الدين هبة الله ابن أبي الزهر بن حشيش [الكاتب النصراني] وقد وعده بـ[الوزارة] . ثم وجه به في أول ذي القعدة إلى الكرك فاحتاط على حواصلها ولحقه بالرمل .

وخرج قاضي القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن بن علي السنجاري حتى لقيه بغزة . وخرج الأمير حسام الدين أبو علي نائب السلطان إلى الصالحية فلقبه بها في يوم السبت سادس عشره ، وقد نزل بقصر أبيه الملك الصالح . فأعلن الناس يومئذ بموت الملك الصالح وخلع على الأمير أبي علي باستقراره في النيابة خلعة جليلة [فـ]كانت حلية السيف والمنطقة ثلاثة آلاف دينار مصرية . وأنشده الشعراء عدة قصائد تهنئة وتمدحة ، وجرت بين يديه مناظرات في أنواع من العلوم فجاراهم فيها .

تصلعه بالفقه :

وذلك أنه كان قد عرف الفقه والخلاف والأصول ، فإن جدّه الملك الكامل كان يحبّه ويلقي عليه من صغره المسائل المشككة ويأمره بحفظها وامتحان الفقهاء بها

في مجلسه . ولازم مع ذلك الاشتغال بالعلم حتى برع فيه . إلا أنه كان فيه هوج وخفة ، بحيث إنه لما نزل قلعة دمشق وتسلطن قام بعض الشعراء وأنشد قصيدة أولها [خفيف] :

قل لنا كيف جئت من حصن كيفا حين أرغمت للأعادي أنوفا

فلم يتمالك نفسه وقال سريعاً :

الطريق الطريق ، يا ألف نحس مرة آمناً وطوراً مخوفاً

فخالف طريق آباءه في الوقار والسكون .

ثم رحل من الصالحية ونزل تلبانة ، ونزل بعدها منزلة ثالثة . ثم دخل المنصورة حيث المعسكر . فتلقاه الأمراء والمالِك حتى نزل قصر أبيه وجده في يوم الخميس / لتسع بقين من ذي القعدة . [289 أ]

فأول ما بدأ به [أن] أخذ ممالك الأمير فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ وكان قد استشهد قبل قدومه . وأخذ كثيراً من مخلفه ولم يُعطِ ورثته شيئاً ، وكان ذلك بنحو خمسة عشر ألف دينار . وأخذ يسبّ فخر الدين ويعيبه بأنه أطلق السكر والكثان وأنفق المال وأطلق المحاييس ، ويقول : قد أتلّف المال ، فإيش ترك لي ؟

جهاده للفرنج :

وجد في قتال الفرنج فظفر لهم باثنين وخمسين مركباً وأسّر منهم ألف رجل بعدما قتل كثيراً منهم ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ، وقطع المدد أن يصل لهم إلى مدينة دمياط ، وهم يومئذ بها مالكون لها ، حتى اشتدّ الغلاء عندهم وصاروا محصورين . ثم أخذوا في أول ذي الحجة من المراكب التي في بحر المحلة سبع حرايق ونجا من كان بها من المسلمين .

وفي ثانيه بعث السلطان بالأمير حسام الدين أبي عليّ ليقم بدار الوزارة من

القاهرة على عادته في النيابة .

وفيه وصل إلى السلطان الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ،
والبهاء علي بن هبة الله بن الجميزي ، وجماعة من العلماء ، فجلس معهم
وناظرهم حتى أعجبوا به .

وفي يوم عرفة ظفر باثنين وثلاثين شينياً فيها ميرة للفرنج ، فعظم البلاء عليهم
من الغلاء . وبعثوا في طلب الهدنة على أن يسلموا مدينة دمياط ويعوضوا عنها
بالقدس . فلم يجبهم إلى ذلك . فأخذوا في الاستعداد للهرب وأحرقوا في سبع
عشرينه أخشابهم وكثيراً من أثقالهم ورحلوا في ليلة الأربعاء ثالث المحرم سنة ثمان
وأربعين من منزلهم بفارسكور⁽¹⁾ وانحدرت مراكبهم في النيل قبالتهم يريدون
دمياط . فركب المسلمون أقيمتهم وقد عدّوا إلى البر الذي هم فيه . فما طلع
صباح يوم الأربعاء إلّا وقد أحاطوا بالفرنج ووضعوا فيهم السيوف يقتلون ويأسرون
حتى بلغت عدّة القتلى عشرة آلاف في قول المقلّ ، وثلاثين ألفاً في قول المكثّر .
واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل . والتجأ ريدا فرنس ملك الفرنج في
خاصّته إلى تل [المنية] وطلب الأمان ، فأمنهم الطواشي جال الدين محسن
الصالحيّ وأنزلهم على أمانه وساقهم إلى المنصور . وقيد الملك ريدا فرنس وسجن
في دار فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء بالمنصورة ووكل به الطواشي
صبيح المعظمي ، وسجن معه أخوه وأجري له ما يكفيه⁽²⁾ .

وأمر السلطان بقتل الأسرى فتقدّم إليهم سيف الدين يوسف الطودي وصار
يقتل منهم في كلّ ليلة ما بين الثلاثمائة إلى الأربعمائة ويلقيهم في البحر حتى أتى
على جميعهم .

(1) قرية من مديرية الدقهلية ؛ السلوك 1/ 346 هامش 2 .

(2) ضبط ناشر السلوك 1/ 356 هامش 2 اسماء أمراء الإفرنج المأسورين . وريدا فرانس تعني
ملك فرنسا .

ورحل السلطان من المنصورة ونزل فارسكور بالدهليز السلطاني وقد نصب
به برجاً من خشب . وأقبل على اللهو .

رسالته إلى الوزير يبشّره بالنصر :

وكتب بخطّه إلى الأمير جبال الدين موسى بن يغمور كتاباً ، فيه بعد
البسملة : [من] ولده توران شاه . « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ »
(فاطر ، ٣٤) . « وَمَا التَّصَرُّ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ » (آل عمران ، 126) ،
« وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصْرِ اللَّهِ » (الروم ، 4 - 5) ، « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدَّثْتُ » (الضحى ، 11) ، « وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » (إبراهيم ،
34) . نبشّر المجلس السامي الجمالي ، بل نبشّر المسلمين كافة بما منّ الله به على
المسلمين من الظفر بعدوّ الدين ، فإنّه كان قد استفحل أمره واستحكم شرّه ،
ويشس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا « لَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ »
(يوسف ، 87) . ولما كان يوم الاثنين مستهلّ السنة المباركة - تمّم الله على
الإسلام بركتها ! - فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرقنا السلاح وجمعنا العربان
والمطوّعة وخلقاً لا يعلمهم إلا الله ، فجاءوا مِنْ كُلِّ فَيْحٍ عَمِيقٍ ومكان سحيق .
فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم ، وقصدوا دمياط
هارين . وما زال السيف يعمل في أديبارهم عامّة الليل ، وقد حلّ بهم الخزي
والويل . فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفاً . غير مَنْ ألقى نفسه في
اللجج . وأمّا / الأسرى فحدّث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيس^(١) إلى [289 پ]
المنية وطلب الأمان فأمتّاه وأخذناه وأكرّمناه . وتسلمنا دمياط بعون الله وقوّته
وجلاله وعظّمته .

ثمّ ذكر كلاماً طويلاً . وبعث مع الكتاب غفارة^(٢) الملك ريدا فرنسيس ،

(١) الفرنسيس يعني بها ملك الإفرنج .

(٢) الغفارة : رداء أو معطف ، وأشكرلاط كلمة دخيلة بمعنى أحمرقاني . وريدا فرنسيس هو
ملك الفرنج ، وظنّ المقرئ أنّ هذا هو أسمه .

فلبسها ابن يغمور ، وكانت من أشكر لاط أحمر بفرو سنجاب . فقال نجم الدين [محمد] بن إسرائيل في ذلك [خفيف] .

إِنَّ غَفَّارَةَ الْفَرَنْسِيْسِ قَدْ جَاءَتْ لِسَيِّدِ الْأُمَرَاءِ⁽¹⁾
بِبَيَاضِ الْقِرْطَاسِ فِي اللَّوْنِ ، لَكِنْ صَبَعَتْهَا سَيْوْفُنَا بِالدِّمَاءِ
وَقَالَ أَيْضاً [طویل] :

أَسَيِّدَ أَمْلَاقِ الزَّمَانِ بِأَسْرِهِمْ تَنْجَزَتْ مِنْ نَصْرِ الْإِلَهِ وَوَعْدِهِ
فَلَا زَالَ مَوْلَانَا يَبِيحُ حِمَى الْعَدَى وَيُلْبَسُ أَسْلَابَ الْمُلُوكِ عِبِيدَهُ

تَنَكَّرَهُ لِرِجَالِ الدَّوْلَةِ :

وأخذ المعظم في [إ]بعاد رجال الدولة ، وأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر ابن العادل أبي بكر ابن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك واعتقله بها . وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن ابن العزيز عثمان ابن العادل أبي بكر ابن أيوب من القاهرة إلى دمشق فقبض عليه ابن يغمور واعتقله . وعزل الأمير حسام الدين أبا علي من نيابة السلطنة وأقام عوضه بالقاهرة في النيابة الأمير جمال الدين آقوش التجيبي ، واطرح جانب أبي علي ، وبعث يتهدّد شجر الدرّ حظيّة أبيه ويطلبها بالأموال والجواهر . فخافت من هوجه وخفّته . وكاتبّت المماليك البحريّة بما توعدّها به المعظم ، وذكّرتهم بما قامت به عند موت الصالح من ضبط الدولة حتى قدم المعظم ، وأنّه جازاها على ذلك بتهديدها على ما ليس عندها . فحنقوا لها وحرّك كتابها إليهم كوامن في أنفسهم ، منها أنّه كان قد وعد الفارس أرقطاي لمّا جاءه إلى حصن كيفا بإمرة فلم يف له ، فتنكّر عليه في باطنه ، ومنها أفعاله التي لم يعهدوها من أبيه ، ومنها تغييره الأحوال واطّراحه لجانب أهل الدولة وإعراضه عن البحريّة وإبعاده لِتُرَاي أبيه وغلّمانه⁽²⁾ وتقديمه عليهم جماعته

(1) في المخطوط : التي جاءت . والإصلاح من ذيل الروضتين 184 .

(2) السلوك 1/ 350 حيث عدّد هذه المساوئ .

القادمين معه وتوليته إياهم الوظائف السلطانية . وكان قد جعل طواشيهِ مسروراً
أستادار ، وأقام صبيحاً العبد الحبشي أمير جاندار وأنعم عليه بمال جزيل وإقطاع
كبير ، وأمر أن تصاغ له عصا من ذهب . وأكثر من الإرعاد والإبراق على
البحرية حتى إنه كان إذا جلس مع ندمائه في الليل للمعاقرة يجمع ما بين يديه من
الشموع ويضرب رؤوسها بسيفه حتى تنقطع ويقول : هكذا أفعل بالبحرية ! -
ويسمّهم بأسمائهم .

حنق الممالك والناس عليه لسوء سيرته :

وانعكف مع ندمائه على لذاته وزاد في تحجبه ، وألقى مقاليد أمور المملكة
إلى أصحابه . وأشيع عنه أنه يخلو بقلمانه وحظايا أبيه ، فجاءهم ما لا عهد لهم به
ولا عرفوه من سيرة أبيه . فنفرت قلوبهم منه وتواغدوا على الفتك به .

فلما مُدَّ السَماط يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم وجلس على عادته ، تقدّم
إليه بييرس البندقداري ، من البحرية ، وضربه بالسيف [ف]أطار أصابع يده .
ففرّ إلى البرج الخشب وهو يصيح : مَنْ جرحني ؟ - فقيل : بعض الحشيشية .

فقال : لا والله ، إلا البحرية ، لا أبقيتُ منهم بقية !

واستدعى المزيّن ليداوي جرحه ، فاقتحم البحرية البرج بسيوفهم ففرّ إلى
أعلاه وأغلق بابه ، والدم يسيل من يده . فأضرموا عليه ناراً ورموه بالتشّاب ،
فألقي نفسه من البرج ، وتعلّق بأذيال الفارس أرقطاي فلم يُجرّه ، فمرّ يعدو إلى
البحر وهو يقول : ما أريد ملكاً ، دعوني أرجع إلى الحصن ! يا مسلمين ، ما
فيكم من يصطنعني ويحبرني ؟

هذا وجميع العسكر قد وقفوا ينظرونه فلم يجبه أحدٌ ، والتشّاب يأتيه من
كلّ جهة وهو يسبح في الماء ، وهم في طلبه حتى قطعوه قطعاً بسيوفهم فمات
غريقاً حريقاً جريحاً قتيلاً . وفرّ أصحابه ، وبقي على شاطئ النيل / ثلاثة أيّام [290 أ]
منتفخاً حتى شفع فيه رسول الخليفة فحمل ودُفن .

وكانت مدته سبعين يوماً .

وكان الذي تولى قتله أربعة من ممالك ابنة البحرية وهم الذين قتلوا العادل الصغير . وذلك أن الصالح استدعى الطواشي محسن الصالح وأمره أن يذهب إلى أخيه العادل ومعه طائفة من الممالك حتى يخنقوه في محبسه ، فعرض جماعة من الممالك ليذهب بهم لذلك فلم يوافقوه . إلا أربعة منهم ، فإنهم ساروا معه وخنقوا العادل . فقدّر الله أن يجعل منية أبنة المعظم على أيدي هذه الأربعة فكان في ذلك عبرة لمن يعتبر .

وروى الملك الصالح في النوم بعد قتل المعظم ، وهو يقول [رمل] :

قتلوه شرّ قتلة صار للعالم مثلة
لم يراعوا فيه إلا لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب لأقلّ الناس أكلة⁽¹⁾

فكان كذلك وقتل أعيان الأمراء في الواقعة التي كانت بين المعز أيلك والناصر يوسف كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب⁽²⁾.

وأنقرضت بقتل المعظم دولة بني أيوب من مصر ، وفنيت رجالها بتحكم الممالك الأتراك البحرية ، فكانت مدة بني أيوب إحدى وثمانين سنة وعدة رجالهم ثمانية ، والله الأمر من قبل ومن بعد⁽³⁾ .

(1) الأبيات في السلوك 1 / 361 .

(2) لا ذكر للمعز أيلك في الأياكة ، وتراجم الباء مفقودة .

(3) يرتفع القريري بهذا التعليق الختامي إلى مستوى المؤرخين الذين يحكون على الأحداث والرجال برأي شخصي . كما ارتفع إلى رتبة الأدباء في وصف نهاية هذا الأيوبي الأخير الفظيعة المأسوية . وهذه التعاليق ، وهذا الوصف ، وهذا التدخل منه ، والحق يقال . نادرة في المفقى .

1038 - توزان التركي⁽¹⁾

توزان - بالزاي - التركي . ولّاه أحمد بن طولون الشرطة بعد بوليغا ،
ثم صرفه بأخيه موسى بن طولون بعد سنة . وكان ربّما صليّ بالناس في الجامع .

حرف التاء

1039 - ثابت بن عبد الله بن الزبير⁽²⁾

ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن
قصي . القرشي ، الأسديّ . أبو حكمة .

قدم أيلة .

وأُمّه تماضر بنت منظور بن زبان . نشأ هو وإخوته خُبيب وحمزة وعياد
عند جدّهم لأُمّهم منظور بن زبان بالبادية يرعون عليه الإبل كما يفعل عبيده ،
حتى تحرّك ثابت فقال لإخوته : انطلقوا بنا نلحقُ بأبينا !

فركبوا بعض الإبل حتى قدموا على أيّهم بمكّة . وأتبعهم منظور فقدم على
آثارهم ، فقال لعبد الله بن الزبير : أردّدْ عليّ أعبدي هؤلاء !

فقال : إنهم قد كبروا واحتاجوا إلى أن أعلمهم القرآن ، ولا سبيل إليهم .
قال : أما إنّ الذي صنع بهم الصنيع ابُتُّك هذا . ما زلت أخافها منه منذُ

(1) الكندي ، 212 .

(2) جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، نشر محمود محمد شاكر القاهرة 1381 ص 81 ؛
تهذيب ابن عساكر 3/ 369 .

كبر - يعني ثابتاً .

فجمع ثابت القرآن أولهم ، جمعه في ثمانية أشهر ، وزوجه عبد الله قبلهم بنت أبي عيسى عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فولدت له حكمة ، وبها كان يكتئ . وكان أبوه يُكنّيه أبا حُكيمة ، يُشبهه لسانه بلسان زمعة بن الأسود ، فإنه كان يُكنّى أبا حكيمة .

[290 ب] وكان ثابت يشهد القتال مع أبيه وبيارز بين / يديه .

وكان حمزة بن عبد الله بن الزبير قد قال لبني عبد الله : لا تطلبوا أموالكم من عبد الملك - حين قبضها - وأنا أنفقُ عليكم . - فأبى ثابت وقدم على عبد الملك فدخل عليه فأكرمه ، وردّ عليه وعلى إخوته بعض أموالهم بكلامه . فإنه كان لسان آل الزبير جلدًا وفصاحة وبيانًا ، وانصرف [بها] معه .

ولمّا كتب عبد الملك بن مروان إلى هشام بن إسماعيل المخزوميّ عامله على المدينة بأمره أن يقيم آل عليّ على المنبر يشتمون عليّ بن أبي طالب ، ويقيم آل الزبير عند المنبر يشتمون الزبير وابنه عبد الله بن الزبير . فقال آل عليّ وآل الزبير : والله لا نفعل حتى نموت ونكفن ونحطّ !

فركبت إلى هشام بن إسماعيل أخته فقالت له : يا أحولَ مشئوماً ، [أما] تخافُ أن تكونَ الأحولَ الذي على يديه هلاك قريش . تأمر القوم أن يشتموا آباءهم ؟ أترأهم يفعلون حتى يموتوا ؟

قال لها : فما أصنع ؟ كتب إليّ أمير المؤمنين بذلك ، ولا يحتمل لي أن أراجعهُ .

قالت : فأمرُ دون ذلك يرضيه ، ويكون أيسرَ عليهم .

قال : وما هو ؟

قالت : تأمر آل عليّ يشتمون آل الزبير وابن الزبير ، وتأمر آل الزبير بسبّ

آل عليّ .

قال : فذاك .

فأمرهم بذلك . فَمَشَى القوم بعضهم إلى بعض ، آل عليّ إلى آل الزبير .
وآل الزبير إلى آل عليّ ، فقال[وا] : إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقيُمُونَا غداً فَيَسبُّ بَعْضُنَا بَعْضاً
فَيَسْتَفُونَ بذلك . فَاَللّهُ وَالرَّحْمَ !

فقال آل الزبير لآل عليّ : أَنْتُمْ تُقامون قَبْلَنَا ، فما قَلْتُمْ من شيءٍ قلنا مثله .
فكان أول من أقيم حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ⁽¹⁾ ، وأمه خولة
بنت منظور بن زبان بن سيّار بن عمرو بن جابر الفزاريّ ، أخت تماضر بنت
منظور أمّ بني عبد الله بن الزبير الأكابر ، لأبيها وأُمّها . فقام في الممر ⁽²⁾ .
وهشام بن إسماعيل على المنبر فقال له : سبّ آل الزبير ! - فأبى . فأقبل
هشام على حرسيّ إلى جنبه فقال له : أضربه ! - وعلى حسن قميص كتّان ،
وكان رجلاً رقيقاً . فضربه الحرسيّ ضربة بالسوط أسرع في جلده حتى سال
دمه تحت قدمه في الممر . فقال حسن : إِنَّ لآل الزبير رحماً أَبْلُها بِلَالِها وأَرْبُها
بِرِباها . « يَا قَوْمُ ، ما لي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ؟ » (غافر ،
41) .

فلما رأى أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب امتناع الحسن
وما لقي ، قام فقال : أصّـلح الله الأمير ، عندي ما تريد .

قال : هلمّ لك ! - وقال للحسن : أجلس !

فقام أبو هاشم فسبّ آل الزبير . وقام عبد الله بن عروة بن الزبير ، وحمزة
أبن عبد الله بن الزبير فسبّ آل عليّ .

(1) نسب قریش للزبيری ص 47 .

(2) الممر : قال الشيخ محمود شاكر : لعلّه مكان من مسجد رسول الله ﷺ ، مفروش
بالممر ؛ جمهرة 83 هامش 7 .

وكان ثابت بن عبد الله بن الزبير غائباً عن هذا الخطب . فلما قدم جاء إلى هشام بن إسماعيل فقال : أيها الأمير ، إنِّي كنتُ غائباً ، ومثلي لا يغيب عن مثل هذا المشهد .

فقال هشام : ذلك موطن قد تفادى منه الناس ، فما تصنع به ؟
قال : آخذ بحظي من ذلك .

فجمع له الناس ، ثم قام فاستقبل الناس فقال : « لَعْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا ، وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » (المائدة ، 78) . ثم قال : بِمِ آيَها الناسُ لُعِنُوا ؟ - « كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ! » (المائدة ، 79) . لعن الله من لعنه كتابُ الله ! ولعن من لعنته قوارع القرآن ! لعن الله الْمُتَمَتِّي ما ليس له ، هو أقصر باعاً ، وأوهن ذراعاً ! لعن الله ابنَ شَرِّ العِصاه ، أقصرها فرعاً ، وأقلها مرعى . لعنه الله ولعن الذي أخذ حِباءَهُ ! لعن الله الأثعل⁽¹⁾ الأحوال المترادف الأسنان - الرامي أمير المؤمنين عثمان برووس الأقاليز⁽²⁾ ، ثم قال : إنَّ الله رماك - كذب لو رماه ما أخطأه ! - المتوتَّب في الفتن توتَّب الحمار في القيد ، لعنه الله ولعن التي كانت تحته ! لعن الله العلَّاء الوُطَّباء التي بيعت بسوق ذي الحجاز بغير عهدة ، لعنها الله ولعن تَفَرَّدَ قفاها !

فأقبل عليه هشام⁽³⁾ فقال له : ما أراك تسبّ منذ اليوم إلَّا رهط أمير المؤمنين - وأمر به إلى السجن . فأخذه الأعوان يسحبونه يقع مرّة ويقوم

(1) الأثعلُ : الذي له أسنان متراكبة .

(2) الأقاليزج إقنيز وهو الدنّ الصغير . والمقصود محمد بن أبي حذيفة وكان عثمان (رضه) حذّه في الحمر ؛ تعليق ناشر الجمهرة 85 هامش 6 .

(3) الوالي هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد ابن المغيرة . وأمه هي أمة الله بنت المطلب أبن أبي البخري ، تزوّجت بعد إسماعيل بن هشام عبيد الله بن عبد الرحمان بن سُمرة بن حبيب بن عبد شمس .

أخرى ، حتى مرَّ برجل قاعدٍ قد كان أقيمَ معَ مَنْ أقيمَ ، هو ورجلان معه ، فقال : أبعدك الله !

فقال له ثابت : أما والله ، عُذْرًا إليك ! ما منعني أن أذكر خالك نسيانٌ ، ولكنتي كنت في مقام ذكر فيه الأشراف ، ولم يكن منهم ، فكرهت أن أخلطه بهم .

وانطلقوا به إلى السجن . ولقيه آخر من الثلاثة الذين أقيموا ليسبوا آل الزبير وآل عليٍّ ، فقال له ثابت : أنت الشاتم عبد الله بن الزبير؟ والله ما يُحمدُ منك إلَّا ما يحمد من الحمار : ضرُّه وحافُّه .

فلم يزل في السجن حتى كتب عبد الملك في إطلاقه . وأعجبه ما قال : وقال : ذكر أخا بخلق الله وأمر بشتهم - وكانوا قومًا خالفوا على عبد الملك .

وكان ثابت بن عبد الله كأَنه من رجال العرب . وقال سليمان بن عبد الملك له ، وهو خليفة : مَنْ أفصح الناس ؟

قال : أنا .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال : أنا .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال : أنا .

قال : ثمَّ مَنْ ؟

قال : أنت .

فرضي سليمان بذلك منه بعد ثلاث - وكان سليمان فصيحاً .

وقال مسوّر بن عبد الملك : كنّا نأتي مسجد رسول الله ﷺ ما ينزعنا إليه

إلا استمعنا لكلام ثابت بن عبد الله بن الزبير ، والعجب بألفاظه .

وتوفي ثابت بسرع من طريق الشام منصرفاً من عند سليمان بن عبد الملك [291 أ] إلى المدينة ، وهو ابن سبع أو ثمانٍ / وسبعين سنة . وقيل : توفي بمعان .

وعتب الوليد بن عبد الملك بن مروان على أهل المدينة في شيء . ثم حج ، فاحتاج أهل المدينة إلى من يعذرهم عنده . فكلّموا في ذلك ثابتاً ، فكلّمه فقال قولاً عجيباً ، فقبل منه وعفا عنهم ، فقال مساحق بن عبد الله بن مخزومة العامري في ذلك يمدح ثابتاً [طويل] :

لسانك خيرٌ كلّهُ من قبيلة ومن كلّ ما يأتي الفتى أنت فاعلهُ
ورثتَ أبا بكر أباك بياهُ وسيرته في ثابتٍ وشمائلهُ
فأنتَ أمرؤُ يُرجى لخيرٍ ، وإنّا لكلّ أمرىء ما أورثته أوائلهُ

1040 - ثابت بن نعيم الجذامي [127 -]⁽¹⁾

ثابت بن نعيم بن يزيد بن روح بن سلامة [...] الجذامي ، أبو [...] .

بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك إلى إفريقية بعد قتل كلثوم بن عياض [القشيري] ، فأفسد الجند . وقدم على هشام فحبسه ، إلى أن قدم عليه مروان ابن محمد في بعض وفاداته ، فشفع فيه وأخذه معه إلى أرمينية . فلم يزل عنده حتى سار منها يُظهر الطلب بدم الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فسار ثابت وأمر من مع مروان من جند الشام بمُفارقته ، فأجابوه وأنضموا إليه ، فصاروا ضعف من بقي مع مروان ، وباتوا يتحارسون ، وأصبحوا مصطفين للقتال . فلم يزل بهم مروان حتى انقادوا له . وأخذ ثابت [أ] وأولاده فحبسهم . ثم

(1) الطبري تحت سنة 126 ؛ الكندي ، 73 وما بعدها .

أفلت منه إلى فلسطين .

فلما بويع لمروان بدمشق وعاد إلى حرّان ، دعا ثابت أهل حمص إلى مخالفة مروان وراسلهم في ذلك . فأجابوه ، وبعثوا إلى من يتدمر من كلب ، وأتاهم نحو الألف . فأدركهم مروان وقتلهم وأخذ المدينة .

فانتقض ثابت بفلسطين وخرج بأهلها إلى طبرية ، وقد خلع مروان . فحاصرها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ، فقاتله أياماً . فبعث مروان بأبي الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث مدداً لأهل طبرية ، فقاتلوا ثابتاً وهزموه واستباحوا عسكره . فعاد إلى فلسطين وأبو الورد في أثره . فاقتتلا مرة ثانية ، فانهزم ثابت ، وتفرّق عنه أصحابه وأسر ثلاثة من أولاده حُمِلوا إلى مروان ومّر ثابت على وجهه يريد مصر ، فبعث إليه حفص بن الوليد [الحضرمي] بشرحيل بن قليب الحجريّ ليمنّعه . وخرج إليه زبّان بن عبد العزيز [بن مروان] ببني أمية ومواليه إلى الهامة من أرض مصر ، واجتمع إلى زبّان جمع من قيس ، فقاتلوا ثابتاً فهزموه . فظفر به الرماحس بن عبد العزيز الكنانيّ عامل مروان على فلسطين ، فبعثه موثقاً بعد شهرين . فأمر مروان به وبأولاده الثلاثة فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وحملوا إلى دمشق فألقوا على باب المسجد ، ثم صلبهم على أبواب المدينة ⁽¹⁾ ، وذلك سنة سبع وعشرين ومائة .

1041 - ثابت التفليسيّ الصوفيّ [631 -] ⁽²⁾

أبو التّقيّ ⁽³⁾ [...] نجم الدين . له رواية عن ابن الجوزي . وقدم مصر رسولاً من بغداد . ومات بدمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة .

(1) انظر الكامل تحت سنة 127 . والرّماحس هو الرماحس بن عبد العزى (الكامل طبعة

بيروت 330/5 هامش 1 نقلاً عن قاموس الفيروزآبادي) .

(2) التّكلة للمُنذريّ 366/3 (2529) ؛ ذيل الروضتين 162 (سنة 631) .

(3) في التّكلة : أبو البقاء .

ويقال : أسم أبيه : تاوان بن أحمد .

وله نظم .

1042 - القاضي رضي الدين ثعلب الخطيب [631 -]⁽¹⁾

ثعلب بن عبد الله بن عبد الواحد ، الخطيب ، يلقب رضي الدين ، [أبو العباس] .

أول من خطب بالمسجد المجاور لقبة الشافعي . وناى في الحكم بالجيزة . ومات في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستائة .

1043 - ثعلبة بن سلامة العجلي [132 -]⁽²⁾

ثعلبة بن سلامة بن جحدم بن عمرو بن الأجدم بن ثعلبة بن مازن بن مزين ابن أبي مالك ، ابن أبي عزم بن عوكلان بن الزهد بن سعد بن الحرث بن عدي ابن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أبو سلمة ، العاملي .

[291 ب] خرج / من دمشق مع كلثوم بن عياض وبلج بن بشر في الجيوش . ومّر بمصر وصار إلى إفريقية ، فشهد حروب كلثوم ، وأقام مع بلج إلى أن مات بلج⁽³⁾ ، فقدم أصحابه عليهم بقرطبة ثعلبة لأن هشام بن عبد الملك عهد إليهم لما سبّروهم من دمشق إلى إفريقية ، إن حدث ببلج وكلثوم حدث ، فالأمير ثعلبة . فقام بالأمر بعد بلج . وثار في أيامه البربر بناحية ماردة فغزاهم وقتل وأسر

(1) التكملة لوفيات القلة 3/ 376 (2561) ؛ طبقات السبكي 5/ 53 .

(2) الأعلام 2/ 83 ؛ جمهرة ابن حزم 419 ؛ الطبري تحت سنة 132 ؛ الكامل تحت سنة 124 و 125 وسنة 139 .

(3) مّرّ ترجمة بلج ، رقم 970 .

منهم كثيراً ، وساق ألف أسير إلى قرطبة . فلما ولي أبو الخطاب حسام بن ضرار الأندلس وقدمها ، أخرج ثعلبة في سفينة إلى إفريقية ، وأخرج معه أهل الشام ، وكانوا بالقيروان مع حنظلة بن صفوان ، فشهد ثعلبة مع صفوان وقعة البربر بالأصنام .

فلما بلغ أهل إفريقية قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، خرج ثعلبة وعامة قوادهم إلى الشام في سنة ستّ وعشرين ومائة . فولّي الأردن ، حتى مرّ به مروان بن محمد الجعديّ ، وقد انهزم على الزاب من عبد الله بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، فمرّ معه إلى مصر ، وقتل معه في حروبه بمصر .

1044 - ثُقْبَةُ ابن أبي نُمَيٍّ أمير مَكَّةَ [762 -] ⁽¹⁾

ثُقْبَةُ بن رُمَيْثَةَ بن أبي نُمَيٍّ محمد ، ابن أبي سعد حسن بن عليّ بن قتادة ، الشريف أبو [شهاب ، أسد الدين] ⁽²⁾ ، الحسيني ، أمير مَكَّةَ .

قدم إلى مصر ، وقد استقرّ أخوه عجلان في إمرة مَكَّةَ ، ومعه قَوْدٌ ⁽³⁾ من خيل وتمر ونحو ذلك ، في شهر رمضان سنة ستّ وأربعين وسبعائة . ليكون شريكاً لأخيه .

ثمّ قدم [في] شعبان سنة اثنتين وخمسين بعد حضور قَوْدِهِ وقود أخيه عجلان ، فخلع عليه وأقرّه بإمارة مَكَّةَ ، وأعطاه الأمير طاز ألف دينار ، والأمير شيخو عشرة آلاف درهم . واستخدم عسكرياً واستعدّ بالخيّل والسلاح . . .

ثمّ قبض على ثُقْبَةَ في ذي الحِجَّة سنة أربع وخمسين [وسبعائة] واعتقل

(1) الأعلام 84/2 ؛ الدرر 66/2 (1433) ؛ السلوك 72/3 و 259 ؛ المنهل 199/4

(806) ؛ النجوم 226/10 و 264 .

(2) إضافة من المنهل .

(3) القَوْد : الهدية ، من خيل خاصة .

بمِصر . ثم أفرج عنه بشفاعة قياض بن مهنا في سنة ست وخمسين .
 وكان ثقبه ينصر مذهب الزيدية ولا يكف عبيده عن ظلم الناس وأقام له
 خطيباً زيدياً يخطب يوم العيد . وكان يأمر عبيده إذا ذكر الخطيب السني الشيخين
 رجموه .

ثم إن ثقبه بعد أن أطلق هرب . فتبعه العسكر فلم يدركوه . وبقي خارج
 مكة إلى سنة إحدى وستين . فهجم بعد رجوع الحاج وفعل أفعالاً قبيحة ونهب
 خيول الأتراك الذين من جهة المصريين بمكة ، واستولى على ما في بيوتهم وأسّر
 منهم جماعة فباعهم بثمان بخس ، وأسّر أميرهم قنّس فأجارته امرأة ثقبه من
 القتل . فعذب بأنواع العذاب . ثم أطلقه ثقبه على أن يخرج من مكة فخرج منها
 إلى أن لحق الركب المصري فصار معهم .

ولم يمتع ثقبه بعد ذلك بالحياة ، بل مات في رمضان أو شوال سنة اثنتين
 وستين [وسبعائة] .

1045 - ثمال بن صالح بن مرداس [454 -]⁽¹⁾

ثمال بن صالح بن مرداس بن إدريس ، الأمير معز الدولة ، أبو علوان ،
 الكلابي .

تغلّب أبوه صالح بن مرداس على حلب ، إلى أن قتله أمير الجيوش آنوش
 تكين الدزبري⁽²⁾ بالأقحوانة على الأردن في محاربته العرب في ربيع الآخر سنة
 عشرين وأربعائة . فاقسم من بعده حلب ابنه : معز الدولة هذا - وأخذ
 القلعة - وأقام أخوه شبل الدولة نصر في المدينة .

ثم إن معز الدولة جرى بينه وبين زوجته كلام ، فغضبت عليه وخرجت إلى

(1) الكامل : سنة 402 و 433 ؛ ابن خلدون 4 / 273 .

(2) مَرّت ترجمته برقم 845 .

الحلّة بظاهر حلب . فأمر أن تصاغ لها أيكة من ذهب مرصعة بالجواهر . فلما تهيأت أخذها في كمّه وخرج إلى زوجته . فبادر أخوه نصر وركب وأخذ القلعة ، وقال : إنّ من قدّم أخي عليّ فقد أساء ، لأنّي أولى بمُدّارة الرجال ، وهو أولى بمُدّارة النساء .

وانفرد نصر بن صالح بأمر قلعة حلب والمدينة ، وجعل لأخيه ثَمَال بالس والرحبة ، وذلك في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة .

فاستمرّ نصر في ملك حلب إلى أن قتله الذزبريّ في نصف شعبان سنة تسع وعشرين ، وملك حلب من بعده . فلما مات في النصف من جادى الأولى⁽¹⁾ سنة ثلاث وثلاثين ، قدم معزّ الدولة بتوقيع سيّره إليه أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو تميم معدّ ابن الظاهر ، بولاية حلب . فتسلّم البلد لليلتين بقيتا من جادى الآخرة [سنة 433] . / وكان الوزير بمِصر يومئذ عليّ بن أحمد الجرجرائيّ ، فقرر [292 أ] عليه في كلّ سنة مالاّ يحمله . فلما صارت الوزارة إلى الوزير صدقة بن يوسف الفلاحيّ ، ثمّ وزارة أبي البركات الحسن بن محمد الجرجرائيّ ، تأخّر الحملُ ستّين⁽²⁾ بأربعين ألف دينار ، فسير إليه الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن الحسن بن حمدان ، متولّي دمشق بعد الذزبريّ . فوصل إلى حلب ورجع عنها إلى دمشق من غير أن يقدر على ثَمَال . فنقم عليه ذلك وقبضه الأمير منير الدولة .

ثمّ إنّ معزّ الدولة بعث إلى المستنصر بالقسط على يد شيخ الدولة علي بن أحمد بن الأيسر ، وسير معه ابنه الأمير وثّاب وزوجته السيّدة علويّة بنت وثّاب ، ومعها من القلعة أربعون ألف دينار وهدايا فاخرة . فأكرمها المستنصر وكتب لمُعزّ الدولة بحلب وأعمالها ، وسير إليه بتشريف وجميع بني عمّه .

ولما اندفع الأمير أبو الحرث أرسلان البساسيريّ من بغداد إلى الشام في سنة

(1) مرّ في ترجمة أنوشكين أنّه مات في 24 منه (ص 304 أعلاه) .

(2) في الاتعاظ 201 / 2 : وكان ثَمَال قرّر على نفسه عشرين ألف دينار في كلّ سنة .

سبع وأربعين منهزماً من طغرل بك وحصل في أرض الرحبة وقد وصل في قلّ من الرجال ، لقيه ثمال وأكرمه وحمل إليه مالا عظيماً . فقبل عن البساسيري أنّه لم ير مثله في الشجاعة والمكر⁽¹⁾ . وكان إذا ركب معزّ الدولة قفز إليه ليُمسك له الركاب ويصلح ثيابه في السرج . وسلّم إليه معزّ الدولة الرحبة في سنة ثمان وأربعين ليجعل فيها ماله وأهله .

فلما ولي الوزير الناصر للدين أبو محمد الحسن بن [عليّ بن] عبد الرحمان اليازوري⁽²⁾ وزارة المستنصر ، لم يرضَ من معزّ الدولة بما رضىه الوزراء قبله ورأى أنّ الحيلة والخديعة أبلغ فيما يريد . فاستعمل السياسة وبعث خفايا التدبير ، وندبَ لذلك رجلاً من ثقاته⁽³⁾ . فسار إلى حلب وساس الأمر وأحكم التدبير مع كاتب معزّ الدولة بكثرة ما وعده به ومثاه . إلى أن نزل معزّ الدولة من القلعة وسلّمها إلى الأمير مكيّن الدولة أبي عليّ الحسن بن عليّ بن ملهم بن دينار العقيليّ نائب المستنصر ، وسار من حلب إلى مصر . فلما بلغ رفع سمع بالقبض على اليازوريّ فقال : والله إنّني أموت بحسرة ونظرة إلى من استلبني من ذلك الملك وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة إلّا بحسن السياسة . ولورام ذلك منّي قسراً ربّما تعذّر عليه⁽⁴⁾ .

وسار حتى قدم على المستنصر بالقاهرة في المحرم سنة خمسين وأربعمائة ، فعوّضه عن حلب مدينة عكّا وبيروت وجبيل . فاتفق في مدّة إقامته بمصر قتل البساسيريّ . فسار أسد الدولة أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس إلى الرحبة وأخذ جميع ما تركه البساسيريّ ، من السلاح الذي لم ير مثله كثرة وجودة . فقطع بنو كلاب في حلب وقدموا عليهم محمود بن نصر بن صالح بن مرداس . فسار إليها في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وتسلمها . فانحاز مكيّن الدولة بن ملهم إلى القلعة وأنفذ إلى المستنصر يطلب النجدة . فوصل إليه ناصر الدولة أبو

(1) في المخطوط : والمنكر .

(2) ترجمة اليازوري : رقم 1188 (ت 450) .

(3) الاتعاظ 2 / 259 : يقال له : عين الدولة عليّ بن عياض قاضي صور .

(4) في الاتعاظ 2 / 260 : فليس يتعذّر عليه .

علي الحسين ، ابن ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان ، وكانت وقعة
الفُئيدِيق ، وهو المعروف بتلّ السلطان ، وأسر ابن حمدان ، وعاد محمود بن
نصر إلى حلب .

فلما بلغ ذلك المستنصر صرف معزّ الدولة عن عكا وبيروت وجبيل وقال
له : إنّ هذه أخذتها عوضاً عن حلب . وقد عادت إلى ابن أخيك . فامض إلى
حلب واستعدها منه .

فعاد إلى أن وصل إلى معزة النعمان . فسير محمود أبا محمد عبد الله بن
محمد الخفاجي رسولاً إلى ملك الروم يستجد بك على عمّه معزّ الدولة ، ثم
صالح محمود عمّه وسلّم إليه حلب يوم الاثنين أوّل شهر ربيع الآخر سنة ثلاث
وخمسين .

فلم يزل بها حتى مات فيها يوم الخميس لستّ بقين من ذي القعدة سنة
أربع وخمسين وأربعمائة . فدفن في مقام إبراهيم الفوقاني بقلعة حلب ، وبقي إلى
أيّام⁽¹⁾ الملك رضوان ققلع وبلط عليه .

وكان معزّ الدولة كريماً حليماً . حكى أنّ العرب اقترحوا عليه مضيرة ،
فتقدّم / إلى وكيله أن يطبخها لهم . وسأله : كم ذبحت لأجلها ؟
فقال : سبعمائة وخمسون رأساً .

فقال : والله لو أتممتها ألفاً لوهبتُ لك ألفَ دينار .

و يحكى عن حلمه أنّ قرّاشاً صبّ يوماً على يده ماءً بإبريق كان في يده ،
فصادفت أنبوية الإبريق بعض ثياب⁽²⁾ معزّ الدولة فكسرتها وسقطت في
الطشت ، وهمّ به الغلمان فنعمهم ، وأمر برفعها وعفا عنه . فقال ابن أبي حصينة
فيه من أبيات [وافر] :

(1) في المخطوط : إمام .

(2) في المخطوط : ثنية بالافراد .

حليم عن جرائمنا اليه وحتى عن ثنيته انقلاعا

وقدم عليه الوزير فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير فاستوزره
وقوّض أموره إليه جميعها . فحسد على مكانه وقربه منه ، وسعي به إليه .
وكان معزّ الدولة له وفاء وذمّة فنبّهه على ما سعي به إليه . فاستأذنه أبو نصر في
المفارقة فأذن له ، وسار من حلب . وذلك في سنة ستّ وأربعين وأربعمائة .
ولمّا مات معزّ الدولة ولي بعده حلب أسد الدولة أبو ذؤابة عطية بن
صالح بن مرداس .

1046 - ثمل الخادم [- بعد 311] ⁽¹⁾

غزا في بحر الروم فغنم وسبى وعاد في سنة ستّ وثلاثمائة . فلمّا قدمت
مراكب المهديّ عبيد الله من إفريقية تريد الإسكندرية ، وعدتها ثمانون
مركباً ، وقائدها سليمان الخادم ويعقوب الكتامي . وقد ملكها أبو القاسم ابن
المهديّ ، بعث أمير المؤمنين المقتدر بالله أبو الفضل جعفر إلى ثمل ، وهو على
مراكب طرسوس ، فأتى في خمسة وعشرين مركباً إلى رشيد ، فلقى المراكب
وعليها سليمان الخادم في العشرين من شوال سنة سبع وثلاثمائة ، وقاتله قتالاً
شديداً . فبعث الله الريح على مراكب سليمان فألقته إلى البر فتكسر أكثرها .
وأخذ ثمل من فيها أخذاً باليد وقتل أكثرهم . وسار بمن بقي إلى الفسطاط فأنزلهم
بالمقس يوم الاثنين لأربع بقين منه . فأمر أبو منصور تكين أمير مصر بتمييز
الأسارى فأطلق أهل القيروان وأهل طرابلس وبرقة وصقلية ، وميّز كتامة وزويلة
ناحية ، ثمّ أذن للناس في قتلهم ، فقتلوا منهم نحو السبعمائة .

ودخل ثمل ومعه سليمان الخادم فطاف به مقيداً ، ومعه رؤساء المراكب وهم

(1) العيون والحداق ، 306 . وانظر ترجمة تكين الخاصة رقم 1029 والقائم رقم 2641 .

مائة وسبعة عشر رجلاً في يوم الثلاثاء لثلاث بقين منه . ثمّ مضى إلى الإسكندرية في مراكبه فقاتله أصحاب أبي القاسم وهزمهم ، وملكها ، ونقل أهلها إلى رشيد ، وذلك في المحرم سنة تسع وثلاثمائة . رجع إلى القسطنطينية فمضى في مراكبه إلى اللاهون ⁽¹⁾ .

ثمّ عاد بعد مسير أبي القاسم إلى برقة . وخرج مع مؤنس في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثمائة ، ومعه سليمان الخادم والأسرى في مراكبه ، فحمل سليمان إلى بغداد .

وغزا في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فغنم من السبي ألف رأس وثمانية آلاف دابة ومائة ألف رأس من الغنم ، ومن الذهب والفضة شيئاً كثيراً ⁽²⁾ .

1047 - ثوبان بن بجدد ، مولى رسول الله ﷺ [54 -] ⁽³⁾

ثوبان بن بجدد - ويقال : ابن جحدر - مولى رسول الله ﷺ يكنى أبا عبد الله . أصله من ألّهان ⁽⁴⁾ من أهل اليمن . أصابه سياء فابتاعه رسول الله ﷺ بالمدينة وأعتقه وقال له : يا ثوبان ، إن شئت أن تلحق بمن أنت منهم فعلت ، فأنت منهم ، وإن شئت أن تثبت فأنت ممّن أهل البيت .

(1) في عيون الأخبار ، 206 ، أنّ القائم ترك الإسكندرية عن طواعية . دون أن يخرج منها

ثمل . واللاهون من أعمال الفيوم والصعود إليها على النيل .

(2) في الكامل (تحت سنة 311) أنّ هذه الغزوة كانت في البحر ، وهذه الأرقام الخيالية تبعث على الظنّ أنّ الغزوة استهدفت السواحل الرومية .

(3) أسد الغابة 1/ 296 (624) ؛ الاستيعاب 1/ 218 (282) ؛ الإصابة 1/ 204

(967) ؛ حلية الأولياء 1/ 180 (31) ؛ مختصر تاريخ دمشق 5/ 346 (193) ؛

الأعلام 2/ 88 ؛ تاريخ البخاري 2/ 181 (2128) ؛ الجرح والتعديل 2/ 469

(1907) .

(4) ألّهان : مخلاف من اليمن (ياقوت) .

فثبت على ولاء رسول الله ﷺ ، ونزل حمص وله بها دار صدقة وشهد فتح مصر ، واختط بها .

وروى عنه من أهل مصر مرثد بن عبد الله اليزني وأبو عبد الرحمن الجبلاني⁽¹⁾ ، وروى عنه [أبو أسماء الرحي وجبير بن نفير وعبد الله بن أبي الجعد]⁽²⁾ .

ومات بحمص سنة أربع وخمسين في إمارة عبد الله بن قوط . وذكر محمد [293 أ] ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ / : يا ثوبان لا تنزل الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور .

وعن شرحبيل بن مسلم عن ثوبان أنه كان يقول : طوبى لمن ملك لسانه وسعى بنيته وبكى على خطيئته .

(1) جبلان : بطن من حمير (السمعاني) .

(2) زيادة من الجرح والتعديل .

الجزء الثاني

تراجم الكتاب حسب ورودها في المخطوط

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
أ				
695	إدريس بن عبد الله بن الحسن	إدريس الأول	175 -	9
696	أدي / ودي بن حجاز	الشريف أدي أمير المدينة	752 -	13
697	أرجواش المنصوري ، علم الدين	أرجواش الأعور	701 -	14
698	أرسلان الدوادار ، بهاء الدين		717 -	17
699	أرغون الناصري	أرغون نائب السلطنة	731 -	19
700	أرغون ابن أمير شاه ، سيف الدين	أرغون تر	774 -	24
701	أرغون الأحمدي ، سيف الدين		775 -	24
702	أرغون العلائي ، سيف الدين		748 -	25
703	أرغون الصغير ، سيف الدين	أرغون الصغير الكامل	758 -	27
704	أرغون شاه ، سيف الدين	أرغون شاه الناصري	750 -	28
705	أرقطاي ، سيف الدين	الحاج أرقطاي	750 -	30
706	أزبك الحموي ، صارم الدين		737 -	33
707	أزدمر الحمصي ،	الحاج أزدمر الحمصي	680 -	34
708	أزدمر العلائي ، عز الدين		696 -	35
709	أزدمر الكاشف ، عز الدين	أزدمر الكاشف الأعمى	754 -	36
710	أسامة بن زيد بن عدي ، أبو عيسى	أسامة بن زيد التنوخي	بعد 104 -	37
711	أسامة بن مرشد بن علي	أسامة بن منقذ	584 -	40
712	إسحاق بن إبراهيم بن المظفر ، أبو محمد	القاضي الوزيري	719 -	49

الترجمة	رقم	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
713	إسحاق بن إبراهيم بن قلا	ابن قلا النصراني الكاتب	— بعد 300	50	
714	إسحاق بن إبراهيم بن [...]	أبو يعقوب الشاشي	— 325	52	
715	إسحاق بن علي بن أبي الغنّاء ، نجم الدين	أبن مراحل	— 610	53	
716	إسحاق بن علي بن يحيى ، أبو الطاهر	نجم الدين الحلبي	— 711	54	
717	إسحاق بن جعفر بن محمد ، المؤمن	زوج السيدة نفيسة	— بعد 208	54	
718	إسحاق بن الفرات بن الجعد ، أبو نعم	ابن الفرات صاحب مالك	— 204	55	
719	إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي	رفيع الدين الأبرقوي	— 582 — 623	56	
720	إسحاق بن موسى بن العازار الطيب	أبو يعقوب ابن العازار	— 363	57	
721	إسحاق بن موسى بن عمران	أبو يعقوب الأسفرايني	— 284	57	
722	إسحاق بن نصير ، أبو يعقوب الكاتب	إسحاق بن نصير العبّادي	— 297	58	
723	أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله	أسد بن الفرات	— 144 — 213	59	
724	أسد شمس الخلافة	متولي عسقلان	— بعد 512	62	
725	إسماعيل بن إبراهيم بن محمد ، مجد الدين	ابن الرّماني قاضي القضاة	— 729 — 802	63	
726	إسماعيل بن محمد بن فلاوون ، عماد الدين	الملك الصالح	— 726 — 746	66	
727	إسماعيل بن محمد بن عبد الله ، عماد الدين	الصاحب الأمد ابن القيسراني	— 736	69	
728	إسماعيل بن إبراهيم بن عبيد الله	مجد الدين ابن كسيرات	— 682	70	
729	إسماعيل بن إبراهيم بن غازي ، شمس الدين	ابن فلّوس	— 593 — 637	71	
730	إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمان	التاج إسماعيل المخزومي	— 611 — 694	72	
731	إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر ،	علم الدين القنائي	— 652	73	
732	أسعد بن أحمد بن الحسن ، أبو الطاهر	أبن اللمطي	— 545 — 638	74	
733	أسعد بن أحمد بن سعيد ، أبو الفداء	القاضي عماد الدين ابن الأثير	— 652 — 699	75	
734	أسعد بن أمين الملك ، تقي الدين	الشقي الأحول	— 716	76	
735	أسعد بن عبد الغني بن أسعد ، أبو الكرم	القاضي ابن قادوس	— 543 — 639	78	
736	أسعد بن عطية بن عبيد القضاعي	أسعد بن عطية الصحابي		79	
737	أسعد بن عقيل ، أبو المكارم	وزير الوزراء	— 466	79	
738	أسعد بن علي بن معمر ، أبو البركات	السنة الجواني	— نحو 550	80	

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
739	أسعد بن لهيعة الحميري	ابن لهيعة الأملولي		82
740	أسعد بن مسلم بن مكّي	السديد ابن علّان الدمشقي	561 - 636	82
741	أسعد بن مظفر بن أسعد ، مؤيد الدين	أبو المعالي ابن القلانسي	598 - 672	82
742	أسعد بن مهذب بن مينا ، شرف الدين	ابن ممّاني	606 -	83
743	إسماعيل بن سعيد بن [...]	إسماعيل الكردي الزنديق	720 -	87
744	إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمان	الشهاب القوصي	574 - 653	88
745	إسماعيل بن سلامة	الموفق الجلعولي	546 -	90
746	إسماعيل بن سودكين	العارف شمس الدين النوري	598 - 644	90
747	إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل	المزني صاحب الشافعي	175 - 264	92
748	إسماعيل بن حسين بن حميد ، أبو الفضل	الموفق ابن قادوس الدميّاطي	510 -	96
749	إسماعيل بن خلف بن سعيد ، أبو الطاهر	ابن خلف الأندلسي المقرئ	455 -	96
750	إسماعيل بن داود بن أبي الرّدّاد	ابن أبي الرّدّاد الكاتب	540 - بعد 620	97
751	إسماعيل بن خليل بن [...]	تاج الدين ابن خليل الحنفي	739 -	97
752	أسعد بن إلياس بن جرجيس	الموفق ابن المطران الطيب	587 -	98
753	إسماعيل بن علي بن محمود	أبو الفداء المؤرخ	672 - 732	100
754	إسماعيل بن علي بن الحسين	الحافظ أبو سعد السمان	445 -	104
755	إسماعيل بن علي بن هبة الله	عزّ الدين الإسناثي	700 -	105
756	إسماعيل بن عمر بن نعمة بن يوسف	ابن شبيب الرومي العطّار	551 - 606	106
757	إسماعيل بن عمرو بن إسماعيل	أبن راشد الحدّاد المقرئ	429 -	106
758	إسماعيل بن القاسم بن عيذون	أبو عليّ القاليّ البغدادي	288 - 356	107
759	إسماعيل بن مبارك بن كامل	جمال الدين ابن منقذ	569 - 626	110
760	إسماعيل بن القاسم بن عبد الله	ابن الزيّات المصري	599 -	111
761	إسماعيل بن أبي محمد	ابن النحاس المصري	354 - 430	111
762	إسماعيل بن محمد بن إسماعيل	ابن طباطبا الرسيّ	337 -	111
763	إسماعيل بن محمد بن أبي بكر	الكورانيّ الشيخ الصالح	665 -	113
764	إسماعيل بن الربيع بن البسم	القاضي ابن البسم الكنديّ	بعد 167 -	113

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
765	إسماعيل بن ظافر بن عبد الله	أبو الطاهر العقيلي المقرئ	454 – 523	115
766	إسماعيل بن عبد الجبار بن يوسف	القاضي علم الدين الصونتي	549 – 610	116
767	إسماعيل بن عبد الرحمان بن أحمد	نبيه الدين الأنصاري الكاتب	613 –	117
768	إسماعيل بن عبد القوي بن الحسن	فخر الدين الإمام الإسناي	720 –	118
769	إسماعيل بن عبد الرحمان بن يحيى	أبو الطاهر الديباجي	572 –	118
770	إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن	الحافظ تقي الدين الأنماطي	619 –	118
771	إسماعيل بن عبد الله بن عمرو	أبو الحسن النحاس المقرئ	بعد 280	120
772	إسماعيل بن عبد الملك بن عيسى	القاضي عماد الدين بن درباس	570 – 624	120
773	إسماعيل بن عبد المجيد بن محمد	الظافر العبيدي	527 – 549	121
774	إسماعيل بن عبد الواحد بن محمد	أبو هاشم المقدسي قاضي مصر	325 –	122
775	إسماعيل بن عبد الوهاب بن عطية	أبو الطاهر ابن عطية الجذامي	570 –	124
776	إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر	إسماعيل ابن أبي المهاجر	107 –	125
777	إسماعيل بن عثمان بن محمد	الرشيد ابن المعلم	623 – 714	126
778	إسماعيل بن علي بن محمد	ابن أبي النمر	630 –	127
779	إسماعيل بن علي بن يوسف	سراج الدين المهدي	635 –	128
780	إسماعيل بن محمد بن عبد الله	المنصور العبيدي	301 – 341	129
781	إسماعيل بن محمد بن ياقوت	الحواجا نجم الدين السلامي	671 – 743	181
782	إسماعيل بن محمود بن أحمد	إسماعيل المحلي	بعد 540	183
783	إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل	ابن عوف المالكي	485 – 581	183
784	إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق	زين الدين السقطي	739 –	184
785	إسماعيل بن هبة الله بن علي	الفخر ابن المليحي المقرئ	681 –	185
786	إسماعيل بن هبة الله بن محمد	أبو صالح ابن العديم	610 – 694	185
787	إسماعيل بن بكتمر	سيف الدين البوبكري	بعد 743	186
788	أسندمر كرجي ، سيف الدين		711 –	186
789	أسندمر العمري ، سيف الدين		761 –	191
790	أسود بن نافع بن أبي عبيدة	أسود بن نافع الفهري	بعد 132	192

الصفحة	تاريخ وفاته	لقبه أو نسبته	اسم المترجم	رقم الترجمة
193	154 -	أشعب الطمّاع	أشعب بن حميد	791
212	204 - 140	أشهب فقيه مصر	أشهب بن عبد العزيز بن داود	792
213	86 -	أصبع بن عبد العزيز الأمويّ	أصبع بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم	793
214	225 -	أصبع بن الفرج القاضي	أصبع بن الفرج بن سعيد	794
218	747 -		أصلم القبجاقيّ ، بهاء الدين	795
220	471 -		أطسز بن أوق الخوارزميّ	796
224	719 -		أغرلو العادلّيّ ، سيف الدين	797
224	748 -		أعزلو السيفي ، شجاع الدين	798
227	150 -	الأغلب بن سالم التميميّ	الأغلب بن سالم [بن سودة]	799
228	488 -		أفتكين التركيّ ، ناصر الدولة	800
229	362 - بعد		أفلح الناشب الصقلبيّ	801
229	702 -	والي البهنسا	آقوش العلائيّ ، القاريّ ، جمال الدين	802
231	709 -		آقوش الروميّ ، جمال الدين	803
231	719 - بعد		آقوش العريّس	804
232	661 -		آقوش البرلّيّ العززيّ ، شمس الدين	805
234	699 -		آقوش كرجي المطروحيّ ، جمال الدين	806
234	710 -	« قتال السبع »	آقوش الموصليّ ، جمال الدين	807
235	713 -		آقوش الكنجيّ ، جمال الدين	808
235	678 -		آقوش الشهابيّ ، جمال الدين	809
236	716 -	آقوش الأفرم	آقوش الدوادّيّ الأفرم ، جمال الدين	810
246	700 -		آقوش الشريفيّ ، جمال الدين	811
247	679 -		آقوش الشمسيّ ، جمال الدين	812
247	690 -		آقوش الغنميّ ، جمال الدين	813
247	693 -	آقوش نغيلة	آقوش الموصليّ ، جمال الدين	814
248	698 -	نائب البيرة	آقوش المغيبيّ ، جمال الدين	815
248	736 -	نائب الكرك	آقوش الأشرفيّ ، جمال الدين	816

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
817	آقبا الحسني ، علاء الدين	آقبا الحسني	717 -	258
818	آقبا الناصري ، علاء الدين	آقبا عبد الواحد	744 -	259
819	آقبا الحموي ، فخر الدين		759 -	261
820	آقبا الناصري الحسني		بعد 770	261
821	آقسقر الناصري ، شمس الدين		748 -	262
822	آقسقر الرومي ، شمس الدين	آقسقر شاد العماثر	740 -	264
823	آقسقر السري ، شمس الدين		678 -	265
824	آقسقر السلاري ، شمس الدين		بعد 744	265
825	أكرم بن الخطير ، أبو المكارم	كريم الدين الصغير	726 -	266
826	أكدر بن حمام بن عامر ، أبو مصعب	أكدر بن حمام	65 -	270
827	الآقوش المنصوري ، جمال الدين		بعد 724	274
828	ألبكي الساقى ، فارس الدين		702 -	275
829	ألبكي ، فارس الدين	ابن أخي آل الملك	756 -	276
830	ألجاي الدوادار ، سيف الدين		732 -	277
831	ألجيغا المظفري ، سيف الدين		750 -	278
832	ألدمر الناصري ، سيف الدين		730 -	280
833	أطبرس المنصوري ، علاء الدين	أطبرس المجنون والي القلعة	708 -	282
834	أطنبغا الحمصي ، فخر الدين		678 -	283
835	أطنبغا الجمدار ، علاء الدين		693 -	283
836	أطنبغا المارديني الساقى		744 -	284
837	أطنبغا الركي		642 -	285
838	أطنبغا الحاجب ، علاء الدين	أطنبغا نائب حلب	742 -	286
839	أطنفش الجبالي		745 -	292
840	ألماس الناصري ، سيف الدين	ألماس الحاجب	734 -	292
841	أل الملك ، سيف الدين	الحاج أل ملك	747 -	294
842	أمية بن عبد العزيز ، أبو الصلت	أمية بن عبد العزيز	529 -	297

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
843	أمير كاتب بن أمير عمر ، أبو حنيفة	أمير كاتب الأتقاني	685 - 758	298
844	أنص بن كتبغا	الملك المجاهد	723 -	300
845	أنوشتكين الدزبري ، أبو منصور		433 -	302
846	أنوش تكين البخاري الدرزي		بعد 410	306
847	أنوك بن محمد بن قلاوون ، ناصر الدين		721 - 741	310
848	أونوجور بن محمد بن طفع	أبن الإخشيد	319 - 349	313
849	أياي متملك النوبة	صاحب دمقلة	711 -	319
850	أياز الملوحي ، فخر الدين			320
851	أياز المقرئ الحاجب ، فخر الدين	أياز المقرئ	687 -	320
852	أياز البانباشي ، فخر الدين		633 -	321
853	أياز [إياس] الأستاذ دار ، فخر الدين			321
854	أياز السلاح دار ، فخر الدين		750 -	322
855	أبيك البغدادي ، عز الدين		722 -	323
856	أبيك الرومي ، عز الدين المنصوري		بعد 713	324
857	أبيك الحموي ، عز الدين		703 -	324
858	أبيك الشيخ ، عز الدين		678 -	326
859	أبيك الفخري ، عز الدين		بعد 680	326
860	أبيك العزي ، عز الدين	أبيك نقيب العسكر	690 -	326
861	أبيك الموصللي ، عز الدين		698 -	327
862	أبيك الخزندار ، عز الدين		709 -	327
863	أبيك الأفرم ، عز الدين الصالح		695 -	328
864	أبيك الأشقر ، عز الدين		707 -	333
865	أيتمش الجمदार ، سيف الدين الناصري		755 -	334
866	أيتمش السعدي ،		684 -	335
867	أيتمش المحمدي ، سيف الدين		736 -	335
868	أيدغدي شقير ، علاء الدين		715 -	342

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
869	أيدغددي الخوارزمي ، علاء الدين		729 -	343
870	أيدغددي الشهرزوري ، علاء الدين		705 - بعد	344
871	أيدغددي التليبي ، علاء الدين		728 -	345
872	أيدغمش الحكيمي ، سيف الدين		680 -	345
873	أيدغمش الناصري ، علاء الدين		743 -	345
874	أيدغمش [أيدكين] البندقدار ، علاء الدين		684 -	347
875	أيدكين الصالحلي		690 -	348
876	أيدكين [الأركشي] البريدي	أيدكين والي القاهرة	735 - بعد	348
877	أيدمر القشاش ، عز الدين		702 -	349
878	أيدمر الحلبي ، عز الدين		667 -	352
879	أيدمر الرشيددي ،		708 -	353
880	أيدمر السناني ، عز الدين		707 -	354
881	أيدمر بن عبد الله المحيوي ، علم الدين	أيدمر المحيوي الشاعر	648 -	354
882	أيدمر الدوادار ، عز الدين		740 -	361
883	أيدمر العلائي ، عز الدين		676 -	361
884	أيدمر الظاهري ، عز الدين		700 -	362
885	أيدمر العزي ، عز الدين	أيدمر النقيب	702 -	364
886	أيدمر الرقاء ، عز الدين		702 -	364
887	أيدمر العلائي الجمقدار ، عز الدين	أيدمر الزراق	760 - نحو	365
888	أيدمر الخطيري ، عز الدين		737 -	365
889	أيدمر الشمسي ، عز الدين			368
890	أيدمر الزراق ، عز الدين		748 - بعد	369
891	أيدمر الشبخي ، عز الدين	أيدمر نائب حماه	773 -	369
892	أيدمر العلائي .	أيدمر « دقاق »	734 -	370
893	أيمن بن خريم		86 -	370
894	أيوب بن أبي بكر بن إبراهيم ، أبو صابر	أبواب ابن النحاس	699 - 617	377

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
895	أيوب الكردي ، نجم الدين	والي القاهرة	— بعد 740	378
896	أيوب بن شاذي بن مروان	الملك الرحم والد صلاح الدين	— 568	378
897	أيوب بن شرحبيل بن أكسوم	أيوب الأصحى	— 101	381
898	أيوب بن [أبي بكر] محمد ، الملك الصالح	صاحب كيفا	— 727	383

ب

899	باديس بن زيري بن مناد		— بعد 370	385
900	بارزطغان بن محمود بن أبي الفتح	بارزطغاي الغزي	— 616	385
901	باينجار رسول الخان أزل بك			386
902	باينجار المنصوري . سيف الدين		— 716	387
903	باورد بن براجوا المغولي		— بعد 721	388
904	بتخاص العادلي ، سيف الدين		— 696	388
905	بتخاص المنصوري . سيف الدين	نائب صفد	— 710	389
906	يحكم الأعور		— 328	390
907	بجاس بن عبد الله النوروزي النحوي		— 803	392
908	بحر بن ضبع الرعيني			392
909	بحر بن نصر بن سابق	بحر الخولاني	180 — 267	393
910	بجير بن ذاخر بن عامر الناشري			393
911	بدر الجمالي ، أبو النجم	أمير الجيوش	405 — 487	394
912	بدر [الكبير] الحماني [الطولوني]		— 310	402
913	بدر الحقيقي			404
914	بدر الإخشيدي		— بعد 357	405
915	بدر صاحب عبد الرحمان الداخل			406
916	بدر الحبشي		— 576	406

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
917	برلغي الأشرفي ، سيف الدين		711 -	407
918	برلغي الصغير ، سيف الدين		749 -	409
919	برح بن عسكر			410
920	برغش العادلي		608 -	411
921	بسر بن أرطاة		86 -	411
922	بشارة الإخشيد الخادم		بعد 388 -	421
923	بشتاك الناصري ، سيف الدين		742 -	423
924	بشر بن مروان بن الحكم	بشر بن مروان الأموي	75 -	428
925	بشر بن أوس الجرشي ، أبو الجراح		بعد 131 -	434
926	بشر بن صفوان بن نوفل		109 -	434
927	بشر بن نصر ، أبو القاسم	« غلام عرق »	302 -	436
928	البعيث الجاشعي [خداس بن بشر]	البعيث الجاشعي الشاعر	قبل 98 -	438
929	بغا الصغير ، سيف الدين		737 -	439
930	بغدوين بن [...]	بغدوين صاحب القدس	508 -	440
931	بقي بن مخلد		201 - 276 -	441
932	بكار بن قتيبة بن أسد	بكار بن قتيبة القاضي	182 - 270 -	442
933	بكتاش الفخري ، بدر الدين		706 -	454
934	بكتمر البوبكري ، سيف الدين		728 -	457
935	بكتمر الجوكندار ، سيف الدين		716 -	459
936	بكتمر الظاهري ، السلاح دار		703 -	462
937	بكتمر العلائي ، سيف الدين		745 -	466
938	بكتمر الحاجب ، جمال الدين		728 -	466
939	بكتمر الساقى ، سيف الدين		733 -	468
940	بكتوت العلائي ، بدر الدين		693 -	474
941	بكتوت الخزندار ، بدر الدين		680 -	475

رقم الرجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
942	بكتوت الأزرق ، بدر الدين		696 –	475
943	بكتوت الفارسي ، بدر الدين		694 –	475
944	بكتوت الفتاح ، بدر الدين		710 –	475
945	بكتوت القرماني ، بدر الدين		749 –	477
946	بكتوت الأفرعي ، بدر الدين		694 –	478
947	بكتوت المحمدي ، بدر الدين		686 –	479
948	بكتوت الخزنداري ، بدر الدين	متولي الإسكندرية	711 –	479
949	بلال المغيبي ، حسام الدين		699 –	481
950	بليان الحسني ، أمير جندار		749 –	483
951	بليان المشرفي ، علم الدين		678 –	484
952	بليان النوفلي ، ناصر الدين		678 –	484
953	بليان الرومي ، سيف الدين	دوادار العلامة	بعد 679 –	484
954	بليان الرومي الظاهري ، سيف الدين		680 –	484
955	بليان العلائي ، شرف الدين	« الله كريم »	687 –	485
956	بليان الطباخي ، سيف الدين		700 –	485
957	بليان الفاخري ، سيف الدين		697 –	486
958	بليان الجاشنكير		بعد 709 –	486
959	بليان طرنا ، سيف الدين		734 –	487
960	بليان البدري ، سيف الدين		727 –	487
961	بليان القبحي ،		723 –	488
962	بليان الهاروني ، سيف الدين		692 –	488
963	بليان الكوندكي ، سيف الدين		730 –	489
964	بليان الشمسي ، سيف الدين		745 –	489
965	بليان الغلمشي ، سيف الدين		709 – 623	489
966	بليان الجوكندار ، سيف الدين		706 –	490
967	بليان الحسامي ، سيف الدين		736 –	490

الصفحة	تاريخ وفاته	لقبه أو نسبته	اسم المترجم	رقم الترجمة
491	736 -		بليان البيسري [عبد اللطيف] ، سيف الدين	968
492	745 -		بليان المحمدي ، سيف الدين	969
492	124 -		بلج بن بشر بن عياض القشيري	970
495	749 -		بلك المظفري ، سيف الدين	971
495	749 -	بلك الجمدار	بلك الناصري ، سيف الدين	972
496	بعد 753	بلجك ابن أخت قوصون	بلجك الناصري ،	973
496	316 -	بنان الحمّال الزاهد	بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ، أبو الحسن	974
500	680 -		بهادر الناصري ، بهاء الدين	975
500	693 -		بهادر رأس نوبة ، سيف الدين	976
501	739 -		بهادر المعزّي ، سيف الدين	977
502	802 -		بهادر الشهابي ، سيف الدين	978
502	740 -		بهادر البدري	979
503	730 -		بهادر آص ، سيف الدين	980
504	بعد 720		بهادر الإبراهيمي ، سيف الدين	981
504	710 -	الحاج بهادر السلاح دار	بهادر الحلبي ، سيف الدين	982
508	725 -		بهادر الصقري ، بهاء الدين	983
510	579 - 556	تاج الملوك الأيوبي	بوري بن أيوب بن شادي	984
512	544 -		بنان سعيد السعداء	985
512	535 -	تاج الملوك الأرمني	بهرام بن أسيد ، سيف الدين	986
516	639 -	بهرام التركماني	بهرام بن عمر بن بهرام ، شمس الدين	987
517	627 -	صاحب بعلبك	بهرام شاه بن فرخشاه	988
517	522 -	بهرام مقدّم الباطنية	بهرام بن [...]	989
518	805 -	قاضي القضاة الدميري	بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز ، أبو البقاء	990
519	بعد 256	بهم القائد الطولوني	بهم بن الحسين	991
520	233 -	التجيبّي	بهلول بن عمر ، أبو الحسن التجيبّي	992
520	743 -		بيبرس الحاجب ، ركن الدين	993

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
994	بيبرس العجمي ، ركن الدين	بيبرس الجالقي	707 –	527
995	بيبرس الركني ، ركن الدين		740 –	527
996	بيبرس التاجي ، ركن الدين		712 – بعد	528
997	بيبرس التلاوي ، ركن الدين		703 –	529
998	بيبرس الزاهدي ، ركن الدين الأحذب		692 –	529
999	بيبرس الموقفي ، ركن الدين		704 –	530
1000	بيبرس الرشيد ، ركن الدين		680 –	530
1001	بيبرس الصيرفي ، ركن الدين		681 –	531
1002	بيبرس الناصري ، ركن الدين	بيبرس طقصورا	692 –	531
1003	بيبرس المنصوري ، ركن الدين		725 –	531
1004	بيبرس الجاشنكير ، ركن الدين	الملك المظفر	709 –	534
1005	بيبرس الأحمد ، ركن الدين		746 –	555
1006	بيغا التركاني ، سيف الدين		707 –	558
1007	بيغا تر ، سيف الدين	بيغا حارس الطير	751 – بعد	559
1008	بيغا أروس القاسمي ، سيف الدين		754 –	559
1009	بيدرا المنصوري ، بدر الدين	بيدرا قاتل الأشرف	693 –	562
1010	بيدرا البديري ، سيف الدين	بيدرا نائب حلب	748 –	568
1011	بدرجك الناصري ، بدر الدين		724 –	569
1012	بدل من أبي المعمرين إسماعيل	أبو الخير بدل التبريزي	631 – 552	570
1013	برسغا الحاجب ، سيف الدين	برسغا الحاجب	742 –	570
1014	بركات صاحب البديعة	بركات البديعي	513 –	571
1015	برجوان العزيزي	الأستاذ برجوان	390 –	572
1016	بيسري الشمسي ، بدر الدين		698 –	576
1017	بيغجار الساقبي الناصري		731 –	581
1018	بيغرا الناصري ، سيف الدين		754 –	581
1019	بيليك الأيدمري ، بدر الدين		687 –	582

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
1020	بيليك المحسني ، بدر الدين		695 -	583
1021	بيليك الطياري ، بدر الدين		699 -	583
1022	بيليك المسعودي ، بدر الدين		690 -	584
1023	بيليك المحسني ، بدر الدين		739 -	584

ت

1024	تبر الإخشيدى		360 -	585
1025	ترمش بن عبد الله	ترمش الطولوني	283 -	585
1026	تركان شاه بن بلدكوش ، أبو الملوك			587
1027	تتم بن المعز بن المنصور	تتم بن المعز الفاطمي	337 - 374	588
1028	تتم بن المعز بن يعلى ،	أبو الطاهر البادي	565 -	601
1029	تكين الخاصة ، أبو منصور الحزري		321 -	601
1030	تلك الحسني ، سيف الدين		753 -	604
1031	تمام بن عبد الهادي	ابن الحنبلي الواعظ	620 -	605
1032	تمر الساقى ، سيف الدين		743 -	605
1033	تمرغا المنصوري ، سيف الدين	تمرغا المنصوري	698 -	606
1034	تنكر الحسامي	تنكر نائب الشام	741 -	607
1035	توبة بن النمر بن حرملة	توبة بن النمر القاضي	120 -	622
1036	توبة بن علي بن مهاجر ، أبو البقاء	البيع الدمشقي	620 - 698	622
1037	توران شاه بن أيوب ، غياث الدين	الملك المعظم	649 -	625
1038	توزان التركي			633

رقم الترجمة	اسم المترجم	لقبه أو نسبته	تاريخ وفاته	الصفحة
----------------	-------------	---------------	----------------	--------

ث

633	1039	ثابت بن عبد الله بن الزبير ، أبو حكمة		
638	1040	ثابت بن نعم بن يزيد بن روح	127 -	
639	1041	ثابت التفليسي ، أبو التقى	631 -	ثابت بن نعم الجذامي
640	1042	ثعلب بن عبد الله بن عبد الواحد ، أبو العباس	631 -	ثابت التفليسي الصوفي
640	1043	ثعلبة بن سلامة بن جحدم بن عمرو	132 -	رضي الدين القاضي
641	1044	ثعبة بن رميثة بن أبي نُمي	762 -	أبو سلمة العجلي
642	1045	ثمال بن صالح بن مرداس ، أبو علوان	454 -	ثعبة أمير مكة
646	1046	ثمل الحادم	311 -	ثمال ابن مرداس
647	1047	ثوبان بن يجدد ، مولى رسول الله ﷺ	54 -	

مراجع التحقيق

(مما زاد على الجزء الأول)

أ

أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر (ت 613) ، نشر أندري فرّي ، القاهرة ، 1972 .

أخبار مصر لابن المأمون (ت 588) ، نشر أيمن فؤاد السيّد ، القاهرة 1983 .

أخبار ملوك بني عبيد لابن حمّاد (ت 628) ، نشر فوندرهايدن ، الجزائر ، 1927 .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ (ت 463) ، القاهرة ، 1323 .

أسد الغابة لابن الأثير (ت 630) ، القاهرة ، 1970 .

الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر (ت 852) .

الإمارة الأغلبية لمحمد الطالبيّ ، ترجمة الصياديّ ، دار الغرب الإسلاميّ 1985 .

أُمالي القاضي (ت 356) ، بيروت د . ت .

ب

- البخلاء للجاحظ نشر طه الحاجري .
البيان والتبيين له نشر عبد السلام هارون .

ت

- التاريخ الكبير للبخاري (ت 256) ، بيروت ، د . ت .
تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكرم ضياء العمرى ، بغداد ، 1967 .
تالي وفيات الأعيان لأبن الصقاعي (ت 726) نشر ج سويلي ، دمشق 1974 .
تبصير المنتبه لابن حجر .
تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء لزاهد علي ، القاهرة 1933 .
تجريد الأغاني لابن واصل (ت 697) نشر طه حسين والأبياري ، القاهرة ، 1957 .
تشریف الأيَّام والعصور لابن عبد الظاهر (ت 692) ، نشر مراد كامل ، القاهرة ، 1961 .
تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي (ت 723) نشر مصطفى جواد .

ج

- جذوة المقتبس للحميدى (ت 488) نشر محمد بن تاويت ، القاهرة 1952 .
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت 327) ، حيدرآباد ، 1371 .

جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ، نشر محمّد محمّد شاكر ، القاهرة
1381 .

د

الدول الإسلامية لكليفور بوزوورث ، إدينبرا ، 1967 .

(C. E. Bosworth: The Islamic Dynasties-Edinburgh, 1967).

ديوان الأخطل ، نشر الأب صالحانيّ ، بيروت ، 1969 .

ديوان أيدمر المحيوي ، القاهرة ، 1931 .

ديوان تميم بن المعزّ الفاطميّ ، القاهرة ، 1957 .

ديوان الفرزدق ، نشر الصاوي ، القاهرة ، 1936 .

ديوان كثير ، نشر إحسان عباس ، بيروت ، 1971 .

ذ

ذيل الروضتين لأبي شامة (ت 665) .

ذيل السمط للميمنيّ الراجكوتيّ .

ر

الرسالة القشيرية للقشيري (ت 465) نشر عبد الحميد حمود ، القاهرة ،
1966 .

رياض النفوس للمالكّي (ت 453) ، نشر البشير البكوش ، بيروت دار الغرب
الإسلاميّ ، ١٩٨١ .

س

سيرة الأستاذ جوذر ، نشر محمّد كامل حسين ومحمّد عبد الهادي شعيرة ،
القاهرة ، د . ت .

ش

- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ت 276) .
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت 656) بيروت ، د . ت .

ص

- الصادح والباغم لابن الهبارية (ت 509) .

ط

- طبقات علماء إفريقية لأبي العرب (ت 333) ، نشر ابن أبي شنب ، الجزائر ،
1917 .
طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ت 372) نشر فؤاد السيد ، القاهرة ،
1953 .

ع

- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (ت 668) .
العيون والحدائق ، ج 4 ، نشر عمر السعيد ، دمشق ، 1973 .

غ

- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ليحيى بن القاسم ، نشر سعيد عبد الفتاح
عاشور ، القاهرة ، 1968 .

ف

فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت 257) نشر طوري .
فجر الأندلس لحسين مؤنس ، القاهرة ، 1959 .

ل

لسان الميزان لابن حجر ، حيدرآباد ، د . ت .

م

المجالس والمسائرات للقاضي النعمان (ت 363) . تونس ، 1978 .
معالم الإيمان للدبّاغ (ت 696) ، تونس 1902 .
معجم الدميّاطي ، نشر فاجدا .
مفرّج الكرب لابن واصل (ت 697) نشر جمال الدين الشّيال ، القاهرة
1954 .

ن

نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفيّ (ت 900) ، نشر حسن حبشي ، القاهرة
1970 .
نسب الأشراف للبلاذري (ت 279) ، نشر محمد باقر المحمودي ، بيروت ،
1974 .

و

وقعة صفين لنصر بن مزاحم (ت 212) نشر عبد السلام هارون ، القاهرة ،
1365 .



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لمصاحفها: الحبيب المصطفى

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 113 - 5787 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113- 5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 1991 / 7 / 1000 / 176

الطبعة : دار صادر - بيروت

MAQRĪZĪ (m. 845 / 1441)

AL - MUQAFFĀ

Volume II

(– 695 Idris 1^{er} – 1047 – Tawbān b. Bajdad)

Texte établi et annoté

par

MOHAMMED YALAOUI



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI
1991